موسوعة العقيدة والأديان

علاء الحصري

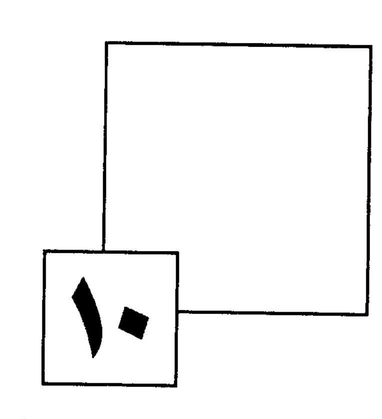
10

تأثر المسيحية بالأديان الوضعية

د. أحمد علي عجيبة
أستاذ العقيدة والأديان



موسوعة العقيدة والأديان



تأثر المسيحية بالأديان الوضعية

د. أحمد علي عجيبة
أستاذ العقيدة والأديان



دار الآفاق العربية

نشـــر - توزيـــع - طـــباعة
٥٥ - ش محمـــود طلعت - من ش الطـــيران
مدينـــة نصـــر - القـــاهـــرة
تليفون : ٢٦١٧٣٣٩ - تليفاكس : ٢٦١٠١٦٤
E-mail : daralafk@yahoo.com

اسم الكتـاب : تأثر المسيحية بالأديان الوضعية
اسم المؤلـف : د. أحمد علي عجيبة

رقـم الإيـداع : ٢٠٠٥/١٥٨٤٠
الترقيم الدولى : 3 - 125 - 344 - 977

الطبعـة الأولـــى
٢٠٠٦م




بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي لم يتخذ ولدًا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرًا، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد..

فإن المسيح عليه السلام لم ينشئ دينًا ولم يأت بدين جديد، فدين الله واحد وهو الإسلام وهو دين الأنبياء جميعًا ابتداء من آدم عليه السلام إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم،

يقول سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ آل عمران: ١٩.

ويقول سبحانه: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ البقرة: ١٣٦،

وقوله تعالى: ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ﴾ الشورى ١٣.

وكانت مهمة المسيح عليه السلام كرسول تتلخص فيما أوضحه القرآن الكريم: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾ الصف: ٦، أي أنه رسول إلى بني إسرائيل، يدعوهم إلى التوحيد وعبادة الله وحده لا شريك له، جاء مصدقًا لما بين يديه من التوراة الصحيحة حيث يوضح لهم المعاني الصحيحة لفهمها ويرشدهم إلى الفهم الصحيح لألفاظها بدون ليّ للسان، ولبس للحق بالباطل، ويردهم عن تحريفها.

هذا إلى جانب أنه جاء مبشرًا بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم.

فالمسيح عليه السلام كانت رسالته - بجانب الدعوة إلى الله وحده لا شريك له - توضيحًا وتفسيرًا وتصديقًا لما بين يديه من التوراة، وتبشيرًا بالرسول صلى الله عليه وسلم..

وحين فكر بعض المنتسبين إلى المسيح عليه السلام أن يجعلوا رسالته ديانة مستقلة قائمة بنفسها أخرجوها عن جوهر الرسالة السماوية إلى ديانة جديدة اختلط فيها الحق بالباطل، وظهر واضحا انتكاستهم وتأثرهم بمن حولهم من الأديان الوضعية.

ولقد نص القرآن الكريم على أن المنتسبين إلى المسيح عليه السلام حرفوا كثيرا مما جاء به، فشوهوا مبادئ رسالته، وغيروا عقائدها وتعاليمها، وأدخلوا فيها ما ليس منها، وما لم يقله المسيح عليه السلام.

يقول سبحانه: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ۝١١٦ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝١١٧ ﴾ المائدة: ١١٦، ١١٧.

فهذا نص يفيد بصريحه أن عيسى ما دعا إلا إلى التوحيد الخالص، وأن المنتسبين إليه هم الذين تقولوا عليه غير التوحيد.

"وهم بهذا الصنيع أوقعوا أنفسهم في خطيئة ذي شقين، يستحيل غفرانها:

الأول: الإشراك بالله تعالى.

الثاني: أنهم أوردوا عيسى بغلوهم فيه موردًا يعتذر عند الله منه يوم الحشر"[(١)].

ولقد بين القرآن الكريم أنهم بصنيعهم هذا يشابهون قول الكافرين قبلهم:

---

(١) أبو عبيدة الخزرجي: بين المسيحية والإسلام ص ١٥٦.

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ التوبة: ٣٠ . فهذه الآية دالة على أن النصارى تأثروا بغيرهم.

هذا وقد تبين للباحث أثناء إعداده لرسالة الماجستير أن المسيحيين فعلاً استعاروا بعض الأفكار والعقائد من الأديان الوضعية ..

ومن هنا رأى الباحث أن يدرس هذه الفكرة في بحثه لرسالة الدكتوراة وذلك لكى يبيّن كيف تأثرت المسيحية بالأديان الوضعية؟ ونوع هذا التأثر، ومداه.

وبرغم أهمية الموضوع وإشارة القرآن الكريم إليه إلا أنه لم ينل في العصور الماضية حظًا وافرًا من البحث والدراسة، ولم ينل أيضًا نصيبًا كبيرًا من اهتمام العلماء والباحثين إلا نتفًا يسيرة هنا وهناك.

فعلماء الإسلام الذين تصدوا للرد على المسيحية اهتموا اهتمامًا كبيرًا بالردود العقلية والمنطقية، فلقد عنوا بمناقشة المسيحيين مناقشة عقلية لبيان فساد عقائدهم وتعاليمهم ولم يهتموا كثيرًا ببيان تأثر المسيحية بالأديان الأخرى، اللهم إلا القاضي عبد الجبار - شيخ المعتزلة - والحقيقة أنه في هذا المجال يعتبر من مفاخر العقلية الإسلامية، فلقد استطاع أن يلاحظ ويستنتج في كتابه: "تثبيت دلائل النبوة" بعض الأفكار التي يرددها علماء الغرب في بيان تأثر المسيحية بالأديان الوضعية، وبرغم هذا فإن عباراته كانت موجزة وقصيرة جدا، حيث إنه لم يفصل التفصيل الواضح للمسيحية وعقائدها، وبيان تأثرها بالأديان الوضعية حيث كانت عباراته في هذا المجال عامة وموجزة بدون تحديد لعقائد معينة.

وفي العصر الحديث ظهرت بعض الأبحاث القليلة حول هذا الموضوع وأهمها على الإطلاق كتاب "العقائد الوثنية في الديانة النصرانية "للأستاذ/ محمد طاهر التنير ... وبرغم أهمية الكتاب، إلا أنه لم يكن شاملاً لكل أطراف الموضوع، فلم يبيّن كيفية الاتصال بين المسيحية والأديان الوضعية، ولا كيفية التأثر، ولم يعن بذكر النتائج، فلقد اقتصر على تعداد العقائد المسيحية وما يشبهها في الأديان الوثنية فقط دون ذكر

الصلة بينها، ودون الاعتناء بذكر النتائج المترتبة على هذا التشابه، هذا إلى جانب أنه أهمل المقدمات.

ولذلك تأتي أهمية هذه الدراسة ،حيث إنها حاولت أن تدرس الموضوع دراسة مستفيضة، وتحدد جذور التأثر، والعوامل التي أدت إليه، وكيفيته، ونوعه.

ولقد قسمت هذه الرسالة إلى مقدمة ومدخل وثلاثة أبواب وخاتمة.

أما المقدمة: فتذكر إلى جانب ما سبق خطة الرسالة ومنهج البحث والدراسة،

أما المدخل: فكان لبيان التصوير القرآني للمسيح عليه السلام ورسالته.

أما الباب الأول: فكان بعنوان : (العوامل التي أدت إلى تأثر المسيحية بغيرها) وقد اشتمل على خمسة فصول:

الفصل الأول: الاضطهاد.

الفصل الثاني: ضياع إنجيل المسيح وعدم قدسية الأناجيل الحالية.

الفصل الثالث: بولس ونشاطه في المسيحية.

الفصل الرابع: قسطنطين وأثره في المسيحية.

الفصل الخامس: المجامع المسيحية وأثرها في تقرير العقائد الكنسية،

أما الباب الثاني فكان بعنوان: (الأديان الوضعية المنتشرة وقت ظهور المسيحية) وقد اشتمل على تمهيد وثلاثة فصول:

الفصل الأول: الأديان الشرقية.

الفصل الثاني: الديانة اليونانية والديانة الرومانية.

الفصل الثالث: منافذ الاتصال بين المسيحية والأديان الوضعية [١].

أما الباب الثالث: فكان بعنوان: (مظاهر تأثر المسيحية بالأديان الوضعية)

وقد اشتمل هذا الباب على أربعة فصول:

الفصل الأول : التجسد

الفصل الثاني: التثليث.

---

(١) وقد رأينا حذف الباب الثاني - ما عدا الفصل الثالث منه - من هذه الطبعة وذلك نظرا لتضخم حجم الكتاب، ثم أضفنا الفصل الثالث وهو بعنوان (منافذ الاتصال بين المسيحية والأديان الوضعية) إلى الباب الأول ليصبح بلك مكونا من ستة فصول.

الفصل الثالث: الصلب والفداء.

الفصل الرابع: الشعائر الدينية والأعياد المسيحية.

أما الخاتمة: فقد اشتملت على أهم نتائج الرسالة:

ومنهج الباحث في هذه الدراسة كما يلي:

أولاً : جعل القرآن الكريم هو الحكم، وذلك انطلاقًا من هيمنته على الكتب السابقة، فالقرآن الكريم هو المصدر الإلهي الموثوق به حيث توافر له كل دواعي الثقة والاطمئنان.

ثانيًا: اعتمدت على المصادر الرئيسة في الموضوع، فلقد اعتمدت على المراجع المسيحية في تصوير عقائدهم ، وعلى المراجع التاريخية في بيان المسائل التاريخية..

وعلى سبيل المثال: استخدمت في بيان الأحداث التاريخية المسيحية كتب التاريخ المسيحي، والتي كتب بعضها في القرون المسيحية الأولى، وذلك مثل كتابي: يوسابيوس القيصري (تاريخ الكنيسة) و (حياة قسطنطين).

ويوسابيوس هذا أب التاريخ الكنسي ،وكتابه الأول يعتبر أقدم الكتب التاريخية عن المسيحية، حيث كتب في أوائل القرن الرابع الميلادي، وهو عند المؤرخين للعصور الميلادية الأولي من المصادر الرئيسة. وكتابه الثاني: (حياة قسطنطين) يعتبر من المصادر الرئيسة عن قسطنطين، فلقد صرح في مقدمة هذا الكتاب أنه تشرف بمعرفة ومعاشرة قسطنطين.

ولأن كتب التاريخ المسيحي لا تخلو أحيانًا من الغلو المتزايد في كتابة التاريخ، حرصت على استخدام كتب التاريخ الروماني - حيث ظهرت المسيحية أثناء الحكم الروماني - بجانب كتب التاريخ المسيحي.

هذا وقد أرودت النصوص من مصادرها الأصلية، فلم أعتمد على أقوال الغير في بيان العقائد المسيحية، ولم أتدخل في النصوص التي أوردتها بالحذف أو التغيير أو التبديل، وإنما أوردتها كما كتبها أصحابها.

ثالثًا: عمدت في هذه الدراسة إلى تأكيد المعني المسيحي بأكثر من نص حتى لا يقال إننا نتلصص على المسيحيين بكلمة من هنا أو من هناك، ولأن المعاني المسيحية غريبة على الأسماع والأفهام، ولذلك كان ذكر أكثر من نص في المعني الواحد ربما يقربها إلى حد ما.

رابعًا: التعليق على ما أوردته من نصوص بأسلوب الحوار الهادئ الذي لا يجنح إلى الانفعال وبروح المنهج العلمي الجاد، والمنطق العقلي السليم ،بعيدين كل البعد عن الهوى والتعصب ،لأنه لا غرض لنا إلا إحقاق الحق وإبطال الباطل.

خامسا: حاولت في بعض الأحيان إرخاء العنان للخصم ،أو التسليم ببعض الأفكار والاحتجاج بما هو مسلم به عندهم ،حتى يكون ألزم في الحجة وأتم في الإقناع.

سادسًا: إن الأقوال التي نسبت إلى المسيح أو الحواريين في هذه الدراسة إنما هي على تقدير تسليم أنها أقوالهم، لأنه غير ثابت عندنا أنها أقوال المسيح والحواريين، وذلك لأجل فقدان إسناد الكتب المنسوبة إليهم، هذا فضلا عن أنه قد ثبت تناقضها واضطرابها مما لا يصح معه القول بنسبتها إلى المسيح عليه السلام،

وبعد:

فأرجو أن يكون هذا البحث قد جاء على الصورة اللا ئقة بالأبحاث العلمية وأرجو أن أكون قد وفقت في بيان كيفية تأثر المسيحية بالأديان الوضعية.

المدخـــل

التصوير القرآنى للمسيح عليه السلام ورسالته

يتحدث القرآن الكريم عن المسيح عليه السلام، حديث المنصف له ، من المنتسبين إليه وما تقولوا عليه ، ومن أعدائه الذين اتهموه هو وأمه مريم عليها السلام.

فلقد انحرف هؤلاء المنتسبون إليه عن تعاليمه وحرفوها تحريفا بالغا، وغالوا فيه غلوا شديدا حتى عدوه إلاها. أما أعداؤه من اليهود وغيرهم فقد رموا أمه بالفاحشة واتهموه بسوء المنبت.

ويأتي القرآن الكريم بالقول الحق في عيسى عليه السلام وأمه، فيرفع عن مريم وابنها قالة السوء، ويبرز لنا شخصية المسيح الحقيقية، ويرد عنه كل افتراء.

وسوف نتناول في هذا المدخل الموجز الحقائق المهمة التي أبرزها القرآن الكريم عن المسيح عليه السلام ورسالته.

ما قبل ولادة المسيح

إمرأة عمران:

يحدثنا القرآن الكريم عن "إمرأة عمران" ـ أم مريم ـ وهي تتوجه إلى الله بالدعاء بعد أن وهبت له ما في بطنها أن يتقبل نذرها ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ آل عمران: ٣٥ ـ ٣٧،

يكشف لنا هذا النص القرآني عن قلب" إمرأة عمران"، وما يعمره من إيمان، ومن توجه إلى ربها بأعز ما تملك، وهو الجنين الذي تحمله في بطنها، خالصا لربها، محررا من كل قيد، ومن كل شرك، ومن كل حق لأحد غير الله سبحانه وتعالي[١].

ثم بعد ذلك ترجو الله أن يتقبل نذرها قائلة: (**فتقبل مني إنك أنت السميع**) أي السميع لتضرعي، ودعائي وندائي ،(العليم) بما في ضميري ،وقلبي، ونيتي[٢].. فلما وضعت مولودها، وكان نذرها على فرض الذكورة ،كما يبدو من إشارات النصوص القرآنية، ولأن النذر للمعابد لم يكن معروفا إلا للصبيان ليخدموا الهيكل وينقطعوا للعبادة والتبتل[٣]، ولكن ها هي ذي تجدها أنثى فتجدد العزم على الوفاء بنذرها، ثم تتوجه إلى الله سبحانه وتعالى متضرعة، بأن يحفظها هي وذريتها من الشيطان الرجيم،وأن يجعلها من الصالحات القانتات،وكان جزاء هذا الإيمان الخالص لله وحده لا شريك له الذي يعمر قلب الأم، أن تقبل الله وليدتها بقبول حسن ،وأنبتها نباتا حسنا فجعلها تعيش في حضانة الطهر والسمو، إذ قام على تنشئتها،وهدايتها ،وتعليمها نبي من أنبياء الله، فكفلها زكريا، ووجهها إلى العبادة الصحيحة وتنزيه القلب من كل أدران الشر والإثم، فنشأت نشأة مباركة طيبة طاهرة، فكانت إحدى العابدات الناسكات،المشهورات بالعبادة العظيمة،والتبتل الدؤوب، وكانت في كفالة زكريا نبي بني إسرائيل إذ ذاك، وعظيمهم الذي يرجعون إليه[٤].

"وكان الله سبحانه وتعالى يهيئ لها من رزقه فيضا من فيوضاته، فكان يفيض من حولها الخير،ويفيض الرزق من كل ما يسمى رزقا، حتى ليعجب كافلها ـ وهو نبي ـ

(١) راجع : سيد قطب : في ظلال القرآن [١ /٣٩٢].

(٢) الفخر الرازي: مفاتيح الغيب [٨/ ٢٨].

(٣) فى ظلال القرآن [١ /٣٩٢].

(٤) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم [٣/ ١١٤].

من فيض الرزق، فيسألها: كيف ومن أين هذا كله؟ فلا تزيد في أن تقول في خشوع المؤمن، وتواضعه واعترافه بنعمة الله وفضله، وتفويض الأمر إليه كله: **(هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب)**[١].

وكانت هذه التنشئة الطيبة بمثابة التمهيد لأمر عظيم، وهو أنها كانت تعد لأن تستقبل نفخة الروح، وكلمة الله، وأن تلد عيسى عليه السلام على غير مثال من ولادة البشر، ولذلك كانت الملائكة تأتيها، فتخبرها باصطفاء الله لها، لهذا الأمر، دون نساء العالمين،

يقول الله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ**[٢] **وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾** ﴾ آل عمران: ٤٢ ـ ٤٣.

"هذا إخبار من الله تعالى بما خاطبت به الملائكة مريم عليها السلام عن أمر الله تعالى لها بذلك أن الله قد اصطفاها، أي اختارها، لكثرة عبادتها، وزهادتها، وشرفها وطهارتها من الأكدار والوساوس، واصطفاها ثانيا مرة بعد مرة؛ لجلالتها على نساء العالمين"[٣].

---

(١) في ظلال القرآن [١/ ٣٩٣].

(٢) والإشارة إلى الطهر هنا إشارة ذات مغزى، وذلك لما لابس مولد عيسى عليه السلام من شبهات، لم يتورع اليهود أن يلصقوها بمريم الطاهرة، معتمدين على أن هذا المولد لا مثال له في عالم الناس، فيزعمون أن وراءه سرا لا يشرف ـ قبحهم الله ، وهنا تظهر عظمة هذا الدين، ويتبين مصدره عن يقين، فها هو ذا محمد صلى الله عليه وسلم رسول الإسلام الذي يلقى من أهل الكتاب ومنهم النصارى ما يلقى من التكذيب والعنت والجدل والشبهات، وها هو ذا يحدث عن ربه بحقيقة مريم العظيمة ، وتفضلها على نساء العالمين بهذا الإطلاق الذي يرفعها إلى أعلى الآفاق ، وهو في معرض مناظرة مع القوم الذين يعتزون بمريم ويتخذون من تعظيمها مبررا لعدم إيمانهم بمحمد وبالدين الجديد، أي صدق؟ وأية عظمة؟ وأية دلالة على مصدر هذا الدين وصدق الأمين؟ إنه يتلقى الحق من ربه عن مريم ، وعن عيسى ، فيعلن هذا الحق، في هذا المجال، ولو لم يكن رسولا من الله ما أظهر هذا القول في هذا المجال بحال.

في ظلال القرآن الكريم [١/ ٣٩٥ ، ٣٩٦].

(٣) تفسير ابن كثير [١/ ٣٦٢].

يقول الزمخشري - في معنى هذه الآية - : (إن الله اصطفاك) أولا حين تقبلك من أمك، ورباك ،واختصك بالكرامة السنية (وطهرك) مما يستقذر من الأفعال، ومما قرفك به اليهود (واصطفاك) آخرا (على نساء العالمين) بأن وهب لك عيسى من غير أب ولم يكن ذلك لأحد من النساء"(١).

تبشير مريم بعيسى عليه السلام

تأتي الملائكة إلى مريم - بعد أن تأهلت بالطهر والتنسك والعبادة لتلقى هذا الفضل، وبعد أن انتبذت من أهلها مكانا شرقيا - لتبشرها بعيسى عليه السلام. يقول تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ﴾ مريم ١٦ - ٢١ ،

ويقول سبحانه ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ ﴾ آل عمران : ٤٥ - ٤٨

وحين تبدى لها الملك في صورة بشر تام كامل وهي في مكان منفردة وبينها وبين قومها حجاب خافته، وظنت أنه يريدها على نفسها، وقالت له : "إني أعوذ بالرحمن منك" إن كنت تخاف الله تذكيرا له بالله، فقال لها الملك مجيبا لها ومزيلا لما حصل عندها من الخوف على نفسها لست مما تظنين، ولكني رسول ربك بعثني الله إليك لأهب لك غلاما زكيا، تعجبت مريم وقالت كيف يكون لي غلام، أي على أي

---

(١) الزمخشري : الكشاف [١ / ٤٢٩].

صفة يوجد هذا الغلام مني ولست بذات زوج، ولا يتصور مني البغي، فقال لها الملك مجيبا إن الله قد قال سيوجد منك غلاما وإن لم يكن لك بعل ولا يوجد منك فاحشة، فإنه على ما يشاء قادر، ولهذا قال **(ولنجعله آية للناس)** أي دلالة وعلامة على قدرة بارئهم وخالقهم الذي نوع في خلقهم فخلق آباهم آدم من غير ذكر ولا أنثى، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق بقية الذرية من ذكر وأنثي إلا عيسى فإنه أوجده من أنثي بلا ذكر، فتمت القسمة الرباعية الدالة على كمال قدرته وعظيم سلطانه، فلا إله غيره ولا رب سواه "ورحمة منا وكان أمرا مقضيا "أي مقدرا ومسطورا في اللوح،لابد لك من جريه عليك، أو كان أمرا حقيقيا بأن يكون ويقضي لكونه آية ورحمة [١].

وحملت مريم بعيسى بإذن الله بعد أن نفخ في جيب درعها جبريل، ثم بعد ذلك أخذت مكانا قصيا، ثم ولدته.

يقول ابن كثير:"والمشهور والظاهر والله على كل شئ قدير أنها حملت به كما تحمل النساء بأولادهن [٢]، فلو كانت عادتها في مدة حملها بخلاف عادات النساء لكان ذلك أولى بالذكر"[٣].

يقول الله تعالى : ﴿ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ ﴾

سورة مريم: ٢٢ ـ ٢٦.

"ولما ولدته وخرجت به على القوم كان ذلك مفاجأة لهم، سواء في ذلك من يعرف نسكها وعبادتها ومن لا يعرف ؛ لأنها فاجأتهم بأمر غريب وهي المعروفة بينهم

---

(١) الكشاف [٢/٥٠٥].

(٢) تفسير ابن كثير [٣/١١٦].

(٣) مفاتيح الغيب [٣/٢٠٣].

بأنها عذراء ليس لها بعل، فكانت المفاجأة داعية الاتهام ،لأنه عند المفاجأة تذهب الروية، ولا يستطيع المرء أن يقابل بين الماضي والحاضر وخصوصا أن دليل الاتهام قائم وقرينته أمر عادي لا مجال للريب فيه عادة، ولكن الله سبحانه وتعالى رحمها من هذه المفاجأة،فجعل دليل البراءة من دليل الاتهام ؛لينقض الاتهام من أصله ويأتي على قواعده، ويفاجئهم بالبراءة ،وبرهانها الذي لا يأتيه الريب، وليعيد إلى ذاكرتهم ما عرفوه في نسكها وعبادتها، ولذلك نطق الغلام وهو قريب عهد بالولادة ليكون كلامه إعلاما صريحا ببراءة أمه"[١].

يقول تعالى : ﴿ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَـٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَـٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ﴾ سورة مريم : ٢٧ ـ ٣٣.

نبوة المسيح ورسالته

لقد حدد القرآن الكريم رتبة عيسى عليه السلام بأنه رسول أرسله الله إلى بني إسرائيل، لدعوتهم إلى توحيد الله عز وجل، ولتصحيح عقيدتهم التي انحرفوا بها عن رسالة موسى عليه السلام.

"ذلك أن بني إسرائيل قد طال عليهم الأمد، فقست قلوبهم، وحرفوا شريعة الله التي جاءهم بها موسى عليه السلام،وانحرفوا عن الطريق الواضح وما أقامهم عليه الأنبياء من السبيل السوي، وخرجوا إلى الإفراط والتفريط"[٢]، ولذلك أرسل الله إليهم عيسى بن مريم ليدعوهم إلى التوحيد وإلى عبادة الله وحده لا شريك له. يقول

(١) الشيخ محمد أبو زهرة : محاضرات في النصرانية ص ١٩ ـ ٢٠.

(٢) عبد الوهاب النجار: قصص الأنبياء ص ٣٩٢.

تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﴾ النساء: ١٧١ .. أي أن القول في عيسى بن مريم أنه رسول الله.

يقول أبو السعود: "أي أنه مقصور على رتبة الرسالة لا يتخطاها"(١)

ثم بين القرآن الكريم أنه رسول من جنس رسل الله تعالى لا فرق بينه وبينهم في مهمة الرسالة .. يقول سبحانه: ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ المائدة: ٧٥.. "أي ما هو إلا رسول من جنس الرسل الذين خلوا من قبله جاء بآيات من الله كما أتوا بمثلها"(٢).

ثم يحدد القرآن الكريم القوم الذين أرسل إليهم فيقول: ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ آل عمران: ٤٩.

ويقول سبحانه: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٦ ﴾ الصف: ٦

أول شيء في دعوة الرسل توحيد الله:

يبين القرآن الكريم أن الدعوة إلى توحيد الله عز وجل وعبادة الله وحده لا شريك له هي دين الأنبياء والرسل جميعا .. يقول سبحانه: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ۝٩٢ ﴾ الأنبياء: ٩٢.

يقول ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير في تفسير هذه الآية: "إن دينكم دين واحد وهو الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له"(٣).

ويقول سبحانه: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ۝٢٥ ﴾ الأنبياء: ٢٥.

---

(١) أبو السعود: إرشاد العقل السليم [١/ ٦١٢].

(٢) مفاتيح الغيب [١٢/ ٦٥].

(٣) تفسير ابن كثير [٣/ ١٩٤].

ويقول : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾ النحل : ٣٦.

ويقول : ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ ﴾ النحل : ٢.

ويقول : ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ الزخرف : ٤٥.

فالسمة الأساسية للرسالات السماوية الدعوة إلى توحيد الله عز وجل، فرسل الله جميعا دعوا الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له، والآيات القرآنية الدالة على ذلك كثيرة نذكر منها ما يلي :

يقول سبحانه عن نوح : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ الأعراف : ٥٩.

وعن رسول الله هود : ﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ الأعراف : ٦٥،

وعن رسول الله صالح : ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ الأعراف : ٧٣.

وعن رسول الله شعيب : ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ الأعراف : ٨٥.

ورسول الله موسى دعا بني إسرائيل إلى توحيد الله عز وجل، يحكي القرآن الكريم قول موسى لقومه : ﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ ﴾ طه : ٩٨.

عيسى بن مريم ما دعا إلا إلى التوحيد:

ورسول الله عيسى عله السلام ما دعا إلا إلى التوحيد الخالص والتنزيه الذي لا يشوبه شائبة، والآيات القرآنية الدالة على ذلك كثيرة نذكر منها ما يلي :

(١) من ذلك قوله تعالى على لسان المسيح: ﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝ ﴾ آل عمران: ٥٠ ـ ٥١.

ومقصوده من قوله: (إن الله ربي وربكم فاعبدوه)" إظهار الخضوع والاعتراف بالعبودية، لكيلا يتقولوا عليه الباطل، فيقولون إنه إله وابن إله، لأن إقراره لله بالعبودية يمنع ما تدعيه جهال النصارى عليه ... ثم قال: (فاعبدوه) والمعنى أنه تعالى لما كان رب الخلائق بأسرهم وجب على الكل أن يعبدوه، ثم أكد ذلك بقوله: (هذا صراط مستقيم)"[١].

(٢) من ذلك أيضا قول المسيح: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ۝ ﴾ المائدة: ٧٣.

يقول صاحب تفسير المنار في معنى هذه الآية: "والحال أن المسيح قال لهم ضد ما يقولون، أمرهم بعبادة الله وحده معترفا بأنه ربه وربهم، فاعترف بأنه عبد مربوب لله تعالى، ودعا بني إسرائيل الذين أرسل إليهم أن يعبدوا الله وحده الذي يعبده هو (إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة) أمرهم عليه السلام بالتوحيد الخالص، وقفى عليهم بالتحذير من الشرك، والوعيد عليه ببيان أن الحال والشأن عند الله تعالى هو أن كل من يشرك بالله شيئا ما، من ملك أو بشر أو كواكب أو غير ذلك، بأن يجعله ندا لله أو متحدا به، من يشرك بالله هذا الشرك ونحوه، فإن الله يحرم عليه الجنة في الآخرة، بل هو قد حرمها عليه في سابقة علمه وبمقتضى دينه الذي أوحاه إلى جميع رسله، فلا يكون له مأوى ولا ملجأ يأوى إليه إلا النار دار العذاب والهوان، وما لهؤلاء الظالمين لأنفسهم بالشرك من نصير ينصرهم ولا شفيع ينقذهم"[٢].

---

(١) مفاتيح الغيب [٨/٦٦].

(٢) تفسير المنار [٦/٤٠٠].

(٣) من ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ ﴾ الزخرف: ٦٤ : ٦٣

(٤) من ذلك أيضا ما ذكره القرآن الكريم عما سيكون يوم القيامة [١]. بين الله عز وجل وعيسى عليه السلام والذى يعترف فيه عيسى بأنه ما دعا قومه إلا إلى التوحيد الخالص.

يقول سبحانه: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ المائدة: ١١٦ - ١١٧.

والاستفهام في قوله (أأنت قلت للناس..) لا يقصد به حقيقته لأن الله عليم بكل شيء وإنما يقصد به أمران:

أولهما: توبيخ النصارى الذين غيروا عقيدة المسيح الحقة، وادعوا عليه ما لم يقله؛ ليكون إنكاره بعد السؤال أبلغ في تكذيبهم وأشد في توبيخهم وتقريعهم.

ثانيهما: تعريف عيسى عليه السلام أن قومه غيروا بعده وزاغوا عن مبادئه [٢]. ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ ﴾ المائدة: ٧٧.

---

(١) يقول الفخر الرازي - عن هذا الحوار -: وهذا الكلام إنما يذكره الله لعيسى يوم القيامة. ومنهم من قال إنه تعالى قال هذا الكلام لعيسى حين رفعه إليه، وتعلق بظاهر قوله (وإذ قال الله) وإذ تستعمل للماضي. والقول الأول أصح؛ لأن الله تعالى عقب هذه القصة بقوله: (هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) والمراد به يوم القيامة. مفاتيح الغيب [١٢/١٤٢]، وأيضا: لأن الله قدم لهذا الحوار بقوله: (يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم).

(٢) د/ إبراهيم سلامة: القرآن وعقائد أهل الكتاب ص ٢١١ [رسالة دكتوراة].

ثم تذكر الآيات أن عيسى عليه السلام يبادر فيدفع عن نفسه ما نسب إليه (ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق)... ثم يصرح عيسى بأنه ما دعا إلا إلى توحيد الله فقال: (ما قلت لهم إلا ما أمرتني به) أي بإبلاغه لهم، ثم فسره بقوله: (أن اعبدوا الله ربي وربكم) ثم يخبر عيسى بأنه ظل قائما بحراستهم ورقابتهم وتذكيرهم بكلمة التوحيد والبعد بهم عن كل مظاهر الشرك مدة وجوده بين أظهرهم (وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم) أي الحفيظ لأعمالهم وأقوالهم وسائر ما يصدر منهم من توحيد أو شرك (وأنت على كل شيء شهيد)"[١].

هذه هي رسالة المسيح عليه السلام والتى تتلخص فى دعوة بني إسرائيل إلى توحيد الله الخالص المنزه عن كل شرك وعن كل نقص بشري.

معجزات المسيح عليه السلام:

المعجزة : أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي الذي هو دعوى الرسالة أو النبوة مع عدم المعارضة[٢]، والمقصود بها إظهار صدق من ادعى أنه رسول[٣].

فالرسل وهم صفوة الخلق أيدهم الله تعالى بالمعجزات حيث أظهرها على أيديهم تصديقا لهم في دعوى النبوة والرسالة، وفيما بلغوه عن الله تعالى؛ لأنها نازلة منزلة قوله "صدق عبدي فيما يبلغ عني" والرسل لا ينسبون فعل الخوارق إلى أنفسهم، بل إلى قدرة الله وتأييده[٤].

ولقد أيد الله سبحانه وتعالى المسيح عليه السلام ببعض المعجزات التي ذكرها في القرآن الكريم، وهي تتلخص في خمسة أمور، ذكر القرآن الكريم أربعة منها في سورة آل عمران:

(١) يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيها فيكون طيرا بإذن الله، أي أن الله سبحانه وتعالى يخلق على يديه طيرا من الطين، فالخالق هو الله سبحانه وتعالى

---

(١) المرجع السابق ص٢١٢.
(٢) شرح البيجوري على الجوهرة ص ١٥٤.
(٣) عضد الدين الإيجي : المواقف ص ٣٣٩.
(٤) شرح البيجوري على الجوهرة ص ١٥٣.

، ولكن جرى الخلق على يد عيسى عليه السلام وبنفخ من روحه عليه السلام بإذن الله تعالى.

(٢) إحياؤه عليه السلام الموتى بإذن الله، فالمحيي فى الحقيقة هو الله العلي القدير، ولكن أجرى الإحياء على يد المسيح عليه السلام؛ ليكون برهان نبوته ودليل رسالته.

(٣) إبراؤه عليه السلام الأكمه[1] والأبرص، وهما مرضان تعذر على الطب العثور على دواء لهما والتمكن من أسباب الشفاء منهما، ولكن عيسى بقدرة الله شفاهما، فكان ذلك دليلا قائما عل رسالته عليه السلام.

(٤) إخباره عن بعض المغيبات، فقد أخبرهم عليه السلام بأمور غائبة عن حسه ولم يعاينها، فقد كان ينبئ أصحابه وتلاميذه بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم للدلالة على النبوة والرسالة[2].

يقول الله تعالى في سورة آل عمران: ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ سورة آل عمران: ٤٩.

وهنا نلاحظ أن المسيح عليه السلام - في هذه الآية - لم يقل في معجزتي الإبراء والإخبار بالغيب (بإذن الله)[3] وعلة ذلك: "لأنهما ليس فيهما كبير غرابة بالنسبة إلى الآخرين فتوهم الألوهية فيهما بعيد فلا يحتاج للتنبيه على نفيه خصوصا وكان فيهما أطباء كثيرون"[4].

---

(١) الأكمه: هو الذي يولد أعمى. وقال ابن الأعرابي: الأكمه الذي يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل. (راجع: لسان العرب ص ٣٩٣٣).

(٢) راجع: محاضرات في النصرانية ص ٢٣، ٢٤.

(٣) ولقد ذكرت آيات سورة المائدة التي تحدثت عن معجزات المسيح عند الحديث عن الأكمه والأبرص (بإذن الله) يقول الله لعيسى وهو يذكره بنعمه عليه (.... وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني).

(٤) الشيخ سليمان بن عمر الشهير بالجمل: الفتوحات الإلهية [١ / ٢٧٤].

وعلى ذلك فيكون السر في ذكر (بإذن الله) في معجزتي خلق الطير من الطين وإحياء الموتى هو نفي توهم الألوهية في عيسى عليه السلام، لأن الأحياء ليس من جنس الأفعال البشرية بخلاف إبراء الأكمه والأبرص، وكذلك الأمر بالنسبة لخلق الطير من الطين"[١].

فالمسيح عليه السلام لم ينسب المعجزة إلى نفسه بل نسبها إلى الله عز وجل حين قال (بإذن الله).

"ومعنى قوله: (بإذن الله) أي بتكوين الله وتخليقه، وإنما ذكر عيسى هذا القيد إزالة للشبهة وتنبيها على أني أعمل هذا التصوير، فأما خلق الحياة فهو من عند الله تعالى على سبيل إظهار المعجزات على يد الرسل"[٢].

والخامسة في سورة المائدة ،وهي إنزال المائدة بعد أن طلبها الحواريون.

وعن هذه المعجزة يقول القرآن ﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾ المائدة: ١١٢ ـ ١١٥،

وهنا نلاحظ أيضا أن عيسى عليه السلام نسب نزول المائدة إلى قدرة الله سبحانه وتعالى فقال: (اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء) وناداه باسم الذات الجامع

---

(١) القرآن وعقائد أهل الكتاب ص ٢٠٩.

(٢) مفاتيح الغيب [٨/ ٦٣].

لمعنى الألوهية والقدرة والحكمة والرحمة فقال عيسى (اللهم) معناه يا الله، ثم باسم الرب الدال على معنى الملك والتدبير والتربية والإحسان خاصة فقال (ربنا) أي يا ربنا ومالكنا ومتولي أمورنا ومربينا أنزل علينا مائدة من السماء"[١].

الإنجيل كما يصوره القرآن:

يحدثنا القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالى أنزل على عيسى كتابا هو الإنجيل.

﴿ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝ ﴾ آل عمران: ٣ .

﴿ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝ ﴾[٢] آل عمران: ٤٨.

﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ ﴾ الحديد: ٢٧.

﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ ﴾ المائدة: ٤٦.

فهذه الآيات وغيرها تدل على أن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى عيسى عليه السلام الإنجيل، ويشتمل هذا الإنجيل - كما يوضح القرآن الكريم - على الهدى والنور والموعظة..

يقول تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ﴾ المائدة: ٤٦.

---

(١) تفسير المنار [٧/٢١١].

(٢) يقول الفخر الرازي: والأقرب عندي أن يقال: إن المراد من الكتاب تعليم الخط والكتابة، ثم المراد بالحكمة تعليم العلوم وتهذيب الأخلاق؛ لأن كمال الإنسان في أن يعرف الحق لذاته، والخير لأجل العمل به، ومجموعها هو المسمى بالحكمة، ثم بعد أن صار عالما بالخط والكتابة ومحيطا بالعلوم العقلية والشرعية يعمله التوراة، وإنما أخر تعليم التوراة عن تعليم الخط والكتابة، لأن التوراة كتاب إلهي وفيه أسرار عظيمة، والإنسان ما لم يتعلم العلوم الكثيرة لا يمكنه أن يخوض في البحث على أسرار الكتب الإلهية، ثم قال في المرتبة الرابعة والإنجيل، وإنما أخر ذكر الإنجيل عن ذكر التوراة؛ لأن من تعلم الخط، ثم تعلم علوم الحق، ثم أحاط بأسرار الكتاب الذي أنزله الله تعالى على من قبله من الأنبياء فقد عظمت درجته في العلم، فإذا أنزل الله تعالى عليه بعد ذلك كتابا آخر وأوقفه على أسراره فذلك هو الغاية القصوى، والمرتبة العليا في العلم، والفهم والإحاطة بالأسرار العقلية والشرعية والاطلاع على الحكم العلوية والسفلية، فهذا ما عندي في ترتيب هذه الألفاظ الأربعة (مفاتيح الغيب ٨/٥٩)

إنه تعالى وصف الإنجيل في هذه الآية بأوصاف خمسة: "**إن الإنجيل هدى** بمعنى أنه اشتمل على الدلائل الدالة على التوحيد والتنزيه، وبراءة الله تعالى عن الصاحبة والولد والمثل والضد، وعلى النبوة وعلى المعاد، فهذا هو المراد بكونه هدى، **وأما كونه نورا**: فالمراد به كونه بيانا للأحكام الشرعية ولتفاصيل التكاليف، **وأما كونه مصدقا لما بين يديه**: فيمكن حمله على كونه مبشرا بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم وبمقدمه، **وأما كونه هدى مرة أخرى** فلأن اشتماله على البشارة بمجيئ محمد صلى الله عليه وسلم سبب لاهتداء الناس إلى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ولما كان أشد وجوه المنازعة بين المسلمين وبين اليهود والنصارى في ذلك لا جرم أعاده الله تعالى مرة أخرى؛ تنبيها على أن الإنجيل يدل دلالة ظاهرة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فكان هدى في هذه المسألة التي هي أشد المسائل احتياجا إلى البيان والتقرير، **وأما كونه موعظة**: فلاشتمال الإنجيل على النصائح والمواعظ والزواجر البليغة المتأكدة، وإنما خصصها بالمتقين؛ لأنهم هم الذين ينتفعون بها كما في قوله: (هدى للمتقين)"[١].

ويقول سبحانه: ﴿ **وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾** ﴾ الصف: ٦

فالإنجيل الذي نزل على عيسى عليه السلام كتاب هداية ونور؛ لما فيه من دعوة الناس إلى التوحيد وعبادة الله وحده لا شريك له، وهو مصدق للتوراة ومحيي لشريعتها ومؤيد للصحيح من أحكامها، ويشتمل على الهدى والنور والموعظة للمتقين؛ لأنهم هم الذين يهتدون بهدايته، هذا إلى جانب أنه يشتمل على البشارة برسول يأتي من بعده اسمه أحمد،

هذه هي مواصفات الإنجيل المنزل من عند الله تعالى، والموحى به إلى المسيح عليه السلام، ولكن أين هذا الإنجيل؟

---

(١) مفاتيح الغيب [١٢/ ١٠ - ١١].

إن الأناجيل الموجودة حاليا ليست هي الإنجيل الذي أنزل على عيسى عليه السلام ؛لذلك فهي منسوبة إلى أصحابها (متى - مرقس - لوقا - يوحنا) لا إلى عيسى وكذلك أيضا التعاليم والعقائد التي توجد فيها ليست هي تعاليم الإنجيل الموحى به إلى المسيح عليه السلام، ولذلك نجد القرآن الكريم يصرح في مواضع عديدة بأن أهل الكتاب قد حرفوا كتبهم وكتموا الحق وأخفوه.

وقد وبخ الله سبحانه اليهود والنصارى وبكتهم على لسان رسوله بالتحريف والكتمان والإخفاء فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ آل عمران: ٧١

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ البقرة : ١٥٩
وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾ المائدة: ١٥.

أما التحريف فقد أخبر سبحانه عنه في مواضع متعددة، وكذلك ليّ اللسان بالكتاب ليحسبه السامع منه وما هو منه، فهذه خمسة أمور:

أحدها: لبس الحق بالباطل وهو خلطه به حيث لا يتميز الحق من الباطل.

الثاني: كتمان الحق.

الثالث: إخفاؤه وهو قريب من كتمانه.

الرابع: تحريف الكلم عن مواضعه وهو نوعان: تحريف لفظه - وتحريف معناه.

الخامس: ليّ اللسان به ليلبس على السامع اللفظ المنزل بغيره.

وهذه الأمور إنما ارتكبوها لأغراض لهم دعتهم إلى ذلك"[١].

والقرآن الكريم أخبر أيضا أن أهل الكتاب قد أوتوا نصيبا من الكتاب فنسوا حظا مما ذكروا به وحرفوا جزءا آخر.

---

(١) ابن القيم: هداية الحيارى ص ١٠٥.

وفي ذلك يقول القرآن في حق اليهود: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ﴾ المائدة : ١٣.

وفي حق النصارى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ﴾ المائدة: ١٤.

ويقول سبحانه مخاطبا الفريقين: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ المائدة : ١٥.

يقول د/ إبراهيم سلامة: "وهنا نحب أن ننبه إلى حقيقة هامة هي أن الآيات التي تحدثت عن تحريف أهل الكتاب لما أوتوا من كتب الله كلها واردة في حق اليهود خاصة، ولم يرد في حق النصارى إلا قوله تعالى: **{ ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به}** فلم يصفهم القرآن الكريم صراحة بالتحريف كما وصف أسلافهم من اليهود في كثير من آياته .... فهل معنى هذا أن النصارى لم يحرفوا الإنجيل كما حرفت اليهود التوراة؟

الجواب عن ذلك: أنهم حرفوه أكبر تحريف وأفحشه، حيث أزالوه من الوجود رأسا، وأضاعوه كله، واستعاضوا عنه بما كتبوا لأنفسهم من الأناجيل ورسائل الرسل. وإذا كان حذف كلمة واحدة من كتاب سماوي يعتبر تحريفا للكتاب السماوي فما بالنا بحذفه كله وإضاعة أصله من الوجود"(١).

ثم يقول: "وإنما لم يصف القرآن النصارى بالتحريف صراحة لأنهم لا ينسبون أناجيلهم هذه إلى الله ورسوله وإنما إلى من ألفها، وأما اليهود فإنهم ينسبون كتبهم إلى الله ورسله ويدعون أنها منزلة من السماء، ومن هنا عنى القرآن الكريم بإثبات تحريفهم لهذه الكتب، وتبديلهم لها، وبيان أنهم كتبوها بأنفسهم ونسبوها إليه زورا وبهتانا"(٢).

---

(١) القرآن وعقائد أهل الكتاب ص ٥١.

(٢) يقول الله تعالى : "فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ" البقرة : ٧٩

فعدم وصف النصارى بالتحريف الصريح ليس راجعا لسلامة الإنجيل منه، بل لأنهم أضاعوه رأسا ووضعوا لأنفسهم غيره ونسبوه إلى من ألفه. فبعدت صلة هذه الأناجيل بالوحي السماوي؛ لاعترافهم بأنها من وضعهم، بخلاف اليهود الذين يزعمون أن ما بأيديهم منزل من عند الله[١].

ولذلك يقول ابن حزم: "لسنا نحتاج إلى تكلف برهان في أن الأناجيل وسائر كتب النصارى ليست من عند الله عز وجل ولا من عند المسيح عليه السلام كما احتجنا إلى ذلك في التوراة والكتب المنسوبة إلى الأنبياء عليهم السلام التي عند اليهود، لأن جمهور اليهود يزعمون أن التوراة التي بأيديهم منزلة من عند الله عز وجل على موسى فاحتجنا إلى إقامة البرهان على بطلان دعواهم في ذلك، وأما النصارى فقد كفونا هذه المؤنة كلها؛ لأنهم لا يدعون أن الأناجيل منزلة من عند الله على المسيح ولا أن المسيح أتاهم بها، بل كلهم أولهم وآخرهم لا يختلفون من أنها أربعة تواريخ ألفها أربعة رجال معروفون في أزمان مختلفة"[٢].

معنى المسيح كلمة الله:

لقد وصف القرآن الكريم المسيح عليه السلام بأنه (كلمة الله) يقول تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ آل عمران: ٤٥،

ويقول: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ ﴾ سورة النساء: ١٧١.

ومعنى وصف المسيح بالكلمة أنه المكون بالكلمة وأنه أوجد بالكلمة[٣].

يقول الزمخشري: "قيل لعيسى كلمة الله، وكلمة منه؛ لأنه وجد بكلمته وأمره لا غير، من غير واسطة أب ولا نطفة"[٤].

---

(١) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٢) ابن حزم: الفصل في الملل والنحل [٢/ ١٩].

(٣) راجع: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن [٦/ ٢٢].

(٤) الكشاف [١/ ٥٨٤].

"وهذا المعنى هو الذي يدل عليه الآيات، يقول سبحانه: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ سورة يس: ٨٢.

وقوله: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ آل عمران: ٥٩. فخلق عيسى وآدم بكن"[١].

يقول الإمام أحمد بن حنبل: "فالكلمة التي ألقاها إلى مريم حين قال له: (كن) فكان عيسى بكن، وليس عيسى هو الكن، ولكن بالكن كان، فالكن من الله قول وليس الكن مخلوقا"[٢].

ويقول: "كذبت النصارى على الله في أمر عيسى حيث قالوا: إن عيسى روح الله من ذات الله، وكلمته من ذات الله كما يقال إن هذه الخرقة من هذا الثوب.

وقلنا نحن: إن عيسى بالكلمة كان وليس عيسى هو الكلمة"[٣].

معنى وروح منه:

هذا وقد وصف القرآن الكريم أيضا عيسى بأنه (روح منه)..

يقول سبحانه: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ ﴾ النساء: ١٧١ ... أي من أمره سبحانه كان الروح فيه [٤].

فالروح عبارة عن نفخة جبريل ،(ومنه) يعني أن ذلك النفخ من جبريل كان بأمر الله وإذنه ،وهذا المعنى هو الذي تدل عليه الآيات.

يقول سبحانه: ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾ التحريم: ١٢.

وقوله: ﴿ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا ﴾ الأنبياء: ٩١.

---

(١) الإمام البخاري: كتاب خلق الأفعال (ضمن مجموعة عقائد السلف) ص ١٣٦.

(٢) أحمد بن حنبل: الرد على الزنادقة والجهمية (ضمن مجموعة عقائد السلف) ص ٨٣.

(٣) المرجع السابق ص ٨٧.

(٤) المرجع السابق ص ٨٣.

ويدل عليه أيضا أن القرآن الكريم بين أن آية الله في خلق عيسى كآية خلقه لآدم إذ خلق كل منهما بكلمة (كن)، ولما كان معنى المسيح (كلمة الله) أي خلق بكلمة (كن)، مثله في ذلك كمثل آدم، فإن معنى (وروح منه) أي بنفخ من روح الله أيضا، كما كان آدم أيضا بنفخ من روح الله ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ الحجر : ٢٩.

وعلى ذلك فإن معنى (من) في قوله تعالى: (وروح منه) لابتداء الغاية مجازًا، وهي متعلقة بمحذوف وقع صفة الروح أي كائنة من جهته تعالى جعلت منه، وإن كانت بنفخ جبريل لكون النفخ بأمره سبحانه"[١].

وقد زعم بعض النصارى أن (من) للتبعيض، بمعنى أن المسيح جزء من الله، أي أنه ابنه وهو قول باطل، وفي الرد على هذا نورد ما حكاه المفسرون من أن طبيبًا نصرانيًا للرشيد ناظر علي بن الحسين الواقدي ذات يوم فقال له: إن في كتابكم ما يدل على أن عيسى عليه السلام جزء منه تعالى، مشيرًا إلى قوله تعالى: (وروح منه) فقرأ له الواقدي قوله تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ الجاثية: ١٣، وقال: يلزم إذاً أن تكون جميع هذه الأشياء أجزاء منه تبارك وتعالى، فانقطع النصراني، وأسلم، ففرح الرشيد، ووصل الواقدي بصلة فاخرة"[٢].

الحواريون أنصار الله:

يبين القرآن الكريم أن الحواريين هم الذين آمنوا بعيسى، واستجابوا لدعوته، وقد قص القرآن شأن الحواريين في سور آل عمران، والمائدة، والصف

يقول سبحانه: ﴿ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ آل عمران: ٥٢ - ٥٣. وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ المائدة: ١١١.

---

(١) إرشاد العقل السليم [١/ ٦١٢].

(٢) راجع المرجع السابق نفس الصفحة.

"والحواريون فئة من بني إسرائيل، آمنوا بعيسى، وتتملذوا له، وتعلموا منه، وأعلنوها ـ وهم القلة ـ عالية مدوية نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد يا عيسى بأننا مسلمون، ثم كان دعاؤهم ربنا آمنا بما أنزلت من حق ومن رسول ومن كتاب... شهدنا بوجودك ووحدانيتك، وضميرنا وأمرنا لك دون سواك؛ فاكتبنا يوم القيامة مع الشاهدين"(١).

هذا وقد أثنى القرآن الكريم عليهم لنصرتهم الله وإيمانهم برسالة عيسى عليه السلام فقال سبحانه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾الصف: ١٤ ...

هذه هي صفات الحواريين الذين آمنوا بعيسى واستجابوا لدعوته.

وعلى ذلك يمكن القول إن ادعاء المسيحيين بنسبة الأناجيل الحالية لبعض حواري المسيح وتابعيهم مع اشتمالها على تقرير عقيدة ألوهية المسيح وغيرها نسبة غير صحيحة(٢). فإما أن يكون الأشخاص الذين نسب إليهم هذه الأناجيل هم غير الحواريين والأنصار الذين يحدثنا عنهم القرآن، وإما أن يكونوا هم الذين يحدثنا عنهم القرآن الكريم ويذكر أنهم أنصار الله، والدعاة إلى توحيده، وتكون هذه الكتب من تأليف أناس آخرين، ونسبت إليهم بهتانا وزورا(٣).

نهاية المسيح:

لقد تآمر اليهود على قتل المسيح عليه السلام وصلبه، ولكن الله سبحانه وتعالى نجاه من أيديهم فلم يقتل ولم يصلب.

هذا وقد نفى القرآن الكريم دعوى قتل المسيح وصلبه في موضعين:

---

(١) راجع د/محمود بن الشريف: الدعاء في القرآن ص ٧٧ ـ ٧٨، الأديان في القرآن ص ١٧٠.

(٢) راجع الفصل الثاني من الباب الأول.

(٣) د/ على عبد الواحد وافي: الأسفار المقدسة ص ٩١.

الموضع الأول: في سورة آل عمران :

قال الله تعالى ﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ آل عمران : ٥٢ - ٥٥. والآيات تفيد أن اليهود الذين أحس عيسى منه الكفر دبروا المؤامرات لقتله، واتخذوا كل الوسائل لتنفيذ هذا المأرب الذميم { وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ }[١].

أي مكر أولئك الذين أحس عيسى منهم الكفر به فحاولوا قتله، وأبطل الله مكرهم فلم ينجحوا فيه، وعبر عن ذلك بالمكر على طريق المشاكلة، كذا قال الجمهور وأقرهم الأستاذ الأمام[٢]. (وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ) أي أحكمهم تدبيرًا، وأنفذهم كيدًا، وأقدرهم على عقاب الآثمين من حيث لا يشعرون، وإنجاء الشرفاء والمصلحين، بله الأنبياء والمرسلين من أيدي الطغاة المفسدين والعابثين"[٣].

الموضع الثاني في سورة النساء: يقول سبحانه عن اليهود: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ

---

(١) يقول الفخر الرازي: "أصل المكر في اللغة: السعي بالفساد في خفية ومداجاة. قال الزجاج يقال: مكر الليل وأمكر إذا أظلم، وقال الله تعالى : (وإذ يمكر بك الذين كفروا) وقال: (وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون)، وقيل: أصله من اجتماع الأمر وإحكامه ومنه امرأة ممكورة أي مجتمعة الخلق وإحكام الرأي، ويقال له الإجماع والجمع، قال الله تعالى: (فأجمعوا أمركم وشركاءكم) فلما كان المكر رأيًا محكمًا قويًا مصونًا عن جهات النقص والفتور لا جرم سمي مكرًا "مفاتيح الغيب [٨/ ٧٢].

ثم يقول : "والمكر عبارة عن الاحتيال في إيصال الشر.والاحتيال على الله محال، فصار لفظ المكر في حقه من المتشابهات وذكروا في تأويله وجوها:

الأول : أنه تعالى سمى جزاء المكر بالمكر كقوله: (وجزاء سيئة سيئة مثلها) وسمى جزاء المخادعة بالمخادعة وجزاء الاستهزاء بالاستهزاء،

الثاني: أن معاملة الله معهم كانت شبيهة بالمكر فسمي بذلك.

الثالث: أن هذا اللفظ ليس من المتشابهات؛ لأنه عبارة عن التدبير المحكم الكامل، ثم اختص في العرف العام بالتدبير في إيصال الشر إلى الغير، وذلك في حق الله غير ممتنع. والله تعالى أعلم". المرجع السابق [٨/ ٧٣].

(٢) تفسير المنار [٣/ ٢٥٩].

(٣) د/ هاشم جودة: العقائد المسيحية بين القرآن والعقل ص ٢٧٦.

ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ ﴾ سورة النساء: ١٥٥ ـ ١٥٨.

والآيات السابقة تنفي القول بقتل المسيح وصلبه عامة، سواء كان هذا القول من اليهود أو من النصارى، فالمسيح لم يقتل ولم يصلب، ولكن شبه لهم.

وقد اختلف العلماء في معنى قوله تعالى: (ولكن شبه لهم) فقيل: المعنى ولكن شبه لليهود الذين صلبوه ، بأن ألقى الله شبهه على غيره فصلبوا الشبه.

وقيل: المعنى ولكن شبه للنصارى ـ أي حصلت لهم الشبهة في أمره، وليس لهم علم بأنه ما قتل وصلب ولكن لما قال أعداؤه اليهود أنهم قتلوه وصلبوه ـ صدقهم النصارى في صلبه[١].

والقول الأول هو قول الجمهور[٢] وهو الذي تدل عليه الآيات؛ حيث إنها موجهة أولاً وفي المقام الأول إلى اليهود القائلين (إنا قتلنا المسيح).

ومعنى قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾﴾ أي وإن الذين اختلفوا في شأن عيسى من أهل الكتاب في شك من حقيقة أمره أي في حيرة وتردد ما لهم به من علم ثابت قطعي، لكنهم يتبعون الظن[٣]. (وما قتلوه يقينًا) أي وما قتلوه متيقنين أنه هو بل شاكين متوهمين[٤].

يقول الشيخ محمد رشيد رضا: "وما قتلوا عيسى بن مريم قتلاً يقينًا أو متيقنين أنه هو بعينه، لأنهم لم يكونوا يعرفونه حق المعرفة، وهذه الأناجيل المعتمدة عند

---

(١) هداية الحيارى ص ٣١٤.
(٢) ابن تيمية: الجواب الصحيح [١/٣١٣].
(٣) تفسير المنار [٦/١٦].
(٤) تفسير ابن كثير [١/٥٧٤].

المسيحيين تصرح بأن الذي أسلمه إلى الجند هو يهوذا السخربوطي، وأنه جعل لهم علامة أن من قبّله هو يسوع المسيح فلما قبّله قبضوا عليه[١]... فالجنود ما كانوا يعرفون شخص المسيح معرفة يقينية.

وقيل: إن الضمير في قوله تعالى: (وما قتلوه يقينًا) للعلم الذي نفاه عنهم، والمعنى ما لهم به من علم، لكن يتبعون الظن ،وما قتلوا العلم يقينًا وتثبيتًا، بل رضوا بتلك الظنون التى يتخبطون فيها. يقال: قتلت الشئ علمًا وخبرًا إذا أحطت به واستوليت عليه حتى لا ينازع ذهنك منه اضطراب ولا ارتياب.

وروي عن ابن عباس أنه راجع إلى الظن الذي يتبعوه قال: "لم يقتلوا ظنهم يقينًا. رواه ابن جرير أي أنهم يتبعون ظنًا غير ممحص، ولا موفى أسباب الترجيح والحكم التي توصل إلى الحكم"[٢].

فالمسيح نجاه الله تعالى من أيدي الأعداء، فلم يقتل ولم يصلب ولكن (رفعه الله إليه) وقد اختلف العلماء في معنى الرفع:

فالجمهور: أن الله سبحانه وتعالى رفعه بجسمه وروحه إليه، وأخذوا بظاهر قوله تعالى في مقابل القتل(بل رفعه الله إليه) ،وببعض الأحاديث التي وردت في ذلك.

وفريق آخر قالوا: إنه عاش حتى توفاه الله تعالى كما يتوفى الأنبياء، ورفع روحه إليه كما ترفع أرواح الأنبياء والصديقين والشهداء، وأخذوا في ذلك بظاهر قوله تعالى: {إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة}.

وبظاهر قوله: {فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم} ولكل منهما وجهة هو موليها[٣].

---

(١) راجع: متى ٤٨:٢٦، ٤٩.

(٢) تفسير المنار[١٧/٦].

(٣) راجع محاضرات في النصرانية ص٢٦، القرآن وعقائد أهل الكتاب ص ٢٨٤،

ولا نحب أن ندخل هنا في تفصيل أدلة كل فريق وترجيح أحدهما على الآخر، لأن الشئ الذي يهمنا هنا هو أن الله سبحانه وتعالى نجى المسيح من أيدي الأعداء ورفعه إليه. ولكن هل الرفع بالجسد والروح معًا؟ أو بالروح فقط؟ فهذا قد اختلف فيه، ولترجيح رأي أحد الفريقين موضع ليس هذا مقامه.

هذا هو المسيح عليه السلام ورسالته كما صورها القرآن الكريم.

إبطال القرآن الكريم للعقائد المسيحية:

وبعد أن بين القرآن الكريم الرسالة الصحيحة التي جاء بها المسيح عليه السلام، وأنه ما دعا إلا إلى توحيد الله وتنزيهه، رد على المسيحيين الذين يدعون الانتساب إلى المسيح وبين لهم بطلان أقوالهم وعقائدهم ..

فلقد رد على قولهم إن المسيح هو الله ...

يقول سبحانه: ﴿ **لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ** ﴿١٧﴾ ﴾ المائدة : ١٧.

فهل يستطيع المسيح أن يدفع عن نفسه الهلاك، إن أراد الله أن يهلكه وأمه ومن في الأرض؟ وإذا كان لا يستطيع أن يدفع هذا الهلاك فكيف يكون هو الله الذي بيده ملكوت كل شئ؟

يقول الزمخشري: "(فمن يملك من الله شيئًا) فمن يمنع من قدرته ومشيئته شيئًا (إن أراد أن يهلك) من دعوه إلهًا من المسيح وأمه؛ دلالة على أن المسيح عبد مخلوق كسائر العباد، وأراد بعطف من في الأرض على المسيح وأمه أنهما من جنسهم لا تفاوت بينهما وبينهم في البشرية (يخلق ما يشاء) أي يخلق من ذكر وأنثي ويخلق من أنثى من غير ذكر كما خلق عيسى، ويخلق من غير ذكر وأنثى كما خلق آدم، ويخلق ما يشاء كخلق الطير على يد عيسى معجزة له، وكإحياء الموتى،

وَإبراء الأكمه والأبرص وغير ذلك، فيجب أن ينسب إليه ولا ينسب إلى البشر"(١).

ويقول سبحانه: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾ المائدة: ٧٢.

هذا وقد بيّن القرآن الكريم أيضًا بطلان قولهم بأن المسيح ابن الله.

يقول سبحانه: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ﴾ الأنعام: ١٠١.

"وفي هذه الآية إبطال الولد من ثلاثة وجوه:

أحدها: أنه مبدع السموات والأرض، وهي أجسام عظيمة لا يستقيم أن يوصف بالولادة، لأن الولادة من صفات الأجسام، ومخترع الأجسام لا يكون جسمًا حتى يكون والدًا.

الثاني: إن الولادة لا تكون إلا بين زوجين من جنس واحد، وهو متعال عن مجانس، فلم يصح أن تكون له صاحبة فلم تصح الولادة،

الثالث: أنه ما من شئ إلا وهو خالقه والعالم به، ومن كان بهذه الصفة كان غنيًا عن كل شئ، والولد إنما يطلبه المحتاج"(٢).

ويقول سبحانه: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ ﴾ البقرة: ١١٦، ١١٧.

---

(١) الكشاف [١/ ٦٠١ - ٦٠٢].

(٢) المرجع السابق (٢/ ٤١)

ويقول: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ ﴾ مريم : ٨٨ ـ ٩٥

هذا وقد رد القرآن الكريم أيضًا على اعتقاد المسيحيين بالتثليث وبيّن بطلان هذه العقيدة. يقول سبحانه: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ[1] وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۘ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ ﴾ النساء : ١٧١.

ويقول سبحانه : ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾

المائدة : ٧٣ ـ ٧٤.

وقد ورد القرآن الكريم أيضًا على المسيحيين في اعتقادهم بأن بني البشر ورثوا خطيئة آدم، وأن المسيح ابن الله ـ في نظرهم ـ تجسد وصلب ليفدي البشرية ويخلصها .. فلقد بيّن القرآن الكريم أن آدم تاب من ذنبه والله تاب عليه

﴿ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾

البقرة : ٣٧.

---

(١) يقول الزمخشري : غلت اليهود في حط المسيح عن منزلته حيث جعلته مولودًا لغير رشده (وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانًا عظيمًا) وغلت النصارى في رفعه عن مقداره حيث جعلته إلهًا. راجع : المرجع السابق [١/ ٥٨٤].

﴿ ثُمَّ ٱجْتَبَـٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾ طه : ١٢٢.

ويقول سبحانه مقررًا أن الوزر لا يتحمل إثمه إلا من اقترفه وقام به: ﴿ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ الأنعام : ١٦٤.

بمعنى أن النفوس إنما تجازى بأعمالها إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر، وأنه لا يحمل من خطيئة أحد على أحد وهذا من عدله تعالى،[١].

ويقول سبحانه: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ﴾ فاطر : ١٨.

ويقـول : ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾ النجم : ٣٦ ـ ٤٢.

"والقرآن الكريم يصور لنا أخذ البرئ بالمذنب لا على أنه مضاد للشريعة فحسب، بل هو كذلك غير متوافق مع الفكرة الأساسية للعدالة الإنسانية.

يحكي القرآن الكريم قول يوسف لأخوته: ﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَـٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَـٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ يوسف: ٧٩"[٢].

"إن القرآن الكريم يقرر ويؤكد بكل أساليب التقرير وبجميع أنوا ع التوكيد أن كل إنسان يحمل مسئولية نفسه قاعدة كلية ومبدأ عامًا يناط به كل تكليف من تكاليف الإسلام، وكل فرع من فروع مسئولياته التي حملنا الله تعالى إياها"[٣].

هذا فضلاً عن أن القرآن الكريم بيّن أن المسيح لم يصلب ولم يقتل ـ كما بيّنا سابقاً ـ ولكن الله نجاه ورفعه إليه.

---

(١) تفسير ابن كثير[٢/١٩٩].

(٢) د/ محمد عبد الله دراز: دستور الأخلاق في القرآن ص ١٥١.

(٣) د/ محمد إبراهيم الشافعي: المسئولية والجزاء في القرآن الكريم ص ٩٤.

وبعد هذا كله يبيّن القرآن الكريم أن المسيحيين أخذوا عقائدهم هذه من الوثنيين فقال: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ التوبة : ٣٠.

والمضاهاة: المشابهة. قال الفراء: ضاهيته ضهيًا ومضاهاة، وهذا قول أكثر أهل اللغة[1] في المضاهاة. وقال شمر: المضاهاة: المتابعة يقال فلان يضاهي فلانًا أي يتابعه"[2].. أي أن المسيحيين يشبهون أو يتابعون المشركين والكافرين في عقائدهم وأقوالهم.

---

(١) يقول ابن منظور : والمضاهاة : المشاكلة وضاهأت الرجل وضاهيته أي شابهته. لسان العرب ص ٢٦١٥، وراجع أيضًا: المعجم الوسيط [١/ ٥٤٥].

(٢) مفاتيح الغيب [١٦/ ٣٧].

الباب الأول

العوامل التى أدت
إلى تأثر المسيحية بالأديان الوضعية

تمهيـــد:

إن الدارس لتاريخ الديانة التي جاء بها المسيح عليه السلام يجد أنها مرت بمراحل متعددة، في خلال هذه المراحل تجمعت عليها عوامل أفسدتها وخرجت بها من دائرة الديانة السماوية.

"فقد كانت الظروف التي مرت بالنصارى أسوأ ظروف مرت بأمة، اجتمعت عليهم عوامل أفسدت عليهم دينهم وبدلته من دين سماوي يعتمد في أصوله وأحكامه على الله إلى دين وضعي أرضي نبت وغذي من أفكار بشرية وثنية .. أي أنه بدل أن يرتفع بالبشر ويأخذ بيدهم إلى السماء، نزل هو إلى البشر يأخذ منهم، وبعد أن كان البشر وثنيين باسم الوثنية أصبحوا وثنيين باسم المسيحية"[١].

وهذه العوامل اختلفت باختلاف المرحلة التي مرت بها الديانة، ويمكن القول إن العوامل التي ساعدت على تأثر ديانة المسيح بغيرها يمكن تقسيمها إلى مرحلتين:

المرحلة الأولى: وفيها عوامل عملت وساعدت على دخول الأفكار الوثنية إلى ديانة المسيح عليه السلام، وهذه العوامل هي:

العامل الأول: الاضطهاد.

العامل الثاني: ضياع إنجيل سيدنا عيسى عليه السلام.

العامل الثالث: بولس ونشاطه في المسيحية.

وكان يمكن للأفكار والعقائد الوثنية التي دخلت في ديانة المسيح في المرحلة الأولى أن تدحض لولا العوامل الأخرى في المرحلة الثانية.

---

(١) د/ بركات دويدار: الحركة الفكرية ضد الإسلام ص ٢١٠.

المرحلة الثانية :وفيها يظهر عوامل عملت على تقرير هذه العقائد الجديدة وجعلها هي العقائد الأساسية في المسيحية، وما عداها يعد هرطقة، أو خروجاً عن الديانة المسيحية في نظرهم، وهذه العوامل هى:

العامل الأول: الإمبراطور قسطنطين وأثره في المسيحية.

العامل الثاني: المجامع وأثرها في تقرير العقائد المسيحية.

وسوف نقوم في هذا الباب بشرح هذه العوامل بالتفصيل.

الفصل الأول



معنى الاضطهاد:

الاضطهاد في اللغة مأخوذ من ضهد، يقال: ضهده، يضهده ضهدا بمعنى ظلمه وقهره، وأَضْهَد به: جار عليه، ورجل مضطهود ومضطهد بمعنى مقهور ذليل مضطر [١].

واضطهده - والطاء بدل من تاء الافتعال [٢] - بمعنى بالغ في ضهده - أي في قهره وظلمه[٣]. فلفظة الاضطهاد في معاجم اللغة تعني المبالغة في القهر والظلم والذل.

الاضطهاد المبكر:

لقد بعث الله سبحانه وتعالى سيدنا عيسى عليه السلام إلى بني إسرائيل يدعوهم إلى توحيد الله وتنزيهه والبعد عن زخارف الدنيا وشهواتها، ولكن دعوته لم ترق في عيونهم - إلا القليل منهم - وذلك "لأنه دعاهم إلى إصلاح القلب بدلا من الأخذ بالمظاهر والأشكال وهم لا يقبلون ذلك؛ لأن منهم من علم الديانة رسوما وتقاليد يتجهون إلى الأشكال والمظاهر منها دون الاتجاه إلى لبها وغايتها[٤]حتى لقد كان منهم من يحجم عن عمل الخير في يوم السبت[٥] زاعما أنه داخل في عموم النهي"[٦].

ولأن دعوته لم تحقق لهم ما كانوا يحلمون به من ملك مادي واستعباد للشعوب الأخرى. وكذلك"لأنه كان يدعوهم إلى الزهادة في الدنيا[٧].والأخذ من أسباب الحياة بأقل قسط يكفي لأن تقوم عليه الحياة"[٨].

---

(١) ابن منظور: لسان العرب ص ٢٦١٦ ط دار المعارف. راجع أيضا: القاموس المحيط [١/ ٣٢١].
(٢) لسان العرب ص ٢٦١٦.
(٣) المعجم الوسيط [١/ ٥٤٥].
(٤) راجع: لوقا ١١: ٣٧ - ٤١.
(٥) راجع مرقس ٢: ٢٣ - ٢٨، متى ١٢: ١ ت ٨، لوقا ٦: ١ - ٥.
(٦) الشيخ أبو زهرة: محاضرات في النصرانية ص ٢٦.
(٧) راجع لوقا ١٦: ١٣.
(٨) محاضرات في النصرانية ص ١٥

فلقد تعارضت الدعوة الجديدة مع آمالهم وأحلامهم ولم ترق في أعينهم، ولذلك ناصبوه العداء ووقفوا في وجه دعوته،

يقول "رولاند بينتون" أستاذ تاريخ الكنيسة بجامعة "بيل" الأمريكية: "فقد أبغضه رجال الدين لأنه هزأ بقوانينهم التعسفية الجامدة [١]، أما عامة الشعب فقد تركوه لأنه لم يستخدم قوته المعجزية ليطرد جنود الرومان الذين استعمروا فلسطين سيما وأن اليهود كانوا يؤمنون أن الله سيرسل لهم "المسيا" أي المسيح ليخلصهم، أما الأغنياء فقد خافوه لأسباب تختلف عن هذه ... فلم يهمهم أمر السبت ولم يريدوا حربا ضد الاستعمار الروماني ولكنهم غضبوا منه لأجل ما عمله في الهيكل عندما طرد باعة الحمام، وقلب موائد الصيارف وطرد الأبقار والأغنام التي أحضرها الكهنة والأغنياء للتجارة فيها[٢] إذ كانوا يبيعون الذبائح للقادمين من بلاد بعيدة بأسعار خيالية، وقد غضب الأغنياء حين حرمهم من المكاسب الكثيرة التي كانوا يحصلون عليها مستغلين الشعب الذي جاء للعبادة"[٣].

ثم يقول: "وهكذا اتفق عدد كبير في كراهية المسيح وانتظروا الفرصة المناسبة لإلقاء القبض عليه وإصدار حكم الموت عليه"[٤].

فلقد ناصبوه العداء ووقفوا في وجه دعوته، وامتد الأمر أن تقوّلوا عليه الأقاويل وألّبوا عليه السلطات الرومانية" وابتدأوا يشتكون عليه قائلين: إننا وجدنا هذا يفسد الأمة ويمنع أن تعطي جزية لقيصر قائلاً : إنه هو مسيح ملك[٥]. وكانوا يشددون قائلين: إنه يهيج الشعب وهو يعلم في كل اليهود مبتدئًا من الجليل إلى هنا"[٦].

ونتيجة لهذه الأقاويل أصدر الحاكم الروماني قرارًا بالقبض على المسيح عليه السلام.

---

(١) راجع لوقا: ١١ : ٣٧.

(٢) راجع مرقس ١١ :١٥ - ١٨، متى ٢١ :١٢ـ ١٧، لوقا ١٩ : ٤٥ـ٤٨، يوحنا ٢ : ١٣ ـ ٢٢.

(٣) رولاند بينتون: مواقف من تاريخ الكنيسة ص ٧.

(٤) المرجع السابق ص ٩.

(٥) لوقا ٢٣ :٢ .

(٦) لوقا ٢٣ : ٥ .

يقول الشيخ أبو زهرة : "تقدم اليهود لمناوأة المسيح، وقليل منهم من اعتنق دينه وآمن به وأخذوا يعملون على منع الناس من سماع دعايته فلما أعيتهم الحيلة ورأوا أن الضعاف والفقراء يجيبون نداءه ويلتفون حوله مقتنعين بقوله أخذوا يكيدون له ويوسوسون للحكام بشأنه ويحرضون الرومان عليه، ولكن الرومان ما كانوا يلتفتون إلى المسائل الدينية والخلافات المذهبية بين اليهود، بل تركوا هذه الأمور لهم يسوونها فيما بينهم، واليهود يريدون أن يغروا الرومان بعيسى كيفما كان الثمن فبثوا حوله العيون يرصدونه ويتسقطون قوله بشأن الحكومة والحكام عساهم يجدون كلمة له يتعلقون بها وينقلونها للحاكم الروماني فلم يجدوا، لأن المسيح ما كان يدعو إلا إلى إصلاح الجانب النفسي والخلقي ولم يكن قد اتجه إلى إصلاح الحكومة بعد، ولما ضاقت بهم الحيلة كذبوا عليه وانتهى الأمر إلى أن تمكنوا من حمل الحاكم الروماني على أن يصدر الأمر بالقبض عليه والحكم عليه بالإعدام صلبًا[1].

ولكن الله سبحانه وتعالى نجاه من أيديهم فلم يقتل ولم يصلب وإنما قتل وصلب غيره.

والأناجيل المعتبرة عند المسيحيين مليئة بالمعاكسات والمشاغبات والإيذاءات التي كان يفعلها اليهود مع المسيح عليه السلام" وإن نهاية المسيح بمحاولة صلبه - لولا أن نجاه الله - لتدل دلالة قاطعة على الجو العدائى الذي كان يعيش فيه ومقدار المؤامرات التي كانت تحاك ضده"[2].

ونظرا لأن هذه الإيذاءات المبكرة لم يكن لها أثر على تأثر دين المسيح نفسه في حياته على الأرض، وذلك لأن الأنبياء والرسل معصومون من التردي والوقوع في الخطأ والزلل والأخذ من الوثنية، بل هم يحاربونها ويقضون عليها فإننا لا نفصل القول فيها ويكفينا الإشارة.

---

(١) محاضرات في النصرانية ص ٢٨.

(٢) الحركة الفكرية ضد الإسلام.

اضطهاد أتباع المسيح:

استمرت عملية الاضطهاد بعد المسيح عليه السلام "ولم تهدأ، بل زادت بحيث يمكن القول بأن أشنع أنواع التعذيب والوحشية قد جربت فيهم"[١]. فلقد لاقى الأتباع الأوائل كثيرا من الأذى والاضطهاد "فكانوا يجلدون أو يرجمون أو تمزق أجسادهم أو تشوى أو تحرق حتى الموت"[٢].

والمصادر المسيحية وغير المسيحية مليئة بأخبار هذه الاضطهادات، وإن كانت المصادر المسيحية قد غالت في وصفها.

يقول الشيخ أبو زهرة : "اتفقت المصادر شرقية وغربية، دينية وغير دينية على أن المسيحيين نزل بهم بعد المسيح بلايا وكوارث، جعلتهم يستخفون بديانتهم ويفرون بها أحيانا ويصمدون للمضطهدين مستشهدين أحيانا أخرى، وهم في كلتا الحالتين لا شوكة لهم ولا قوة تحميهم وتحمي ديانتهم وكتبهم"[٣].

ولقد مر بهؤلاء الأتباع عصران من عصور الاضطهاد:

العصر الأول: الاضطهاد من اليهود.

العصر الثاني: الاضطهاد من الرومان.

وكل عصر منهما له خصائصه وأسبابه لذلك سندرس كل واحد منهما على حدة.

العصر الأول: الاضطهاد من اليهود.

واضح من سفر أعمال الرسل أن الاضطهاد الأول الذي وقع على أتباع المسيح كان من اليهود، فلقد ذاق هؤلاء ألوانا من الاضطهاد والتعذيب على أيدي اليهود الذين حاولوا منعهم من نشر الدعوة الجديدة، وهذه حقيقة أولية سجلتها المراجع المسيحية والتاريخية.

---

(١) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٢) هلير : مجمل تاريخ العالم ص ٢٢٠.

(٣) محاضرات في النصرانية ص ٣٤.

يقول : يوسابيوس القيصري[١] " - أقدم مؤرخي الكنيسة - "إن اليهود بعد صعود مخلصنا لم يكتفوا بجريمتهم ضده، بل دبروا الكثير من المؤامرات ضد رسله على قدر استطاعتهم"[٢].

وكذلك أيضًا نجد سفر الأعمال الذي يحكي النشاط التبشيري لتلاميذ المسيح ومن دخل في زمرتهم خلال الثلاثين عامًا التي أعقبت رحيل صاحب الدعوة [٣]. يحكي قصصًا وروايات عن هذا الاضطهاد اليهودي.

وكان الاضطهاد في أول الأمر محدودًا، وذلك لأن الأتباع كانوا محدودين، ويدل على ذلك ما جاء في سفر الأعمال عن بطرس ويوحنا وما حدث لهما "بينما كانا يخاطبان الشعب أقبل عليهما الكهنة وقائد جند الهيكل والصدوقيون متضجرين من تعليمهما الشعب فألقوا عليهما الأيادي ووضعوهما في حبس إلى الغد لأنه كان قد صار المساء[٤] "" وحدث في الغد أن رؤساءهم وشيوخهم وكتبتهم اجتمعوا إلى أورشليم"[٥]. لينظروا ماذا يفعلون مع هذين الرجلين، "وتآمروا فيما بينهم قائلين ماذا نفعل بهذين الرجلين لأنه ظاهر لجميع سكان أورشليم أن آية معلومة قد جرت بأيديهما ولا نقدر أن ننكر، ولكن لئلا تشيع أكثر في الشعب لنهددهما تهديدًا أن لا يكلما أحدًا من الناس فيما بعد بهذا الاسم فدعوهما وأوصوهما أن لا ينطقا البتة ولا يعلما باسم المسيح"[٦]، فلقد ألقي القبض عليهما ووضعا في الحبس ثم أطلقا سراحهما بعد توصيتهما بألا ينطقا ولا يبشرا باسم المسيح.

---

(١) عاش ما بين عامي (٢٦٠ - ٣٤٠م) تقريبا، أول مؤرخ للكنيسة المسيحية وصديق الإمبراطور قسطنطين ومحل ثقته، ولد بفلسطين وتنقلت به الأحوال حتى صار أسقفا لمدينة قيسارية سنة ٣١٤ م، وله عدة مؤلفات في التاريخ واللاهوت والعقيدة أهمها كتاب (تاريخ الكنيسة) وكتاب (حياة قسطنطين) الذي كتبه ليمتدح به الإمبراطور قسطنطين بعد موته سنة ٣٣٧ م . (راجع : د/بيريل سماري: المؤرخون في العصور الوسطى ص ٤٤) وقد اعتمدنا على هذين الكتابين باعتبارهما مصدرين أساسيين.

(٢) يوسابيوس القيصري: تاريخ الكنيسة ص ١١٨.

(٣) أحمد عبد الوهاب : حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر ص ٨٦.

(٤) أعمال ٤ : ١.

(٥) أعمال ٤ : ٥.

(٦) أعمال ٤ : ١٦ - ١٨.

وكما عانى بطرس ويوحنا، كذلك أيضًا عانى بقية التلاميذ من ذلك الاضطهاد اليهودي[١].. فقد "جرت على أيدي الرسل آيات وعجائب كثيرة في الشعب"[٢]، ... فقام رئيس الكهنة وجميع الذين معه الذين هم شيعة الصدوقيين وامتلأوا غيرة فألقوا أيديهم على الرسل ووضعوهم في حبس العامة"[٣]... وجعلوا يتشاورون أن يقتلوهم[٤]... ودعوا الرسل وجلدوهم وأوصوهم أن لا يتكلموا باسم يسوع ثم أطلقوهم[٥].

استفانوس[٦]:

ولا شك أن هذا الاضطهاد كما يتضح من الأمثلة السابقة كان إلى حد ما محدودًا وأخف بكثير مما حدث بعد ذلك، فلقد اقتصر في المثال الأول على التحذير والتخويف والتهديد ولم يتعد إلى الضرب والجلد والقتل،

أما في المثال الثاني فقد زادت حدة الاضطهاد بعض الشئ وظهر من خلاله أنهم جلدوا التلاميذ.

وهنا ننتقل إلى مرحلة أخرى جديدة من مراحل الاضطهاد اليهودي وهى مرحلة الاضطهاد العلني القاسي والذي كان قتل "استفانوس" بالنسبة لها الشرارة الكبرى، ولذلك نال شهرة كبيرة بين النصارى وهو - في نظرهم - أول الشهداء.

ولقد ظهر "استفانوس" هذا على مسرح الأحداث حينما اشتكى بعض اليهود اليونانيين[٧] - الذين دخلوا المسيحية - من أن اليهود الأصليين يحتقرونهم لأنهم أجنبيون، وقد ظهر هذا التحيز عند توزيع الصدقات اليومية، فشكت زوجات

(١) راجع : أحمد عبد الوهاب: المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص ٤٩.
(٢) أعمال ٥ : ١٢.
(٣) أعمال ٥ : ١٧.
(٤)أعمال ٥ : ٣٣.
(٥) أعمال ٥ : ٤٠.
(٦) استفانوس: اسم يوناني معناه "تاج" أو "إكليل من الزهور" وهو اسم أول شهداء المسيحية في نظرهم. قاموس الكتاب المقدس ص ٦٢.
(٧) هم هؤلاء اليهود الذين عاشوا خارج فلسطين أجيالاً طويلة فنسوا لغتهم العبرية وتكلموا اليونانية.

اليهود اللاتي كن يتكلمن اليونانية لإهمالهن عند التوزيع ولذلك انتخبوا سبعة للاهتمام بهذا الأمر[١]. وكان من أبرز المنتخبين لهذا "استفانوس.

يقول سفر الأعمال ـ عن هذه الواقعة: "وفي تلك الأيام إذ تكاثر التلاميذ حدث تذمر من اليونانيين على العبرانيين أن أراملهم كن يغفل عنهن في الخدمة اليومية، فدعا الاثنا عشر جمهور التلاميذ وقالوا لا يُرضى أن نترك نحن كلمة الله ونخدم موائد، فانتخبوا أيها الأخوة سبعة رجال منكم مشهود لهم ومملوّين من الروح القدس وحكمة فنقيمهم على هذه الحاجة وأما نحن فنواظب على الصلاة وخدمة الكلمة فحسن هذا القول أمام كل الجمهور فاختاروا استفانوس..."[٢].

ولقد وصفت رسالة أعمال الرسل "استفانوس" هذا بأنه رجل ممتلئ من الإيمان[٣] وأنه كان يصنع قوات وعجائب[٤]، وكان ينادي بالرسالة بحكمة ولم يقدر هؤلاء الذين خالفوه أن يقاوموا الحكمة والروح التى كان يتكلم بها[٥].

ولما لم يتمكن بعض من هؤلاء اليهود اليونانيين أن يحاربوا "استفانوس" أو يقاوموا[٦] القوة التي كان يتكلم بها، اخترعوا ضده شكايات زور فدسوا رجالاً مأجورين يقولون إننا سمعناه يجدف على الله وعلى موسى وأنه تكلم ضد الشريعة وضد الهيكل، وقدمت هذه الشكاوى إلى مجمع السنهدريم[٧] الذي بدأ في محاكمته

(١) وليم باركلي: تفسير العهد الجديد (أعمال الرسل) ص ٨٦.
(٢)أعمال ٦ : ١ ـ ٥.
(٣) أعمال ٦ : ٥.
(٤) أعمال ٦ : ٨.
(٥) أعمال ٦ : ١٠.
(٦) وكان في أورشليم في تلك الأيام مجامع كثيرة لليهود تختلف بحسب اختلاف أجناسهم، إلا أن الذين قاوموا "استفانوس" كانوا من مجمع الليبرتيين والقيروانيين والإسكندريين ومن الذين من كيليكية وآسيا.
راجع: أندرو ملر: مختصر تاريخ الكنيسة [١/٤٢].
(٧) السنهدريم: هو المجلس الأعلى أو الهيئة الحاكمة لشعب اليهود وكان له سلطان كامل لا في الشئون الدينية فقط، بل في المسائل المدنية، ولم يتعرض الرومان لهذا الاختصاص، وإن كانوا حرموا السنهدريم سلطة الحكم بعقوبة الموت، وكان هذا المجلس مؤلفا من اثنين وسبعين عضوا أكثرهم من الكهنة والشيوخ وله ضباطه وجنوده الذين منحوا سلطة إلقاء القبض على المتهمين وكان رئيس المجمع هو عادة رئيس الكهنة الذي جمع في شخص واحد السلطتين الدينية والمدنية،
(راجع: حبيب سعيد: المدخل إلى الكتاب المقدس).

وأخذ "استفانوس" يلقي على مسامع أعضائه دفاعه، ولقد سجل سفر الأعمال ملخصًا لهذا الدفاع [١] الذي ذكر فيه "النقط الشهيرة في تاريخ شعب إسرائيل مجملة بصورة صريحة، فقد أشار إلى تاريخ يوسف وموسى، وذكر عن الأول أنهم باعوه حسدًا إلى الأمم [٢]، وعن الثاني أنهم أنكروا رسالته وأبوا عليه أن يكون رئيسًا وقاضيًا [٣]، ثم أفصح لهم القول أخيراً باتهامه إياهم بأنهم في كل حين يقاومون الأنبياء غير حافظين الناموس" [٤]

ثم يبيّن سفر الأعمال بعد ذلك أنه في النهاية صب عليهم أعنف اللوم وأشده لأنهم رفضوا المسيح وقتلوه [٥] ـ وذلك على حسب اعتقاد المسيحيين ـ وعندما وصل إلى هذه النقطة قاطعوه في الكلام ولم يمهلوه حتى يكمل خطابه [٦]

يقول سفر الأعمال: "فلما سمعوا هذا حنقوا بقلوبهم وصرّوا بأسنانهم عليه ... وصاحوا بصوت عظيم وسدوا آذانهم وهجموا عليه بنفس واحدة وأخرجوه خارج المدينة ورجموه [٧] حتى الموت.

وعلى أثر موت "استفانوس" حدث اضطهاد عظيم لكل الذين آمنوا بالمسيح عليه السلام [٨]، وكان من أبرز قادة الاضطهاد "شاول الطرسوسي" (بولس) قبل دخوله المسيحية، فقد نشر الاضطهاد في أروشليم والبلاد التي حولها ووصل إلى دمشق [٩]، وكان يدخل البيوت ويخطف الرجال والنساء ويلقي بهم في السجون.

يقول سفر الأعمال: "وحدث في ذلك اليوم اضطهاد عظيم على الكنيسة التي في أورشليم، وأما "شاول" فكان يسطو على الكنيسة وهو يدخل البيوت ويجر رجالا ونساءً ويسلمهم إلى السجن" [١٠]

---

(١) أعمال ٧ : ١ ـ ٥٣.
(٢) أعمال ٧ : ٩.
(٣) أعمال ٧ : ٣٩ ـ ٤٢.
(٤) مختصر تاريخ الكنيسة (١/ ٤٢).
(٥) أعمال ٧ : ٥٣.
(٦) مختصر تاريخ الكنيسة [١ /٤٣].
(٧) أعمال ٧ : ٥٤ ـ ٥٨.
(٨) زكي شنودة: تاريخ الأقباط [١/ ٧٤].
(٩) د/ فهيم عزيز: المدخل إلى العهد الجديد ص ٩٢.
(١٠) أعمال ٨ : ١ ـ ٣.

وهكذا نرى أن الاضطهاد اليهودي للنصارى وصل إلى الذروة وهو الهجوم على بيوتهم والسطو عليهم وتسليمهم إلى السجون، ثم قتل بعضهم كما حدث "لاستفانوس"، ومن ذلك الوقت وجدت السلطات اليهودية الشجاعة الكافية لاضطهاد المسيحيين علنا وكان الشخص الذي تزعم هذه الحملة المروعة هو شاول الطرسوس"[١].

ولقد كان لهذا الاضطهاد المبكر أثره على أتباع المسيح عليه السلام، فلم يستطيعوا في وسط هذا الجو الإرهابى المليئ بالغيوم والسحب والترصد من كل جانب أن يعلموا الناس ديانة المسيح الصحيحة، وبدأت العقائد الوثنية تدخل في النصرانية مع الداخلين فيها دون أن يجدوا من يصحح لهم العقيدة، ويوضح لهم الفهم الصحيح لها، كذلك أيضا لم يستطيعوا أن يورثوهم الإنجيل الصحيح الذى بدأ في الاختفاء باختفاء التلاميذ الأصليين بسبب هذا الاضطهاد. وسوف نتناول هذا بالتفصيل فى الفصل التالي إن شاء الله تعالى.

---

(١) جون لوريمر : تاريخ الكنيسة [١/ ٥٥].

العصر الثاني
عصر الاضطهاد الروماني

روح التسامح الروماني تجاه الديانات عدا النصرانية:

لقد أجمع المؤرخون على أن السلطات الرومانية كانت متسامحة مع رعاياها الذين يختلفون معها في الجنس واللغة الثقافة والدين، طالما أنهم لا يخلون بنظام الأمن العام ويدفعون الضرائب المقررة عليهم.

"فمن السمات المميزة للإمبراطورية الرومانية اختلافها عن أية إمبراطورية أخرى شاهدها العالم القديم، فمنذ أن اتسعت دائرة نفوذ الرومان دخلت في حوزتهم شعوب وأجناس متباينة مارست أنظمتها الاجتماعية ومعتقداتها الدينية ولغاتها وتقاليدها وقوانينها دون تدخل من قبل الحكومة الرومانية طالما أن تلك المعتقدات والنظم لا تتعارض مع سلامة الإمبراطورية وأمنها من ناحية ومادام السكان يدفعون الضرائب المقدرة عليهم من ناحية أخرى"(١).

فلقد أظهر الرومان تسامحًا عظيمًا تجاه الاختلاف اللغوي والثقافي، ونظام الحكومات داخل الإمبراطورية، ففي غالب الأوقات كانوا يتركون للشعوب الحرية في أن ينظموا شئونهم بأنفسهم(٢)، وأباحوا تمثيل المسرحيات ليس باللغات اللاتينية واليونانية فحسب بل باللغات العبرية والفينيقية والآرامية(٣).

وكذلك كان الأمر بالنسبة للمعتقدات والعبادات الدينية، فقد ترك الحكام الناس يعبدون آلهة غير رومانية الأصل، ويقومون بطقوس محلية دون التدخل من جانبهم؛ وذلك لأن الرومان أنفسهم كانوا يعبدون آلهة متعددة(٤)، ولم يقتصر الأمر عند حد التسامح لعبادة آلهة غير رومانية، بل ذهبوا إلى إضافة بعض آلهة الشعوب الأخرى

---

(١) د/ محمود الحويري: رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية ص ١١.

(٢) جون لوريمر: تاريخ الكنيسة [١/ ١٤].

(٣) فيليب حتى: تاريخ سورية [١/ ٣٦٦].

(٤) جون لوريمر: تاريخ الكنيسة [١/ ١٤].

إلى مجموع آلهتهم، وسمحوا حتى في عاصمة إمبراطوريتهم بالعبادة المصرية وغيرها، وكانت سياستهم في شئون الدين "عش ودع الآخرين يعيشون"(١).

وكما تسامحت السلطات الرومانية مع معتنقي الديانات الأخرى فإنهم أيضًا تسامحوا مع اليهود ،وآلت الحكومة الرومانية على نفسها حماية ديانتهم وأعطتهم ضمانات - ترجع إلى أيام يوليوس قيصر(٢) - بموجبها زاولوا شعائرهم الدينية في حرية وأمن، كما أعطتهم الحق في اتباع تقاليدهم الدينية، إذ أن المعروف أن اليهودي لا يعمل يوم السبت من كل أسبوع حيث يتخذه يوم عبادة وراحة، كما لا يمكن مقاضاته في ذلك اليوم أيضا، وجرى إعفاؤه من الخدمة العسكرية، وسمح لليهود بإصدار عملة نقدية خاصة بهم دون أن يطبع عليها صورة الإمبراطورية (٣)، وكل ما طلبته روما هو أن يدفع اليهود الجزية ويعيشوا بسلام مع جيرانهم ومع الغرباء الموجودين في بلادهم(٤).

و كان الاتجاه العام للسياسة الرومانية يجنح إلى التسامح مع الأديان والمعتقدات في جميع الإمبراطورية، ولكن موقف السلطات الرومانية اختلف إزاء الديانة النصرانية، فقد خرجت عن هذه الروح المرنة المتسامحة وبدأت تسئ إلى أتباع النصرانية بالاضطهاد والإيذاء والتعذيب.

أسباب اضطهاد الرومان للنصارى

أولاً : تشتت النصارى وانفصالهم عن اليهود وانتشارهم في أرجاء الإمبراطورية:

ظلت السلطات الرومانية فترة من الزمن تنظر إلى النصرانية على أنها طائفة يهودية فتسري عليها ما يسرى على اليهود من تسامح إزاء معتقداتها وعباداتها ، ، ، فالرومان لم يفرقوا بين النصرانية واليهودية، ويذكر سفر الأعمال في هذا الصدد عن

(١) تاريخ سورية [١ /٣٦٦].

(٢) سياسي وقائد عسكري روماني عاش ما بين عامى ١٠٢ ق. م - ٤٤ ق. م (عن هذا القائد. راجع : د/ سيد أحمد الناصري: تاريخ وحضارة الرومان ص ٣٢٥).

(٣) رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية ص ٥١ ، ٥٢.

(٤) بارو : الرومان ص ١٨٣.

غاليليو والى أخائية أنه رفض التدخل ليحكم بين اليهود والنصارى لأن الأمر عنده لم يكن يتعدى "كلمة وأسماء وناموسكم"[١].

ولكن ما الذي حدث وجعل الرومان يتغيرون إزاء التعامل مع النصارى؟

الذي حدث أن النصارى بدأوا يخرجون من بلاد أورشليم ويبشرون بديانتهم بين اليهود الذين عاشوا في بلاد اليونان ويستقلون بأنفسهم، بدأ ذلك إثر موت "استفانوس" ثم دخول "بولس" بعد ذلك في النصرانية.

لقد تشتت النصارى خارج أورشليم وبدأوا التبشير في أمكنة أخرى [٢] وكانوا نشطين متحمسين في بحثهم عن أتباع جدد لديانتهم[٣]، وبسبب هذا النشاط انتشرت النصرانية وأصبحت تسمى بالمسيحية وأطلق على أتباعها اسم المسيحيين[٤].

انتشرت بين اليهود اليونانيين وبين الوثنيين في بلاد سوريا وآسيا الصغرى وأحدقت بمدن تقع في قلب بلاد اليونان حتى بلغت الدعوة للدين المسيحي قصبة الإمبراطورية نفسها على يد "بولس" [٥]. وظهر واضحًا للناس أن هذه الدعوة إنما هي لديانة جديدة تختلف عن اليهودية وخاصة بعد أن أدخل فيها "بولس" تعديلاته وبصماته، وأحس الرومان بذلك فبدأت المخاوف والشكوك تدخل في نفوسهم إزاء هذه الدعوة الجديدة،

"فالدين اليهودي كان محتملاً في نطاق الإمبراطورية طالما كان محصورًا في اليهود الأصليين، أما وقد بدا في الأفق أن ذلك الدين سيتكاثر ويتناسل "في صورة المسيحية" فكان ذلك مشكلة تستحق الاعتبار"[٦].

---

(١) " ولكن إذا كان مسألة عن كلمة وأسماء وناموسكم فتبصرون أنتم لأني لست أشاء أن أكون قاضيا لهذه الأمور " أعمال ١٨ : ١٥. راجع جون لو ريمر: تاريخ الكنيسة [١ / ٥٤].

(٢) أعمال ٨ / ٤.

(٣) تاريخ سورية [١ /٣٦٦]،

(٤) أعمال ١١ : ٢٦.

(٥) تشارلز وورث: الإمبراطورية الرومانية ص ١٧٦.

(٦) بيوري : حرية الفكر ص ٢٩.

لقد كانت روح التسامح الروماني سارية على النصارى باعتبارهم فئة يهودية ولكن حين أحس الرومان بأن ديانتهم ستبدو في ثوب جديد ودعوة جديدة تجذب إليها كثيرًا من الأنصار الجدد أخذوا في مقاومة تعاليمها واضطهاد أتباعها ،

السبب الثاني : سبب سياسي خاص بنظرة النصارى إلي الدنيا :

أحست الدولة الرومانية بالانزعاج عندما اكتشفت أن أتباع الديانة الجديدة اعتبروا أن الدنيا زائلة وشيكة الفناء على خلاف الوثنيين الذين كانوا يقدرون دنياهم وحضارتهم.

"فكان النصارى يبدون أمام الرومان في ذلك الزمان وكأنهم يبغضون الجنس البشري إذ كانوا يتطلعون إلى عودة المسيح من فورهم ؛ ليقضى على الناس جميعًا حرقًا باعتبارهم من الأشرار مع استثنائهم هم "(١)" ولذلك اعتبرت السلطات الرومانية النصارى مواطنين يملؤهم الشر وعنصرًا خطرًا في المجتمع لابد من خضوعه للدولة"(٢).

"إن المسيحيين الأول آمنوا بأن نهاية العالم وشيكة الوقوع ، وتطلعوا بآمالهم إلى يوم القيامة ، فقل اهتمامهم تجاه واجبات الحياة الدنيوية ، وبالطبع تطلعوا في عشق عامر إلى مملكة القدس السماوية ، فأثر ذلك في مصالح الحياة السياسية في نظر الدولة (٣)".

أما لماذا أثرت هذه النظرة على الحياة السياسية في الدولة الرومانية؟

[١] فذلك لأنهم ماداموا يتطلعون إلى مملكة السماء فمعنى ذلك زوال المملكة الرومانية ، وهذا ما حدث فلقد تنبأ النصارى(٤) بسقوط الإمبراطورية الرومانية ، لذلك اعتبرهم الرومان غير مخلصين للوطن ولابد من تأديبهم.

---

(١) بارو : الرومان ص ١٨٦.

(٢) رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية ص ٢٥.

(٣) د/ رؤوف شلبي : المسيحية الرابعة ص ١٠١ ، راجع شارل جنيبير: المسيحية نشأتها وتطورها ص ١٦٦.

(٤) ول ديور انت : قصة الحضارة [مج ٣ ج ٣ ص ١٣٧١].

يقول برستيد: "وكانوا يتنبأون وينادون جهارًا بسقوط الدولة الرومانية [(١)]، ووصل بهم الأمر إلى التباهي بهذه النكبة التي تصيب "روما الخالدة" وتصيب آمال الجنس البشري، فجر عليهم ذلك وبالاً واضطهادات شديدة"[(٢)].

[٢] امتنع النصارى عن أداء الخدمة العسكرية وعن شغل الوظائف، واعتبرت السلطات الرومانية هذا بأنه هروب من الواجبات المدنية، وضعف للروح القومي والإرادة القومية[(٣)]، وفسرته بأنه تمرد مدني كأنهم خططوا ضد نظام الدولة"[(٤)].

[٣] رفض النصارى الإسهام في كل مظاهر التأييد التي كانت تطلبها الحكومة الرومانية، فقد رفضوا المشاركة في الاجتماعات وتقديم الهبات وحضور الحفلات والأعياد العامة للدولة، وأثار عدم اشتراكهم في المناسبات الوطنية الريبة في النفوس[(٥)]. وتم ملاحظة ذلك عن طريق الكاهن الأكبر لمعبد المدينة، فمن نظم الدولة "أن الكاهن الأكبر لمعبد المدينة كان عضوًا بمجلسها البلدي وكان له بهذه الصفة أن يراقب من يبدي بعض الفتور في التردد على المعابد وتقديم النذور، وقد رأى الكاهن أن هذه الجماعة الجديدة قد أضربت عن دخول المعابد الحكومية وتقديم النذور، بل عزفوا عن الاشتراك في الاحتفالات، فكان أن اشتكاهم إلى حكومة روما وجعلها تنظر إليهم نظرتها إلى المشاغبين والمتآمرين"[(٦)]، وأوقعت عليهم ألوان الاضطهاد والتعذيب.

[٤] كانت الدولة الرومانية تتوجس خيفة من الجماعات السرية..

لقد اتجه النصارى إلى الاجتماعات السرية وتأدية الطقوس سرًا[(٧)] وذلك خوفًا من الاضطهاد اليهودي، "وقد أثارت هذه الاجتماعات السرية مخاوف السلطات

---

(١) برستيد: العصور القديمة ص ١٨٦.

(٢) بارو: الرومان ص ١٨٦.

(٣) قصة الحضارة [مج ٣ /ج٣ ص ٣٧٢].

(٤) المسيحية الرابعة ص ١٠٠.

(٥) راجع: د/ زاهر رياض: كنيسة الإسكندرية في إفريقيا ص ٥٠.

(٦) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٧) جيبون: اضمحلال الإمبراطورية الرومانية [١/ ٤١٦]،

الرومانية وعمقت شعور الريبة في قلوبهم ضد هذه الطائفة، وجعلتها تمعن في مطاردة أتباع هذه الديانة ليس من أجل مناهضة معتقداتهم الدينية ولكن باعتبارهم عناصر خارجة عن المجتمع ونظمه"[١].

"وكان شعور الرومانيين إزاء الاجتماعات السرية بصفة عامة هو أنها دون أدنى شك اجتماعات ثورية إن لم تكن منافية للآداب[٢]، لذلك اتهم النصارى بارتكاب أمور مفزعة من فسق وطقوس بشعة[٣]، وأكل للحوم البشر وقتل الأطفال وشرب للدم[٤]، واتهموا أيضًا بأنهم كانوا يأتون المنكرات[٥]، كل هذا جعل الحكومة الرومانية تعتبر هذه الجماعة من الجماعات الخطيرة التي تهدد الأمن العام والسلام الروماني للمواطنين وتعمل على تقويض المجتمع"[٦].

السبب الثالث: سبب اجتماعي:

لقد كان الرومان مع تسامحهم لكل الأديان يضطهدون النصارى وذلك لشعورهم بأن الدين الجديد ينقض الأسس التي قام عليها المجتمع الروماني.

فقد دعت النصرانية إلى المساواة بين البشر والتسامح بين الناس، أما الطبقات الرومانية الحاكمة فكانت قائمة على تمييز الناس بعضهم عن بعض، وتعد السعي إلى القوة والجاه والثروة أمرًا مشروعًا[٧].

هذا إلى جانب أن من كان يعتنق النصرانية لم يكن يشترك في عبادة الأسرة أو في بعض ألوان الحياة العائلية كضروب التسلية[٨]، لذلك رأت الحكومة الرومانية في

---

(١) كنيسة الإسكندرية في أفريقيا ص ٥١، راجع أيضًا: د/ إبراهيم العدوي: المجتمع الأوروبي في العصور الوسطى ص ٤٠.

(٢) الإمبراطورية الرومانية ص ١٧٤.

(٣) إدريس بل: الهيلينية في مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي ص ١١٧.

(٤) جون لو ريمر: تاريخ الكنيسة [١ / ٩٠].

(٥) اضمحلال الإمبراطورية الرومانية [١ / ١٧ / ٤]،

(٦) د/ السيد الباز العريني: مصر البيزنطية ص ١٢.

(٧) إدخار، محمد شفيق غربال: التاريخ القديم ص ١٥٨.

(٨) بارو: الرومان ص ١٨٦.

النصرانية ضررًا إذ تعمل على تقويض أركان المجتمع ونظمه وتقاليده، لذلك أوجست خيفة منها وحداها ذلك إلى اضطهاد أتباع هذا الدين واعتبارهم فئة خارجة على الجماعة[١] .

ولا نستطيع أن نجزم بأن هذه الأسباب اجتمعت كلها مرة واحدة في نظر الرومان مما جعلهم يضطهدون النصرانية، ولكن يبدو أن هذه الأسباب اجتمعت على مدى فترات الاضطهاد الروماني.

حقائق عن الاضطهاد الروماني:

قبل أن نفصل القول في بيان الاضطهادات الرومانية يجدر بنا أن نذكر بعض الحقائق العامة عن هذه الاضطهادات:

أولاً: أن المؤرخين يشيرون عادة إلى عشرة اضطهادات بين سنة ٦٤ م وسنة ٣١٣ م وهي السنة التي يسميها المسيحيون سنة البراءة[٢] وفيها صدر مرسوم بكفالة الحرية المطلقة للعبادة لجميع المواطنين[٣] ، وهو الاتفاق الذى شاع عند المؤرخين باسم "مرسوم ميلانو"[٤]، وكان ذلك معناه وقف اضطهاد المسيحيين .. وهذا يعني أن الاضطهاد الروماني للمسيحيين امتد حوالي مائتين وخمسين سنة من الزمان تعاقب فيها على عرش روما كثير من الأباطرة الذين ولعوا بالاضطهاد .

وهذه الاضطهادات العشر هي[٥] :

(١) نيرون [٥٤م ـ ٦٨م].

(٢) دوميتان [٨١ ـ ٩٦م]،

(٣) تراجان [٩٨ ـ ١١٧م]

---

(١) التاريخ القديم ص ١٥٨.

(٢) د/ أسد رستم : الروم [١ /٣٣].

(٣) الإمبراطورية الرومانية ص ٢١٠.

(٤) د/ رأفت عبد الحميد : الدولة والكنيسة [٢/ ٧٧].

(٥) راجع : جون لوريمر: تاريخ الكنيسة [٢/ ١١٧] .

(٤) ماركس أوريليوس [١٨٠م].

(٥) سبتيموس سفيروس [١٩٣ - ٢١٠م]،

(٦) مكسيميانوس [٢٣٥ - ٢٣٨م] .

(٧) ديسيوس [٢٤٩ - ٢٥١م].

(٨) فاليريان [٢٥٣ - ٢٦٠م].

(٩) دقلديانوس [٢٨٤ - ٣٠٥].

(١٠) جاليريوس وماكسيميانوس [٣٠٥ - ٣١٣م].

وهذا التقسيم تقسيم عرفي اصطلح عليه المؤرخون وليس معناه أن الاضطهادات حدثت عشر مرات فقط ، فهناك اضطهادات أخرى مثل اضطهاد أوريان سنة ١٢م ، واضطهاد كاركلا سنة ٢١١ م إلى آخره.

ثانيًا: إن الاضطهاد الروماني أجرى بموجب تشريع خاص صدر عن الامبراطور "نيرون" عام ٦٤ م وقضى بألا يكون أحد مسيحيًا[١].

ثالثًا: إن هذه الاضطهادات كانت لجميع المسيحيين.

يقول د/ زاهر رياض: "لا يمكن أن يستثنى مكان من هذه الاضطهادات إلا إذا ثبت أنه كان خاليًا تمامًا من المسيحيين"[٢].

المراحل العشر للاضطهاد الروماني:

لقد بدأ الاضطهاد الروماني للمسيحيين قبل عهد "نيرون" ولكنه كان بسيطًا وكان بإيعاز وتدبير اليهود ومن أجل إرضائهم، فمثلاً جاء في سفر الأعمال أن هيردوس[٣] الملك قد مد "يديه ليسيء إلى أناس من الكنيسة فقتل يعقوب أخا يوحنا

---

(١) د/ أسد رستم : الروم [١/ ٣٣]،

(٢) كنيسة الإسكندرية في افريقيا ص ٤٩ .

(٣) تسمى بهذا الاسم أشخاص كثيرون من سلالة هيرودس الكبير الذي ملك من سنة ٤١ ق.م إلى ما قبل العصور الميلادية بعام واحد تقريبًا، والمقصود بهيردوس هنا هو أغريباس الأول (حفيد هيرودس الكبير وقد عاش طويلاً في روما ثم رجع وعين حاكمًا على بعض فلسطين سنة ٣٩م) ولمزيد من المعلومات: وليم باركلي: تفسير أعمال الرسل ص ١٥١ ، ١٥٢.

بالسيف، وإذ رأى أن ذلك يرضي اليهود عاد فقبض على بطرس أيضًا ولما أمسكه وضعه في السجن"(١) .. ثم تتابع الاضطهاد بعد ذلك ولكنه كان اضطهادًا رومانيًا خالصًا وبدأ باضطهاد "نيرون".

{١} نيرون (٥٤ - ٦٨م):

ولد "نيرون" عام ٢٩م حين تزوج أبوه "أكتيوس دوميتيوس" في عام ٢٨م بأجربينا الثانية، وقد أطلقا على ابنهما الوحيد اسم "لوسيوس" وأضافا إليه لقب "نيرون" ومعناه" القوي الشجاع"(٢).

أما عن توليه حكم الإمبراطورية فقد تم ذلك عقب موت "كلوديوس" دون أدنى معارضة خاصة وأن أمه أجربينا وعدت الحرس الإمبراطوري بمكافأة جزيلة وكان "نيرون" وقتئذ في السادسة عشرة من عمره(٣).

وبدأت رئاسة "نيرون" بفترة من الحكم الصالح وذلك بتوجيه من بورروس "قائد الحرس الإمبراطوري و "سنيكا" معلم "نيرون" ولكن سرعان ما انقلب حكمه إلى كابوس من المؤامرات والدعارة والاغتيالات، تلك الاغتيالات التي بسببها أصبح هذا العصر مضربًا للأمثال(٤)

فقد دبر مصرع "برتانيكوس" ابن "كلوديوس" سنة ٥٥م" أي ابن أخيه بالتبني حتى لا ينازعه في المطالبة بالعرش ثم بعد ذلك دبر مصرع أمه عام ٥٩ م إلى غير ذلك من الأمور"(٥).

أما عن موقفه من الدين، فقد أثرت عليه دراسة الفلسفة.

يقول "ول ديورانت": "إن القدر الضئيل الذي ناله من الفلسفة حرر عقله من قيود الدين دون أن ينضج حكمته وكان يزدري جميع أنواع العبادات"(٦).

---

(١) أعمال ١٢ : ١ - ٥،

(٢) قصة الحضارة [مج٣/ ج٢ ص١٢٥].

(٣) د/ سيد أحمد الناصري: تاريخ الإمبراطورية الرومانية ص ١٣٤..

(٤) دونالد ددلي: حضارة روما ص ٢٦٥.

(٥) راجع قصة الحضارة مج ٣ ج٢ ص ١٣٠، تاريخ الإمبراطورية الرومانية ص ١٣٦.

(٦) قصة الحضارة [مج ٣ / ج٢ ص ١٢٨]،

حريق روما وبداية اضطهاد المسيحيين:

في يوليو عام ٦٤" أي في السنة العاشرة من حكم نيرون "أصيبت العاصمة" روما "بحريق مروع اندلع في شدة لم يعرف لها في العصور الخوالي نظير أو مثال"[١]، ظل مشتعلاً تسعة أيام حتى التهم ثلثي المدينة"[٢].

"وكان نيرون غائبًا في ضاحية "أنتيوم" خارج العاصمة حين شبت النيران، فلما وصله النبأ أسرع بالعودة إلى روما، وقد قام بجهود كبيرة في قيادة المحاولات التي بذلت لحصر النيران أو التغلب عليها"[٣].

واتهم نيرون المسيحيين بإشعال هذا الحريق وأذيقوا بسببه ألوانًا من التعذيب والاضطهاد. يقول "تاسيتوس"[٤] أقدم مؤرخ روماني كتب عن هذا الاضطهاد "ولم يصدر الحكم عليهم بناء على أدلة واضحة تثبت أنهم هم الذين أشعلوا النار في المدينة، بل أدينوا لأنهم يكرهون الجنس البشري كله"[٥].

أما ألوان التعذيب والاضطهاد التي وقعت على المسيحيين فيقول تاسيتوس عنها: "ولم يكتف "نيرون" بتعذيبهم، بل أضاف إلى هذا التعذيب السخرية منهم والازدراء بهم فألبس بعضهم جلود الوحوش وتركوا تلتهمهم الكلاب، وسمّر غيرهم في الصلبان، ودفن الكثيرون منهم أحياء، ودهنت أجسام البعض الآخر بالمواد الملتهبة وأشعلت فيها النيران لتكون مشاعل في الليل"[٦].

وفي عهد هذا الإمبراطور قتل بطرس وبولس على أرجح الأقوال.

---

(١) اضمحلال الإمبراطورية الرومانية [١ / ٤٢٤].

(٢) قصة الحضارة [مج٣ / ج٢ ص ١٣٥] ،

(٣) المرجع السابق ص ١٣٦.

(٤) تاستس أو تاسيتوس: مؤرخ روماني مشهور عاش ما بين عامي(٥٥ ، ١١٥ أو ١٢٠)م.

(٥) راجع قصة الحضارة [مج٣ ج٢ ص ١٣٧]،

(٦) المرجع السابق نفس الصفحة.

يقول يوسابيوس القيصري: "وهكذا إذ أعلن جهارا أن أول أعداء الله الرئيسيين تقدم إلى قتل الرسل، لذلك دون بأن بولس قطعت رأسه في روما نفسها، وأن بطرس أيضا صلب في عهد نيرون"(١).

ويعتبر اضطهاد نيرون هذا أول اضطهاد علنى قاس ـ من الرومان لأتباع المسيح في سلسلة الاضطهادات التى وقعت عليهم.

[٢] اضطهاد ((دومتيان)):

ولد سنة ٤١ م وتولي عرش الإمبراطورية عام ٨١ م وتوفي عام ٩٦م عن عمر يناهز الخمس والأربعين .. وكان محبًا للسلطة والنفوذ متعطشًا للقوة والجبروت، فما أن قضى أخوه تيتوس سنة (٧٩ ـ ٨٠م) نحبه حتى هرول "دومتيان" إلى ثكنات الحرس الإمبراطوري وحصل من الجنود على موافقتهم على ترشيح نفسه إمبراطورا حتى قبل أن يبدي السناتو (مجلس الشيوخ الروماني) رأيه في ذلك (٢).

وقد عمل في العشر سنوات الأولي من حكمه على إصلاح أحوال البلاد وتعميرها، ولكن سرعان ما انقلبت الأمور وتغيرت الأحوال إثر حركة التمرد التي قام بها أحد ولاته على ألمانيا العليا عام ٨٩م، ونتيجة لهذا سيطر الرعب والقلق على الإمبراطور، وراح يتخيل المؤامرات التي تحاك ضده، وبدأ بذلك عهد إرهاب جديد، وراح بلا رحمة يسفك دماء الأعضاء البارزين من رجال السناتو والإدارة(٣). .. ثم امتدت يده إلى المسيحيين إثر مناداته بتأليه أبيه وأخيه وزوجته وأخته، كما نادى بتأليه نفسه، وأنشأ طائفة جديدة من الكهنة ليشرفوا على عبادة أولئك الأرباب، وطلب من الموظفين ألا يذكروه في وثائقهم إلا بلقب "سيدنا وإلاهنا" وأبي اليهود والمسيحيون أن يعبدوه إلهًا، وقد طلب من بعض المسيحيين تقديم القرابين بين يدي تماثاله، فأبوا، فأعدمهم وذلك في سنة ٩٣م"(٤).

---

(١) يوسابيوس: تاريخ الكنيسة ص ١٠٨.

(٢) تاريخ الإمبراطورية الرومانية ص ١٨٣.

(٣) عن سياسته وإصلاحاته راجع المرجع السابق ص ١٨٤، قصة الحضارة [مج٣ ص ٢ ص ١٥٤] وما بعدها.

(٤) قصة الحضارة [مج ٣ج ٢ ص١٥٧].

وقد وصف اضطهاده بأنه كان عنيفا[١]، فلقد أمعن في اضطهاد المسيحيين وقتل كثيرين منهم، وكان ممن نكل بهم ـ كما يقول المسيحيون ـ يوحنا الإنجيلي إذ عذبه عذابا أليما ثم نفاه إلى جزيرة بطمس[٢] ـ إحدى الجزر على شواطئ آسيا الصغرى ـ ففي رؤيا يوحنا "أنا يوحنا أخوكم وشريككم في الضيقة وفي ملكوت يسوع المسيح وصبره، كنت في الجزيرة التي تدعى بطمس من أجل كلمة الله ومن أجل شهادة يسوع المسيح"[٣].

[٣] تراجان:

ولد في الثامن عشر من سبتمبر سنة ٥٢م، واختير قنصلا عام ٩١ م وقد تبناه الإمبراطور "نيرفا" في أواخر عام ٩٧م، ثم اعتلى العرش بعد وفاة هذا الإمبراطور في عام ٩٨[٤] وتوفي سنة ١١٧م في الرابعة والستين من عمره[٥]... وقد قام ببعض الفتوحات والانتصارات ولذلك نصب في روما العمود المشهور باسم عمود تراجان تخليدا لانتصاراته العسكرية[٦].

وقد أمر هذا الإمبراطور الولاة بأن يمنعوا الاجتماعات السرية، ولما كان المسيحيون قد جرت عادتهم بأن يجتمعوا للصلاة في الخفاء هربا من الاضطهاد فقد وقعوا بذلك تحت طائلة القصاص[٧].

ففي عام ١٠٦م أصدر تراجان أمره إلى ولاته في كل أنحاء المملكة بأن يقضوا على المسيحيين، ويمنعوا اجتماعاتهم التي كانوا يعقدونها في الخفاء ليقيموا صلواتهم، فسامهم الولاة أبشع أنواع العذاب والتنكيل وقتلوا منهم أعدادًا كبيرة، وقد استخدم

---

(١) تاريخ سورية [١/ ٣٦٧].
(٢) زكي شنودة :تاريخ الأقباط [١/ ١٠٢]، راجع أيضا يوسابيوس: تاريخ الكنيسة ١٤٠
(٣) رؤيا يوحنا ١ : ٩.
(٤) فشر: تاريخ أوربا العصور القديمة ص ١٧٥.
(٥) قصة الحضارة [مج٣ ج٢ ص ٤٠٢].
(٦) إدخار: التاريخ القديم ص ١٤٩.
(٧) لجنة التاريخ القبطي: تاريخ الأمة القبطية ص ١٠٥.

الإمبراطور ساحة الملعب الروماني المسمى "الكلوسيوم" في إعدام المسيحيين بإلقائهم هناك إلى الوحوش تمزقهم شر ممزق[١].

ويقال عن تراجان إنه أقام عروضًا استمرت ١٢٣ يومًا كاملة وهلك فيها كثير من المسيحيين[٢]...

وهكذا حل بالمسيحيين وقتئذ اضطهاد عنيف في أماكن كثيرة حتى إن بليني (والي بيثينيا[٣]) وهو من أشهر الولاة إذ أزعجته كثرة عدد الموتى من المسيحيين بسب الاضطهاد والتعذيب، اتصل بالإمبراطور بصدد الجموع الذين قتلوا بسبب مسيحيتهم[٤]، ثم كتب له كتابًا يشرح له فيها الطريقة التي كان يتبعها مع المسيحيين فقال: "قد كنت أسأل المتهمين (هل أنتم مسيحيون)؟ فإذا قالوا نعم كنت أحذرهم وأسألهم مرة ثانية وثالثة، فإذا قالوا نعم حكمت عليهم بالإعدام، وأعدمتهم. أما كل من أنكروا أنهم مسيحيون، أو أنهم كانوا كذلك أفرجت عنهم؛ لأنهم دعوا باسم الآلهة كما أمرتهم، وأظهروا الخشوع والاحترام لصورتكم، وقدموا لها البخور؛ ولأنهم لعنوا المسيح، وهذا شئ لا يستطيع المسيحي الحقيقي أن يفعله ... وقد فكرت أنه من الضروري أن أصل إلى الحقيقة وذلك بتعذيب اثنين من الشمامسة، ولكني لم أجد شيئًا إلا الخرافات المروعة الممقوتة،

ويقول بليني بعد ذلك: " إن أسلوبه هذا قد لاقى نجاحًا، فكثيرون من المسيحيين قد رجعوا لعبادتهم القديمة، وبدأت المعابد تمتلئ مرة أخرى"[٥].

"وهذا الكتاب كاشف كل الكشف عما كان يحدث للنصارى في عهد ذلك القيصر من اضطهاد وتعذيب وتنقيب عن القلب وخبيئة النفس"[٦].

---

(١) تاريخ الأقباط [١/ ١٠٢].

(٢) د/ عزت زكي: المسيح وفلاسفة أثينا ص ١٢٥.

(٣) مقاطعة في الشمال الغربي لآسيا الصغرى في المنطقة التي تحيط بالقسطنطينية.

(٤) يوسابيوس: تاريخ الكنيسة ص ١٦٦.

(٥) جون لوريمر: تاريخ الكنيسة [١/ ٩٢].

(٦) محاضرات في النصرانية ص ٣٦.

ولكن الاضطهاد والتعذيب خف بعض الشئ بعد الرد الذي أرسله "تراجان" إلى الوالي" فقد أجاب عليه بالموافقة على سياسته، ولكن نصحه بألا يتصيد المسيحيين بل يحاكمهم فقط إذا أبلغ عنهم وثبتت عليهم التهمة"(١).

يقول يوسابيوس: "ونتيجة لهذا خف إلى حدٍ ما ذلك الاضطهاد الذى كان ينتظر أن يصبح أعنف اضطهاد"(٢).

[٤] ماركوس أوريليوس:

عاش أوريليوس ما بين عامي ١٢١ و ١٨٠ م تبناه عمه أنطونينوس بيوس (٨٧ - ١٦١م) الذي كان من أكثر أباطرة الرومان تحضرًا، وخلفه ماركوس أوريليوس على العرش في عام ١٦١م وقضى بقية حياته في خدمة الإمبراطورية(٣)..

وقد قال العلماء والمؤرخون في حكمته وفيما تمتعت به الإمبراطورية في عهده من رخاء وسعادة أقوالاً كثيرة(٤).. ويُعد هذا الإمبراطور من الفلاسفة الرواقيين(٥)، تلك الفلسفة التي كان قد تلقاها في صباه وشبابه، وكان معتدلاً في رواقيته لا متشددًا ولا جافيًا(٦)، وكان لذلك أثره في نظرته إلى الأمور "فقد كان يبني حياته على العقل والمنطق، وأقلقه أن يسمع عن المسيحية أنها ديانة مملوءة بالخرافات، ولذلك كرهها وأصدر أمرًا أن كل جماعة بما فيهم المسيحيون يشجعون البدع والاضطرابات يجب

---

(١) د/ سعيد عبد الفتاح عاشور: أوربا العصور الوسطى [١/ ٣١].

(٢) يوسابيوس: تاريخ الكنيسة ص ١٦٦.

(٣) برتراند رسل: حكمة الغرب [١/ ٢١٦].

(٤) قصة الحضارة [مج٣ ج٢ ص ٤٢٤]،

(٥) الرواقية: لفظ يطلق على المدرسة الفلسفية التي أنشأها "زينون الكيتومى" بمدينة أثينا أوائل القرن الثالث ق.م ويطلق على أنصار تلك المدرسة اسم الرواقيين أو "أصحاب الرواق "أو" أهل المظال" كما يسميهم الشهرستاني في الملل والنحل [٢/ ١١٧] نسبة إلى الرواق المنقوش، وهو ممر مسقوف ومصبوغ بألوان متعددة، وفي هذا الرواق كانت تلقي المحاضرات الفلسفية في ذلك العهد، واستمرت هذه الفلسفة زهاء خمسة قرون، وخلال هذه المدة طرأت على تعاليمها تغيرات كثيرة، غير أن ما يجمع الحركة كلها تعاليمها الأخلاقية التي ظلت على ما هي عليه طوال الوقت.

راجع: د/ عثمان أمين: الفلسفة الرواقية ص ٢٢، ٢٣،

(٦) المرجع السابق ص ٢٥٦ - ٢٦٩.

أن يضيق عليهم الخناق ويوقف نشاطهم، واعتبر الولاة في الإمبراطورية - وخاصة الكارهين لها - هذا الأمر إشارة من أعلى سلطة في الإمبراطورية تسمح لهم بتصيد المسيحيين وقتلهم"[١].

وهناك أمر آخر أثار الإمبراطور أكثر ضد المسيحيين وهو موقفهم من الخطر الذي كان يهدد الإمبراطورية كلها نتيجة للوباء المروع - وباء الطاعون - الذي جاء مع الجنود الرومان العائدين من الشرق، وذلك بعد رجوعهم من الحرب ضد البارثيين[٢] في عام ١٦٦م، وقد جرّ ذلك الوباء بلاءً على الإمبراطورية، فقد نقلوا العدوى في كل مدينة مروا بها، وإلى كل صقع من أصقاع الإمبراطورية انتقلوا إليه[٣]، ففشا الوباء سريعًا في آسيا الصغرى ومصر وبلاد اليونان وغالة (فرنسا)، وأهلك خلال عام واحد (١٦٦ - ١٦٧م) أكثر ممن أهلكتهم الحروب، ومات منهم في روما ألفان في يوم واحد ومنهم عدد كبير من أشراف المدينة، وهكذا سقط نتيجة لذلك الوباء الآلاف من الضحايا[٤]

أما موقف المسيحيين إزاء هذا الوباء، فقد اعتبروه علامة على نهاية العالم، وهذا الموقف حوّل شك الناس فيهم إلى كراهية شديدة لهم ورغبة شديدة في الانتقام منهم، فانفجر الاضطهاد فجأة في بعض الأماكن لعل أهمها وأكثرها تحققًا ذلك الذي حدث في سميرنا في آسيا الصغرى، والثاني في ليون بفرنسا سنة ١٧٧م[٥].

أما بالنسبة لاضطهاد المسيحيين في سميرنا في عهد هذا الإمبراطور" فقد جاز المسيحيون فيها إن كرهًا أو طوعًا أقسى العذابات، فقد جلدوا بسياط في أطرافها قطع من الرصاص المدبب لكي يمزق جلودهم، وقطع لحمهم بآلات حديدية حادة حتى ظهرت العظام، وألقي ببعضهم إلى الوحوش الكاسرة، وربطوا في أعمدة وأحرقوا"[٦].

---

(١) جون لوريمر: تاريخ الكنيسة [١/ ١٢٨].

(٢) البارثيون: هم مواطني بارثيا، وهي بلد قديمة في شمال شرق إيران، وهي تقع بين بلاد فارس وأديسا، وكانت تشمل معظم أراضي إيران الحديثة. راجع: حامد عبد القادر: الأمم السامية ص ٩٥.

(٣) قصة الحضارة [مج٣ ج٢ ص ٤٣٠].

(٤) المرجع السابق ص ٤٣١.

(٥) جون لوريمر: تاريخ الكنيسة [١/ ١٢٨].

(٦) المرجع السابق ص ١٢٩.

وبالنسبة لاضطهاد المسيحيين في بلاد الغال فكان بعد مرور عشرين سنة على الاضطهاد سالف الذكر (١٧٧ ـ ١٧٨)، وكان ذلك في مدينتي ليون وفيينا على ضفاف نهر الرون في جنوب فرنسا، كان ذلك في موسم أحد الأعياد وعندما قدم شخص روماني كبير إلى تلك المنطقة هب الجمهور دون أي رادع يتصيدون المسيحيين ليقدموهم محرقات في الحلبة[١]"،

"وهكذا عومل المسيحيون بقسوة شديدة[٢] ـ في هذا العهد ـ وتظهر بشاعة أعمال الاضطهاد في ذلك العهد من خلال رسالة كتبها بوليكاريوس[٣] أسقف سميرنا (مدينة على الساحل الغربي لآسيا الصغرى، وهي أزمير حاليا) سنة ١٦٥م يقول فيها : إن الذين اعترفوا بمسيحيتهم ضربوا ضربا عنيفا بالسياط حتى ظهرت عروقهم، والذين حكم عليهم بأن يطرحوا للوحوش قاسوا أشد العذاب في السجن، إذ كان السجانون يطرحونهم وهم عراة على حجارة مسنونة فتنبثق الدماء من أجسادهم"[٤].

[٥] سبتيموس سفيروس:

ولد الإمبراطور سبتيموس سفيروس عام ١٤٦م وتولي رئاسة الإمبراطورية عام ١٩٣ وتوفي عام ٢١١ م[٥]، وكان جنرالا في جيش روما ولكن الجنود الذين كانوا تحت إمرته انتخبوه إمبراطورا فهزم كل من وقف في وجهه[٦]...

أما بدء الاضطهاد في عصره فكان في عام ٢٠٢م حين أصدر مرسوما يمنع الرعية من الدخول في اليهودية أو المسيحية لأنه كان وثنيا، وكان السبب في ذلك هو أن اليهود بدأوا بثورة ، أما المسيحيون فقد اعتبرهم غير أهل للثقة "لأن كثيرين منهم لم

---

(١) المرجع السابق ص ١٣٢.
(٢) مايل وربرتن : صراع عبر الزمان ص ٢١.
(٣) بوليكاريوس أسقف سميرنا، وكان يعرف بالمبارك لأنه عرف الرسول يوحنا، وقد مات سنة ١٦٧ أو ١٦٩م. راجع : يوسابيوس : تاريخ الكنيسة ص ٢٠١.
(٤) تاريخ الأقباط [١ /١٠٤].
(٥) راجع : د/ سيد أحمد الناصري: تاريخ الإمبراطورية الرومانية ص ٢٤٩.
(٦) جون لوريمر : تاريخ الكنيسة [٢/ ٢٩]،

يكونوا متحمسين للمعارك لأنهم كانوا ينتظرون المجئ السريع للمسيح"[١]، وقد أمر الإمبراطور بتطبيق هذا المرسوم بصرامة متناهية [٢]

وقد وصف هذا الاضطهاد بأنه كان شديدا وازداد فيه عدد الموتى زيادة مروعة[٣].

وكان هذا الاضطهاد ـ كما يقول جون لوريمر ـ هو الأول من نوعه إذ وقع على اليهود والمسيحيين معا، وشمل كل العالم، وامتد إلى الإسكندرية، وأنطاكية ، وكورنثوس، وروما، وقرطاجنة، فقد رفض أتباع الديانتين أن يقدموا ذبائح لتماثيل الإمبراطور؛ فتعرضوا للحرق والضرب وقطع الرقاب"[٤].

[٦] اضطهاد مكسيميانوس:

تولى حكم الإمبراطورية سنة ٢٣٥ م وتوفي سنة ٢٣٨م، كان جنديا طيبا لا أكثر، وكان أميا لم ينل شيئا من التعليم، تولي الإمبراطورية إثر الثورة على الإمبراطور سيفيروس الكسندر[٥]، ، ، وقد اضطهد هذا الإمبراطور المسيحيين اضطهادا شديدا وخاصة في مصر فقتل كثيرون في عهده[٦]، وكان اضطهاده أشد لآباء الكنيسة، وأصدر أمرا بقتل آباء الكنائس باعتبارهم أصحاب المسئولية الأولي في بث هذه التعاليم"[٧].

[٧] اضطهاد ديسيوس:

عين ديسيوس إمبراطورا عام، ٢٤٩ م وتوفي سنة ٢٥١م "وكان ذلك العصر يتميز بعدم الاستقرار في الإمبراطورية، وقد حدا ذلك بالإمبراطور ديسيوس أن يعزم على اتخاذ بعض الإجراءات الحاسمة لمواجهة ذلك"[٨].

---

(١) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٢) د/ جوزيف نسيم يوسف: دراسات في تاريخ العصور الوسطى ص٥٥.

(٣) تاريخ الأقباط [١/١٠٤].

(٤) جون لوريمر : تاريخ الكنيسة [٢ /٣٠].

(٥) قصة الحضارة (مج ٣ ، ج ٣ صـ ٣٣٤ ـ ٣٣٥).

(٦) القس منسى يوحنا: تاريخ الكنيسة القبطية صـ ٨٧.

(٧) يوسابيوس: تاريخ الكنيسة صـ ٣٢٠.

(٨) جون لوريمر : تاريخ الكنيسة [٢/٧٤].

يذكر "ول ديورانت": أن الإمبراطورية في عهد هذا الإمبراطور أمة منهمكة في حرب عوان تزعجها الهزائم المنكرة وتتوقع أن يغزو بلادها الأعداء وتجتاح الإمبراطورية موجة من النشوة الدينية القوية في سنة ٢٤٩ م ويهرع الرجال والنساء إلى الهياكل يحيطون بالآلهة ويضرعون إليها بالصلاة والدعوات، وفي وسط هذه الحمى التي تتأجج فيها نيران الوطنية والخوف يقف المسيحيون عن بعد وقفة المشاهدين الذين لا يعنيهم الأمر ويظلون كسابق عهدهم يستنكرون الخدمة العسكرية ويقاومونها ويسخرون من الآلهة"(١)، لذلك أصدر ديسيوس أوامره للقيام بإحصاء شامل لجميع المسيحيين دون إقامة أية تهمة(٢).

ثم أصدر هذا الإمبراطور مرسوما ملكيا ـ ويذكر العلماء أن هذا المرسوم صدر في يونيو عام ٢٥٠م ـ بأنه على كل السكان الأحرار (غير العبيد) من رجال ونساء وأطفال أن يقدموا الذبائح لآلهة الإمبراطورية وأن يسكبوا لها السكائب ويأكلون من الذبائح وعندما يقدم شخص ذبيحة كان يعطى شهادة بذلك(٣).

يقول د/ سيد أحمد الناصري: "وجدير بالذكر أنه يوجد لدينا عدد من الشهادات التي كانت تمنح للأفراد بعد تقديم الصلوات والأضاحي للإمبراطور المقدس وتعرف باسم الشهادات. وقد عثرت جامعة ميتشجان(٤) على العديد منها في مدينة الفيوم القديمة، ونفهم من نصوصها أن الإمبراطور عين في كل مدينة شخصا مختصا لاستقبال هذه الأضاحي والصلوات، ثم يوقع بالتصديق على أن الشخص المذكور أدى في حضرته هذه الشعائر الوثنية"(٥).

وإليك نص بعض هذه الشهادات التي وجدت في مصر (مقدمة إلى هيئة الذبائح في قرية جزيرة الإسكندرية) من أوريليوس ديوجينس بن ستابوس عمره ٧٢ سنة بوجهه جرح عميق فوق الحاجب الأيمن:

---

(١) قصة الحضارة [مج ٣ ج٢ ص ٣٧٧]،
(٢) حبيب سعيد: فجر المسيحية ص ١١٢.
(٣) جون لوريمر : تاريخ الكنيسة [٧٥/٢]،
(٤) ولاية من ولايات أمريكا.
(٥) تاريخ الإمبراطورية الرومانية ص ٢٩٥.

"سبق لي أن قدمت للآلهة، كما أقدم الآن محرقات حسب الأصول المرعية، وأكلت منها، وها أنا الحاكم (بخط الحاكم) أوريليوس سيروس أشهد أن ديوجينس قدم المحرقة أمامي في عهد الإمبراطورية ديسيوس في ٢٥ يونيو سنة ٢٥٠م"(١).

وكان من لا يحصل على هذه الشهادة تكون عقوبته الموت، وقد ذهب ضحية هذا أعداد كبيرة من المسيحيين(٢)، وقد نجح هذا المرسوم في إحداث ردة بين بعض المسيحيين(٣). وذاق المسيحيون في هذا الاضطهاد ألوانا من التعذيب والتنكيل، وطبق هذا الإمبراطور سياسة الإبادة الجماعية للمسيحيين(٤).

ولبيان هذا يكفي أن نقتبس من رسالة "ديونيسيوس الأول(٥) "البطريرك الإسكندري إلى أسقف أنطاكية يقول له فيها: "لم نكد نتنفس الصعداء حتى حاق بنا الخوف وحفنا الخطر عندما أبدل ذلك الملك ـ يقصد فيليب العربي ٢٤٤ ـ ٢٤٩ م وقد أظهر تسامحا تجاه المسيحيين ـ الذي كان أرق جانبا وأقل شرا من غيره بملك آخر قد لا يجلس على كرسي المملكة إلا ويوجه أنظاره نحونا فيعمل على اضطهادنا وقد بدأ حدسنا يصدق وظننا يتحقق حالما أصدر أمرا شديد الوطأة حتى أوشك المختارون على السقوط والعثار، وعم الخوف الجميع، وأركن كثيرون من المشاهير إلى الفرار، ورفت كل مسيحي في خدمة الحكومة كيفما كان ذكاؤه ونباهته، وكان كل وثني يعرف أحد المسيحيين ويرشد عنه كان يؤتى به على عجل ويدعون الواحد باسمه حتى يتقدم إلى هيكل الأوثان فيطلب منه تقديم الذبيحة الوثنية، وكان عقاب من يرفض تقديم الذبيحة للصنم أن يكون هو نفسه ذبيحة للصنم بعد أن يجتهدوا في إقناعه بذلك بكل وسائط التخويف والإرهاب ،،، وبعض ضعيفي الإيمان أنكر

---

(١) رولاند بينتون: مواقف من تاريخ الكنيسة ص ٢٨.

(٢) لبيان ذلك راجع يوسابيوس: تاريخ الكنيسة ص ٣٢٧، تاريخ الأقباط [١ /١٠٦].

(٣) رؤية سقوط الإمبراطورية الرومانية ص ٥٨، د/ أسد رستم: الروم [١/ ٣٤].

(٤) تاريخ الإمبراطورية الرومانية ص ٣١٧.

(٥) ديونيسيوس البطريرك الرابع عشر للكنيسة القبطية ولد في أواخر القرن الثاني وكان قبل دخوله المسيحية عابدا للوثنية ونصب بطريركا على الكنيسة سنة ٢٤٧م ونال قسطا كبيرا من الاضطهاد أيام ديسيوس وفاليريان وتوفى سنة ٢٦٥م

راجع: تاريخ الكنيسة القبطية ص٦٢ وما بعدها.

مسيحيته وأثبت أنه لم يكن مسيحيا، واقتدى به البعض، ومنهم من تمسك بأذيال الفرار، وغيرهم قبض عليهم وطرحوا في السجون مكبلين بالقيود والأغلال"[١].

[٨] اضطهاد فاليريان:

ولد هذا الإمبراطور عام ١٩٣م ونودي به إمبراطورا عام ٢٥٣م وهو يبلغ من العمر ستين عاما.

لم يهنأ المسيحيون بفترة راحة بعد ديسيوس ٢٥١م، ولكن خلفه جاليوس (٢٥١ ـ ٢٥٣)م الذي واصل الاضطهاد، ولكن حين تولي فاليريان حكم الإمبراطورية أظهر بعض التسامح للمسيحيين، وقد كتب عنه "ديونيسيوس الإسكندري "قائلا :"إنه كان لطيفا نحو رجال الله ، ومحبا لهم، إذ لم يعاملهم أحد من الأباطرة قبله بهذا اللطف وهذه الرقة، وحتى الذين قيل عنهم بأنهم مسيحيون لم يظهروا لهم مثل تلك المحبة والود والكرم التي أظهرها في بداية حكمه، لأن بيته كان مليئا بالأشخاص الأتقياء"[٢].

لكن هذا التسامح لم يدم طويلا، وذلك بسبب المشاكل التي كانت تواجه الإمبراطورية[٣]. وتنفيسا عن فشله في حلها بدأ الإمبراطور يفتك بالمسيحيين فتكا بربريا[٤]، وأصدر مرسومه الأول ـ الخاص باضطهاد المسيحيين ـ وكان ذلك في سنة ٢٥٧م ضد رجال الدين المسيحي يمنع فيه العبادة المسيحية ويأمر بتقديم الذبائح ودعى الأساقفة ليمثلوا أمام المحاكم الإمبراطورية صاغرين[٥]،وحرم عليهم الاجتماع في المقابر ومحلات العبادة[٦].

---

(١) القس/ منسي يوحنا: تاريخ الكنيسة القبطية ص ٨٨ ـ ٨٩.

(٢) يوسابيوس : تاريخ الكنيسة ص ٣٥٣.

(٣) عن المشاكل الاقتصادية والتهديدات التي كانت تواجهها الإمبراطورية . راجع قصة الحضارة [مج٣ ج٣ ص٣٣٧].

(٤) تاريخ الإمبراطورية الرومانية ص ٢٩٨.

(٥) جون لوريمر : تاريخ الكنيسة [٢ /٧٨].

(٦) د/ أسد رستم : الروم [١/ ٣٥].

أما المرسوم الثاني فكان في عام ٢٥٨م ذلك أنه لما ظهر المرسوم الأول لم يكن له مفعول شديد، فأصدر "فاليريان" مرسوما ثانيا أشد ضراوة وقسوة، ففيه يأمر بأن كل رجل دين مسيحي لا يذعن لأمر الإمبراطور يجب أن يقتل ويجرد رجال مجلس الشيوخ والفرسان من رتبهم، وتنفى السيدات الشريفات وتصادر أملاكهن، ويرسل عمال القصور الملكية إلى معسكرات العمل الشاق[١]، وقد لقى المسيحيون في عهد هذا الإمبراطور كثيرا من ألوان التعذيب، فبعضهم قطعت رؤوسهم وبعضهم أحرق، وبعضهم ألقي بهم إلى قمائن الجير المشتعلة[٢]، ومما يذكر أن بعض المسيحيين ارتدوا عن دينهم جهارا حفاظا على حياتهم[٣].

وبعد هذا الإمبراطور توقف الاضطهاد بعض الوقت وذلك حينما اعتلى العرش "جالينوس" (٢٦٠ ـ ٢٦٨)م وأصدر أول مرسوم يقضي بالتسامح الدينى، اعترف فيه بأن المسيحية من الأديان المسموح بها، وأمر أن يرد إلى المسيحيين ما صودر من أملاكهم، وحدثت اضطهادات خفية في السنين الأربعين التالية، وكانت هذه السنوات في معظمها سنى هدوء وراحة[٤]، ولكن سرعان ما بدأ الاضطهاد الأكبر وهو اضطهاد "دقلديانوس".

[٩] اضطهاد دقلديانوس:

ولد هذا الإمبراطور عام ٢٤٥م واعتلى عرش الإمبراطورية عام ٢٨٤م، وفي عام ٣٠٥م اعتزل الحكم ومات عام ٣١٦م.

وقد قام بإصلاحات كثيرة في الإمبراطورية كلها، ولذلك اعتبره المؤرخون من أعظم الحكام الرومانيين[٥]... وكان من أهم إصلاحاته أنه أدرك أن الإمبراطورية مترامية الأطراف، وأنه من الصعب أن يستطيع حاكم واحد أن يقوم بحمايتها،

---

(١) جون لوريمر : تاريخ الكنيسة [٢/ ٧٨].

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٣) د/ جوزيف نسيم يوسف : دراسات في تاريخ العصور الوسطى ص ٥٨.

(٤) قصة الحضارة [مج ٣ ج٣ ص٣٧٨].

(٥) المرجع السابق ص ٣٥٩، راجع أيضا فشر: تاريخ أوربا العصور الوسطى ص ٢.

ولذلك قرر في عام ٢٩٣م توزيع السلطة على أربعة،- وبذلك خلق النظام المسمى بالسلطة الرباعية - ويكون ذلك بتقسيم الإمبراطورية إلى قسمين:

(١) ولايات الشرق ولها دقلديانوس "إمبراطور" ومعه جاليريوس قيصر".

(٢) ولايات الغرب ولها ماكسيميانوس الإمبراطور الشريك" "لدقلديانوس ومعه قسطنطيوس - والد الإمبراطور قسطنطين الأكبر - وكان دقلديانوس الإمبرطور الأعلى للجميع[١].

أما بالنسبة لاضطهاد "دقلديانوس" للمسيحيين، فلم يكن مصاحبا لوقت توليه العرش، ولكنه تأخر بعض الوقت، فقد كان في بداية حكمه متسامحا مع المسيحيين بدرجة كبيرة، وبدا - في أول عصره - أن ملكيته قدر لها أن تعزز الأمن والسلام في الدين والسياسة على السواء[٢]، فلم يظهر عداؤه للدين في أوائل حكمه[٣]، ولقد قدر بعض الباحثين هذه الفترة بعشرين عام تقريبا[٤]. وبعدها انقلب "دقلديانوس" ضد المسيحيين وأذاقهم ألوانا من التعذيب والاضطهاد.

وقد اختلف المؤرخون والمحللون لأحداث التاريخ اختلافا كبيرا حول أسباب اضطهاد "دقلديانوس" للمسيحيين.

البعض منهم يتهم دقلديانوس: بأنه هو الذي قام بهذا الاضطهاد حفاظا على الوحدة السياسية والدينية للإمبراطورية، "وقد اضطهد المسيحيين لأنه وجدهم منصرفين عن عبادة الإمبراطور، وهو أمر رأي فيه تهديدا لسلامة الإمبراطورية وأمنها[٥]، ويستدلون على ذلك بأنه "وضع مبدأ جديدا لزيادة الصفة المقدسة

---

(١) تاريخ الإمبراطورية الرومانية ص ٣٣٠، راجع أيضا د/إسحاق عبيد: الإمبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية ص ٤٨.

(٢) قصة الحضارة [مج٣ ج٢ ص ٣٧٨].

(٣) محمد عبد الرحيم مصطفى: النظم اليونانية والرومانية والإسلامية ص ١٠٩.

(٤) د/ مصطفى العبادي : مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي ص ٢٩٣.

(٥) رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية ص ٥٩.

لشخص الإمبراطور وأطلق على نفسه لقب "جيوفيوس" "ومعناه ممثل جوبيتر كبير الآلهة على الأرض"[١]، وأنه فعل ذلك لأنه رأى أنه لا يمكن إحياء الإمبراطورية عسكريا بدون إحياء العقائد الوثنية التي قامت عليها خاصة وأن الانحراف عن الوثنية كان معناه في نظر المسئولين عن الإمبراطورية التباهي بعدم الإخلاص وعدم الموالاة [٢]، ولذلك نظر الرومان الوثنيون إلى خلايا المسيحية على أنها عناصر هدامة مخربة تريد هدم التراث الديني والمجد الروماني العريق لتقيم على حطامه ديانة أخرى غريبة[٣].

"وبناء على ذلك قرر "دقلديانوس" تصفية المسيحيين خاصة بعد أن تسللت ديانتهم إلى داخل الجيش الروماني وداخل أجهزة الدولة الإدارية ..

وقد علل هؤلاء العلماء تأخير "دقلديانوس" في اضطهاد المسيحيين بأنه أجله إلى ما بعد الانتهاء من باقي إصلاحاته وبعد انتصاره على الفرس خاصة وأنه اعتبر عملية تصفية المسيحية جزءا مكملا لمخططه العام بإحياء المجد الروماني المترنح"[٤]،

أو أنه أجل اضطهاد المسيحيين لأنه جرب أولا الوسائل السلمية ـ كما يرى بعض المؤرخين ـ في حل مشكلة الانقسام الديني في الإمبراطورية[٥]، فلم تنفع ولم تجد ويئس من نفعها، ولذلك استخدم أسلوب الاضطهاد على غرار الأباطرة السابقين، أما شدة هذا الاضطهاد فيعلل بأنه رغب في إعادة الوحدة والنظام داخل البلاد بمثل الشدة التي أعاد بها هيبة الإمبراطورية خارج البلاد.

أما البعض الآخر من المؤرخين: فيرون أن "دقلديانوس" لم يكن هو صاحب فكرة اضطهاد المسيحيين وإنما انساق وراء "جاليريوس" شريكه ونائبه في حكم ولايات الشرق الذي كان يغلي غيظا وحقدا على المسيحيين.

---

(١) د/ مصطفى العبادي : مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي ص ٢٩٣.

(٢) أندريه ايمار : تاريخ الحضارات العام . [المجلد الثاني الخاص بروما وإمبراطوريتها] ص ٥٦٠.

(٣) د/ سيد أحمد الناصري : تاريخ الإمبراطورية الرومانية ص ٣٥٠.

(٤) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٥) د/ مصطفى العبادي : مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي ص ٢٩٣.

"فلقد رأي بعض المؤرخين أن "جاليريوس" نائب "دقلديانوس" في الشرق هو الذي أوغر صدره ضد المسيحيين وأوعز إليه أن مشاكل الإمبراطورية يمكن أن تحل إذا سحقت المسيحية"[١].

يقول ول ديورانت: "إن جاليريوس كان يرى أن المسيحية هي آخر العقبات القائمة في سبيل السلطة المطلقة، فأخذ يحرض رئيسه "دقلديانوس" على أن يجعل العودة إلى العهود الرومانية السابقة عودة كاملة وذلك بإرجاع الآلهة الرومانية إلى منزلتها القديمة، تردد "دقلديانوس" في الأخذ بهذه المشورة لأنه كان عازفا عن ركوب أخطاء لا موجب لها ولأنه كان أكثر من "جاليريوس" تقديرا لثقل العبء"[٢]، ولكن تطور الأمور بعد ذلك جعله يقبل هذا الأمر ويصدر قراراته بالاضطهاد.

وهذا يعني أن "دقلديانوس" - في نظر هؤلاء المؤرخين - لم يكن الداعي إلى هذا الاضطهاد الكبير، ولم يكن صاحب فكرته الأولى، وإن كان هو الذي أمر به فإنما فعل ذلك على مضض شديد منه وتحت ضغط شديد من القيصر جاليريوس"[٣].

والتعليل الأول مبني على تعليلات وجيهة، فهو يتفق مع تطلع "دقلديانوس" لإصلاح الإمبراطورية، وتطلعه لإعادة المهابة والقداسة إلى الديانات الرومانية وإلى منصب الإمبراطور الذي يحكم الإمبراطورية، لذلك أضاف إلى نفسه من القداسة ما يتفق مع ذلك، فأعلن أنه ممثل الرب "جوبيتر" كبير الأرباب على الأرض من أجل إعادة مجد الإمبراطورية.

بدء اضطهاد "دقلديانوس للمسيحيين":

بدأت عملية الاضطهاد - في عصر هذا الإمبراطور - سنة ٢٩٩م، وذلك أثناء تقديم القرابين.

يقول ول ديورانت: " في يوم من أيام القربان في الإمبراطورية حدث أن رسم المسيحيون علامة الصليب ليتقوا شر الشياطين الخبيثة، ولما أن عجز العرافون عن أن

---

(١) جون لوريمر: تاريخ الكنيسة [٢/ ١٠ - ١١].

(٢) قصة الحضارة [مج ٣ ج٣ ص ٣٧٨].

(٣) إدريس بل: الهيلينية في مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي ص ١٣٩.

يجدوا في أكباد الحيوانات المذبوحة العلامات التي كانوا يرجون تفسيرها ألقوا الذنب على وجود أشخاص كفار مسيحيين"[١]، "وأعلنوا أن الآلهة تضيق بكفر المسيحيين وتأبى من أجل هذا أن تكشف عن أنباء الغيب المحجب"[٢]، عندئذ غضب "دقلديانوس" وأصدر أمرا أن يقرب جميع الحاضرين القرابين لآلهة الإمبراطورية القديمة ابتداء من زوجته حتى أصغر حراسه ومن يخالف أمره يجلد[٣]، وأن يمتثل جميع جنود الجيش هذا الأمر أو يفصلوا من الخدمة[٤].

قرارات الاضطهاد في عصر دقلديانوس :

ثم صدر القرار الإمبراطوري الأول الخاص باضطهاد المسيحيين وذلك في فبراير سنة ٣٠٣م ويتضمن: تدمير الكنائس المسيحية وتسويتها بالأرض، وحرق الأناجيل أو جمعها من الناس وتحريم القيام بأي صلوات أو شعائر مسيحية[٥]... وجاء فيه أيضا :

أن من يرفض تقديم القرابين للآلهة الوثنية سيحرق حيا[٦]، ويحرم المسيحيون من جميع المناصب العامة ويعاقب بالإعدام من يضبط منهم في أي اجتماع ديني، وبدأت كتيبة من الجند تنفيذ هذه القرارات، فأحرقت كنيسة نيقوميديا وتدميرها عن آخرها[٧].

وعقب صدور هذا القرار حدث أن ثار أحد المسيحيين عليه ومزق إحدى الملصقات الخاصة به، فقام الحرس بالقبض عليه وعذب وأحرق جسده حتى الموت، وزاد الأمر سوءا أن أضرم النار مرتين على مدى اسبوعين في قصر الإمبراطور

(١) قصة الحضارة [مج٣ ج٣ ص ٣٧٨].
(٢) د/ توفيق الطويل: قصة الاضطهاد الديني ص ٤٠.
(٣) تاريخ الإمبراطورية الرومانية ص ٣٥١.
(٤) قصة الحضارة [مج ٣ ج٣ ص ٣٧٩].
(٥) تاريخ الإمبراطورية الرومانية ص ٣٥٢.
(٦) د/ إسحق عبيد: الإمبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية ص ٥١.
(٧) قصة الحضارة [مج٣ ج٣ ص ٣٧٩].

"دقلديانوس" الذى فزع فزعا شديدا لأن واحدة من هذه الحرائق التهمت حجرة نومه[١]، وبالطبع وجهت أصابع الاتهام إلى عدد كبير من المسيحيين، لأن الحرائق نشبت في أعقاب القرار الأول الخاص بهدم الكنائس... وأن المسيحيين ارتبطوا بفكرة إشعال الحرائق منذ حريق روما عام ٦٤م[٢].. وقد ألقت السلطات القبض على عدد كبير من المسيحيين وسجنوا وعذبوا ومات عدد كبير منهم.

ثم صدر القرار الثاني: بالقبض على القسس والكهنة المسيحيين وزجهم في غيابات السجون[٣].. ولما امتلأت السجون بهم ولم يعد هناك مكان لهم أصدر قراره الثالث في مطلع عام ٣٠٤، وكان ذلك في أثناء مرضه ـ، وهو يقضي بالعفو عن المسجونين المسيحيين إذا ما قبلوا تقديم الأضاحي إلى الآلهة الرومانية، أما الذين يرفضون فينفذ فيهم حكم الإعدام[٤].

ثم صدر قرار رابع يفرض فيه على جميع المسيحيين من عامة الشعب أن يقدموا الذبائح للإمبراطور، وحينئذ نزل الاضطهاد بكل قوته على الجميع ولم يستثن أحد من الرجال أو النساء أو الأطفال"[٥].

وطبقت هذه القرارات في جميع بلاد الإمبراطورية، ولكن بدرجات متفاوتة، وكان تطبيقها في مصر بدرجة كبيرة وقسوة شديدة وكانت المحنة قاسية[٦]، ونظرا لكثرة الذين قتلوا في هذا الاضطهاد من المصريين جعلت الكنيسة القبطية تقويمها مبتدئا من عام ٢٨٤م وهو العام الذي ارتقى فيه "دقلديانوس" عرش الإمبراطورية[٧].

---

(١) الإمبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية ص ٥١.
(٢) تاريخ الإمبراطورية الرومانية ص ٣٥٢.
(٣) حبيب سعيد: فجر المسيحية ص ١١٣.
(٤) المرجع السابق ص ١١٣ ـ ١١٤.
(٥) جون لو ريمر: تاريخ الكنيسة [٢/ ١١٢].
(٦) يعقوب نخلة: تاريخ الأمة القبطية ص ٢٥.
(٧) إيريس حبيب المصري: قصة الكنيسة القبطية [١/ ١٢٧].

ولقد بالغ الكتاب المسيحيون كثيرا في وصف ألوان التعذيب والاضطهاد الذي وقع على المسيحيين سواء في مصر أو في غيرها "فالأرقام التي وردت في كتب المسيحيين مبالغ فيها[١] ولذلك يجب أن نتناولها بالحذر[٢]".

وكذلك أيضا الروايات التي رويت في تفاصيل أنواع العذاب مبالغ فيها، ولا نريد أن نخوض في بيان هذه الروايات التي مضمونها وصف أنواع التعذيب سواء بالجلد أو بالإلقاء في النيران، أو كشط الأجساد أو الغرق أو الصلب إلى آخره"[٣].

وأخيرا يمكن القول إن اضطهاد "دقلديانوس" أشد ما ابتليت به الكنيسة وأعظم اضطهاد وقع عليها بعد نيرون.

[١٠] اضطهاد جاليريوس وماكسيمينوس :

بعد أن مرض "دقلديانوس" اعتزل الحكم في شهر مايو سنة ٣٠٥م، وفي اليوم ذاته أعلن "ماكسيميانوس" اعتزاله الحكم أيضا وفاء لعهد قطعه على نفسه أمام "دقلديانوس" أن يغادر الحكم معه في وقت واحد حتى يعطيا الفرصة للنظام الذي أقاماه ليثبت نفسه بدونهما، حينئذ عين "قسطانطيوس" إمبراطورا في الغرب و "جاليريوس" إمبراطورا في الشرق، واختار "قسطانطيوس فلافيوس" "فاليريوس سيفيروس" ليشغل منصب نائبه، كما اختار "جاليريويس" ابن شقيقه "ماكسيمينوس"[٤].

وبعد أن أصبح "جاليريوس" إمبراطورا شجع الاضطهاد في الشرق بجميع وسائل التشجيع، فزاد عدد المضطهدين والمعذبين حتى الموت في كل جزء من أجزاء الإمبراطورية عدا غالة وبريطانيا حيث اكتفى "قسطنطيوس بإحراق عدد قليل من الكنائس[٥].

---

(١) فلقد قدر بعض المسيحيين القتلى في هذا الاضطهاد بنحو مائة وأربعة وأربعين ألفا، وبعضهم قال ثمانمائة ألف. لجنة التاريخ القبطي: تاريخ الأمة القبطية ص ١٠٦، وبعضهم قال: إن عدد الذين قتلوا في هذا الاضطهاد يبلغ المليون، تاريخ الأقباط [١ / ١١٠].

(٢) الإمبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية ص ٥٢.

(٣) راجع: يوسابيوس: تاريخ الكنيسة ص ٤٠٠، قصة الكنيسة القبطية [١ / ١٢٠].

(٤) تاريخ الإمبراطورية الرومانية ص ٣٥٣.

(٥) قصة الحضارة [مج ٣ ج٣ ص ٣٨٠].

"وقد جرب" جاليريوس" جميع ألوان الاضطهاد والتعذيب وهلك بسببه كثير من المسيحيين وقاسى عدد آخر يخطئه الحصر ألوانا مختلفة وارتد الآلاف من المسيحيين عن دينهم[١].. وأصدر أمرا في عام ٣٠٨م يقضي بمواصلة اضطهاد المسيحيين في غير هوادة ولا رحمة[٢].

وكان هذا الاضطهاد شديدا وقد عاون "جاليروس" في اضطهاده هذا "ماكسيمينوس"نائبه،

فكان ما كسيمينوس يصدر أحكامه ضد المسيحيين ابتداء من التشويه والتمثيل بهم إلى الأعمال الشاقة في المناجم والمحاجر، ووصلت به الشراسة حدا أنه كان يقتل النساء والأطفال والشيوخ الذين يرفضون تقديم الأضاحي للآلهة الوثنية ويتخلون عن العقيدة الجديدة، بل حاول إنشاء كنيسة وثنية على نفس التنظيم الكهنوتي الذي قامت عليه المسيحية، وعن طريق إحياء المعابد القديمة وبناء معابد كبرى جديدة للآلهة الوثنية"[٣].

ثم توقف الاضطهاد بعد ذلك في عام ٣١١م حين أصيب "جاليريوس" بمرض خبيث وأصدر قرار التسامح الديني والذي بمقتضاه سمح للمسيحيين بممارسة شعائرهم وفتح كنائسهم في كل أرجاء الإمبراطورية بشرط أن يذكر الإمبراطور والإمبراطورية في الصلوات بالخير ويكللها بالدعاء[٤]، ثم أعلن بعد ذلك "قسطنطين" مرسوما أبرم في ميلان سنة ٣١٣م وفيه أعلن مبدأ التسامح العام.

---

(١) قصة الحضارة [مج ٣ ج٣ ص ٣٨٠].

(٢) تاريخ الأقباط [١ /١١٠/].

(٣) تاريخ الإمبراطورية الرومانية ص ٣٦٠.

(٤) راجع نص القرار في : تاريخ الكنيسة [٢ /١١٦].

الاضطهاد عامل من عوامل التأثر:

لقد عانت النصرانية كثيرا من الويلات الشديدة والآلام الكثيرة في هذا الاضطهاد الذي استمر الثلاثة قرون الأولي للديانة، ولقى النصارى خلالها صنوفا من الاضطهادات المدمرة..

ولقد أثرت هذه الاضطهادات تأثيرا كبيرا على الديانة التي جاء بها المسيح عليه السلام مما صح معه أن تكون عاملا من عوامل التأثر بغيرها وذلك على النحو التالي:

أولا: قتل عدد كبير من أئمة النصارى نتيجة للاضطهاد:

إن أي دعوة من الدعوات تحتاج إلى من يحملها ليبلغها إلى غيره، وتتوقف صحة أفكار الدعاة الأولين على مدى ارتباطهم بالداعي الأول، فكلما كان الداعي قريبا من المعلم الأول ومعاصرا له وفي زمانه ومن تلامذته، كلما كانت أفكاره أقرب إلى مطابقتها لأفكار الداعية الأول، وكلما كان قريبا من المورد الأساسي كلما كانت تعاليمه أنقي وأصفى.

ولا شك أن تلاميذ وأصحاب الرسل عليهم معول كبير في حمل أمانة نشر الدعوة وتبليغها لمن بعدهم، ولكن إذا قتل هؤلاء الأصحاب في فترة وجيزة بعد انتهاء حياة الرسول وفي ظروف ملبدة بالغيوم والسحب، وفي ظروف اضطهاد لا يستطيع معها أن يبلغ هؤلاء الرسالة إلى الناس، أو يحملونها لمن يقم بنشرها بين الناس، فإن ذلك يكون له أثر كبير على الديانة نفسها، خاصة إذا كان عدد التلاميذ، أو عدد الذين اتبعوا الرسول في حياته محدودا وقليلا وهذا ما حدث بالنسبة لديانة المسيح عليه السلام.

لقد بعث الله سيدنا عيسى عليه السلام إلى بني إسرائيل ليبلغهم شرع الله الصحيح وكانت فترة دعوته وجيزة ـ على أرجح الأقوال ثلاث سنوات ـ البعض قال

إنها بضعة اشهر والبعض قال إنها بضعة أسابيع[١]... وفي خلال هذه المدة القصيرة علّم المسيح بعض اليهود الذين آمنوا به الشرع الذي جاء به من عند الله، واختار بعض أصحابه منهم وجعل حمل الرسالة وتبليغها منوطا بهم ..

وفي الحقيقة أنه يمكن القول إنه في خلال مدة قصيرة كهذه يصعب أن يكون له أتباع كثيرون قد فهموا كل شرائع الديانة وحفظوا كل ما فيها من نصوص تدل عليها.

على أن الذين آمنوا بالمسيح لم يكن الجو مهيئا لهم لأن يعلموا الناس ما ورثوه عن المسيح عليه السلام، فلقد اضطهد اليهود المسيح نفسه، ولم ينقطع الاضطهاد بعده بل امتد إلى أتباعه الذين نزل عليهم من البلايا والكوارث ما تقشعر منه الأبدان، ففي وسط هذا الجو لم يستطع أتباع المسيح الحقيقيون أن يبلغوا الشرع السماوي ويعلموه للناس.

والأناجيل المسيحية التي يؤمن بها المسيحيون الآن تذكر أن المسيح عليه السلام اختار اثنى عشر تلميذا من تلامذته ليبلغوا دعوته وينشروا رسالته وسط اليهود .. يقول متى: "ثم دعا تلاميذه الاثنى عشر وأعطاهم سلطانا على أرواح نجسة حتى يخرجوها ويشفوا كل مرض، وكل ضعف.

وأما أسماء الاثنى عشر رسولا فهي هذه الأول سمعان الذي يقال له بطرس وأندراوس أخوه، يعقوب بن زبدي ويوحنا أخوه، فيلبس وبرثولماس، توما، ومتى العشار، يعقوب بن حلفي، ولبّاوس الملقب تدّاوس، سمعان القانوي ويهوذا الأسخربوطي الذي أسلمه .. هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلا: إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامرين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة، وفيما أنتم ذاهبون اكرزوا قائلين إنه اقترب ملكوت الله"[٢]، ثم انتخب متياس خلفا ليهوذا الاسخربوطي[٣].

(١) شارل جنيبير: المسيحية نشأتها وتطورها ص ٤٣..
(٢) متى: ١٠: ١-٧.
(٣) أعمال ١: ٢٦.

وعلى فرض التسليم بصحة هذا النص[١]، فإننا لو نظرنا في تاريخ هؤلاء لوجدنا أنهم جميعا قتلوا أو صلبوا أو عذبوا بسبب هذا الاضطهاد، وهذا يدل ـ أو يمكن اعتباره علامة ـ على الجو الذي عاشه الأتباع الحقيقيون الذين لم نعرف لهم خبرا.

وعموم القول إن الاثنى عشر الذين ذكروا في الأناجيل الحالية نزل بهم كثير من ألوان التعذيب والاضطهاد، حتى وصل الأمر بأغلبهم إلى القتل أو الصلب، ويكفى أن نشير إلى ذلك.

فلقد قتل بطرس ذلك أنه قبض عليه في رومية وحكم عليه بالصلب منكسا[٢]، وكذلك أيضا عذب أندراوس عذابا شديدا ثم صلب[٣].. ولقد طرح "يعقوب الصغير[٤]" من أعلى الهيكل ثم أجهز عليه ورجم حتى الموت[٥].

وبالنسبة ليعقوب بن زبدي أخو يوحنا نجد أنه قبض عليه في أورشليم وقطع رأسه بالسيف[٦]، ولقد عذب فيلبس عذابا أليما وصلب منكسا أيضا"[٧].

وبالنسبة لبرثولماس نجد أنه صلب وسلخ جلده وقطع رأسه وألقي في البحر[٨]، ولقد قتل "توما" طعنا بالحراب[٩]، وضرب "متى" ضربا مبرحا حتى الموت[١٠]، وقتل "لباوس"[١١] و "سمعان"[١٢] ورجم "متياس" حتى الموت[١٣].

---

(١) راجع الفصل الثاني من هذا الباب وفيه الحديث عن عدم قدسية الأناجيل المسيحية.

(٢) لبيان ذلك راجع هلير: مجمل تاريخ العالم ص ٢٠٤، كتاب السنكسار (وهو كتاب سير القديسين المسيحيين وأخبارهم [٢/ ٣٩٥].

(٣) تاريخ الأقباط [١ /٨٣].

(٤) وهو يعقوب حلفى أخو "متى" سمي بيعقوب الصغير تمييزا له عن يعقوب بن زبدي أخو يوحنا. تاريخ الأقباط [١ /٧٨].

(٥) فولتون شين: حياة المسيح دراسة وتأمل ص ٢٢٠.

(٦) يوسابيوس: تاريخ الكنيسة ص ٧٨، كتاب السنكسار [٢/ ١٥٩].

(٧) تاريخ الأقباط [١ /٨١ ـ ٨٢].

(٨) المرجع السابق [١ /٨٢].

(٩) المرجع السابق [١ /٨٤].

(١٠) المرجع السابق ص ٧٦.

(١١) المرجع السابق ص ٨١.

(١٢) المرجع السابق ص ٨٢

(١٣) المرجع السابق ص ٨١

وهكذا نرى أن هؤلاء الذين ذكروا في الأناجيل المسيحية على أنهم تلاميذ المسيح عليه السلام قد قتلوا جميعا تقريبا بسبب الاضطهاد.

يقول الشيخ أبو زهرة: "فما تركوا عالما منهم بالديانة إلا قتلوه وكان الولاة يتفننون في طرق إبادة المسيحية من الوجود أبادوا العلماء حتى لا يوجد من يرشد إليها ويتوارث العلم بها"(١).

وقتل هؤلاء في ظروف صعبة كهذه وبسبب الاضطهاد يجعلنا نتوقف قليلا لنسأل: هل استطاع تلاميذ المسيح الحقيقيون في مثل هذه الظروف أن يبلغوا الشرع السماوي الذي حملوه من عيسى عليه السلام ليبلغوه إلى غيرهم؟

ومن ناحية أخرى: هل استطاع أناس أن يحفظوا هذا الشرع السماوي من الأتباع الحقيقيين في مثل هذه الظروف الصعبة؟ خاصة وأن الأتباع الحقيقيين كانوا أقلية ما زالوا في دور التكوين ولا يستطيعون أن يردوا عن أنفسهم أي عدوان أو يحموا المنتسبين إليهم من أي اضطهاد أو تعذيب.

إنه يمكن القول: إنه من المحتمل أن بعض الناس قد تلقوا بعض الشرع من التلاميذ، ولكننا لا نستطيع أن نقول إنهم تلقوا الشرع السماوي كاملا، لأن ظروف الاضطهاد - خاصة وأن المضطهدين كانوا يتبعون هؤلاء ويمنعوهم من الاجتماعات حتى لأداء العبادة - منعت الكثيرين من أن يجلسوا إلى التلاميذ ليتعلموا منهم كل ما نزل على المسيح عليه السلام، إنه من المحتمل أن البعض قد تلقي بعض الشرائع، ولكن هذا البعض لم يجد المنبت الطيب والأرض الصالحة للنمو وذلك لأن الداخلين في هذه الديانة دخلوا وعقولهم وقلوبهم مليئة بالعقائد الوثنية فمزجوا بين عقائدهم وبين هذا البعض، وما زال هؤلاء ومن بعدهم يبعدون شيئا فشيئا حتى اكتمل البعد تماما عن ديانة المسيح عليه السلام وأصبحت الديانة المسيحية بعيدة كل البعد عما جاء به المسيح عليه السلام.

---

(١) محاضرات في النصرانية ص١٠٧.

وهكذا يتبين لنا مدى الأثر الذي أحدثه الاضطهاد على ديانة المسيح عليه السلام.

ثانيا: ضياع الإنجيل الصحيح:

مما لا شك فيه أن الله سبحانه وتعالى أنزل على عيسى عليه السلام كتابا سماويا يسمى "بالإنجيل"..

ولكن أين هذا الإنجيل؟ الواقع أن هذا الإنجيل ليس واحدا من الأناجيل الموجودة حاليا بين المسيحيين، وإنما تنسب إلى كاتبها. فأين إنجيل المسيح عليه السلام؟

إن عيسى عليه السلام ترك لتلاميذه هذا الإنجيل الصحيح الذي نزل عليه من عند الله وعلمهم إياه، وهؤلاء التلاميذ ومن بعدهم تعرضوا لجميع أنواع الاضطهاد والتعذيب، ولقد شمل هذا الاضطهاد ـ كما بينا سابقا ـ الأتباع والكتب وأماكن الاجتماع والعبادة، وهذا يعني أن الاضطهادات أثرت على ديانة المسيح عليه السلام فأدت إلى ضياع الإنجيل الصحيح. فكما أن النصرانية فقدت بسبب الاضطهاد العلماء الحافظين لهذه الديانة، فكذلك أيضا فقدت بسببه إنجيل المسيح عليه السلام، فلقد التهمه الاضطهاد وقضى عليه.

وذلك لأن هذا الاضطهاد الذي دام إلى أوائل القرن الرابع الميلادي لم يترك عالما بالديانة إلا وعذب، ولا كتابا خاصا بها إلا وأبيد من الوجود، ولا مكانا خاصا للاجتماع وأداء العبادة إلا وقد سوي بالأرض.

في وسط هذا الاضطهاد: هل يمكن المحافظة على الكتب أو التحقق من صحتها؟ وهل يمكن إثبات سند متصل للأناجيل المسيحية؟ إنه في هذه الحالة يكون من الصعب فعلا حماية الأصالة النقية، ويجعل الكتب التي رويت موضع شك في نسبتها إلى قائليها حتى يقوم دليل على صحة تلك النسبة

وبذلك يمكن القول إن الاضطهادات أثرت على ديانة المسيح عليه السلام فأضاعت إنجيله الصحيح، وكذلك أيضا لها أثرها على كتب المسيحية الحالية فأفقدتها الثقة حيث انقطعت النسبة بينها وبين من تنسب إليه.

ثالثا: تشتت الأتباع خارج بلاد اليهود:

لقد كان من نتائج الاضطهاد ـ وبخاصة اضطهاد اليهود لأتباع المسيح ـ أن تشتت بعض المؤمنين بالنصرانية خارج بلاد فلسطين للتبشير بهذه الديانة بين اليهود

اليونانيين والوثنيين، وهذا الوضع لا شك له أثر كبير على الديانة النصرانية من جميع النواحى وكان له أثره في دخول أفكار وثنية في هذه الديانة :

(١) أول أثر لهذا التشتت أن بدأ الناس ينظرون إليهم نظرة مختلفة، فقد كان معروفا لدى الناس أن هذه الديانة ما هي إلا فرقة يهودية، وهم يعرفون أن اليهود لا يبشرون بدينهم بين غيرهم، ولا يقبلون غير جنسهم بينهم،فلما وجدوا أن أتباع النصرانية يبشرون بدينهم بين الوثنيين تغيرت نظرتهم إليهم وأصبحوا يعاملونهم معاملة تختلف عن معاملة اليهود ويتبين ذلك من أمرين :

الأمر الأول: أطلق عليهم الوثنيون الاسم الخاص بهم وهو ما يعرفون به الآن "المسيحيين" وكان هذا علامة تميزهم عن اليهود.

الأمر الثاني: اختلفت نظرة السلطة الحاكمة "الرومانية" إليهم ذلك أنهم كانوا يعاملونهم بتسامح شأنهم كشأن اليهود، ولما وجدوا أنهم افترقوا عن اليهود وتركوهم وعاداتهم تغيرت معاملتهم وأصبحوا ينظرون إليهم نظرة جديدة ويعاملونهم كجماعة دينية جديدة لا تخضع لأحكام القوانين العامة للإمبراطورية ولذلك نجد حلقات الاضطهاد متصلة وتحاصرهم من كل جانب وفي كل مكان.

(٢) أنه لو اقتصر الأمر على خروجهم من أورشليم بدينهم واكتساب الأتباع الجدد من اليهود فقط لكان الأمر عاديا، ولكن حين خرجوا لم يتركوا بلاد اليهود وحدها ولكنهم تركوا معها ديانة بني إسرائيل وشرائعها وعقائدها، وذلك لكي يجذبوا الناس إلى هذه الديانة الجديدة ولكي تروق في أعينهم، وهو أخطر ما يمكن على الديانة النصرانية إذ معناه: الانفصال عن ديانة جاء المسيح متعبدا بها وحافظا لشرعها، أو بمعنى أصح: إنهم بانفصالهم عن ديانة بني إسرائيل التي ما جاء المسيح ناقضا لها بعدوا عن ديانة المسيح عليه السلام، وهو ما يعني أن الاضطهاد الذي نتج عنه التشتت جاء بالوبال على ديانة المسيح عليه السلام، ليس لأنه هو السبب في قتل علماء الديانة وضياع الإنجيل فحسب، ولكنه أيضا صاحب المبادرة الأولي في خروج أتباع الديانة عن وجه الدين الصحيح .. هذا من ناحية ،،

ومن ناحية أخرى: فإن هؤلاء الوثنيين الذين دخلوا في النصرانية لم يدخلوها بذهن خال، وإنما دخلوها بذهن مليئ بالخرافات والوثنيات، ولم يجدوا من يمحو لهم من أذهانهم وعقولهم هذه الوثنيات، خاصة وأن العلماء قتلوا وأن الكتاب الأصلي أبيد، والدعاة قد انفصلوا عن الديانة التي جاء المسيح متعبداً بها، ولذلك وجدوا أرضاً خصبة ليمزجوا أفكارهم ووثنياتهم بهذه الديانة التي دخلوا فيها، ولهذا نجد أن هؤلاء ساهموا بدور كبير في وضع عقائد هذه الديانة الجديدة .. وسنزيد هذا الأمر وضوحًا في الفصل السادس من هذا الباب.

وعلى هذا يمكن القول إن بعض أتباع الديانة النصرانية رأوا أنهم فى حاجة بسبب الاضطهاد إلى متنفس، فخرجوا من بلاد أروشليم إلى بلاد اليونان ولكن هذا المتنفس جاء إليهم بالأوباء والأمراض التي امتزجت بالديانة النصرانية.

رابعًا: زيادة اتجاه النصارى إلى السرية:

لقد ازداد اتجاه النصارى إلى السرية خوفًا من الاضطهاد، وهذه السرية كانت من أكبر الأمور التي تسربت الوثنيات من خلالها، ذلك أن الوثني كان يدخل النصرانية ويمزج عقائده بالمسيحية دون أن يجد من يصحح له المعتقد الصحيح، أو أنه يخاف أن يجهر بمعتقده خوفًا من الاضطهاد.

يقول د/ بركات دويدار: "استطاعت الأفكار الوثنية التي كانت موجودة في ذلك الحين أن تدخل المسيحية لتزيح غيرها من الأفكار الدينية الصحيحة، وساعدها على ذلك أن المسيحي ما كان يستطيع أن يميز بين ما هو مسيحي وما هو وثني وذلك خوفا من الاضطهاد والتعذيب"(١).

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

وهكذا يتبين لنا مما سبق أن النصرانية تعرضت لجميع أنواع الاضطهادات ووقع على أتباعها كثير من البلايا والكوارث التي أودت بحياة بعضهم وردة بعضهم

(١) د/ بركات دويدار: الحركة الفكرية ضد الإسلام ص ٢١٤.

وإخفاء الباقين لتدينهم، وذلك في خلال القرون الثلاثة الأولي، وكان لهذا الاضطهاد أكبر الأثر على النصرانية:

[١] فلقد قضى الاضطهاد على أتباع المسيح الحقيقيين واحتل مكانهم في القيادة والريادة أتباع جدد لم يعرفوا عقيدة المسيح الحقيقة.

[٢] أطلق عليهم اسم جديد من جراء هذا الاضطهاد وذلك بعد خروجهم من بلاد أورشليم إلى بلاد اليونان للتبشير بديانتهم وهناك أطلق الوثنيون عليهم اسم "المسيحيين" وهو لقب لم يطلق على المسيح ولا على أتباعه الحقيقيين في زمانه ولا بعد رفعه في الأيام الأولي وقت أن كانت الديانة نقية صافية بعيدة عن الاختلاط والامتزاج بالوثنية والوثنيين.

[٣] خرجوا من هذا الاضطهاد بأناجيل جديدة ليست هي إنجيل المسيح عليه السلام، كل إنجيل منسوب إلى واحد منهم ولم ينسب أي واحد منها للمسيح عليه السلام.

[٤] خرجوا من هذا الاضطهاد بتعاليم جديدة ليست هي التعاليم التي نادي بها المسيح عليه السلام.

وبهذا يتضح لنا أن الاضطهاد كان عاملا كبيرا من عوامل تأثر النصرانية بغيرها.

الفصل الثانى

ضياع إنجيل المسيح عليه السلام وعدم قدسية الأناجيل الحالية

ما هية الإنجيل الصحيح:

إن الله سبحانه وتعالى أرسل إلى بني إسرائيل رسلا يهدونهم إلى البر والصلاح والصراط المستقيم وجعل آخرهم عيسى بن مريم عليه السلام الذي أوحي إليه الإنجيل، وهو كتاب اشتمل على الحق المنزل عليه من السماء، فهو كتاب هداية ونور، وذلك لما فيه من دعوة الناس إلى التوحيد وإلى عبادة الله وحده لا شريك له، وكذلك فهو موعظة للمتقين لأنهم هم الذين يهتدون بهدايته" وهو مصدق للتوراة ومحيي لشريعتها ومؤيد للصحيح منها وهو مبشر برسول يأتي من بعده اسمه أحمد"[١]. ولقد فصلنا القول عن هذا الإنجيل في المدخل العام لهذا الكتاب.

فالإنجيل الحق هو الذي نطق به عيسى، وهو كتاب واحد لا تعدد فيه ولا اختلاف، وهناك أدلة في كتب المسيحية الحالية تدل أن المسيح عليه السلام كان معه إنجيل يبشر به ويدعو الناس إليه.

ففي إنجيل متى" وكان يسوع يطوف كل الجليل يعلم في مجامعهم ويكرز ببشارة الملكوت"[٢] " وبشارة الملكوت هي ترجمة كلمة إنجيل باليونانية"[٣].

وفي إنجيل متى أيضًا: "أن امرأة جاءت إلى المسيح في بيت سمعان وسكبت على رأسه قارورة طيب كثيرة الثمن، فقال المسيح لمن معه: "الحق أقول لكم حيثما يكرز بهذا الإنجيل في كل العالم يخبر أيضًا بما فعلته هذه تذكارًا لها"[٤].

(١) محاضرات في النصرانية ص ١٥.
(٢) متى ٤ : ٢٣.
(٣) محاضرات في النصرانية ص ١٥.
(٤) متى ٢٦ : ١٣، راجع أيضًا مرقس ١٤ : ٩.

وفي إنجيل مرقس: "وبعد ما أُسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله ويقول قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل"[١].

وجاء أيضا: "من يهلك نفسه من أجلي ومن أجل الإنجيل فهو يخلصها"[٢].

وحينما قال بطرس للمسيح إنا قد تركنا كل شئ وتبعناك رد عليه المسيح: "لم يترك أحد منكم شيئا لأجلي ولأجل الإنجيل"[٣].

وجاء أيضا قول المسيح لتلاميذه: "ينبغي أن يكرز أولا بالإنجيل"[٤].

وكذلك جاء في رسالة بولس إلى أهل رومية: "فإن الله الذي أعبده بروحي في إنجيل ابنه شاهد لي كيف بلا انقطاع أذكركم"[٥].

يتبين من هذا أن المسيح جاء إلى أصحابه بإنجيل من عند الله وأنه كان يدعوهم إلى الإيمان به والتبشير به ...

ولا شك أن الإنجيل المذكور في الفقرات السابقة ليس واحدا من أناجيل المسيحيين الحالية لأنها لا تضاف إلا إلى أصحابها باتفاق المسيحيين، ولأن المسيح قد وعظ بهذا الإنجيل ـ كما جاء في عبارة متى التي أشرنا إليها ـ ولم يكن واحدا من هذه الأناجيل قد وجد في عهده باتفاق، وليس من المعقول أن يعظ المسيح بأقوال تلاميذه وهم بعد لا يزالون في دور التعليم ولأن هذا الإنجيل قد ذكر في هذه الأناجيل على أنه كان قائما في عهد المسيح عليه السلام، ولأنه ذكر من غير نسبة ـ كما في الفقرات التي نقلناها من إنجيل مرقس ـ وليس واحد من هذه الأربعة تنصرف إليه كلمة إنجيل من غير نسبته إلى صاحبه، ولأنه ذكر في رسالة بولس إلى أهل رومية منسوبا إلى المسيح الابن، وليس واحد من هذه الأناجيل يستحق هذا الاسم[٦].

---

(١) مرقس ١ : ١٥.

(٢) مرقس ٨ : ٣٥.

(٣) مرقس ١٠ : ٢٨ـ ٢٩ .

(٤) مرقس ١٣ : ١٠.

(٥) رومية ١ : ٩.

(٦) محاضرات في النصرانية ص ٦٦.

وعلى هذا فإنجيل المسيح ليس واحدا من هذه الأناجيل كما تقضي بذلك طبيعة السياق وكما يقضي بذلك العقل والمنطق.

اليهود وضياع الإنجيل الصحيح.

في الواقع أنه لا يوجد هذا الإنجيل الصحيح وإنما فقد وضاع بسبب الاضطهاد، ذلك لأنه كان في البداية في ذاكرة المؤمنين الحقيقيين بالمسيح ولم يكن مكتوبا.

يقول اسبيروجبور: "إن المسيح لم يترك أي أثر كتابي"(١).

وحين اشتد الاضطهاد على التلاميذ لم يستطيعوا أيضا أن يكتبوا هذا الإنجيل أو يعلموه لكثيرين من أتباعهم، وبارتحال الجيل الأول من تلاميذ المسيح ارتحل معهم هذا الإنجيل ولم يبق منه شئ.

وفي هذا يقول (عز الدين المحمدي) في رده على أحد النصارى:

"أخبرني أيها المغرور، وأي ضمان عندكم على صدق رواة دينكم؟ وأي شهادة لكم على صدق أقوال مؤسس مذهبكم؟ أنتم تعلمون علم اليقين وتقرون مع الناس أجمعين أن عيسى بن مريم عليه السلام لم يأخذ القلم بنفسه مطلقا ،ولم يترك شيئا مسطورا من أقواله، ولم يكلف أحدا بجمع مقالاته، ولا أملي إنسانا شريعته، وإنما أحاديثه ومواعظه كانت كلها شفاهية لم تحصرها الدفاتر ولا سطرتها الأقلام في زمن المسيح عليه السلام، ولا في زمن متقارب منه، لأن دينكم قد نشأ في الناصرة بين جماعة من صيادي الأسماك قليلي العدد. ولاختلاطهم باليهود واستيلاء الجهل عليهم لم يقدروا على كتابة شئ من أقوال المسيح عليه السلام، ثم بعد ذلك بمدة اشتغلتم بالمنازعات والمدافعات عن النصرانية، فلم تفتكروا أيضا في تقرير شئ من أصل دينكم"(٢).

ولقد كان لليهود دخل كبير في ضياع هذا الإنجيل وذلك لما يأتي:

---

(١) اسبيروجبور: سر التدبير الإلهي (التجسد) ص ١٩.

(٢) عز الدين المحمدي: الفاصل بين الحق والباطل ص ٢٢.

{١} لأنهم هم الذين اضطهدوا أتباع المسيح في البداية، "ولا شك أن اضطهادهم أمكن وتنقيبهم عن العقيدة أدخل لأنهم من الشعب ومخالطوهم ومعاشروهم فهم بداخلهم أعرف"[١].

{٢} ولأن ضياع هذا الإنجيل واختفاءه كان يهمهم في الدرجة الأولي بعد أن تخلصوا من المسيح عليه السلام، وذلك لما يشتمل عليه من عقائد وتعاليم تخالف أهواءهم وتفضح تحريفهم لعقائدهم وتوراتهم.

فلقد حرفوا التوراة[٢] وحرفوا بعض عقائدها، إذ حرفوا عقيدتهم في الإله[٣].. و تصوروا الله في صورة مجسمة ووصفوه بكثير من صفات النقص والضعف والكذب والغفلة والجهل[٤]، ووصفوه بما لا يليق فهو يتعب ويستريح[٥] وغير ذلك من الصفات التي لا تليق بذات الله تعالى.

هذا إلى جانب تحريفهم لعقيدة اليوم الآخر: ففرقة الصدوقيين[٦] تنكر قيام الأموات وتعتقد أن عقاب العصاة وإثابة المتقي إنما يحصلان في حياتهم. وفرقة الفريسيين[٧] تعتقد أن الصالحين من الأموات سينشرون في هذه الأرض ليشتركوا في

---

(١) محاضرات في النصرانية ص ٣٥.

(٢) راجع سبينوزا: رسالة في اللاهوت والسياسة ص ٢٥٥، راجع أيضا: القرطبي: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ١٨٨.

(٣) راجع: د/ أحمد شلبي: اليهودية ص ١٨٠.

(٤) انظر مثلا تكوين ٣ : ٨ ـ ١٠ ووصفهم الله سبحانه وتعالى كأنه يسير في الجنة وأن لسيره صوتا وأنه كان لا يعرف مكان آدم.(راجع: د/ على عبد الواحد وافي: اليهودية واليهود ص ٣٥)،

(٥) تكوين ٢ : ٣.

(٦) الصدوقيون: إحدى الفرق اليهودية الرئيسية التي كانت معاصرة للمسيح، وتنسب على أرجح الأقوال إلى صادوق الكاهن زميل أبياثار الذي خدم في كهنوته في عهد داود ٢ صموئيل ٨: ١٧، ١٥: ٢٤) وهم لا يعترفون إلا بالعهد القديم فقط ويرفضون الأحاديث المنسوبة إلى موسى عليه السلام. (راجع: د/ فهيم عزيز: المدخل إلى العهد الجديد ص ٣٥ ـ ٣٦، قصة الحضارة مج٣ ج ٣ صـ ١٧٢)

(٧) الفريسيون: أهم الفرق اليهودية وأكثرها عددا في ماضي تاريخهم وحاضره. وكلمة "فريسى" تعني "منفصل "ولقد اختلف العلماء حول أصل وتفسير هذا المعنى، فظن بعضهم أنها تعني"الذين ينفصلون عن الناس". وقال آخرون إن فعل الكلمة لا يعني الانفصال بل يعني "التفسير" أي أنهم هم الذين يفسرون الكتاب المقدس أو الناموس. وسواء كان هذا المعنى أو ذاك فإن هذا الإسم واشتقاقه معناه لا يكشف عن أصل هذه الجماعة وقيامها وأعمالها (المدخل إلى العهد الجديد ص ٢٩) وأهم مبادئها: أنها تعترف بجميع أسفار العهد القديم والأحاديث الشفوية المنسوبة إلى موسى وأسفار التلمود بل إن فقهاءهم هم الذين ألفوا التلمود (اليهودية واليهود ص ٩١)،

ملك المسيح ـ المخلص كما يعتقدون ـ الذي سيأتي في آخر الزمان لينقذ الناس من ضلالهم، ويدخلهم جميعا في ديانة موسى، أى أن بعث هؤلاء سيحصل في الحياة الدنيا، فالفرقتان الرئيسيتان في اليهودية ـ كما وضح ـ حرفت معتقد اليوم الآخر[١].

وفى مجال الأخلاق انحرفوا عن القواعد الأخلاقية التي جاء بها موسى، وأصبحت أخلاقهم تقوم على أساس الأنانية والحقد وحب الذات وعبادة المادة[٢].

ولما جاء المسيح عليه السلام كان يصحح لهم مفاهيم العقيدة فى الإله ،ويوضح لهم حقيقة الحياة الآخرة وبيان أنها الغاية السامية لهذه الحياة، وكذلك أيضاً يصحح لهم نظرتهم إلى الحياة الدنيا ومادياتها.

هذا إلى جانب أنه جاء يبشرهم بسيدنا محمدﷺ وأنه هو النبى الموعود الذى جاء ذكره فى توراة موسى عليه السلام، وأنه هو الذى تكون رسالته عامة للناس أجمعين وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين، ولكنهم بسبب هذا انزعجوا انزعاجا كبيرا لأنهم كانوا يتمنون أن يكون هذا النبى الموعود المبشر به من نسلهم وسلالتهم، ولأنهم كانوا قد حرفوا البشارات الخاصة بالنبى محمد ﷺ فى التوراة.

هذه التعاليم كلها لم تعجب أهواءهم ولم ترق فى أعينهم فتقدموا لمناوءته ومعاكسته .. ولنذكر مثالا لهذا من الأناجيل المسيحية الحالية :

ذلك أن الأناجيل تذكر إحدى محاورات الصدوقيين المنكرين لليوم الآخر مع المسيح فى عقيدة اليوم الآخر.

يقول متى : " فى ذلك اليوم جاء إليه صدوقيون الذين يقولون ليس قيامة فسألوه قائلين يا معلم : قال موسى : إن مات أحد وليس له أولاد يتزوج أخوه بامرأته ويقم نسلا لأخيه[٣] : فكان عندنا سبعة أخوة وتزوج الأول ومات، وإذ لم يكن له نسل

---

(١) اليهودية اليهود ص ٣٥.

(٢) د/ سعد الدين صالح : مشكلات في العقيدة النصرانية ص ٤٧.

(٣) يشيرون بذلك إلى ما جاء فى سفر التثنية " إذا سكن أخوة معا ومات واحد منهم وليس له ابن فلا تصر امرأة الميت إلى خارج لرجل أجنبى، أخو زوجها يدخل عليها ويتخذها لنفسه زوجة ويقوم لها بواجب أخى الزوج، والبكر الذى تلده يقوم باسم أخيه الميت لئلا يمحى اسمه من إسرائيل. (تثنية ٢٥ : ٥ ، ٦).

ترك امرأته لأخيه وكذلك الثانى والثالث إلى السبعة، وآخر الكل ماتت المرأة أيضاً، ففى القيامة لِمَن من السبعة تكون زوجة، فإنها كانت للجميع، فأجاب يسوع وقال لهم: تضلون إذ لا تعرفون الكتب ولا قوة الله لأنهم فى القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون بل يكونون كملائكة الله فى السماء . وأما من جهة قيامة الأموات أفما قرأتم ما قيل لكم من قبل الله القائل أنا إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب[١] ليس الله إله أموات بل إله أحياء فلما سمع الجموع بهتوا من تعليمه"[٢].

ووجه استدلال المسيح لإثبات القيامة: أنه قال لهم: إن الله حى وهو إله لإبراهيم وإسحاق ويعقوب، وحيث إنه إله لهؤلاء فهم أحياء، لأن الله لا يكون إلها لأموات، وإذا كانوا هم أحياء فمعنى ذلك أنهم قاموا من الموت. وهذا دليل على القيامة.

وهكذا يتبين أن تصحيح المسيح للعقائد والتعاليم التى حرفوها من ديانة موسى عليه السلام لم تعجبهم، ولذلك عملوا على معاكسته ومناوئته، ولما لم تؤت هذه المناوئات ثمارها افتروا عليه عند السلطات الرومانية الحاكمة، لإصدار حكم القبض عليه وإعدامه صلبا لولا أن الله نجاه من أيديهم ورفعه إليه.

وبعد رفع المسيح لم تنته المعركة بالنسبة لليهود إذ أن الإنجيل الذى يفضحهم ويبين تحريفاتهم للتوراة ما زال موجودا فى ذاكرة تلاميذ المسيح، ولابد فى نظرهم من اضطهاد هؤلاء الأتباع والقضاء عليهم حتى يتم ضياع الإنجيل الذى يقلقهم ويفضحهم ويشيع عنهم التحريف لو بقى، لذلك علموا على ضياع هذا الإنجيل وإبادته من الوجود بطريق أو بآخر حتى لا ينكشف أمرهم وينفضح تحريفهم.

٣ـ الأمر الثالث وهو مهم أيضاً: ذلك أن المتأمل فى تاريخ الديانة النصرانية يجد أن الذين بدأوا التحريف فى هذه الديانة إنما هم بعض اليهود "كبولس" مثلاً، أى أنهم ساهموا فى ضياع الإنجيل بوضع البديل الذى يحل محله، وهذه ربما تكون خطة

---

(١) يشير المسيح بذلك إلى ما جاء فى سفر الخروج أن الله قال لموسى (أنا إله أبيك إله إبراهيم وإله اسحاق وإله يعقوب) خروج ٣ : ٦.

(٢) متى ٢٢ : ٢٣ ـ ٣٣.

اليهود الخبيثة فى ضياع الإنجيل ، ذلك أنهم وجدوا أن طريق الاضطهاد مع هؤلاء قد لا يجدى وحده ، لذلك عمل بعضهم على أن يتظاهر بالدخول فى هذه الديانة ، ليعبث بها من الداخل ، ويعمل على إنشاء إنجيل جديد بعقائد جديدة يستغنى به النصارى عن الإنجيل الصحيح ، وهذا ما حدث.

يقول بولس فى رسالته إلى أهل غلاطية : " ثم بعد أربع عشرة سنة صعدت أيضاً إلى أورشليم مع برنابا آخذاً معى تيطس أيضاً ، وإنما صعدت بموجب إعلان وعرضت عليهم الإنجيل الذى أكرز به بين الأمم ولكن بالانفراد على المعتبرين لئلا أكون أسعى أو قد سعيت باطلاً "(١).

وهذه العبارات تدل على أن إنجيل عيسى بن مريم عليه السلام قد حرفه اليهود عمداً وكتبوا بدله إنجيلاً آخر(٢) ، ولذلك نجد أن بولس يصرح فى مكان آخر بأن الإنجيل الجديد الذى يبشر به ليس هو الإنجيل الذى تركه المسيح من قبل رفعه إلى السموات ، بل هو إنجيل تلقاه بإلهام من المسيح من بعد رفعه أى أنه لا يبشر بما ترك المسيح بل يدعى أنه يبشر بإنجيل ألهمه المسيح إياه(٣) يقول ما نصه :

" وأعرفكم أيها الأخوة الإنجيل الذى بشرت به إنه ليس بحسب إنسان لأنى لم أقبله من عند إنسان ولا علمته بل بإعلان يسوع المسيح "(٤)

ويفهم من هذا أن اليهود لهم دخل كبير أيضاً فى ضياع الإنجيل من هذه الناحية وذلك بإنشاء غيره ليحل محله.. ويتضح من هذا كله أن الإنجيل الصحيح ضاع وأبيد من الوجود وأن اليهود هم الذين عملوا على ضياعه.

أثر ضياع الإنجيل الصحيح على ديانة المسيح عليه السلام:

لقد كان لضياع الإنجيل الصحيح أثر كبير على ديانة سيدنا عيسى عليه السلام ويتبين ذلك مما يأتى :

---

(١) غلاطية ٢ : ١ ، ٢.

(٢) من تعليقات د/ أحمد السقا على كتاب الإمام الجوينى : شفاء الغليل ص ٦٨

(٣) المرجع السابق ص ٦٩.

(٤) غلاطية ١ : ١١ ، ١٢.

أولا: سهولة تحريفها وتأثرها بالمعتقدات الوثنية:

لقد كان لضياع هذا الإنجيل الصحيح أثر كبير فى خروج هذه الديانة من دائرتها السماوية المقدسة إلى دائرة ترتع فيها المعتقدات الوثنية وتجعل من عيسى بن مريم عليه السلام بطلا أو إلها مقدسا على غرار الديانات الوثنية القائمة آنذاك، ونفذت الأهواء والأساطير وأخذت تنال من ديانة المسيح عليه السلام وصميمها، ولم تجد من يردها بنص قاطع يسلم له الجميع ويقف عنده كل مفكر أو مجتهد أو مجدد، ويردع كل مبتدع أو مضل أو فاسق، ويكون ميزانا للحق والباطل ومقياسا تقاس به الآراء ومرجعا يرجع إليه المختلفون.

لذلك كثر الأدعياء والدخلاء، فكان فى مقدور أى شخص يدعى أنه من أتباع المسيح ويدخل فى الديانة ما يحلو له من معتقدات، ويدعى أنه يقول ما يقول بإلهام أو أن المسيح ظهر له أو أى شئ من هذا القبيل ـ ما دام لا يوجد نص سماوى يفرق بين الصحيح والفاسد من المعتقدات.

يقول الدكتور / بركات دويدار: " والواقع أنه لا يوجد مصدر صحيح ،فأخذ الدعاة من الوثنية عقائد، وأدخلوها فى المسيحية بدل أن يأخذوا من المسيحية للقضاء على الوثنية "(١).

ثانياً: وجود الأناجيل الكثيرة:

ولقد كان لضياع الإنجيل الصحيح أثر فى وجود أناجيل كثيرة فى أوقات مختلفة، ذلك أن كل واحد كان يستطيع أن يكتب كان يكتب إنجيلا ويدعى أنه هو الصحيح، وربما دعا بعض الناس إلى إنجيله حتى يصبحوا جماعة أو فرقة. ونتج عن هذا " أنه كان لكل فرقة إنجيلها أو أناجيلها الخاصة التى تعتمد عليها وتغفل ما عداها من الأناجيل أو تحكم بزيفها أو بطلانها"(٢)

---

(١) الحركة الفكرية ضد الإسلام ص ٢١٦.

(٢) د/ على عبد الواحد وافى: الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام ص ٩٣.

" والحقيقة أنه عند وجود أصل متفق عليه يلتزم الجميع به وبنصه ، ولكن عند فقد الأصل أو ضياعه فالنتيجة حدوث الاجتهادات والاختلافات "[١]. وهذا هو الذى حدث نتيجة لضياع الإنجيل ، فلقد كثرت الأناجيل كثرة فاحشة حتى أربت على المائة[٢] ، بل إن البعض قدرها بالآلاف[٣].

فكان ثَمّ إنجيل ينسب لمتى غير إنجيله المذكور فى العهد الجديد ، وإنجيل ينسب ليرنابا ، وإنجيل ينسب ليعقوب ، وإنجيل ينسب لـ " توماس ". وهما اثنان من تلاميذ المسيح . ويقص هذان الإنجيلان أمورا أغفلتها الأناجيل الأربعة من تاريخ مريم وطفولة المسيح . وإنجيل ينسب للقديس نيكوديم (أحد رؤساء اليهود فى عهد المسيح وقد لقى المسيح وجرت له معه مناقشات فى الشئون الدينية فآمن برسالته وأظهر إيمانه بعد رفع المسيح) ، وإنجيل يقال له إنجيل السبعين وينسب إلى تلامس[٤] هذا إلى جانب أنه كان هناك أناجيل أربعة تسمى الأناجيل اليهودية المسيحية وهى إنجيل العبريين ، وإنجيل الناصريين ، وإنجيل الاثنى عشر ، وإنجيل الأبيونيين[٥] ، وكان هناك إنجيل لبطرس وإنجيل المصريين وإنجيل نيقوديموس وغيرهم[٦] ، وكان لكل من أصحاب مرقيون وأصحاب ابن ديصان إنجيل يخالف بعضه هذه الأناجيل ، ولأصحاب مانى إنجيل على حدة يخالف أيضا الأناجيل السابقة[٧].. وأناجيل أخرى كثيرة ذكرتها دائرة المعارف الأمريكية وذكرتها المراجع المسيحية أيضا نحيل القارئ بالرجوع إليها[٨].. هذا إلى جانب الأناجيل والرسائل المعترف بها فى المسيحية الآن.

---

(١) د/ السعيد طه : التشريع فى اليهودية والنصرانية والإسلام ص ٥٨ (رسالة دكتوراة بكلية أصول الدين بالقاهرة).

(٢) عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ص ٣٩٢.

(٣) راجع : متى المسكين : التقليد ص ٨٦.

(٤) الأسفار المقدسة ص ٩٣.

(٥) راجع دائرة المعارف الأمريكية (١٣ / ٧٠ - ٧١) فلقد ذكرت الأناجيل المسيحية المرفوضة بالتفصيل (راجع المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص ٣٧).

(٦) جون لوريمر : تاريخ الكنيسة (١/ ٨٤)

(٧) رحمت الله الهندى : إظهار الحق (١ / ١٩٢).

(٨) راجع : حبيب سعيد : المدخل إلى الكتاب المقدس ص ٢٣٥ وما بعدها ، قاموس الكتاب المقدس ص ١٢٢.

وهناك إشارة لكثرة الأناجيل المؤلفة فى الأناجيل المسيحية الحالية.

يقول لوقا : " إذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداما للكلمة رأيت أنا أيضا إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالى إليك أيها العزيز ثاوفيلس "(١).

وهناك إشارة أخرى أيضا فى العهد الجديد الموجود حاليا بين المسيحيين إلى أن التحريف كان شائعا ومنتشرا أشد الانتشار وقت كتابة هذه الأناجيل(٢) والتى من خلالها تم البعد عن مجرى ومضمون الإنجيل الصحيح.

يقول بولس : "إنى أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعا عن الذى دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر، ليس هو آخر، غير أنه يوجد قوم يزعجونكم ويريدون أن يحولوا إنجيل المسيح"(٣).

ويقول : "ولكن ما أفعله سأفعله لأقطع فرصة الذين يريدون فرصة كى يوجدوا كما نحن أيضا فى ما يفتخرون به، لأن مثل هؤلاء رسل كذبة فعلة ما كرون مغيرون شكلهم إلى شبه رسل المسيح"(٤)

اختيار أناجيل ورسائل العهد الجديد وكيف تم الاختيار؟:

استقر رأى المسيحيين على اعتماد سبعة وعشرين سفرا وهى : الأناجيل الأربعة، وأعمال الرسل، وأربع عشرة رسالة لبولس، ورسالتان لبطرس، وثلاث رسائل ليوحنا، ورسالة ليعقوب، ورسالة ليهوذا ، ورؤيا يوحنا.

أما بالنسبة لتحديد الزمان والمكان والكيفية التى اكتسبت بها الأناجيل الأربعة والرسائل الصيغة القانونية، ومن ثم اعتبرت كتبا مقدسة، فإن أحدا من المسيحيين لا يدرى عن هذا الموضوع شيئا ولا يملك علماؤهم إلا أن يقولوا : " ليس لدينا أى

---

(١) لوقا ١ : ١ ـ ٤.

(٢) د/ محمد وصفى : المسيح والتثليث ص ٣٥.

(٣) غلاطية ١ : ٦ ، ٧.

(٤) ٢ كورنثوس ١١ : ١٢ ، ١٣.

معرفة محددة بالنسبة للكيفية التى تشكلت بموجبها قانونية الأناجيل الأربعة ولا بالمكان التى تقرر فيه ذلك "(١)

يقول جون لوريمر: " لم تصلنا إلى الآن معرفة وافية عن الكيفية التى اعتبرت بها الكتب المقدسة كتبا قانونية "(٢).

أما بالنسبة لقانونية العهد الجديد كمجموعة فإن ذلك تم خلال القرن الرابع الميلادى " فلقد وقع خلاف فى أوائل القرن الرابع بسبب تحديد الأسفار المقدسة، فوضع البابا اثناسيوس(٣) جدولا بالأسفار الموجودة بين المسيحيين الآن واعتبروها هى الأسفار الصحيحة "(٤)

ولقد قبلت الكنيسة فى البداية عشرين كتابا من كتب العهد الجديد وهى الأناجيل الأربعة، وثلاث عشرة رسالة لبولس، ورسالة بطرس الأولى، ورسالة يوحنا الأولى، وسفر الأعمال، أما السبعة الباقية وهى الرسالة إلى العبرانيين، ورسالة يعقوب، والرسالة الثانية لبطرس، ورسالة يهوذا، ورؤيا يوحنا، والرسالة الثانية والثالثة ليوحنا، " فقد حدثت بخصوصها مناقشات والبعض ارتاب فيها لأن الخمسة الأولى منها لم يصرح فيها باسم الكاتب، والاثنين الأخيرين كل منهما خطاب لشخص ،وذلك يجعل صعوبة فى برهان صدق قانونيتها(٥)... إلى أن تمت الموافقة عليها فى مجمع قرطاجنة الذى انعقد سنة ٣٩٧م، وهو أول مجمع صدق على المجموعة الكاملة لأسفار العهد الجديد، ولم يصدق نهائيا مجمع الكنائس الشرقية على قانونية هذه الأسفار إلا فى سنة ٦٩٢م "(٦).

---

(١) دائرة المعارف البريطانية (٢ / ٥١٤) راجع المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص ٣٥.

(٢) جون لوريمر: تاريخ الكنيسة (١ / ١٥٢)

(٣) وهو بطريرك الإسكندرية الذى كان له الأثر فى تقرير عقيدة الثالوث فى مجمع نيقية، وقد ولد عام ٢٩٦م بمدينة الإسكندرية من والدين وثنيين ودخل المسيحية وهو فى بداية سن الشباب ثم بعد ذلك أصبح من رجال الكنيسة ثم بطريركا لكنيسة الإسكندرية حتى توفى عام ٣٧٣م . راجع لمزيد من المعلومات: تاريخ الكنيسة القبطية ص ١١٦.

(٤) المرجع السابق ص ١٣٩

(٥) راجع: د / فهيم عزيز: المدخل إلى العهد الجديد ص ١٥٤ ، علم اللاهوت النظامى ص ٩٨.

(٦) حبيب سعيد: المدخل إلى الكتاب المقدس ص ٢٢٨.

ويجب أن نضع فى الاعتبار حقائق عن هذا الاختيار:

أولا: أن هذه الأناجيل لم توجد فى القرون الأولى، ولم تكن هى أساس الاعتقاد وأن المسيحيين الأولين ماتوا قبل كتابة سطر واحد من هذه الأناجيل، وأن الكنيسة هى التى اختارت هذه الأناجيل، لذلك يقول كالتوف: إن صورة المسيح بكل معالمها وملاحمها أعدت قبل أن يكتب سطر واحد من الأناجيل "(١)

ويقول د/ براون: إن الجيل الأول من المسيحيين عاش حياة الإيمان قبل أن يكون الكتاب المقدس ما عدا العهد القديم، وذلك لأن الكنيسة لم تكن من صنع الكتاب المقدس، بل العكس هو الأصح فإن الكتاب المقدس هو من صنع الكنيسة، وقد انقضت أجيال كثيرة قبل أن تظهر أسفار الإنجيل فى وضعها الحالى وسرعان ما ظهرت حتى غدت سندا قويا للإيمان والكنيسة، فالإنجيل لم يكن أساس إيماننا (٢)، فإن كثيرا من المسيحيين عاشوا وماتوا قبل أن يقرأوا كلمة واحدة من أسفار الإنجيل "(٣).

" ومن هنا نعلم أن الكتاب المقدس هو من صنع الكنيسة واختيارها وأنها هى التى اختارت الأسفار ومن تنسب إليهم "(٤)

فلقد اختارت الكنيسة الأسفار التى تتفق مع معتقداتها، وسلمت بها، وجعلتها كتبا قانونية، ورفضت ما يخالف رغبتها، وحرمتها وأحرقتها وأبادتها من الوجود.

ثانيا: لقد وضح للباحثين أن رسائل بولس كانت أساسية فى هذا الاختيار، فهى أقدم أسفار العهد الجديد، وهى أولى أسفار العهد الجديد(٥) كتابة وقبولا كرسائل قانونية.

---

(١) راجع: محمد الطهطاوى: النصرانية والإسلام ص ٣٩.

(٢) لا زال الكلام للدكتور براون.

(٣) شرح رسالة كورنثوس الأولى، تعريب حبيب سعيد ص ١٤.

(٤) د/ السعيد طه: التشريع فى اليهودية والنصرانية والإسلام ص ٦٢.

(٥) المدخل إلى الكتاب المقدس ص ٢٨٨،

يقول جون لوريمر: " ومن الأهمية بمكان أن نذكر أن الوثائق الأولى كانت رسائل بولس، وقد ركزت أساسا على أمور لا هوتية، وتعاليم خاصة بالسلوك الشخصى والأمور الدينية، ولم يكن بها شئ يذكر عن حياة المسيح أو أية اقتباسات من تعليمه أو صلواته أو أمثاله"(١).

فرسائل بولس هى أولى الوثائق الثابتة فى المسيحية(٢) وهى رسائل خلت من تعاليم المسيح عليه السلام وصلواته..

وكذلك أيضا كانت رسائل بولس هى " أول ما قبل من الأسفار، ثم الأناجيل الأربعة، ثم الأعمال، ، ودخلت بقية الأسفار فى الاعتبار القانونى تباعا "(٣).

وإذا كانت رسائل بولس - رغم علاتها - هى أول ما قبل من الأسفار القانونية فإن معنى ذلك أنها هى التى أصبحت المقياس والمعيار لما يقبل بعدها - أى أن الأناجيل والرسائل التى تقبل بعد ذلك لابد أن توافق رسائل بولس، حتى لا يقع تناقض فى المعتقدات، ولذلك قبلت الكنيسة من الأناجيل والرسائل ما يوافق رسائل بولس معتقدا وفكرا، وبهذا يتبين خطر هذه الرسائل على المسيحية، لذلك خصصنا الفصل التالى لبولس ورسائله لما له من أهمية بالنسبة لموضوع دراستنا.

وسوف نركز هنا على الأناجيل الأربعة وهل تصلح أن تقوم مقام الإنجيل الصحيح؟

التعريف بالأناجيل الأربعة:

يختلف الدارسون عند دراسة الأناجيل، بأى الأناجيل يبدأون؟ فالبعض يبدأ بإنجيل مرقس باعتباره أول الأناجيل زمنيا..

والبعض الآخر يبدأ بإنجيل متى باعتباره الأول فى الترتيب المكانى..

وسوف نسير على النظام الثانى، وذلك لأن الكنيسة المسيحية قدمت إنجيل متى فى الترتيب ولأنه - كما يقول د / فهيم عزيز - يعتبر أحب الأناجيل إلى الكنيسة المسيحية عامة، وأكثرها شعبية فيها، فهو الأقرب دائما، والأكثر استعمالا فيها "(٤)

---

(١) جون لوريمر: تاريخ الكنيسة (١ / ٨٣).

(٢) موريس بوكاى: دراسة الكتب المقدسة ص ٧٣.

(٣) رولاند بينتون: مواقف من تاريخ الكنيسة ص ٢٣.

(٤) المدخل إلى العهد الجديد ص ٢٤٢.

(١) **إنجيل متى:**

ينسب هذا الإنجيل إلى " متى " أحد تلاميذ المسيح الاثنى عشر، وكان من " العشارين [١] " أى " جباة الضرائب " للدولة الرومانية فى كفر ناحوم من أعمال الجليل بفلسطين، وكانت هذه الوظيفة محتقرة جدا من اليهود، لأنها من جهة تلجئ محترفها إلى الظلم، وتشير من جهة ثانية إلى الخضوع لسيادة أجنبية [٢]، وطالما اقترنت أسماؤهم بالخطاة والوثنيين [٣].

ولكن المسيح عليه السلام اختاره تلميذا من تلاميذه، كما هو مذكور فى الإنجيل المنسوب إليه " وفيما يسوع مجتاز من هناك رأى إنسانا جالسا عند مكان الجباية اسمه " متى " فقال له اتبعنى، فقام وتبعه، وبينما هو متكئ فى البيت إذا عشارون وخطاة كثيرون قد جاءوا واتكأوا مع يسوع وتلاميذه، فلما نظر الفريسيون قالوا لتلاميذه لماذا يأكل معلمكم مع العشاريين، والخطاة، فلما سمع يسوع قال لهم لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى " [٤].

" ولما صعد المسيح إلى السماء جال للتبشير فى بلاد كثيرة ثم مات سنة ٧٠م ببلاد الحبشة إثر ضرب مبرح أنزله به أحد جنود ملك الحبشة، وفى رواية أخرى أنه طعن برمح فى سنة ٦٢م، وبعد أن قضى نحو ثلاث وعشرين سنة مبشرا بالمسيحية ـ كما هو الراجح " [٥].

اللغة التى كتب بها هذا الإنجيل:

الرأى السائد بين العلماء والمؤرخين أن " متى " كتب إنجيله للعبرانيين بلغتهم أى بالآرامية.

---

(١) لزيادة المعلومات عن " العشار " ومهمته واحتقار اليهود له (راجع فولتون شين: حياة المسيح دراسة وتأمل ص ٨٥، القس إنسطاسى شفيق : الفداء فى إنجيل لوقا ص ٢٥٠ ـ ٣١٤).

(٢) لجنة التاريخ القطبى: تاريخ الأمة القبطية (٢/ ٥٢).

(٣) بنيامين بنكرتن: تفسير إنجيل متى ص ١٢.

(٤) متى ٩: ٩ـ ١٢.

(٥) لجنة التاريخ القبطى: تاريخ الأمة القبطية (٢ / ٥٢ ، ٥٣).

يقول يوسابيوس:

" إن متى الذى كرز للعبرانيين كتب إنجيله باللغة الوطنية " (أى بالآرامية)[١].

وينقل يوسابيوس عن المسيحيين السابقين هذا القول.

فلقد نقل عن بابياس ـ الذى عاش فى القرن الثانى الميلادى ـ قوله: " وهكذا كتب متى الأقوال الإلهية باللغة العبرانية، وفسرها كل واحد على قدر استطاعته "[٢].

وكذلك أيضا ينقل عن إيرينايوس[٣] ـ الذى ولد فى أوائل القرن الثانى وتوفى عام ٢٠٠م ـ قوله: " لقد نشر متى إنجيله بين العبرانيين بلغتهم، إذ كان بطرس وبولس يكرزان ويؤسسان الكنيسة فى روما "[٤].

فالرأى السائد هو أن " متى " كتب إنجيله باللغة الآرامية " ولكن هذا الأصل فقد[٥] ولم يصل إلى المسيحيين إلا النسخة المترجمة إلى اليونانية.

يقول بولس إلياس اليسوعى: لكن النسخ الآرامية فقدت، ولم يبق منها سوى ترجمتها اليونانية "[٦].

ويقول ول ديورانت: ولكنه لم يصل إلينا إلا باللغة اليونانية "[٧]

ولا يعرف من الذى ترجمه إلى اليونانية؟ ولا تاريخ هذه الترجمة!

يقول حبيب سعيد: " ولسنا ندرى من الذى نقلها إلى اللغة اليونانية"[٨].

---

(١) يوسابيوس : تاريخ الكنيسة ص ١٤٩.

(٢) المصدر السابق ص ١٧٨.

(٣) عن حياة هذا المؤلف راجع جون لو ريمر : تاريخ الكنيسة (١ / ١٣٦).

(٤) يوسابيوس: تاريخ الكنيسة ص ٢٥٣.

(٥) سبينوزا: رسالة فى اللاهوت والسياسة ص ٢٥٦.

(٦) بولس الياس اليسوعى: يسوع المسيح ٢١.

(٧) قصة الحضارة (مج ٣ ج ٣ص ٢٠٨).

(٨) المدخل إلى الكتاب المقدس ص ٢٤٥.

وهكذا فقد النص الأصلى، ولم يبق إلا النص اليونانى المترجم، ولم يعلم إلى الآن كيف ترجم هذا الإنجيل؟ ومن هو المترجم؟ وما هو حاله من القوة والضعف فى الدين؟ وهل هو من المسيحيين أو اليهود أو غيره؟[١].

وكيف يصح نسبته إلى " متى " ولا يعلم مدى صحة هذه الترجمة؟ وهل يستطيع المسيحيون أن يصلوا إلى التحقق من صحة هذه الترجمة؟ الحق " أنه يستحيل تحقيق صحة الترجمة وذلك لعدم وجود الأصل "[٢].

هل إنجيل بهذه الحالة يصلح مصدرا؟

تاريخ كتابة هذا الإنجيل:

اختلف المسيحيون اختلافا كبيرا حول تاريخ كتابة هذا الإنجيل، ولا تستطيع أن تجد اتفاقا حول تاريخ معين لكتابة هذا الإنجيل..

البعض يقول إنه كتب حوالى عام ٤١م[٣] وذلك عندما أراد أن يترك شعبه ليذهب إلى بلد آخر للتبشير، وكان ذلك عندما كان بطرس وبولس فى روما[٤]

يقول د/ فهيم عزيز: " ولكن هذا الرأى يناقضه ما جاء فى سفر الأعمال الإصحاح الخامس عشر، وسفر غلاطية الإصحاج الثانى ٢ : ١ - ١٥ حيث يظهر أن الإرسالية خارج اليهود لم تكن إلا عن طريق بولس وبرنابا، وكان ذلك ابتداء من سنة ٤٩م، أما بقية الرسل فلم يكن عندهم تفكير جدى فى اتخاذ هذه الخطوة لتقديم الإنجيل إلى الأمم، وإلى جانب ذلك فهناك عبارات فى إنجيل متى تدل على أنه كان قد مضى وقت طويل على حدوث الأحداث العظيمة التى يسجلها هذا الإنجيل مثل " إلى هذا اليوم " متى ٢٧ : ٨، ٢٨ : ١٥ "[٥].

---

(١) عبد الرحمن باجة: الفارق بين المخلوق والخالق ص ٢١.

(٢) الفاصل بين الحق والباطل ص ٢٣.

(٣) جاد المنفلوطى: نظرات فى الإنجيل ص ٢٢.

(٤) المدخل إلى العهد الجديد ص ٢٤٧.

(٥) المرجع السابق ص ٢٤٧، ٢٤٨.

ثم يقول: " إذا أخذ كل ذلك فى الاعتبار فيمكن أن نقول مع كثيرين من العلماء أن الكتاب قد كتب بعد سنة ٧٠م ، وربما ما بين ٧٥ ـ ٨٠م، وعلى كل حال هذا رأى غير قاطع "[١]

والبعض يقول ما بين سنة ٨٠م و ٩٠ م[٢] فيحتمل أن يكون فى أى سنة من عام ٧٥إلى عام ٩٠م.

ويقول جون فنتون: " كتب هذا الإنجيل فى الفترة من عام ٨٥إلى ١٠٥م

وعلى أية حال فيمكن القول بأنه كتب فى الربع الأخير من القرن الأول، أو فى السنوات الأولى من القرن الثانى "[٣].

وهكذا اختلف المسيحيون حول تاريخ كتابة هذا الإنجيل. "

والحق أن باب الاختلاف فى شأن تاريخ كتابة هذا الإنجيل لا يمكن سده، ولا يمكن ترجيح رواية ،ولا جعل تاريخ أولى من تاريخ بالاتباع "[٤]

هل نسبة هذا الإنجيل إلى متى الحوارى صحيحة؟

إن نسبة هذا الإنجيل إلى " متى " الحوارى مشكوك فى صحتها حتى بين الدارسين المسيحيين.. يقول حبيب سعيد: " أما (متى) فلا ينعقد الإجماع على أنه مؤلف البشارة التى تحمل اسمه، ذلك لأن واضع هذه الرسالة كان يهوديا غير معروف "[٥] . ويقول : " فالتاريخ لم يذكر اسم الكاتب الحقيقى "[٦].

ويقول د/ فهيم عزيز عن كاتب هذا الإنجيل: " إننا لا نستطيع أن نعطيه اسما، قد يكون متى الرسول، وقد يكون غيره "[٧].

---

(١) المرجع السابق ص ٢٤٨.

(٢) المدخل إلى الكتاب المقدس ص ١٤٤.

(٣) راجع: المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص ٥٩.

(٤) محاضرات فى النصرانية ص ٥٣.

(٥) المدخل إلى الكتاب المقدس ص ٢٢٢.

(٦) المرجع السابق ص ٢٤٣.

(٧) المدخل إلى العهد الجديد ص ٢٤٥.

وجاء فى مقدمة الترجمة المسكونية للعهد الجديد - التى اشترك فى تأليفها مائة متخصص من الكاثوليك والبروتستانت - " أن اسم المؤلف غير معروف بالتحديد "(١)

وعليه فإن هذا الإنجيل - كما يقول القسيس نورتن - المنسوب إلى " متى " ليس من تصنيفه والتحريف واقع فيه يقينا "(٢).

ولقد ساق الباحثون المسيحيون أنفسهم الأدلة على أن هذا الإنجيل ليس من وضع الحوارى " متى " وإليك أهم هذه الأدلة :

أولا : " أن هذا الإنجيل اعتمد فى تكوينه على إنجيل مرقس ، فلقد استنتج العلماء أن إنجيل مرقس كان فى متناول يد الإنجيليين (متى ، ولوقا) وأنهما قد استخدماه أساسا لكتابيهما ، ولقد كان إنجيل متى أكثر الاثنين استخداما لهذا الكتاب فى ترتيب الحوادث وفى اقتباس جمل وكلمات كثيرة منه ، وهذه حقيقة معروفة لدى جميع الدارسين.

وهنا يتساءل البعض : لو قيل إن لوقا اقتبس من مرقس لما كان من حرج ، لكن كيف يكون الحال مع " متى " لو كان حقيقة تلميذ المسيح المعروف؟ ألا يعتبر ذلك أمرا غير محتمل؟ هل يعتمد التلميذ وخصوصا تلميذ كمتى له عقليته المرتبة الواعية أن يعتمد على مصدر لم يكن له نفس القرب الذى له ؟ كيف يعتمد " متى " التلميذ على " مرقس " تلميذ التلميذ؟ "(٣).

فلو كان " متى " الحوارى هو مؤلف هذا الإنجيل لما نقل نقلا عن إنجيل مرقس ، ولما اتخذه مصدرا لإنجيله(٤).

ثانيا : إن أسلوب الإنجيل نفسه يدل على أنه أسلوب الشخص الذى أخذ المادة من مرقس ، وأجرى فيها بعض التلميح - إن جاز هذا التعبير - وأسلوبه يدل على أنه الشخص الذى جلس يفكر ويصلح ، وليس الشخص الذى شاهد بعينه ثم ذكر ما

(١) موريس بوكاى : دراسة فى الكتب المقدسة ص ٨١.
(٢) راجع بكر بن السيد عمر التميمى : السيف الصقيل ص ٣١.
(٣) المدخل إلى العهد الجديد ص ٢٤٤.
(٤) المدخل إلى الكتاب المقدس ص ٢٤٥.

رأى وعرف"[١] فلو كان هذا الإنجيل من تأليف " متى " الحوارى لكتب بأسلوب الشخص الذى شاهد وعاين الأحداث.

وعليه فإن نسبة هذا الإنجيل إلى " متى " تلميذ المسيح نسبة غير صيحة ولم يُجد بحث العلماء المسيحيين وغيرهم فى التعرف على صاحب هذا الإنجيل.

لذلك يقول حبيب سعيد: " وكنا نود أن نعرف من كان هذا الكاتب "[٢].

وننتهى من الحديث عن إنجيل " متى " إلى ما يلى:

(١) أن النسخة الأصلية لهذا الإنجيل كانت باللغة الآرامية، ولكن هذه النسخة فقدت ولم يبق إلا النسخة المترجمة إلى اليونانية.

(٢) أن مترجم هذا الإنجيل إلى اللغة اليونانية مجهول الهوية، ولم يعرف هل هو يهودى أم مسيحى؟ وهل هو على علم باللغتين (الآرامية واليونانية) أو لا ؟ وهل ترجمه ترجمة حرفية أم زاد فيها؟وهل كان وفيّاً فى نقل النص الأصلى؟ أم أنه أدخل فيه معتقداته وثقافته؟

(٣) أن تاريخ كتابة هذا الإنجيل مجهول، والاختلاف حوله ليس له حد.

(٤) أن نسبة هذا الإنجيل إلى متى الحوارى نسبة غير صحيحة، وأن الأدلة قامت على أنه كتبه شخص آخر غير "متى " الحوارى، ولكن هذا الشخص لم يعرف، ولم يصل الباحثون والمسيحيون إلى حل فى معرفة من هو مؤلف هذا الإنجيل؟

وهل كتاب بهذه الصورة يصلح أن يكون سندا أو دستورا مقدسا لديانة؟.

(٢) إنجيل مرقس:

لقد أبان النقد الحديث أن إنجيل مرقس استعمل مصدرا فى كتابة إنجيل متى، ولوقا، وهذا يعنى أن إنجيل مرقس أقدم الأناجيل، وأنه له الأسبقية فى الزمن على سائر الأناجيل الموجودة حاليا فى العهد الجديد[٣].

---

(١) المدخل إلى العهد الجديد ص ٢٤٤.

(٢) المدخل إلى الكتاب المقدس ص ٢٤٥.

(٣) راجع: طه باقر: مقدمة فى تاريخ الحضارات (٢/ ٣٣٠) ، قصة الحضارة (مجلد ٣ ج ٣ ص ٢٠٨) ، المدخل إلى العهد الجديد ص ٢١٥ ، ٢١٦.

ينسب هذا الإنجيل إلى " مرقس " واسمه " يوحنا "، وأما " مرقس " فلقبه.

ولد " مرقس " من أبوين يهوديين كانا يقيمان فى مدينة القيروان بأفريقية، وبعد أن تعرضا لهجوم قبائل البربر انتقلا إلى بيت المقدس، وهناك يحتمل أن يكونا قد أنجبا ابنهما مرقس، وكان ذلك بعد ميلاد المسيح بوقت قصير"[١].

ولم يكن مرقس هذا من الحواريين الاثنى عشر الذين تتلمذوا على المسيح واختصوا بالقرب منه.

يقول زكى شنودة : " وكان مرقس من أوائل الذين آمنوا بالمسيح فاختاره ضمن السبعين رسولا ـ الذين نزل عليهم الروح القدس فى اعتقادهم بعد رفعه ـ وكان يتردد على بيته، ويقال إنه أكل الفصح عنده مع تلاميذه "[٢]..

وكان بيته ـ كما يشير سفر الأعمال[٣]ـ مكان اجتماع التلاميذ بعد رفع المسيح، وكان مرقس ابن أخت برنابا، وفى سنة ٤٧م رحل هو وبرنابا برفقة بولس إلى قبرص فى رحلة تبشيرية[٤]، لكن مرقس ـ كما يقول باركلى ـ تراجع[٥] وعاد إلى وطنه، ولم يعرف السبب، ربما احتج لأن برنابا لم يكن فى مكان القيادة، وربما خاف من الرحلة إلى أنطاكية بسيدية، لأن الطريق إليها من أصعب وأخطر الطرق، و ربما شك فى جدوى الكرازة للأمم لأنه جاء من أورشليم، وربما كانت هذه شخصيته، شخصية الشاب الغر الذى يبدأ أى شئ بحماس لكنه لا يكمله، المهم أنه عاد"[٦].

ولما خرج بولس فى رحلته التبشيرية الثانية أراد برنابا أن يصطحب معه مرقس لكن بولس رفض[٧]، وكانت النتيجة أن افترق بولس وبرنابا نهائيا ومنذ هذه اللحظة ـ كما يقول باركلى ـ اختفى اسم مرقس من التاريخ ،وإن كان التقليد الشائع يقول : إن مرقس ذهب إلى الإسكندرية فى مصر، وأسس الكنيسة هناك "[٨].

---

(١) د/ جوزيف نسيم يوسف : دراسات فى تاريخ العصور الوسطى ص ٤٩.
(٢) تاريخ الأقباط (١ / ٧٦).
(٣) أعمال ١٢ : ١٢.
(٤) أعمال ١٢ : ٢٥.
(٥) أعمال ١٣ : ١٣.
(٦) تفسير العهد الجديد (سفر الأعمال) ص ١٦٤.
(٧) أعمال ١٥ : ٣٨.
(٨) تفسير العهد الجديد (أعمال الرسل) ص ١٦٤.

ويقول المسيحيون: إن مرقس كان يذهب إلى رومية مع بطرس ليعاونه فى مجال الدعوة[١] حتى استقر به الحال فى مصر وقتل فيها عام ٦٨م "[٢].

اللغة التى كتب بها هذا الإنجيل:

يقول البعض : " إن مرقس كتب إنجيله باليونانية فقط[٣]،

والبعض يقول إنه كتبه باللغة اليونانية والقبطية" [٤].

ويقول د/ جوزيف نسيم يوسف: " ويحتمل أن يكون القديس مرقس قد وضع إنجيله باللاتينية أو اليونانية أو باللغتين معاً "[٥]..

فهل كتبه مرقس باليونانية فقط أم أنه كتبه باليونانية وغيرها؟ اختلاف بين المسيحيين.

تاريخ ومكان كتابة هذا الإنجيل:

اختلف المسيحيون فى تحديد تاريخ كتابة هذا الإنجيل:

(١) فالذين يتمسكون بالتقليد المصرى ـ الأقباط ـ يؤكدون أن الإنجيل كتب فى منتصف الأربعينات.

(٢) والبعض يذكر أنه كتب فيما بين عامى ٣٩ ـ ٤٠م.

(٣) والبعض يذكر أنه كتب فى الخمسينات.

(٤) وآخرون يعتقدون أنه كتب فيما بين سنة ٦٤ ـ ٧٠م "[٦].

وهذا الاختلاف مبنى على أساس هل كتبه مرقس فى مصر أو فى روما؟

وهل كتبه بتدبير بطرس أم بعد موته؟

---

(١) المدخل إلى الكتاب المقدس ص ٢٤٨.

(٢) إيريس حبيب المصرى : قصة الكنيسة القبطية (١ / ٢٦).

(٣) تاريخ الأقباط (١ / ٧٦).

(٤) القس منسى يوحنا : تاريخ الكنيسة القبطية ص ١٤.

(٥) دراسات فى تاريخ العصور الوسطى ص ٥٠.

(٦) المدخل إلى الكتاب المقدس ص ٢١٩ ، ٢٢٠ ، راجع أيضا : بماذا يؤمن المسيحيون: تعريب: إسحاق مسعد ص ٤٤.

فالقائلون بأنه كتب فى مصر قالوا: إنه كتب فى الأربعينات، والقائلون إنه كتب فى رومة، قالوا إنه كتب فى الستينات.

ولا شك أنه يظهر للدارس أن منشأ هذا الاختلاف يرجع إلى الاختلاف بين الكاثوليك والأقباط الأرثوذكس، حيث إن الأولين يعتقدون أن بطرس هو مؤسس الكنيسة الكاثوليكية فلابد وأن تكون له الريادة، ولذلك اعتقدوا أن مرقس كتب إنجيله فى روما بتدبير بطرس، بينما وقف الأقباط الأرثوذكس ضد هذا الرأى، وقالوا إن مرقس كتب إنجيله فى الأربعينات فى مصر بعيدا عن بطرس.

وإليك تفصيل هذا الاختلاف.

اختلف المسيحيون حول مكان كتابة هذا الإنجيل:

الرأى الأول: يقول إن مرقس كتبه فى روما وكان هو اللسان الناطق لبطرس(١) واستدل أصحاب هذا الرأى بأقوال الأقدمين:

يقول اكلميندس الإسكندرى - عاش فى النصف الثانى من القرن الثانى وأوائل القرن الثالث الميلادى - أما إنجيل مرقس فقد كانت مناسبة كتابته هكذا: لما كرز بطرس بالكلمة جهارا فى روما وأعلن الإنجيل طلب كثيرون من الحاضرين إلى مرقس أن يدون أقواله لأنه لازمه وقتا طويلا، وكان لا يزال يتذكرها، وبعد أن كتب الإنجيل سلمه لمن طلبوه"(٢).

ويظهر من هذا القول أن مرقس كتبه بناء على طلب أهل روما، وسلمه إليهم بعد تبشير بطرس بينهم.

وبعض المسيحيين يفسر كتابة مرقس لإنجيل بطرس " لأنه - أى بطرس - كان يجهل اليونانية، ولا يعرف سوى الآرامية، فلما قضت الظروف بذهابه إلى روما وبإقامته فيها استدعى مرقس ليترجم له بين الرومانيين وسكان روما "(٣)

وآخرون يقولون إن مرقس كتبه بعد موت بطرس(٤).

---

(١) راجع يوسابيوس: تاريخ الكنيسة ص ١٧٨.

(٢) المصدر السابق ص ٣٠٣.

(٣) د/ أسد رستم: الروم ص ٤٠.

(٤) دافيد براون: هل صلب المسيح ص ٧.

الرأى الثانى: يقول إن مرقس كتب إنجيله فى مصر قبل أن يلتقى ببطرس[١]، وأن أهل مصر هم الذين طلبوا منه أن يكتب لهم هذا الإنجيل[٢]

وهناك رأى ثالث يقول: إن مرقس كتب إنجيله فى إنطاكية، ويدل على ذلك وجود الكلمات الآرامية فيه[٣].

وهكذا نرى اختلافا كبيرا بين الروايات ،ولا ندرى أيها الصواب من كثرة الاختلاف.

هل نسبة هذا الإنجيل إلى مرقس صحيحه؟

" الحق أن ذلك الاختلاف حول تاريخ ومكان كتابة هذا الإنجيل وإن كان زمنيا فى ظاهره، هو فى معناه ولبه اختلاف فى شخص المحرر لهذا الإنجيل[٤]". وهذا الأمر هو الذى حدا ببعض اللاهوتيين المسيحيين أن يشكك فى نسبة هذا الإنجيل إلى مرقس.

يقول نينهام ـ أستاذ اللاهوت بجامعة لندن ـ : " من غير المؤكد صحة القول المأثور الذى يحدد مرقس كاتب الإنجيل بأنه يوحنا مرقس..

لقد كان من عادة الكنيسة الأولى أن تفترض أن جميع الأحداث التى ترتبط باسم فرد ورد ذكره فى العهد الجديد إنما ترجع جميعها إلى شخص واحد له هذا الاسم، ولكن عندما نتذكر أن اسم مرقس كان أكثر الأسماء اللاتينية شيوعا فى الإمبراطورية الرومانية فعندئذ نتحقق من مقدار الشك فى تحديد الشخصية فى هذه الحالة"[٥].

ومن ناحية أخرى فإن الإنجيل لا يحمل أية شهادة داخلية تبين من هو كاتب هذا الإنجيل؟ لذلك يقول جاد المنفلوطى: ولئن كانت البشارة لا تتضمن أية

(١) تاريخ الكنيسة القبطية ص ١٤ ـ ١٥.
(٢) قصة الكنيسة القبطية ص ٢٥.
(٣) المدخل إلى العهد الجديد ص ٢٢٠.
(٤) محاضرات فى النصرانية ص ٥٦.
(٥) نينهام: تفسير إنجيل مرقس ص ٣٩. راجع المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص ٥٢.

شهادة داخلية صريحة تفصح عن كاتبها، إلا أنها تؤكد أن كاتبها يهودى يتحدث اليونانية "[١].

فالمسيحيون أنفسهم لم يتحققوا من شخصية الكاتب، ولذا فنسبته إلى مرقس مشكوك فى صحتها..

وهل كتاب بهذه الصفة من الاختلاف حول تاريخ ومكان كتابته، وعدم التحقق من شخصية كاتبه، يستحق أن يكون مصدرا دينيا أساسيا؟

(٣) إنجيل لوقا:

ينسب هذا الإنجيل إلى لوقا، وينسب إليه أيضا سفر أعمال الرسل، وهو ليس من تلاميذ المسيح ولا من تلاميذ حوارييه، بل هو تلميذ بولس الذى لم ير المسيح ولم يتتلمذ عليه..

ولد فى إنطاكية ودرس الطب ومارسه[٢]، وكان مرافقا لبولس، رافقه فى أسفاره، وأعماله، ويروى بعضهم أنه قتل فى حكم نيرون، ويقول البعض الآخر إنه قتل عام ٧٠م فى مدينة بتراس(ببلاد اليونان)[٣].

ولوقا كان أمميا - غير يهودى - وهو الوحيد بين كتبة العهد الجديد الذى لم يكن يهوديا[٤]. وقد ذكر لوقا فى العهد الجديد فى ثلاثة مواضع كلها فى الرسائل التى تنسب إلي بولس[٥].

لمن كتب لوقا إنجيله؟

يبدأ لوقا إنجيله بمقدمة يوضح فيها: لماذا كتب هذا الإنجيل ؟ وكيف؟ يقول: " إذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها إلينا الذين

---

(١) جاد المنفلوطى: نظرات فى الإنجيل ص ٤٥.

(٢) البعض يقول: إنه لم يكن طبيبا وإنما كان فنانا وأنه رسم صورة للعذراء مريم. (راجع المدخل إلى الكتاب المقدس ص ٢٥٥، تفسير العهد الجديد (إنجيل لوقا) ص ٩).

(٣) لجنة التاريخ القبطى : تاريخ الأمة القبطية (٢ / ٥٣).

(٤) تفسير العهد الجديد [إنجيل لوقا] ص ٩.

(٥) كولوسى ٤ : ١٤ ، فليمون ٢٤ : ٢، ٢ تيموثاوس ٤ : ١١.

كانوا منذ البدء معاينين ، وخداماً للكلمة رأيت أنا أيضاً إذ قد تتبعت كل شئ من الأول بتدقيق أن أكتب إليك أيها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذى علمت به"(١).

ولقد حاول العلماء معرفة " ثاوفيلس " هذا الذى وجه إليه " لوقا " رسائله ، ولكنهم لم يصلوا إلى نتيجة محققة ، ولم يتعد الأمر سوى تقديم بعض الفروض والتخمينات حول شخصية ثاوفيلس هذا.. لذلك يقول باركلى : " وليس أمامنا إلا التخمين لمعرفة شخصية هذا الرجل "(٢).

ويقول : " قد يكون ثاوفيلس هذا اسما وهميا ، أو اسما مستعارا ، وقد يكون شخصا حقيقيا "(٣).

تاريخ كتابة هذا الإنجيل

لا خلاف بين المسيحيين فى أن إنجيل لوقا كتب باليونانية(٤)

أما تاريخ كتابة هذا الإنجيل ففيه اختلاف بين العلماء المسيحيين.

يقول حبيب سعيد : " يذهب البعض إلى أن لوقا أكمل الإنجيل وسفر الأعمال حوالى سنة ٦٥م قبل موت بولس ، وذلك لأن سفر الأعمال لم يذكر شيئا عن موت بولس.

ويذهب فريق آخر من العلماء إلى أن لوقا حذف عمدا حادثة قتل بولس لغرض خطير لا نعرفه ، وإلى أنه أكمل سفريه حوالى سنة ٧٥م ، وذلك لأن الإنجيل يذكر حادثة سقوط أورشليم وكانت حوالى سنة ٧٠م.

وهناك فئة أخرى من العلماء تعتقد أن إنجيل لوقا كتب حوالى سنة. ٩٠ م"(٥).

وهكذا نرى اختلافا كبيرا حول تاريخ كتابة الإنجيل.

---

(١) لوقا ١ : ١ ـ ٤.

(٢) تفسير العهد الجديد (أعمال الرسل) ص٧.

(٣) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٤) تاريخ الأقباط ١ / ٧٦.

(٥) المدخل إلى الكتاب المقدس ص ٢٥٥ ، راجع أيضا المدخل إلى العهد الجديد ص ٢٧٦ وما بعدها.

ونخلص من هذا الإنجيل إلى ما يلى:

(١) أن لوقا ليس من تلاميذ المسيح ولا من تلاميذ حوارييه بل من تلاميذ بولس، وبولس هذا له شأن خطير فى المسيحية، هذا إلى جانب أن لوقا لم يكن يهوديا، وإنما هو وثنى دخل المسيحية، والوثنيون لهم دخل كبير فى تحريف الديانة النصرانية.

(٢) أن الإنجيل عبارة عن رسالة إلى شخص لم تعرف هويته.

(٣) أن المسيحيين لم يحددوا تاريخ كتابته.

(٤) ونضيف هنا أن اسم لوقا لم يذكر فى الإنجيل، فلم ينسب لوقا لنفسه هذا الإنجيل، وإنما الكنيسة هى التى نسبته إليه.

يقول حبيب سعيد: واسم المؤلف لا يظهر فى أى من السفرين - الإنجيل ورسالة الأعمال - ولكن منذ القرن الثانى نسب التقليد هذين السفرين إلى لوقا "[١].

(٤) إنجيل يوحنا:

ينسب هذا الإنجيل إلى يوحنا أحد تلاميذ المسيح الاثنى عشر ..

ولد يوحنا فى بيت صيدا من أعمال الجليل، وهو ابن زبدى وسالومى، وأخو يعقوب الكبير[٢]، وقد كان المسيح يحبه حتى أنه استودعه والدته وهو فوق الصليب - كما يزعم المسيحيون، وفى أيام الاضطهادات الأولى نفاه القيصر دومتيانوس إلى جزيرة بطمس (إحدى الجزر على شواطئ آسيا الصغرى)، ثم عاد إلى أفسس لبث يبشر فيها حتى توفى شيخا[٣].

لماذا كتب هذا الإنجيل؟

إن هذا الإنجيل قد كتب لغرض معين، حدده كاتبه فى إحدى فقرات هذا الإنجيل يقول الكاتب: " وآيات أخر كثيرة صنع يسوع قدام تلاميذه لم تكتب فى هذا

---

(١) المدخل إلى الكتاب المقدس ص ٢٥٣.
(٢) يعقوب الكبير أخو يوحنا بن زبدى، وهو خلاف يعقوب حلفى أخو " متى " الذى سمى بيعقوب الصغير.
(٣) لجنة التاريخ القبطى : تاريخ الأمة القبطية (٢/ ٥٤).

الكتاب، وأما هذه فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله ولكى تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه"[١].

وبدأ إنجيله بقوله عن المسيح " فى البدء كان كلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله.." [٢].

أى أنه كتب هذا الإنجيل لكى يبرهن على أن المسيح هو الكلمة الأزلى، وهو ابن الله، وذلك لأنه كان قد ساد بين الناس أن المسيح ليس بإله، وإنما هو إنسان، فطلب منه أساقفة الكنيسة فى آسيا الصغرى أن يكتب إنجيلا يبين فيه أن المسيح هو ابن الله، ويرد به على هؤلاء.

يقول د/ حنا جرجس الخضرى: " فالذى دفع يوحنا إلى أن يكتب إنجيله هو ظهور بعض الهرطقات التى بدأت تشق طريقها إلى الكنيسة المسيحية"[٣].

ويقول جاد المنفلوطى: " إن يوحنا كتب البشارة تلبية لـرغبة أساقفة الكنيسة فـى آسيا الصغرى "[٤].

ويقول جرجس زوين اللبنانى: " إن جماعة لما كانوا يعلمون المسيحية بأن المسيح ليس إلا إنسانا وأنه لم يكن قبل أمه مريم، فلذلك فى سنة ٩٦م اجتمع عموم أساقفة آسيا وغيرهم عند يوحنا، والتمسوا منه أن يكتب عن المسيح وينادى بإنجيل مما لم يكتبه الإنجيليون الآخرون، وأن يكتب بنوع خصوصى لاهوت المسيح، فلم يسعه أن ينكر إجابة طلبهم" [٥]، فكتب يوحنا - على ما يعتقدون - إنجيله ردا على افتراءات هؤلاء الذين يعلمون أن المسيح إنسان مولود[٦] وكتب إنجيلا مختلفا عن الأناجيل الأخرى.

---

(١) يوحنا ٢٠ : ٣٠ ، ٣١.

(٢) يوحنا ١ : ١ - ٥.

(٣) د/ حنا جرجس الخضرى: تاريخ الفكر المسيحى، المجلد الأول صـ ٤٠٥.

(٤) جاد المنفلوطى: نظرات فى الإنجيل ص ١٠٦.

(٥) راجع عبد الرحمن باجة: الفارق بين المخلوق والخالق ص ٣٤١.

(٦) كتاب السنكسار (٢ / ٢٤٨).

ويعلل د/ موريس تاوضروس ذلك بقوله: " فقد كان يكتب لقوم يعرفون المسيح وتعاليمه، ولكنهم يواجهون موجة من الآراء الخاطئة والفلسفات الكاذبة التى أذاعها الهراطقة، فلم تكن الحاجة إذن أن يكتب يوحنا كما كتب غيره من البشيرين، بل كان عليه أن يواجه المطالب الجديدة فيقدم المسيح من زاوية مختلفة، فالأناجيل الثلاثة اهتمت على الأكثر بوقائع تمس حياة المسيح الخارجية ،بينما قدم يوحنا المسيح فى وجوده الإلهى الذى تدل عليه الأحداث، وهكذا يمكن القول إن يوحنا أراد بإنجيله أن يكمل الأناجيل الأخرى الثلاثة"(١).

ويتبين من هذا أن يوحنا كتب فى إنجيله ما لم يكتبه الأولون، وكتبه خصيصا لإثبات هذه العقيدة " وهنا لا يسع القارئ إلا أن يستنبط أمرين:

أحدهما: صريح: وهو أن الأناجيل الثلاثة الأولى ليس فيها ما يدل على ألوهية المسيح، أو هى كانت كذلك قبل تدوين الإنجيل الرابع على الأقل، وهذه حقيقة يجب تسجيلها وهى أن النصارى مكثت أناجيلهم نحو قرن من الزمان ليس فيها نص على ألوهية المسيح.

ثانيهما: أن الأساقفة اعتنقوا ألوهية المسيح قبل وجود الإنجيل الذى يدل عليها ويصرح بها، ولما أرادوا أن يحتجوا على خصومهم ويدفعوا هرطقتهم - فى زعمهم - لم يجدوا مناصا من أن يلتمسوا دليلا ناطقا يثبت ذلك فاتجهوا إلى يوحنا فكتب - كما يقولون - إنجيله الذى يشتمل على الحجة وبرهان القضية، وهذا ينبئ عن أن الاعتقاد بألوهية المسيح سابق لوجود نص فى الكتب عليه، وإلا لما اضطروا اضطرارا إلى إنجيل جديد " (٢).

تاريخ ومكان كتابة هذا الإنجيل:

اختلف المسيحيون حول تاريخ ومكان كتابة هذا الإنجيل اختلافا كبيرا، ولم يتفقوا إلا على كتابته باللغة اليونانية (٣)...

(١) د/ موريس تاوضروس: دراسات فى إنجيل يوحنا (١ / ٦٦).
(٢) محاضرات فى النصرانية ص ٦٤.
(٣) دراسات فى إنجيل يوحنا (١/ ٧٩).

أما بالنسبة لتاريخ كتابة هذا الإنجيل فنجد ميدان الاختلاف فيه واسعا، ويمكن تلخيص هذا الاختلاف بقول أحدهم: " تتأرجح آراء العلماء بالنسبة لتاريخ كتابة إنجيل يوحنا ما بين قبل سنة ٧٠م إلى ما بعد ١٦٠م أو سنة ١٧٥م [١]".

فيمكن أن يكون تاريخ كتابته فى أى سنة من هذه السنوات. لذلك نجد البعض يقول إنه ألف خلال عام ٨٥م و ٩٥م [٢]، والبعض يقول إنه ألف عام ٩٦م [٣] أو ٩٧م [٤] والبعض يقول ما بين ٩٦ - ١٠٤م [٥] إلى آخر هذه الاختلافات.

وعلى هذا فليس هناك تاريخ محدد لكتابة هذا الإنجيل...

أما بالنسبة لمكان كتابة هذا الإنجيل فنجد أيضا باب الاختلاف لا يمكن سده، فالبعض يقول [٦]: إن الإنجيل كتب فى أفسس على أساس أن يوحنا عاش فى أفسس.

ومنهم من يقول إنه كتب فى أنطاكية، وقد تمسك بعض علماء العصر الحاضر بهذا، لأنهم وجدوا بعض التشابه بين رسالة أوغناطيوس [٧] والإنجيل، وأوغناطيوس هذا أنطاكى..

ومنهم من يقول إنه كتب فى الإسكندرية، نظرا لوجود أوراق البردى فى مصر [٨]، ولأن " فيلون " [٩] الفيلسوف الإسكندرى الذى تكلم بإفاضة عن " اللوغوس " الكلمة.

---

(١) المدخل إلى العهد الجديد ص ٥٦٠.

(٢) يسوع المسيح ص ٢٧.

(٣) كتاب السنكسار (٢ / ٢٤٨).

(٤) اللاهوت فى إنجيل يوحنا ص ٩.

(٥) د/ أسد رستم: الروم ص ٤٢.

(٦) راجع هذه الآراء فى كتاب: المدخل إلى العهد الجديد ص ٥٦٢

(٧) أوغناطيوس عاش ما بين سنة ٣٥ م وسنة ١٠٧م وهو أحد الآباء وأسقف إنطاكية. راجع جون لوريمر: تاريخ الكنيسة (١ / ٨٨)

(٨) وذلك على أساس أنه اكتشف بعض أوراق البردى والتى تدل على أن إنجيل يوحنا كان معروفا فى مصر فى القرن الثانى الميلادى، ولعل هذا يشجع القول القائل بأن كاتبه أحد طلبة مدرسة الإسكندرية. (راجع توملين: فلاسفة الشرق ص ٤٠).

(٩) فيلون: ولد بالإسكندرية نحو عام ٢٠ أو ٣٠ق . م . ومات بعد عام ٥٤م ، كان يهوديا درس الفلسفة اليونانية وسائر الفلسفات التى كانت الإسكندرية تموج بها، ودرس التوراة وحاول أن يوفق بين دراسته الفلسفية وديانته اليهودية. (راجع مقدمة كتاب الآراء الدينية والفلسفية لفيلون الاسكندرى، لمؤلفه إميل بريهيه).

وأخيرا ظن آخرون أن الإنجيل كتب فى جنوب اليهودية فى فلسطين، نظرا لما فى الإنجيل من عناصر يهودية بارزة وخصوصا لمجابهة الإنجيل معهم.

وهكذا لا نجد مكانا محددا ألف فيه هذا الإنجيل، فكل رأى له أدلته، ومعظم المسيحيين مقتنعون بالرأى الأول، وذلك حتى يمكنهم ربط هذا الإنجيل بيوحنا الذى عاش فى أفسس، وذلك برغم أن أدلة هذا الرأى هى أضعف الأدل.

هل نسبة هذا الإنجيل إلى يوحنا صحيحة؟

الرأى السائد بين المسيحيين أن هذا الإنجيل كتبه يوحنا، ولكن هذا الرأى مشكوك فيه " فمن العسير التأكيد بأنه كاتب الإنجيل الذى يحمل اسمه "(١) فلم يستطيع علماء اللاهوت المسيحى والنقاد بعد الدراسة المستفيضة الوصول إلى نتيجة محددة فى صاحب هذا الإنجيل، ولم يعرف إلى الآن كاتبه الحقيقى!!

لذلك يقول د/ فهيم عزيز: " من هو الذى كتب إنجيل يوحنا؟ هذا السؤال صعب، والجواب عليه يتطلب دراسة واسعة غالبا ما تنتهى بالعبارة " لا يعلم إلا الله وحده من الذى كتب هذا الإنجيل"(٢).

ويقول توملين: إننا لا نعرف على وجه التحقيق من كتبه "(٣).

ولقد انتهى الأمر ببعض المتخصصين فى دراسة اللاهوت المسيحى إلى إنكار أن يكون يوحنا الحوارى هو كاتب هذا الإنجيل.

يقول موريس بوكاى: " إن غالبية المتخصصين لا يعتبرون أن يوحنا الحوارى هو مؤلف الإنجيل الرابع"(٤).

وفى الحقيقة أن هذا الإنكار لم يكن من ثمرات هذه الأجيال، بل ابتدأ فى القرن الثانى الميلادى، فإن بعض المسيحيين فى آخر القرن الثانى الميلادى أنكروا نسبة هذا

---

(١) موريس بوكاى: دراسة فى الكتب المقدسة ص ٧٦.

(٢) المدخل إلى العهد الجديد ص ٥٤٦

(٣) فلاسفة الشرق ص ٤٠.

(٤) دراسة في الكتب المقدسة ص ١١٨.

الإنجيل إلى يوحنا الحوارى ، وكان بين ظهرانيهم أرينيوس[١] تلميذ بوليكارب[٢] تلميذ يوحنا الحوارى ، ولم يرد عليهم بأنه سمع من أستاذه صحة تلك النسبة ، ولو كانت صحيحة لعلم بذلك حتما تلميذه بوليكارب ، ولأعلم هذا تلميذه أرينيوس ولأعلن هذه النسبة عندما شاع إنكارها "[٣]

وجاء فى دائرة المعارف البريطانية والتى اشترك فى تأليفها خمسمائة عالم من علماء المسيحية كتبوا عن هذا الإنجيل ما يلى : أما إنجيل يوحنا فإنه لا مرية ولا شك كتاب مزور أراد صاحبه مضادة اثنين من الحواريين وهما القديسان يوحنا ، ومتى. ولقد ادعى هذا الكاتب المزور فى متن الكتاب أنه الحوارى الذى يحبه المسيح ، فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاتها وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحوارى ووضعت اسمه على الكتاب نصا ، مع أن صاحبه غير يوحنا يقينا ، وإنا لنرأف ونشفق على الذين يبذلون منتهى جهدهم ليربطوا ولو بأوهى رابطة ذلك الرجل الفلسفى الذى ألف هذا الكتاب فى الجيل الثانى بالحوارى يوحنا الصياد الجليلى ، فإن أعمالهم تضيع عليهم سدى لخبطهم على غير هدى"[٤]

وهناك من الأدلة من الإنجيل نفسه ما يدل على أن يوحنا الحوارى ليس هو كاتب هذا الإنجيل وإليك بعضا من هذه الأدلة :

أولا : أن " يوحنا بن زبدى " لم يذكر أبدا فى الإنجيل ، ومع أن يوحنا المعمدان قد ذكر ، ولم يذكر الكاتب لقبه (أى يوحنا فقط دون المعمدان)[٥] وكان يجب أن يذكر اللقب لو أراد الكاتب أن يميزه عن نفسه[٦].

---

(١) أرينيوس : من آباء الكنيسة فى القرن الثانى الميلادى. ولد فى سميرنا - مدينة على الساحل الغربى لآسيا الصغرى وهى أزمير حاليا - فى أوائل القرن الثانى الميلادى حوالى ١٣٠م وتعرف فيها على بوليكاربوس ثم ذهب إلى روما وقضى وقتا بها ، ثم اختير قسيسا فى مدينة ليون وتوفى بها سنة ٢٠٠ أو ٢٠٢م. (راجع جون لوريمر : تاريخ الكنيسة (٢/ ١٣٦).

(٢) بوليكارب : من آباء الكنيسة فى القرن الثانى الميلادى ، توفى سنة ١٥٥م بمدينة سميرنا. يقول المسيحيون إنه عرف يوحنا. المرجع السابق ص ١٢٨.

(٣) إظهار الحق ص ٩٩ ، محاضرات فى النصرانية ص ٥٩.

(٤) راجع الفارق بين المخلوق والخالق ص ٤٣٢.

(٥) راجع الإصحاح الأول الفقرات التالية : ٦ ، ١٥ ، ١٩ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٢ ، ٣٥ ، ٤٠ والإصحاح الثالث الفقرات التالية : ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، والإصحاح الرابع الفقرة الأول ، والإصحاح الخامس الفقرة ٣٣ ، ٣٦ والإصحاح العاشر الفقرة رقم ٤٠.

(٦) المدخل إلى الكتاب المقدس ص ٥٥.

ثانياً : أنه جاء فى هذا الإنجيل : "هذا هو التلميذ الذى يشهد بهذا وكتب هذا ونعلم أن شهادته حق "[١] ، فقال كاتبه فى حق يوحنا هذه الألفاظ " هذا هو التلميذ الذى يشهد بهذا وشهادته" بضمائر الغائب ، وقال فى حقه " نعلم " على صيغة المتكلم فعلم أن كاتبه غير يوحنا"[٢] .

ثالثا : أن هذا الإنجيل يدل على أن كاتبه كان عالما بالفلسفات وبالمصطلحات الهلينية [٣]، والسؤال كيف يكون يوحنا هو كاتب هذا الإنجيل الذى يحمل صفة عالم الفلسفة ، وقد كتب عنه سفر أعمال الرسل بأنه عديم العلم عامى؟

يقول سفر الأعمال ما نصه :

" فلما رأوا ـ أى رؤساء وشيوخ الكهنة ـ مجاهرة بطرس ويوحنا ووجدوا أنهما إنسانان عديما العلم وعاميان تعجبوا"[٤]

إلى غير ذلك من الأدلة التى تدل على أن يوحنا الحوارى ليس هو كاتب هذا الإنجيل ، مما حدا ببعض العلماء أن يجتهد فى بيان صاحب هذا الإنجيل.

يقول شارل جنيبير : إنه أحد الآسيويين المجهولين "[٥] .

وقال البعض : " إنه من تصنيف طالب من طلبة مدرسة الإسكندرية"[٦] ..

إلى غير ذلك من الاجتهادات التى لم تخرج علينا بنتيجة محددة يعرف من خلالها صاحب هذا الإنجيل ! وكيف صنفه؟ والملابسات التى صاحبت تأليفه ! وفى أى زمان وأى مكان ألفه؟..

وعليه فلقد تبين أن العلماء لم يستطيعوا أن يوجدوا حلولا مؤكدة لمشكلات التعريف بهذا الإنجيل وكاتبه..

وهل كتاب فى مثل هذه الحالة يصلح أن يكون مصدرا ودستورا دينا؟!!

---

(١) يوحنا ٢١ : ٢٤(نهاية إنجيل يوحنا).

(٢) إظهار الحق ص ٩٩.

(٣) وقد أشار علماء الفلسفة بأن صاحب هذا الإنجيل قد تأثر بفلسفة فيلون، وأن هذا الإنجيل قد كتب تحت تأثير فيلونى صرف. (د/ عبد الرحمن بدوى : خريف الفكر اليونانى ٩٧ ، ٩٨)

(٤) أعمال ٤ : ١٣.

(٥) المسيحية نشأتها وتطورها ص ١١٣.

(٦) إظهار الحق ص ٩٩ ، فلاسفة الشرق ص ٤٠.

هل تصلح هذه الإناجيل أن تقوم مقام الإنجيل الصحيح؟
وهل يمكن أن تكون مقدسة؟

إن المسيحيين يعتقدون أن هذه الأناجيل هى مصدرهم الأساسى[١] وأنها كتاب الله الذى أوحى به إلى هؤلاء الرسل الذين كتبوه ولذلك فهى مقدسة.

يقول بولس عن ذلك: " كل الكتاب هو موحى به من عند الله ونافع للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب الذى فى البر"[٢]

وفى تعليق حبيب سعيد على هذه الفقرة يقول: " هذا ما يقوله العهد الجديد وهو قول لا حيدة عنه فى ديننا المسيحى "[٣].

وفى إقرار الإيمان المسيحى ما نصه: (نؤمن بأن الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد هو كلمة الله الموحى بها، وهوالدستور الوحيد المنزه عن الخطأ الشامل للحق الإلهى الكامل والقانون المعصوم الذى به تقاس جميع التصرفات والآراء والتعاليم الدينية[٤].

ومعنى الوحى عندهم: أن أسفار الكتاب المقدس قد كتبها أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس بكيفية أكيدة واضحة[٥]، وذلك بإعلانه لهم - كما يقولون - المكنونات ومساعدتهم إياهم على نقل المعلنات وتسطيرهما[٦].

يقول بطرس فى رسالته الثانية: " إن كل نبوة الكتاب ليست من تفسير خاص، لأنه لم تأت نبوة قط بمشيئة إنسان بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح

---

(١) جون لو ريمر : تاريخ الكنيسة (١/ ٤٠).

(٢)٢ تيموثاوس ٣: ١٦.

(٣) المدخل إلى الكتاب المقدس ص ١٥.

(٤) القس صموئيل مشرقى: المسيحية بين الكتاب المقدس والتقليد ص٥.

(٥) قانون إيمان الكنائس المعمدانية الكتابية الأولى ص ٣.

(٦) د/ أندرو وطسون : شرح أصول الإيمان ص١٩.

القدس"(١) ، ويعتقدون أنه ما دام الكتاب المقدس موحى به من عند الله فهو بالتالى "معصوم" أو "منزه من الخطأ".

وإثبات العصمة للكتاب المقدس يعنى - كما يقول د/ إدوار يونج : "إنها الكتب التى تحمل فى طبيعتها التحرر من كل خطأ، والتنزه عن الغلط وعدم القابلية للشرود أو الانحراف وهى كاملة فيما تنطق بالحق، والبعد كل البعد عن الميل والبهتان والكذب"(٢).

ويؤكد المسيحيون على إثبات هذه العصمة حتى قال أحدهم "والمسيحية كلها تدور وجودا وعدما حول الإيمان بعصمة الكتاب المقدس"(٣)، ويتمسكون بهذه العصمة أشد الاستمساك.

يقول د/ إدوار يونج : "لأنه إذا لم يكن الكتاب المقدس كتابا معصوما فلم يبق أمامنا شئ على الإطلاق يمكن أن يكون موضوع يقين أو تأكيد، وستذهب سائر العقائد الأخرى واحدة وراء الأخرى فى مهب الريح"(٤)، "وأصبح من المستحيل معرفة ما هو صحيح فيه وما هو غير صحيح، ويصبح الدفاع عن المسيحية كلها دقيقا وحرجا، ويضحى الإعلان الإلهى بأكمله مشوبا بالشبهة والشك"(٥).

وعلى هذا فالأناجيل عند المسيحيين معصومة من الخطأ ، لأنها كتبت بوحى من عند الله، والله ساق هؤلاء لكتابة هذا الوحى فى الأناجيل الموجودة بين أيديهم... ولذلك فهذه الأناجيل هى دستورهم المعصوم - فى نظرهم - ومصدرهم الأساسى لديانتهم المسيحية، أى أنها تقوم مقام الإنجيل الصحيح - إنجيل المسيح عليه السلام - الذى فقد وضاع لسبب أو لآخر.

وفى هذه الدراسة نحاول أن نبين هل هذه الأناجيل فعلا سماوية؟ أو هل هى موحى بها من عند الله؟ وهل هى معصومة من الخطأ ولذلك فهى مقدسة؟ وهل يمكن أن تقوم مقام الإنجيل الصحيح؟

---

(١) ٢ بطرس ١ : ٢٠ - ٢١.

(٢) د/ إدوار يونج : الكتاب المقدس فى الميزان ص١٣٤.

(٣) المرجع السابق ص ٧.

(٤) المرجع السابق نفس الصفحة

(٥) المرجع السابق ص ١٨٢.

والخطوة الأولى السؤال الآتى: هل هذه الأناجيل حقا كتب سماوية؟ وهل ينطبق عليها شروط الكتاب السماوى؟ أم أن أصحابها يدعون ذلك بلا برهان ولا دليل؟

الواقع أنه لأجل أن يكون الكتاب سماويا وحجة يجب الأخذ به على أنه شريعة الله ودينه ومجموع أوامره ونواهيه ومصدر الاعتقاد، يجب أن يتوافر فيه شروط[١]:

أولا: أن ينسب الكتاب إلى رسول، وأن يكون ذلك الرسول قد علم صدقة بلا ريب ولا شك، وأن يدعى ذلك الرسول أنه أوحى إليه، وأن يكون قد دعم الصدق على دعواه بمعجزة أى بأمر خارق للعادة قد تحدى به المنكرين المكذبين وأن يشتهر أمر ذلك التحدى وهذا الإعجاز، ويتوارثه الناس خلفا عن سلف ويتواتر بينهم تواترا لا يكون للإنسان مجال لتكذيبه.

ثانياً: ألا يكون ذلك الكتاب متناقضا مضطربا يهدم بعضه بعضا، فلا تتعارض تعليماته ولا تتناقض أخباره، بل يكون كل جزء منه متمما للآخر ومكملا له، لأن ما يكون عن الله لا يختلف ولا يفترق ولا يتناقض.

ثالثا: أن تكون نسبة الكتاب إلى الرسول الذى نسب إليه ثابتة بالطريق القطعى، بأن يثبت نسبة الكتاب إلى الرسول بحيث يتلقاه الأخلاف عن الأسلاف جيلا بعد جيل من غير مظنة الانتحال"[٢].

هذه هى الشروط: أن يكون الكتاب منسوبا إلى رسول علم صدقه بالبينات وأن تكون نسبته إليه بالسند المتصل، وأن يكون ذلك الكتاب متآلفا بعضه مع بعض.

ولننظر فى كتب النصارى هل تتوافر فيها هذه الشروط حتى نستطيع أن نسلم لهم بقدسيتها وصحتها، وتكون أدلة كونها سماوية واضحة للعيان؟أم انها دعوى بلا دليل وأن فيها من الزيف والتجنى على الله ما لا يمكن معه التسليم بقدسيتها، وصحتها، وصحة ما فيها؟ هذا ما توضحه الصفحات التالية.

---

(١) محاضرات فى النصرانية ص ٩١ وما بعدها.

(٢) نفسه ص ٩٢.

الشرط الأول: أن ينسب الكتاب إلى رسول علم صدقه بالبينات، ادعى النبوة والرسالة وأقام الحجة والبرهان على رسالته.

إن هذه الأناجيل - كما بينا سابقا - لم يكتبها المسيح ولم يملها، ولم يكتب شئ منها في زمانه، وكذلك لم ينسب واحد منها إلى المسيح بن مريم عليه السلام، بمعنى أن هذه الأناجيل لا تنسب إلى رسول الله عيسى بن مريم وهو الرسول الذى أقام الحجة والبرهان على رسالته..فكيف تنسب إلى ديانته هذه الأناجيل وهو لم يكتبها ولم يصدق عليها؟

إن النصارى يدعون أن الذين كتبوها إنما هم رسل المسيح من بعده، ولكن هذه الأناجيل تنسب إلى بعض تلاميذه وبعض أتباعه - فكيف يكونون رسلاً - بمعنى الرسل الذين أوحى إليهم من عند الله؟

على معتقد النصارى أن المسيح هو ابن الله الذى أرسلهم وألهمهم، بأن أفاض عليهم بالروح القدس الذى ساقهم إلى كتابة هذه الأناجيل[١].

فنحن الآن أمام قضيتين: الأولى : أنهم رسل، والثانية: أنهم ألهموا هذه الأناجيل.

أما بالنسبة للأولى: فنجد أن هؤلاء لم يدعوا الرسالة ولم يثبتوها بالمعجزة والبرهان.

يقول الشيخ أبو زهرة: " إننا نبحث فى مراجعهم فلا نجد مرجعاً صحيحاً قرر أن هؤلاء قد ادعوا مثل هذه الرسالة، ودعوا الناس إلى الإيمان بها، ومعهم البرهان عليها والدليل القائم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه"[٢].

أما بالنسبة لما ذكر فى إنجيل لوقا من المسيح أرسل سبعين رسولا وأرسلهم اثنين اثنين[٣]، فإنه لا يوجد - كما يقول يوسابيوس - أقدم مؤرخى الكنيسة - أى بيان عن أسماء التلاميذ السبعين[٤].

---

(١) د/ أندرو طسون: شرح أصول الإيمان ص ١٩.
(٢) محاضرات فى النصرانية ص ٩٣.
(٣) والنص كما جاء فى إنجيل لوقا " وبعد ذلك عين الرب سبعين آخرين أيضا وأرسلهم اثنين اثنين أمام وجهه إلى كل مدينة وموضع حيث كان هو مزمعا أن يأتى". ثم يقول لوقا بعد ذلك " فرجع السبعون بفرح قائلين يا رب حتى الشياطين تخضع لنا باسمك فقال لهم رأيت الشيطان ساقطا مثل البرق من السماء ها أنا أعطيكم سلطانا لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو ولا يضركم شئ ولكن لا تفرحوا بهذا إن الأرواح تخضع لكم بل افرحوا بالحرى إن أسماءكم كتبت فى السموات (راجع النص كاملا لوقا ١٠ : ١ - ٢٠).
(٤) يوسابيوس : تاريخ الكنيسة ص ٥٢.

وإذا كان أصحاب الأناجيل من السبعين رسولاً، فلماذا لم يذكر لوقا أسماءهم؟ وكيف يمكن الإيمان برسالة رسل لم تعرف أسماؤهم؟ نعم كانت تذكر بعد ذلك أسماء أشخاص ويصفون بأنهم رسل، ولكن لم يذكر أهُمْ من السبعين رسولاً أم ليسوا منهم[١]؟ هذا من ناحية.. ومن ناحية أخرى فإن إرسال السبعين ـ كما يقول أنسطاسى شفيق ـ لم يذكر إلا فى إنجيل لوقا وحده[٢].

ولوقا هذا ـ كما ذكرنا سابقا ـ ليس من تلاميذ المسيح ولا من تلاميذ تلاميذه بل كان تلميذاً لبولس ـ وبولس هذا له شأن خطير على المسيحية ـ وعلى ذلك فروايته عن هؤلاء وعن المسيح ليست رواية من شاهد وعاين، وهذا يعنى أن السند غير متصل بين لوقا والمسيح أو تلاميذ المسيح[٣].

وعليه فإن كتبة الأناجيل ليسوا رسلاً ـ وذلك لأنهم لم ينسبوها إلى أنفسهم ولم يدعوها، ولعدم وجود الدليل الصحيح على كونهم رسلاً.. وبالتالى فإن ما ينسب إليهم لا يعتبر مقدساً ولا يعتبر سماوياً.

أما بالنسبة لكونهم كتبوا ما كتبوه بإلهام أو بوحى فغير مسلم به لما يأتى:

أولاً: من يطالع هذه الأناجيل يجد أن طريق أحاديثهم وأساليبهم فى المناقشة تدل بوضوح تام على أن هذه الكتابات لم تصدر عن وحى وبتفويض إلهى، بل هى ـ كما يقول سبينوزا ـ مجرد أحكام شخصية وطبيعية لمؤلفيها، ولا تتضمن إلا نصائح أخوية مقترنة بتعبيرات مجاملة ومهذبة[٤].

ويقول شارل جنيبير: " ويجب علينا أن ننظر إلى الكتب التى تدعى سرد سيرته على أنها مؤلفات تستند إلى الكثير من التحكم والنزعات الذاتية "[٥].

---

(١) محاضرات فى النصرانية ص ٩٤.

(٢) القس أنسطاسى شفيق: الفداء فى إنجيل لوقا ص٤٣٨.

(٣) محاضرات فى النصرانية ص ٩٥.

(٤) رسالة فى اللاهوت والسياسة ص ٣٣٠.

(٥) المسيحية نشأتها وتطورها ص ٢٦.

على أن الأناجيل نفسها تقرر صراحة أنها عبارة عن مجهودات خاصة وكتابات شخصية أنشأها كاتبوها لبيان قصة المسيح ورسالته ونشاط تلاميذه(١).

فمثلا يذكر لوقا أن إنجيله هذا ما هو إلا رسالة كتبها - كما كتب كثيرون قبله - إلى شخص عزيز يسمى ثاوفيلس.

يقول لوقا: " إذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداما للكلمة رأيت أنا أيضا إذ قد تتبعت كل شئ من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالى إليك أيها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذى علمت به "(٢).

كيف يكون كتب ما كتب بإلهام وهو يوضح أنه كتبه بدافع شخصى كما يقول " رأيت أنا " ثم يشير إلى عمله وجهده فى كتابة هذا الإنجيل فيقول: " تتبعت كل شئ من الأول بتدقيق".

أخيرا يظهر من ديباجة إنجيل لوقا أنه لم يدر بخلده وهو يكتب هذا الإنجيل أنه سيكون إنجيلا مقدسا يخضع له ملايين البشر ويستخرجون منه عقائدهم لأن ما كتبه رسالة شخصية لصديقه فيقول له " لتعرف صحة الكلام".

يقول حبيب سعيد: " يجب ألا يظن أن أحدا من كتاب العهد الجديد فكر واعيا وهو يكتب أنه يكتب أسفارا مقدسة سيجمعها المسيحيون فى السنوات المقبلة ويضعونها فى مستوى أسفار العهد القديم، إن مثل هذه الفكرة لم تخطر لأحد منهم على بال، وما كانوا يرضونها لو خطرت، ولم يكن مؤلفو الأسفار المعروفة لدينا الآن فى العهد الجديد واضعين الأجيال المقبلة نصب أعينهم، ولكنهم كتبوا أسفارهم لسد الحاجات المحلية العاجلة التى أحس بها أتباع المسيحية الأولون فى كنائسهم الخاصة "(٣).

---

(١) راجع أحمد عبد الوهاب: الوحى والملائكة فى اليهودية والنصرانية والإسلام ص ٤٩.

(٢) لوقا: ١ - ٤.

(٣) المدخل إلى الكتاب المقدس ص ٢٣١ - ٢٣٢

وهذا يدلك على أن هذه الأناجيل لم تكتب بوحى أو إلهام، فلم يدع واحد من كتاب الأناجيل أنه كتب ما كتب بالوحى أو الإلهام - وهذا هو المهم - ولا يهمنا بعد ذلك أن يدعى المسيحيون الذين جاءوا بعد ذلك أن هذه الأناجيل كتبت بالوحى أو الإلهام، فتلك دعوى من غير دليل ولا برهان.

يقول حبيب سعيد: " ولا يدّعى كتاب الأناجيل أنفسهم أنهم كانوا تحت إرشاد إلهى فيما كتبوا، ويبدو فى الظاهر أنهم كتبوا من تلقاء أنفسهم حسب مقتضيات الظروف، وهنا نذكر كلمات لوقا فى أول إنجيله "[١].

فلم يدعوا أنهم كتبوا هذه الأناجيل بإلهام أو بوحى، ولم يظن واحد منهم أنه يكتب كتابا مقدسا يدين به الناس ويخضعون لأحكامه ومتطلباته، بل صرحوا بأن هذه الأناجيل ما هى إلا كتابات شخصية لسرد سيرة المسيح - كما اعتقدوا - " واتبع كل واحد هواه وخطته فى تنسيق وترتيب مؤلفه"[٢]

ثانياً: إن الإلهام لهذه الأناجيل لو سلمنا به، على فرض أنه واقع بالنسبة لها ،فإنما يكون على أساس أنه حدث للكاتبين عندما كتبوا النسخ الأصلية، وهذا هو المفهوم من كلامهم عن الوحى والإلهام لهذه الأناجيل.

يقول د/ إدوارد يونج : " لقد ذكرنا فى التعبير الدقيق للوحى أنه نفخة الله لرجال محمولين بروح الله وهذا ينصرف أساسا على النسخة الأصلية التى تلقها النبى أو الرسول، ومن ثم فهى الأصل الذى ينصرف إليها المعنى"[٣].

والنسخ الأولى الأصلية ليست بين أيدينا [٤]، والموجود حاليا عبارة عن كتب مترجمة - أى ليست بلغة الكاتب ولا بخطه - وإذا كان الأمر كذلك فليست هذه الكتب هى التى كتبت بوحى أو إلهام وإنما غيرها؟ خاصة وأن بعض هذه الأناجيل - وهو إنجيل متى - لم يجدوا له أصلا، فالسائد عندهم أنه كتب بالآرامية، والأصل

---

(١) المرجع السابق ص ٢٢٣.
(٢) المسيحية نشأتها وتطورها صـ ٢٨.
(٣) الكتاب المقدس فى الميزان ص ٦٧.
(٤) المرجع السابق ص ٦٨.

الذى وجدوه مكتوب باليونانية ، فهل يستطيع أى عاقل أن يقبل أن هذه الترجمة إنما هى بإلهام ، وهو لا يعرف أهى ترجمة صحيحة أمينة للنص الأصلى أم أن فيها بعض الزيادات والإضافات؟ ولا يعرف أيضا حال المترجم ، وهل هو مسيحى أم يهودى؟ وإذا كان مسيحيا فهل هو من التلاميذ أو الرسل المختارين أم من عامة الناس؟ وهل كان على المستوى الثقافى والدينى الذى يؤهله لفهم النص فهما صحيحا؟ أو لا؟ فهل بعد هذا يقبل أنه كتب بإلهام؟ كيف؟؟؟

يقول د/ إدوارد يونج : " إن الوحى يمتد إلى النسخ الأصلية فى الكتاب ، وهذه النسخ معصومة ، فإذا كانت النسخ الأصلية ليست بين أيدينا بفعل الزمن ، فإنه من المسلم به إمكانية وقوع بعض المخطوطات القديمة فى الخطأ فى هذا أو ذاك عند نسخها "(١) .

وإذا كان الأمر كذلك فليست ملهمة ،ما داموا قد سلموا بوقوع بعض الأخطاء عند النقل..

على أننا نجد علماء المسيحية يعللون النقد للأناجيل بأنه محاولة للوصول للنص الأصلى ، وهذا يعنى أن النص الموجود الآن غير ملهم أو غير موحى به.

يقول موريس بوكاى ـ نقلا عن الترجمة المسكونية للعهد الجديد التى كتبها مائة متخصص من الكاثوليك والبروتستانت ـ : " إن كل ما يستطيع نقد النصوص الحديث أن يقدمه لنا من وجهة النظر هذه هى محاولته لإعادة بناء نص يتمتع بأكبر الفرص الممكنة فى أن يقترب من النص الأصلى ، وعلى أى حال فلا مجال مطلقا للأمل فى الوصول إلى النص الأصلى نفسه "(٢) .

ثالثا: على أن القول بالإلهام ليس محل إجماع المسيحيين فمنهم من يصرح أو يلمح إلى نفى الإلهام.

---

(١) المرجع السابق ص ٧٢.

(٢) دراسة الكتب المقدسة ص ١٠٣.

ففى عام ١٩٢٣م أعلن المحفل العام للكنيسة المشيخية [١] المتحدة فى الولايات المتحدة الأمريكية فى أحد قراراته " أن الروح القدس أوحى وأرشد وحرك كتاب الكتاب المقدس وصانهم من الخطأ " ولقد صادف هذا القرار معارضة من كثيرين ومن هؤلاء جماعة فى مدينة أمريكية اسمها " أوبرن "أصدرت وثيقة تتصدى لهذا القرار، ومن ثم أطلق عليها " تصريح أوبرن " ولقد هاجم التصريح ليس الإعلان المذكور فحسب، بل عقائد مسيحية أخرى...

وقد قال بصدد آراء المحفل العام عن الكتب المقدسة : " ليس هناك تأكيد فى الكتب المقدسة أن كتابها قد حفظوا من الخطأ"[٢].

" وكذلك أيضا ما جاء فى دائرة المعارف البريطانية من أنه وقع النزاع فى أن كل مندرج فى الأسفار المقدسة هل هو إلهامى أم لا ؟ فقال كثيرون منهم : إنه ليس كل قول منها إلهاميا، على أن الذين قالوا إن كل قول مندرج فيها إلهامى لا يقدرون أن يثبتوا دعواهم بسهولة "[٣].

وكذلك أيضا ما نقلناه سابقا عن " شارل جنيبير" عن الأناجيل من أنها كتابات شخصية وأن كل واحد من كتاب الأناجيل اتبع هواه وخطته فى تنسيق مؤلفه[٤]...

وهكذا نجد أن دعوى الإلهام ليست محل إجماع المسيحيين، ولقد نقل الشيخ رحمت الله الهندى أقوال كثير من المسيحيين ممن ينكرون الإلهام فى الأسفار المسيحية نحيل القارئ بالرجوع إليها[٥].

---

(١) هى إحدى الكنائس البروتستانتية وقد أخذت الكنيسة اسمها من لفظ " شيوخ " لأن الذى ساس أمرها لم يكن الأساقفة بل الشيوخ بخلاف الكنيسة الكاثوليكية واللوثرية - نسبة إلى لوثر ١٤٨٢- ١٥٤٦م - يحكمها الأساقفة على نسق نظام الحكم المدنى حيث كان الأمراء يحكمون أجزاء من المدينة، أما الكنيسة المشيخية فقد وضعت حكمها فى أيدى الشيوخ من كبار السن الذين شكلوا مجالس لحكم الكنيسة، ويطلق بعض الناس على الكنيسة المشيخية اسم الكنيسة الكلفينية نسبة لجون كلفن مؤسسها (١٥٠٩ - ١٥٦٤) راجع مواقف فى تاريخ الكنيسة ص ١٢٧.

(٢) راجع الكتاب المقدس فى الميزان ص ٦٨.

(٣) دائرة المعارف البريطانية (١١ / ٢٧٤) راجع إظهار الحق ص ١٧٦.

(٤) المسيحية نشأتها وتطورها ص ٢٨.

(٥) إظهار الحق ص ١٧٤ وما بعدها .

رابعاً : على أن هذه الأناجيل لو كانت كتبت بإلهام أو عن طريق الوحى ـ كما يقولون ـ لما وقع فيها من الأغلاط والاختلافات والتناقضات ، وكانت صادقة غير مختلفة وغير متناقضة ، لأن الوحى لا يكذب ولا يختلف ولا يتناقض بعضه مع بعض ، ولكن الواقع أن هذه الأناجيل مليئة بالتناقضات والاختلافات ما يجعلنا نقول إنها ليست ملهمة ، ولا بوحى من الله سبحانه وتعالى عما يقولون.

يقول الشيخ أبو زهرة : " إن دعوى الإلهام باطلة من أساسها ليس لعدم إقامة الدليل عليها ، بل لأن البينات قائمة ضدها ، ذلك لأنها لو كانت بإلهام من الله كما يقولون لكانت صادقة فى كل ما أخبرت ، وما وجد الباطل منفذا ينفذ منه إليها ، ولم يكن ثمة محل لتكذيبها ، ولكانت متفقة غير مختلفة ، ولم تكن متضاربة بأى نوع من أنواع التضارب وذلك لوحدة من صدرت عنه ، لأنها جميعا صادرة عن واحد وإن اختلف الناطقون بها ، ولكننا وجدنا بينها اختلافات من أوجه عدة ووجدنا فيها أخبارا تناقض ما علم من التاريخ وما كان مشهورا فيه "[١].

وسنذكر بعض هذه الأمور فيما يلى وذلك فى التعليق على الشرط الثانى.

الشرط الثانى : ألا يكون ذلك الكتاب متناقضا مضطربا يهدم بعضه بعضا فلا يتعارض ولا يختلف ولا يتناقض ، ذلك أنه من أهم شروط الوحى الصادق ألا يكون فيه تناقض ، أعنى أن تكون معانيه وأحكامه مطابقا بعضها لبعض وغير متناقضة ولا مختلفة " فإنه متى تناقض فيه معنيان لا يمكن أن يكون أحدهما حقا ، فتناقض المعانى والأحكام فى أى كتاب دليل على عدم كونه من عند الله ، لأن الله هو كامل الصفات منزه عن العجز والنقص والتناقض فى كلامه العزيز[٢]...

فالأصل فى الكتاب السماوى هو أن يكون متسقا بعضه مع بعض بحيث لا نجد بين أجزائه اختلافا أو تناقضا.

والحقيقة أنه عند المطابقة والمقابلة بين أناجيل المسيحيين نجد بينها من التناقض والاختلاف ما لا يقع فى أى كتاب بشرى ، فما بالك بكتاب يدعى أصحابه أنه من عند الله ؟

---

(١) محاضرات فى النصرانية ص ٩٩.

(٢) الشيخ على البحرانى : لسان الصدق ص ١٧.

وإليك أمثلة من هذه الاختلافات والتناقضات:

(١) الاختلاف فى نسب المسيح " فمن قابل بيان نسب المسيح الذى فى إنجيل متى بالبيان الذى فى إنجيل لوقا وجد ستة اختلافات:

١ـ يعلم من " متى " أن يوسف بن يعقوب، ومن " لوقا " أنه ابن هالى.

٢ـ يعلم من " متى " أن عيسى من أولاد سليمان بن داود عليهم السلام، ومن " لوقا " أنه من أولاد ناثان بن داود.

٣ـ يعلم من " متى " أن جميع آباء المسيح من داود إلى جلاء بابل سلاطين مشهورون، ومن " لوقا " أنهم ليسوا بسلاطين ولا مشهورين غير داود وناثان.

٤ـ يعلم من " متى أن شألتيل بن يكينا ويعلم من " لوقا " أنه ابن نيرى.

٥ـ يعلم من " متى " أن اسم ابن زربابل أبيهود، ومن "لوقا " أن اسمه ريسا. والعجيب أن أسماء بنى زربابل مكتوبة فى الاصحاح الثالث من السفر الأول من أخبار الأيام وليس فيها أبيهود ولا ريسا، فالحق أن كلا منهما غلط.

٦ـ من داود إلى المسيح ستة وعشرون جيلا على ما بيّن " متى " وواحد وأربعون جيلا على ما بين " لوقا "، ولما كان الاختلاف بين البيانين ظاهرا بادئ التأمل تحير فيه علماء المسيحية من زمان اشتهار هذين الإنجيلين إلى اليوم"[١].

وإزاء هذه الاختلافات نتساءل: هل هذه الأناجيل كتبت بوحى من الله أو إلهام منه؟ وكيف يكون ذلك وهم قد اختلفوا فيما لا يجوز فيه الاختلاف؟ وهل يجوز فى الوحى أو الإلهام الاختلاف فى مثل نسب عيسى عليه السلام؟ وإذا كانوا قد اختلفوا فى هذا الأمر الذى ليس من موارد الاختلاف، فما بالك بهم فى الأمور الأخرى!!!

(٢) من هذه الاختلافات أيضا ما جاء فى إنجيل يوحنا من " أن الكهنة واللاويين سألوا يحيى عليه السلام (يوحنا المعمدان) وقالوا له: أأنت إيليا، فقال: لست أنا

---

(١) إظهار الحق ص ١١٤.

بإيليا"[١].. بينما جاء في إنجيل متى أن المسيح عليه السلام قال عن يحيى عليه السلام: إذا أردتم أن تقبلوا فهذا هو إيليا المزمع أن يأتي"[٢].

فهذا لا شك تناقض يوحي بعدم صدق الروايتين " ذلك أنه متى اتحدت نسبة كل خبر وتباينا، قطع بكذب أحدهما على الآخر"[٣]، ولما كان الصادق منهما غير واضح وغير متعين فالشك وارد على الاثنين.

(٣) من ذلك أيضا ما جاء في إنجيل متى من أن أحد الرؤساء جاء إلى عيسى عليها السلام وقال له إن ابنتي ماتت، يقول متى " وفيما هو يكلمهم - أي الفريسيين - إذا رئيس قد جاء فسجد له قائلا إن ابنتي الآن ماتت ولكن تعالى وضع يدك عليه فتحيا "[٤].

بينما جاء في إنجيل مرقس أنه قال ابنتي على آخر نسمة ليتك تأتي وتضع يدك عليها لتشفى، وبينما هم في الطريق جاءت جماعة من بيت الرئيس وأخبروهم بموتها[٥]، ففرق بين كونها ماتت، وكونها مريضة، فهذا تناقض بين إنجيلين في رواية لحادثة واحدة.

(٤) وكذلك أيضا ما جاء في إنجيل متى أن امرأة تقدمت إلى المسيح وسألته شفاء ابنتها من الجنون... يقول متى: " وانصرف يسوع إلى نواحي صور وصيدا، وإذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت إليه قائلة ارحمني يا سيد يا ابن داود ابنتي مجنونة"[٦]..

بينما نجد هذا النص في إنجيل مرقس " ومضى إلى تخوم صور وصيدا ودخل بيتا وهو لا يريد أن يعلم أحد، فلم يقدر أن يختفي لأن امرأة كانت بابنتها روح نجس

---

(١) يوحنا ١ : ٢١.
(٢) متى ١١ : ١٤.
(٣) الإمام الجويني: شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل ص ٥٠.
(٤) متى ٩ : ١٨.
(٥) مرقس ٥ : ٢٣ - ٣٥.
(٦) متى ١٥ : ٢١ - ٢٢.

سمعت به فأتت وخرت عند قدميه ، وكانت المرأة أممية فى جنسها فينيقية سورية[١]..ففى هذا النص يبين جنس المرأة بأنها فينيقية سورية ، بينما نجدها توصف فى إنجيل متى بأنها كنعانية ، فأيهما أحرى بالقبول؟

يقول الشيخ أبو زهرة فى تعليقه على هذه الحادثة : " لا شك أنه لا يمكن أن تكون الروايتان صادقتين معا ، بل لابد أن تكون إحداهما كاذبة وليست بإلهام من الله ، لأن الله لا يكذب ، وإذا كانت إحداهما ليست صادقة بيقين وكاذبة بيقين ولم يدر أيتهما الكاذبة المفتراة ، فالشك إذن ملازم الاثنين لا ينفصل عنهما حتى نتبين الصدق من الكذب ، ولا سبيل إلى ذلك ، ولا يمكن أن نثبت لأيهما إلهاما مع هذا الشك الملازم الذى لا سبيل إلى إزالته "[٢].

إلى غير ذلك من التناقضات[٣] التى تجعلنا نقول إن هذه الأناجيل ليست من عند الله لأن " كل ما هو من عند الله لا تختلف معانيه ولا تضطرب مبانيه "[٤].

الشرط الثالث : أن يكون الكتاب منسوبا إلى الرسول بالطريق القطعى أى عن طريق التواتر : " وأساس ذلك التواتر أن يروى جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب عن جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب حتى تصل إلى الرسول ، بحيث يسمع كل فرد من الجمع الراوى عن الجمع الذى سبقه ، والذى سبقه كذلك حتى يصل إلى الرسول الذى أسند إليه الكتاب ونسب إليه "[٥] أى أن يكون الكتاب منسوبا إلى الرسول بالسند المتصل حلقاته.

والحقيقة أن مسألة السند المتصل لها أهمية وخصوصا فى الكتب السماوية ، فلا يمكن أن تقبل الكتب السماوية إلا إذا علم تواترها ، ومقدار صحة عقول الرجال الذين تناقلوها ، وهل هؤلاء القوم يتوافر فيهم الصدق والأمانة حتى إن كل ما

---

(١) مرقس ٧ : ٢٤ ـ ٢٦.

(٢) محاضرات فى النصرانية ص ١٠٢.

(٣) من أراد المزيد من التناقضات والاختلافات بين الأناجيل. يراجع قصة الصلب والقيامة فى الأناجيل سيجد اختلافات وتناقضات كثيرة. راجع أيضا : إظهار الحق ص ١١٤ وما بعدها.

(٤) عبد الله الترجمان : تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب ص ١١١.

(٥) محاضرات فى النصرانية ص ٩٢.،

يقولونه حق وما يكتبونه حق وما يدونوه صحيح، والسبب فى كل هذا هو أن تخرج العقيدة سليمة نقية لا شئ فيها من التحريف أو التغيير الذى ربما يؤدى إلى هدمها"(١)، فهل هذا السند المتصل ثابت لهذه الأناجيل - على فرض أنها أناجيل صحيحة - الواقع أن هذه الأناجيل لا سند لها.

فإنه ليس للمسيحيين سند متصل يصل هذه الأناجيل فى أقدم العصور التى عرفت فيها بالكاتبين - لها أو المنسوب إليهم هذه الأناجيل.

وفى إحدى المناظرات العلمية بين بعض علماء المسلمين وبعض علماء المسيحيين طلب علماؤنا من علمائهم السند المتصل فاعتذروا بفقده، وقالوا إن سبب فقده هو توالى وقوع الاضطهاد والتعذيب على المسيحيين إلى أوائل القرن الرابع الميلادى.

يقول الشيخ رحمت الله الهندى: طلبنا مرارا من علمائهم الفحول السند المتصل فما قدروا عليه، واعتذر بعض القسيسين فى محفل المناظرة التى كانت بينى وبينهم فقال: إن سبب فقدان السند عندنا وقوع المصائب والفتن على المسيحيين إلى مدة ثلثمائة وثلاث عشر سنة، وتفحصنا فى كتب الإسناد لهم فما رأينا فيها شيئا غير الظن والتخمين، يقولون بالظن ويتمسكون ببعض القرائن، وقد قلت إن الظن فى هذا الموضوع لا يغنى شيئا، فما دام لم يأتوا بدليل شاف وسند متصل فمجرد المنع يكفينا وإيراد الدليل فى ذمتهم لا فى ذمتنا(٢).

فالسند المتصل لا يوجد عند المسيحيين ولا يوجد لهذه الأناجيل.. وبيان ذلك أنه لا توجد إشارة لهذه الأناجيل إلا فى أواخر القرن الثانى وابتداء القرن الثالث، فالذى ذكر هذه الأناجيل أولا أرينيوس فى سنة ٢٠٠م تخمينا، وأورد بعض الدلائل على عددها، ثم اجتهد بعد ذلك كليمنت(٣) إسكندريانوس فى سنة ٢١٥م(٤).. بينما نجد أن هذه الأناجيل كتبت فيما بين عامى ٦٠، ١٢٠م.

---

(١) مصطفى سعداوى المهر: نظرات فى العقائد المسيحية ص ١٨.

(٢) اظهار الحق ص ٨٣.

(٣)كليمنت: من المفكرين المسيحيين فى أواخر القرن الثانى وأوائل القرن الثالث الميلادى. ولد تقريبا فى منتصف القرن الثانى من أصل وثنى، وكان وثنيا فى بداية حياته حتى أصبح مسيحيا فى الإسكندرية (لمزيد من المعلومات راجع جون لو ريمر: تاريخ الكنيسة ٢/ ٤٩، تاريخ الكنيسة القطبية ٢٨).

(٤) إظهار الحق ص ١٨٥.

يقول ول ديورانت : " وترجع أقدم النسخ التى لدينا من الأناجيل الأربعة إلى القرن الثالث ، أما النسخ الأصلية فيبدو أنها كتبت بين عامى ٦٠ - ١٢٠م ثم تعرضت بعد كتابتها مدى قرنين من الزمان لأخطاء فى النقل ، ولعلها أيضا تعرضت لتحريف مقصود يراد به التوفيق بينها وبين الطائفة التى ينتمى إليها الناسخ أو أغراضها ، والكتاب الذين عاشوا قبل نهاية القرن الأول الميلادى لا ينقلون قط شيئا عن العهد الجديد بل كان ما ينقلونه مأخوذا من العهد القديم "[١]

ولقد وصف علماء المسيحية الفترة التى يُظن كتابة الأناجيل فيها أنها أكثر فترات التاريخ المسيحى غموضا ، فهم لا يعرفون عنها شيئا.

يقول حبيب سعيد : " إن الأربعين سنة من ٧٠ - ١١٠م تبقى أكثر فترات التاريخ المسيحى غموضا وإبهاما ، وهو أمر يؤسف له ، لأن هذه الفترة حفلت بكثير من معالم التغيير فى الكنيسة نفسها... وفى هذه الفترة الغامضة من التاريخ المسيحى كتبت بشائر الإنجيل "[٢]..

وبين زمن كتابتها وزمن الإشارة إليها لا يوجد للمسيحيين أى سند لهذه الأناجيل ، لذلك وجدنا أن نسبة هذه الأناجيل إلى أصحابها - كما بينا سابقا - غير صحيحة ومشكوك فيها ، والأسماء الحالية هى أسماء وضعتها الكنيسة بعد فترة من الزمن ، وليس لديها من الأدلة الكافية على ثبوت نسبة الأناجيل إليهم.

" فالأناجيل الثلاثة - كما يقول حبيب سعيد - غفلة من اسم المؤلف ، ولم يذكر الكاتب شيئا عن نفسه ، أما الألقاب الحالية فقد وضعت بعد زمن من ظهورها اعتمادا على وجهة نظر الكنيسة "[٣].

---

(١) قصة الحضارة (مج ٣ / ج ٣ ص ٢٠٧).

(٢) فجر المسيحية ص ٤٧ - ٤٨ ، ولقد ردد هذا المعنى نفسه جون لو ريمر : تاريخ الكنيسة (١/ ٧٥).

(٣) المدخل إلى الكتاب المقدس ص ٢٢١.

وكذلك الأمر بالنسبة لإنجيل يوحنا لم يذكر عن نفسه إلا قوله " هذا هو التلميذ الذى يشهد بهذا "[١]، وقد أخذت الكنيسة هذه الكلمة على علاتها ونسبته إلى يوحنا وهى نسبة غير صحيحة - كما بينا سابقا.

على أن هذه الأناجيل لم تعرف معرفة كاملة قبل مجمع نيقية سنة ٣٢٥م ولم يتحدد موقفها إلا فى هذا المجمع، فلقد أقر المجمع - لأول مرة فى تاريخ المسيحيين - قانونية هذه الأناجيل وبعض الرسائل الأخرى فى العهد الجديد، ولم يوافق على العهد الجديد كاملا إلا فى عام ٣٧٩م فى مجمع قرطاجنة[٢].

وقبل هذا التاريخ لم تكن هذه الأناجيل معروفة، أو مختصة بذلك التقديس ،ولم يكن لها أى سلطان على أى مسيحى، وآخر إنجيل من هذه الأناجيل كتب فى نهاية القرن الأول، فبين آخر كتبهم تدوينا فى زعمهم ومعرفته والاعتراف به أكثر من خمس وعشرين سنة ومائتين لا راوى يرويها، وقد وقع بهم من الأحداث والاضطهاد ما يذهب باللب ويضيع الرشد وينسى المرء معه كل شئ، ولم تسلم هذه الكتب من الاضطهاد، ولا شك أن ذلك الاضطهاد الذى دام إلى صدر القرن الرابع يجعل الكتب التى رويت قبل ذلك موضع شك فى نسبتها إلى قائليها حتى يقيموا دليلا على صحة تلك النسبة، ولم يقيموا أى دليل، لأن السند منقطع بينها وبين من تنسب إليه[٣].

وهكذا يتبين لنا أن السند المتصل الذى يجعلنا نثق بالكتاب ونعتبره صحيحا لم يثبت لهذه الأناجيل، وهذا الأمر يضعف شأن هذه الأناجيل وشأن الثقة فى الركون إلى أخبارها وأحكامها وتعاليمها... وإذا كان الأمر كذلك فهى ليست كتبا مقدسة - فى نظرنا.

---

(١) يوحنا ٢١ : ٢٤.

(٢) المسيحية نشأتها وتطورها ص ٢٦.

(٣) محاضرات فى النصرانية ص ١٠٧.

تعقيب:

قد وضح لنا أن هذه الأناجيل لا ينطبق عليها أى شرط من شروط الكتاب الدينى السماوى، وليس فيها أى علامة من علامات الكتاب السماوى، فلم تنسب إلى رسول ادعى الرسالة، وإنما نسبت لبعض التلاميذ والأشخاص وهم ليسوا معصومين.

ولم تكن هذه الأناجيل متسقة اتساقا ذاتيا، بل كانت متناقضة متضاربة، هذا إلى جانب أنها ليس لها من السند المتصل الصحيح بينها وبين من نسبت إليهم، على أن دعوى الإلهام التى ادعوها لم يستطيعوا أن يقيموا عليها أى دليل، وبأقل نظرة فى هذه الأناجيل يمكن الرد على هذه الدعوى.

إذن فهذه الأناجيل ليست حجة، وليست لها من الأدلة ما يجعلها فى عداد الكتب الدينية السماوية، ولا يمكن أن تكون مصدرا يعتمد عليه فى بيان الرسالة الصحيحة التى جاء بها المسيح عليه السلام.

فهذه الأناجيل ليست بالإنجيل الذى كان بيد المسيح فى بداية رسالته، ولو فرض وجود بعض من الإنجيل الحقيقى فى خلال سطور هذه الأناجيل فتعينه مستحيل، وعصمته من التحريف غير ثابتة، فلذلك كانت هذه الأناجيل الموجودة غير صالحة للاحتجاج بها لأنه حجة مع الاحتمال[١].

وننتهى من هذا إلى القول بأن ضياع الإنجيل الصحيح كان له أكبر الأثر على ديانة المسيح، فلقد اختلط وامتزج بهذه الديانة الكثير من المعتقدات والأفكار الوثنية، وكان يمكن أن تكون الأناجيل التى وجدت بعد ضياع الإنجيل الصحيح محافظة على الديانة الصحيحة لو أنها حافظت على أفكار ومعتقدات معلمهم، وأخذت نفس الخط الذى سار عليه رسولهم عيسى عليه السلام، وانتهجت نفس النهج، ولكن هذه الأناجيل للأسف لم تنهج هذا النهج الصحيح ولم تقف ضد المعتقدات الوثنية، بل بالعكس تبنتها وعملت على ترويجها، وعملت الكنيسة على تقرير هذه الأناجيل التى تحمل هذه الأفكار والمعتقدات الوثنية.

وبهذا يتضح مدى الأثر الذى أحدثه ضياع الإنجيل الصحيح على ديانة المسيح عليه السلام.

---

(١) الفارق بين المخلوق والخالق ص ١١.

الفصــل الثالث



مصادر سيرة بولس الذاتية والفكرية

يعتبر بولس لدى المسيحيين من أكثر أشخاص القرون الأولى للمسيحية معرفة، وذلك بالنسبة لحياته وأفكاره، حيث ترجع مصادر معرفته إلى السنوات التى عاش فيها وإلى كتبه ورسائله التى كتبها بنفسه، هذا إلى جانب السفر الذى عنى بسيرته ورحلاته ونشاطه فى المسيحية، وهذا يعنى أنه لدى المسيحيين مصدران عن حياة وأفكار بولس.

المصدر الأول: رسائل بولس نفسه:

ففى العهد الجديد ثلاث عشرة رسالة منسوبة إلى بولس بخلاف الرسالة إلى العبرانيين - المنسوبة إليه - التى لم يوجد اسمه فيها كما يظهر فى الغالبية العظمى من المخطوطات القديمة[١].

وفى هذه الرسائل نجد بعض المعلومات التى يلقيها بولس عرضا عن سيرته ورسالته[٢]، هذا إلى جانب أن هذه الرسائل تمثل أفكار وعقائد بولس التى بشر بها وتحمس من أجلها.

المصدر الثانى: سفر أعمال الرسل:

وينسب إلى لوقا (صاحب الإنجيل الثالث)[٣]..

---

(١) د/ فهيم عزيز: الفكر اللاهوتى فى رسائل بولس ص ١٢.

(٢)راجع غلاطية ١ : ١١، ٢ : ١٤، ١ كورنثوس ١٥ : ٨، ٩، ٢ كورنثوس ١١ : ٢٢، ١٢ : ١٢.

(٣)وهذه النسبة ليست محل إجماع العلماء، فبعضهم يفضل النظرية التى تقول إن مؤلف الإنجيل لوقا وأعمال الرسل شخصان مختلفان، وهناك رأى يقول إن مؤلف سفر الأعمال ليس شخصا واحدا، ولا شخصين، بل عدة أشخاص كتبوا عدة أجزاء أو كتابات، وجاء مؤلف واحد وجمع هذه الكتابات معا، وهو ليس لوقا (راجع قصة الحضارة (مج ٣ ج ٣ص ٢٤١) المدخل إلى العهد الجديد ص ٢٩٨، ٢٩٩.

ويعتبر هذا السفر من الأسفار المقدسة لدى المسيحيين، وهو يحكى سلسلة من أعمال المسيحيين الذى بشروا بالمسيحية وما لا قوة من عنت وعذاب وقتل واضطهاد، هذا إلى جانب أن عنى بوجه خاص بتاريخ وحياة بولس قبل دخوله فى المسيحية واضطهاده لأتباعها، ثم يحكى بعد ذلك قصة دخوله في المسيحية وأفكاره التى بشر بها ورحلاته التبشيرية إلى العالمين اليونانى والرومانى، هذا ويظهر من خلال نبرة هذا السفر أنه يهدف لإظهار فضل بولس فى زعامة المسيحية[١].

ويطلق المسيحيون على هذا السفر مع الأناجيل الأربعة اسم الأسفار التاريخية، أما الرسائل الأخرى - عدا رؤية يوحنا - فيطلقون عليها اسم الأسفار التعليمية[٢].

ولقد اعتبر المسيحيون أن سفر أعمال الرسل كتاب ضرورى ومصدر رئيسى لمعرفة الأساس التاريخى لحياة بولس ومعرفة تفكيره[٣]، خاصة وأنهم يعتقدون أن لوقا - المنسوب إليه سفر الأعمال ـ قد رافق بولس[٤] فى السفر ورافقه مدة سنتين فى قيصرية فى السجن[٥].. وقد ذكر بولس اسمه ثلاث مرات فى رسائله[٦].

البيئة التى نشأ فيها بولس:

لقد كانت الإمبراطورية الرومانية فى زمن ولادة بولس هى المسيطرة على العالم آنذاك، وكان الاتصال والتنقل بين أجزاء الإمبراطورية سهلا ميسورا، خاصة وأن الرومان أمنوا الطرق من اللصوص، والبحار من القراصنة، فانقطعت بذلك عصابات السطو وقطاع الطرق، ومن ثم زادت التبادلات التجارية والعلاقات

---

(١) يوسف الحداد: فلسفة المسيحية فى رسائل بولس (١ / ٢٤ ، ٢٥).

(٢) راجع المطران أفلاطون : الخلاصة الشهية فى أخص العقائد والتعاليم الأرثوذكسية ص ٩ ، د/ ألفرد مارتن: دراسة أسفار الكتاب المقدس " الكتاب الأول " صـ ١٣.

(٣) الفكر اللاهوتى فى رسائل بولس ١٢.

(٤) البعض ينكر أن يكون كاتب سفر الأعمال قد رافق بولس وذلك على أساس أنه يوجد فى هذا السفر كثير من النقاط التى تتعارض مع التعاليم المذكورة فى رسائل بولس (عن بعض من هذا التعارض راجع : فلسفة المسيحية فى رسائل بولس ١/ ٣٥) ومن غير المعقول إذن أن تكون هذه قد سطرها شخص له معرفة ببولس ورحلاته التبشرية (راجع رأى د/ جورج كيرد - رئيس الجمعية الكندية للكتاب المقدس - فى كتاب المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص ٦٥)

(٥) تفسير العهد الجديد "إنجيل لوقا "ص ١١.

(٦) كولوسى ٤ : ١٤ ، ٢ تيموثاوس ٤ : ١١ ، فليمون ٢٤.

الثقافية بين الشعوب، وكان العالم حينئذ يعج بالفلسفات والمعتقدات الدينية المختلفة.

وفى بقعة من أحد أجزاء هذه الإمبراطورية ولد ونشأ بولس، وبالتحديد فى مدينة "طرسوس" إحدى المدن اليونانية..

وكانت طرسوس مدينة عظيمة، نشطة غاية فى النشاط، فكانت مركزا هاما من مراكز التجارة والأعمال، وميناء من موانئ بحر الروم على ساحل آسيا الصغرى، وتقع خلفها جبال طوروس العالية، وقد شقت فيها منافذ تعبر منها القوافل إلى ما ورائها، وفى وسطها نهر كدموس يفرغ ماءه فى البحر الأبيض المتوسط، وقد جرت السفن على مياهه الهادئة، وحفلت ضفافه بالأرصفة والمرافئ[١]. وهذه الظواهر جعلت طرسوس مدينة لها أهميتها واستراتيجيتها، مما جعلها ممرا تجاريا هاما لجميع الشعوب والأجناس الذين كانوا يأتون ومعهم أفكارهم ومعتقداتهم وفلسفاتهم، فيطلع عليها أهل بلاد طرسوس، ويأخذون منها ما يحلو لهم، ويتركون مالا يقع فى نفوسهم بعد أن يعرفوا مضمونها...

وكانت طرسوس قبل عهد الرومان مركزا للثقافة اليونانية، خاصة وأن أهلها تحمسوا للفلسفة، وتعشقوا العلم والتهذيب[٢]، فازدهرت المدارس اليونانية، وقام بين رحابها ما يمكن أن نسميه اليوم بـ (الجامعة) التى كانت سببا لشهرة هذه المدينة، وعلى الأخص فيما يتعلق بالدراسات الفلسفية[٣]، وأصبحت فى مصاف المدارس الفلسفية الكبرى، فكانت تعتبر ثالث مدرسة كبرى بعد مدرستى الإسكندرية وأثينا، وكانت تنافسهما وتقتذاك فى العلم والمعرفة[٤]..

فكانت مركزا من مراكز الرواقية وهى مدرسة فلسفية وضع أصولها زينون (٣٣٦ـ ٢٤٦ ق. م) وأكملها تابعان من بعده (أفلاينتوس ٣٣١ ـ ٢٣٢ق. م) و

---

(١)حبيب سعيد: سيرة رسول الجهاد " بولس " ص ٣، القس حارث قريصة: القديس بولس ص ١٠.
(٢)سيرة رسول الجهاد" بولس " ص ٣.
(٣)المسيحية نشأتها وتطورها ص ٦٨.
(٤)د/ على الغمراوى: مدخل إلى دراسة التاريخ الأوربى الوسيط ص ٣٤.

(أفريسيوس ٢٨٢. ٢٠٩ق . م)[١] وكـانوا جميعا من غربى آسيا [٢] أى بالقرب من طرسوس ...

والـرواقية تعنـى بدراسـة الأخـلاق أكثـر مـن غيرهـا ، يقـول جـورج سـارتون : " فالأخلاق هى المذهب الرواقى ومجده"[٣].

ويقـول د/ عثمان أمـين : " ويكاد الإجماع ينعقد بين الباحثين على أن الرواقية لم تكن مذهبا مرسوما بقدر ما كانت عقيدة أخلاقية"[٤].

وفـى السـنوات الأولى لحياة بولس كان قد علا شأن هذا المذهب بدرجة كبيرة[٥] ، فكـان أسـاتذة الدراسـات الفلسـفية فى طرسـوس ينتمـون إلى هـذا المذهب ، ويبدو أنهـم لم يكـتفـوا بغـرس تعاليـم هـذا المـذهب فـى أذهــان الطلـبة الـذيـن يـتابعـون حلقـاتـهم ، بل راحوا ينشـرون مبادئه الأساسية ، وقضاياه الأولى ، وشعاراته المثيرة ، بـل روحـه فى شبه " حملة تبشيرية " ذات طابع شـعبى يتفق مع طرق تفكير الجماهير ، وهـذا يعنى أن بولس كان على معرفة بالمبادئ الأولى للفلسفة الرواقيـة ، والوسـائل الشـائعة فـى الأسـاليب الخطابيـة لدى المفكرين اليونانيين[٦] مما كان له أثره الكبير عليه فيما بعد.

وكـان لطرسوس أيضا شهرة واسعة فى مجال المعتقدات الدينية ، وكان ذلك بسبب مـوقعها الجغرافـى ، فكانـت حلقـة الاتصـال بـين هضـبة آسـيا الصـغرى وبـين الشـام ومفـرق الطـرق الـتجارية الهامـة التـى تجلـب إلـيها فـى آن واحـد مـن الـيونان وإيطاليا وفـريجيا والشـام وقـبرص وفينيقـيا ومصـر سـيلا لا يـنقطع مـن الأفكـار والعقائـد والـتأثيرات المخـتلفة[٧] ، فكانت مكانا لالتقاء الثقافات والمعتقدات الشرقية والغربية ، ومزجها والتأليف بينها.

---

(١)راجع : يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٢٣.
(٢)جورج سارتون : تاريخ العلم (٣٩٢/٣)
(٣)المرجع السابق ٣٨٨/٣).
(٤)د/ عثمان أمين : الفلسفة الرواقية ص ١٠.
(٥)فجر المسيحية ص ٢٤.
(٦)المسيحية نشأتها وتطورها ص ٦٨.
(٧)المرجع السابق نفس الصفحة

فلقد عبد الشعب فى طرسوس آلهة يونانية وسريانية [١]، شرقية وغربية على السواء، وانتشر بين أهلها ديانات ذلك العصر وهى ما تسمى بالديانات السرية [٢].

يقول يوسف الحداد: كان فى طرسوس زوايا للعبادات السرية وهى مزيج من حكمة اليونان ومن صوفية الشرق تدعو للخلاص بطقوس سرية" [٣].

فكانت طرسوس مركزاً من مراكز المثرية [٤] وهى تنسب لمثرا الفارسى، وكان أهلها يعتقدون أن مثرا هو المخلص والمنقذ، وفى طرسوس أيضاً كان هناك أتباع للأورفية [٥]، وما يشبهها من تلك الديانات السرية ـ والتى كان من أهم تعاليمها فكرة (المخلص) أو (المنقذ).

يقول ول ديورانت: " وكان فى طرسوس كما كان فى معظم المدن اليونانية أتباع للأورفية وغيرها من العقائد الخفية يعتقدون أن الله الذى يعبدونه قد مات من أجلهم ثم قام من قبره، وأنه إذا دعى بإيمان وحق وصحب الدعاء الطقوس الصحيحة استجاب لهم، وأنجاهم من الجحيم، وأشركهم معه فى موهبة الحياة الخالدة المباركة" [٦].

هذا وكان يعبد فى طرسوس ديانات أخرى، وكان معظمها يدور حول هذا المعتقد وهو موت الإله وقيامه من الأموات من أجل خلاص البشر، وكان من أهم هذه الديانات عبادة الإله " بعل طرز" أى " سيد طرسوس " وهو الذى قرن أهل اليونان بينه وبين زيوس ، وهو إله زراعة قديم يتحكم فى خصوبة الأرض، فلما انتقلت عبادته إلى المدينة، وقرن شيئا فشيئا بزيوس ارتفعت مكانته، واتخذ شكل وصفات إله السماء وسيد الآلهة.

---

(١)سيرة رسول الجهاد" بولس" ص ٩.

(٢)سميت هذه الأديان بالسرية لأن الشخص عند دخوله إلى هذه الديانات كان يقوم ببعض الطقوس، ويستلم بعض التعاليم السرية ،ويصبح بذلك شخصا كاملا روحيا (راجع الفكر اللاهوتى فى رسائل بولس ص ٤٥) راجع الباب الثانى من هذه الدراسة..

(٣)فلسفة المسيحية فى رسائل بولس ص (١ / ٤٨).

(٤)العقاد : حياة المسيح ص ٩٢.

(٥)الأورفية: تنسب إلى شاعر من أهل تراقيا اسمه أورفيوس، وهو شخصية اختلف حولها العلماء، ولقد عرف التاريخ الأورفية أول ما عرفها فى القرن السادس ذائعة ذيوعا قويا وبخاصة فى إيطاليا الجنوبية وصقلية (راجع : برتراند رسل: تاريخ الفلسفة الغربية ـ الكتاب الأول ص ٤٢، راجع أيضا: تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٦).

(٦)قصة الحضارة (مج ٣ ج ٣ ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠).

وأيضا (الإله ساندان) وكان فى الأصل أيضا إله خصوبة ـ أو بصورة أعم إله الزراعة ـ وكان الناس يحتفلون به كل عام فيتظاهرون بإحراقه ويزعمون أنه يرتفع بعد ذلك إلى السماء[١] ، وهى معتقدات تشبه المعتقدات الشرقية ، وهذا يؤكد نزعة المزج والتوفيق بين الآلهة وهى التى كانت منتشرة فى طرسوس بوضوح ومنذ زمن بعيد[٢].

لقد ولد بولس ونشأ فى هذه البيئة المليئة بالمعتقدات الدينية ، والتى كان من أهم سماتها المزج بين الآلهة وأهم معتقداتها عقيدة (المخلص) والتى كانت تظهر فى الديانات بصورة مختلفة... هذا إلى جانب أن هذه البيئة كانت مشبعة بالأفكار والمصطلحات الفلسفية.

نشأ بولس وترعرع فى وسط هذه الأجواء الدينية والفلسفية مما سهل عليه الاطلاع عليها والتعرف على أساليبها ، وهى لا شك كان لها أثرها عليه فيما بعد.

يقول حبيب سعيد : " على أنه شابا مثقفا ـ بولس ـ فى مدينة كهذه لابد أن يكون قد تشبع بكثير من الآراء اليونانية ، وبالجو السياسى والدينى فى العالم الأكبر المحيط به خارجا عن بيئته اليهودية المحافظة"[٣].

الاسم والعائلة:

اسمه " بولس " وهو الاسم الرومانى ، وكان اسمه العبرى "شاول " كما تدل عليه صيغته ، وفى سبب تسميته باسمين رأيان :

الرأى الأول: يقول إنه كان اسمه شاول ، ولكن بولس غير اسمه وتسمى باسم الوالى الرومانى (سرجيوس بولس) والى قبرص.

الرأى الثانى: وهو الرأى السائد بين المسيحيين وهو أن بولس كان له اسمان ، اسم يعرف به بين اليهود وهو شاول ، واسم يعرف به بين الأمم وهو بولس[٤].

---

(١)المسيحية نشأتها وتطورها ص ٧٩.
(٢)المرجع السابق ص ٨٠.
(٣)فجر المسيحية ص ٤٠.
(٤)راجع : قاموس الكتاب المقدس ص ١٩٦.

يقول يوسف الحداد : " وكانت عادة مألوفة عند الشعوب المغلوبة فى الدولة الرومانية أن يحمل أحدهم اسمين اسما قوميا ، واسما رومانيا ، وخصوصا إذا ما اكتسب الرعوية الرومانية وامتيازاتها ، كما كانت حال بولس عن أبيه وحمل الاسمين معا منذ مولده فى طرسوس "[١] .

ويقول باركلى : " وكان لمعظم اليهود اسمان ، أحدهما يهودى يعرف به فى الأوساط اليهودية ، والآخر يونانى يعرف به فى باقى أجزاء العالم ، وأحيانا كان الاسم اليونانى ترجمة للاسم العبرى ، وأحيانا يكون الاسمان متشابهان فى النطق مثل يشوع ويسوع ، وهكذا كان شاول وبولس "[٢] .

والواقع أنه برغم الأدلة التى ساقها المسيحيون على التسمية بالاسم الثانى (لشاول) إلا أن هناك حقيقة لم يستطع المسيحيون إنكارها ، أو تجاهلها ، وهى أن بولس كان يدعى شاول (كما فى سفر أعمال الرسل) إلى الوقت الذى ظهر فيه اسم الوالى الرومانى (سرجيوس بولس) على مسرح الأحداث فى سفر أعمال الرسل الإصحاح الثالث عشر[٣] .

ففى الوقت الذى يبين فيه هذا السفر أن هذا الوالى دخل المسيحية على يد شاول ، نجد أنه - أى سفر أعمال الرسل - يطلق على شاول لأول مرة اسم بولس ، ولم يذكر شاول بهذا الاسم قبل هذه الواقعة... فليس هناك أى دليل على أنه نودى بهذا الاسم قبل هذه الواقعة ، والعجيب أن الإصحاح الثالث عشر الذى ذكر هذه الواقعة قد ذكر اسم شاول فى بدايته أربع مرات[٤] . وإن صح هذا الرأى فإنه يعنى أن بولس كان شديد التأثير بمن حوله وأنه كان من النوع الذى يتأثر بغيره ، فلقد غير اسمه وسمى نفسه باسم الوالى ، ويعنى أيضا أنه كان يحب التقرب إلى أهل السلطة والولاة.

---

(١) فلسفة المسيحية فى رسائل بولس (١ / ٤٧).
(٢) تفسير أعمال الرسل ص ١٦٢ - ١٦٣ .
(٣) أعمال ١٣ : ٦ - ١٠ .
(٤) أعمال ١٣ : ١ ، ٢ ، ٧ ، ٨ .

أما بالنسبة لولادة بولس فيذكر أنه ولد فى طرسوس فى العام الثالث(١) الميلادى تقريبا (٢) ... ويقول المسيحيون إنه اكتسب الرعوية الرومانية لأنه ولد فى طرسوس وهى إحدى الولايات الرومانية (٣).

والواقع أن بولس لم يدع لنفسه أنه رومانى إلا فى أوقات الأزمات، فعندما كان يرى أنه سيلحقه أذى من الرومانيين يقول لهم إنه رومانى الجنسية، حتى يتمكن من النجاة من أيدى الرومان أو من العذاب..

يقول سفر الأعمال : (فلما مدوه للسياط قال بولس لقائد المائة الواقف أيجوز لكم أن تجلدوا إنسانا رومانيا غير مقضى عليها...) (٤).

أما أبوه فكان تاجرا ويقال إنه كان فريسيا من الفريسيين (٥).

أما والدته فلم يذكرها بولس قط فى رسائله، والأرجح أنها توفيت وهو طفل (٦).

ثقافة بولس:

عاش بولس فى الفترة الأولى من حياته فى طرسوس، بين أجواء مشبعة بالفلسفة والمعتقدات الدينية، أى أنه نشأ وقت انتشار تلك الثقافات بين جميع الأوساط، وذلك بفضل أن أساتذة الفلسفة فى هذا الإقليم سهلوها بطرق تتفق مع طرق تفكير الجماهير، وهذا يعنى أن اللبنات الأولى فى عقل بولس سمعت بهذه الثقافات وتلك المعتقدات.

فى بداية حياته ـ وحين بلغ الصبى شاول السادسة من عمره ـ كما يقول حبيب سعيد ـ بعث به والده إلى مدرسة صغرى ملحقة بالمجمع اليهودى فى طرسوس، وفى

---

(١) العام الذى ولد فيه بولس لم يعرف بالتدقيق ولذلك نجد " ول ديورانت " يذكر أنه ولد فى السنة العاشرة الميلادية. (قصة الحضارة (مج ٣ ج ٣ ص ٢٤٩).

(٢)فلسفة المسيحية فى رسائل بولس (١ / ٥٠).

(٣)المدخل إلى العهد الجديد ص ٣٤٤.

(٤)أعمال ٢٢ : ٢٥ ـ ٢٧.

(٥)سيرة رسول الجهاد : بولس ص ٦.

(٦)المرجع السابق ص ٧

مدرسة هذا المجمع تعلم شاول العبرية [١] وتعلم القراءة فى الكتاب المقدس بهذه اللغة "[٢]... وبعد تعلمه العبرية أرسله والده إلى مدرسة يونانية - أو أسلمه إلى مرب تولى تعليمه اليونانية قراءة وكتابة[٣]، وتلقى الثقافة اليونانية مدة عشر سنين حتى أتقن اللغة اليونانية جيدا [٤].

ويقول: عكف الفتى شاول على قراءة الكتب اليونانية، فعرف الشئ الكثير عن الإلهة التى عبدها أهل طرسوس، وأشهرها الإله (زيوس) الذى " يكثر غلة الأرض، ويخصب حقوق الحنطة وكرم العنب" حسب اعتقاد أهل طرسوس، ثم الإله (ساندان)، وكان تمثاله أشبه برجل قوى البدن، أمسك بيده قوسا وسيفا وفأسا، وهو الذى يحمى طرسوس بقوسه وسيفه وفأسه ووقعت أبصار الفتى على تماثيل إمبراطور رومية منصوبة فى هياكل طرسوس"[٥]، ويظهر من هذا أن بولس فى سنى شبابه اطلع على ما كان منتشرا فى طرسوس فدرس الأفكار الفلسفية اليونانية، واطلع على المعتقدات الدينية المنتشرة سواء ما كان منها شرقى أم غربى.

ولقد هيأت له الظروف أن يطلع أكثر على معتقدات الناس من خلال اختلاطه بهم، وذلك حين اقتاده والده إلى أحد مصانع الخيام لتعلم هذه الحرفة[٦]، وظل مواظبا على الذهاب بضعة أسابيع حتى أتقن هذه الصناعة[٧].

ثم بعد ذلك أرسله أبوه وهو فى الخامسة عشرة أو العشرين من عمره - كما يقول المسيحيون - إلى غمالائيل [٨] أحد أحبار اليهود فى أورشليم وعضو فى السنهدريم وأحد اللاهوتيين المعروفين فى القرن الأول الميلادى [٩].

---

(١)المرجع السابق ص ٤.

(٢) فلسفة المسيحية فى رسائل بولس (١/ ٥١)

(٣)سيرة رسول الجهاد" بولس " ص ٥.

(٤) المرجع السابق صـ ٤

(٥)المرجع السابق صـ ٥.

(٦)خاصة وأن طرسوس اشتهرت بهذه الصناعة، فكان يأتى إلى أسواقها الناس من إقليم كيليكية حول ميناء طرسوس الذين اشتهروا بتربية قطعان من الماعز الطويل الشعر، وكان رعاتها يجزون شعرها ويذهبون لبيعها فى أسواق طرسوس لطائفة المشتغلين بصناعة الخيام (شينى : تاريخ العالم الغربى ٨٣، سيرة رسول الجهاد : بولس ص ٧، وبما أن بولس كان قد ذهب لتعلم هذه الحرفة فلابد وأنه اختلط بهؤلاء الناس وغيرهم فى أسواق طرسوس وفى مصانع الخيام التى كانت كثيرة فى هذه البلاد.

(٧)سيرة رسول الجهاد: بولس ص ٧

(٨)راجع أعمال الرسل ٢٢ : ٣، راجع أيضا : فلسفة المسيحية فى رسائل بولس (٥٢/١)، المدخل إلى العهد الجديد ص ٣٤٤. ٣٤٥.

(٩)وكان غمالائيل أول من طالب برفع القيود عن تلاميذ المسيح والكف عن اضطهادهم، وحجته أن هذا العمل إن كان من الناس فهو يسقط بطبيعة الحال أما إذا كان من الله فلا تقدروا أن تنقضوه (أعمال ٥ : ٣٤- ٣٩، راجع قاموس الكتاب المقدس ص ٦٦٢)

تتلمذ بولس على يديه ، ولقد حكى سفر الأعمال عن بولس قوله (أنا رجل يهودى ولدت فى طرسوس كيليكية ولكن ربيت فى هذه المدينة مؤدبا عند رجلى غمالائيل على تحقيق الناموس الأبوى"[١] .

يقول حبيب سعيد : " ولبث متتلمذا على يديه مدى سنوات ـ لا يعرف مداها بالضبط ـ والأرجح أنه عاد إلى مسقط رأسه (طرسوس) ، ويؤكد علماء التاريخ وجمهرة الشراح أن شاول لم يكن فى أورشليم خلال السنوات الثلاث التى قضاها المسيح فى خدمته العامة فى أورشليم .[٢]

ويشكك العالم المسيحى شارل جنيبير فى تلمذة بولس على يد غمالائيل فيقول : " وليس فى وسعنا بطبيعة الحال نفى هذا الخبر بصورة قاطعة ، ولكنا نستطيع القول بأنه على أى حال لا يتفق كثيرا مع الصورة العامة التى تكونت لدينا من دلائل مختلفة : فلا نفهم مثلا أن تلميذا من تلاميذ كهنة فلسطين تصل به الحال إلى تجاهل وإنكار أساتذته كما فعل بولس فى طور من أطوار حياته ، بينما نراه أحسن التعبير عن الروح اليهودية التى كانت تسود فى معابد المهجر المتأثرة بالفكر اليونانى "[٣] .

ويقول : " ونكرر أننا لا نثق فى هذا الادعاء ـ تلمذته لغمالائيل ـ بل نعتقد أنه يبعد بنا عن الحقيقة "[٤] بمعنى أن بولس لو كان تلميذا لغمالائيل الحبر اليهودى لتربى على حفظ الناموس ، ولما كان أكثر انفتاحا للفكر اليونانى وأقل تعصبا ليهوديته ، فلقد تأثر بولس كثيرا بيهود المهجر الذين عاش معهم فى طرسوس ، فكان يسير على نمطهم وأسلوبهم وموقفهم من الشريعة ، هذا إلى جانب أنه كان يستخدم التوراة اليونانية المسماة (بالترجمة السبعينية) وهى النسخة التى كان يقرأها يهود المهجر.

يقول يوسف الحداد : " فنشأ بولس (عبرانيا) فى وسط هلينى يتلو كل يوم مع والده الكتاب المقدس باللغة اليونانية السبعينية "[٥] .

---

(١) أعمال ٢٢ : ٣.
(٢) سيرة رسول الجهاد "بولس" ص ١٨.
(٣) المسيحية نشأتها وتطورها ص ٦٩.
(٤) المرجع السابق ص ٨٣.
(٥) فلسفة المسيحية فى رسائل بولس (١/ ٤٩).

ويقول : " حفظ بولس الكتاب المقدس فى ترجمته السبعينية ، وكان ينقل منها عشرات الاستشهادات فى رسائله "[١].

وخلاصة القول : إننا نقول إن تعلمه اليهودية على يد يهود أورشليم الذين يمتازون بالمحافظة على الناموس والنص العبرى ، قول مشكوك فيه ، وهذا يدعونا إلى الاعتقاد بأن تعليم بولس اليهودية كان على يد معلمين من يهود المهجر ، خاصة وأن تعليمه اليهودية الأَوّلى كان فى طرسوس تلك التى كان يعيش فيها كثير من اليهود المهاجرين من أورشليم ، ويؤكد ذلك : الأحداث التالية وأفكاره التى بشر بها بين المسيحيين بعد دخوله المسحية ، واستخدامه للنص اليونانى فى الاستشهاد دون النص العبرانى.

يقول شارل جنيبير : " وهذه الملاحظة على الأخص تدعونا إلى الاعتقاد بأنه لم يدرس النصوص المقدسة فى مدينة القدس ، ولكن فى إحدى المدارس اليهودية بالمهجر"[٢].

وهكذا يتبين لنا أن ثقافة بولس تتلخص فى أنها كانت ثقافة يونانية حيث نشأ فى طرسوس وتعلم فى مدارسها ونهل من معارف أصحابها ، أما ثقافته اليهودية فهى ثقافة يهودى عاش في بلاد المهجر تأثر بالثقافات والمعارف اليونانية ، وإن كان قد تفوق على يهود المهجر في دراسة اليهودية.

يقول بولس : " وكنت أتقدم فى الديانة اليهودية على كثيرين من أترابى من جنسى إذْ كنت أوفر غيرة فى تقليدات آبائى "[٣].

اضطهاد بولس لأتباع المسيح:

يعد بولس قبل دخوله المسيحية من أكبر قادة الاضطهاد ضد النصارى ، فقد كان يكيل لهم من البطش والتنكيل ما تشهد به أسفار العهد الجديد ، واعترف بولس نفسه بأنه كان من أكبر المضطهدين للنصارى ، وأنه أفرط فى تعقبهم واضطهادهم.

---

(١) المرجع السابق ص ٤٨ ، راجع أيضا القس حارث قريصة : القديس بولس (١/ ٤٩).
(٢) المسيحية نشأتها وتطورها ص ٨٤.
(٣) غلاطية ١ : ١٤.

يقول بولس: " واضطهدت هذا الطريق حتى الموت مقيدا ومسلما إلى السجون رجالا ونساء كما يشهد لى أيضا رئيس الكهنة وجميع المشيخة "[١] أى أنه كان قاسيا لدرجة أنه لم يترك رجلا أو امرأة إلا وسلمهم إلى السجون.

وفى فقرة أخرى أبرز بولس ذلك الاضطهاد العنيف بدرجة أكثر وضوحا، وأشار إلى أنه كان يفتى بقتلهم، ثم وضح السبب فى هذا الاضطهاد، وهو حقده على هؤلاء النصارى.

يقول بولس: " فأنا ارتأيت فى نفسى أنه ينبغى أن أصنع أمورا كثيرة مضادة لاسم يسوع الناصرى وفعلت ذلك أيضا فى أورشليم فحبست فى سجون كثيرين من القديسين آخذا السلطان من قبل رؤساء الكهنة، ولما كانوا يقتلون ألقيت قرعة بذلك[٢]، وفى كل المجامع كنت أعاقبهم مرارا كثيرة وأضطرهم إلى التجديف وإذ أفرط حنقى عليهم كنت أطردهم إلى المدن التى فى الخارج "[٣].

ويقول: " فإنكم سمعتم بسيرتى قبلا فى الديانة اليهودية أنى كنت اضطهد كنيسة الله بإفراط وأتلفها "[٤]، ويفصل سفر الأعمال هذا الإفراط فى اضطهاد النصارى الذى تحدث عنه بولس فيقول: "وأما شاول فكان يسطو على الكنيسة وهو يدخل البيوت ويجر رجالا ونساء ويسلمهم إلى السجن[٥] وكلمة السطو فى اللغة الأصلية - كما يقول باركلى - تفيد عملا وحشيا كما ينقض وحش على فريسته[٦].

ثم يوضح سفر الأعمال أن بولس لم يترك بابا فيه إيذاء للنصارى إلا وطرقه واستخدمه فيقول: " وأما شاول فكان لم يزل ينفث (كما ينفث الثعبان سمه القتال)[٧] تهددا وقتلا على تلاميذ الرب فتقدم إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل

---

(١)أعمال ٢٢ : ٤ ، ٥ ، راجع فيلبى ٣ : ٦.
(٢)وفى الطبعة الكاثوليكية (كنت ممن أصدر رأيه بقتلهم).
(٣)أعمال ٢٦ : ٩ ـ ١١.
(٤)غلاطية ١ : ١٣.
(٥)أعمال ٨ : ٣.
(٦)تفسير العهد الجديد (أعمال الرسل) ص ١٠٦.
(٧)د/ ماكرتنى : أعظم الرجال فى الكتاب المقدس ص ٦.

إلى دمشق إلى الجماعات حتى إذا وجد أناسا من الطريق رجالا أو نساء يسوقهم موثقين إلى أورشليم"(١).

ويوضح سفر الأعمال أيضا أن بولس كان يشاهد بفرح عظيم وارتياح شديد الحجارة التى تنهال بشدة على استفانوس ، وكان راضيا وسعيدا لقتل استفانوس (٢).

وهكذا يتبين لنا أن بولس كان من أشد المضطهدين للنصارى ، وأنه استخدم فى اضطهادهم كل الوسائل التى تمكنه من القضاء عليهم سواء بالقول أو بالعمل.

تحوله المفاجئ إلى المسيحية:

إن المسيحيين يروون قصة لتحول بولس إلى المسيحية وهى كما يلى:

إن بولس لما علم أن أناسا اتبعوا الديانة المسيحية فى دمشق تقدم بطلب إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل إلى دمشق للتعريف بمهمته وحتى يتمكن من القبض عليهم ويسوقهم إلى أورشليم ويسلمهم إلى السجون ، وبينما هو فى الطريق حدث أن ظهر له المسيح - كما يعتقدون - ودار بينهما حوار سأله فيه المسيح لماذا تضطهدنى؟ وعلى أثر هذه الواقعة اهتدى بولس للمسيحية وأعلن أنه رسول لها ، وهذه القصة جاءت فى مصادر المسيحيين بثلاث روايات ، ولأن هذه الحادثة لها أثرها على المسيحية كلها سوف نذكر تلك الروايات وننظر ما فيها.

الرواية الأولى:

على لسان لوقا (على اعتبار أنه صاحب سفر الأعمال كما يعتقد المسيحيون) : "فتقدم - شاول - إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل إلى دمشق إلى الجماعات حتى إذا وجد أناسا من الطريق رجالا أو نساء يسوقهم موثقين إلى أورشليم ، وفى ذهابه **حدث أنه اقترب إلى دمشق فبغتة أبرق حوله نور من السماء ، فسقط على الأرض وسمع صوتا قائلا له شاول شاول لماذا تضطهدنى؟** فقال من أنت يا سيد؟ فقال

---

(١)أعمال ٩ : ١ ، ٢.

(٢)أعمال ٢٢ : ٣.

الـرب أنا يسوع الـذى أنـت تضـطهده ، صـعب عليك أن ترفس مناخس [١] ، فقال وهـو مرتعد ومتحير يا رب ماذا تريد أن أفعل ، فقال له الرب قم وادخل المدينة فيقال لـك مـاذا ينبغـى أن تفعـل ، **وأمـا الـرجال المسـافرون معـه فوقفـوا صـامتين يسـمعون الصـوت ولا ينظـرون أحـدا** ، فـنهض شـاول عـن الأرض وكـان هو مفتوح العينين لا يبصـر أحـدا فاقتـادوه بيده وأدخلـوه إلى دمشـق وكـان ثلاثـة أيام لا يبصر ، فلم يأكل ولم يشرب"[٢] .

ومفـاد هـذه الـرواية : أنه فجأة ظهر لبولس نور ، فلما أبصره سقط مغشيا عليه ، وسـمـع صـوتا يسـأله لماذا تضـطهدنى؟ فسـأله بـولس مـن أنـت؟ فقـال أنا يسوع الذى تضـطهده ، ثـم نصـحه المسـيح بالدخـول إلى المديـنة (دمشـق) ليتلقـى مهمـة التبشير بالمسـيحية ، وبعـد ذلـك قـام شـاول وهـو لا يبصـر شـيئا ، فاقـتادوه إلى دمشـق ، أمـا المسـافرون معـه فتوضـح هذه الرواية أنهم سمعوا الصوت ولم يشاهدوا النور ولا أى شئ آخر ووقفوا صامتين.

الرواية الثانية:

يـرويها صـاحب سفر الأعمال على لسان بولس نفسه. تقول الرواية : " فحدث لى وأنـا ذاهـب ومتقـرب إلى دمشـق أنـه نحو نصف النهار بغتة أبرق حولى من السماء نور عظـيم فسـقطت علـى الأرض وسمعـت صـوتا قـائلا لى شـاول شـاول لمـاذا تضـطهدنى؟ فأجـبت مـن أنـت يـا سـيد؟ فقـال لى أنـا يسـوع الناصـرى الـذى أنـت تضطهده ، **والذين كانوا معى نظروا النور وارتعبوا ولكنهم لم يسمعوا صوت الذى**

---

(١) فى المعاجم اللغوية (نخس الدابة كنصر، وجعل ، أى غرز مؤخرها أو جنبها بعود ونحوه ، والمنخس: ما ينخس به الدابة لتنشط ، وجمعها مناخس أو مناخيس ، راجع لسان العرب ص ٤٣٧٦ ، القاموس المحيط ج ٢ باب السين فصل النون ص ٢٦٣ ، (وهذا القول كناية عن أن بولس لن يستطيع أن يهرب منه ، وأن عليه أن يتعلم الطاعة والخضوع له ـ أي المسيح ـ يقول باركلى معلقا على هذا : " قال المسيح المقام ـ أى الذى قام من قبره كما يعتقدون ـ لبولس : " صعب عليك أن ترفس مناخس " كان الثور الذى يوضع تحت النير لأول مرة يرفس محاولا الإفلات من النير ، وكان صاحبه يمد عصا طويلة فى آخرها جزء حاد ، فكان كل مرة يرفس يتألم من المناخس ، وكذلك فى العربة توضع مناخس خلف رجل الحصان حتى إذا ما رفس يتألم أيضا ويجرح ، كان على الثور الصغير أن يتعلم الطاعة والخضوع للنير القاسى وكذلك كان على بولس أن يتعلم الخضوع والطاعة. راجع : تفسير أعمال الرسل ص ٢٨٩.

(٢) أعمال ٩ : ١ ـ ٩.

كلمني ، قلت ماذا أفعل يا رب؟ فقال لي الرب قم واذهب إلى دمشق وهناك يقال لك عن جميع ما ترتب لك أن تفعل ، وإذ كنت لا أبصر من أجل بهاء ذلك النور اقتادني بيدى الذين كانوا معى فجئت إلى دمشق"[١].

وهذه الرواية تبين أن الذين كانوا مع بولس نظروا النور وارتعبوا ، ولكنهم لم يسمعوا الصوت ، ولم تحدث لأى منهم أى حادثة عمى ، أو غشاوة مثل بولس.

الرواية الثانية:

وهى على لسان بولس أيضا ، والجديد فى هذه الرواية أن المسيح انتخب بولس شاهدا ، وخادما له ، وأنه اختاره ليكون رسولا إلى الأمم (غير اليهود).

نص الرواية كما جاء في سفر الأعمال حكاية عن بولس : " رأيت فى نصف النهار فى الطريق أيها الملك نورا من السماء أفضل من لمعان الشمس **قد أبرق حولى وحول الذاهبين معى ، فلما سقطنا جميعا على الأرض سمعت صوتا يكلمنى** ويقول باللغة العبرانية شاول شاول لماذا تضطهدنى؟ صعب عليك أن ترفس مناخس ، قلت أنا من أنت يا سيد؟ فقال أنا يسوع الذى أنت تضطهده ، ولكن قم وقف على رجليك لأنى لهذا ظهرت لك **لأنتخبك خادما وشاهداً بما رأيت وبما سأظهر لك به منقذا إياك من الشعب ومن الأمم الذين أنا الآن أرسلك إليهم**"[٢].

ويلاحظ فى هذه الرواية أن المسافرين مع بولس سقطوا جميعا على الأرض وبولس هو الذى سمع الصوت باللغة العبرانية ، وأنه تلقى الرسالة من المسيح الذى وعده بإنقاذه من الشعب اليهودى ومن الأمم (أى غير اليهود).

وأهم الملاحظات على هذه الحادثة ما يلى:

(١) أنه يوجد بين الروايات الثلاث بعض الاختلافات التى لا تقبل الجمع بينها ، فالأولى تبين أن المسافرين معه سمعوا الصوت ولم ينظروا النور ووقفوا صامتين ،

---

(١)أعمال ٢٢ : ٦-١١.

(٢)أعمال ٢٦ : ١٣-١٧.

والثانية تبين أنهم لم يسمعوا الصوت ونظروا النور ، **والثالثة** نظروا النور وسقطوا على الأرض.

والاختلاف الثانى : أنه يلاحظ من الرواية الأولى والثانية أن المسيح أمر بولس بالذهاب إلى دمشق لتلقى الرسالة ، بينما الرواية الثالثة توضح أن المسيح أعطى بولس الرسالة فورا - وقت ظهوره له - مع وعد بإنقاذه من اليهود والشعوب الأخرى[١].

ولما كانت هذه الحادثة تعتبر الأساس الوحيد الذى بنى عليه بولس إعلانه لدخوله المسيحية واختياره رسولا من المسيح فإننا نقول الروايات التى روت هذه الواقعة مختلفة فيما بينها ، والاختلاف يعنى أن واحدة من هذه الروايات هى التى تحتمل أنها صحيحة والأخرى ليست كذلك ، ولا سبيل إلى تحديد الصحيحة من غيرها.

(٢) أن بعض الباحثين يرجعون ما حدث لبولس بأنه ربما يكون تهيؤا حدث له نتيجة لعوامل صحية ، فبعض العلماء يقررون أن بولس غالبا كان مصابا بالصرع. يقول د/ إنج[٢] ما ترجمته : " لقد كان يعانى بولس من مرض جسمانى غامض والذى لا نستطيع إلا أن نخمن طبيعته غالبا إنه الصرع لقد كان بولس.عرضة لحالات من الغشاوة الغامضة التى وجد فيها البعض دليلا على الافتراض بأنه كان يعانى من الصرع"[٣].

هذا إلى جانب عوامل الإرهاق والتعب الشديد الناجمين عن السفر الطويل كل هذا ربما يكون هو السبب فى أن يخرج علينا بولس بهذا التهيؤ الذى اعتمل واختمر فى ذهنه فصوّر للمسيحيين أنه حدث حتى يستطيع الدخول فى الديانة التى اضطهد أتباعها حتى الموت.

يقول ول ديورانت : " ولعل ما قاساه من التعب فى سفره الشاق الطويل فى شمس الصحراء اللافحة ، أو لعل ومضة برق من السماء ناشئة من شدة الحرارة ،

---

(١) راجع حقيقة التبشير بين الماضى والحاضر ص ٣٠.

(٢) عالم من علماء الكنيسة وأحد قساوستها ، كان عميدا لكلية القديس بولس بإنجلترا.

(٣) T.W Sullivan and Walter Grierson . eds. Outline of Modern Belief

لعل شيئا من هذا أو ذاك كله قد أثر فى جسم ضعيف، ربما كان مصابا بالصرع، وفى عقل يعذبه الشك والإجرام فدفع بالعملية التى تجرى فى عقله الباطن إلى غايتها"[١].

(٣) أن الروايات تذكر أن بولس كان معه بعض المسافرين الذين سمعوا ولم ينظروا - أو نظروا ولم يسمعوا - لماذا لم تذكر لنا الروايات أسماؤهم، وصفاتهم، وشهادتهم وحالهم بعد إعلان بولس للواقعة؟؟ إن شهادة هؤلاء لو ذكرت لكان هؤلاء شهود إثبات لهذه الواقعة ولا يستطيع أحد أن ينكرها خاصة وأنه لم يحضر أحد هذه الواقعة سواهم، وشهادتهم فى الواقع تعتبر شهادة من شاهد وعاين وتكون أكبر دليل على حدوثها، أما وأن هؤلاء لم تأت الروايات بأى ذكر عنهم، فإننا نشك أن تكون هذه الواقعة حدث!!!

والواقع أن حدوث هذا الأمر لشخص مشهور بالاضطهاد الشديد وبالتحامل على النصارى، لو كان قد شهد ه أناس لكن مثار حديث الجميع منهم، ولذهب الناس إلى هؤلاء الحاضرين لهذه الواقعة، يسألونهم عن تفاصيلها خاصة وأن ما وقع شئ غير معتاد ومألوف وهو ظهور المسيح على هيئة نور ومعاتبته لبولس وتكليفه بحمل الرسالة، ولكن هذا لم يحدث ولم نسمع عنه من خلال الأسفار التى كتبها المسيحيون.

والجدير بالذكر أن هذه الواقعة لو حدثت وكان معه هؤلاء المسافرون والمشاهدون لهذه الواقعة لما شك أتباع المسيح فى بولس حين ذهب ليلتصق بهم وخافوا منه، ولذهبوا لهؤلاء المسافرين معه وسألوهم عما حدث لبولس، أو لاستنجد بهم بولس وبشهادتهم! ولكن هذا لم يحدث. كل الذى حدث أن برنابا هو الذى تشفع له عند التلاميذ، وذكر لهم كيف أن المسيح ظهر له... إلى آخره؟

ولكن هل برنابا كان من هؤلاء المسافرين؟ الواقع أن الروايات لا تذكر عن ذلك شيئا... والخلاصة أن رواية ظهور المسيح لبولس هى رواية ادعاها بولس وحده ولم يشهد بها أحد من المصاحبين له فى السفر.

---

(١) ول ديورانت: قصة الحضارة (مج ٣ ج ٣ ص ٢٥٢).

(٤) إن هناك سؤالا يحيرنا وهو: لماذا تمت هذه الرؤيا بعيدا عن أعين التلاميذ؟ أو بعيدا عن مجتمع التلاميذ (وهو أورشليم)؟ ولماذا ظهر له المسيح بعيدا عن تلاميذه؟ أليس من الأفضل والأحسن له ولجميع النصارى أن تتم تحت سمع وبصر التلاميذ؟ وذلك حتى يقفوا بجانبه وينعموا بمشاهدة معلمهم المسيح عليه السلام ومعجزاته! وحتى يكون التلاميذ شهودا على هذا الظهور. هذا إلى جانب أن ظهور المسيح لبولس بين التلاميذ لا يفتح مجالا للادعاء أو الاحتيال على النصارى بمثل هذا.

الواقع - فى نظرنا - أن بولس ادعى هذه الرؤيا وادعاها بعيدا عن أتباع المسيح عليه السلام، لأنه يعلم تمام العلم من خلال اضطهاده لهم أنهم صادقون فى اتباعهم للمسيح عليه السلام وأنهم لن يقنعوا بادعائه هذا، ولن يصدقوه، لذلك آثر أن يدعى هذه الرؤيا بين أناس بعيدين عن هذا المجتمع الذى عاش وعلم ودعى فيه المسيح عليه السلام فلا يفتضح أمره ولا ينكشف كذبه، ومن ناحية أخرى يجد لدعواه مجالا لأن يقبلها قوم لا يعرفون شيئا عن المسيح عليه السلام ولا عن دعواه ورسالته فيأخذ بلب هؤلاء فيقتنعوا به وبقوله، ويصبح له أتباع، ثم بعد ذلك يضع التلاميذ وأتباع المسيح أمام الأمر الواقع خاصة وأنهم كانوا قلة إذا قيسوا بمن اتبع بولس وآمن بدعوته وبمعتقداته.

(٥) المعروف لدى بعض المسيحيين والمؤرخين أن بولس قبض عليه نيرون وعذبه كثيرا وأمر بقطع رأسه[١]. أى أن حياة بولس انتهت بالقتل على أيدى الرومانيين بينما الرواية الثالثة تذكر أن المسيح وعد بولس بأنه سينقذه من اليهود ومن الأمميين(أى غير اليهود) أى أنه سينقذه حتى يموت ميتة طبيعية، تقول الرواية "منقذا إياك من الشعب - أى الشعب اليهودى - ومن الأمم الذين أنا الآن أرسلك إليهم"[٢].

ونحن الآن أمام أمرين:

إما أن المسيح وعد ولم يستطع أن يفى بالوعد، وكذب على بولس، وهذا كفر بالديانة.

---

(١) راجع من كتب المسيحيين: تاريخ الأقباط (١/ ٧٨) وكتاب السنكسار (٢/ ٣٩٦) ومن الكتب التاريخية: حضارة روما ص ٣٨٠ وغيرهم.

(٢) أعمال ٢٦: ١٧.

أو أن المسيح لم يعد بهذا والرواية كاذبة.. وبولس والمسيحيون لا يحبون أن يكون رسولهم ـ أو إلههم كما يعتقدون ـ كذابا، لذلك لا مناص من القول أن الرواية كاذبة وأن بولس لم يحدث له هذا، ويكون هو الذى كذب على المسيحيين واحتال عليهم، للالتصاق بهم لترويج أفكاره ومعتقداته.

هل تلقى بولس تعليما نصرانيا يؤهله للتبشير بها؟

إنه من الأهمية بمكان أن نبحث هذه النقطة، لأنه يترتب عليها مدى إمكانية معرفة بولس لرسالة المسيح عليه السلام.

(١) لا أحد يذكر أن بولس قد التقى بعيسى عليه السلام مدة حياته، حتى بولس نفسه لا يذكر ذلك.. هذه حقيقة أجمع عليها العلماء والباحثون المسيحيون وغيرهم، فلم تكن لبولس أية معرفة بالمسيح عليه السلام ولم يره فى حياته ولم يتتلمذ عليه!! إذن فهو ليس من تلاميذ المسيح، وإنما كان يعد من أكبر المناوئين والمحاربين لرسالته ولتلاميذه من بعده.

يقول حنا جرجس عبد السيد: " لم يكن شاول هذا من تلاميذ المسيح ولا من الرسل السبعين بل لم يكن إلا مضطهدا للمسيحية والمسيحيين"[١].

(٢) الحقيقة الثانية: أن بولس لم يتتلمذ على أى تلميذ من تلاميذه المسيح عليه السلام، ولم يلتق بأى واحد منهم إلا بعد مدة من تبشيره بالمسيحية ـ يقدرها البعض بثلاث سنوات ـ وذلك حينما ذهب إلى أورشليم بعد فترة من دخوله المسيحية، وحاول أن يقترب من التلاميذ، ولكنهم خافوا منه، ولم يصدقوه لولا تدخل برنابا.. على أنه لم يلتق إلا بطرس ويعقوب من تلاميذ المسيح، ولم يجلس معهم إلا بما يقدر بخمسة عشر يوما، وهذه المدة بلا شك غير كافية لتلقى التعاليم النصرانية لأى مبشر بالديانة.

والجدير بالذكر أن بولس لم يذهب إلى أورشليم ليتعلم من التلاميذ أو ليأخذ منهم تعاليم المسيح، وإنما ذهب إليهم ليعرض عليهم تعاليمه هو الجديدة التى بشر بها.

---

(١) حنا جرجس عبد السيد: مطالعات فى الكتاب المقدس ص ١٧.

يقول بولس: " ولكن لما سر الله الذى أفرزنى من بطن أمى ودعانى بنعمته أن يعلن ابنه فى لأبشر به بين الأمم، للوقت لم استشر لحما ودما ولا صعدت إلى أورشليم إلى الرسل الذين قلبى.. ثم بعد ثلاث سنين صعدت لأتعرف ببطرس فمكثت عنده خمسة عشر يوما ولكنى لم أر غيره من الرسل إلا يعقوب أخا الرب "(١).

فالأمر الذى يهمنا هنا هو ملاحظة أن بولس لم يتلق تعاليمه عن المسيحية من التلاميذ، ولم يتدرب على التبشير بالمسيحية فى أورشليم، ولا على أيدى التلاميذ وهذه نقطة هامة يجب التنبيه عليها.

يقول شارل جنيبير: " والشئ الذى يبدو لنا غير قابل للجدل هو أن تطور بولس نحو المسيحية لم يتم بالقدس وأن مذهبه لم ينشأ من الاتصال بالحواريين الاثنى عشر "(٢).

وإذا كان الأمر كذلك فعلى يد من تلقى بولس تعاليم المسيح عليه السلام ؟ أو بمعنى أدق على يد من تعلم مبادئ المسيحية التى أخذ يبشر بها والتى دونها فى رسائله الأربع عشرة؟ لم تبين لنا الكتب المسيحية ذلك ولعلهم يعتقدون أنه ليس فى حاجة إلى التلقى والتعلم، لأنه انتقل من مرتبة الكافر المناوئ إلى مرتبة الرسل فى المسيحية وصار ملهما ينطق بالوحى فى اعتقادهم ، فلم يكن فى حاجة إلى التعلم والدراسة، لأن الوحى كفاه مؤونة الدرس وتعبه"(٣).

وإنا لنعجب ـ كما يعجب غيرنا ـ كيف ينتقل شخص من الكفر المطلق بالديانة إلى الرسالة فى الدين الذى كفر به وناوأه وعاداه، فإن ذلك ليس له نظير وليس له مشابه، ولم يعهد ذلك فى أنبياء ورسل قط، وهذه توراة اليهود وأسفار العهد القديم التى يؤمن بها المسيحيون كما رووها وقالوها ليذكروا لنا رسولا بعث من غير

---

(١) غلاطية ١ : ١٥ـ١٩
(٢) المسيحية نشأتها وتطورها ص ٨٧.
(٣) محاضرات فى النصرانية ص ٨٦.

أن يكون فى حياته الأولى استعداد لتلقى الوحى وصفاء نفس يجعله أهلا للإلهام ولا يجعل الاتهام والتكذيب يغلبان على رسالته، وإنه إذا لم يكن للرسالة إرهاصات قبل تلقيها لا يكون على الأقل قبلها ما ينافيها ويناقضها"[١].

(٣) إن بولس برغم أنه لم يأخذ العلم من ألسنة تلاميذ المسيح علماء النصرانية إلا أنه استطاع أن يفرض نفسه عليهم وعلى المسيحيين من بعدهم، وذلك بأن ادعى أن المسيح ظهر له وطلب منه أن يتحمل التبشير بديانته.

يقول موريس بوكاى: " ولما لم يكن قد عرف المسيح فى حياته فقد برر لشرعية رسالته بأن أكد أن المسيح بعد قيامته قد ظهر له على طريق دمشق "[٢].

وهكذا يتضح لنا أن بولس لم يتلق أى تعليم من تعاليم المسيح عليه السلام، فلم يلتق به - مدة حياته - ولا بتلاميذه، ولكنه ادعى أن المسيح ظهر له وأعطاه الرسالة وهذا هو موضوع النقطة التالية.

ادعاء بولس للرسالة:

بعد أن ادعى بولس أن المسيح ظهر له ادعى أيضا أنه أرسله رسولا للتبشير بديانته، ويذكر بولس ذلك فى كثير من رسائله المنسوبة إليه.

يقول بولس فى أول رسالة من رسائله فى العهد الجديد[٣] وهى رسالته إلى أهل رومية (بولس عبد ليسوع المدعوُّ رسولا المفرز لإنجيل الله)[٤].

يقول باركلى فى تعليقه على هذه الفقرة: " ويبدأ بولس بتقديم نفسه، فيدعو نفسه عبدا ليسوع المسيح، ويدعو نفسه رسولا، ويدعو نفسه المفرز لإنجيل الله، أى المخصص لنشر الأخبار المفرحة"[٥].

---

(١)المرجع السابق ص ٨٨.
(٢)دراسة فى الكتب المقدسة ص ٧٣.
(٣)المقصود هنا أنها أول رسالة فى ترتيب العهد الجديد
(٤)رومية ١ : ١.
(٥)تفسير رسالة رومية ص ٢٥ ، ٢٦.

ويقول بولس في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس: " ألست أنا رسولا ، ألست أنا حرا ، أما رأيت يسوع المسيح ربنا ، ألستم أنتم عملى فى الرب ، إن كنت لست رسولا إلى آخرين فإنما أنا إليكم رسولا لأنكم أنتم ختم رسالتى فى الرب هذا هو احتجاجى عند الذين يفحصوننى "(١).

وفى رسالته إلى أهل غلاطية يدعى أنه رسول لا من قبل الناس بل من قبل يسوع المسيح ، وأنه تسلم منه الإنجيل الذى يبشر به فيقول: " بولس رسول لا من الناس ولا بإنسان، بل بيسوع المسيح "(٢). ويقول: " وأعرفكم أيها الأخوة الإنجيل الذى بشرت به أنه ليس بحسب إنسان لأنى لم أقبله من عند إنسان ولا عُلمته بل بإعلان يسوع المسيح"(٣).

أما متى ادعى أنه رسول؟ فالواقع أن الرواية الثالثة للرؤيا التى ادعاها بولس تدعى أن المسيح أرسله وقت ظهوره له ، ولكن سفر الأعمال يبين لنا أن هذا الادعاء - ادعاء الرسالة - كان بعد اثنى عشر عاما كما حدده بعض المسيحيين ، وذلك عندما رجع إلى أورشليم(٤).

يقول سفر الأعمال حاكيا عن بولس: " وحدث لى بعدما رجعت إلى أورشليم وكنت أصلى فى الهيكل أنى حصلت فى غيبة فرأيته قائلا لى أسرع واخرج عاجلا من أورشليم لأنهم لا يقبلون شهادتك عنى ، فقلت يا رب هم يعلمون أنى كنت أحبس وأضرب فى كل مجمع الذين يؤمنون بك وحين سفك دم استفانوس شهيدك كنت أنا واقفا وراضيا بقتله وحافظا ثياب الذين قتلوه فقال لى اذهب فإنى سأرسلك إلى الأمم بعيدا "(٥).

---

(١) ١ كورنثوس ٩: ١-٣.
(٢) غلاطية ١: ١.
(٣) غلاطية ١: ١١ ، ١٢.
(٤) راجع فلسفة المسيحية فى رسائل بولس (١/ ٦٩) وإن كان بولس نفسه فى سفر غلاطية يبين أنه حدث بعد أربع عشرة سنة، يقول غلاطية (بعد أربع عشرة سنة صعدت إلى أورشليم) غلاطية ٢: ١.
(٥) أعمال ٢٢: ١٧-٢١.

فأيهما نصدق؟ هل أرسله المسيح - على فرض أنه صحيح - وقت ظهوره له؟ أم بعد ذلك بنحو اثنتى عشرة سنة؟ لابد أن نعرف ولابد من التحديد، لأنه إذا كانت هذه الرسالة بعد اثنتى عشرة سنة من دخوله المسيحية فما فعله وقاله ودعا به قبل هذه المدة ليس من المسيح بل من عنده هو، ومن تأليفه واختراعه ويترتب على ذلك: أن الرواية الثالثة التى تروى تحول بولس للمسيحية وإعلانه رسولا كاذبة. وإذا كان إنسانا بهذه الصفة يكذب على المسيح الذى هو ابن الله فى زعم المسيحيين - فإنه - أى بولس غير جدير بأن يكون رسولا، لأن أهم صفة للرسول أن يكون صادقا فيما يبلغه عن ربه ولا ينسب إليه ما لم يرسله به، وهذا يعنى أن ادعاء الرسالة لا معنى له سوى تضليل الناس والافتراء عليهم.

على أنه يتبين من أقواله وأفعاله أنه لم يكن رسولا بعد أربع عشرة سنة من دخوله المسيحية حيث يقول: " ثم بعد أربع عشرة سنة صعدت أيضا إلى أورشليم مع برنابا آخذا معى تيطس أيضا، وإنما صعدت بموجب إعلان وعرضت عليهم الإنجيل الذى أكرز به بين الأمم ولكن بالانفراد على المعتبرين لئلا أكون أسعى أو قد سعيت باطلاً"(١)

يستفاد من هذا القول أن بولس ذهب إلى أورشليم ليعرض الإنجيل الذى بشر به بين الأمم على التلاميذ ليعرف أهو صحيح أم لا؟ وهنا نتعجب إذا كان هذا الإنجيل قد قبله من الرب - كما يدل ذلك ادعاؤه للرسالة، وكما يدل على ذلك أيضا ما أورده فى الفقرة السابقة على هذه الفقرة فيقول: " وأعرفكم أيها الأخوة الإنجيل الذى بشرت به أنه ليس بحسب إنسان لأنى لم أقبله من عند إنسان ولا عملته بل بإعلان يسوع المسيح"(٢).

فلماذا ذهب إلى أورشليم ليعرضه على التلاميذ وليعرف مدى صحته إذا كان هو قد قبله من الرب بوصفه رسولا- لو كان هذا صحيحا؟، ولا مجال للقول أنه قصد به

---

(١) غلاطية ٢: ١، ٢.
(٢) غلاطية ١: ١١.

اطلاع التلاميذ على مضمون رسالته وإنجيله ، ذلك أن الضرورة تحتم أن التلاميذ كانوا يعرفون مضمون رسالته وإنجيله - وذلك لأنهم هم الذين تتلمذوا على يد المسيح وعاصروه وحملهم المسيح مؤونة التبشير برسالته - فلا داعى لأن يعرفوه؟ وكذلك لا داعى لأن يعرضه على التلاميذ ليعرف صحته ؛ لأنه ما دام قد قبله من الرب فهو بلا شك صحيح ، وإلا إذا كان عرضة لكونه صحيحا أو غير صحيح فمعنى ذلك أنه ليس من عند الله ، أو أن بولس قد شك فيما قبله من المسيح ، والشك فى ذلك غير محمود ، وغير مقبول من رسول - على فرض كونه صحيحا.

وخلاصة القول من هذه المناقشات : أن المعنى الذى قرره بولس بنفسه فى الفقرة المشار إليها - والتى تحكى ذهابه إلى أورشليم ليعرض على التلاميذ الإنجيل الذى بشر به - يدل على أنه لم يكن رسولا وإلا لما قال " لئلا أكون أسعى أو قد سعيت باطلاً "[١].

وهكذا يتضح لنا أن ادعاء بولس للرسالة ليس له أدلة واضحة وصحيحة ، وأنه ادعاء غير مسلم به علميا ومنطقيا ، كما اتضح من المناقشات السابقة.

نشاط بولس التبشيرى ورحلاته التبشيرية:

إن سفر الأعمال يوضح لنا أنه منذ ظهور المسيح لبولس - كما يعتقد المسيحيون - أثناء سفره إلى دمشق وهو يعد من أكبر دعاة المسيحية وأكثر المبشرين بها ، فقد تعددت رحلاته للتبشير بالمسيحية " فصار القوة الفعالة والحركة الدائبة فى الدعاية المسيحية - كما تدل على ذلك عبارات سفر الأعمال "[٢].

وكان من الواجب على بولس حين دخل المسيحية وقبل أن يبدأ أى تبشير وأى نشاط عليه أن يذهب إلى أورشليم ليلتقى بتلاميذ المسيح والصفوة من أتباعه ليتعرف عليهم وليتعلم منهم التعاليم والمبادئ الصحيحة لهذا الدين ، ولكنه لم يفعل ذلك ، فلم يذهب إلى أورشليم إلا بعد ثلاث سنوات.

---

(١) علاطية ٢ : ٢.

(٢) محاضرات فى النصرانية ص ٨٦.

يقول بولس : لما سر الله الذى أفرزنى من بطن أمى ودعانى بنعمته أن يعلن ابنه فىّ لأبشر به بين الأمم للوقت لم أستشر لحماً ودما ، ولا صعدت إلى أورشليم بل انطلقت إلى العربية ثم رجعت إلى دمشق ثم بعد ثلاث سنوات صعدت إلى أورشليم "[١]. والمقصود بالعربية الصحراء العربية الواقعة شرق مدينة دمشق كما يذكر المسيحيون[٢].

فلقد ذهب بولس إلى الصحراء العربية ثم رجع إلى دمشق يدعو إلى المسيحية ، وبعدها ذهب إلى أورشليم ، هذا ما يذكره بولس عن نفسه ، ولكن سفر الأعمال لا يذكر عن ذهاب بولس إلى الصحراء العربية أى خبر ، ، وإنما يبين أن بولس حين دخل دمشق بعد ظهور المسيح له أخذ يبشر فى المجامع اليهودية بأن المسيح ابن الله ، وقد تشاور اليهود لقتله ولكنه استطاع أن ينجو منهم بفضل بعض معاونيه.

وهنا نسأل سؤالاً : لماذا تشاور اليهود لقتل بولس؟ هل لأنه أصبح مسيحياً وأخذ يبشر بالمسيحية؟ ربما ، ولكن سفر الأعمال يذكر لنا السبب الحقيقى فيقول : " وأما شاول فكان يزداد قوة ويحيّر اليهود الساكنين فى دمشق محققاً أن هذا هو المسيح"[٣].

والمعنى أن بولس أخذ يبين لهم ويحاول إقناعهم بأن عيسى بن مريم عليه السلام هو المسيح المنتظر - أى المخلص - وهذا الأمر حير اليهود ، ولم يعجبهم ، وذلك لأنهم يعرفون أنه يكذب عليهم ، لأن بشارات العهد القديم لا تدل على عيسى عليه السلام وإنما على غيره[٤].

إن اليهود كانوا يتمنون أن يكون عيسى عليه السلام هو المسيح المنتظر ، لأنه يهودى وهو أولى من غيره من بنى البشر ، فلو كان هو المنتظر لفرحوا به ولقبلوا دعوته ، ولكنهم لأنهم يعلمون أنه ليس هو لم يؤمنوا به ولا بدعوته ، وحين دعا بولس أن عيسى هو المسيح المنتظر اضطهدوه ، وتشاوروا لقتله ، لأنهم يعرفون كذب قوله ، وهم أعلم الناس بنبوءات العهد القديم وما تدل عليه.

---

(١) غلاطية ١ : ١٥ - ١٨.

(٢) جون لوريمر : تاريخ الكنيسة (١ / ٦٢).

(٣) أعمال ٩ : ٢٢.

(٤) وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

وبعد أن هرب بولس من دمشق ذهب إلى أورشليم ليلتصق بالتلاميذ، وكان ذلك بعد مدة ثلاثة أعوام - أخذ بولس يبشر فيها بالمسيحية من أفكاره ومن تعاليمه لا من تعاليم التلاميذ - ولكن التلاميذ خافوا منه، ولم يصدقوه، حتى تشفع له برنابا عند التلاميذ.

يقول سفر الأعمال: " ولما جاء شاول إلى أورشليم حاول أن يلتصق بالتلاميذ، وكان الجميع يخافونه غير مصدقين أنه تلميذ، فأخذه برنابا وأحضره إلى الرسل وحدثهم كيف أبصر الرب فى الطريق"(١).

يقول باركلى - فى تعليقه على هذه الفقرة - : "كان برنابا يرى أفضل من الآخرين، فبينما نظر الباقون إلى بولس على اعتبار أنه جاسوس أو عميل مدسوس عليهم وثق به برنابا "(٢).

ولا تحسبن أن بولس ذهب إلى التلاميذ ليتعلم منهم - فهو ما مكث إلا خمسة عشر يوماً وما قابل إلا بطرس ويعقوب، وهذه الأيام المعدودات لا تكفى لتعليم مبشر - بل ليبشر بآرائه وأفكاره وتعاليمه، فلقد دخل على اليهود اليونانيين فى أورشليم وعرض عليهم دعوته، ولكنهم لم يقبلوه وحاولوا أن يقتلوه فهرب بفضل معاونة بعض الذين كانوا معه.

يقول سفر الأعمال: " وكان يخاطب ويباحث اليونانيين فحاولوا أن يقتلوه فلما علم الأخوة أحدروه إلى قيصرية(٣) وأرسلوه إلى طرسوس "(٤).

أما لماذا حاولوا قتله؟ فالجواب أنه قدم المسيح بصورة جديدة، وهذه الصورة رفضها اليهود فى أورشليم وأثارت ضجة أدت إلى تعقبه لقتله مما اضطر معه إلى الهروب مرتحلاً إلى طرسوس"(٥).

---

(١) أعمال ٩ : ٢٦.

(٢) تفسير أعمال الرسل ص ١٢٤.

(٣) هى أم المدن فى فلسطين فى أيام العهد الجديد وكانت تقع على البحر على بعد ٤٤ ميلا جنوبى عكا، و ٤٧ ميلاً إلى الشمال الغربى من أورشليم .بناها هيرودوس الكبير عام ١٠ق . م وسماها قيصرية تكريما للإمبراطور أغسطس قيصر (قاموس الكتاب المقدس ص ٧٥٥).

(٤) أعمال ٩ : ٢٩ ـ ٣٠ .

(٥) د / محمد الفرت: بولس والمسيحية ص ٥٠.

ويلاحظ مما سبق ما يأتى: أن بولس فى بداية دخوله المسيحية لم يتلق أى تعليم من أى تلميذ من تلاميذ المسيح بل أخذ يبشر بالمسيحية قبل الرجوع إلى هؤلاء التلاميذ، وأن اليهود فى دمشق وفى أورشليم حاولوا قتله، وأن التلاميذ خافوا منه فى أول الأمر ونظروا إليه على اعتبار أنه جاسوس أو عميل، كل هذا ليس له إلا تفسير واحد وهو: أن بولس أخذ يبشر بتعاليم جديدة لم يأت بها المسيح عليه السلام، ولم يتعلمها تلاميذ المسيح من معلمهم، وأنه أخذ يطبق نبوءات العهد القديم التى تشير إلى النبى المنتظر على عيسى بن مريم عليه السلام مستعيناً بالعقائد الشرقية والأديان السرية السائدة فى عصره، واليهود لأنهم يعرفون أن هذا غير صحيح حاولوا قتله، والتلاميذ لأنهم لم يتلقوا هذه التعاليم من المسيح عليه السلام خافوا منه ولم يصدقوه، أى خافوا من هذه التعاليم الجديدة لأن تكون هدماً لديانة المسيح عليه السلام، ولم يصدقوا أن عيسى بن مريم هو المسيح المنتظر.

المهم أن بولس خرج من أورشليم هارباً من اليهود الذين حاولوا قتله إلى قيصرية، ثم إلى طرسوس، وقضى فيها خمسة أعوام [١] ويقال تسعة أعوام [٢] بشر بالمسيحية فى خلال هذه المدة فى أقاليم سورية وكيليكية [٣] إلى أن ذهب إليه برنابا وطلب منه المساعدة فى التبشير بالمسيحية فى إنطاكية فاستجاب بولس لطلبه، وذهبا معاً إلى إنطاكية وأخذا يبشرا فيها عاماً كاملاً واستجاب لدعوتهما غير اليهود ودخل فى المسيحية أجناس أخرى غير اليهود، وفى هذه الأثناء دعى أتباع هذه الديانة - لأول مرة فى التاريخ - بالمسيحيين.

يقول سفر الأعمال: " ثم خرج برنابا إلى طرسوس ليطلب شاول ولما وجده جاء به إلى إنطاكية فحدث أنهما اجتمعا فى الكنيسة سنة كاملة وعلّما جمعا غفيرا ودعى التلاميذ مسيحيين فى أنطاكية أولاً " [٤] فالتسمية (بالمسيحية) ظهرت فى إنطاكية

---

(١) راجع فلسفة المسيحية فى رسائل بولس (١ / ٧٨).
(٢) راجع وليم باركلى: تفسير أعمال الرسل ص ١٤٧.
(٣) غلاطية ١ : ٢١.
(٤) أعمال ١١ : ٢٥ - ٢٦.

أولاً ـ أى بعيداً عن المجتمع الذى بشر فيه المسيح عليه السلام وبعيدًا عن مجتمع التلاميذ ـ وكان ظهورها مقرونا بدعوة بولس فيها"[١].

وفى أثناء وجود بولس فى إنطاكية جاءه الخبر من أورشليم أن هناك مجاعة واضطهادا للأتباع، فجمع الأتباع الجدد فى إنطاكية التبرعات وأعطوها لبرنابا وبولس ليقوما بتوصيلها إليهم[٢]

ويلاحظ من هذا ثلاثة أمور أساسية:

الأول: أن بولس ارتبط اسمه بدعوة الأمم (غير اليهود) فلقد عمل على قبول الوثنيين فى الديانة المسيحية.

يقول جون لوريمر عن بولس: " وكان من الملاحظ منذ بدء حياته للمسيحية العملية أن الحقل الحقيقى لعمله المرسلى هو الأمم (غير اليهود) ولذلك نراه بصحبة برنابا فى إنطاكية حيث بدأت الكنيسة تزدهر بين اليهود والأمم معاً"[٣]...

وهذا يعنى أن بولس يعتبر من أوائل ـ إن لم يكن أول ـ الذين ابتدعوا دخول الوثنيين غير اليهود فى المسيحية، ناقضاً بذلك إحدى وصايا المسيح إلى تلاميذه " إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة"[٤].

الثانى: إن اسم (المسيحيين) أطلق لأول مرة من تاريخ هذه الديانة على الأتباع الذين دعاهم بولس ـ بعيداً عن مجتمع تلاميذ المسيح ـ فى إنطاكية، وهذا يعنى أن ثمة شيئا جديداً جعل هؤلاء الوثنيين يطلقون هذا الاسم الجديد على هؤلاء الأتباع، هل لأن غير اليهود قبلوا هذه الدعوة ؟ ربما !! هل لأن الأتباع عددهم أصبح كبيراً؟ ربما !!

---

(١)فلسفة المسيحية فى رسائل بولس (١/ ٧٩).
(٢) راجع أعمال الرسل ١١ : ٢٧ ـ ٣٠.
(٣) جون لوريمر: تاريخ الكنيسة (١/ ٦٢).
(٤) متى ١٠ : ٥ ـ ٦.

ولكن في الحقيقة هذه الأسباب - في نظرنا - لا تشفى غليلاً ، ولا يمكن أن تكون سبباً حقيقياً ، فالاسم دائما لابد أن يكون مرتبطاً بشئ معين واضح ، وأقرب ارتباط لهذا الاسم أنهم مسيحيون أى أتباع المسيح[١] وهذا اللفظ في اليونانية - وهؤلاء كانوا يتكلمون اليونانية ولا يعرفون العبرية ولا الآرامية - يعنى أتباع المخلص ، بمعنى أن بولس أطلق على عيسى بن مريم لقب " المسيح بمعنى المخلص " [٢] وقال إنه هو ابن الله المخلص ودعا الناس لهذا الاعتقاد. قبله الوثنيون لأنه قريب الشبه بمعتقداتهم - وهذا الاعتقاد الجديد جعل لهم شهرة وأتباعا ، وكان لابد من علامة تميزهم عن غيرهم ، فوجد الناس أقرب لقب يدل على عقيدتهم هو لقب المسيحيين نسبة إلى المسيح بمعنى المخلص ، فهو لاشك علامة تميزهم عن غيرهم - وهذا فى نظرنا هو السبب الحقيقى لهذا الإطلاق.

الثالث : لم يشأ بولس أن يفصل نفسه عن النصارى فى أورشليم ، وأراد أن يكسب ودهم ، فحينما علم بالضائقة التى يمرون بها نتيجة للاضطهاد حاول جذبهم إليه وبين لهم بطريق أو بآخر أنهم لو اتبعوه لجاءهم بالتبرعات - من الوثنيين الجدد الذين اتبعوه ودخلوا فى ديانته - التى تكفى مؤونتهم وتسد مجاعتهم.

رحلات بولس التبشيرية

بدأ بولس رحلاته التبشيرية متجولاً فى بلاد اليونان ليعرض عليهم المسيحية ، فقام بثلاث رحلات تبشيرية عدا رحلته الأخيرة التى قتل فيها وذلك فى عهد الإمبراطور الرومانى " نيرون ".

الرحلة الأولى، ومجمع أورشليم:

كانت هذه الرحلة فى عام ٤٦م واستغرقت حوالى ثلاث أو أربع سنوات ، وجاء ذكرها فى سفر الأعمال فى إصحاحين هما الثالث عشر والرابع عشر.

---

(١) أصل إطلاق هذا الاسم على الممسوح بالزيت والدهن ، وكان يطلق هذا الاسم فى بنى إسرائيل على الأنبياء والملوك والكهنة، فقد أطلق على شاول (صموئيل الأول ١ : ١٠) وداود (صموئيل الثانى ٥ : ١ - ٢) وغيرهما (راجع رسالة الماجستير للباحث : الخلاص المسيحى ونظرة الإسلام إليه ص ٢٧٦ وما بعدها.

(٢) المرجع السابق ص ٢٨٠.

" وقد بدأت هذه الرحلة من إنطاكية حيث أفرز بولس للقيام بها ، وقد رافقه فيها برنابا ، ومن إنطاكية بسورية ذهب بولس وزميله برنابا إلى سلاميس ، وبافوس فى جزيرة قبرص ، ومن هناك إلى آسيا الصغرى وبشرا فى برجة بمفيلية ثم إنطاكية بيسيدية ثم أيقونية لسترة ودربة وكلها فى الجزء الجنوبى من مقاطعة غلاطية الرومانية ، ثم رجعا من نفس الطريق حتى وصلا إلى إنطاكية مرة أخرى "(١) .

واختتمت هذه الرحلة بعقد اجتماع بين المسيحيين من أجل النظر فى قضية الاختتان لغير اليهود.

وبيان ذلك : أن بولس وبرنابا واجها فى إنطاكية مشكلة كبيرة تقف فى طريق تبليغ دعوة بولس ، ذلك أنه كان يقبل الوثنيين فى المسيحية دون المطالبة بالاختتان وهو من سنن الشريعة الموسوية التى ما جاء المسيح ناقضا لها ، وقام بشأن ذلك جدال كبير.

" فلقد رأى بولس أن الدعوة لو اقتصرت على أرباب الختان فسوف لا يقبلها إلا عدد ضئيل ، محصورين فى جماعة من اليهود ، ولا تلبث أن تتلاشى بعد قليل من الزمن "(٢) .

لذلك لابد من أن تنشر بين غير اليهود ، وهؤلاء لا يقبلون عملية الختان فرأى بولس إعفاءهم منها ، ولكن النصارى من اليهود لم يقبلوا هذا التفكير وقالوا لابد وأن يختتنوا ويوصوا بأن يحفظوا ناموس موسى(٣)

واشتعل الجدل بين النصارى من اليهود وبين المسيحيين الذين اتبعوا بولس ، ولما لم يصلوا إلى حل لهذه المشكلة اتفقوا على رفع الأمر إلى التلاميذ والرسل فى أورشليم. وكانت المشكلة الأولى : هل يقبل غير اليهود فى المسيحية؟ وإذا قبلوا فهل يجب عليه الخضوع لشريعة موسى؟ كانت هذه هى المشكلة.

---

(١) راجع المدخل إلى العهد الجديد ص ٣٤٧ ، الأنبا يوأنس ، والقس إبراهيم سعيد وغيرهما : الدين المسيحى للمرحلة الثانوية سنة ١٩٦١م ص ٩٠.
(٢) بولس والمسيحية ص ٦٤.
(٣) أعمال الرسل : الإصحاح الخامس عشر.

ولقد كان بولس ذكيا حين عمل على أن يجتمع بالتلاميذ بالانفراد ليقنعهم بالأمر، ولقد ذكر ذلك بولس نفسه حين قال: " ثم بعد أربع عشرة سنة صعدت أيضا إلى أورشليم مع برنابا آخذا معى تيطس أيضا، وإنما صعدت بموجب إعلان وعرضت عليهم الإنجيل الذى أكرز به بين الأمم ولكن بالانفراد على المعتبرين لئلا أكون أسعى أو سعيت باطلاً"[١].

يقول يوسف الحداد: " تلك المفاوضات على حدة قبل جلسة المؤتمر هيأت بطرس ويعقوب لتبنى وجهة نظر بولس، وهذا ما ظهر فى المجمع، فما قام الجدال على دعوة بولس حتى حسمه بطرس وأيده يعقوب "[٢].

ولقد حاول بولس إقناع التلاميذ بوسائل متعددة، واعتمد فى إقناعهم على النجاح الكبير الذى حققته رحلته التبشيرية الأولى، ودخول عدد كبير من الوثنيين فى المسيحية.

يقول يوسف الحداد: " كان عرض انتشار الإيمان المسيحى بين الأمميين كافيا لترجيح نظرية بولس بتحرير المسيحية من الموسوية "[٣].

ومن ناحية أخرى كان مجتمع النصارى فى أورشليم فقيرا، وكان بولس يعمل على مساعدتهم بعد أن يجمع التبرعات من الوثنيين الذى دخلوا المسيحية.

يقول باركلى: " إن بولس كان يهدف للذهاب إلى أورشليم لأن كنيسة أورشليم كنيسة فقيرة، وكان غرض بولس أن يأخذ تقدمة من كنائس الأمم إلى كنسية أورشليم. ونجد إشارات لذلك فى رسائل[٤] بولس "[٥].

هذا وذاك كان لهما أكبر الأثر فى التأثير على التلاميذ فى أورشليم.

---

(١) غلاطية ٢ : ١ ـ ٢.
(٢) راجع أعمال الرسل ١٥ : ٧ ـ ١٩ ، فلسفة المسيحية فى رسائل بولس (١ / ٦٤).
(٣) المرجع السابق (١ / ٩٢).
(٤) راجع ١ كورنثوس ١٦ : ١، ٢ كورنثوس ٩ : ١ ، رومية ١٥ : ٢٥، ٢٦.
(٥) تفسير أعمال الرسل ص ٢٣٣.

يقول شارل جنيبير: " ولا غرابة أن نرى الحواريين الاثنى عشر يستنكفون كثيراً من مثل هذه النتائج التى توصل إليها بولس ويبدون أمامها تردداً قوياً إلا أنه فرضها عليهم فرضاً ، إذ استطاع إيجاد البراهين المقنعة بشأنها معتمداً على تحليل أوجه النجاح التى لمسها خلال رحلته التبشيرية الأولى فى ربوع آسيا الصغرى ، وكان هذا المجتمع فقيراً ، وكانت كنائس بولس أحياناً بين أتباعها ثراة القوم وكرامهم ، وكان بولس خبيراً بأساليب حثهم على مساعدة الكنيسة الأم "(١).

وهكذا يتبين أن بولس باجتماعه مع بعض الأتباع فى أورشليم رتب كل شئ لصالحه قبل اجتماع المجمع ، لذلك جاءت قراراته موافقة لآرائه ، وانتهى أمر المجمع هذا ـ كما جاء فى سفر الأعمال ـ على أن يقبلوا الأميين فى المسيحية وذلك بعد أن يقلعوا عن أربعة أمور هى :

١ـ أكل ما ذبح للأصنام. ٢ـ الزنا

٢ـ المخنوق. ٤ـ الدم (٢).

وكانت قرارات هذا المجمع انتصاراً كبيراً لآراء وأفكار بولس عامة ، إذ قرر المجمع الأورشليمى ما كان يصبو إليه بولس وهو قبول الأمم فى المسيحية وإعفاؤهم من الاختتان(٣).

الرحلة التبشيرية الثانية:

بدأت هذه الرحلة عام ٤٩ ـ أو ٥٠م ، وقد انفصل بولس عن برنابا فى بداية هذه الرحلة لرفض الأول أن يصحبا معهما (مرقس) ـ المنسوب إليه الإنجيل الثانى ـ مرة أخرى ، فأخذ بولس معه عضوا من كنيسة أورشليم وهو سيلا "سلوانس" (٤) ، ونجد تفاصيل هذه الرحلة التى استمرت ثلاثة أعوام فى أعمال الرسل من الإصحاح الخامس عشر الفقرة ٣٦إلى الإصحاح الثامن عشر الفقرة ٢٣.

---

(١) المسيحية نشأتها وتطورها ص ١٠٤.
(٢) راجع سفر الأعمال ١٥ : ٢٠.
(٣) سفر الأعمال١٥ : ٢٣ ، ٢٩.
(٤)أعمال ١٥ : ٢٦ ـ ٤١ (المدخل إلى العهد الجديد ص ٣٤٨).

ولقد بدأت من إنطاكية وزار بولس أولا كنائس سورية وكيليكية، ثم وصل إلى جنوب غلاطية لزيارة كنائس دربة ولسترة ـ وفيها تعرف على تيموثاوس[١] ـ وإيقونية وإنطاكية بسيدية، ثم اتجه بعد ذلك إلى نيابوليس ـ وهو ميناء فيلبى ـ ثم فيلبى ومنها إلى تسالونيكى وبيرية، ثم اتجه إلى أثينا ثم كورنثوس حيث قضى حوالى ثمانية عشر شهرا، ثم سافر إلى أورشليم مارا بأفسس وأخيرا عاد إلى إنطاكية نقطة البداية[٢]. وفى خلال هذه الرحلة ـ وفى كورنثوس ـ كتب رسالتى تسالونيكى[٣].

ولقد حدث فى هذه الرحلة أمر يجب التعليق عليه: ذلك أنه يلاحظ أن بولس أثناء وجوده فى أثينا نظر حوله فوجد المدينة مليئة بالأصنام، فأخذ يكلم كل من يقابله، فتكلم مع قوم من الفلاسفة، الأبيقوريين والرواقيين، فاستهزؤا بكلامه، وسخروا منه، وأخذوه وذهبوا به إلى آريوس باغوس (وهى الكلمة اليونانية لجبل الإله مارس) فوقف بولس فيهم خطيبا قائلا: أيها الرجال الأثينيون أراكم من كل وجه كأنكم متدينون كثيرا، لأننى بينما كنت أجتاز، **وأنظر إلى معبوداتكم، وجدت أيضا مذبحا مكتوبا عليه. لإله مجهول، فالذى تتقونه وأنتم تجهلونه هذا أنا أنادى لكم به. الإله الذى خلق العالم وكل ما فيه هذا**، إذ هو رب السماء والأرض لا يسكن فى هياكل مصنوعة بالأيادى، ولا يخدم بأيادى الناس كأنه محتاج إلى شئ، إذ هو يعطى الجميع حياة ونفسا وكل شئ، وصنع من دم واحد كل أمة من الناس .. لكى يطلبوا الله لعلهم يتلمسونه فيجدوه، مع أنه عن كل واحد منا ليس ببعيد، لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد كما قال شعراؤكم أيضا لأننا أيضا ذريته... إلى آخره"[٤].

ونلاحظ هنا أن بولس يحاول فى جرأة منقطعة النظير أن يوفق بين المسيحية وبين ما يراه من نقوش على آلهة وثنية تعبر عن عقائد وثنية صرفة صنعتها الفلسفة

---

(١) أعمال ١٦: ١ ـ ٣.

(٢) تفسير أعمال الرسل ص ١٩٢.

(٣) المدخل إلى العهد الجديد ص ٣٤٩.

(٤) أعمال الرسل ١٧: ٢٢ ـ ٣١.

اليونانية، ولقد قفى أثره من بعده دعاة المسيحية فى العصور التالية[١]، فقال لهم: إننى وجدت مذبحاً عليه نقش لإله مجهول، وهذا الإله المجهول هو الذى أدعوكم إليه، ولا شك أن هذه النقوش إنما هى لآلهة يونانية وثنية.

الرحلة التبشيرية الثالثة:

بدأت هذه الرحلة حوالى عام ٥٤م واستغرقت أربع سنوات.. ونجد تفاصيل هذه الرحلة فى سفر الأعمال الإصحاح الثامن عشر من بداية الفقرة الثامنة والثلاثين.

" وبدأ بولس هذه الرحلة بغلاطية الشمالية ثم فريجية حيث مكث فيها ثلاث سنوات تقريبا ونجح نجاحا كبيرا ثم ترك بولس أفسس وذهب إلى كلدونية ثم إلى اليونان، ثم سار إلى فيلبى واستمر فى طريقه إلى أورشليم، ولقى فيها كثيرا من الاضطهاد والإيذاء من اليهود والرومان وكانت البداية أن رآه بعض اليهود ومعه أحد الأمميين يدخلان الهيكل، وكان دخول الأمم الهيكل ممنوعا بتاتا، كان مسموحا للأمم أن يدخلوا رواق الهيكل ـ وكان من يتخطى العلامة المحددة عقوبته الموت، ولما رأى بعض اليهود بولس ومعه أحد الأمميين فى الهيكل اتهم بتدنيس الهيكل والتعدى على الناموس والاستهتار بشعب الله المختار، لذلك قاد اليهود حركة كان الغرض منها التعدى على بولس وقتله، حتى جاءت السلطات الرومانية وقبضت عليه وخلصته من أيدى اليهود، ثم أرسله قائد حرس الهيكل إلى قيصرية وهناك بقى فى الحبس لمدة سنتين (٥٨ ـ ٦٠) وبعد جلسات المحاكمة رفع بولس أمره لقيصر كمواطن رومانى ـ بعد ادعائه لهم أنه رومانى ـ فأرسله الوالى فذهب إلى رومية بعد رحلة قاسية، وهناك بقى فى السجن مدة عامين كتب فيها بعض الرسائل المنسوبة إليه فى العهد الجديد "[٢].

تنتهى قصة بولس بحسب سفر الأعمال عند هذا الحد.

---

(١) بولس والمسيحية ص ٧٠.

(٢) تفسير أعمال الرسل ص ٢٤٥ ، المدخل إلى العهد الجديد ص ٣٥١.

يقول باركلى : " إنه - أى سفر الأعمال - ينتهى وبولس فى السجن ينتظر المحاكمة، فكم كنا نشتاق أن نعرف ما حدث لبولس، ولكن النهاية محوطة بالغموض "(١).

وهناك اتجاه عند بعض المسيحيين أن هذا السجن لم يكن نهاية حياة بولس ولا نهاية خدمته، ويبنون رأيهم على أساس النهاية العجيبة لسفر الأعمال، إذ لا تكشف عن أى شئ سوى أن بولس مكث مدة سنتين فى السجن يبشر الذين يأتون إليه، ثم إن هناك رسائل منسوبة إلى بولس - وهى تيموثاوس الأولى والثانية وتيطس - لا يوجد لها مكان فى أية فترة من حياته قبل سجن رومية، لذلك يقول البعض إن بولس خرج من السجن، ثم ذهب إلى أسبانيا وبشر هناك، ورجع إلى رومية، وأخيرا قبض عليه فى عهد نيرون، ثم قتل أواخر هذا العهد بعد أن انفجر الاضطهاد العنيف ضد المسيحيين الذى أمر به هذا الامبراطور "(٢).

وهكذا نجد أن بولس كان يرتحل من بلدة إلى أخرى مبشرا بالمسيحية التى رآها ونجح فى جعل كثيرين من الوثنيين يعتنقون هذه الديانة، وهذا يعنى أن بولس كان أكبر المبشرين بالمسيحية وكان له من المؤيدين لديانته الكثيرون، ويعنى أيضا أن ديانة بولس كان لها الغلبة لأن أتباعها هم الأكثر تواجدا وانتشار فى العالم..

وهل لنا أن نتلمس : لماذا كان بولس أكثر نشاطا من غيره فى التبشير بالمسيحية؟ ربما يكون ذلك بسبب أن بولس كان له دخل فى إنشاء العقائد التى بشر بها، أى أنه بشر بعقائده هو، وهذا يجعله أكثر تحمسا وأكثر نشاطا من غيره، ذلك أن كل صاحب فكرة جديدة يكون أكثر الناس تحمسا لها، وهذا يفسر لنا أيضا خروج بولس فى أغلب الأحيان للتبشير بالمسيحية دون أن يصحب معه أحدا من التلاميذ.

رسائل بولس:

ينسب لبولس فى أسفار العهد الجديد أربع عشرة رسالة كتبها - أو كتب معظمها - أثناء الرحلات التبشيرية التى قام بها.

---

(١) تفسير سفر الأعمال ص ١٥

(٢) المدخل إلى العهد الجديد ص ٣٥٠ - ٣٥١.

وهى على حسب ما رتبه البعض تاريخياً - وهو ترتيب غير مجمع عليه - كما يلى[١]:

(١) الرسالة إلى غلاطية : هذه أولى الرسائل فى رأى كثير من الشراح ، وربما يكون بولس قد بعث بها من إنطاكية أو أورشليم بعد رحلته الأولى التى قام بها للمناداة بدعوته.. على أن بعضهم يقول إن بولس بعث بها خلال رحلته الثانية ، وكان قد بعث قبلها برسالته إلى أهل تسالونيكى.

(٢ ، ٣) تسالونيكى الأولى والثانية : كتب بولس هاتين الرسالتين خلال رحلته الثانية ، والأرجح أنه أرسل الأولى من أثينا والثانية من كورنثوس[٢].

(٤) كورنثوس الأولى : أرسلها بولس من أفسس خلال رحلته الثالثة.

(٥) كورنثوس الثانية : أرسلها من مكدونية - ربما من فيلبى - خلال رحلته الثالثة.

(٦) رومية : أرسلها من كورنثوس قبل رحلته الثالثة.

(٧ ، ٨ ، ٩) كولوسى ، أفسس ، فيلمون : أرسلهم وهو سجين فى رومية

(١٠) فيلبى : أرسلها وهو سجين أيضا ربما بعد الثلاث رسائل السابقة ، ويقول البعض إنه أرسلها من قيصرية قبل ترحيله إلى رومية.

(١١ ، ١٢) تيموثاوس الأولى وتيطس : أرسلهما بعد إطلاق سراحه من السجن ، وكان وقتئذ يجوب منادياً بدعوته.

(١٣) تيموثاوس الثانية : أرسلها وهو سجين فى رومية للمرة الثانية قبيل قتله بفترة طويلة[٣].

(١٤) الرسالة إلى العبرانيين : ولا يعرف متى كتبت؟ونسبتها إلى بولس مشكوك فيها[٤].

---

(١) حبيب سعيد : المدخل إلى الكتاب المقدس ص ٢٨٨.
(٢) وهاتان الرسالتان فى رأى بعض الشراح أنهما أقدم الرسائل التى كتبها بولس. (راجع حبيب سعيد : أديان العالم ص ٢٧٢).
(٣) المدخل إلى الكتاب المقدس ص ٢٨٨ - ٢٨٩.
(٤) المرجع السابق ص ٣٤٠ - ٣٤١.

ولما كان الاستطراد فى بيان هذه الرسائل بياناً تفصيلياً يخرج بنا عن دائرة البحث فإننا سنكتفى بإبراز بعض الحقائق عن هذه الرسائل :

أولاً : إن هذه الرسائل ليس فيها شئ من تعاليم المسيح عليه السلام، فلم تذكر أى قول من أقواله، أو أى تعليم من تعاليمه، بل هى أقوال وتعاليم بولس.

يقول جون لوريمر : " وقد ركزت أساساً على أمور لاهوتية ،وتعاليم خاصة بالسلوك الشخصى والأمور الدينية، ولم يكن بها شئ يذكر عن حياة المسيح ،أو أية اقتباسات من تعليمه، أو صلواته، أو أمثاله"(١).

ثانياً : هذه الرسائل لم تكتب بلغة المسيح ،ولا لغة تلاميذه، بل كتبت باليونانية [٢].

يقول يوسف الحداد : وبما أن بولس كان أول كتبة الوحى الإنجيلى، فقد كان واضع لغته اليونانية المكتوبة "[٣]. أى أنه هو الذى أنشأ هذه الكلمات، وكتبها، وأدخلها المسيحية.

ثالثاً : إن رسائل بولس هى أولى أسفار العهد الجديد كتابة وقبولاً، فأول ما كتب من العهد الجديد هو هذه الرسائل..

ففى مقدمة كتاب (لمن كتب الرسول) جاء " أن رسائل بولس قد كتبت وجمعت قبل أن تكتب بشائر الإنجيل وتجمع فى صورتها الحالية "[٤].

ويقول لويس برسوم : " رسائل بولس هى التى كتبت على ما حققه العلماء ما بين ٥١ ـ ٦٢م أى قبل كتابة الأناجيل الأربعة "[٥].

---

(١) جون لوريمر : تاريخ الكنيسة (١ / ٨٣).
(٢) لجنة التاريخ القبطى : تاريخ الأمة القبطية (٢/ ٤٥).
(٣) فلسفة المسيحية فى رسائل بولس (١/ ٢٤٢).
(٤) مابل واربرتون : لمن كتب الرسول ص ٦.
(٥) لويس برسوم : المسيح الإله والإنسان ص ٨.

ويقول يوسف الحداد: وقيمة رسائل بولس الأثرية أنها الأثر الأول قبل تدوين الإنجيل للدعوة المسيحية، فبولس أول من كتب فى المسيح والمسيحية "[١].

وكذلك أيضاً أول ما تم قبوله لدى الكنيسة واعتبر قانونياً من كتب العهد الجديد هو هذه الرسائل. يقول رولاند بينتون: " وكان أول ما قبل من الأسفار رسائل بولس الرسول، ثم الأناجيل الأربعة، ثم الأعمال، ودخلت بقية الأسفار فى الاعتبار القانونى تباعاً "[٢].

رابعاً: هذه الرسائل لم يعترف بها رسمياً إلا فى سنة ٣٢٥م فى مجمع نيقية، عدا الرسالة إلى العبرانيين، فقد اعترف بها بعد ذلك.

خامساً: إن هذه الرسائل هى التى تحتوى على العقائد والمبادئ والأفكار المسيحية وتركز عليها، أى أنها تشتمل على المبادئ اللاهوتية والأسس العقائدية للدين المسيحى بصورة مفصلة، هذا إلى جانب أنها تحتوى على الشرائع والعبادات والأخلاق التى يرتكز عليها الدين المسيحى.

يقول يوسف الحداد ـ تحت عنوان قيمة الرسائل الموضوعية ـ : " أنها تحمل المبادئ الأولى التى قامت عليها الدعوة المسيحية فى البيئة الهلينية والتى عاشت فيها المسيحية، ففيها يوضح بولس مبادئ التعليم المسيحى ويجيب بفتاويه على مسائل كنائسه"[٣].

ويقول د/ حنا جرجس الخضرى: " وهذه الرسائل تحتوى على تعاليم عامة، ولكن معظمها يقدم لنا بعض العقائد عن المسيح. والدارس المدقق يجد فى رسائل بولس ما يمكننا أن نسميه بقوانين الإيمان "[٤].

العقائد والأفكار التى بشر بها بولس:

لا نستطيع فى هذه الدراسة أن نحصر كل الأفكار والعقائد التى كان يبشر بها بولس، فتلك تحتاج إلى دراسة خاصة، ولكن سنعرض لأهم الملامح الرئيسية التى شكلت دعوته والتى بشر بها بين الأمم.

---

(١) فلسفة المسيحية فى رسائل بولس (٢/ ٣٠٩).
(٢) موقف من تاريخ الكنيسة ص ٢٣.
(٣) فلسفة المسيحية فى رسائل بولس (٢/ ٣٠٩).
(٤) د/ حنا جرجس الخضرى: تاريخ الفكر المسيحى. المجلد الأول ص ٣٨٥.

أولاً: (الخلاص) العقيدة الرئيسة فى تفكير بولس:

إن العقيدة الرئيسة التى بشر بها بولس هى عقيدة الخلاص [١]، فكان كل تفكيره يدور حول هذه العقيدة لدرجة أنه أخضع كل أعمال وحياة المسيح لها، بل وأضاف إلى المسيح عليه السلام بعض الأعمال حتى تكتمل صورة المخلص كما رسمها هو.

ويدل على ذلك ما جاء فى سفر أعمال الرسل من أن أول ما بشر به بولس - عقب إعلانه الدخول فى المسيحية - هو الدعوة إلى الاعتقاد بأن عيسى بن مريم هو ابن الله المسيح المنتظر.

" وللوقت جعل يكرز فى المجامع بالمسيح أن هذا هو ابن الله، فبهت جميع الذين كانوا يسمعون وقالوا أليس هذا هو الذى أهلك فى أورشليم الذين يدعون بهذا الاسم، وقد جاء إلى هنا لهذا ليسوقهم موثقين إلى رؤساء الكهنة، وأما شاول فكان يزداد قوة ويحير اليهود الساكنين فى دمشق محققاً أنه هذا هو المسيح "[٢].

والمعنى أن بولس بدأ يبشر بالمسيح على أنه هو المخلص، وفسر أعمال المسيح بما يتطابق مع هذه العقيدة التى سمحت وهيأت له ولمن بعده لإضافة أعمال أخرى كثيرة إلى المسيح حتى أصبحت هكذا: المسيح المخلص هو ابن الله الذى تجسد وصلب وقام من أجل خلاص البشر.

يقول د/ فهيم عزيز: " إن مركز فكر الرسول بولس يتلخص فى تحقق مجئ العصر الجديد عصر الفداء الذى فيه يتمم المسيح عمله"[٣].

ويقول يسى منصور: " ويعتبر تعليم بولس - عن موت المسيح هو المحور الأساسى لكل أقواله كما نرى ذلك جليا فى رسائله الأربعة عشر "[٤].

ويقول فرويد: " إن جوهر الخلاص هو ما أضافه بولس إلى المسيحية [٥] وهذا المعنى أيضاً قاله شارل جنيبير [٦].

---

(١) راجع: الخلاص المسيحى ونظرة الإسلام إليه ص ٥٩ - ٦٠.
(٢) أعمال ٩: ٢٠ - ٢٢
(٣) الفكر اللاهوتى فى رسائل بولس ص ٥٢.
(٤) يس منصور: الصليب فى جميع الأديان ص ٦١.
(٥) فرويد: موسى والتوحيد ص١٧٩.
(٦) راجع المسيحية نشأتها وتطورها ص٧٨.

وفى الحقيقة أن بولس كان ذكياً ـ ونقصد به ذكاء المبتدع ـ حين جعل هذه العقيدة هى أساس تبشيره ودعوته، وذلك "لأنه حاول من خلالها الجمع بين عقيدتين إحداهما يهودية والأخرى وثنية، بمعنى أنه حاول الجمع بين عقيدة اليهود وعقيدة الوثنيين فى المخلص..

فاليهود كانوا ينتظرون مخلصاً يخلصهم مما هم فيه من الاستعباد والذل، ويخلصهم من حالة الانكسار العسكرى والهزائم المتلاحقة التى مُنى بها بنو إسرائيل، وتم على أثرها خضوعهم للآشوريين سنة ٧٢٢ق. م، ثم البابليين سنة ٥٨٦ق. م ووصلت إلى ذروتها فى العصر الرومانى ـ يخلصهم من هذه الوحدة السياسية ويضعهم على قمة السلم البشرى[١].

أما الوثنيون: فكانوا يعتقدون فى منقذ له القدرات الإلهية التى يستخدمها فى هذا الخلاص، ولما كان الوثنيون يعتقدون بالتعدد فى الألوهية فقد تبع ذلك تعدد فى المخلصين...

فقد كان الجو الدينى الوثنى الذى يحيط ببولس يتحدث عن مخلص (منقذ) يخلص البشرية، هذا إلى جانب أن اليهود كانوا يتحدثون عن حياة (مسيح منتظر) فأخذ بولس يفكر لِمَ لا يكون عيسى بن مريم هوالمسيح المخلص ؟؟

ولقد اختار بولس لإعلانه هذه العقيدة الزمان والمكان المناسبين، حتى يضمن لها القبول، وكان ذلك حين خرج من أورشليم وهو فى طريقه إلى دمشق ادعى أن المسيح ظهر له وسأله لماذا تضطهدنى ؟ إلى آخر الرواية، ثم دخل إلى دمشق وادعى هذه الرؤيا، ثم أخذ يبشر بين الناس بعقيدته الجديدة وهى أن عيسى بن مريم هو المسيح المخلص، وأنه متصف بصفات أكثر من البشر، أو أن له قدرات أكثر من قدرات البشر.

وهكذا نرى أن بولس حاول الجمع بين عقيدتى اليهود والوثنيين فى المخلص.

---

(١) راجع هذه الفكرة فى رسالة الدكتوراة للباحثة منى ناظم: المسيح اليهودى ص ١٨ ، ١٩

لقد كان هدف بولس من هذا الجمع هو جعل دعوته مستساغة - أو مقبولة - من اليهود والوثنيين على حد سواء، ومن الواضح أنه اتبع فى تبشيره هذه الطريقة، فلقد عرض هذه الدعوة على اليهود والوثنيين معاً، وبدأ باليهود، وخاصة اليهود اليونانيين، وذلك لما يتميزون به من مرونة أكثر، ولأنهم كانوا أقل تعصباً ليهوديتهم من يهود أورشليم، وذلك بسبب اختلاطهم باليونانيين و غيرهم. ولكن اليهود اليونانيين فى دمشق وأورشليم لم يقبلوا هذه الدعوة فى بداية الأمر وحاولوا قتله (١) وذلك لأنهم كانوا يعلمون من خلال درايتهم بالتوراة أن عيسى بن مريم ليس هو المسيح المنتظر ولم تنطبق عليه صفات ونبوءات التوراة ولا الصفات التى اشترطها اليهود للمخلص.

ولكن بولس لم ييأس فولى وجهه تجاه الوثنيين، وبدأ البعض منهم يدخل فى الديانة الجديدة بفضل معتقد بولس، وكان لدخول هؤلاء أثر كبير على ديانة المسيح عليه السلام، وهو أنهم مزجوا بين معتقداتهم وبين النصرانية (٢)، وأثر آخر على بولس نفسه إذ وجدناه - فى سبيل إرضاء هؤلاء - يفسر الأحداث التى حدثت لعيسى عليه السلام بتفسيرات لا تتعارض مع أهوائهم، بل ويلغى بعض الشرائع ويضيف بدلاً منها أخرى، حتى تكون دعوته مقبولة لهؤلاء ويرضوا عنه وعنها.

يقول ول ديورانت: " وعرض بولس الإنجيل على غير اليهود من أهل كورنثة ودخل كثيرون منهم فى دينه، ولعل المسيحية قد بدت لهم أنها صورة أخرى من الأديان الخفية (أو السرية) التى طالما حدثتهم عن المنقذين الذين يبعثون بعد موتهم، ولعلهم حين قبلوها قد مزجوها بتلك العقائد القديمة، وأثروا فى بولس فجعلوه يفسر الأحداث تفسيراً يألفه العقل الهلنستى "(٣).

صفات المخلص فى نظر بولس:

بعد أن أعلن بولس أن عيسى بن مريم هو المخلص وصفه، بصفات تتفق - فى نظره - وهذا الإطلاق، وهى: أنه ابن الله وأنه صلب وقام من أجل الخلاص.

---

(١) أعمال الرسل ٩: ٢٠-٢٥ ، ٩: ٢٨-٣٠.
(٢) راجع هذا الموضوع فى الباب الثانى الفصل الثالث من هذا الكتاب.
(٣) قصة الحضارة (مج ٣ ج ٣ ص ٢٥٨).

١ـ **ابن الله :** لقد أعلن بولس أن المسيح عليه السلام هو ابن الله ، وكان يبشر بهذا " وجعل يكرز بالمجامع أن هذا هو ابن الله " [١] ، وهذا اللقب استخدمه بولس كثيراً فى رسائله ، وأعلن أن المسيح ابن الله هو موضوع الإنجيل الذى بشر به [٢] ، ولهذا السبب يقول عن هذا الإنجيل إنه إنجيل ابنه [٣] .

وفسر د/ فهيم عزيز هذه الفقرة بقوله : " أى أن الابن هو الذى يختص به الإنجيل " [٤] . وبين بولس أيضاً فى رسائله أن ابن الله هو موضوع الكرازة [٥] ، وكذلك أيضاً هو موضوع الإيمان [٦] . وهكذا بين بولس أن ابن الله هو موضوع الإنجيل والتبشير وموضوع الإيمان [٧] ...

أما لماذا كان ابن الله هو موضوع هذه الأشياء الثلاثة؟ فلذلك لأنه ـ فى نظر بولس ـ هو المخلص. يقول بولس : " لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح الذى بذل نفسه فدية لأجل الجميع " [٨] .

ويقول : " ولكن لما جاء مل ء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة مولوداً تحت الناموس ليفتدى الذين تحت الناموس " [٩] ..

ويقول : " ابن الله الذى أحبنى وأسلم نفسه لأجلى " [١٠] .

ويقول : " لم يشفق ـ أى الله ـ على ابنه بل بذله لأجلنا " [١١] .. إلى غير ذلك من هذه الاقتباسات التى تدل على أن بولس أطلق على المسيح عليه السلام لقب ابن الله لأنه ـ فى نظره ـ هو المخلص الذى خلص البشرية من الآثام والذنوب.

---

(١) أعمال ٩ : ٢٠ .
(٢) رومية ١ : ١ ـ ٣.
(٣) رومية ١ : ٩.
(٤) الفكر اللاهوتى فى رسائل بولس ص ١٤٣.
(٥) ٢ كورنثوس ١ : ١٩.
(٦) غلاطية ٢ : ٢٠.
(٧) الفكر اللاهوتى فى رسائل بولس ص ١٤٣.
(٨) ١ تيموثاوس ٢ : ٦.
(٩) غلاطية ٤ : ٤.
(١٠) غلاطية ٢ : ٢٠.
(١١) رومية ٨ : ٣٢.

ونحب أن ننبه أن بولس حين أطلق على عيسى بن مريم لقب ابن الله كان لا يقصد المعنى الذى تحدثت عنه أسفار العهد القديم، وذلك حين نسبت للشعب الإسرائيلى وبعض أنبيائه البنوة الله [١] وهو المحبة والرعاية من الله لخلقه، ولكن بولس حين أطلق هذا اللقب على المسيح عليه السلام أراد منه معنى جديداً وهو أزلية المسيح وألوهيته. ويدل على ذلك أنه نسب إلى المسيح ابن الله بعض القدرات والصفات الإلهية التى لا يوصف بها البشر، فنسب إليه الأزلية وهذا يظهر فى كل كتابات بولس [٢].

يقول د/ حنا جرجس الخضرى: " ولقد شدد بولس على حقيقة أن المسيح أزلى الوجود، فإن ظهور يسوع الناصرى فى فلسطين لم يكن هو بداية وجود المسيح، بل هو موجود قبل كل موجود، وكل ما فى الكون وجد به وله "[٣].

وإليك بعض الاستشهادات من أقوال بولس نفسه:

يقول بولس: " شاكرين الآب الذى أهلنا لشركة ميراث القديسين فى النور، الذى أنقذنا من سلطان الظلمة ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته الذى لنا فيه الفداء بدمه غفران الخطايا **الذى هو صورة الله غير المنظور بكر كل خليقة، فإن فيه خلق الكل ما فى السموات وما على الأرض ما يرى وما لا يرى.. الكل به وله قد خلق الذى هو قبل كل شئ وفيه يقوم الكل**، وهو رأس جسد الكنيسة الذى هو البداءة من الأموات لكى يكون هو متقدماً فى كل شئ لأن فيه سُرّ أن يحل كل الملء" [٤].

ويقول: " فليكن فيكم هذا الفكر الذى فى المسيح يسوع أيضاً الذى إذ كان فى صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله "[٥].

وكذلك أيضا نسب بولس للمسيح ابن الله دوراً كونياً في عملية الخلق.

---

(١) تكوين ٦ : ١-٣ ، تثنية ١٤ : ١ ، خروج ٤ : ٢٢ ، ٢ صموئيل ٧ : ١٤ ، أخبار الأيام الأول ٣٢ : ١٠.
(٢) الفكر اللاهوتى فى رسائل بولس ص ١٤٥.
(٣) تاريخ الفكر المسيحى (١ / ٣٨٦).
(٤) كولوسى ١ : ١٢-١٩.
(٥) فيلبى ٢ : ٥-٦.

يقول د/ **فهيم عزيز**: " يكشف بولس أن الابن شريك وعامل مع الآب فى كل أعماله من الأزل وإلى الأبد ففيه خلق الله كل العالم "[(١)].

وإليك بعضاً من أقوال بولس عن هذا:

يقول بولس: " لكن لنا إله واحد الآب الذى منه جميع الأشياء، ونحن له، ورب واحد يسوع المسيح الذى به جميع الأشياء ونحن به "[(٢)]

وكذلك أيضاً قوله فى كولوسى التى أشرنا إليها سابقاً " فإن فيه خلق الكل ما فى السموات وما على الأرض ما يرى وما لا يرى "[(٣)].

وهكذا يتبين لنا أن بولس أراد ببنوة المسيح لله معنى يخالف معنى البنوة فى العهد القديم.

يقول هنتر - عميد كلية المسيح بجامعة ابردين بإنجلترا - : " لقد سمى بولس يسوع ابن الله أربع مرات و (الابن) مرتين و (ابنه) لا أقل من إحدى عشرة مرة ...، وعندما سمى بولس يسوع ابن الله، كان يتحدث عن كائن إلهى، ولمعرفة مصدر هذه التسمية يجب أن نذهب إلى الهلينية التى اعتادت على تسمية صانعى الأعاجيب بأنهم أبناء الله "[(٤)].

٢- الصلب من أجل الخلاص:

ما دام أن بولس قد تصور أن عيسى بن مريم هو المخلص، فإنه سوف يعمل ذهنه لتكميل هذا التصور، وشخص بهذه العقلية الواعية لا يتصور أن يعجز أن يقدم حلولاً مرضية للوثنيين - الذين هم مجال تبشيره - عما أشيع [(٥)] من أن عيسى بن مريم صلب، والصلب يعنى اللعنة - أى أن كل مصلوب ملعون، كما تنص التوراة

---

(١) الفكر اللاهوتى فى رسائل بولس ص ١٤٦.

(٢) ١ كورنثوس ٨ : ٦.

(٣) كولوسى ١ : ١٦.

(٤) راجع : أحمد عبد الوهاب : حقيقة التبشير ص ٤٦.

(٥) ذلك أن اليهود أشاعوا أنهم صلبوا المسيح ولكنهم ما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم.

التى يؤمنون بها (ملعون كل من علق على خشبة)[١]، وهذه العقيدة لا يرضى عنها أهل الأوثان، وهنا أعمل بولس ذهنه ففكر وقدر، واستطاع أن يصل إلى الحل المرضى لهؤلاء الوثنيين، وهو لا يخرج عن دائرة ما اعتقدوه من أن هذا المصلوب ما هو إلا شخصية إلهية نزل من عند الله ليخلص البشرية من أوزارها، وأنه هو الذى افتدى البشرية من اللعنة بصلبه.

يقول بولس: "المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا لأنه مكتوب ملعون كل من علق على خشبة، لتصير بركة ابراهيم للأمم فى المسيح يسوع"[٢].

وهكذا ظن بولس أنه خرج من هذا المأزق بهذا الحل العجيب ليرضى هؤلاء الوثنيين.

يقول شارل جنيبير: "ورأى بولس أن الأتباع الجدد من المشركين لم يكونوا ليتقبلوا كل القبول (فضيحة الصلب)، وأنه يجب تفسير ميتة عيسى المشينة - التى لم يكف الأعداء بطبيعة الحال عن الرجوع إليها - تفسيراً مرضياً يجعل منها ذات مغزى دينى عميق، وأعمل بولس فكره فى هذه المشكلة المزدوجة وذلك بطبيعة الحال حسب الاتجاه الذى رسمه له مجتمع المهجر الهيلينستى، ووضع لها حلاً كان له صدى بالغ المدى: لقد تجاهل فكرة " عيسى الناصرى " التى أغرم بها الاثنا عشر، ولم يتجه إلا إلى "عيس المصلوب" فتصوره شخصية إلهية تسبق العالم نفسه فى الوجود، وتمثل نوعاً من التشخيص لروح إله تصوره (رجلاً سماوياً) احتفظ به الله إلى جانبه أمداً طويلاً حتى نزل إلى الأرض، لينشئ فيها بشرية جديدة يكون هو (آدمها) "[٣].

ولقد ذكر بولس هذا المعنى وركز عليه وشرحه فى معظم رسائله.

يقول د/ فهيم عزيز: " وتظهر أهمية موت المسيح عند بولس فى كتاباته الوفيرة عنه، فلم تخل أى رسالة عن ذكر وشرح هذه الحادثة المركزية، ولم يفته موقف لم يعلم فيه عنه "[٤].

---

(١) تثنية ٢١ : ٢٣.
(٢) غلاطية ٣ : ١٣ ، ١٤
(٣) المسيحية نشأتها وتطورها ص ١٠٥.
(٤) الفكر اللاهوتى فى رسائل بولس ص ١٦٤.

وإليك بعض ما ورد فى رسائل بولس عن الصلب ـ أو الموت ـ من أجل الفداء والخلاص..

يقول بولس: " ولكن الله بيَّن محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا "[١].

ويقول: " هو مات لأجل الجميع كى يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذى مات لأجلهم وقام "[٢].

ويقول: "الذى فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا "[٣].

إلى غير ذلك مما ورد فى رسائل بولس عن هذه العقيدة.

٣ـ القيامة بعد الصلب:

ولكى يكمل بولس صورة المخلص التى رسمها أوضح أنه قام من الموت، لأنه لا يمكن أن يكون إلهاً ويموت، لذلك كان لابد من وضع حل للاعتقاد بصلبه وموته. ولم يتعب بولس كثيراً فى إيجاد هذا الحل، فقد كان الجو الوثنى حوله يؤمن بإله مخلص يموت ويقوم من أجل البشر، ووجد بولس للاعتقاد بالقيامة بعد الموت مكاناً فى عقيدته الرئيسية التى كان يبشر بها وهى الخلاص، فأعلن أن المسيح عليه السلام مات وقام من أجل فداء البشرية.

يقول د/ فهيم عزيز: " كات موت المسيح عند بولس مهماً جداً، ولكنه كان ينظر إلى هذا الموت كوجه واحد للحقيقة الإلهية للخلاص، أما الوجه الثانى فهو القيامة "[٤].

ولقد ذكر بولس هذا المعنى فى رسائله كثيراً فقال: " نؤمن بمن أقام يسوع ربنا من الأموات الذى أسلم من أجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا "[٥].

---

(١) رومية ٥ : ٨.
(٢) ٢ كورنثوس: ٥ : ١٥.
(٣) أفسس ١ : ٧، كولوسى ١ : ١٤
(٤) الفكر اللاهوتى فى رسائل بولس ص ١٧٠.
(٥) رومية ٤ : ٢٤ ، ٢٥.

وقال: " إن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا، وباطل أيضاً إيمانكم "[١] ولقد أوضح بولس في هذا القول أن التبشير والإيمان باطلان إذا لم يكن المسيح قد قام، وهو بهذا يعبر عن هذا المعنى الذى أشرنا إليه وهو أنه المسيح إله فلا يمكن الاعتقاد بموته، ولذلك كان لابد - في نظره - من الاعتقاد بالقيامة من الأموات، وربطها بعقيدة الخلاص للبشر..

والواقع أن عقيدة موت الإله المنقذ وبعثه كانت منتشرة فى أنحاء العالم اليونانى والرومانى، وفى البيئة التى نشأ وتعلم فيها بولس، حيث كانت هذه العقيدة هى العقيدة الرئيسية للأديان السرية التى كانت لها الغلبة آنذاك.

٤ ـ خاص بالشعائر:

لم يفت بولس أن يدخل بعض الشعائر فى المسيحية التى تعبر عن عقيدة الخلاص، أو يشير إلى ربط بعض الشعائر المسيحية بعقيدته الرئيسية التى جعلها مركز تفكيره وتبشيره وهى (الخلاص)، فمثلاً يشير إلى التعميد على أنه مرتبط بأعمال المخلص المشار إليها، فكما أنه مات ودفن وقام فكذلك المتعمد لحظة دخوله فى الماء أو تغطيسه فيها يكون قد مات ودفن ،ولحظة خروجه منها يكون قد قام.

يقول بولس: فدفنا معه بالمعمودية للموت حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً فى جدة الحياة "[٢].

وكذلك أيضاً يربط بولس بين تناول الخبز جماعة وما نسب إلى المسيح من كونه مات وقام لأجل الخلاص، فيقول: لأننى تسلمت من الرب ما سلمتكم أيضاً أن الرب يسوع فى الليلة التى أسلم فيها أخذ خبزاً وشكر فكسر وقال خذوا وكلوا هذا هو جسدى المكسور لأجلكم اصنعوا هذا لذكرى "[٣]

---

(١)١ كورنثوس ١٥ : ١٤.
(٢) رومية ٦ : ٤.
(٣) ١ كورنثوس ١١ : ٢٣ ـ ٢٤.

ثانياً: التقليل من شأن الناموس[١]:

فى البداية يجب أن نذكر أن المسيح عليه السلام حرص على شدة التمسك بالناموس باعتباره السبيل القويم لنجاة الإنسان، ولقد أكد فى أكثر من مرة أن الشريعة التى سبقت مجيئه (وهى شريعة موسى) لا ينقض منها كلمة، وأنه إنما أتى ليكملها[٢] فقال: " لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس والأنبياء ما جئت لأنقض بل لأكمل، فإنى الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل، فمن نقض إحدى هده الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا يدعى أصغر فى ملكوت السموات "[٣].

ولكن بولس كان له رأى آخر، فلقد قلل من شأن هذا الناموس ونفى عنه أية إمكانية لتبرير الإنسان ونجاته، ومن ثم دعا إلى التخلى عنه، وأكد أن التبرير[٤] أو النجاة إنما هو بالإيمان بيسوع المسيح لا بأعمال الناموس.

وقد ركز بولس على هذا الاعتقاد وأولاه اهتماماً كبيراً لدرجة أن بعض المسيحيين ـ وهم البروتستانتيون ـ جعلوا هذه العقيدة هى مركز تفكير بولس قبل عقيدة الخلاص، بينما اعتبرها الآخرون: العقيدة الثانية بعد عقيدة الخلاص.

يقول د/ فهيم عزيز: " فقد اتخذ بولس هذه العقيدة ـ عقيدة التبرير بالإيمان بيسوع ـ أساساً لفكره اللاهوتى، وذلك لمواجهة عقيدة البر بأعمار الناموس التى تمسك بها اليهود، وهذه العقيدة تظهر فى كل كتاباته فى رومية وكورنثوس وغلاطية وبقية الكتابات بوضوح وجلاء واتساع بحيث تعبر تعبيراً كاملاً عن رأيه، وهذا ما تمسكت

---

(١) والناموس اسم يونانى الأصل معناه (شريعة أو قانون) والمراد به : شريعة موسى التى جاء بها من عند الله. (راجع : قاموس الكتاب المقدس ص ٩٧٨).

(٢) حنا جرجس عبد السيد: مطالعات فى الكتاب المقدس ص ٢٤٧ـ٢٤٨

(٣) متى ٥ : ١٧ ـ ١٩

(٤) والتبرير ـ كما عرفه المسيحيون ـ عكس الدينونة ، ويعنى أن المسيحى ينال البر والنجاة، ويصبح باراً بفضل إيمانه بيسوع المسيح (راجع قاموس الكتاب المقدس ص ١٦٩).

به البروتستانتية"[١] وهذا يدل على مدى اهتمام بولس بهذه العقيدة، فلقد ذكرها فى معظم رسائله وأسفاره.

يقول بولس : " جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة "[٢].

ويقول : " الناموس ليس من الإيمان بل الإنسان الذى يفعلها سيحيا بها "[٣].

ويقول : " لأنه إذا كان بالناموس بر فالمسيح إذاً مات بلا سبب "[٤].

ويقول: " لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر أمامه"[٥].

ويقول: " بر الله بالإيمان بيسوع المسيح... متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذى بيسوع المسيح "[٦]... إلى غير ذلك من الأقوال الدالة على فكرته فى الناموس وهى أن الإنسان لا ينال النجاة بأعمال الناموس، بل بالإيمان بيسوع المسيح، وأن الناموس فقد أهميته بعدما جاء المسيح، وهذا لا شك - كما سبق البيان - مخالف لتعاليم المسيح الذى صرح أنه ما جاء لينقض الناموس ،وأن من نقضه يدعى (أصغر فى ملكوت السموات).

المهم هنا أن نبين أن هذه العقيدة من أسس تفكير بولس، واعتبر المسيحيون هذا العمل - وهو إنكار أهمية الناموس - اكتشافاً خطيراً... ففى إحدى الرسائل المسيحية جاء ما يلى: " اكتشاف بولس الرسول هذا يعتبر خطيراً للغاية، لأنه أحدث نقطة التحول العظمى من العبادة اليهودية إلى العبادة المسيحية التى أنهت على التبرير بالناموس إلى الأبد.

ولقد كانت وقفة بولس الرسول فى وجه بطرس فى هذا الأمر من أخطر الوقفات فى تاريخ الكرازة باسم المسيح، إذ أعلن فى صراحة ووضوح لأول مرة فى الإنجيل

---

(١) الفكر اللاهوتى فى رسائل بولس ص ٥٠.
(٢) غلاطية ٣: ١٠.
(٣) غلاطية ٣: ١٣.
(٤) غلاطية ٢: ٢١.
(٥) غلاطية ٣: ٢٠.
(٦) رومية ٣: ٢٢ - ٢٤.

" وإذ نعلم أن الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس ، بل بإيمان يسوع المسيح ، آمنا نحن أيضاً بيسوع المسيح لنتبرر بإيمان يسوع المسيح لا بأعمال الناموس ، لأن بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما "(١)، (٢).

ويا للعجب يعتبرون خرق بولس ونقضه لشريعة التوراة أمراً محموداً واكتشافاً عظيماً ! !

وبناء على عقيدته هذه ألغى بولس (الختان) فقال : " وهكذا أنا آمر فى جميع الكنائس دُعى أحد وهو مختون فلا يصر أغلف ، دُعى أحد فى الغرلة فلا يختتن ، ليس الختان شيئاً وليس الغرلة شيئا ، بل حفظ وصايا الله "(٣). وكان يردد (ما هو نفع الختان)(٤).

ويقول : " ها أنا بولس أقول لكم أنه إن اختتنتم لا ينفعكم المسيح شيئاً "(٥).

ويقول : " لأن فى المسيح يسوع ليس الختان ينفع شيئا ولا الغرلة بل الخليقة الجديدة "(٦).

ولقد علل العلماء إلغاء بولس للختان بأنه كان عقبة فى سبيل قبول الوثنيين للمسيحية.. يقول شارل جنيبير : " كان بولس على علم بأن عملية الختان لا يرضى عنها أهل اليونان ، وبأن أغلب أحكام الشريعة اليهودية للحياة العملية لا تتفق مع عاداتهم وأساليب تفكيرهم ، فلم يلبث أن آمن بأن تعاليم هذه الشريعة قد نسختها تعاليم المسيح بل بأن هذا المسيح أتى خصيصاً ليبدل عهداً قديماً بعهد جديد "(٧). وبنفس هذا المعنى قال فشر : " ولقد قاوم بولس الختان باعتباره عقبة كبرى فى سبيل انتشار المسيحية بين الوثنيين "(٨).

---

(١) غلاطية ٢ : ١٦.
(٢) رسالة التبرير ص ١٥.
(٣) ١كورنثوس ٧: ١٧ ـ ١٩.
(٤) رومية ٣ : ١.
(٥) غلاطية ٥ : ٢.
(٦) غلاطية ٦ : ١٥.
(٧) المسيحية نشأتها وتطورها ص ١٠٤.
(٨) فشر : تاريخ أوربا العصور القديمة ص ١٤.

ولكن كيف يلغى بولس الختان وهو شريعة من الشرائع الموسوية [١] التى ما جاء المسيح ناقضاً لها؟ بل إننا نجد أن المسيح نفسه اختتن.

يقول لوقا " ولما تمت ثمانية أيام ليختتنوا الصبى " [٢]، ولكن بولس لم يعجبه هذا فألغاه ونبذه دون اعتماد على نقص صريح من المسيح عليه السلام.

هذه هى أهم العقائد والأفكار التى نادى بها بولس ولننظر بعد ذلك هل هى تعاليم نادى بها المسيح أم لا ؟

هل هذه التعاليم نادى بها المسيح؟ وما موقف التلاميذ منها؟

مما لا شك فيه أن هذه التعاليم لم يقلها المسيح عليه السلام ولم يدع إليها، ولقد بينا فى المدخل العام لهذا الكتاب التعاليم التى نادى بها المسيح عليه السلام..

فالمسيح لم يقل عن نفسه أنه (المسيح المنتظر)، ولم يشر إلى أنه (ابن الله) الذى يصلب من أجل الخلاص.

يقول ولز: " يعسر عليك أن تجد كلمة تنسب فعلاً إلى يسوع فسر فيها مبادئ الكفارة والفداء، أو حض فيها أتباعه على تقديم القرابين أو تناول سر مقدس، كذلك لا يبرز هو دعواه أنه (المسيح) ولا يضفى على إشراكه مع الله فى الربوبية أى ثوب بارز، ربما أحسسنا أنه لم يكن ليفوته أن يضيفه لو أنه كان يراه أمراً بالدرجة الأولى من الأهمية" [٣].

ويقول شارل جنيبير: " والنتيجة الأكيدة لدراسات الباحثين هى أن عيسى لم يدع قط أنه هو المسيح المنتظر، ولم يقل عن نفسه أنه (ابن الله) وذلك تعبير لم يكن فى الواقع ليمثل - بالنسبة لليهود - سوى خطأ لغوى فاحش وضرب من ضروب السفه

---

(١) يقول سفر اللاويين : " وكلم الرب موسى قائلاً : كلم بنى إسرائيل قائلاً : إذا حبلت امرأة وولدت ذكراً تكون نجسة سبعة أيام... وفى اليوم الثامن يختتن لحم غرلته " لاويين ١٢ : ١ - ٣. راجع أيضاً سفر يشوع ٥ : ٢.

(٢) لوقا ٢ : ٢١.

(٣) ولز : معالم تاريخ الإنسانية (٣/ ٦٩٢)

فى الدين، كذلك لا يسمح لنا أى نص من نصوص الأناجيل [١] بإطلاق تعبير (ابن الله) على عيسى، فتلك لغة لم يبدأ فى استخدامها سوى المسيحيين الذين تأثروا بالثقافة اليونانية، إنها اللغة التى استخدمها بولس "[٢].

فالمسيح عليه السلام لم يعّلم هذه العقائد التى بشر بها بولس ولم يدع إليها ولم يشر أيضا إليها، وإنما الذى قالها وعلم بها هو بولس الذى كان عدوا لدودا ثم انقلب فجأة رسولا.

والأمر كذلك بالنسبة لنبذه للتوراة وشرائعها، فالمسيح أعلن لأتباعه صراحة دون مواراة أنه ما جاء ناقضا للشريعة اليهودية وإنما جاء مصدقا ومصححا ومكملا لها... وعليه فما بشر به بولس يختلف كل الاختلاف عما نادى به المسيح عليه السلام ويبعد عنه بعدا كثيرا.

أما موقف التلاميذ من هذه التعاليم:

فمما لا شك فيه أيضا أن الحواريين الذين امتدحهم القرآن الكريم لابد وأنهم لم يوافقوا على هذه الآراء ولم يشجعوها وقابلوها بالإنكار والبعد عنها، وبالكتابة ضدها، ولكن أين ما كتبوه؟ وأين أحاديثهم وشروحهم ودفاعهم عن آرائهم؟

" الجواب: أنه ليس فى أيدينا شئ فلابد أن يكون قد ضاع ودمرته يد الطغيان والغوغاء فى عصور الاضطهاد، كما دمرت إنجيل عيسى، أو قل إن بعض ما كتبه هؤلاء ربما استطاع أن ينجو من التدمير وأخفاه ذووه وتوارثه الأبناء والأحفاد حتى ظهر مجمع نيقية حيث تقرر اختيار الأسفار الموجودة حالياً بفضل المقررين للاهوت المسيح، وتقرر أيضاً إحراق ما عداها من الكتب الأخرى"[٣]

على أن الباحثين والعلماء يقررون أن تلاميذ المسيح لم يرضوا عن تعاليم بولس.

---

(١) وذلك على فرض أنها صحيحة.

(٢)المسيحية نشأتها وتطورها ص ٣٩.

(٣) د/ أحمد شلبى: المسيحية ص ١١٨.

يقول شارل جنيبير : " ولا غرابة أن نرى الحواريين الاثنا عشر وهم الذين أشربوا بتعاليم عيسى وظلوا على يهوديتهم يستنكفون كثيراً من مثل هذه النتائج التى توصل إليها بولس ، ويبدون أمامها تردداً قوياً إلا أن بولس فرضها عليها فرضاً "(١) .

ويقول د/ سعد الدين صالح : " إن معظم الحواريين الذين شاهدوا عيسى وسمعوا منه العقيدة الصحيحة قد رفضوا أفكار بولس وحدث بينه وبينهم خلاف كبير لدرجة أن بولس حكم عليهم بالكفر ، وهذا ما يتبين لنا من خلال رسالته إلى غلاطية والتى يحذر فيها أتباعه من قبول أى تعاليم أو آراء مخالفة لتعاليمه حتى لو أتى بها ملاك من السماء ، وكل من يبشر بما يخالف تعاليم بولس فهو كافر محروم من الجنة " .يقول بولس : " إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بعدما بشرناكم فليكن أناثيما (٢) "ـ أى محروم من الجنة "(٣)

ولقد أشار سفر الأعمال إلى موقف التلاميذ هذا إشارة خفيفة وذلك حين روى أن بولس حين حاول أن يلتصق بالتلاميذ خاف منه الجميع ولم يصدقوه (٤) .

وعلى ذلك فالحواريون الذين تتلمذوا على يد المسيح عليه السلام ظلوا على ولائهم لتعاليمه ولم يحرفوا شيئاً منها ، ولم يرضوا بالتحريف الذى أجراه بولس فى تعاليمه عليه السلام.

أما ما يروى من أن بطرس وافق قول بولس فى دخول غير اليهود إلى المسيحية وإعفائهم من الناموس " فلعل هذه الموافقة ـ كما يقول د/ محمد الفرت ـ أمر مدسوس عليه من كاتب سفر الأعمال ، أو لعل ما ينطوى عليه بولس من قوة فى الذكاء وبراعة فى الحيلة ونشاط قوى يستطيع به أن يستولى على مشاعر سامعيه أن يقنع بطرس بنظريته تلك فوافق على هذا القرار الخطير "(٥) .

---

(١) المسيحية نشأتها وتطورها ص ١٠٤ .

(٢)علاطية ٨ : ١ .

(٣) د/ سعد الدين صالح : مشكلات فى العقيدة النصرانية ص ٥٧ .

(٤) أعمال ٩ : ٢٦ .

(٥) بولس والمسيحية ص ٦٦

أما يعقوب فقد واجه بولس وهدم نظريته من أن النجاة بالإيمان بيسوع المخلص دون العمل بالناموس، ورفض هذا الفكر الذى ينبذ شريعة موسى يقول يعقوب "لأن من حفظ كل الناموس وإنما عثر فى واحدة فقد صار مجرماً فى الكل... إلى آخره"(١).

وهكذا نرى أن بولس بشر بآراء لم يقلها المسيح عليه السلام ولم يوافق عليها الحواريون.

المصدر الصحيح لتعاليم بولس:

تبين مما سبق أن تعاليم بولس ليس مصدرها المسيح عليه السلام ولا تلاميذه، فهو لم يلتق بعيسى عليه السلام ولم يتتلمذ على التلاميذ الذين ظلوا متمسكين بتعاليم المسيح عليه السلام ولم يعلّموا تلك العقائد والتعاليم التى بشر بها بولس، وإذا كان الأمر كذلك فإنه لابد أن يكون لهذه التعاليم مصادر أخرى استقى منها بولس تلك العقائد والتعاليم، إذ لا يمكن أن يكون قد جاء بها من فراغ، أو اخترعها من ذهنه دون أن يلجأ إلى مصادر أخرى سبقته أو عاصرته، خاصة تلك التعاليم الفلسفية التى لا يمكن أن تكون من تأليفه؛ وذلك لشهرتها بين الناس قبل مجئ بولس بها.

إن أغلب العلماء يؤكدون أن بولس وقع تحت تأثير تيارات دينية وفلسفية نتج عنها تعاليمه وأفكاره التى بشر بها فى المسيحية، وهذا يرجع إلى أن البيئة التى نشأ فيها بولس كانت مليئة بالمعتقدات الدينية والأفكار الفلسفية..

فلقد كانت (طرسوس)ـ وهى البيئة التى نشأ وترعرع فيها بولس ـ مهداً للتأليف بين الكثير من المعتقدات الدينية والمزج بينها وذلك بسبب موقعها الجغرافى بين هضبة آسيا الصغرى وبلاد الشام، مما كان له أثره فى أن تكون ممراً تجارياً بين بلاد الشرق والغرب فكان يمر عليها الشرقيون والغربيون ويأتون بعقائدهم ودياناتهم معهم فيطلع عليها أهل البلاد ويأخذون منها ما شاءوا ويتركون الآخر بعد أن يتعرفوا عليه، ولذلك تجد فى طرسوس أدياناً شرقية وغربية على السواء، وكان أهم الأديان

---

(١) راجع النص كاملاً فى رسالة يعقوب ٢ : ١٠ ـ ٢٣.

المنتشرة فى طرسوس ما يسمى بالأديان السرية التى كانت تعتقد بالمخلص والمنقذ، فكانوا يعتقدون بأن الإله الذى يعبدونه قد مات من أجلهم ثم قام من قبره ليخلصهم من الجحيم ويهبهم حياة الخلود [١].

يقول د/ فهيم عزيز : " والسمة الأساسية لهذه الديانات أنها تدور حول إله - أو بطل - إما أنه يموت ويقوم من الموت مثل أوزوريس المصرى ، أو ينتصر على الشر مثل مثرا الفارسى، وكان معتنقو هذه الديانات يطلبون الخلاص بالاتحاد مع هذا الإله فى موته وحياته بواسطة طقوس وعوائد وأكلات خاصة "[٢].

ولم تكن بيئة بولس وحدها هى التى تعتقد بالمخلص، بل كانت هذه العقيدة سمة من سمات الوثنية فى تلك العصور، وهذا يعنى أن بولس حين خرج ليبشر بالمسيحية بين الوثنيين وجد هذه العقيدة منتشرة فى أنحاء العالم الوثنى آنذاك...

يقول ول ديورانت : " وهذه الأديان السرية هى التى أعدت اليونان لاستقبال بولس وأعدت بولس لدعوة اليونان "[٣].

فعقيدة الخلاص كانت من العقائد الرئيسية فى الأديان السرية التى كانت منتشرة فى أنحاء العالم الوثنى آنذاك، وكذلك أيضاً وجدنا أن عقيدة الخلاص كانت هى العقيدة الرئيسية التى بنى عليها بولس تفكيره وتبشيره ودعوته ورسائله. فهل تأثر بولس بهذه الأديان؟ الواقع أن بولس فعلاً تأثر بهذه الأديان ، وهذا هو اعتقاد كثير من العلماء.

يقول د/ فهيم عزيز: " لقد اعتقد كثير من العلماء أن بولس أخذ تفكيره من الهلينية سواء أكانت الهلينية الوثنية [٤] أم الهلينية المسيحية [٥] فلقد فسر (باور) [٦]

---

(١) قصة الحضارة (مج ٣ ج ٣ ص ٢٤٩- ٢٥٠).

(٢) الفكر اللاهوتى فى رسائل بولس ص ١٩.

(٣) قصة الحضارة (مج ٣ ج ٣ ص ٢٥٠).

(٤) ويقصد بالهلينية الوثنية: الفكر اليونانى الممتزج بالأديان الشرقية، وقد بدأ انتشاره منذ عصر الإسكندر الأكبر الذى عمل بعد فتوحاته على أن يمزج بين الشرق والغرب وظل هذا الفكر منتشراً أثناء الإمبراطورية الرومانية.

(٥) ويقصد بالهلينية المسيحية: فكر هؤلاء اليونانيين الذين دخلوا فى المسيحية ومزجوا بينها وبين تعاليمهم الوثنية

(٦) أحد دارسى تاريخ الكنيسة فى القرن التاسع عشر ، كان عميدا لإحدى المدارس اللاهوتية النقدية وهى مدرسة توبنجن، وكانت دراستها تنصب على تفسير تاريخ الكنيسة الأولى وكان شعارها أن التاريخ بدون الفلسفة أخرس ميت (الفكر اللاهوتى فى رسائل بولس ص ١٦).

موقف بولس على أنه بطل الأمم (غير اليهود) وضد اليهودية والمسيحية، وأن المصدر الأصيل لفكره يكمن فى إطار الديانات السرية التى انتشرت نتيجة تلاقى الفكر اليونانى والديانات الشرقية، ويظهر ذلك فى المتوازيات الموجودة بين عناصر لاهوت وعقائد هذه الديانات مثل: الإله الذى يموت ويقوم، ولقب (الرب) والخلاص المتصل بالفرائض والأسرار، والمعرفة، والروح، ولقد وقع بولس تحت تأثير هذه الديانات عندما كان ولداً فى طرسوس وكذلك فى رحلاته التبشيرية بعد أن صار مسيحياً"(١).

ويقول الأستاذ أحمد عبد الوهاب: "يوجد إجماع بين الباحثين على أن هناك تشابهاً قوياً بين المسيحية ـ مسيحية بولس ـ وبين غيرها من ديانات العالم الرومانى التى كانت منتشرة آنذاك وعاصرت مولد تلك الديانة الجديدة، سواء من ناحية المعتقدات والأفكار أو نواحى العبادات والطقوس التى تعكس تلك المعتقدات"(٢).

فالتعاليم التى بشر بها بولس لم يستقها من مجتمع التلاميذ بل أتى بها من مجتمعه اليونانى (طرسوس وغيرها) الذى كان يدين بالأديان السرية التى كانت تتحدث عن (منقذ) أو مخلص يخلصهم من الأوزار والآثام ويضمن لهم حياة الخلود والأبدية، أخذ بولس هذه التعاليم وقام بتطويرها وتنميتها ـ هو ومن جاء بعده ـ وبشر بها فى المسيحية على أن المخلص هو عيسى بن مريم عليه السلام.

فقد أعلن أن المسيح عليه السلام هو المخلص وأنه صلب وقام من قبره من أجل خلاص البشرية شأنه في ذلك كشأن آلهة الديانات السرية التى تعتقد بالإله المخلص الذى يموت ثم يقوم، معلناً بذلك انتصاره على الشرور والخطايا، وخلاصه للبشر منها .

وهكذا يتضح لنا أن المصدر الدينى لأفكار وتعاليم بولس يتمثل فى معتقدات الأديان السرية.. هذا إلى جانب أن بولس تأثر بالفلسفة الرواقية فى بعض تعاليمها وفى طرق التعبير عن المسيحية فى رسائله.

---

(١) المرجع السابق ص ٢٠.

(٢) حقيقة التبشير بين الماضى والحاضر ص ٧٨.

يقول د/ عثمان أمين: "من المشهور لدى الباحثين فى الإلهيات المسيحية أن رسائل بولس هى فى لهجتها ومضمونها قريبة الشبه برسائل (سنكا)[١]، وتعليل ذلك ما هو معلوم من نشأة بولس ببلاد طرسوس فى وسط عاشت فيه الأفكار الرواقية "[٢].

ويقول: " وبولس يوافق الرواقية موافقة واضحة فى نظراته إلى وظائف الدين: فهو مثلهم لا يحفل بإقامة الشعائر الخارجية ويرى إقامة ما يسميه (عبادة[٣] ملائمة للعقل)[٤]، ولقد ذكر د/ عثمان أمين أمثلة كثيرة على تأثر بولس بالرواقية نحيل القارئ بالرجوع إليها.

هذا وقد استعار بولس من الفلسفة الرواقية بعض التعبيرات الفلسفية[٥].

يقول يوسف الحداد: " مثل (صورة الله)[٦]، واقتبس منهم فكرة (اغتراب) النفس فى الجسد "[٧] وفكرة (الملء الكونى أو الشخصى)[٨][٩]، هذا إلى جانب بعض التعبيرات والمصطلحات.

ويقول ول ديورانت: "ومن حقنا أن نعتقد أن بعض المبادئ الدينية والأخلاقية الرواقية انتقلت من البيئة المدرسية فى طرسوس إلى مسيحية بولس"[١٠] إلى غير ذلك من النقول التى تدل على أن بولس تأثر بالرواقية، وهذا يعنى أن بولس كان دارسا للرواقية التى أدخل منها بعض أفكاره ومصطلحاتها فى المسيحية.

---

(١) أحد الفلاسفة الرواقيين، ولد بقرطبة فى السنة الرابعة ق. م ، وكان أبوه من ثراة الرومان، تعلم الفلسفة الرواقية وأصبح واحداً من أساتذتها . الفلسفة الرواقية ص ٢٢٩.

(٢) المرجع السابق ص ٢٧٤.

(٣) رومية ١ : ١٢.

(٤) الفلسفة الرواقية ص ٢٧٧.

(٥) طه باقر: مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة (٢/ ٣٢٧)، تراث العالم القديم ص ٢٣٨

(٦) كولوسى ١ : ١٥.

(٧) ٢كورنثوس ٥ : ٦ ـ ١٠

(٨) كولوسى ١ : ١٩ ، ٢ : ٩، أفسس ١ : ٢٣ ، ٣ : ١٩ ، ٤ : ١٣.

(٩) فلسفة المسيحية فى رسائل بولس (١/ ٢١٩ ـ ٢٢٠).

(١٠) قصة الحضارة (مج ٣ ج ٣ ص ٢٤٩).

وهكذا يتضح لنا أن المصدر الصحيح لتعاليم لبولس هو الديانات الوثنية المنتشرة آنذاك فى البيئة التى عاش فيها، والتى يجمعها اسم (الأديان السرية)، والفلسفة الرواقية التى كانت منتشرة أيضا في البيئة التى عاش وتعلم فيها.

أثر تعاليم بولس على ديانة المسيح عليه السلام:

لقد ظهر أن التعاليم التى بشر بها بولس ليست من تعاليم المسيح علي السلام، وإنما اقتبسها وطورها، وبشر بها باسم السيد المسيح عليه السلام، وعلى هذا يتبين التغيير الكبير الذى أحدثه بولس فى رسالة المسيح، فهو يعتبر أول المحرفين لهذه الديانة، فقد أدخل فيها ما ليس منها، وبشر بعقائد وتعاليم لم يقلها المسيح عليه السلام وسلك طريقا لم يشر إليها، وألغى شرائع وأضاف أخرى لم يوص بها المسيح ولم يشرعها، فهو بلا شك أخرج النصرانية عن نطاقها السماوى ووضع بدلاً منها وثنيات الأديان الوثنية وخرافات الأديان الوضعية.

فهو أول من وصف المسيح بأوصاف إلهية تخرجه عن دائرة البشر، وهو أول من وضع لما ادعاه اليهود من صلب المسيح معنى وثنيا، وكذلك أيضا هو أول من قال بقيامة المسيح وادعى أنه شاهده أثناء سفره إلى دمشق، وهو أيضا أول من قال بظهور المسيح عليه السلام.

وعليه فهو الذى ادعى أن عيسى بن مريم هو (المسيح المنتظر) الذى كانت تنتظره اليهود، وهو المخلص الذى كانت تديه به الأديان الوثنية، وهو الذى تجرأ على شريعة التوراة وقلل من شأنها، وبين أن النجاة بالإيمان لا بأعمال الناموس الذى أصبح فى نظره بدون فائدة، ولذلك ألغى بعض شرائعه مثل الختان.

ولكن يضمن لأفكاره القبول ادعى أن المسيح ظهر له فى أثناء رحلته إلى دمشق وأنه أعطاه الرسالة ، وكان مقصده من ذلك أن تنال أفكاره قبول أتباع المسيح - وحتى لا يتهمونه بالتحريف فى ديانة المسيح - ولكنهم لم يصدقوه وخافوا منه، فرأى أن يخرج بهذه الأفكار الى البلاد الوثنية ليبشر بينهم بها، والتى كانت مألوفة لديهم، حتى إذا ما ضمن الأتباع الكثيرين وضع أتباع المسيح أمام الأمر الواقع.

يقول د/ فهيم عزيز: "ويقول بولس إنه بمجد خدمته للأمم[١] لكى يربحهم ولكنه لا يقف عند هذا الحد، إن له هدفا أبعد هو أنه **باكتساب الأمم إلى المسيحية يغير اليهود فتدفعهم هذه الغيرة إلى التنازل عن عنادهم ورفضهم الندم والتوبة والرجوع إلى المسيح وبذلك يكمل عدد المفديين**"[٢].

وهذا يعنى أن بولس استخدم الوسائل الآتية لضمان قبول أفكاره:

أولاً: لم يستشر أحدا من تلاميذ المسيح فى المبادئ والتعاليم التى كونها حول المسيح وبشر بها بين الناس.

ثانيا: تبشيره بمبادئه وأفكاره بين اليونانيين والوثنيين فى بلادهم، وهؤلاء دخلوا المسيحية واعتقدوا بما علمه بولس لهم، ولم يعرف هؤلاء العقيدة الصحيحة لديانة المسيح عليه السلام وذلك لأنهم لم يعرفوا عيسى عليه السلام ولم يشاهدوه ولم يسمعوا عنه إلا بالقدر الذى قاله لهم بولس، هذا إلى جانب أنهم لم يسمعوا شيئا عن تلاميذ المسيح الذين ظلوا متمسكين بدينهم ولم يخرجوا من بلاد فلسطين.

وهكذا تكونت أفكارهم وعقائدهم عن المسيح بالمعنى الذى قرره بولس لهم وكان لنشاط بولس الواسع أثره فى نشر عقائده وتعاليمه بين كثيرون من اليونانيين والوثنيين، وهذه الكثرة هى التى جعلت لأفكار بولس البقاء فيما بعد.

ثالثاً: ولكى يضمن بولس دخول هؤلاء فى دعوته سهل لهم المبادئ التى يظن منها أنها تسبب بعض الصعوبة لهم، ففسر لهم الصلب بم يرضيهم، وألغى لهم الختان، ولم يقيدهم باتباع شريعة التوراة، لأنه كان يعرف أن المجتمع اليونانى كان ينبذ الاشتراك مع اليهود فى شريعة واحدة - هذا إلى جانب أن بعض هذه الشرائع كانت لا تتفق مع أساليبهم وعاداتهم.

رابعا: لم يكتف بولس بهذا النشاط الفذ فى التبشير بتعاليمه بين الوثنيين بل عمل على كتابة رسائل تحمل هذه التعاليم، وكان يهدف من وراء ذلك: الحرص بألا يتسرب إليهم أية أفكار أخرى، لذلك يقول فى رسالته إلى أهل غلاطية: " إنى أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعا عن الذى دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر،

---

(١) راجع قوله فى رسالة رومية الإصحاح الأول.

(٢) الفكر اللاهوتى فى رسائل بولس ص ١١٧.

ليس هو آخر غير أنه يوجد قوم يزعجونكم ويريدون أن يحولوا إنجيل المسيح ، ولكن إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم فليكن أناثيما "(١)

فهو يتعجب منهم، ويقول لهم: لماذا تتحولون عن الذى دعوتكم إليه؟ إنهم يريدون أن يحرفوا إنجيل المسيح المنتظر (المخلص) الذى بشرتكم به، ثم نصحهم بألا يقبلوا أى تعاليم غير التى بشر بها بينهم، حتى ولو كان هذا المبشر ملاك من السماء!!

وفى رسالته الثانية إلى كورنثوس " ولكن ما أفعله سأفعله لأقطع فرصة الذين يريدون فرصة كى يوجدوا كما نحن أيضا فى ما يفتخرون به لأن مثل هؤلاء هم رسل كذبة فعلة ما كرون مغيرون شكلهم إلى شبه رسل المسيح "(٢).

فهو يفعل ذلك لكى يقطع الفرصة على هؤلاء الذين يسميهم رسلا كاذبين والذين يريدون أن يكونوا فى موضع الافتخار الذى وضع نفسه فيه !

هذا إلى جانب أن بولس كان يهدف من وراء هذه الرسائل بقاء رسائله مكتوبة يرجعون إليها ولا يسألون غيرها.

يقول جون لوريمر: " كان الهدف الأساسى لبولس فى جهوده المرسلية هو أن يقيم كنائس قوية لها اكتفاء ذاتى، لهذا كان لا يكتفى بزيارة واحدة للكنيسة، بل يرجع إليها ليعينها ويشجعها أو يكتب لها رسالة "(٣)

وقد نتج عن الوسائل التى اتبعها بولس هذه أن أصبحت رسائله التى تحمل مبادئه وتعاليمه هى الأساس فيما بعد ،وهى السائدة والمنتشرة دون غيرها، وذلك لما يأتى.

(١) بقاء تعاليم بولس فى الرسائل التى خلفها مكتوبة، بينما تعاليم تلاميذ المسيح كانت شفاهية نسيت ومحيت بفعل الزمن ،أو بفعل فاعل كما حدث للأناجيل

---

(١) غلاطية ١ : ٦ ـ ٨.

(٢) ٢ ـ كورنثوس ١١ : ١٢ ، ١٣.

(٣) جون لوريمر: تاريخ الكنيسة (١/ ٦٣).

والرسائل التى كانت موجودة إلى وقت مجمع نيقية، حيث كان مصيرها الحرق والإبادة.

يقول ول ديورانت: ولم يشعر معاصرو بولس بأثره فى التو والساعة لأن الجماعات التى أنشأها كانت أشبه بجزائر صغرى فى بحر الوثنية الواسع الخضم، ولأن كنيسة رومة كانت من صنع بطرس بقيت وفيّة لذكراه، ومن أجل هذا ظل بولس مائة عام كاملة بعد موته لا يكاد يذكره إنسان، فلما انقضت الأجيال الأولى من المسيحيين وأخذت أحاديث الرسل تضعف ذكراها فى الأذهان وأخذ العقل المسيحى يضطرب بمئات من عقائد الزيغ والضلال ، لما حدث هذا أضحت رسائل بولس إطارا لمجموعة من العقائد أضفت على الجماعات المتفرقة اتزانا وألفت منها كنيسة واحدة ". (١)

فلقد صارت الغلبة لتعاليم بولس بفضل رسائله المكتوبة، بينما كانت التعاليم الأخرى شفاهية.

(٢) إنه قدر لرسائل بولس أن تكون هى المعيار والأساس لقبول الكتب الأخرى، وكان ذلك بسبب أن أول ما قبلته الكنيسة هو هذه الرسائل، لذلك عملت على أن تكون الأناجيل والرسائل المقبولة بعد ذلك موافقة تماما لأفكار وتعاليم هذه الرسائل، لذلك رفضت الكنيسة فى بداية الأمر رسالة يعقوب، وكان السبب أنها تخالف رسائل بولس (٢) فى تعاليمها وأفكارها خاصة عقيدة التبرير بالإيمان التى قال بها بولس...

وكان لقبول هذه الرسائل وجعلها هى الأساس أثره فى إبادة وحرق ما تبقى لتلاميذ المسيح وأتباعهم من تعاليم مكتوبة سواء كانت على هيئة رسائل أو أناجيل منسوبة إليهم...

هذا إلى جانب أن أمورا أخرى كان لها أكبر الأثر فى بقاء هذه التعاليم وجعلها هى العقيدة الأساسية وهى المقياس لغيرها، ويتضح ذلك من الفصلين التاليين.

---

(١) قصة الحضارة (مج ٣ ج ٣ ص ٢٦٩).

(٢) المدخل إلى العهد الجديد ص ١٥٤.

وبعد:

فقد تبين مدى أثر بولس على ديانة المسيح عليه السلام، فلقد أدخل فيها ما لم يقله، ونادى بأفكار وتعاليم لم يشر إليها، ومحا الرسالة التى جاء بها وأسس ديانة أخرى جديدة لا تمت إلى عقائد ومبادئ المسيح عليه السلام بشئ، وهذه الديانة الجديدة هى التى انتشرت وأصبحت هى الباقية إلى الآن.

وعليه فقد ظهر واضحا للعيان أن المسيحية الحالية إنما هى من تأليف بولس وتأسيسه، فهو يعد المؤسس الحقيقى لها....

وهذا القول ليس استنتاجي وحدى بل هو استنتاج كثير من العلماء والمؤرخين الثقاة.

يقول ولز: "إن كثيرا من الثقات العصريين يعتبرون بولس المؤسس الحقيقى للمسيحية "(١)..

ويقول مايكل هارت: "إن عددا من الباحثين يرون أن مؤسس هذه الديانة هو القديس بولس، وليس السيد المسيح، وليس واضحا ما كان سيئول إليه أمر المسيحية لولا القديس بولس (٢)...

" فبولس وليس عيسى هو الذى بنى المسيحية وأقامها على النحو الذى هى عليه الآن "(٣).

وفى مؤتمر رجال الكنيسة الذى عقد فى كلية جيرتون بكامبردج سنة ١٩١٨م طرح الشماس ديان إنج على أعضاء المؤتمر هذا السؤال: هل المسيح هو المؤسس للدين المسيحى؟ فلم يجب على هذا السؤال (بنعم) إلا رئيس الشمامسة المستر فورد. أما الباقون فأجابوا (لا) (٤) لأن المؤسس الحقيقى هو بولس.

---

(١) معالم تاريخ الإنسانية (٣ / ٧٠٥).

(٢) مايكل هارت: الخالدون مائة أعظمهم محمد صلى الله عليه وسلم ص ٢٤.

(٣) د/ رؤوف شلبى: التفكير الدينى فى العالم قبل الإسلام ص ٤٧٩.

(٤) راجع تقارير هذا المؤتمر كاملة فى كتاب: خواجا أفندى كمال الدين - زعيم المبشرين السنيين بانجلترا - ينابيع المسيحية ص ٥٩ - ٦٠.

ويقول اتين جلسون: "إن القديس بولس هو الذى أرسى القواعد التى أقيم عليها بناء الفكر المسيحى كله، وأن المفكرين المسيحيين الذين جاءوا بعده لم يفعلوا شيئا أكثر من استخراج النتائج المترتبة على هذه القواعد "[١].

ولهذا نجد بولس فى المسيحية الحالية أعظم شخصية فيها، فينسب إليه من كتب المسيحية الآن ثلث العهد الجديد، وصارت أفكاره اللاهوتية - كما يقول جون لوريمر - : " نهائية لكل العصور وعمله المرسلى المثالى لكل المرسلين فى التاريخ "[٢]... وحتى أن كلمة (الرسول) إذا أطلقت لا يراد بها فى اصطلاحهم إلا بولس كما يطلقون عليه لقب (الرسول الكبير)[٣]...

لذلك يقول يوسف الحداد: " ففى ضمير الأجيال المسيحية بولس هو الرسول على الإطلاق "[٤].

ويقول: "بولس هو بعد السيد المسيح رسول المسيحية الأول دعوة وكتابة، قال أحدهم: بولس هو الأول بعد الوحيد "[٥].

ويقول: " ويكفيه فخراً أنه المعلم الأول للمسيحية بعد المسيح، وأن رسالته تتمة لرسالة المسيح كما يظهر من تكوين العهد الجديد فالتنزيل من المسيح والتفصيل من بولس "[٦].

وهكذا دعى بولس فى هذه المسيحية الرجل والمعلم الأول والمتكلم الأول والأفضل[٧] فى نظرهم حتى إننا نجد أن أحد المسيحيين ألف كتابا بعنوان " أعظم الرجال فى الكتاب المقدس" فجعل أول هؤلاء بولس، وجعل بعده داود ثم موسى ثم يوحنا التلميذ الذى كان يحبه يسوع[٨].. أى أنه - فى نظرهم - مفضل على جميع أنبياء ورسل العهد القديم.

---

(١) اتين جلسون: روح الفلسفة المسيحية فى العصر الوسيط ص ٢٦.
(٢) جون لوريمر: تاريخ الكنيسة (١ / ٦١).
(٣) د/ على وافى : الأسفار المقدسة ص ٧٢.
(٤) فلسفة المسيحية فى رسائل بولس (١ / ٢٠).
(٥) المرجع السابق ص ١٩.
(٦) المرجع السابق ص ٢٢ - ٢٤ .
(٧) المرجع السابق ص ١٦.
(٨) د/ ماكرينى: أعظم الرجال فى الكتاب المقدس ص ٣٢.

وربما يصح لنا أن نعلل أن بولس أعظم رجل فى هذه المسيحية - كما يعتقدون - بأنه هو منشؤها ومؤسسها، وهو بهذا قد قضى على تعاليم المسيح عليه السلام ونشر بدلاً منها تعاليمه باسم المسيح.

وعليه " فقد ترك المسيحيون منذ عهد بولس الرسالة وعبدوا الرسول، وتحولت النصرانية إلى دين يدور حول عيسى ولا يأخذ بتعاليمه، والسبب وراء ذلك هو بولس "[1].

وبهذا يتضح مدى أثر بولس على ديانة المسيح عليه السلام... فهو الذى طمس نورها، وطعمها بخرافات الجاهلية التى انتقل منها، والوثنية التى نشأ عليها "[2].

---

(١) د/ محمد يحيى: رحلتى من الكفر إلى الإيمان (قصة الإسلام الكاتبة الأمريكية: مريم جميلة ص ١٤٠).

(٢) أبو الحسن الندوى: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ٣٨.

الفصل الرابع



لمحة عامة عن قسطنطين
من ولادته حتى توليه عرش الإمبراطورية

ولد قسطنطين حوالى عام ٢٨٠م وهو ابن غير شرعى[١] لقسطنطيوس بن خلوروس ـ الذى كان قيصرا أو إمبراطورا مساعدا فى الإمبراطورية الغربية، وكان مسئولا عن بريطانيا وغالة ـ من عشيقته هيلينا والمعروفة باسم (هيلانة) فى المصادر العربية، وهى امرأة وضيعة المنبت كان أبوها صاحب حان[٢]، أو أنها كانت خادمة فى إحدى الحانات فى بيثينيا[٣] وكان قد التقى بها قسطنطيوس هناك وأقام معها لعدة سنوات ثم هجرها عام ٢٨٩م ليتزوج من ثيودورا ابنة زوجة الإمبراطور ماكسيميانوس[٤]، وأرسل ابنه قسطنطين إلى بلاط الإمبراطور دقلديانوس لينال شرف التربية فى القصر الملكى، وهناك ألم قسطنطين بأحداث الإمبراطورية وأسرار القصر الإمبراطورى، فنشأ متفهما لأسرار السياسة[٥].

وبرغم هذه التنشئة إلا أنه لم ينل قسطا طيبا من التعليم، فلم يتلق من العلم إلا قليلا[٦] وكما يقول عنه ـ ولز ـ كان من الأميين أو يكاد، وكان يعرف القليل الذى لا يكاد يذكر من الإغريقية[٧].

---

(١) قصة الحضارة (مج ٣ ج ٣ ص ٣٨٢).

(٢) جورج سارتون: العلم القديم والمدنية الحديثة ص ١٩٣.

(٣) وبيثينيا ـ كما سبق أن أشرنا إليها ـ إحدى المقاطعات التى تمتد على السواحل الشمالية لآسيا الصغرى ولمزيد من المعلومات عن هذه المقاطعة راجع قصة الحضارة (مج ٣ ج ٣ ص ١٣٥، ٣٨٢).

(٤) تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسى والحضارى ص ٣٥٧.

(٥) المرجع السابق نفس الصفحة

(٦) قصة الحضارة (مج ٣ ج ٣ ص ٣٨٢).

(٧) معالم تاريخ الإنسانية (٣ / ٧١٧).

وكان بيت قسطنطين يدين بالألوهية الشمسية ، فقسطنطيوس خلوروس (والد قسطنطين) كان يعتنق ديانة تعتقد بإله وثنى ، وهو إله الشمس الذى لا يقهر[١] وهى الديانة التى فرضها أورليان على الإمبراطورية حين كان إمبراطورا فى القرن الثالث الميلادى (من ٢٧٠ ـ ٢٧٥م) وكانت هى الديانة الرسمية للإمبراطورية التى كان يدين بها قسطنطين[٢] ، وهذا يعنى أن قسطنطين كان بمولده ونشأته الأولى وثنيا.

وقد انخرط قسطنطين فى سلك الجندية فى سن مبكرة فالتحق بالجيش وهو فى الخامسة عشرة من عمره وأظهر شجاعة وبأسا فرقى إلى رتبة قائد ، وهو فى الثامنة عشرة من عمره[٣].

ولقد هيأت له الظروف بعد ذلك لتولى شئون الإمبراطورية ، فلقد تنازل دقلديانوس ومكسيميانوس عن العرش عام ٣٠٥م وتولى مكانهما جاليروس ، وقسطنطيوس (والد قسطنطين) وأعطيت له المكانة الأولى ، واختير (فلافيوس سفيروس) نائبا عن قسطنطيوس ، " وماكسيمينوس دايا" نائبا عن جاليريوس وذلك تطبيقا لنظام السلطة الرباعية التى أنشأها دقلديانوس ، والتى أشرنا إليها فى الفصل الأول من هذا الباب.

ولكى يضمن جاليريوس عدم غدر قسطنطيوس به وحسن مسلكه عزل ابنه قسطنطين من الجيش وأبقاه عنده فى قصره.

وفى عام ٣٠٦م غزت القبائل الاسكتلندية جنوب بريطانيا عندئذ طلب قسطنطيوس من جاليريوس أن يبعث له بولده ليساعده فى الحرب وحاول جاليريوس المماطلة خوفا مما يفعله الأمير الشاب ـ قسطنطين ـ ولكنه رضخ فى النهاية ووافق على سفر قسطنطين إلى أبيه ، ولما أحس الأمير الذكى أن جاليريوس قد يغير رأيه تسلل وهرب ليلا فى طريقه إلى أبيه فالتقى به فى ميناء بولونى وهو يستعد للعبور إلى بريطانيا[٤]...

---

(١) كانتو : التاريخ الوسيط (١ / ٧٠).

(٢) كرسيتوفردوس : تكوين أورباص ص ٢٧.

(٣) د / أسد رستم: الروم ص ٥١.

(٤) راجع هذه الأحداث التاريخية فى : قصة الحضارة (مج ٣ ج ٣ ص ٣٨٢)، تاريخ الإمبراطورية السياسى والحضارى ص ٣٥٧.

وما أن أقر قسطنطيوس الأمور فى بريطانيا حتى عاد إلى يورك - وهى من أعمال بريطانيا - وهناك أدركته المنية فى ٢٥ يوليو ٣٠٦م[١].

وتجمعت القوات التى كانت تحب قسطنطيوس ونادت بابنه قسطنطين إمبراطورا مكان أبيه، وفى الحال بعث قسطنطين برسالة إلى جاليريوس يطلب منه الموافقة والاعتراف به إمبراطورا شريكا مكان أبيه، ورضخ جاليريوس تفاديا لنشوب الحرب الأهلية ولكنه بعث موافقا على تعيين قسطنطين نائبا بدرجة قيصر[٢] وليس إمبراطورا بينما عين (سفيروس) إمبراطورا، ولكن هذا الإمبراطور سقط قتيلا فى المعارك التى خاضها ماكسنتيوس بن ماكسيميانوس الإمبراطور الذى اعتزل مع دقلديانوس - والذى أعلن أحقيته فى وراثة مكان أبيه أسوة بقسطنطيوس ولكن جاليريوس رفض طلبه، وعين (ليكينيوس) مكان (سفيروس) إمبراطورا مشاركا له.

ومنذ ذلك الوقت دخلت السلطة الرومانية فى سلسلة من الصراعات والنزاعات حول السلطة، وقد أظهر قسطنطين تفوقا كبيرا حتى قضى على مؤامرة ماكسيميانوس عام ٣١٠م، وبعد موت جاليريوس عام ٣١١م زحف قسطنطين على إيطاليا بعد أن تحالف مع (ليكينيوس) وقهر منافسه ماكسنتيوس بن ماكسيميانوس عام ٣١٢م، وانتصر عليه فى معركة من أهم المعارك التاريخية وتسمى (المعركة الملفية) أو (جسر ملفان) بالقرب من روما[٣] برغم أن خصمه كان يتفوق عليه كثيرا فى عدد جنوده، ودخل قسطنطين روما منتصرا وقتل منافسه شر قتلة وهذا النصر جعله سيدا وحاكما على الغرب[٤]، وعلى الفور اجتمع مجلس الشيوخ الرومانى وأعلن مبايعته لقسطنطين كإمبراطور[٥].

---

(١) د/ رأفت عبد الحميد: الدولة والكنيسة (٢/ ٦٠).

(٢) د/ سيد أحمد الناصرى: تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسى والحضارى ص ٣٥٨.

(٣) د/ عبد القادر أحمد اليوسف: الإمبراطورية البيزنطية ص ٢٠.

(٤) كانتو: التاريخ الوسيط (١ / ٧٠).

(٥) تاريخ الإمبراطورية الرومانية ص ٣٦٢.

فلم يبق فى الميدان إلا قسطنطين وليكينيوس، فحكم الأول الغرب وحكم الثانى الشرق، غير أن الصفاء لم يستمر طويلا بين الشريكين إذْ سرعان ما شجر الخلاف بينهما ونشبت الخصومات من أجل السيادة على الإمبراطورية انتهت بانتصار عسكرى باهر حققه قسطنطين على غريمه (ليكينيوس)[١] الذى استسلم وأمر قسطنطين بقتله فقتل فى عام ٣٢٤م ليصبح قسطنطين الحاكم الوحيد للإمبراطورية الرومانية والعالم الرومانى[٢] وقد انفرد بالحكم من ذلك التاريخ حتى وفاته سنة ٣٣٧ م.

ويذكر المؤرخون أن الإمبراطور قسطنطين أصدر قرارين جعلا منه علامة بارزة فى مجرى التاريخ، ونقطة تحول هامة فى مسيرة الحضارة العالمية، إذ بفضل هذين القرارين يمكن القول إن العالم ألقى خلفه رداء العصر القديم. وأخذ يوجه أنظاره نحو آفاق العصر الوسيط..[٣] وهذان القراران هما:

١ـ اتجاهاته الإيجابية تجاه المسيحية.

٢ـ تأسيس القسطنطينية وجعلها عاصمة للإمبراطورية.

وسوف نتناول القرار الأول بالتفصيل لأنه هو الذى يهمنا فى الدرجة الأولى، أما بالنسبة للقرار الثانى فيكفى أن نشير إلى أن قسطنطين قرر فى عام ٣٢٤م وضع أساس عاصمته الجديدة على أرض بيزنطة وتم افتتاحها عام ٣٣٠م بعد أن استغرقت عملية البناء ست سنوات وسماها (روما الجديدة) وسمتها الأجيال التى أعقبته باسمه[٤].

---

(١) الإمبراطورية البيزنطية ص ١٢.

(٢) د/ أسد رستم: الروم ص ٥٢ وما بعدها، رؤية فى سقوط الإمبراطورية الرومانية ص ٣٨.

(٣) راجع: فشر: تاريخ أوربا العصور الوسطى صـ ٦ وما بعدها، رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية صـ ٣٨.

(٤) لمزيد من التفاصيل عن القرار الثانى (راجع المراجع التاريخية التى تحدثت عن الإمبراطورية الرومانية والإمبراطورية البيزنطية، وكتب تاريخ العصور الوسطى فى بدايتها).

تعاطف قسطنطين مع المسيحيين وإصدار وثيقة التسامح معهم:

لقد كانت الدولة الرومانية تنظر إلى المسيحيين نظرة معادية، وتعدهم قوما خارجين على السلطة، لذلك أذاقتهم ألوانا من الاضطهاد وصنوفا من العذاب ما تقشعر منه الأبدان، وذلك على مدى القرون الثلاثة الأولى من عمر الديانة المسيحية، ولكن قسطنطين حين اعتلى العرش أظهر تعاطفا شديدا تجاه المسيحيين وغير وجه السلطة الرومانية إزاء هؤلاء، فبعد أن كانت تنظر إليهم على أنهم مارقون، وتنفر منهم وتقاومهم أينما وجدوا، وتألب الشعب الرومانى عليهم أينما ثقفوا، أصبحت تبدى لهم عطفا، وتحرص على ولائهم والتقرب إليهم.

فالحقيقة التى لا مراء فيها أن قسطنطين هو الذى طبق ونفذ سياسة التعايش السلمى مع المسيحيين، بل وزاد بالعطف عليهم، وانتهت على يديه أقسى محن المسيحية، وبذلك يسجل قسطنطين نقطة تحول هامة فى سياسية الإمبراطورية الرومانية نحو الديانة المسيحية.

ولقد أصدر بعض الأباطرة قبل قسطنطين بعض المراسيم التى تتضمن التسامح مع المسيحيين، ولكنها لم تنفذ ولم تر النور والتطبيق، وبدأها جاللينوس (الذى كان إمبراطورا من عام ٢٥٣م إلى ٢٦٨م) إذ أصدر مرسوما يقضى بالتسامح الدينى واعترف فيه بأن المسيحية مسموح بها، وأمر بأن يرد إلى المسيحيين ما كان قد صودر من أملاكهم أو سلب منهم وذلك فى سنة ٢٦١م [١] وهو يعد أول مرسوم يقضى بالتسامح الدينى مع المسيحيين [٢]

ولقد حفظ لنا المؤرخ الكنسى (يوسابيوس) صورة رسالة موجهة من الإمبراطور إلى الأساقفة يقول فيه: " لقد أصدرت أمرى بإغلاق هياكلى على كل العالم، وأن يبتعدوا عن أماكن العبادة [٣]، ولهذا يمكنكم استخدام هذه الصورة من أمرى لكى لا يزعجكم أحد " [٤].

---

(١) يذكر ول ديورانت أن هذا المرسوم صدر فى عام ٢٦٠م. قصة الحضارة (مج ٣ ج ٣ص ٢٠٠).

(٢) الدولة والكنيسة (٢ / ٤١).

(٣) أى يبتعد الوثنيون عن أماكن العبادة المسيحية.

(٤) يوسابيوس : تاريخ الكنيسة ص ٣٦١.

ولكن هذا المرسوم لم يطبق، ولم يؤخذ مأخذ الجد من جانب حكام الولايات مما يدل على عظم نفوذهم فى هذه الفترة [١]، ويشهد لذلك ما ذكره (يوسابيوس) من أن (ماكرينوس) والى مصر كان لا يزال صاحب نفوذ كبير، وقد تلكأ فى تنفيذ أوامر الإمبراطور مما أدى إلى قتل (مارينوس) أحد رجال قيصرية فلسطين الشهيرين "[٢].

وفى ٣٠ إبريل سنة ٣١١م فاجأ جاليريوس الجميع وقرر ما لم يتوقعه أحد، فلقد كان مشهورا بأنه أعدى أعداء المسيحية، ولكنه فى أثناء مرضه أدرك عدم جدوى عمليات الاضطهاد، فأصدر مرسوما جاء فيه: " بين الأمور الأخرى التى رتبناها للصالح العام سبق أن أبدينا الرغبة لرد كل شئ إلى الحالة اللائقة بالقوانين القديمة ونظام الرومانيين العام، ولضمان رجوع المسيحيين الذين هجروا ديانة أجدادهم إلى حالة طيبة، لأنه قد استولى عليهم الكبرياء إلى حد ما، وغلبت عليهم الغباوة حتى أنهم لم يتبعوا الفرائض القديمة التى سبق أن أسسها أجدادهم، بل أقاموا لأنفسهم قوانين حسب أهوائهم واتبعوها، وهكذا اجتمعوا جماعات متفرقة فى أماكن مختلفة.

ولما أصدرنا أوامرنا الملكية بضرورة رجوعهم إلى الفرائض التى أسسها الأقدمون خضع الكثيرون أمام الخطر، ولكن عددا وفيرا جدا تضايقوا وتحملوا كل أنواع الموت، ونظرا لأن الكثيرين استمروا فى حماقتهم ونحن نلاحظ أنهم لا يقدمون لآلهة السماء العبادة اللائقة ولا يقدمون الإكرام لإله المسيحيين، فمراعاة لمحبتنا للبشرية وعادتنا الثابتة التى اعتدنا بموجبها أن نصفح عن الجميع، اعتزمنا أن يشمل صفحنا هذه الأمور أيضا بكل سرور حتى يرجعوا إلى مسيحيتهم مرة أخرى، ويعيدوا بناء الأماكن التى اعتادوا الاجتماع فيها على شرط ألا يعملوا شيئا ضد النظام، وفى رسالة أخرى سوف نبين للولاة ما يجب عليهم اتباعه، وبناء على هذا الصفح الذى أذعناه يجب أن يتضرعوا لإلههم من أجل سلامتنا وسلامة الشعب،

---

(١) الدولة والكنيسة (٢ / ٤١).

(٢) يوسابيوس: تاريخ الكنيسة ص ٣٦٢.

ولكى يتم الصالح لهم ولعامة الشعب فى كل مكان، ولكى يعيشوا فى بيوتهم آمنين "[١].

وهذا المرسوم يقضى بالعفو عن المسيحيين والسماح لهم بإعادة بناء كنائسهم، ولكن بشرط ألا يقوموا بأعمال ضد الصالح العام للدولة الرومانية، غير أن هذا المرسوم لم يؤت ثمرته المرجوة ولم ينفذ، ذلك أن جاليريوس ما لبث أن مات بعد ذيوعه بأيام قلائل[٢]...

وهذا يعنى أن هذين المرسومين لم يوقفا الاضطهاد، وظلت الاتهامات الموجهة إلى المسيحيين باقية وقائمة.

أما قسطنطين فهو الذى له الفضل فى وقف حركة الاضطهاد ضد المسيحيين، ومنحهم حرية العقيدة والعبادة، واعترف بالكنيسة وسلطانها فى كل إقليم من أقاليم الإمبراطورية.. فعلى الرغم من أن قسطنطين لم يكن أول أباطرة الرومان الذين اتبعوا سياسية التسامح مع المسيحيين، إلا أنه كان الوحيد من بينهم الذى تابع بشكل جدى تنفيذ سياسة المسامحة، وتخطى هذه المرحلة إلى مد يد العون للكنيسة ثم الإغداق عليها[٣].... ويتجلى هذا فى إصدار مرسوم يقضى بالتسامح الدينى لكل الأديان.

فمنذ أن اعتلى قسطنطين العرش وهو ينتهج سياسة والده السلمية تجاه المسيحية ويظهر[٤] جانب التسامح والتعاطف على المسيحيين، وبعد أن انتصر قسطنطين النصر الكبير على خصمه ماكسنتيوس، ودخل روما منتصرا مظفرا، وأعلن الشعب تنصيبه إمبراطورا أصدر ما يسمى بقانون التسامح العام مع المسيحيين.

---

(١) نقلنا نص هذا المرسوم من كتاب يوسابيوس القيصرى (الذى عاصر هذه الفترة) المرجع السابق ص ٤٢٢ - ٤٢٣.

(٢) يوسابيوس: تاريخ الكنيسة ص ٤٢٣، الدولة والكنيسة (٢ / ٦٩).

(٣) الدولة والكنيسة (٢ / ٧).

(٤) الإمبراطورية البيزنطية ص ١٢.

فلقد اجتمع قسطنطين وليكينيوس [١] فى ميلانو وذلك فى مارس ٣١٣م، وكان من بين الموضوعات التى تناولتها المحادثات بين الزعيمين مسألة معاملة الرعايا المسيحيين فى الإمبراطورية، حيث تعهدا بمنح الحرية الدينية لكل سكان الإمبراطورية شريطة ألا تتعارض هذه الحرية مع الصالح العام للدولة. ولم تصلنا سجلات تلك الاجتماعات، ولكن أهم ما دار فيها حفظته لنا رسالة بعث بها ليكينيوس إلى نائبه فى نيقوميديا:

تضمنت هذه الرسالة السياسية التى رأى الطرفان اتباعها فيما يختص بالمشكلة الدينية، ولهذا شاع بين المؤرخين تسمية هذه الرسالة بمرسوم ميلانو، والحقيقة أنها ليست بيانا رسميا صدر عقب المحادثات بين قسطنطين وليكينيوس ولكنها رسالة أذاعها النائب الإمبراطورى فى نيقو ميديا بعد أن جاءته من ليكينيوس [٢].

ولقد أورد (يوسابيوس) هذه الرسالة التى تعبر عما استقر عليه الطرفان فى ميلانو سنة ٣١٣م بشأن الأديان..

تقول هذه الرسالة: " أننا إذ أدركنا منذ عهد طويل أن الحرية الدينية يجب أن لا يحرم منها أحد ،بل يجب أن يترك لحكم ورغبة كل فرد أن يتمم واجباته الدينية وفق اختياره أصدرنا الأوامر بأن كل إنسان من المسيحيين وغيرهم يجب أن يحتفظ بعقيدته وديانته" [٣].

وتقول الرسالة أيضا: " وعندما حضرنا إلى ميلان فى ظروف طيبة وتأملنا فى كل ما يؤول إلى الخير العام ورفاهية الشعب اعتزمنا أول كل شئ أن نصدر الأوامر التى تعود بالخير على كل واحد من وجوه كثيرة، أى تلك التى تحفظ الإكرام لله وتقواه، أى أننا اعتزمنا منح المسيحيين وكذا كل الناس الحرية لاتباع الديانة التى يختارونها...

---

(١) شريكه فى حكم الإمبراطورية ـ كما أشرنا فى مقدمة هذا الفصل ـ وذلك بناء على السلطة الرباعية، وكان حاكما للجزء الشرقى من الإمبراطورية إلى أن قضى عليه قسطنطين سنة ٣٢٤م بينما كان قسطنطين حاكما على الجزء الغربى.

(٢) الدولة والكنيسة (٢ / ١٠٦).

(٣) يوسابيوس: تاريخ الكنيسة ص ٤٩٨.

وأن لا يحرم أى واحد من الحرية لاختيار واتباع ديانة المسيحيين، وأن تعطى الحرية لكل واحد لاعتناق الديانة التى يراها ملائمة لنفسه؛ لكى يظهر لنا الله فى كل شئ لطفه المعهود وعنايته المعتادة "[١]

ويتبين من هذا الجزء من الرسالة أن قسطنطين وشريكه[٢] أطلقا حرية العبادة لكل الرعايا بما فيهم أتباع المسيحية، وأقرا حق الفرد فى اختيار ما يراه مناسبا له، وعلى أساس هذا منح المسيحيون كامل الحرية لممارسة فرائض ديانتهم، وأصبحت دينا مسموحا به شأنها شأن الديانات الوثنية الأخرى، ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد بل شمل القرار رد أماكن العبادة المسيحية التى كانت قد سلبت من المسيحيين واستولى عليها الرومان.

تقول الرسالة: " وعلاوة على ذلك نأمر من جهة أماكن المسيحيين التى اعتادوا الاجتماع فيها سابقا.. إذا ظهر أن أحدًا اشتراها إما من خزانتنا أو من أى شخص آخر وجب ردها لهؤلاء المسيحيين من غير إبطاء أو تردد دون مطالبتهم بثمن عوضا، وإن كان أحد قد قبل تلك الأماكن كهبة وجب ردها لهؤلاء المسيحيين بأسرع ما يمكن.

وليكن معلوما بأنه إذا كان الذين اشتروا هذه الأماكن أو الذين قبلوها كهدية يطلبون شيئا من هباتنا فليذهبوا إلى قاضى الناحية، لكى يعطوا شيئا من قبل رأفتنا ولتمنح كل هذه برعايتكم لجماعة المسيحيين فى الحال ودون إبطاء.

ونظرا لأنه معروف بأن هؤلاء المسيحيين لم يتملكوا فقط هذه الأماكن التى اعتادوا الاجتماع فيها بل أماكن أخرى أيضا لم تكن ملكاً للأفراد بل للجماعة كمجموعة - أى لجماعة المسيحيين - ، وأصدروا الأوامر برد هذه أيضا من دون إبطاء

---

(١) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٢) يذكر " يوسابيوس ": أن ليكينيوس لم يكف عن شره تجاه المسيحيين وأن قسطنطين وحده هو الذى طبق ما جاء فى هذه الرسالة ومنح المسيحيين الحرية وأظهر لهم العطف والرحمة، وذكر أيضا أن ليكينيوس طرد من بيته كل مسيحى وطرد الجند الذين فى المدن من مناصبهم إذا لم يذبحوا للأوثان هذا إلى جانب أشياء أخرى (راجع التفاصيل فى المصدر السابق ص ٥٠٥ - ٥٠٨).

وفقا للأمر السابق ذكره إلى هؤلاء المسيحيين، أى إلى جماعتهم وهيئتهم مع مراعاة الاحتياط السابق ذكره بطبيعة الحال، أى أن الذين يريدونها بدون ثمن كما قدمنا يصح أن يطالبوا بتعويض من هباتنا "[١].

ثم أمرت الرسالة بأن تنشر هذه الأوامر مكتوبة فى كل مكان ليعرفها كل الناس.

وهكذا تغير موقف الإمبراطورية الرومانية من الديانة المسيحية تغيرا جذريا وأصبحت المسيحية على قدم المساواة مع بقية الديانات الأخرى المعترف بها فى الإمبراطورية، وانتهى عصر الاضطهاد والتعذيب للمسيحيين، وأضحى كل واحد منهم يجاهر بعبادته دون خوف أو قلق، وكان لقسطنطين الفضل الأكبر فى هذا التغيير.

ففى رسائله الرسمية من عام ٣١٢، ٣١٣ م لم يظهر التسامح للمسيحيين فى مملكته فحسب بل منحهم عطفه أيضا [٢]، وحباهم بالأعمال التى تعيد إليهم أمنهم وأمانهم وتزيل من نفوسهم الريب والقلق، فلقد قرر عودة المسيحيين الذين نفتهم السلطات الحكومية قبلا إلى جزر نائية أو مناطق جبلية موحشة، وقرر عودتهم إلى أوطانهم وترد إليهم ممتلكاتهم [٣]، وأطلق سراح أولئك الذين حكم عليهم بالعمل فى المناجم أو سخروا فى الأعمال العامة[٤]، وحرر هؤلاء الذين كانوا ينتمون إلى المجتمع الراقى ثم أنزلوا إلى مرتبة العبودية وأجبروا على الخدمة فى المنازل [٥]، وسمح للجنود أو الضباط الذين حرموا من رتبهم العسكرية إما بالعودة إلى مناصبهم مرة أخرى وإما الحياة الهادئة بعد خلاء سبيلهم بكيفية كريمة [٦]، وأمر بأن تنقل مقابر قتلاهم إلى ملكية الكنيسة، وتعاد إليهم وتصبح تحت تصرفهم

---

(١) المصدر السابق ص ٤٩٩.

(٢) فيليب حتى : تاريخ سوريا (١ / ٣٨٧)

(٣) يوسابيوس: حياة قسطنطين ص ٥٨.

(٤) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٥) المصدر السابق ص ٥٩.

(٦) المصدر السابق، نفس الصفحة

وإرادتهم [١]، وأن تعود أملاك هؤلاء الذين ماتوا أو التى صودرت إلى أقرب أقربائهم فإن لم يكن ورثتهم الكنيسة [٢] ، وأباح لهم الحصول على الهبات والتبرعات التى يقدمها المواطنون [٣]، ورد إلى الذين انتزعت منهم بسبب عقيدتهم أملاكهم من الأراضى والحدائق والدور حتى ولو كانت هذه قد أصبحت فى حوزة الخزانة الإمبراطورية، وعلى الذين ابتاعوا ممتلكات تخص الكنيسة أو تسلموها هبة المبادرة إلى تسليمها ثانية [٤].

هذا إلى جانب أنه فتح أمام المسيحيين باب الوظائف الحكومية وسلم الترقى فيها [٥] و منح المحاكم الأسقفية امتيازات هائلة، وأرسل إلى عماله فى مختلف الأقاليم يوجههم إلى المساعدة فى إقامة الكنائس وأن لا يبخلوا بشئ فى سبيل ذلك حتى من الخزانة الإمبراطورية نفسها [٦]، وأرسل قسطنطين إلى الأساقفة رسائل شخصية ومعها بعض الامتيازات والهدايا المالية.[٧]

وهكذا يتبين لنا أن قسطنطين لم يقف عند حد التسامح الدينى معهم بل كان يقدم لهم العون المادى والمعنوى، وهذا كان له أثره الكبير على المسيحيين.

ولقد وصف (يوسابيوس) شعوره وشعور المسيحيين إزاء هذا التسامح وهذا التعاطف المنقطع النظير فقال: " وأخيرا أشرق نهار صحو جميل لا تتخلله السحب وأضاء بأشعة نور سماوى كنائس المسيح فى كل العالم، وحتى الذين لم يكونوا من جماعتنا [٨]، لم يحرموا من الاشتراك فى نفس البركات أو على الأقل من الانتفاع

---

(١) المصدر السابق ص ٦٢.

(٢) المصدر السابق ص ٦٠.

(٣) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٤) يوسابيوس: تاريخ الكنيسة ص ٥٠٠.

(٥) حياة قسطنطين ص ٦٤.

(٦) د/ رأفت عبد الحميد: الدولة والكنيسة (٢ / ١١٠، ١١١).

(٧) يوسابيوس: تاريخ الكنسية ص ٤٨٠.

(٨) يشير بذلك إلى أن قسطنطين منح الحرية كاملة للمسيحيين بل لكل إنسان مهما اختلفت عقيدته أو ديانته وذلك بمقتضى الأمر الذى أصدره فى ميلانو ٣١٣م.

بمزاياها والتمتع بجزء من النعم التى أغدقها علينا الرب، وهكذا تحرر كل الناس من ظلم الطغاة "(١).

ثم يقول : " وهكذا انتزع من البشر كل خوف سبق أن تملكهم ، وأولموا الولائم الفاخرة ، واحتفلوا بالأعياد العظيمة، وامتلأ كل شئ بالنور، وأولئك الذين كانوا أذلاء تطلع كل واحد إلى أخيه بثغور باسمة وعيون لامعة، وفى المدن والقرى مجدوا أولاً الله ملك الكل بالرقص والتسابيح ،لأنهم هكذا تعلموا، ثم مجدوا الإمبراطور "(٢).

وهكذا اعتقد المسيحيون أن هذا العصر عصر جديد لهم، تنفسوا فيه الصعداء وأحسوا فيه بالأمان الذى افتقدوه على مر العصور الأولى، فأقاموا عباداتهم دون خوف أو وجل، وشيدوا كنائسهم واحتفلوا بأعيادهم وطقوسهم من غير أن يحملوا هم الترقب والترصد من الرومان، ويرجع الفضل فى هذا الأمان وتوابعه إلى قسطنطين، **ولكن الحقيقة أن هذا العصر - وإن كانوا قد شعروا فيه بالحرية والأمان والاطمئنان - إلا أنه فتح عليهم بابا من الجدل والمناقشات والاختلافات حول العقائد والنظم اللاهوتية والكنيسة والتى لم تنته إلى الآن.**

فبزوال الاضطهاد بدأت الكنيسة تشهد صراعا عقائديا أحدث انقساما كبيرا واختلافا بين المسيحيين لا يزالون يعانون منه إلى الآن.

المهم هنا أن نحدد: أن قسطنطين اعترف بالمسيحية ديانة رسمية وجعلها من بين الديانات المسموح بها فى الدولة الرومانية، ومنع اضطهادها ومنح المسيحيين الحرية والأمان، وهكذا انتهى على يديه عصور الاضطهاد والتعذيب والقسوة التى عاشها المسيحيون فى القرون الثلاثة الأولى، " وتحول وضع المسيحية من ديانة محرمة إلى

---

(١) المرجع السابق ص ٤٧٩.

(٢) المصدر السابق ص ٥٠٩.

ديانة مكرمة "[١] معترف بها من الجهات الرسمية ومسموح بها، " فحفظت له الكنيسة جميل أنعمه ففرض عليها هو بالتالى قاهر إرادته "[٢]، بمعنى أن قسطنطين اعتبر تسامحه هذا مع المسيحيين أكبر جميل لهم ،لذلك استغله لصالحه أفضل استغلال ففرض عليهم ما يريده، ويتضح ذلك أكثر مما يأتى :

دوافع اتجاه قسطنطين إلى المسيحية:

لقد اختلف الباحثون اختلافا كبيرا حول الدوافع التى جعلت قسطنطين يعطف على المسيحيين ويزيل عنهم الاضطهاد والتعذيب: هل كان بدافع دينى؟ أو بدافع سياسى؟ هل كان تسامحه نابعا من إيمانه بدينهم؟ أم كان للدوافع السياسية كبير شأن فى اتخاذه جانبه؟ وانجذابا لهذا الشق أو ذاك جاء من الدارسين قبيل هنا وراح غيره هناك.

والرأى الأول يدعمه مؤرخو الكنيسة جاعلين من قسطنطين حواريا يضاف إلى حوارى المسيح الاثنى عشر.

والرأى الثانى يؤكده جل الدراسين المحدثين جاعلين من قسطنطين سياسيا حاذقا[٣].

الرأى الأول:

ادعاء رؤيا تحول قسطنطين مسيحيا:

ويستند هذا الرأى إلى رواية (يوسابيوس) فى كتابه (قسطنطين العظيم) الذى يصور لنا قسطنطين بأنه كان ملكا تقيا ضرب المثل الأعلى فى حياة التقوى بل جعله رسولا من رسل المسيح[٤]،تلقى تعاليمه عن المسيحية بتعليم إلهى[٥].

---

(١) هـ. موس: ميلاد العصور الوسطى ص ٢٨.

(٢) الدولة والكنيسة (٢ / ١٢١).

(٣) المصدر السابق (٢/ ٩٥).

(٤) حياة قسطنطين ص ٨، ٩.

(٥) المصدر السابق ص ٢٦.

يقول د/ رأفت عبد الحميد: " ولم يكن قسطنطين فى رأى (يوسابيوس) ليهتدى إلى المسيحية على لسان بشر، إذن لغدا أحدهم، ولكنه جعل السماء داعيه فى يقظته، ويسوع المسيح مبشره فى نومه، والصليب شارته، وخدام الرب مشاعل جنده والرب يبارك منه الخطى "[١].

فلقد روى (يوسابيوس) أن قسطنطين أثناء زحفه على إيطاليا وقبيل معركته [٢] مع جيش ماكسمنتيوس - الذى كان يفوق جيشه فى العدد والعدة - تراءى لقسطنطين صليب مضئ فوق قرص الشمس، كتب حوله (بهذا ستنتصر) فاندهش هو وجيشه،

وإليك الرواية كما جاءت فى كتاب: حياة قسطنطين [٣].

يقول يوسابيوس: وبينما قسطنطين يصلى بلجاجة وحرارة ظهرت له علامة عجيبة فى السماء يصعب جدا تصديقها، لو أن شخصا آخر رواها، ولكن طالما كان **الإمبراطور الظافر نفسه هو الذى رواها لكاتب هذا السفر بعدها بمدة طويلة** فمن الذى يتردد فى تصديق الخبر؟ قال إنه حوالى الظهر رأى بعينه صليبا من نور فى السماء فوق الشمس يحمل هذه الكتابة (أغلب بهذا) أمام هذه الرؤيا ذهل هو نفسه وكذا كل جيشه الذى رافقه فى هذه الحملة وشهد المعجزة "[٤].

ثم يقول: "وعلاوة على هذا قال إنه خامرته الشكوك فى داخله فى معنى هذه الرؤيا، وبينما هو يتأمل ويفكر فى فحواها أقبل الليل فجأة ثم ظهر له فى نومه (مسيح الله) بنفس العلامة التى رآها فى السماء وأمره بأن يصنع مثالا لهذه العلامة التى رآها فى السماء وأن يستعملها كوقاية له فى كل حروبه مع أعدائه"[٥].

---

(١) الدولة والكنيسة (٢ / ٩٥).

(٢) تلك المعركة التى أشرنا إليها سابقا فى مقدمة هذا الفصل وهى معركة (جسر الملفان) التى انتصر فيها قسطنطين ودخل روما على أثرها.

(٣) سنورد هذه الرواية بنص (يوسابيوس) لأهميتها لأنها هى الرواية التى يستند إليها القائلون بأن قسطنطين كان مسيحيا.

(٤) حياة قسطنطين ص ٢٤.

(٥) المصدر السابق نفس الصفحة.

ثم يقول : "وفى الفجر استيقظ وأنبأ أصدقائه بالأمر العجيب الذى رآه ثم استدعى الصناع الذين يعملون فى الذهب والأحجار النفيسة وجلس فى وسطهم ووصف لهم هيئة العلامة التى رآها وأمرهم بأن يصنعوها من ذهب وحجارة كريمة[١] وذلك لتوضع على رؤوس جيشه "[٢].

ثم بعد ذلك يوضح (يوسابيوس) أن قسطنطين على أثر ذلك استدعى قساوسة الديانة المسيحية ليفسروا له ما رآه فى نومه، فأخبروه أن الذى ظهر له إنما هو المسيح ثم علموه تعاليم الديانة المسيحية فيقول: " فإنه - أى قسطنطين - إذ ذهل من الرؤيا العجيبة التى ظهرت له وعزم على أن لا يعبد إلها آخر سوى ذلك الذى ظهر له، واستدعى بعضا من الخبيرين بأسرار تعاليمه، فسألهم عمن يكون هذا الإله ؟ وما المقصود بعلامة الرؤيا التى رآها؟ فأكدوا له بأنه هو الله الابن الوحيد للإله الواحد الوحيد، وأن العلامة التى رآه هى رمز الخلود وعلامة النصرة على الموت التى أحرزها فى الماضى لما كان على الأرض، ثم علموه أسباب مجيئه وفسروا له السر الحقيقى للتجسد، وهكذا تلقى التعاليم اللازمة عن هذه الأمور وتأثر جدا من الظهور الإلهى الذى رآه بعينه.

وإذ قارن الرؤيا السماوية بالتفسير الذى أعطى له تثبت اعتقاده، ولما اقتنع بأن معرفةهذه الأمور قد أعطيت له بتعليم إلهى عزم من ذلك الوقت على تكريس نفسه لقراءة أقوال الوحى الإلهى، وعلاوة على ذلك جعل كهنة الله مستشارين له ورأى أنه من الضرورى أن يكرم الله - الذى ظهر له - بكل وقار ، وبعد هذا إذ تحصن بالرجاء الأكيد فيه أسرع فى إطفاء نار الاضطهاد "[٣].

وهذا يعنى أن قسطنطين - كما بين يوسابيوس - تلقى تعليمه المسيحى عن طريق إلهى - عن طريق المسيح الذى ظهر له فى نومه لذلك عزم على قراءة الكتاب المقدس!! واتخذ من القساوسة المسيحيين مستشارين له.

---

(١) المصدر السابق نفس الصفحة، ولقد وصف (يوسابيوس) بعد ذلك الهيئة التى صنعت بها هذه العلامة وهى عمل الصليب من حربة طويلة مغشاة بالذهب يستعرضها قضيب فى قمة الكل ثبت إكليل من ذهب وحجارة كريمة وفى وسط هذا ثبت رمز لاسم المسيح ثم تدلى من عصا حربة الصليب القماش المطرز بالذهب والأحجار الكريمة ص ٢٥.

(٢) المصدر السابق ص ٢٥.

(٣) حياة قسطنطين ص ٢٦.

وهكذا يصور لنا (يوسابيوس) الدافع الذى حدا بقسطنطين إلى إطفاء نار الاضطهاد الذى ابتلى به المسيحيون من أباطرة الرومان وهو: اهتداؤه إلى المسيحية عن طريق الرؤية التى شاهدها فى صحو النهار، أى أن دافعه كان دينيا، وعلى هذا النهج سار بعض مؤرخى الكنيسة.

ولنبدأ فى مناقشة هذه القصة التى أوردها (يوسابيوس) فى كتابه عن حياة قسطنطين:

يذكر (يوسابيوس) أن العلامة التى ظهرت لقسطنطين فى السماء لم يشاهدها منفردا بل رآها معه كل جيشه واندهشوا منها جميعا، معنى ذلك أن تكون هذه الرؤية شيئا شائعا ومعروفا بين الجميع، وإذا كان الأمر كذلك فلماذا لم يذكرها (يوسابيوس فى كتابه (تاريخ الكنيسة) كل الذى يقوله عن الفترة التى سبقت الحرب بين (قسطنطين) و (ماكسنتيوس) نصه ما يلى:

" أما قسطنطين الذى كان متقدما فى المقام وفى المركز الإمبراطورى فإنه فى بداية الأمر أشفق على من ظلموا فى روما، وإذ لجأ بالصلاة إلى إله السماء وكلمته يسوع المسيح نفسه مخلص الجميع كعون له تقدم بكل جيشه "[١].

وفى الحقيقة يكاد يكون هذا المعنى هو نفس ما يذكره (يوسابيوس) عن (ليكينيوس) فى صراعه مع (ماكسيمانيوس) فيقول: وأعطيت النصرة إلى (ليكينيوس) الذى كان يحكم وقتئذ بمساعدة الله الواحد الوحيد إله الجميع"[٢].

فلماذا لم ينص يوسابيوس فى كتابه: " تاريخ الكنيسة " عن الرؤية التى حدّث بها عن قسطنطين - والتى ذكرها فى كتابه: حياة قسطنطين - وهى رواية شائعة رآها كل جيش قسطنطين؟

ربما يرد على هذا بأن " يوسابيوس " اعتمد فى ذكر هذه الرؤيا على قسطنطين نفسه وهو لم يلتق به إلا بعد أن كتب تاريخه.

---

(١) يوسابيوس: تاريخ الكنيسة ص ٤٦٥

(٢) المصدر السابق ص ٤٧١.

وهنا يتساءل المؤرخ المسيحى (يوحنا موسهيم) قائلا: " لماذا لم يستند يوسابيوس إلا إلى شهادة الإمبراطور دون ذكر شهادة أحد من الألوف الذين كان ينبغى أن يكونوا قد شاهدوا ذلك؟ ولماذا لم يقل إن الخبر شاع فى العالم واعتمد على شهادة كثيرين عوضا عن مجرد شهادة قسطنطين بالانفراد معه؟ وإن كان الله قد قصد إنارة عقل قسطنطين هل يصدق بأن الله أراه مجرد صورة صليب بدلا من أن يوحى إليه؟ وهل يصدق أن يسوع المسيح ملك الملوك أمر ذلك الإمبراطور بصنع صليب مادى جعل عليه كل اتكاله من أجل النصر؟ وكيف يمكن أن تكون هذه القصة غير معروفة للعالم المسيحى حتى بعد حدوثها بخمس وعشرين سنة [١] ولما عرفت كان ذلك عن حديث بين " يوسابيوس " "وقسطنطين " ألا يكون الأرجح أن "يوسابيوس " استنتج ذلك من حديث الإمبراطور عن هالة براقة ظهرت حول الشمس نهارا وعن حلم مؤثر رآه فى الليلة التالية، مما جعله يصنع الصليب المرصع ويستخدمه راية لجيشه؟"[٢].

وليس هذا المسيحى وحده هو الذى يقف عند هذه الرواية ولا يصدقها، بل هناك آخرون كثيرون لم يقتنعوا بهذا الرواية ولم يصدقوها.

يقول أندرو ملر: " وكذلك لا نصدق حصوله على إعلان إلهى فى الرؤية التى رآها فى وقت الظهيرة أو الحلم الذى شاهده فى منامه، بل ربما كان هناك منظر غير عادى حول الشمس أو السحب تخيل له من هذا المنظر شكل الصليب، ويحتمل أن يكون المنظر الذى رآه فى الحلم نتيجة مشغوليته الكثيرة واضطرابه العظيم، وقد تعتبر القصة كلها الآن كخرافة مملوءة بالتملق والمداهنة للإمبراطور العظيم أبهجت وأسرت " يوسابيوس " الذى كان معجبا جدا بالإمبراطور مثنيا عليه أحسن الثناء فدونها كأنها حقيقة واقعية، **وقل من يعطيها مكانا بين الأخبار التاريخية الصحيحة** "[٣].

---

(١) وذلك على أساس أن " يوسابيوس " هو الوحيد الذى كتب هذه الرواية فى كتاب : حياة" قسطنطين "الذى لم يكتبه إلا بعد وفاة قسطنطين. أى بعد سنة ٣٣٧م. وهذه الحادثة حدثت فى خريف سنة ٣١٢م.

(٢) يوحنا موسهيم: تاريخ الكنيسة المسيحية القديمة والحديثة. ترجمة هنرى هسى. هامش ص ١٢٧ - ١٢٨.

(٣) أندروملر: مختصر تاريخ الكنيسة (١ / ٢٦٠ / ٢٦١).

ويتضح لنا من هذا أن الرؤية ما هى إلا تخيل قسطنطين لمنظر غير عادى حول الشمس، أو أن الرواية بأكملها أسطورة أو خرافة، لقد قال بهذا الرأى أو ذاك كثير من المؤرخين والمسيحيين.

فالمؤرخ (جونز) يرى أن قسطنطين قد تخيل هذه الرؤية أخيرا ويتأكد ذلك من الطريقة التى يقدم بها " يوسابيوس " القصة من أن الإمبراطور لم ينشر هذه الحادثة بل أفضى له بها فى لحظة من لحظات الألفة والمودة.

ويقول : " إن ما يحتمل أن يكون قسطنطين قد رآه ليس سوى ظاهرة نادرة لهالة طبيعية مشابهة لقوس قزح نتجت عن سقوط - لا المطر - ولكن كرات الثلج خلال أشعة الشمس، وهى عادة تأخذ شكل شموس مصطنعة أو حلقات من الضوء تحيط بالشمس، وربما تكون الفترة التى تبدى فيها ذلك قصيرة، والعرض غير مكتمل المشاهدة، ولكنه كان بالنسبة لخيال قسطنطين المكدود المنهك ذا دلالة كبيرة، فهى الشمس التى يقدسها، وفى ساعة من ساعات احتياجه بعثت إليه الشمس بعلامة وكانت العلامة الصليب شعار المسيحيين، وأيما كانت تعنى: المسيح مظهرا للشمس التى لا تقهر، أو أن الشمس هى رمز القوة الإلهية التى إياها يعبد المسيحيون، فقد كان واضحا أن المسيح سيد الصليب قد أصبح بالنسبة لقسطنطين بطله وحاميه"(١).

أما بالنسبة لكون هذه الرواية أسطورة من الأساطير وخرافة من الخرافات فقد قال بهذا الرأى فئة من العلماء المسيحيين والمؤرخين.

يقول فيليب حتى: " ويرجح أن تكون قصة اعتناق قسطنطين للمسيحية من باب الأساطير "(٢). كذلك يقول عنها " شينى " إنها أسطورة قديمة " (٣)

ويقول د/ إسحاق عبيد: " كان طبيعيا أن يربط كتاب الكنيسة حياة قسطنطين بالمسيحية وهنا اختلطت الوقائع التاريخية بالروايات الأسطورية الطابع "(٤).

---

(١) راجع هذا الرأى فى كتاب : الدولة والكنيسة (٢ / ٩٧ / ٩٨).

(٢) فيليب حتى : تاريخ سوريا (١ / ٣٨٧).

(٣) شينى : تاريخ العالم الغربى ص ٩٠.

(٤) د/ إسحاق عبيد: الإمبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية ص ٥٥.

فالرؤية التى حدث بها (يوسابيوس) عن قسطنطين فى نظر كثير من المؤرخين تخيل وتهيؤ لقسطنطين، أو أسطورة من الأساطير.

أوجه التشابه بين رواية بولس ورواية قسطنطين:

ولنا على هذه الرواية تعليق آخر وهو: ألا يوجد نوع من التشابه الخفى فى طريقة الادعاء بدخول كل من بولس وقسطنطين المسيحية؟ فلقد ادعى كل منهما أن المسيح ظهر له ووجه إلى الطريق الصحيح ودعاه بطريق غير مباشر إلى الدخول فى المسيحية كما فى رواية قسطنطين، أو بطريق مباشر كما فى رواية بولس.

فلقد ادعى بولس أنه ظهرت له علامة فى السماء فى نصف النهار وذلك عن طريق أنه أبرق حوله نور من السماء " فبغتة أبرق حوله نور من السماء " وعلى أثرها سقط بولس على الأرض فظهر له المسيح وعاتبه على اضطهاده للمسيحيين وأمره بالدخول إلى المدينة (دمشق) وسيقال له ماذا يفعل؟

وكذلك الأمر بالنسبة لقسطنطين ظهرت له علامة فى السماء فى نصف النهار وذلك عن طريق أنه رأى بعينيه صليبا من نور فى المساء فوق الشمس، ثم ظهر له المسيح فى نومه وأمره بأن يصنع مثالا من العلامة التى رآها فى السماء وأن يستعملها كوقاية له فى الحرب، وعندما استيقظ من نومه استدعى قساوسة الكنيسة ليفسروا له ما رآه فى نومه فأخبروه أنه المسيح.

وكما أن رواية بولس تظهر أنه كان معه وقت حدوثها بعض الناس الذين شاهدوا العلامة التى ظهرت لبولس وذهلوا جميعا وارتعبو، فكذلك أيضا رواية قسطنطين تظهر لنا أن كل جيشه نظر هذه العلامة التى ظهرت له ودهشوا جميعا...

وكما أن رواية بولس نجد فيها أن المسيح وعده بأن ينقذه من الشعب اليهودى وغير اليهودى فكذلك أيضا نجد فى رواية قسطنطين أن المسيح يأمره بأن يتخذ العلامة التى ظهرت له وقاية له فى كل حروبه مع أعدائه.

إن هناك تشابها كبيرا فى أجزاء هاتين الروايتين ولهذا يمكن القول: إن ادعاء الرؤى والتهيئات والأحلام كان وسيلة لأى مدع أو دخيل على الديانة المسيحية لإظهار تعاطفه ومن ثم دخوله فى المسيحية، حتى ولو كان هذا المتخيل أو المدعى

من أعدى أعداء المسيحية، وهذا يعطى مؤشرا آخر خطيرا وهو أن المسيحيين آمنوا بطريق مباشر أو غير مباشر بالتهيؤات والتخيلات وخلطوا بينهما وبين ما هو صحيح.

وهكذا يتضح لنا أن الكثيرين من المؤرخين لم يقنعوا بالرواية التى أوردها (يوسابيوس) وشككوا فيها واعتبروها غير صحيحة، وهذا يعنى التشكك فى قبول الرأى القائل بأن الدافع الذى جعل قسطنطين يتجه إلى المسيحية بالعطف والتسامح هو قبوله الدخول فى المسيحية والتدين بها.

هذا إلى جانب أن هناك علامات وأدلة كثيرة - أو ردها العلماء والمؤرخون تزيد هذا التشكك وتؤيده وأهمها ما يلى:

أولاً: إن قسطنطين لم يتقبل المعمودية إلا وهو على فراش الموت سنة ٣٣٧م وهو العام الذى توفى فيه [(١)]، والتعميد إعلان بدخول المسيحية، وهذا يعنى أن قسطنطين طوال حياته لم يكن مسيحيا.

ثانياً: إن قسطنطين لم يتخل عن اعتقاد آبائه وأجداده الوثنى، وهو الاعتقاد بألوهية الشمس التى لا تقهر" [(٢)]، ولم يتخل عن منصب الكاهن الأعظم، وهو المنصب الإمبراطورى فى الديانة الرومانية الوثنية [(٣)]، وقام بجميع المراسيم التى يتطلبها منه منصب (الكاهن الأعظم) والتى تحتمها عليه الطقوس التقليدية، وجدد بناء الهياكل الوثنية وأمر بممارسة أساليب العرافة، واستعمل رقى سحرية وثنية لحماية المحاصيل وشفاء الأمراض. [(٤)].

ثم إن العملة فى أيام قسطنطين ضربت وعلى وجه منها علامة الصليب، وعلى الوجه الآخر شعار عبادة الشمس، وانقضى من عهد قسطنطين ما يزيد على عشر سنين قبل أن يصدر الأمر بعقوبة الجند على تقديم القرابين إلى جوبيتر (كبير آلهة

---

(١) وقصة تعميده واردة فى كتاب يوسابيوس: حياة قسطنطين ص ١٥٤ - ١٥٥.

(٢) أرنولد توينبى: تاريخ البشرية (٢ / ٢١) فشر: تاريخ أوربا العصور الوسطى ص ٧.

(٣) راجع بالإضافة إلى المصدرين السابق، الإمبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية ص ٥٥.

(٤) قصة الحضارة (مج ٣ ج ٣ ص ٣٨٩).

الرومان) أو أن يستبعد الشعائر الوثنية من الحفلات الإمبراطورية الرسمية "[١]... وكذلك أيضاً أنشئ معابد وثنية جديدة فى القسطنطينية أيام قسطنطين وأن الذين أنشأوها كانوا من موظفى الدولة لأنهم كانوا وثنيين فأرادوا بذلك التعبير عن تمسكهم بعقائدهم[٢].

لذلك يقول حبيب سعيد: " إن قسطنطين لم يتعرض للوثنية بسوء وظل هو نفسه رئيس الكهنة "[٣]...

هذا إلى جانب أن بعض المؤرخين يشيرون إلى أن قسطنطين قتل ابنه وزوجته بطريقة بشعة، ففى إحدى الروايات - كما يذكر ولز - أنه أغلى عليها ماء حمامها حتى ماتت. وفى رواية أخرى أنها ألقيت للضوارى عارية الجسم على جبل موحش[٤].

وهكذا أصبح واضحاً أن القول بأن قسطنطين كان مسيحياً حين توجه إلى المسيحيين بالعطف والتسامح قول مشكوك فيه ولا تؤازره الأدلة، بل هى قائمة على الضد.

لذلك يقول فشر: " ليس فى استطاعة أى باحث أن يجرؤ على الجزم بأن ذلك الإمبراطور العسكرى كان على الدين المسيحى، لأنه وإن لم يكن من المستطاع اتهامه بإلقاء الأسرى من الجرمان إلى الوحوش الضارية بالملعب العام لتسلية النظارة، فمن المؤكد أنه قتل زوجه وابنه "[٥].

الرأى الثانى: وهو أن الدافع لاتجاه قسطنطين نحو المسيحية كان سياسيا :

إن معظم المؤرخين يعتقدون أن سياسة قسطنطين الدينية قد أملتها ضرورات سياسية، فكان اتجاهه للمسيحية بالعطف والتسامح نابعاً من حاجته السياسية لهم،

---

(١)تاريخ أوربا العصور الوسطى ص ٨.
(٢) نورمان: الإمبراطوريةالبيزنطية بتصرف ص ١٠ بتصرف.
(٣) فجر المسيحية ص ١٤٢.
(٤) معالم تاريخ الإنسانية (٣ / ٧١٧ ، ٧١٨).
(٥) تاريخ أوربا العصور الوسطى ص ٦.

إذ رأى فى اجتذاب المسيحيين إليه سبيلاً إلى كسب المعارك والإمساك بزمام أمور الإمبراطورية.

يقول أندرو ملر: " ولكننا إذا تعمقنا فى معرفة فكر قسطنطين معرفة صحيحة لما ترددنا لحظة فى القول بأن كان وثنياً بالقلب ومسيحياً من الوجهة الحربية فقط، حيث كان فى تلك اللحظة على استعداد أن يقبل بسرور ويرحب بمساعدة أى إله قدير ليستعين به فى حروبه، لأجل ضم شمل أطراف الإمبراطورية الشاسعة تحت لوائه "[١].

فلقد رأى قسطنطين أن المسيحيين أحسن تنظيماً وأشد إيماناً بقضاياهم من جموع الوثنيين [٢]، وهذا يعنى أنهم أكثر فائدة للإمبراطورية من هؤلاء الوثنيين، لذلك اتجه إليهم بالعطف والتسامح، ليكسب ودّهم، وينال رضاهم، ويحظى لديهم بالقبول والتأييد.

يقول فشر: "لم يغب عن بصيرة إمبراطور حصيف مثل قسطنطين أن اتخاذ الأولياء من فئة قليلة من الناس[٣] يحدوها النظام، ويهديها الإيمان الراسخ، وتسندها كتب مقدسة - فى نظره - وعقيدة واضحة[٤] أجدى عليه من فئة كبيرة ذات عقائد شتى "[٥]

ويقول ول ديورانت: " نعم إن أتباع هذه الديانة كانوا لا يزالون قلة فى الدولة ولكنهم كانوا إذا قيسوا إلى غيرهم قلة متحدة [٦] مستبسلة قوية، على حين أن

---

(١) مختصر تاريخ الكنيسة (١ / ٢٦٣).

(٢) د/ إبراهيم العدوى: المجتمع الأوربى فى العصور الوسطى ص ٤١.

(٣) يقول فشر فى الهامش: " وذلك على اعتبار أن المسيحيين كانوا فى ذلك الوقت أقلية فلقد قدرها المؤرخ " بيورى " بمقدار الخمس من سكان الإمبراطورية " تاريخ أوربا العصور الوسطى هامش ص ٧.

(٤) لعل المراد بقوله " وعقيدة واضحة " أنها كانت معروفة، بخلاف الديانات السرية التى كانت منتشرة آنذاك وكانت عقائدهم سرية لا يطلع عليها إلا من دخل فيها.

(٥) المرجع السابق ص ٧.

(٦) لعل المعنى متحدة فى اعتقادهم بنسبتهم إلى المسيح ، وذلك لأنهم اختلفوا كثيرا فى حقيقة المسيح.

الأغلبية الوثنية كانت منقسمة إلى عدة شيع دينية ،وكان فيها عدد كبير من النفوس التى لا عقيدة لها ولا نفوذ لها فى الدولة "[١].

ويقول برتراند رسل : " والظاهر أن هذا هو ما قصد إليه قسطنطين. فقد كان لابد من محاباة المسيحيين باعتبارهم كتلة منظمة واحدة ـ لكى يظفر منهم بالتأييد، على حين كانت كل الفرق المعادية للمسيحيين على غير نظام، وبالتالى لم يكونوا ذوى أثر من الوجهة السياسية "[٢].

هذا ما ظنه قسطنطين فى المسيحية قبل اتجاهه إليها بالعطف والتسامح ـ وإن كان بعد ذلك وجد أن ظنه فى غير موضعه، وذلك حين وجد الاختلاف الشديد بين المسيحيين وعمل على حلها .

لقد أحس قسطنطين بأن نجم الوثنية فى أفول وضمور، أما نجم المسيحية فقد بدا فى الظهور لذلك رأى أن يكسب أتباع المسيحية فى صفه لكى ينال تأييدهم ويدعم مركزه فى الإمبراطورية...

وهكذا استطاع قسطنطين أن يأسر الكنيسة بما أغدقه عليها من خيرات وبما أولاها من نعم فكسب ولاء رجالها وتأييدهم، وكان الإمبراطور فى مسيس الحاجة لمدد هؤلاء القوم يعتمد عليهم فى تسكين خواطر رعاياهم لما يعلمه من نفوذهم الكبير عليهم، لقد غدا رجال الكنيسة فى حكومة قسطنطين (شرطة نبيلة) أمل فيها الإمبراطور أن تحفظ بالهدوء وتنشر بالسكينة السلام "[٣].

يقول أندروملر : " لقد قدر قسطنطين بحكمته السياسية فضل الديانة المسيحية أدبياً وتأثيرها فى جعل الناس يخضعون خضوعا تاماً للسلطة المدنية "[٤].

ويزيد هذا المعنى وضوحاً ول ديورانت فيقول: " لقد أعجب قسطنطين بجودة نظام المسيحيين إذا قيسوا بغيرهم من سكان الإمبراطورية وبطاعتهم لرؤسائهم

---

(١) قصة الحضارة (مج ٣ ج ٣ ص ٣٨٨).

(٢) برتراند رسل : تاريخ الفلسفة الغربية ـ الكتاب الثانى ص ٤٨.

(٣) الدولة والكنيسة (٢ / ١٢٧ ـ ١٢٨)

(٤) مختصر تاريخ الكنيسة (١ / ٢٦١).

الدينيين، وبرضاهم صاغرين بفوارق الحياة رضاء مبعثه أملهم فى أنهم سيحظون بالسعادة فى الدار الآخرة... وأيضاً قد تعلم المسيحيون على يد معلميهم واجب الخضوع للسلطات المدنية ولقنوهم حق الملوك المقدس، وكان قسطنطين يأمل أن يكون ملكاً مطلق السلطات، وهذا النوع من الحكم يفيد من تأييد هذا الدين له، وقد بدا له أن النظام الكهنوتى وسلطان الكنيسة الدنيوى يقيمان نظاماً روحياً يناسب نظام الملكية، ولعل هذا النظام بما فيه من أساقفة وقساوسة يصبح أداة لتهدئة البلاد وتوحيدها وحكمها "[١].

وهكذا يتضح لنا أن اتجاهات قسطنطين الإيجابية نحو المسيحية كانت بسبب تدعيم مركزه فى الإمبراطورية، والمحافظة على وحدة الإمبراطورية، بمعنى أن قسطنطين كان سياسياً حاذقاً استطاع أن يستغل كل شئ لصالحه حتى الدين المسيحى.

هذا وقد أدرك قسطنطين - من جانب آخر - أن المسيحيين برغم أنهم لا يُكوّنون أغلبية فى الإمبراطورية إلا أن لهم نفوذاً واسعاً فى المدن والأرياف وخاصة فى الجهات الشرقية من الامبراطورية، إذ انتشرت فى أكثرية ولايات آسيا الصغرى وسوريا وفلسطين ومصر والشمال الأفريقى، وهذا يعنى أنه كان للمسيحيين تأثيراتهم الواضحة وخاصة فى المناطق الحيوية للإمبراطورية [٢]، وهنا أدرك قسطنطين بثاقب فكره أن هؤلاء المسيحيين يمثلون قوة فى الجهات الشرقية، لذلك عمل على كسب ولاء المسيحيين لكى يحافظ على وحدة الإمبراطورية، ومن هذه الوجهة نظر الدارسون إلى أن اتجاه قسطنطين إلى المسيحية كان اتجاهاً لمصلحة سياسية وعللوا عونه للمسيحيين تعليلاً سياسياً...

وهذا التعليل هو الأرجح فى نظر معظم المؤرخين [٣].

---

(١) قصة الحضارة (مج ٣ ج ٣ ص ٣٨٨).

(٢) د/ عبد القادر أحمد اليوسف: الإمبراطورية البيزنطية ص ١٢ - ١٦ بتصرف

(٣) راجع: الدولة والكنيسة (٢ / ٩٥ ، ١٢٨).

يقول د / عبد القادر أحمد اليوسف : " حقاً إن قسماً كبيراً من المؤرخين يعتقدون بأن سياسة قسطنطين قد أملتها ضرورات سياسية "[١].

ويقول ول ديورانت : " ترى هل كان قسطنطين حين اعتنق المسيحية مخلصاً فى عمله هذا؟ أو هل كان ذلك العمل حركة بارعة أملتها عليه حكمته السياسية؟ أكبر الظن أن الرأى الأخير هو الصواب ... فقد أحاط قسطنطين نفسه فى بلاطه ببلاد غالة بالعلماء والفلاسفة الوثنيين... وقد كان فى أثناء حكمه كله يعامل الأساقفة على أنهم أعوانه السياسيون ، فكان يستدعيهم إليه ويرأس مجالسهم ويتعهد بتنفيذ ما تقره قساوستهم من آراء ، ولو أنه كان مسيحياً حقاً لكان مسيحياً أولاً وحاكماً سياسياً بعدئذ ، ولكن الآية انعكست فى حال قسطنطين ، فكانت المسيحية عنده وسيلة لا غاية "[٢].

وهكذا يتضح أن قسطنطين مد يد العون للمسيحيين لأنه رأى أن تأييدهم له سيجعل سيطرته على الإمبراطورية أكثر إحكاماً ، وذلك لأنهم أفضل نظاماً وأحسن حالاً إذا قيسوا بغيرهم من الوثنيين ، هذا إلى جانب أنهم يمثلون قوة فى الجهات الشرقية وكسبهم فى صفه يضمن للإمبراطورية وحدتها وقوتها ، وهذا يعنى أن قسطنطين استفاد من تسامحه مع المسيحيين الكثير، ولم يخسر شيئا حتى الوثنية والوثنيين.

تدخل قسطنطين فى شئون المسيحية واتخاذه صفة رئيس الكنيسة [٣]:

لقد أعطى قسطنطين لنفسه الحق فى التدخل فى شئون الكنيسة ، والفصل فى المنازعات القائمة بين المسيحيين حتى يضمن وحدة الإمبراطورية ، " فدعا إلى عقد المجامع الدينية المحلية والمسكونية وترأس جلساتها ، وأدار مناقشاتها ، وصدق على

---

(١) د/ عبد القادر اليوسف : الإمبراطورية البيزنطية ص ١٢.

(٢) قصة الحضارة (مج ٣ ج ٣ ص ٣٨٧).

(٣) مختصر تاريخ الكنيسة (١ / ٢٧٠).

قراراتها، وتدخل فى تعيين الأساقفة وعزلهم، بل شارك فى صياغة العقيدة على النحو الذى غدت به قانوناً للإيمان "(١).

فلقد جعل قسطنطين الوحدة شعاراً وهدفاً ، واعتبر الكنيسة المتفرقة أحزاباً وشيعاً لن تفيد الدولة فى قليل أو كثير، ولذا أدت به الضرورة السياسية إلى أن يجعل من نفسه راعياً ورئيساً فخرياً للمجامع الدينية وفيصلاً فى المنازعات بين المذاهب ، ومشيراً مطاعاً فى تقرير عقائد الكنيسة "(٢).

واليك بعض الأمثلة على هذ التدخل:

المثال الأول : الدوناتيون :

ولقد بدأ هذا التدخل واضحا من قسطنطين حين علم بالمنازعات القائمة بين المسيحيين فى شمال إفريقية، ويرجع أسباب هذا النزاع إلى ما حدث أيام اضطهاد (دقلديانوس) ذلك أنه كان من بين مراسيم الاضطهاد الاستيلاء على الكتب المقدسة وإحراقها، وكان رد الفعل عند رجال الكنيسة متبايناً إزاء هذا المرسوم:

فالبعض سلم الكتب إلى السلطات الرومانية، والبعض الآخر لم يسلمها وآثر حياة الضياع والحرمان..

وبعد انتهاء الاضطهادات اختلف المسيحيون فى شمال إفريقيا حول أولئك الذين سلموا الكتب للسلطات الرومانية إلى فريقين:

الفريق الأول : اتهم هؤلاء الأساقفة بالخيانة، واعتبرهم قد خسروا رحمة الرب ولم يعودوا مسيحيين، وأن شعائر التعميد ورسامة الأساقفة التى تجرى على أيدى هؤلاء الأساقفة باطلة (٣).

---

(١) د/ رأفت عبد الحميد: الدولة والكنيسة (٢ / ٧).

(٢) فشر: تاريخ أوربا العصور الوسطى ص ٧.

(٣) قصة الحضارة (مج ٣ ج ٣ ص ٣٩١).

وطالب هذا الفريق أن تتم الأسرار المقدسة على أيدى قساوسة طاهرين، واعتبروا أن الأسرار التى تتم على أيدى قساوسة غير جديرين بذلك تعتبر باطلة.

هذا هو رأى (الدوناتيين) الذين ينسبون إلى دوناتس أسقف قرطاجة.

أما الفريق الآخر: فقد ظل على اعتقاده أن الأسرار المقدسة تتوقف على منصب القسيس وليس على صفاته الشخصية [١].

تفجر هذا الخلاف فى عام ٣١١م حينما علم النوميديون [٢]. وهم الذين تبنوا الرأى الأول ـ بأن الكنيسة المسيحية نصبت (كايكيليانوس) أسقفاً لقرطاجة، وأن واحداً من الأساقفة الذين اشتركوا فى سيامته كان خائناً [٣] أى من أولئك الذين سلموا الكتب المقدسة للسلطات الرومانية أثناء الاضطهاد، فعارض أهل نوميديا هذا التنصيب، واجتمع سبعون أسقفاً منهم وقرروا عدم الاعتراف بشرعية اختيار (كايكياليانوس) أسقفاً، وقاموا برسم أسقف جديد يدعى (ماجورينوس) وقاموا بإرسال رسائل إلى جميع أساقفة إفريقيا يطلعونهم فيها على ما تم إجراؤه [٤]، وجاء بعد (ماجورينوس) أسقف يدعى (دوناتوس الكبير) وسمى هذا الانشقاق الدوناتية نسبة إلى هذا الأسقف العنيد [٥].

وهكذا انقسمت كنيسة قرطاجة إلى حزبين متضادين أحدهما يمثل الكنيسة الكاثوليكية [٦] ويتزعمه (كايكيليانوس) والآخر يمثل كنيسة القديسين ويرأسه (ماجورينوس) ثم (دوناتوس) ثم زادت هوة الخلاف واتسعت حتى وصلت إلى

---

(١)كانتو: التاريخ الوسيط (١ / ٧٧).

(٢) نسبة إلى نوميديا وهى مقاطعة فى جنوب قرطاجة.

(٣) جون لوريمر: تاريخ الكنيسة (٢ / ١٢٣).

(٤)الدولة والكنيسة (٢ / ١٣٩ ، ١٤٠).

(٥) حبيب سعيد : فجر المسيحية ص ١٤٦.

(٦) كلمة كاثوليكية تستخدم هنا للدلالة على الكنيسة الرومانية الغربية. جون لوريمر: تاريخ الكنيسة (٢ / ١٢٦).

مسامع الإمبراطور قسطنطين الذى كان يميل إلى جانب الأول، فأغدق عليهم الهبات الكثيرة، بينما حرم الدوناتية من هذه الهبات.

ولقد حفظ لنا (يوسابيوس) رسالة من قسطنطين يحدد فيها مبلغا من المال لكنيسة (كايكيليانوس)[١] وحرمان أنصار الدوناتية.

ولكن الدوناتيين لم يهدأوا ،فلجأ إلى الإمبراطور قسطنطين يطلبون منه أن يعين أسقفا من غالة ليحكم بينهم ضمانا للحيدة، ولكن قسطنطين عهد بفض النزاع إلى البابا فى روما وبعث إليه برسالة[٢] ضمنها اختياره للقضاة الذين يحكمون فى هذا النزاع، ومكان النزاع،فلقد اختار ثلاثة من أساقفة غالة واختار روما لتكون مكانا للحكم بين المتنازعين.

اجتمع الأساقفة فى روما فى ٢ أكتوبر سنة ٣١٣م ، وقرروا إدانة الدوناتيين[٣].

ولكن الدوناتيين لم يقبلوا هذا القرار، لذلك تدخل قسطنطين مرة ثانية واستدعى الأساقفة لعقد مجمع يكون فى مدينة (إرل) من أعمال بلاد الغال (فرنسا) وذلك فى سنة ٣١٤م وقد سمى هذا المجمع بـ (مجمع إرل).

يقول قسطنطين فى رسالته لأحد الأساقفة: " من أجل هذا قد أمرنا بأن يجتمع عدد وافر من الأساقفة من أماكن مختلفة فى مدينة إرل قبل أول شهر أغسطس "[٤].

وفى أول أغسطس سنة ٣١٤م اجتمع فى إرل ثلاثة وثلاثون أسقفا، وقرر المجمع إدانة الدوناتيين وتبرئه (كايكيليانوس) واعتبار الرسامة صالحة وإن تمت بأيد غير نقية[٥].

ولكن الدوناتيين رفضوا الانصياع لقرارات المجمع ولجأوا إلى الإمبراطور نفسه يطلبون قراره الشسخصى فى هذا النزاع[٦]، فدعا قسطنطين الحزبين للمثول بين

---

(١) يوسابيوس: تاريخ الكنيسة ص ٥٠٢،

(٢) راجع نص هذه الرسالة فى المصدر السابق ص ٥٠٠ ، ٥٠١.

(٣) الدولة والكنيسة (٢ / ١٤٥).

(٤) راجع الرسالة كاملة، يوسابيوس :تاريخ الكنيسة ص ٥٠٢.

(٥) فجر المسيحية ص ١٤٧.

(٦) الدولة والكنيسة (٢ / ١٤٩)

يديه في روما سنة ٣١٥م حيث كان الإمبراطور يحتفل بمرور عشر سنوات على حكمه فلبّى الدوناتيون الدعوة، ولكن (كايكيليانوس) لم يظهر، فوجدها الدوناتيون فرصة سانحة لإصدار حكم غيابي ضد أسقف قرطاجة، واستعدوا لمغادرة المدينة ، ولكن قسطنطين اعتقلهم.

وفي نوفمبر ٣١٦م انتقل الإمبراطور إلى ميلانو، وإليها أحضر الأساقفة الدوناتيين واستدعى إليه (كايكيليانوس) الذي سارع بالذهاب إلى حضرة الإمبراطور، وفصل قسطنطين بين المتنازعين [١]، وصدر قرار الإمبراطورضد الدوناتيين ورفض التماسهم [٢]

ولكن الدوناتية رفضت الاستسلام والخضوع لهذا القرار، فأغلق الإمبراطور كنائسهم ونفى أساقفهم [٣]... وأهم شئ هنا هو أنه بدل دور قسطنطين من مجرد رئيس يدعو المجامع الكنيسة للالتئام إلى حاكم أعلى لهذه المجامع [٤] ليفصل بين المسيحيين بصفته رئيس الكنيسة[٥].

وهكذا تسنم قسطنطين مرتبة مرموقة بعد أن احتل مركز الفيصل في شئون الكنيسة ، ومنذ اللحظة هذه وقسطنطين لم يتراجع عن هذا المنصب قيد أنملة ، فقد غدا مهيمنا على أمر هذا الدين ، ولم تحتج الكنيسة على ذلك ، ولم تطلب إليه أن يعيدها حقا مسلوبا ـ سلبه إياها فلقد أعطاها الكثير[٦].

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل تعداه إلى ما هو أخطر من ذلك ، ألا وهو تعيين الأساقفة ، فلقد أبقى عنده دوناتوس ـ زعيم الدوناتية ـ وكايكيليانوس ، وأرسل من لدنه أسقفين ليقوما برسم أسقف جديد على قرطاجة [٧].

---

(١) المرجع السابق ص ١٥٠.

(٢) جون لوريمر : تاريخ الكنسية (٢ / ١٢٥).

(٣) فجر المسيحية ص ١٤٧.

(٤) جون لوريمر : تاريخ الكنسية (٢ / ١٢٥).

(٥) مختصر تاريخ الكنيسة (١ / ٢٧٠)

(٦)الدولة والكنيسة (٢ / ١٥٠).

(٧)المرجع السابق ، نفس الصفحة.

وهكذا وضح تدخل قسطنطين فى شئون الكنيسة فدعا إلى عقد ما يسمى بالمجامع، وفصل بين المتنازعين، وعين أساقفة، وعزل آخرين.

يقول المؤرخ المسيحى جون لوريمر: كان من الواضح إذن أن قسطنطين أعطى لنفسه الحق فى أن يتصرف كرئيس للكنيسة، وكما كان إمبراطورا فى العالم الوثنى، ادعى لنفسه السيادة الدينية، فلا أقل من أن يكون كذلك فى الكنيسة "[١]

المثال الثانى: الأريوسية[٢]:

لم يكد ينته قسطنطين من تسوية الخلافات بين المسيحيين فى شمال إفريقية حتى وجد انشقاقا آخر أكثر حدة وأخطر بأسا، فالخلاف هذه المرة لاهوتى يدور حول العلاقة بين المسيح الابن والإله الآب، وكان موطن الخلاف فى بداية الأمر كنيسة الإسكندرية، ثم استشرى بعد ذلك فانتقل إلى غيرها من الكنائس فى جميع الأنحاء.

وقد تفجر هذا الخلاف حينما "كان الكسندر بطريرك الإسكندرية (٣١٣ ـ ٣٢٦م) يعلم أمام أريوس أن الكلمة ابن الله مساو للآب، وأن له طبيعة وذاتا واحدة، فقاطعه أريوس وعارضه بأن هذا التعليم هرطقة وليس من تعليم الإنجيل وقال إن المسيح غير مساو للآب فى الجوهر والعظمة وأنه مخلوق بإرادة الآب حادث غير أزلى "[٣].

واشتد النزاع بينهما، وعقدت عدة مجامع هنا وهناك لإزالة هذا الخلاف ـ ولكن هذا لم يحدث...

فلقد عقد الكسندر مجمعا فى الإسكندرية عام ٣١٩م قضى فيه بإدانة تعاليم أريوس، ثم عقد مجمعا ثانيا سنة ٣٢١م ضم أساقفة مصر وليبيا وقرر هذا المجمع لعن أريوس وأتباعه[٤].

---

(١) جون لوريمر: تاريخ الكنيسة (٢ / ١٢٥).

(٢) لقد ركزنا فى هذا الفصل على دور قسطنطين فى تسوية الخلاف بين المسيحيين ودوره فى انعقاد مجمع نيقية وكيف تدخل فيه؟ ولم نتعرض للمجمع نفسه بالتفصيل لأننا خصصنا الفصل التالى للمجامع عامة.

(٣) منسى يوحنا: تاريخ الكنيسة القبطية ص ١١١ ـ ٢٠٩ .

(٤) المرجع السابق ص ١١٢ ، راجع أيضا الدولة والكنيسة (٢ / ١٦٤).

ولقد سلك أريوس وأشياعه مثل هذا المسلك فعقدوا مجمعين الأول فى بيثينية سنة ٣٢٢م والثانى فى فلسطين سنة ٣٢٣م ، وقرر المجتمعون إلغاء الحكم الصادر على أريوس من بطريرك الإسكندرية[١].

وعلى الرغم من الموقف المتشدد الذى اتخذه الكسندر تجاه أريوس إلا أن أفكار أريوس كان يؤمن بها الكثير من القساوسة فى فلسطين وسوريا وآسيا الصغرى[٢]... هذا إلى جانب أنه كان ينضم إلى أريوس فى أفكاره أساقفة من ذوى الشهرة والمكانة مثل يوساب النيوقوميدى ، وباولينوس أسقف صور ، ويوسابيوس أسقف قيسارية ، وغيرهم كثير[٣].

ولقد وقف الكسندر بطريرك الإسكندرية منهم موقف المتشدد المعارض حتى بدا للجميع أن كنيسة الإسكندرية تقف فى جانب ، وفى الجانب الآخر جل كنائس الشرق الرومانى[٤].

واشتد الخلاف والتخاصم ولم يرضخ أى جانب منهم للجانب الآخر حتى وصل نبأه إلى مسامع الإمبراطور قسطنطين الذى ارتاع لهذا الاختلاف وحاول فضه عن طريق أحد مستشاريه المسيحيين.

فلقد اختار قسطنطين صديقه (هوسيوس) أسقف قرطبة فى أسبانيا ليتوسط بين الحزبين المتنازعين ويسعى لإيجاد السلام بينهما[٥] وحمله رسالة إلى كل منهما يدعوه فيها إلى الهدوء وفض هذا الإشكال وإلى التوفيق بين آرائهم المختلفة.

ولقد حفظ لنا (يوسابيوس) صورة الرسالة الموجهة إلى الكسندر وأريوس (٦) وسنقتطف أجزاء منها ، لأنها ذات أهمية فى التعرف على فهم قسطنطين لهذا الخلاف.

---

(١) تاريخ الكنيسة القبطية ص ١١٤.
(٢) يوسابيوس : حياة قسطنطين ص ٧٣.
(٣) الدولة والكنيسة (٢ / ١٦٨).
(٤) المرجع السابق ص ١٦٨).
(٥) حياة قسطنطين ص ٧٣.
(٦) راجع الرسالة كاملة فى : حياة قسطنطين ص ٧٤ ـ ٧٩ .

وقد بدأها بالتنويه على أن غاية مساعيه هى التوحيد بين الآراء المختلفة حتى يضمن وحدة الإمبراطورية، ثم عرض بعد ذلك وجهة نظره فى هذا الخلاف فقال: " فإننى إذ فحصت باعتناء أصل وأساس هذه الخلافات وجدت **أن السبب غير جوهرى ولا يستحق هذا النزاع العنيف**... والآن حكموا المنطق لأننى إن جاز لى أن أتوقع بأن أتمكن بسهولة وبالالتجاء إلى عواطف الذين سمعونى من أن أعيدهم إلى حالة أفضل[١] حتى وإن كان سبب اختلافهم أعظم فكيف أتردد فى أن أمنى نفسى بتسوية هذا الخلاف بكيفية أسهل، وفى وقت أقصر **طالما كان السبب الذى يعوق الوحدة العامة تافها وعديم الأهمية** "[٢].

ثم بين أصل النزاع من وجهة نظره فيقول: " وقد فهمت أن أصل النزاع الحالى هو هذا، عندما طلبت يا إسكندر من القسيسين أن يدلوا بآرائهم حول فقره معينة فى الشريعة الإلهية، أو بتعبير آخر سألتهم سؤالا **يتصل بموضوع عديم الأهمية، أصريت يا أريوس بعدم تبصر على نقطة ما كان يصح مطلقا أن تخطر لك على بال أو - إن كانت قد خطرت ببالك - كان يجب أن تطرح فى زوايا النسيان، وهكذا قام النزاع بينكما**، وانتزعت روح الشركة، وتمزق الشعب المقدس إلى أحزاب مختلفة، ولم يبق بعد أثر لوحدة الجسد الواحد، لهذا أطلب منكما الآن أن تظهرا درجة واحدة من الاحتمال والتسامح وتقبلا النصيحة التى يقدمها إليكما زميلكما فى الخدمة "[٣].

ثم قال: " وهذه النصيحة هى: كان خطأ من بداية الأمر الدخول فى مناقشة حول مثل هذه المواضيع أو الإجابة عليها عند طرحها للمناقشة، لأن نقط المناقشة هذه التى لا تستند إلى سلطة الشريعة، بل بالأحرى لم يحركها إلا روح النزاع المنبعث من سوء استخدام أوقات الفراغ، حتى ولو كان القصد منها رياضة عقلية،

---

(١) يشير بلك إلى تسويته للخلافات فى شمال إفريقيا والتى ذكرناها سابقا

(٢) المصدر السابق ص ٧٥.

(٣) المصدر السابق ص ٧٦،

يجب يقينا أن تكون محصورة فى دائرة تفكيرنا الشخصى دون التعجل فى طرحها أمام الاجتماعات العامة أو توصليها لآذان الجمهور بطياشة "[١].

ثم حثهم على الوحدة مشيرا عليهم بأن يكونوا على رأى واحد فقال: " لأن سبب نزاعكم **لم يكن عن العقائد الجوهرية** أو وصايا الناموس الإلهى ولا قامت بينكم هرطقة جديدة تتعلق بعبادة الله **والواقع أنكم جميعا برأى واحد وفكر واحد**... فلا تسمحوا للظرف الذى أدى إلى خلاف بسيط بينكم أن يسبب أى انقسام أو انشقاق طالما كان غير جوهرى، أقول هذا ولست أقصد الضغط عليكم للاتحاد **الكامل فى الرأى بصدد هذه المسالة التافهة، مهما كانت طبيعتها حقيقية** "[٢].

وهذه الأجزاء من رسالة قسطنطين إلى أريوس والكسندر تبين فى الحقيقة تفكير وثقافة قسطنطين الدينية، فواضح من هذه الرسالة أنه لم يكن يدرك شيئا من هذا الاختلاف اللاهوتى الكبير، وإلا لما وصفه بقوله (أمر تافه) وبقوله (إن سبب الاختلاف غير جوهرى) وبقوله (إنه موضوع عديم الأهمية) ثم كيف يصف قسطنطين هذا الخلاف بقوله: "إنكم على رأى واحد وفكر واحد"؟ إن هذا يدل على أن قسطنطين لم يفهم هذا النزاع ولم يكن ليستطع أن يحرر موضع النزاع !! تلك أمور لا يمكن لباحث أن يسقطها من حسابه عندما يتحدث عن مدى إمكانية فهم قسطنطين للمواضيع اللاهوتية والمسائل العقدية.

لهذا نجد أن هذه الرسالة لم تؤت ثمارها ولم تأت بما كان يتمناه قسطنطين وهو فض النزاع القائم، وذلك لأنها لم تعالج هذا الخلاف بما يتناسب معه من أهمية.

ولقد حاول "هوسيوس" أسقف قرطبة الذى حمل هذه الرسالة رأب الصدع وحل المشكلات القائمة بينهما ولكنه أيضا لم يفلح، وحمل إلى الإمبراطور نبأ اشتعال نيران الجدل والخلاف، وعظم شأنه وازدياد خطورته. لذلك عزم قسطنطين على عقد مجمع مسكونى وقام بتوجيه الدعوة إلى الأساقفة فى جميع أنحاء

---

(١) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٢) المصدر السابق، نفس الصفحة.

الإمبراطورية بوصفه رئيس الكنيسة الذى يقوم على رعاية مصالحها ويعمل على وحدة صفوفها.

يقول يوسابيوس: "وحيثما وجد فى الأقطار المختلفة من اختلفوا مع بعضهم البعض فى الرأى فإنه كان يدعو المجامع من الخدام كأنه أسقف عام مقام من الله "[١].

فاستدعى قسطنطين الأساقفة من كل الأقطار ليحضروا على جناح السرعة برسائل أرسلها إليهم، وقد اختار وحدد مكان الاجتماع (مدينة نيقية فى بيثينيا) ـ مكانها الآن قرية ازنك التركية ـ وقد علل المسيحيون سبب اختياره لهذه المدينة بأنها ميناء يسهل الوصول إليها، ولقربها من عاصمة الإمبراطورية الشرقية [٢]، هذا إلى جانب أنها مدينة ملائمة المناخ[٣].

وقد قدم قسطنطين كافة التسهيلات الخاصة بنقل الأساقفة إلى مكان الاجتماع فوضع تحت تصرفهم كل وسائل النقل المعروفة فى ذلك العصر، فسمح للبعض باستخدام وسائل النقل العامة، وقدم للآخرين الخيل الكافية للانتقال [٤].

وهكذا يسر قسطنطين للأساقفة كل الوسائل اللازمة، حيث تكفل بتسهيل وصولهم إلى مكان الاجتماع حتى يأسرهم بكرمه وفيض نعمته ولا يشعرون بضيق أو مشقة، ولا شك أن مثل هذه الأمور سوف يكون لها تأثيرها عليهم، وعلى قراراتهم، وعلى طواعيتهم لما يراه الإمبراطور صالحا له ولإمبراطوريته.

وبعد حضور الأساقفة من كل مكان اجتمعوا فى ٢٠ مايو سنة ٣٢٥م[٥].

وفى البداية انتظر الحاضرون وصول الإمبراطور إلى قاعة الاجتماع حتى كانت اللحظة الحاسمة التى وصل فيها.

---

(١) المصدر السابق ص ٣٢.

(٢) ايريس حبيب المصرى: قصة الكنيسة القبطية (١ / ١٧١)

(٣) حياة قسطنطين ص ٨٦.

(٤) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٥) قصة الكنيسة القبطية (١ / ١٧١).

يقول يوسابيوس: " ساد صمت رهيب فى انتظار وصول الإمبراطور... وإذ وقف الجميع لدى إعطاء الإشارة المنبئة بوصول الإمبراطور، تقدم هو أخيرا وسط الاجتماع كرسول سماوى من الله "(١)، ويمضى يوسابيوس فى وصف مظهر ومخبر قسطنطين ويخلع عليه صفات التمجيد والتقوى.

ولقد قام يوسابيوس - صاحب كتابا تاريخ الكنيسة، وحياة قسطنطين - بإلقاء كلمة الافتتاح والترحيب وموجها الشكر للإمبراطور، ثم عاد إلى مقعده وساد الصمت مرة ثانية والأنظار متجهة إلى الإمبراطور متطلعة إلى ما يقوله "(٢).

ثم تكلم الإمبراطور قائلا: كانت أقصى أمنيتى أيها الأحباء الأعزاء أن أتمتع برؤيتكم مجتمعين معا فى وحدة كاملة، والآن وقد تحققت هذه الأمنية أشعر بأننى مدين برفع الشكر لله ملك الكل.

وبعد ذلك أخذ يشرح لهم الأسباب التى حفزته لتوجيه الدعوة لهذا الاجتماع، وأمله فى أن يحقق هذا الملتقى ما يصبو إليه من نبذ أسباب الشقاق والانقسام وتجنب مشاكل المناقشات حتى تتحقق الوحدة والسلام (٣).

وبعد نهاية الحديث - الذى كان باللاتينية - قام شخص بترجمته إلى اليونانية وبنهاية الترجمة أعطى قسطنطين للمجتمعين شارة البدء فى النقاش والمحاورة من أجل الوصول إلى الحل المناسب، وهنا بدأ كل واحد يقذف فى وجه الآخر بألوان الاتهامات حتى استحالت القاعة إلى ميدان يتبارى فيه المتخاصمون (٤).

جلس الإمبراطور يصغى لهذه المناقشات والاتهامات حتى وقف على حقيقة الأمر، وهنا أدرك أن أمل وحدة الإمبراطورية عقائديا ليس سهلا ولا بالأمر اليسير

---

(١) حياة قسطنطين ص ٨٩.

(٢) راجع وصف المجمع في، المصدر السابق ص ٨٩.

(٣) نص الخطاب بأكمله فى المصدر السابق ص ٩٠.

(٤) المصدر السابق ص ٩٠.

وكان الإمبراطور يتدخل فى المناقشة والمحاورة حتى قال يوسابيوس: " إنه كان يقنع البعض ويقدم الحجج للآخرين ويمدح من يحسنون الكلام "(١).

ومرت الأيام والإمبراطور يشهد كل يوم مزيدا من هذه الشكايات، فلما هاله ما رأى حدد يوما وأمر بالاتهامات وردودها فجئ بها(٢)، ثم نظر إليهم وخاطبهم وأمرهم بالوحدة وأصدر أمرا إمبراطوريا بحرق هذه الاتهامات التى جمعت بأمره وإذنه (٣)، وبعد ذلك أمر بمجلس خاص لفئة معينة من الأساقفة.

يذكر ابن البطريق أن قسطنطين عجب من هذا الاختلاف، ووجد أن بعضا من هؤلاء متفقون فى الرأى وقدر عددهم بأنهم ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفا، فوضع لهم مجلسا خاصا عظيما وجلس فى وسطهم وأخذ خاتمه وسيفه وقضيبه فدفعه إليهم وقال لهم: قد سلطتكم اليوم على مملكتى لتصنعوا فيها ما ينبغى لكم أن تصنعوا مما فيه قوام الدين وصلاح المؤمنين، فباركوا على الملك وقلدوه سيفه وقالوا له: أظهر دين النصرانية وذب عنه، ووضعوا له أربعين كتابا فيها السنن والشرائع، منها ما يصلح للملك أن يعلمها ويعمل بها، ومنها ما يصلح للأساقفة أن يعملوا بما فيها "(٤).

فلقد اختار قسطنطين هؤلاء الثلاثمائة والثمانية عشر من بين الأساقفة المجتمعين وعددهم ـ كما يقول ابن البطريق ـ ألفان وثمانية وأربعون أسقفا(٥).

أما لماذا اختار قسطنطين هؤلاء بالذات من بين المجتمعين، وهم قلة بالنسبة لعدد الحاضرين؟

فالجواب يكون ـ فى نظرنا ـ بأنه رأى أن معتقد هؤلاء أفضل لإمبراطوريته، وذلك لأنهم يقولون بألوهية المسيح، وهذا الاعتقاد أفضل فى نظره لأنه يريد وحدة

---

(١) المصدر السابق ص ٩٠.
(٢) الدولة والكنيسة (٢/ ١٧٨).
(٣) المرجع السابق ص ١٧٨.
(٤) سعيد بن البطريق: التاريخ المجموع على التحقيق (١ / ١٢٧).
(٥) المصدر السابق (١ / ١٢٧).

الإمبراطورية، ويريد إرضاء الوثنيين والمسيحيين عن طريق سياسته المزجية التأليفية بين المعتقدين الوثنى والمسيحى.

وهذا الاعتقاد ـ ألوهية المسيح ـ أقرب إلى المعتقد الوثنى للوثنيين الذين كانوا يعظمون الإمبراطور ويرفعونه إلى مرتبة الألوهية ـ هذا إلى جانب أن هذا المعتقد أيضا أقرب إلى فكره ومعتقده هو كوثنى بين هؤلاء الوثنيين.

ولذلك نجد أنه بهذا المعتقد استطاع أن يؤلف بينهما، وهو بهذا فتح المجال للوثنيين أن يدخلوا فى المسيحية التى أصبحت أقرب إلى فكرهم ومعتقدهم، وأصبح دخول المسيحية بالنسبة لهم سهلا ميسورا إذ لم يكن إلا عبارة عن الانتقال من الانتساب إلى الوثنية إلى الانتساب إلى المسيحية فقط .

يقول فشر: "إن التحول عن الوثنية إلى المسيحية لم يكن انتقالا إلى جو غريب تمام الغرابة أو شعور بانقلاب باغت مفاجئ، بل بدا الولوج فى المسيحية عملية رفيقة فى كثير من التدرج الشعورى العاطفى "(١)...

وهذا يعنى أن خطة قسطنطين كانت تهدف إلى الوحدة فى المعتقد حتى يضمن وحدة الإمبراطورية..

ولقد قرر هؤلاء المجتمعون ـ الذين اختارهم قسطنطين ـ ألوهية المسيح وصاغوا قانون الإيمان، وقرروا أيضا لعن أريوس وطرده من الكنسية، وحرق الكتب التى كانت فيها آراؤه.

ولقد روى بعض المؤرخين أن بعضا من هؤلاء لم يوافقوا على ما قرره المجمع فى البداية، ولكنهم أخيرا وتحت ضغط الإمبراطور وافقوا على قانون الإيمان وإن لم يوافقوا على قرار حرمان أريوس (٢).

وكان لقسطنطين دخل أيضا فيما صدق عليه هؤلاء المجتمعون، ذلك أنه لما وضع المجتمعون صيغة القانون أشار عليهم قسطنطين بإضافة عبارة "الهوموسية" Homoousius وهى تعنى نفس الجوهر أو " المساوى فى الجوهر "(٣)

---

(١) تاريخ أوربا العصور الوسطى (١ / ٨).

(٢) الدولة والكنيسة (٢ / ١٨٦).

(٣) المرجع السابق (٢ / ١٨٠).

ومعروف أن حقيقة الخلاف بين الأريوسية وبطريرك الاسكندرية كامنة فى مساواة الابن بالآب فى الجوهر أو عدمه، وهذا يعنى أن قسطنطين هو الذى حدد وقرر قرارات هذا المجمع وهو الذى صدق عليها، بل وزاد عليها.

ثم بعد ذلك ـ بعد انتهاء جلسات المجمع ـ أكرم قسطنطين هؤلاء الأساقفة الذين وافقوا على قرارات المجمع، فدعاهم إلى مأدبة شائقة، وقدم لهم الهدايا الفاخرة، ثم ودعهم بما يليق بمقامهم من إعظام وإكرام ـ كما يقول يوسابيوس ـ وأذن لهم بالعودة إلى بلادهم، ودعاهم إلى الالتزام بهذه القرارات.

وهكذا يتبين لنا أن قسطنطين له الدور الأول والأخير فى هذا المجمع المسكونى الكبير الذى كان له أكبر الأثر على المسيحية.

سياسية قسطنطين فى التوفيق بين المسيحية والوثنية:

لقد عمل قسطنطين على أن يسلك سياسة إرضاء الوثنيين والمسيحيين على وجه سواء، فبالرغم من أنه اتجه إلى المسيحية بالعطف والرحمة والتسامح إلا أنه لم يستطع أن يتخلى عن ولائه الحميم للوثنية، حتى يستطيع أن ينال الرضا والقبول من جميع المواطنين المسيحيين والوثنيين..

لذلك نجد أنه حينما أصدر قانون التسامح لم يخص به المسيحية فقط، وإنما كان المقصود منه إطلاق حرية العقيدة لكل رعايا الإمبراطورية بلا تمييز، والتسامح معهم جميعا بشرط ألا تتعارض هذه الحرية مع الصالح العام للدولة.

لقد رأى قسطنطين ـ من أجل الحفاظ على سلامة الدولة من الانشقاقات الداخلية ومن أجل الحفاظ على وحدتها وعدم المنازعات العقائدية ـ أنه من الأفضل أن يحاول أن يوفق بين الوثنيين والمسيحيين، وخطا قسطنطين فى ذلك خطوات واسعة، وظهرت محاولته هذه فى أكثر من موقف .

لذلك تقول المؤرخة الإنجليزية (هسى): فإن اعتقاد قسطنطين فى إله المسيحية وإيمانه بالإرث الرومانى دفعاه إلى الاقتناع بأن عليه أن يأخذ زمام المبادرة لإيجاد وحدة عقيدية تنظيمية داخل الكنيسة المسيحية "[١].

(١) ج . م . هسى: العالم البيزنطى ص ٩٢.

وأول ما يلفت النظر فى سياسية قسطنطين هذه هو أنه لم يتخل عن اعتقاده الوثنى "بإله الشمس التى لا تقهر" ولكنه مع الوقت اعتبر الشمس هو المسيح [١] وذلك لا يكون إلا عن طريق مزج هذه العبادة الوثنية مع الديانة المسيحية... ثم بعد ذلك نجد أن قسطنطين اتخذ لنفسه مقام السيادة على أمور الكنيسة والتصرف فى شئونها، فكان يحضر مجامع الأساقفة ويتحاور معهم ويراقب فض الإشكالات الدينية بصفته رئيس الكنيسة، وفي الوقت ذاته احتفظ لنفسه بمقام الكاهن الأعظم للوثنيين، ذلك اللقب الذى لم يتخل عنه قط وقد مات وهو حائز للقبين معا: رئيس الكنيسة، وكاهن الوثنيين الأعظم [٢]، واستخدم فى تدشين القسطنطينية ـ العاصمة الجديدة التى أنشأها ـ شعائر مسيحية ووثنية على السواء [٣]، وظل يستخدم ألفاظا يستطيع أن يقبلها كل وثنى ومسيحى [٤].

وبالنسبة للعملة فى أيام قسطنطين فقد رسم على وجه منها صورة الصليب وعلى الوجه الآخر شعارا لإحدى العقائد الوثنية.

يقول رولاند بينتون: "وقد ظهر التغيير فى العملة التى تداولتها روما، فقد كانت عملة روما تحمل صورة ذئب، وصورة الإله مثرا إله النور، فصدرت العملة الجديدة تحمل على جانب منها اسم المسيح، وعلى الجانب الآخر الذئب، فقد صار الذئب مسيحيا، وعلى عملة أخرى ظهر اسم المسيح فى جانب وعلى الجانب الآخر آلهة روما، فقد صارت آلهة روما مسيحية، وعلى عملة ثالثة صورة الإله مثرا إله الشمس ممسكا الشمس فى يده وعلى الجانب الآخر صليب فقد صار مثرا مسيحيا "[٥].

---

(١) أرنولد توينبى: تاريخ البشرية (٢ / ٢١).

(٢) مختصر تاريخ الكنيسة (١ / ٢٦٣ ، ٢٦٤).

(٣) قصة الحضارة (مج ٣ ج ٣ ص ٣٨٩).

(٤) المرجع السابق ص ٣٨٨.

(٥) رولاند بينتون: مواقف من تاريخ الكنيسة ص ٣٣.

ومن الملاحظ أيضا أن قسطنطين فى عام ٣٢١م أعلن أن يوم الأحد هو يوم الرب ويجب أن يكون عطلة للمحاكم وللعاملين فى مصانع الدولة وأجهزتها [١].. ولقد كان هذا اليوم بالنسبة للمسيحيين منذ ذلك الزمن هو يوم الرب عندهم بالرغم من" أنه اليوم الذى مازال يسمى فى الإنجليزية (يوم الشمس)"[٢].

يقول د/ إسحاق عبيد: "لم يكن ليشير إلى يوم الأحد إلا على أنه يوم إله الشمس الذى لا يقهر الذى لم يكن فى الواقع سوى الإله مثرا الفارسى "[٣].

وهذا يعنى أن قسطنطين اختار هذا اليوم وهو (يوم الشمس) ثم أدخله المسيحيون فى دينهم واعتبروه يوم الرب عندهم ـ وهذا يدل على أنه كانت تجرى عملية المزج والتوفيق بين المسيحية والوثنية فى عهد قسطنطين على مرأى ومسمع.

وزاد الأمر سوءا أن عمل قسطنطين على صياغة أول قانون للإيمان المسيحى لأول مرة فى تأاريخ الديانة ـ والذى لا يزال المسيحيون يؤمنون به إلى الآن ـ والذى جاء موافقا لاعتقاده الوثنى ... وتجلى فى هذا القانون سياسة قسطنطين التى انتهجها من أجل وحدة إمبراطوريته وهى محاولة التوفيق بين الآراء الوثنية والمسيحية.

وهكذا يمكن القول إن قسطنطين كان صاحب سياسة للمزج بين الوثنية والمسيحية، وكان ـ كما يقول شارل جنيبير عنه ـ ذا فكر تأليفى واسع الآفاق [٤].

أثر قسطنطين فى المسيحية:

وعلى ذلك يمكن إجمال أثر قسطنطين فى المسيحية كما يلى:

(١) إن قسطنطين استطاع أن يأسر الكنيسة ويطوق أعناق المسيحيين بأنعمه، فلقد خفض لهم الجناح وأعطاهم الأمان ورد إليهم كرامتهم وحريتهم وعزتهم، وأفاض

---

(١) د/ سيد أحمد الناصرى: تاريخ الإمبراطورية الرومانية ص ٣٦٥ ـ ٣٦٦.

(٢) تشارلز وورث: الإمبراطورية الرومانية ص ٢١٧.

(٣) د/ إسحاق عبيد: الإمبراطورية الرومانية ص ٢٥.

(٤) المسيحية نشأتها وتطورها ص ١٧٢.

عليهم بالخير والهبات حتى استطاع أن يطوعهم ملك يديه، وبدأ يتدخل فى شئون الكنيسة شيئا فشيئا ويظهر لهم حرصه عليهم حتى وصل إلى مرتبة مرموقة فى الكنيسة وهى: الرئيس المتصرف الذى يفصل بنفسه فى مسائل المسيحية الشائكة، ويدعو إلى المجامع، ويرأس جلساتها، ويدير حواراتها، ويتدخل فى قراراتها، ويصدق عليها بل ويتدخل فى تعيين الأساقفة وإعفائهم.

لذلك يقول كانتو: " كان باستطاعة قسطنطين أن يرسى التقاليد التى جعلت من حق الإمبراطور أن يقوم بحل مشكلات العقيدة وفقا لرأيه الخاص فى غالب الأحيان وذلك بأن يدعو إلى عقد المجامع الكنيسة ويرأسها ثم ينفذ قراراتها "[١] ولم يمانع المسيحيون من هذا، بل وافقوا قسطنطين وعملوا على التقرب منه وأظهروا طواعيتهم له.

يقول جلانفيل دوانى: "وقد قبلت الكنيسة بغير تردد ـ امتنانا منها لتحرير الإمبراطور لها، ومساندته إياها ـ الدور الذى لعبه قسطنطين دون أن تفكر كثيرا فى احتمالات السيطرة الإمبراطورية عليها فى نهاية المطاف"[٢]

(٢) لقد سلك قسطنطين مسلك رجل السياسة الذى يريد المحافظة على وحدة إمبراطوريته، فعمل على إرضاء الوثنيين والمسيحيين على السواء. فبرغم تعاطفه مع المسيحيين إلا أنه لم يتخل عن الوثنية ومنصبها (الكاهن الأعظم) حتى الموت، ولم يتعرض لها بسوء، ولقد دعاه هذا الأمر إلى العمل على المزج والتأليف بينهما، وظهر هذا واضحا فى قراراته وأفعاله، ولما سنحت له الفرصة بالتدخل فى المسيحية أصبح يقرر ـ أو يوافق ـ على العقائد التى يراها تقترب وتتلاءم مع الوثنية ولا تنفر منها.

ولذلك يقول القاضى عبد الجبار: "وأظهر قسطنطين تعظيم المسيح والصليب وأقام ديانات الروم على حالها كما كانت، فما أزال إلا عبادة الكواكب وما زاد إلا

---

(١) كانتو: التاريخ الوسيط (١ / ٨٥)

(٢) جلانفيل دوانى: أنطاكية فى عهد ثيودوسيوس الكبير ص ٨٢.

تعظيم المسيح والقول بربوبيته، وتعظيم الصليب، ولم يكن هذا بالبعيد عن الروم لأن من اعتقد فى الكواكب وهى جماد موات أنها أرباب وتنفع وتضر لم يبعد عنهم أن يقولوا ذلك فى إنسان حى عاقل مميز قد قيل لهم إنه يحيى الموتى وأنه إله وأنه وأبوه وزوجته خلقوا الكواكب، وكان هذا سهلا على أهل المغرب، ألا ترى أن القبط ومن بمصر كانوا يعتقدون إلهية فرعون "[١].

فلقد اختار قسطنطين الذين ألهوا المسيح ليضعوا دستور الإيمان للمسيحيين وهو بهذا اختار من هم أقرب إلى وثنيته وذلك "لأن عبادة رجل بشرى أقرب إلى وثنية الرومان من عبادة الإله الواحد الذى لا يرى ولا تحده الجهات ولا تحيط به الأفكار "[٢].

(٣) أنه هو الذى ابتدع عقد المجامع المسكونية، وهى التى كان لها أكبر الأثر على المسيحية فى تقرير العقائد والقوانين الإيمانية.

يقول جلانفيل دوانى: ويفتتح عهد قسطنطين عصر المجالس الكنسية الكبرى، وهى التى تولت أمر التوجيه والإرشاد فى أثناء نمو العقيدة بعد تحرر الكنيسة "[٣].

" فلقد عمد الإمبراطور من أجل تسوية الخلافات بين المسيحيين إلى استخدام نفوذه لعقد مجمع نيقية، ومنذ ذلك الحين أصبحت الكنيسة تتبع وسائل كهذه فى حل الخلافات "[٤].. فلقد دعا قسطنطين إلى عقد المجمع المسكونى الأول وترأسه وتصرف كرئيس له السيادة والتصرف فى اختيار ما يقره من قرارات وقوانين.

لذلك يقول المؤرخ المسيحى أندروملر: لأن قسطنطين الذى تبوأ أريكة عرش العالم اعتبر نفسه الرئيس المطلق الوحيد المتصرف فى شئون الكنيسة، فاستخدم ما

---

(١) القاضى عبد الجبار: تثبيت دلائل النبوة (١ / ١٦٢)

(٢) د/ محمداللافى شرعان: موقف القرآن الكريم والكتب المقدسة من عقيدة التثليث والقول بألوهية المسيح ص ٦٦ (رسالة دكتوراه).

(٣) جلانفيل دوانى: إنطاكية القديمة ص ١٨٨.

(٤) برتراند رسل : حكمة الغرب (١ / ٢٤٤).

لديه من سلطان ونفوذ وحدد وعرّف ما أقره من التعاليم الدينية غاضا النظر عن كلمة الله "[١].

وعليه فإن هذا المجمع المسكونى لم تنتصر فيه المسيحية، بل انتصرت فيه الإرادة الإمبراطورية، فلقد اتخذ قسطنطين صفة عالم اللاهوت واختار الفئة التى تؤمن بألوهية المسيح ووضع لهم مجلسا خاصا وأغراهم بالسلطة حتى يصدقوا جميعا على هذا القرار ويجعلوه هو القانون الدينى العام لهم.

يقول الشيخ أبو زهرة: "ويظهر أن عصا السلطان ورهبة الملك كان لهما دخل فى تكوين رأى الذين رأوا ألوهية المسيح، فلقد روى أن أولئك الثلاثمائة والثمانية عشر لم يكونوا مجمعين على القول بألوهية المسيح، ولكن تحت سلطان الإغراء بالسلطة الذى قام به قسطنطين بدفعه إليهم شارة ملكه ليتحكموا فى المملكة أجمعوا، فقد دفعهم حب السلطان إلى أن يوافقوا هوى قسطنطين الذى ظهر فى عقده مجلسا خاصا بهم دون الباقين لاعتقاده إمكان إغرائهم، فأمضى أولئك ذلك القرار تحت سلطان الترهيب أو الترغيب، أو هما معا، وبذلك قرروا ألوهية المسيح وقسروا الناس عليه بقوة السيف ورهبة الحكام "[٢]، والأكثر من ذلك أنه تدخل وأشار عليهم بوضع ما يؤكد ألوهية المسيح فأشار عليهم بوضع كلمة (مساوٍ فى الجوهر).

(٤) إن قسطنطين فرض عقيدة المجمع النيقوى فرضا يؤيدها سلطانه، رغم مخالفتها لما يؤمن به الكثيرون من الأساقفة وعامة الشعب فى فلسطين وبابل ومقدونيا والقسطنطينية ومصر والتى كان فيها أشياع أقوياء لأريوس[٣] ويخبرنا المؤرخ المسيحى (سوزمين)[٤] ـ فى كتابه التاريخ الكنسى ـ أن الإمبراطور قد تهدد بالعقاب والنفى

---

(١) مختصر تاريخ الكنيسة (١ / ٢٧).

(٢) محاضرات فى النصرانية ص ١٥٢.

(٣) حقيقة التبشير ص ٦٧.

(٤) كان رجلا فلسطينيا اعتنق الدين المسيحى وكتب ٤٧٥ كتابا فى تاريخ الإمبراطورية البيزنطية عاش فى القرن الخامس الميلادى راجع حياته فى قصة الحضارة (مج ٤ ج ١ ص ٢٥٢).

كل من يخالف رأى المجمع"[١]. ويقول د/ أسد رستم: "وأيد قسطنطين هذه القرارات وأمر بوجوب تنفيذها والخضوع لها ونفى من الأساقفة كل من امتنع عن الموافقة عليها "[٢].

وهكذا يمكن القول إن لقسطنطين أثرا كبيرا فى المسيحية فهو الذى عمل على تقرير ألوهية المسيح وجعلها هى العقيدة السائدة.

يقول ولز: "والجلى الذى لا خفاء فيه أن قدرا كبيرا من تاريخ المسيحية فى ذلك العصر يشف عن روح قسطنطين بقدر ما يشف عن روح يسوع إن لم يزد"[٣].

ويقول فشر: "ولو كان قسطنطين أبى أن يعترف بالديانة المسيحية ضمن الديانات المسموح بها فى الدولة أو لو أنه لم يعقد مجمع نيقية الذى حدد مذهب ألوهية المسيح... لتغير مجرى التاريخ كله تغيرا تاماً "[٤].

بقيت لنا كلمة أخيرة وهى أن هناك اتصالا بين دور بولس فى المسيحية ودور قسطنطين، فبولس هو الذى أدخل هذه العقائد فى المسيحية، وكان يمكن لها أن تموت ـ أو أن يكون مصيرها كالأريوسية وغيرها ـ لولا أن قسطنطين هو الذى أعطاها الصفة الغالبة وجعلها هى الديانة المسيحية وهى القانون الدينى للمؤمنين بالمسيحية وما عداها هو الهرطقة.

---

(١) نقلا عن الدولة والكنيسة (٢ / ١٨٧).

(٢) د/ أسد رستم: الروم فى سياستهم ص ٥٩.

(٣) معالم تاريخ الإنسانية (٣ / ٧٢١)

(٤) فشر : تاريخ أوربا العصور الوسطى ص ٢.

الفصل الخامس

المجامع المسيحية وأثرها فى تقرير العقائد الكنسية

المقصود بالمجامع

المجامع فى المسيحية ـ كما يقول علماؤهم[١] ـ هيئات شورية فى الكنيسة المسيحية رسم الرسل ـ أى رسل الكنيسة ـ نظامها فى حياتهم حيث عقدوا المجمع الأول بأورشليم عام ٥١ ـ ٥٢م للنظر فى مسألة الختان[٢]

وكما يتبين من هذا التعريف فإن المسيح عليه السلام لم ينشئ هذا النظام ولم يشر إليه ولم يدع إلى تأسيسه، وإنما الذى رسمه وشرعه الذين جاءوا بعد المسيح عليه السلام، وهذا يعنى أن المسيحيين لم يستندوا إلى نص صحيح من قول أو فعل فى تأسيس هذا النظام.

والأمر الذى لا شك فيه أن المسيح عليه السلام لم يدع إلى شريعة جديدة ولم يؤسس نظاماً جديداً، بل سار على النسق الذى رسمه الله لموسى عليه السلام، وحكم بشريعته وناموسه، ولم يؤمر المسيح عليه السلام أن يغير شيئاً من شريعة موسى ومنهاجه ـ إلا ما أشار إليه القرآن الكريم[٣] وهذا يعنى أن شريعة موسى هى الشريعة التى كان على أصحاب المسيح وتابعيه اتباعها والعمل بها، ولكن هذا لم يحدث، وبدأ التغيير مبكراً بسبب هذه المجامع.

فحينما أراد المسيحيون الجدد بعد المسيح عليه السلام ـ وعلى رأسهم بولس ـ أن يغيروا نظام الديانة ويلغوا التعامل بشريعة اليهود، أقاموا مجمع أورشليم المشار إليه

---

(١) لجنة التاريخ القبطى: تاريخ الأمة القبطية (٢ / ١١٢).

(٢) ولقد قرر المجمع قبول الأمميين (غير اليهود) فى المسيحية وإعفاءهم من الاختتان، وذلك بعد أن يقلعوا عن أربعة أمور هى: ١ ـ أكل ما ذبح للأوثان ٢ ـ الزنا ـ ٣ ـ المخنوق ٤ـ الدم. راجع قرارات هذا المجمع فى الإصحاح الخامس عشر من سفر الأعمال.

(٣) فى قوله تعالى (ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم) سورة آل عمران آية: ٥٠.

سابقاً، ليحكم لهم بما أرادوا وليعطوا حكمه الصفة المقدسة ولتأخذ المجامع الصفة التشريعية بدلاً من التوراة، ولتشرع لهم ما أرادوا وما رأوه ملائماً لهم ولأهوائهم، وهذا يعنى أن هذه المجامع أنشئت لتشرع وتبدل وتنظم ما تراه - أو ما يراه القوم - ولذلك وجدنا بعد ذلك أن قوانين الإيمان وقواعد الديانة المسيحية إنما أساسها تشريع مجمع أو قرارات لمجمع.

والواقع أن مجمع أورشليم هذا كان يناقش قضية من قضايا التشريع - وهى قبول غير اليهود فى الديانة، وهل عليهم أن يلتزموا بشريعة اليهود؟ أما المجامع المسكونية التى ابتدعها قسطنطين وأعطاها الصفة المقدسة فقد كانت مناقشاتها تدور حول صيغة الإيمان وحقيقته، والقانون الإيمانى الذى يجب على المسيحيى اتباعه والاعتقاد به، هذا إلى جانب تقريرها للنظم الكنسية التى انتهجها القوم، وهذا يدل على أن المجامع فى عهد قسطنطين تخطت مرحلة جديدة من مراحل تغيير الديانةوتحريفها، وهى صياغة قانون الإيمان ووضع أسس العقيدة، ولقد كان لقسطنطين الفضل فى إضفاء الإلزام لهذه المجامع، فقد أمر بتنفيذها وإلزام المسيحيين بقوانين الإيمان التى أصدرها المجمع الأول، وتوعد بالعقاب من يخالف هذه القوانين أو يخرج عليها، بل تعدى هذا الأمر إلى الفعل، فقد أمر بحرق كل المتعلقات الخاصة بالمعتقدات المخالفة لقانون المجمع الإيمانى الذى قرره مجمع نيقية.

ونحب أن ننبه إلى أمر مهم وهو أن هذه المجامع تختلف كلياً وجزئياً عن مجامع اليهود والتى جاء ذكرها فى الكتاب المقدس والتى كان يدخلها المسيح عيه السلام لدعوة اليهود إلى رسالته[١]، ذلك أن مجامع اليهود أنشئت لتكون مكانا للعبادة ولإقامة الشعائر ولقراءة التوراة وتعليمها.

وكان سبب نشأتها[٢] أن اليهود حين كانوا مسبيّين فى بابل تعذر عليهم إقامة شعائر عبادتهم فى هيكل أورشليم، ومن ثم خصصوا أماكن معينة للصلاة حيث

---

(١) متى ٤: ٢٢/ ١٢ : ٩، لوقا ٤ : ١٦ـ١٨.

(٢) ولقد زعم البعض أن المجمع نظمه موسى وذلك حين قال الرب لموسى اجمع لى سبعين رجلاً من شيوخ الشعب وأقبل بهم إلى خيمة الاجتماع فأنزل أنا وأتكلم معك هناك وآخذ من الروح الذى عليك وأضع عليهم فيحملون معك ثقل الشعب فلا تحمل أنت وحدك (عدد ١١ : ١٦ ـ ١٧) راجع قاموس الكتاب المقدس ص ٢٧٠.

كانوا يقرءون أسفارهم المقدسة، ومن ثم أقاموا فى كل مدينة بناء لهذا الغرض وأطلقوا عليه اسم المجمع[١].

يقول جون لوريمر: "وقد ظهر المجمع متأخراً فى حياة الأمة اليهودية كضرورة حتمتها ظروف السبى، فعندما وجد اليهود أنفسهم بعيدين عن أورشليم حيث الهيكل مركز عبادتهم استبدلوه بهذا المجمع يقيمون فيه أينما كانوا سواء فى السبى أو الشتات العبادة وتعاليم الناموس "[٢].

فمجامع اليهود عبارة عن أبنية للعبادة وإقامة الشعائر، أما المجامع المسيحية فهى هيئات شورية لتقرير العقائد والشرائع ونظم الدين[٣].... والمسيحيون أنفسهم لا يقولون إن مجامعهم تشبه مجامع اليهود ولم يقل أحد منهم إن مجامعهم امتداد لمجامع اليهود، على أن التعريف المسيحى للمجامع يدل دلالة واضحة على أن المجامع المسيحية تختلف كلياً وجزئياً عن المجامع اليهودية، وإلا لما جاء فى التعريف (رسم الرسل نظامها) فالذى رسم نظام المجامع المسيحية هم الأتباع الذين جاءوا بعد المسيح عليه السلام.

أنواع المجامع

والمجامع ـ فى عرف المسيحيين ـ نوعان:

أولاً: مجامع مسكونية[٤]: وهى التى كان يشهدها أساقفة وقسوس وشمامسة الكنائس من سائر أنحاء المسكونة[٥].

والسبب الأساسى لعقدها ـ كما يرى المسيحيون ـ هو ظهور آراء دينية غريبة رئى من الضرورى فحصها فى هذه المجامع، وإصدار قرارات فى شأنها وشأن

---

(١) زكى شنودة: المجتمع اليهودى ص ٢٥٦.

(٢) جون لوريمر: تاريخ الكنيسة (١ / ٣٣).

(٣) عن الفروق بين المجامع اليهودية والمجامع المسيحية. راجع د/ محمد الشتيوى: المجامع المسيحية وأثرها فى مذاهب الكنيسة ص ٨٩ ـ ٩٠ (رسالة دكتوراه).

(٤) تقول ايريس حبيب المصرى: إن مسكونى نسبة إلى مسكونة أى العالم وقد أطلقت هذه التسمية على المجامع التى ضمت بين أعضائها أساقفة من مختلف بلاد المسكونة ـ (قصة الكنيسة القبطية (١ / ١٦٧).

(٥) لجنة التاريخ القبطى: تاريخ الأمة القبطية (٢ / ١١٢).

مبتدعيها [١]... وهذا يعنى أن عمل هذه المجامع هو فحص المسائل المتعلقة بالإيمان ،وإصدار القرارات والقوانين الخاصة بالعقائد الإيمانية[٢].

وقد ذكر لنا ـ كيرلس الأنطونى ـ شروط المجمع المسكونى فقال: ينبغى أن تتوافر فى المجامع العامة أو المسكونية بضعة شروط نوجزها فيما يلى :

١ـ أن تنعقد بسبب دعوى أو انشقاق.

٢ـ أن تنعقد بسبب دعوة من الإمبراطور.

٣ـ أن يحضرها غالبية أساقفة الكنيسة شرقاً وغرباً لتمثل فيها المسكونة

٤ـ أن تقرر شيئاً لم يكن مقرراً من قبل.

وفى ضوء هذه الشروط نجد أن المجامع التى عقدت فى الثلاثة قرون الميلادية الأولى لا تسمى مجامع مسكونية ، بل تعتبر مجامع مكانية [٣].

"ومنذ القرن الرابع أخذت المشاكل الخاصة بالتنظيم الكنسى والعقيدة تناقش عن طريق الاجتماعات الكنسية التى يتمثل أعلاها فى المجامع المسكونية ، وكان أول هذه المجامع هو ذلك الذى دعا إليه قسطنطين وعقد فى مدينة نيقية سنة ٣٢٥م وكانت الدعوة توجه إلى كل الأساقفة ـ أو من ينوبون عنهم!!! إذا لم يتيسر حضورهم شخصياً ـ وتصبح مناقشات هذه المجامع ملزمة للكنيسة كلها وتتم هذه الإجراءات جميعها تحت الرعاية الإمبراطورية"[٤].

ويتبين لنا من هذه الشروط أن المجامع المسكونية أعطيت لها سلطة تقرير ما لم يكن مقرراً من قبل، وذلك فى الأمور الدينية والعقدية ، وكان يساند هذه القرارات الأباطرة الذين كانوا يدعون إليها ـ وهو شرط من شروط المجمع المسكونى ـ ويرأسون جلساتها ، ويصدقون على قراراتها ، ويعملون على تنفيذها ، وهذا يعنى

---

(١) المرجع السابق نفس الصفحة ، راجع أيضاً : تاريخ الأقباط (١ / ١٦٨ ، ١٦٩).

(٢) القمص كيرلس الأنطونى : عصر المجامع ص ٢١.

(٣) المرجع السابق ص ٢٠.

(٤) هسى : العالم البيزنطى ص ٢٥٦ ـ ٢٥٧.

أن هذه المجامع قد خضعت لأهواء السلطات الحاكمة يدعون ويقررون ما يرونه في صالحهم وصالح سياستهم.

يقول كرستوفر دوس: " كان الجهاز الأساسي في السياسة الدينية التي سار عليها قسطنطين وأخلافه هو المجمع الديني العام - المسكوني - ،ولم يكن ذلك المجمع منظمة دينية صرفة.. بل يدين بوجوده للسلطة الإمبراطورية، لأن الإمبراطور احتفظ لنفسه بحق الدعوة لذلك المجمع العام، وهو الذي يقرر بنفسه جدول المسائل التي يناقشها المجمع ويصادق على قراراته بالموافقة "(١).

ولما كانت هذه المجامع لها أكبر الأثر في تقرير عقائد المسيحية فإننا سنتناول بعضاً منها، وخاصة المجامع الأربعة الأولى، لأنها هي التي قررت القوانين الإيمانية والعقائد الدينية التي يؤمن بها جميع المسيحيين على اختلاف طوائفهم ومذاهبهم، فهي - كما يقول الشيخ أبو زهرة - " التي حدت للأخلاف حدود العقيدة المسيحية في نظر مقريها، وهي التي رسمت المسوح والتقاليد الكنيسة القائمة في الكنائس، أو بعضها الكثير إلى الآن، وهي التي فلحت الأرض، لتبذر بذور هذه المسيحية التي سادت أفكار المسيحيين في الأجيال من بعد "(٢)... هذا إلى جانب أن المجامع الثلاثة الأولى يتفق عليها جميع الطوائف المسيحية.

ثانياً: مجامع مكانية:

وهي - كما يعرفها المسيحيون - التي كانت ولا تزال الكنائس تعقدها في دوائرها الخاصة من أساقفتها وقسوسها إما لإقرار أو لرفض عقائد عامة، أو للنظر في بعض الشئون المحلية الخالصة(٣)، وكما هو واضح من هذا التعريف فإن هذه المجامع لا تقرر عقائد جديدة.

وطبيعة هذه الدراسة تقتضي عدم ذكر هذا النوع من المجامع سواء بالتفصيل أو بالإجمال وذلك لعدم أهميتها ولكثرتها، هذا إلى جانب أن تأثيرها محدود فهي

---

(١) كرستوفر دوس: تكوين أوربا ص ٤٥.

(٢) محاضرات في النصرانية ص ١٤٥.

(٣) لجنة التاريخ القبطي: تاريخ الأمة القبطية (٢ / ١١٢).

خاصة بالمكان والإقليم الذى عقد فيه المجمع، أما بالنسبة للمجامع المسكونية فالأمر مختلف تماما فهى التى تقرر وتحدد وعلى الجميع الالتزام والخضوع لقراراتها وقوانينها.

وليس هدف هذه الدراسة تعداد المجامع المسكونية بالتفصيل، وإنما المقصود بيان أثر هذه المجامع فى المسيحية، لذلك سنكتفى بذكر أهم هذه المجامع وخاصة المجامع الأولى منها، وذلك لأنها المختصة بتقرير القواعد والقرارات الدينية العامة التى ينبغى أن تلتزم بها كل الطوائف والكنائس(١).

أهم المجامع المسكونية

المجمع المسكونى الأول: مجمع نيقية سنة ٣٢٥م:

السبب فى انعقاد هذا المجمع: يعتبر هذا المجمع أول المجامع المسكونية فى تاريخ الكنيسة وأهمها، ولقد كان لاختلاف المسيحيين فى شخص المسيح وهويته السبب الأول فى انعقاد هذا المجمع.

لقد عاش المسيحيون فى القرون الثلاثة الأولى فترة من أصعب الفترات، حيث أذاقهم اليهود ثم الرومان أشنع أنواع التعذيب والاضطهاد، واستمر هذا الاضطهاد حتى عصر قسطنطين الذى منح المسيحيين الحرية والاطمئنان، ولكنهم فى الحقيقة لم ينعموا بالراحة والسعادة، ذلك أنهم حين استراحوا من نير الاضطهاد وشعروا بالاطمئنان جهر كل واحد بمسيحيته وباعتقاده فى المسيح، وعندئذ فوجئوا بما هو أشد عليهم مما كانوا فيه، فلقد وجد المسيحيون أن بينهم من الخلاف ما لا يمكن وجوده فى دين واحد.

يقول ول ديورانت: "إن اتباع المسيح قد انقسموا فى الثلاثة القرون الأولى من ظهوره إلى مائة عقيدة وعقيدة"(٢)

" وكان الاختلاف يدور حول شخص المسيح أهو رسول من عند الله فقط من غير أن تكون له منزلة أكثر ممن له شرف السفارة بين الله وخلقه؟ أم له بالله صلة خاصة

---

(١) د/ رؤوف شلبى: أضواء على المسيحية ص ٩٥.

(٢) قصة الحضارة (مج ٣ ج ٣ ص ٢٩١).

أكبر من رسول فهو من الله بمنزلة الابن لأنه خلق من غير أب ولكن ذلك لا يمنع أنه مخلوق الله، ومن قائل إنه ابن الله له صفة القدم كما لله تلك الصفة، وهكذا تباينت نحلهم واختلفت وكل يزعم أن نحلته هى الصحيحة"(١).

" ولقد كانت تلك الاختلافات كامنة لا تظهر مدة الاضطهادات لأنهم شغلوا بدفع الأذى ورد البلاء واستقبال المحن والكوارث، وكانوا يستسرون بدينهم ولا يظهرونه، ويخفون عقائدهم ولا يعلنونها، حتى إذا رزقوا الأمان ونزلت عليهم سحائب الاطمئنان ظهرت الخلافات الكامنة وإذا هم لم يكونوا متفقين إلا فى التعلق باسم المسيح والاستمساك بالانتساب إليه من غير أن يتفقوا فى حقيقته"(٢).

يقول د/ بركات دويدار: "لقد عاش القوم وسط الاضطهادات فكانت التعاليم سرية ولا يستطيع إنسان أن يتأكد مما يسمع(٣)، لذلك نجد أنهم لما رفع عنهم هذا البلاء، وجهر كل إنسان بعقيدته، وجدوا أن بينهم من الخلافات ما لا يقل عن الخلاف الموجود بين دين ودين"(٤).

وكان من نوع هذا الخلاف: اختلاف بين أريوس وبطريرك الإسكندرية، وكان يدور حول العلاقة بين الآب والابن، ولقد استفحل أمر هذا الاختلاف، واشتد الجدل فى هذه المسألة حتى انتشر فى الآفاق، وأصبح الجدل والخوض فى المسائل اللاهوتية أمراً مباحاً وموضوعاً مفتوحاً أمام الجميع.

وقد وصل إلى مسامع الإمبراطور أمر هذا الخلاف القائم بين أريوس وبطريرك الإسكندرية، وكان الإمبراطور قسطنطين يخشى من انقسام الناس الأمر الذى يؤدى إلى تفكك الإمبراطورية، لذلك دعا إلى عقد مجمع مسكونى ليفصل فى هذا النزاع ويجمع الناس على مذهب واحد ورأى واحد وعقيدة واحدة، وحدد له مدينة نيقية لتكون مكاناً لهذا الاجتماع ولذلك سمى مجمع نيقية.

---

(١) محاضرات فى النصرانية ص ١٤٦.
(٢) المرجع السابق ص ١٤٧.
(٣) الحركة الفكرية ضد الإسلام ص ٢١٢.
(٤) الوحدانية ص ١٤٧.

ويمكن إذن أن نحدد السبب في إنعقاد المجمع هكذا: أن هناك سببا عاما لهذا المجمع وهو الاختلاف بين المسيحيين في شخص المسيح، وسببا آخر خاصا وهو ينحصر في المشكلة الرئيسة وهى الخلاف بين أريوس وبطريرك الإسكندرية حول حقيقة المسيح والعلاقة بينه وبين الآب.

ويجدر بنا قبل أن ندخل فى تفاصيل هذا المجمع أن نشرح وجهة نظر أريوس، ونوضح مذهبه وعقيدته.

أريوس وعقيدته:

ولد أريوس فى ليبية القيروان بإفريقيا سنة ٢٧٠م، وتوفى عام ٣٣٦م والتحق فى شبابه بالمدرسة اللاهوتية بالإسكندرية، ثم رسمه البابا بطرس بطريرك الإسكندرية (٣٠٠ ـ ٣١٢م) شماسا سنة ٣٠٧م ثم قسا وواعظا، وكان ذكيا فصيحا له إلمام بعلوم كثيرة [١].

وفى عام ٣١١م حرمه البابا بطرس (بطريرك الإسكندرية) نتيجة اعتراضه على سياسة الكنيسة إزاء الأساقفة، ولما مات بطرس خلفه (أشيلاس) على الأسقفية الذى لم يستمر فى منصبه سوى ستة أشهر [٢]، وتمكن أريوس من الحصول على الغفران وأعيد فى عام ٣١٣م إلى وظيفته الكنسية التى كان عليها قبلاً، ثم رقى إلى مرتبة القسيس لما لمسه فيه الأسقف السكندرى من فطنة ومقدرة [٣].

ولما تصدى أريوس إلى بطريرك الإسكندرية الكسندر الذى كان يعلم بمساواة المسيح الابن للإله الآب [٤]، حكم عليه هذا البطريرك ومعه بعض الأساقفة بالحرمان واللعن...

أما تعاليم أريوس وعقيدته فى الألوهية فهى " أن الله واحد فرد غير مولود لا يشاركه شئ فى ذاته تعالى، فكل ما كان خارجاً عن الله الأحد إنما هو مخلوق من لا شئ بإرادة الله ومشيئته " [٥].

---

(١) تاريخ الأقباط (١ / ١٥٠).

(٢) القس منسى يوحنا: تاريخ الكنيسة القبطية ص ١١٠.

(٣) الدولة والكنيسة (٢ / ١٥٨).

(٤) تاريخ الكنيسة القبطية ص ٢٠٩.

(٥) لويس غرديه، وقنواتي: فلسفة الفكر الدينى بين الإسلام والمسيحية (٢ / ٢٨٧).

أما عقيدته فى المسيح فهى كما يلى:

(١) ابتدأت الكلمة تكون، إذن فهى ليست أزلية، وإلا لوجب علينا أن نقول إن فى الله مبدأين، والابن لم يكن ابنا حقا، إذن لا يمكن أن نقول إن الابن هو الله.

(٢) لم يولد الابن من جوهر الآب، إذ لو سلمنا بذلك لقسمنا جوهر اللاهوت وتخيلنا اللاهوت ذا شكل حسى كالذى نشاهده فى البشرية، إن الابن خرج من العدم بإرادة الرب وهو خليقة، وإنما أولى الخلائق، ولهذا السبب سمى (الابن البكر).

(٣) الابن فى جوهره لا يزيد عن كونه خليقة، إلا أنه يمتاز عن سائر الخلائق بعدة ميزات كالدرجة أو المركز، إذ بعد الله هو صاحب المركز الأكبر، إن الله خلق كل شئ حتى الزمن، لشدة ابتعاده عن الدنيا خلق الكلمة وجعل منه الوسيط الذى يؤثر به على المخلوقات ويتصل بها، ويجب أن نفهم أن بين الله والكلمة فرق عظيم لا حد له، أما بين الكلمة والخليقة فالفرق معنوى فقط.

(٤) إذا كان رغماً عن هذا الفارق العظيم أطلق على الابن لقب إله، فما ذلك إلا منحة يرجع الفضل فيها إلى الآب الذى شاء أن يتبناه، على كل هى تسمية خطأ.

(٥) إن إرادة الابن مخلوقة وهى قابلة للتغيير وفى استطاعتها أن تفعل الخير والشر هى إذن لا ترتكز على أى إثبات، أما مجد الكلمة فهو ثمرة قداسة حياته التى عرفها الله منذ البدء، ومعلوم أن كل شئ مكشوف أمامه، حاضر وماض ومستقبل"[١].

وهكذا نجد أن تعاليم أريوس فى المسيح تقوم على أنه ـ المسيح ـ ليس مساوياً لله فى الأزلية وفى الجوهر، بل هو إنسان مخلوق تتغير طبيعته مثل أى مخلوق، وهو كأى مخلوق قادر على عمل الخير والشر[٢].

---

(١) الأنبا الكسندرس اسكندر : تاريخ الكنيسة القبطية (١ / ٧٥ ، ٦٧).
(٢) تاريخ الأقباط (١ / ١٥٠ ، ١٥١).

وعلى ذلك فمذهب أريوس يقوم فى أساسه على إنكار ألوهية المسح وتصوره إنساناً محضاً مهما كان عظيماً[١]... وهو بهذه العقيدة قام فى وجه كنيسة الإسكندرية التى كانت تنادى بمساواة الابن للآب فى الجوهر والأزلية ـ أى أنها كانت تنادى بألوهية المسيح ـ ولما لم يستطيعوا إسكاته حرموه من الكنيسة وأبعدوه.

يقول الشيخ أبو زهرة: "وقد أراد بطريرك الإسكندرية أن يقضى على هذه الفكرة فلم يعمد إلى المناقشة والجدل حتى يتسع الخرق على الراقع، وحتى لا يلحن بالحجة عليه أريوس، ولكنه عمد إلى لعنه وطرده من حظيرة الكنيسة"[٢].

ولكنهم لم يستطيعوا إسكاته ولا القضاء عليه وعلى تعاليمه، ولذلك علموا هذه المرة على عقد مجامع محلية للعنه وطرده، فعقدوا مجمعاً عام ٣١٩م فى الإسكندرية وآخر مثله فى عام ٣٢١م وذلك لهذا الغرض[٣]...

ولكن هذه المجامع لم تنهه عن دعوته، فقد كان له أنصار كثيرون وكانت أفكاره منتشرة بدرجة كبيرة لا يمكن أن تردها مثل هذه المجامع المحلية أو غيرها، إلا إذا تدخلت قوة السلطان.

انتشار مذهب أريوس:

الواقع أن عقيدة أريوس ليست من إنشائه ولا من تأليفه، بل إنها كانت معروفة ومذكورة ومشهورة قبله كما يقول المسيحيون أنفسهم.

ففى رسالة (الكسندر) بطريرك الإسكندرية ـ الذى كان يحاربه أريوس ـ إلى عموم الأساقفة يشكو لهم أريوس ومن معه يقول فيها: "إن هؤلاء الأفراد فى سعيهم الدائب بكل مغالطاتهم لإنكار ألوهية الكلمة قد زكوا موقف من سبقوهم"[٤]، فلقد أخذ أريوس عقيدته هذه ممن سبقه من أولئك الذين ظلوا على

---

(١) فلسفة الفكر الدينى بين الإسلام والمسيحية (٢ / ٢٨٧).

(٢) محاضرات فى النصرانية ص ١٤٨.

(٣) عن هذين المجمعين راجع: تاريخ الكنيسة القبطية ص ١١٢.

(٤) الدولة والكنيسة (٢ / ١٦١، ١٦٢).

ذكر برسالة وتعاليم المسيح عليه السلام، وإن كانت عوامل الزمن قد أحدثت فى هذه التعاليم بعض التغييرات والتعبيرات التى لا يمكن أن تكون من تعاليم المسيح عليه السلام.

وعلى الرغم من الموقف المتشدد الذى اتخذه (الكسندر) بطريرك الإسكندرية تجاه أريوس إلا أن مذهبه كان له مشايعون كثيرون حتى فى الإسكندرية نفسها، ونقف على ذلك من رسالة (الكسندر) إلى الأساقفة حيث يذكر أن من ارتدوا عن الدين القويم ـ فى نظره ـ من الأساقفة وتابعوا أريوس هم: أشيلاس الكاهن، وايثالس، وكاربونس، وآخر يدعى أريوس، وسارماتس، ومن الشمامسة: يوزيوس، ولوقا، ويوليوس، وميناس، وهيللاديوس، وجايوس(١)، هذا بالإضافة إلى أن كثيراً من المثقفين قد اتخذ جانب أريوس ورفاقه إيماناً منهم أن عقيدتهم حق(٢)... ولقد كانت عقيدة أريوس منتشرة أيضاً فى معظم الولايات الشرقية للإمبراطورية الرومانية.

فمن رسالة أريوس إلى صديقه أسقف نيقوميديا نعلم مدى انتشار الآراء الأريوسية فى الولايات الشرقية للإمبراطورية، فقد جاء فيها ذكر الأساقفة الذين شايعوا الأريوسية وهم يوسابيوس أسقف قيسارية، وثيودوتوس أسقف اللاذقية، وباولينوس أسقف صور، واثناسيوس أسقف عين زربة ـ أهم مدن كيليكيا ـ وجريجورى أسقف بيروت.

ثم يضيف أريوس قائلاً: "وكل أساقفة الشرق عدا ثلاثة هم فيلوجون أسقف إنطاكية، وهيللانكوس أسقف طرابلس، ومكاريوس أسقف أورشليم(٣) هذا إلى جانب انتشارها بين بعض أساقفة فلسطين(٤).

وعلى هذا النحو بدا للجميع أن كنيسة الإسكندرية تقف فى جانب ،وفى الآخر معظم كنائس الشرق الرومانى، ولاقت عقيدة أريوس على النحو الذى رأيناه

---

(١) الدولة والكنيسة (٢ / ١٦٤).

(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة.

(٣) المرجع السابق ص ١٦٥.

(٤) المرجع السابق ص ١٦٧.

رواجا كبيرا فى الدوائر الكنسية فى فلسطين، وسوريا، وآسيا الصغرى، وزاد من قوة أريوس انضمام أساقفة من ذوى الشهرة والمكانة إلى صفه، شأن يوسابيوس النيوقوميدى، وباولينوس أسقف صور، ويوسابيوس أسقف قيسارية، وغيرهم كثير"(١).

وهكذا وضح أن عقيدة أريوس كانت منتشرة بدرجة كبيرة فى معظم الولايات التى كانت تدين بالمسيحية، وكان يدين بها الكثير من المثقفين، لذلك أحست كنيسة الإسكندرية بالخطر، فأخذت تحارب هذه العقيدة وتحاول القضاء عليها نهائيا، واشتد الجدل والمناقشة بين أريوس وأتباعه وبين المؤيدين لبطريرك الإسكندرية حتى انتشرت حمى هذا الجدل بين المسيحيين جميعا.

يقول القس منسى يوحنا: "وتمكن أريوس بدهائه وفصاحته أن يجذب إليه بعض الأنصار، فكانوا يجادلون المؤمنين فى شوارع الكنيسة ويصرخ الواحد منهم فى وجه الآخر قائلا: "يا هرطوقى من الأكبر؟ الوالد أم المولود!!" وآخر يقول: " هل من المعقول أن يوجد ابن قبل ولادته"(٢).

ولقد اتسعت هوة الخلاف بين الفريقين ووصل أمر هذا الانقسام إلى الإمبراطور قسطنطين الذى عمل فى بداية الأمر على التوفيق بينهما من خلال رسالة أرسلها إليهما، ولكن النزاع كان أكبر من أن يفضه رسالة أو وساطة، لذلك عزم الإمبراطور على عقد مجمع نيقية ليحسم هذه المشكلة.

اجتماع الأساقفة فى نيقية لبحث مشكلة النزاع:

دعا قسطنطين الأساقفة إلى الحضور إلى نيقية لبحث الخلاف بين أريوس وبطريرك الإسكندرية، ولقد وصل إلى مكان الاجتماع كما يقول ابن البطريق " ثمانية وأربعون وألفان من الأساقفة"(٣).

---

(١) المرجع السابق ص ١٦٨.

(٢) تاريخ الكنيسة القبطية ص ٢٠٩.

(٣) سعيد بن البطريق: التاريخ المجموع على التحقيق (١/ ١٢٦) ولقد ذكر إدوار جيبون أيضا أن عدد المجتمعين ألفان وثمانية وأربعون (اضمحلال الإمبراطورية الرومانية ١ / ٦٠٨) أما زكى شنودة : فقد ذكر أن مجموع الحاضرين كانوا نحو الألفين (تاريخ الأقباط ١ / ١٥٣).

ثم يصف حال هؤلاء المجتمعين واختلافهم فيقول: "كانوا مختلفين فى الآراء والأديان، فمنهم من كان يقول إن المسيح وأمه إلهان من دون الله، وهم البربرانية ويسمون المريميين، ومنهم من كان يقول إن المسيح الآب بمنزلة شعلة نار تعلقت من شعلة نار فلم تنقص الأولى بانفصال الثانية منها وهى مقالة سابليوس وشيعته، ومنهم من كان يقول لم تحبل به مريم تسعة أشهر وإنما مر فى بطنها كما يمر الماء فى الميزاب، لأن الكلمة دخلت فى أذنها وخرجت من حيث يخرج الولد من ساعتها، وهى مقالة إبليان وأشياعه.

ومنهم من كان يقول إن المسيح خلق من اللاهوت كواحد منا فى جوهره، وأن ابتداء الابن من مريم، ولأنه اصطفى ليكون مخلصا للجوهر الأنسى صحبته النعمة الإلهية وحلت فيه بالمحبة والمشيئة ولذلك سمى ابن الله، ويقولون: إن الله جوهر واحد وأقنوم واحد ويسمونه بثلاثة أسماء، ولا يؤمنون بالكلمة ولا بروح القدس، وهى مقالة بولس السمساطى بطريرك إنطاكية وأشياعه وهم البوليقانيون.

ومنهم من يقول: إنهم ثلاثة آلهة لم تزل صالح، وطالح، وعدل بينهما، وهى مقالة مرقيون وأصحابه، وزعموا أن مرقيون هو رئيس الحواريين وأنكروا بطرس.

ومنهم من كان يقول بتأليه المسيح وهى مقالة بولس الرسول ومقالة الثلاثمائة والثمانية عشر أسقفا "[١].

وهكذا كان الاختلاف العقائدى بين الحاضرين كبيرا..

يقول يعقوب نخلة" كل فئة تلعن الأخرى وتحرمها، وتزيف معتقدها ومذهبها.

كل يؤيد دينه يا ليت شعرى ما الصحيح "[٢].

ولقد رأس قسطنطين هذا المجمع وألقى خطبة الافتتاح وسمح للحاضرين بالمناقشة والحوار، وأمرهم بإيجاد حل للنزاع القائم بين أريوس وبطريرك الإسكندرية (الكسندر) الذى حضر ومعه شماسه (إثناسيوس)...

---

(١) التاريخ المجموع على التحقيق (١ / ١٢٦).

(٢) يعقوب نخلة : تاريخ الأمة القبطية ص ٢٧.

وبدأت المناقشات حول العلاقة بين الآب والابن، وهل هما متساويان فى الجوهر أم أن الابن غير الآب؟

ودارت المناقشة بين أريوس وإثناسيوس، وشرح كل منهما مذهبه، وحدثت انقسامات ومناقشات حامية، مما اضطر قسطنطين أن ينهى هذا النزاع بميله إلى الفئة المؤيدة لكنيسة الإسكندرية - والتى كانت تنادى بألوهية المسيح ومساواته للآب فى الجوهر والأزلية - وكان عددهم ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفا فوضع لهم مجلسا خاصا بهم، وجلس فى وسطهم، وأوعز لهم بعدم الاختلاف وأعطاهم كافة السلطات لوضع صيغة إيمانية، وقال لهم "إن لكم هذا اليوم سلطان الكهنوت والمملكة لتحلوا وتربطوا، فمن أردتم نفيه أو إبقاءه فلكم ذلك"(١)،

فما كان منهم إلا أن ردوا قائلين له: "أظهر دين النصرانية وذب عنه"(٢)، والنصرانية - فى نظرهم - هى ما سيضعونه من قوانين وشرائع، فكأنهم يريدون الاطمئنان على نشر ما يعتقدونه والدفاع عنه بواسطة السلطات الحاكمة.

نتائج هذا المجمع:

(١) وضع قانون الإيمان:

لقد قام الثلاثمائة والثمانية عشر أسقفا - الذين أخلى قسطنطين لهم دارا، ووضعهم فى مجلس خاص بهم - بوضع دستور الإيمان الذى يتضمن العقائد التى يجب الإيمان بها لمن ينتسب للمسيحية، وهذا الدستور هو الذى تؤمن به جميع الكنائس إلى الآن، وذلك بعد إضافة بعض الفقرات فى المجامع التالية، ويسمى هذا الدستور أو القانون (الأمانة).

أما نص هذا القانون فهو كما يلى: "نؤمن بإله واحد ضابط الكل، ما يرى وما لا يرى، ونؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الآب قبل الدهور، نور من نور إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساو للآب فى الجوهر الذى به كل شئ ، هذا الذى من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من

---

(١) كتاب السنكسار (١ / ١٢٣).

(٢) التاريخ المجموع على التحقق (١ / ١٢٧).

السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء تأنس وصلب على عهد بيلاطس النبطى، وتألم وقبر، وقام من الأموات فى اليوم الثالث كما فى الكتب، وصعد إلى السموات وجلس عن يمين أبيه وأيضا يأتى ليدين الأحياء والأموات الذى ليس لملكه انقضاء "(١).

(٢) أما بالنسبة لأريوس الذى انعقد من أجله المجمع فقد أصدر المجمع قرارين بشأنه:

أ- أقر المجمع بحرم أريوس وتحريم بدعته ونفيه.

ب- حرق كتب أريوس ومنعها عن الناس، وقرر عقوبة الخيانة العظمى على كل من توجد معه تلك الكتابات (٢).

(٣) ثم قرر المجمع أيضا حرمان كل من يقول بآراء أريوس أو يخرج فى عقائده وآرائه عن آراء هذا المجمع، ولذلك جاء ضمن قرارات المجمع ما يلى: " إن جميع الذين يقولون عن الابن إنه جاء عليه حين من الدهر لم يكن موجودا، أو أنه لم يكن له أثر فى الوجود قبل أن يولد، أو أنه ولد من العدم، أو أنه من غير جوهر الآب، أو أنه مخلوق وعرضة للتحول والتبدل، فالكنيسة الجامعة الرسولية تعلن وقوعهم تحت طائلة الحرم "(٣).

(٤) ثم فصل المجمع بعد ذلك فى بعض مشاكل المسيحيين، ووضع عشرين قانونا تتضمن بعض النظم الكنسية والأحكام الخاصة برجال الإكليروس (٤).

هذا وقد أيد قسطنطين قرارات هذا المجمع وأمر بوجوب تنفيذها والخضوع لها وتوعد كل من يخرج عليها بالنفى أو الحرمان.

تعقيب على هذا المجمع:

يلاحظ فى هذا المجمع أن قسطنطين استخدم نفوذه وسلطته للوصول بالمجمع إلى ما وصل إليه من قرارات وقوانين، فلقد دعا قسطنطين الأساقفة للحضور فى نيقية ووصل إلى مقر الاجتماع ألفان وثمانية وأربعون لاهوتيا من رجال الكنيسة، وفى

---

(١) تاريخ الفكر المسيحى: (١ / ٦٣١)، عصر المجامع ص ٦٤، ٦٥.

(٢) تاريخ الأقباط (١/ ١٥٧، ١٥٨)، فجر المسيحية ص ١٥١.

(٣) الأنبا غريغوريوس: تاريخ الفكر المسيحى ما بين الإسكندرية وروما وبيزنطة ص ٨.

(٤) راجع مجموعة الشرع الكنسى ص ٤١.

بداية الأمر اجتمع جميع الحاضرين ومعهم الإمبراطور، ثم بعد ذلك نجد أن قسطنطين أعطى الكلمة لبطريرك الإسكندرية ومعه إثناسيوس، وأعطاهم حق تقرير مصير المسيحية، وذلك حين اختار رأيهما واختار معهما بعض الأساقفة الموافقين لرأيهما، وكان عدد هؤلاء ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفا، وأعطى قسطنطين هؤلاء حق تقرير ما يرونه من عقائد، ورفض ما يرفضونه، ووعدهم بأن يؤيد ما يقررونه بقوته وسلطانه وجبروته.

وهكذا وضع هؤلاء قانون الإيمان المسيحى ودستوره مع أنهم كانوا يمثلون بالنسبة لجميع الحاضرين أقلية، ذلك أنه إذا قيس عدد هؤلاء بعدد الحاضرين تبين ذلك.

هذا وقد تبين سابقا مدى انتشار عقيدة أريوس بين المسيحيين، فكان جل المسيحيين يعتقدون بعقيدته ويؤمنون بها، حتى لقد قيل إن كنيسة الإسكندرية ـ وهى التى تزعمت المعارضة لعقيدة أريوس ـ فى جانب، والكنائس الأخرى فى جانب آخر... أما لماذا تفوقت عقيدة كنيسة الإسكندرية؟ فالواقع أن ذلك يرجع إلى مساندة الإمبراطور واختياره .

يقول كانتو: " وكان الحزب الأريوسي قويا منذ البداية بدرجة لا يمكن معها أن تسحقه المجموعة الأرثوذكسية ـ كنيسة الإسكندرية ـ دون مساعدة الإمبراطور "(١) .

ولقد كانت رغبة ورهبة السلطان هما السبب فى اتفاق الفئة التى اختارها قسطنطين، فلقد حاول هذا الإمبراطور ما أمكن إغراءهم وإرهابهم فى الوقت نفسه... فلقد أغراهم بأن وضع لهم مجلسا خاصا بهم، وجلس فى وسطهم، وقال لهم قد سلطتكم اليوم على مملكتى لتصنعوا فيها ما ينبغى لكم أن تصنعوا، هذا إلى جانب أنه أكرمهم، وأحسن ضيافتهم. وأعطاهم من الهبات والأموال ما تقر به الأعين.

كما أنه أرهبهم بأن توعد من لم يوقع على صيغة الإيمان المختارة بالوعيد الشديد.

---

(١) التاريخ الوسيط (١ / ٨٧).

تقول المسيحية مايل وربرتن: "وضع قانون الإيمان القديم، وقدم للمجمع، وطلب الإمبراطور إلى جميع الأساقفة التوقيع عليه مهددا بنفى كل من لا يفعل ذلك، ورغم التهديد استنكف عدد قليل من التوقيع"[١].

وهذا يعنى أن دستور الإيمان الذى أقرته الفئة التى اختارها قسطنطين لم يكونوا كلهم راضين به وبمضمونه، ولكنهم خوفا من البطش والنفى والتشرد وقعوا عليه.

وهكذا يتبين لنا أن للسلطان دخلا كبيرا فى القرارات والقوانين التى انتهى إليه مجمع نيقية سنة ٣٢٥م.

ولقد أيد السلطان هذه القرارات بالقوة، ونفى المخالفين لها، وأمر بحرق كل الكتب التى تخالف صيغة الإيمان المسيحى الذى أقره هذا المجمع، وهذا يعنى أن المجمع المذكور قرر قانون الإيمان وأقر الكتب التى تساند قراراته وقوانينه - وعلى رأسها رسائل بولس - وأمر بتحريم الكتب الأخرى وحرقها وإبادتها من الوجود.

والحقيقة أن هذا المجمع برغم صياغته ووضعه لقانون الإيمان المسيحى إلا أنه لم يغلق الأبواب أمام الإضافات الأخرى له، فلقد فتح المجمع المجال أمام رجال الكنيسة لإضافة بعض العقائد الأخرى فى المجامع التالية، كما حدث فى مجمع القسطنطينية ومجمع أفسس وغيرهما، وهذا فى حد ذاته دليل على التحريف، إذ لو كان المجمع معصوما لما أضيف إليه، ولما خُطئ فى بعض القرارات.

فلقد حرم هذا المجمع بعض الكتب المسيحية[٢] ثم بعد ذلك نجد أن مجامع أخرى خطأته فى هذا التحريم واعترفت بهذه الكتب وأقرت بشرعيتها - وهى الرسالة إلى العبرانيين، والرسالة الثانية لبطرس، والرسالة الثانية والثالثة ليوحنا، ورسالة يعقوب، ورسالة يهوذا، ورؤيا يوحنا، وهذا فى حد ذاته دليل على أن المجمع كان مخطئا فى بعض أحكامه، وإذا كان هذا المجمع عرضة للخطأ فى بعض القرارات - وخاصة فى الكتب - فإن آراءه الأخرى تكون أكثر عرضة للخطأ وأكثر استهدافا للنقد[٣]، ومن ثم تزول عنه صفة الإلهام والعصمة.

---

(١) مايل وربرتن: صراع عبر الزمان ص ٥٧

(٢) راجع الفصل الثانى من هذا الباب.

(٣) محاضرات فى النصرانية ص ١٥٣.

المجمع المسكونى الثانى: مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م:

يعتبر هذا المجمع هو المجمع المسكونى الثانى، ولقد عقد فى القسطنطينية وذلك بأمر من الإمبراطور ثيودسيوس (٣٧٩ ـ ٣٩٥ م) فى عام ٣٨١م.

ولقد كان هذا المجمع فى أول الأمر مجمعا محليا ثم تحول إلى مجمع مسكونى بعد موافقة بابا روما على ما قرر فيه[١]، ولقد ترددت الكنيسة أعواما طويلة قبل أن تمنحه صفة المجمع المسكونى، فالمجمع الثالث (مجمع أفسس سنة ٤٣١م) لم يعتبر هذا المجمع مسكونيا، ولم يمنح صفة (المسكونى) إلا فى مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١م بواسطة مندوبى البابا وأدرج ضمن المجامع المسكونية[٢].

سبب انعقاد هذا المجمع:

فى الفترة التى خلا فيها عرش القسطنطينية من وجود إمبراطور وهى الشهور الواقعة بين مقتل فالنز (إمبراطور الشرق ٣٦٤ ـ ٣٧٨ م)[٣] وإعلان ثيودوسيوس إمبراطورا ـ وهى الفترة الواقعة بين شهرى أغسطس ٣٧٨م، يناير ٣٧٩م وامتدادها حتى دخول الإمبراطور الجديد إلى عاصمته فى نوفمبر سنة ٣٨٠م ـ ماجت القسطنطينية بشتى الفكر، وازدادت حدة الخلافات اللاهوتية بين الدوائر الكنسية، وتخطت هذه إلى رجل الشارع نفسه ما بين الآريوسيين بفرقهم العديدة والماكدونيين[٤] وهؤلاء جميعا والنيقيين[٥]، وأصبحت العاصمة مليئة بالمناقشات، فإذا الناس كلهم لا هم لهم ولا حديث لهم إلا المسألة العقدية فقهوا من أمر اللاهوت شيئا أو جهلوه"[٦].

وهذه الفترة هى التى يعبر عنها اللاهوتى القديس جريجورى أسقف نيسا (٣٤٠ ـ ٤٠٠ م) وهو يصف حال القسطنطينية وأهلها فيقول : " لقد امتلأ كل شئ بأولئك

---

(١) فلسفة الفكر الدينى بين الإسلام والمسيحية (٢/ ٢٨٩).

(٢) الأنبا الكسندر روس: تاريخ الكنيسة القبطية (١ / ٨٦ ـ ٨٩).

(٣) قصة الحضارة (مج ٤ ج ١ ص ٧).

(٤) نسبة إلى ماكيدونيوس القائل بأن الروح القدس مخلوق وليس بإله.

(٥) المنسبون إلى اعتقاد مجمع نيقية.

(٦) الدولة والكنيسة (٤ / ٥٧).

الذين يتحدثون بغوامض الكلم، وازدحمت بهم الطرقات والأسواق والأزقة، فإذا ما سألت عما يجب أن أدفعه ثمنا لشئ فلسفوا لى الإجابة حول المولود والمخلوق، وإذا ما رغبت فى الوقوف على ثمن الخبز أجابنى بأن الآب أعظم من الابن، وإذا ما بحثت عما إذا كان حمامى قد أعد جاءتنى الإجابة تقول إن الابن خلق من العدم[١].

هذا قد شاع بين الناس بعض العقائد أهمها: مقالة ماكدونيوس وكان أسقفا للقسطنطينية (من ٣٤٢ إلى ٣٤٦م، ومن سنة ٣٥١ إلى ٣٦٠م)[٢]، ثم عزل بسبب مقالته فى الروح القدس، فكان ينادى بأن الروح القدس مخلوق كسائر المخلوقات أى ليس بإله[٣]، وكان له أتباع كثيرون استمروا بعد موته.

ولقد انزعج بعض القواد والوزراء من انتشار مقالة ماكدونيوس بين الناس ولذلك ذهبوا إلى الإمبراطور "ثيودوسيوس" ويقولون له: إن مقالة الناس قد فسدت وغلبت عليهم مقالة آريوس وماكدونيوس فيجب أن تنظر فى هذا وتذب عن أمانة النصارى، وتكتب إلى جميع البطاركة والأساقفة أن يجتمعوا وينظروا فى هذا ويوضحوا دين النصرانية، فاستجاب الإمبراطور لطلبهم وكتب إلى البطاركة والأساقفة يدعوهم للاجتماع[٤] وأمر بانعقاد مجمع فى القسطنطينية يرد هذا الإشكال ويدحضه ويدعو الناس إلى عقيدة نيقية.

ولقد كان هذا الإمبراطور يهدف لتحقيق وحدة الإمبراطورية دينيا، فكان عنيفا ضد المخالفين لقرارات مجمع نيقية، ويتبين ذلك من مرسومه الصادر عام ٣٨٠م والذى يتضمن "إن الذين يعتقدون بالآب والابن والروح القدس هم المسيحيون، وما عداهم عبارة عن جماعة من الحمقى والمجانين، وليس يحق لهم تسمية محلات اجتماعهم الدينية بالكنائس، وأنهم خارجون عن القانون"[٥].

ولذلك حين علم بمقالة ماكدونيوس أرسل إلى البطاركة يدعوهم إلى عقد مجمع دينى يعالج هذه الآراء.

---

(١) المرجع السابق (٤/ ٥٨)، راجع أيضًا د/ سعيد عبد الفتاح عاشور: أوربا العصور الوسطى (١/ ٣٥).

(٢) راجع فلسفة الفكر الدينى بين الإسلام والمسيحية (٢/ ٢٨٩).

(٣) لجنة التاريخ القبطى: تاريخ الأمة القبطية (٢/ ١١٥).

(٤) د/ محمد الشتيوى: المجامع المسيحية (رسالة دكتوراة) ص ١٩٩.

(٥) د/ عبد القادر اليوسف: الإمبراطورية البيزنطية ص ٣٢.

اجتماع الأساقفة ومناقشتهم لماكدونيوس:

هذا وقد حضر إلى القسطنطينية مائة وخمسون أسقفا "وكانوا من أساقفة الكنائس الشرقية"[١] وكان منهم تيموثاوس بابا الإسكندرية[٢]، ونكتاريوس بطريرك القسطنطينية، وملاتيوس أسقف إنطاكية، وكيرلس أسقف أورشليم وغيرهم، هذا ولم يكن يمثل أسقفية روما أحد فى هذا المجمع[٣]، ولم يحضره أحد من أساقفة الكنيسة الغربية لا بصفتهم الشخصية ولا بممثلين عنهم[٤].

ولقد اجتمع هؤلاء الأساقفة الحاضرون فى مايو سنة ٣٨١م وبدأوا فى مناقشة آراء ماكدونيوس الذى كان يقول فيها بأن الروح القدس ليس بإله ولكنه مخلوق مصنوع[٥].

وقد بذل أساقفة المجمع جهدا كبيرا لإقناع "ماكدونيوس" بالعدول عن رأيه ولكنهم لم يفلحوا فى هذا، ولذلك انسحب هو وأشياعه من المجمع، وكتب إلى أنصاره فى جميع البلاد يطلب إليهم عدم الدخول فى شركة النيقيين والبقاء على إيمانهم[٦].

وقد قام تيموثاوس بابا الإسكندرية ـ أثناء انعقاد المجمع ـ يدلل على ألوهية الروح القدس فقال: ليس روح القدس عندنا بمعنى غير روح الله، وليس روح الله شيئا غير حياته، فإذا قلنا إن روح القدس مخلوق فقد قلنا إن روح الله مخلوق، وإذا قلنا إن روح الله مخلوق، فقد قلنا إن حياته مخلوقة، وإذا قلنا إن حياته مخلوقة فقد زعمنا أنه غير حى، وإذا زعمنا أنه غير حى فقد كفرنا به، ومن كفر به وجب عليه اللعن "[٧].

---

(١) قصة الكنيسة القبطية (١/ ٣٣٠).

(٢) لجنة التاريخ القبطى : تاريخ الأمة القبطية (٢ / ١١٥)

(٣) تاريخ الأقباط (١/ ١٧٣).

(٤) مجموعة الشرع الكنسى ص ٢٤٢.

(٥) التاريخ المجموع على التحقيق (١/ ١٤٥)

(٦) الدولة والكنيسة (٤ / ٦٨، ٦٩).

(٧) التاريخ المجموع على التحقيق (١ / ١٤٥)

وهكذا لم ينجح هذا المجمع فى إقناع ماكدونيوس وشيعته بخواص الروح القدس ومساواته فى الجوهر للآب والابن، ولذلك لم يستطع أن يقرر ألوهية الروح القدس إلا بعد مغادرته اجتماع الأساقفة [١].

أما عن هذا الدليل " فإن نظرة سريعة فاحصة إلى الأساس التى قامت عليه السلسلة ترينا أنه جعل روح القدس هى روح الله، وهذا لا يسلمه له مخالفه، ولا يستطيع أن يقيم عليه دليلا...

إن روح القدس خلقه الله واتخذه ليكون رسولا بينه وبين من يريد أن يلقى عليه وحيا من خلقه أو أمرا كونيا، فهى ليست روح الله المتعلقة بذاته، وليس عنده من دليل على ما قال، ولكن هكذا ساق السلسلة وهكذا اقتنع سامعوه "[٢].

هذا وقد ناقش المجمع بعد ذلك بعض الأمور الخاصة بنظم الكنيسة وسياستها وقد أنهى المجمع جلساته فى يوليو سنة ٣٨١م[٣].

أهم قرارات هذا المجمع:

لقد دعا هذا المجمع إلى التمسك بقانون مجمع نيقية وأعلن بوضوح لاهوت الروح القدس ومساواته فى الجوهر للآب والابن ولذلك قرر ما يلى:

١- لعن أصحاب البدع المخالفة لقانون الإيمان الذى قرره مجمع نيقية، وحرمهم من الكنيسة وتحريم تعاليمهم، ولذلك اتفقوا على لعن ماكدونيوس ومن معه.

٢- إن الروح القدس خالق غير مخلوق، إله حق من طبيعة الآب والابن جوهر واحد وطبيعة واحدة.

٣- زاد هذا المجمع فى الأمانة التى وضعها الثلاثمائة والثمانية عشر أسقفا الذين اجتمعوا فى نيقية صيغة (نؤمن بالروح القدس الرب المحيى المنبثق من الآب الذى هو مع الآب والابن مسجود له وممجد).

---

(١) الأنبا الكسندر: تاريخ الكنيسة القبطية (١ / ٨٨)
(٢)محاضرات فى النصرانية ص ١٦١.
(٣) الدولة والكنيسة (٤ / ٧٧).

٤ـ ثبتوا [١] أن الآب والابن والروح القدس ثلاثة أقانيم وثلاثة وجوه وثلاث خواص وحدية فى تثليث، وتثليث فى وحدية، كيان واحد فى ثلاثة أقانيم إله واحد جوهر واحد طبيعة واحدة " [٢].

وقد سن هذا المجمع أيضا سبعة قوانين خاصة بنظام الكنيسة وسياستها[٣].

وبعد ذلك قام المجمع بإرسال رسالة إلى الإمبراطور ثيودوسيوس ضمنها القرارات والقوانين التى اتفق عليها المجمع وجاء فيها:

" تلبية لدعوتكم التأم فى القسطنطينية جمعنا، وبعد أن أعدنا الوحدة إلى صفوفنا وضعنا تعريفات مختصرة تؤكد إيمان الآباء فى نيقية وتدين (الهرطقات) [٤] التى ظهرت تناوئه، ومن أجل النظام الكنسى أصدرنا عددا من القوانين وألحقنا ذلك كله برسالتنا هذه إليكم.

نلتمس الآن أن يتفضل عظمتكم فيؤكد فى رسالة تحمل رحمتكم قرارات هذا المجمع، فكما كرمت الكنيسة برسائل دعوتكم، فلتتعطف الآن بتوقيع هذه القرارات" [٥].

واستجاب الإمبراطور (ثيودوسيوس) لرجاء الأساقفة فأصدر أوامره فى الثلاثين من يوليو سنة ٣٨١م بأن "كل الكنائس يجب أن تخضع للأساقفة الذين يؤمنون بوحدانية الألوهية ممثلة فى الآب والابن والروح القدس، وعليها أن تدخل فى شركة نكتاريوس أسقف القسطنطينية ـ ثم أخذ يعدد بعض الأساقفة الذين وقعوا على قرارات هذا المجمع، ثم قال ـ وكل من لا يدخل فى شركة هؤلاء وجب طرده من الكنيسة "[٦].

---

(١) وذلك كما فى قول ابن البطريق.

(٢) التاريخ المجموع على التحقيق (١ / ١٤٥ ـ ١٤٦).

(٣) لجنة التاريخ القبطى: تاريخ الأمة القبطية (٢ / ١١٥).

(٤) والهرطقة: كلمة يونانية الأصل تعنى " الرأى المستقل " أو " الاجتهاد الفردى " وقد استخدمتها الكنيسة بمعنى المذهب الخارج على المسيحية وعلى ما تقرر فى المجامع المسيحية. راجع د/ إسحاق عبيد: الإمبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية ص ٣٤، رؤية فى سقوط الإمبراطورية الرومانية ص ١٧٥.

(٥) د/ رأفت عبد الحميد: الدولة والكنيسة (٤ / ٧٧).

(٦) المرجع السابق (٤ / ٧٧، ٧٨).

ويتبين من هذا أن السلطان كان له دخل أيضا فى تنمية تقرير التثليث، فكما أن قسطنطين كان له الدور الأكبر فى تقرير ألوهية المسيح وفرضها على الناس، فكذلك ايضا كان لـ " ثيودوسيوس" دور آخر فى تقرير بقية أفراد الثالوث، فلقد أصدر فى بداية حكمه وجوب خضوع كل المسيحيين لقانون مجمع نيقية، ثم دعا الأساقفة لمجمع آخر، كان عليه أن يرد على كل من أنكر ألوهية الروح القدس، ثم أصدر أوامره بوجوب الخضوع لقرارات هذا المجمع والإيمان بالأقانيم الثلاثة، وطرد من لم يخضع لها.

وبذلك تقرر التثليث، وتم وضع الجزء الذى انتهى إليه هذا المجمع فى دستور الإيمان المسيحى على يد الأباطرة والسلاطين.

وأحب أن أشير إلى أمر آخر فى غاية الأهمية وهو: أن تتمة التثليث جاءت أيضا على يد بابا الإسكندرية وبطريركها، فكما أن ألوهية المسيح وتقريرها فى مجمع نيقية كان على يد بطريرك الإسكندرية (الكسندر) وشماسه (إثناسيوس) فكذلك أيضا تم تقرير ألوهية الروح القدس ومساواته فى الجوهر للآب والابن بواسطة بطريرك الإسكندرية تيموثاوس، وهذا يعنى أن المسيحيين فى الإسكندرية كانوا قد وقعوا تحت تأثيرات وثنية ركبت فى أذهانهم عقيدة التثليث، فطبقوها فى ديانتهم المسيحية، وقرروها بواسطة السلطان، وما كان لهذه العقيدة أن تنتصر ويتم فرضها على الناس إلا بالطريقة التى تم فرضها، خاصة وأن عقيدة التوحيد كانت سائدة ومنتشرة انتشارا قويا، لدرجة أنه لا يمكن سحقها إلا بواسطة أوامر وجبروت وقهر السلطان الذى كان بدوره وثنيا.

المجمع الثالث

مجمع أفسس الأول سنة ٤٣١ م

تمهيد :

لقد كان تقرير ألوهية المسيح فى مجمع نيقية سبب كثير من الاختلافات والاتجاهات بين المسيحيين، فلقد أوجد هذا الاعتقاد كثيرا من المشكلات اللاهوتية " لا بين من قالوا به وبين من أنكروه فحسب، بل بين الجماعات التى اتفقت على المبدأ

واعتنقته ثم عادت تفكر فيه، وعلى هذا أوجدت هذه المشكلة مجالا للتفريق بينهم وكان مصدر هذه الاختلافات بين هؤلاء هو التفكير فى طبيعة المسيح للتوفيق بين الألوهية التى صدر بها قرار وأصبحت بموجبه اعتقادا ملزما، وبين الواقع وهو أن عيسى بن مريم كان يمشى على الأرض وكان يأكل كما يأكل الناس ويتحدث كما يتحدثون وكان على العموم إنسانا فى مظهره على الأقل "[١].

فالمسيحيون حين قرروا ألوهية المسيح لم يتفقوا على كنه هذا التأليه وعلى طبيعة الإنسان المؤله..

هل هو من طبيعة إلهية خالصة؟

أم من طبيعتين إحداهما إلهية والأخرى إنسانية؟

وهل امتزجت هاتان الطبيعتان فى عيسى؟

أم احتفظت كل منها بخواصها ومزاياها؟

وما نتيجة هذا الامتزاج على فرض حدوثه؟

هل تمخض عن طبيعة نصفها إلهى ونصفها إنسانى؟

أم تولدت عنه طبيعة مغايرة تماما عن كلا الطبيعتين الإلهية الإنسانية؟

أسئلة كثيرة حول عيسى جرها القول بتأليهه، أسئلة اختلف فى الإجابة عليها دعاة التأليه أنفسهم، وانقسموا بينهم شيعا وأحزابا، وتناثروا مذاهب وطوائف"[٢].

وهذا الخلاف كان سببا فى انعقاد الكثير من المجامع وذلك لبحث طبيعة المسيح والتحدث عنها، وكان أول هذه المجامع هو مجمع أفسس الذى سنتحدث عنه الآن.

سبب انعقاد هذا المجمع:

لقد عقد هذا المجمع بسبب آراء نسطور حول المسيح.

ونسطور هذا كان ـ كما يقول المسيحيون ـ مشهورا بالخطابة إلى جانب شهرته بحسن السيرة والتقوى والحصافة فى إدارة ديره بحكمة ومهارة... استدعاه الامبراطور

---

(١) د / أحمد شلبى : المسيحية ص ١٨٩.

(٢) محمد مجدى مرجان: المسيح إنسان أم إله ص ١٨١

ثيودوسيوس الثانى إلى القسطنطينية وعينه أسقفا فى إبريل سنة ٤٢٨م ثم نصبه بطريركا على كرسى القسطنطينية[١]، وما أن جلس على الكرسى حتى أخذ يعلم أنه لما كان الجزء اللاهوتى من طبيعة المسيح لم يولد من العذراء فلا يحق أن تسمى (والدة الإله) بل (والدة المسيح الإنسان)[٢]، وبذلك جعل للمسيح - كما يقول زكى شنودة - أقنومين أحدهما إنسانى والآخر إلهى، واعتقد بأن الطبيعة الإلهية لم تتحد بالإنسان"[٣].

ويقول: وشرح نسطور مذهبه قائلا: " إن مريم لم تلد إلها، بل ما يولد من الجسد ليس إلا جسدا، وما يولد من الروح هو روح، إن الخليقة لم تلد الخالق بل ولدت إنسانا هو آلة للاهوت "[٤].

فمذهب نسطور يتلخص فيما يلى: المسيح له طبيعتان: إحداهما بشرية والأخرى لاهوتية، والطبيعة البشرية ولدت من مريم لذلك تسمى (والدة المسيح الإنسان) أما اتصال الطبيعة البشرية باللاهوتية فذلك لم يكن عن طريق الاتحاد والامتزاج بينهما بل بطريق المصاحبة، لذلك قال نسطور فى إحدى خطبه :"إن يسوع إنسان، وإن تَجَسُّم المسيح عبارة عن مصاحبة بين الكلمة الأبدية والمسيح الإنسانى، وأن مريم أم المسيح ولا يصح لذلك أن تسمى: (والدة الله)[٥].

يقول القس صموئيل مشرقى: "ولقد كانت بدعة نسطور فى الواقع هى فقط فى اعتبار المسيح إنسانا عاديا ولدته العذراء، ثم حل فيه اللاهوت بإرادته أى بالمصاحبة لا بالاتحاد"[٦].

وهذه التعاليم أغضبت المسيحيين، لأنهم فهموا منها أن نسطور بإنكاره الاتحاد بين الطبيعة البشرية واللاهوتية إنما هو يهدر بذلك ألوهية المسيح.

---

(١) فرنسيس فريبه: التجسد ص ٣٤

(٢) لجنة التاريخ القبطى : تاريخ الأمة القبطية (٢ / ١١٦).

(٣) تاريخ الأقباط (١ / ١٥٩).

(٤) المرجع السابق ، نفس الصفحة

(٥) د/ مراد كامل : تاريخ الأدب السريانى ص ٩٤.

(٦) القس صموئيل مشرقى: المسيحية بين الكتاب المقدس والتقليد ص ١٤٥.

يقول القس منسى يوحنا : "وقصد نسطور بذلك أن يمهد السبيل إلى إنكار ألوهية المسيح الذى قسمه إلى شخصين معلما أن اللاهوت لم يتحد بالناسوت بل ساعده فقط"[١].

وإذا كان اللاهوت مصاحبا أو مساعدا للمسيح فمن الإمكان أن يفهم رأيه على أن المسيح تصاحبه العناية الإلهية أو تساعده، وهذا الفهم قالت به المؤرخة المسيحية "بتشر" التى تقول: "وأما هرطقة نسطور هذه فلم تكن كغيرها نشأت عن اختلاف عقائد وضعها الآباء والأحبار، بل هى كانت جوهرية تختص بأهم مواضيع الإيمان، وأعظم أركان الدين المسيحى، ذلك أن نسطور ذهب إلى أن ربنا يسوع المسيح لم يكن إلها فى حد ذاته، بل هو إنسان مملوء من البركة والنعمة، أو هو ملهم من الله فلم يرتكب خطيئة وما أتى أمرا إدّا "[٢].

وهذه التعاليم[٣] أغضبت الأساقفة ـ وخاصة أساقفة مدرسة الإسكندرية "الذين كانوا ينزعون منزعا ظاهرا إلى إبراز اللاهوت فى المسيح"[٤]، فهم الذين قرروا ألوهية المسيح والروح القدس سابقاً، فلا يمكن أن تضيع مجهوداتهم سدى، لذلك انبرى أسقف الإسكندرية (كيرلس)[٥] ليرد على تعاليم (نسطور) فقال: "إن لسيدنا يسوع المسيح أقنوما واحدا إلهيا اتحد بالطبيعة الإنسانية اتحادا تاما بلا اختلاط ولا امتزاج ولا استحالة، فالعذراء والحالة هذه هى والدة الإله "[٦]

---

(١) تاريخ الكنيسة القبطية ص ٢٥٧.

(٢) ا.ل. بتشر: تاريخ الأمة القبطية (٢ / ٢٨)

(٣) وأحب أن أنبه إلى أمر مهم وهو: أن الأساقفة حين حاربوا تعاليم نسطور وعقدوا المجامع من أجلها كانوا يبحثونها من ناحية رأيه فى اتصال المسيح الإنسان باللاهوت وما يترتب على ذلك من تسمية مريم بـ (أم الإنسان) وذلك حفاظاً على عقيدة ألوهية المسيح التى كانت قد قررت فى مجمع نيقية.

(٤) فلسفة الفكر الدينى بين الإسلام والمسيحية (٢ / ٢٩٩) راجع أيضا: تاريخ الفكر الدينى المسيحى ما بين الإسكندرية وروما وبيزنطة ص ١٠.

(٥) عن هذا القديس راجع الكتاب الصادر عن كنيسة مار جرجس عن هذا القديس والتى سمته باسمه (القديس كيرلس الكبير عمود الدين).

(٦) تاريخ الأقباط (١ / ١٦٠).

وقال كيرلس أيضا: "إن مريم لم تلد إنسانا عاديا، بل ابن الله المتجسد لذلك هى حقا أم الله "[١].

وكتب إلى نسطور يقول له: " لو لم تكن أسقفا ما اهتم بك أحد، ولكنك على كرسى ابن الله، فهل يليق بك أن تستغل مركزك هذا فى التهجم عليه بذلك التجديف الذى تعجز عن إثباته؟ كيف هداك البحث إلى أن المسيح إنسان؟ ومن أى المراجع استخرجت هذه البدعة؟ أمن العهد القديم أم الجديد؟.. ومن الذى حمل خطايا العالم؟ أليس هو المسيح بن مريم الكلمة المتجسد؟ إن كنت معتقدا أنه نبى كموسى فهل حمل موسى أو غيره من الأنبياء خطايا العالم كما حملها السيد؟ لقد اعترف الجميع بألوهيته[٢]، فكيف تنكرها أنت؟ "[٣].

ولكن هذه الرسالة لم تقنع نسطور فلم يرجع عن رأيه، ولذلك مارس المسيحيون هوايتهم فى عقد المجامع من أجل محاربة التعاليم المخالفة لهم وتحريمها وتحريم أصحابها من الكنيسة، وإصدار قرارات اللعن والطرد ضدهم.

كانت الوسيلة عندهم ـ فى تلك الفترة ـ عقد المجامع عندما يعجزون عن مواجهة المخالف لهم وإقناعه بالحجة، ورد آرائه بالبراهين المقنعة، فقد عقد (كيرلس) مجمعا بالإسكندرية قرر حرم (نسطور) وحرم بدعته، كما وضع المجمع اثنى عشر تحريما تتضمن تكفير نسطور وتحريمه وتحريم آرائه، كما عقد أسقف رومية مجمعا حكم فيه على نسطور بالهرطقة[٤].

ولكن هذه المجامع المحلية لم تسفر عن شئ فلم تسكت "نسطور" ولم تمنع آراءه من الانتشار والذيوع، ولذلك كتب البابا "كيرلس" إلى الإمبراطور يطلب منه عقد

---

(١) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٢) إن هذا القول غير مطابق للواقع فقد أنكر ألوهية المسيح كثيرون، فقد أنكرها آريوس وكان له أتباع كثيرون فى جميع الأقطار المسيحية.

(٣) نفسه، نفس الصفحة.

(٤) عن هذين المجمعين والتحريمات التى أصدرها المجمع الذى عقد بالإسكندرية. راجع: تاريخ الكنيسة القبطية ص ٢١٧ وما بعدها.

مجمع عام للنظر فى أمر نسطور وتعاليمه[١]، فأجابه الإمبراطور إلى طلبه ودعا الأساقفة للحضور فى أفسس، وعقد مجمع مسكونى يتناول بحث تعاليم نسطور وتابعيه.

اجتماع الأساقفة فى أفسس ـ والحكم على نسطور:

وقد حضر إلى مكان الاجتماع مائتا أسقف من أساقفة الكنيسة، وكان على رأس الحاضرين (كيرلس) بابا الإسكندرية الذى صحب معه خمسين أسقفا مصريا[٢]. ولقد اجتمع الحاضرون فى ٧ يونيو سنة ٤٣١م[٣] ورفض نسطور حضور المجمع[٤] لأنه كان يعلم ما سيئول إليه أمر المجمع، وما سيفسر عنه من قرارات، ولذلك لم يجد كبير فائدة فى الحضور فلم يحضر.

ولقد ناقش المجمع تعاليم "نسطور" ثم قرر لعن نسطور وحرمه وتحريم مذهبه من الكنيسة وأرسل له المجمع رسالة بذلك.

كما قرر المجمع أن مريم العذراء (والدة الله) وإن المسيح إله حق وإنسان، معروف بطبيعتين متوحد فى الأقنوم[٥] أى أن فى المسيح أقنوما واحدا بعد الاتحاد بدون اختلاط ولا امتزاج ولا استحالة[٦].

هذا وقد وضع المجمع مقدمة لقانون الإيمان المسيحى، وهى خاصة بتعظيم السيدة مريم بدأت بالقول "نعظمك يا أم النور الحقيقى، ونمجدك أيتها العذراء القديسة والدة الإله... إلى آخره"[٧].

زيادة حدة الاختلاف بين المسيحيين نتيجة لهذا المجمع:

لم يستطع مجمع أفسس أن يضع حدا لتلك الاختلافات والمنازعات القائمة بين المسيحيين، بل بالعكس زاد من حدتها، وبيان ذلك ما يلى:

---

(١) المرجع السابق ص ٢١٩.

(٢) تاريخ الأقباط (١ / ١٧٤).

(٣) فلسفة الفكر الدينى بين الإسلام والمسيحية (٢ / ٣١٣).

(٤) المرجع السابق ، نفس الصفحة.

(٥) التاريخ المجموع على التحقيق (١ / ١٥٧).

(٦) لجنة التاريخ القبطى : تاريخ الأمة القطية (٢ / ١١٦).

(٧) راجع النص كاملا فى : تاريخ الكنيسة القبطية (للقس منسى يوحنا) ص ٢٥٦.

إن "كيرلس" بابا الإسكندرية عجّل بانعقاد المجمع قبل وصول يوحنا أسقف إنطاكية، وقبل وصول مندوبى بابا رومة، فما أن حضر (يوحنا) أسقف إنطاكية وعلم بانعقاد المجمع قبل وصوله، والقرارات التى توصل إليها حتى غضب وعقد مجمعا آخر مكونا من ثلاثة وأربعين أسقفا، حكموا فيه بإدانة "كيرلس" و "ميمون" رئيس أساقفة أفسس مع رفض قرارات مجمع أفسس.

وبعد هذا وصل نواب أسقف روما الذين اجتمعوا أيضا، وأيدوا قرارات مجمع أفسس [١].

وهكذا زاد هذا المجمع الخلاف والشقاق بين المسيحيين، وبسببه انقسمت الكنيسة بعد ذلك ولم تلتئم إلى الآن.

ويتبين لنا من ذلك أن مجمع أفسس ـ الذى يعرف بالمجمع المسكونى الثالث ـ اجتمع قبل حضور جميع الأساقفة، أى أن المجمع لم يكن شاملا لكل أطراف النزاع وذلك لغياب أساقفة إنطاكية ونسطور نفسه "[٢].

هذا إلى جانب أن المجمع زاد من تقطيع أواصر التقارب بين المسيحيين، وزاد من عداوتهم بعضهم لبعض ـ فلم يستطع المجمع أن يضع حدا للاختلاف حول طبيعة المسيح، وهذا يدل على أن العقيدة خرجت من أيديهم بتقريرهم للاهوت المسيح والروح القدس ـ فأصبحت عقيدة معقدة، صعبة الفهم والإدراك، مليئة بطلاسم من الألفاظ والمصطلحات اللاهوتية العقيمة، ولذلك كلما حاولوا حل بعض مشاكلها زادوها تعقيدا وصعوبة.

وفى هذا المجمع أيضا: أثبتت كنيسة الإسكندرية أنها رائدة الفكر التثليثى ـ أو عقيدة التثليث ـ الذى تقرر فى المسيحية بمجهوداتهم فى المجامع، واتصالاتهم بالأباطرة والسلاطين... فلقد تبنت القول بألوهية المسيح، ثم القول بألوهية الروح

---

(١) لبيان هذا راجع (الأنبا غريغوريوس: تاريخ الفكر الدينى المسيحى ما بين الإسكندرية وروما ص ٢٤، تاريخ الكنيسة القبطية ص ٢٢١ ـ ٢٢٢).

(٢) د/ رؤوف شلبى: أضواء على المسيحية ص ١٠٤.

القدس، وبذلت جهدا كبيرا فى إقناع الأباطرة وبعض الأساقفة لتقرير هذه العقائد، وفرضها على الناس بقوة السلطان، وأفلحت فى إصدار قرارات التحريم واللعنة على من يخالف هذه العقائد.

وفى هذا المجمع جاءت كنيسة الإسكندرية لتثبت وجودها، ولتؤكد من جديد حرصها على بقاء عقيدة ألوهية المسيح من غير أن يمسها أو ينال منها أحد، لذلك جاء أسقفها إلى هذا المجمع وقد وضع الحل المناسب ـ فى نظر كنيسته ـ للمشاكل التى نجمت عن تقرير ألوهية المسيح، ألا وهى المشاكل حول طبيعة المسيح، فقررت أن المسيح إله حق وإنسان، بطبيعتين، متوحد فى الأقنوم بدون امتزاج ولا اختلاط.

وقد جاء هذا الحل ليزيد من إسباغ صفات اللاهوت على شخص المسيح، وليضع المسيحية فى حالة من التعقيد العقائدى غير المفهوم.

وهكذا نرى أن كنيسة الإسكندرية وأساقفتها وقفوا بالمرصاد ـ بكل ثقلهم ـ لكل صوت ينادى بالتوحيد، أو يقترب رأيه من رأى الموحدين، فلقد حاربوا أريوس ،وماكدونيوس، وهنا حاربوا نسطور بشدة، وذلك لأنهم فهموا أن معتقد نسطور ربما يؤدى فى النهاية إلى إنكار ألوهية المسيح، وفهموا منه أنه "صورة جديدة للآريوسية"[١]، فلقد أنكر وجود الاتحاد بين اللاهوت والناسوت فى شخص المسيح، وهذا يؤدى إلى جعل المسيح مجرد إنسان صحبته النعمة أو العناية الإلهية، ولكن كنيسة الإسكندرية المثلثة وقفت فى وجهه لتخنق من جديد صوت التوحيد فى المسيحية، كما خنقته من قبل فى المجامع الأولى.

وبرغم كل هذا فإنه يمكن القول إن مجمع أفسس لم يستطع أن يضع حدا لتلك المنازعات القائمة بين المسيحيين بشأن طبيعة المسيح.

---

(١) قصة الكنيسة القبطية الكتاب الأول ص ٣٩٣.

المجمع الرابع

والمجمع الرابع فى نظر الأقباط المصريين هو مجمع أفسس الثانى الذى عقد سنة ٤٤٩م .. ولكن الكنائس الأخرى لا تعترف بهذا المجمع وتسميه "مجمع اللصوص" ولذلك عقدت مجمعا آخر فى خلقيدونية سنة ٤٥١م للرد عليه، ولتقرير القول حول طبيعة المسيح، وهذا المجمع هو المجمع المسكونى الرابع فى نظرهم.

ولذلك سنتكلم أولا عن مجمع أفسس الثانى، ثم نعقبه بالكلام على مجمع خلقيدونية الذى عقد فى عام ٤٥١م.

(١) مجمع أفسس الثانى سنة ٤٤٩م:

سبب انعقاد هذا المجمع

لم يحسم مجمع أفسس الأول الخلاف فى عقيدة اجتماع اللاهوت والناسوت فى المسيح، بل زاد من الاختلافات حول هذه العقيدة، وكان من نتائج هذا الخلاف هو ظهور مذهب (أوطاخى) الذى كان رئيسا لدير بالقرب من القسطنطينية، وكان من ألد أعداء نسطور[١].

ولقد تمسك "أوطاخى" بعبارة القديس "كيرلس" الإسكندرى (طبيعة واحدة بعد الاتحاد) وقال فى تفسيرها: معنى الطبيعة الواحدة عنده بأن اللاهوت قد امتص الناسوت وتمثله وابتلعه، والناسوت قد تلاشى فى اللاهوت وتحول إلى جوهره، وكأنه نقطة من الخل ابتلعها البحر أو المحيط، ولذلك فإن "أوطاخى" ينكر أن يكون جسد المسيح مطابعا لأجسادنا أو من طبيعتها، فهو عنده جسد إلهى، وإذا كان قد ظهر للناس أن المسيح جسد إنسان لكنه لم يكن جسداً إنسانياً"[٢].

وعقب تصريح "أوطاخى" بهذه الآراء عقدت كنيسة القسطنطينية مجمعاً محلياً برئاسة فلافيانوس بطريرك القسطنطينية وأثير فيه آراء وتعاليم "أوطاخى" واستدعى

---

(١) تاريخ الأقباط (١ / ١٦٢)

(٢) الأنبا غريغوريوس: تاريخ الفكر الدينى المسيحى ما بين الإسكندرية وروما ص ٣٠.

المجمع "أوطاخى" أكثر من مرة، فرفض المرة تلو المرة، ولكنه أخيراً حضر، وسئل: هل تعترف بأن المسيح مساو للآب فى جوهر اللاهوت ومساو لأمه فى جوهر الناسوت؟ فأجاب: إن المسيح من طبيعتين قبل الاتحاد، وإنه طبيعة واحدة بعد الاتحاد، وهنا حكم عليه المجمع بتجريده وحرمانه من الكنيسة[١].

ولكن "أوطاخى" لم يعجبه حكم المجمع، فكتب إلى البابا فى روما بتظلم، وبعد ذلك كتب بابا روما (ليون الكبير) إلى بطريرك القسطنطينية يستوضحه عما جرى، فأرسل إليه فلافيانوس ـ بطريرك القسطنطينية ـ نص أعمال المجمع الذى حكم فيه على "أوطاخى"، فعقد البابا مجمعاً فى روما، وفحص الأوراق التى أرسلها إليه بطريرك القسطنطينية، فوافق عليها، وأعلن ذلك للإمبراطور[٢].

وهنا تدخلت كنيسة الإسكندرية ـ التى كانت تشجع أى فكر يزيد من لاهوت المسيح ـ وعلى رأسها بطريركها فى تلك الفترة "ديسقورس" الذى عقد مجمعاً محلياً أيضاً، وحلّ "أوطاخى" من القطع من الكنيسة، وطلب من الإمبراطور عقد مجمع مسكونى، فاستجاب الإمبراطور لطلبه فأرسل ثيودوسيوس الثانى يأمر بعقد مجمع عام فى أفسس، وعهد إلى بابا الإسكندرية برئاسة هذا المجمع[٣].

انعقاد مجمع أفسس فى أغسطس سنة ٤٤٩ م والقرارات التى انتهى إليها:

واجتمع فى أفسس ما يقرب من مائة وخمسة وثلاثين أسقفا.. وبدأ المجمع أعماله برئاسة (ديسقورس) بطريرك الإسكندرية فتليت رسالة الإمبراطور، ثم طلب وفد روما أن تتلى رسالة البابا إلى فلافيانوس بطريرك القسطنطينية فرفض ديسقورس، واشتد الجدل والنزاع مما جعل بعض الأساقفة يفرون ومنهم نواب البابا[٤].

يقول زكى شنودة: "وقد ناقش المجمع "أوطاخى" فاعترف بتمسكه بقانون الإيمان النيقاوى، فحكم المجمع ببراءته، كما ناقش المجمع " فلافيانوس" الذى اتهم بأنه من أتباع " نسطور " ثم حكم بعزلة من وظيفته "[٥].

---

(١) المرجع السابق ص ٣١.

(٢) د/ أسد رستم: الروم (١ / ١٢٦).

(٣) المرجع السابق نفس الصفحة، راجع أيضاً: تاريخ الفكر الدينى المسيحى ما بين الإسكندرية وروما ص ٣.

(٤) د/ أسد رستم: الروم (١ / ١٢٦، ١٢٧).

(٥) تاريخ الأقباط (١ / ١٧٦).

"وأكد هذا المجمع على القول بالطبيعة الواحدة بعد التجسد، لذلك جاء فى قراراته: كل من يقول بطبيعتين بعد التجسد فليكن محروماً "[١].

وهكذا تم فى هذا المجمع لعن وحرمان كل من يقول بالطبيعتين بعد التجسد، وكان من الذين شملهم قرار الحرمان واللعن بطريرك القسطنطينية.

ويتبين لنا هنا مرة أخرى مدى حرص كنيسة الإسكندرية على تأكيد ألوهية المسيح، فلقد عمل بطريرك الإسكندرية "ديسقورس" على التأكيد على ألوهية المسيح بأن ركز على القول بالطبيعة الواحدة.

لذلك يقول د/ إسحاق عبيد: "لقد تجاوز السكندريون الحدود، ذلك أنهم عقدوا مجمعاً آخر فى أفسس سنة ٤٤٩ م لتأكيد ألوهية المسيح، ولقد أدى حرص أتباع (كيرلس) على تأكيد هذا المعنى، إلى أن جاءت براهينهم لتهدد ناسوت المسيح، فبدا وكأن لاهوته قد استوعب ناسوته"[٢]..

وهذا المجمع لا تعترف به الكنيسة اليونانية ولا كنيسة روما[٣].

(٢) مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١م:

لم يحسم مجمع أفسس الثانى الخلاف بين المسيحيين بل زاده اشتعالاً، فالعقيدة التى ناقشها والتى كانت محل النزاع - وهى طبيعة المسيح - هى السبب فى انفصال الكنيسة القبطية المصرية عن الكنيسة الغربية إلى الآن.

ولقد أثارت قرارات مجمع أفسس الثانى أساقفة روما والقسطنطينية ضد ديسقورس بطريرك الإسكندرية[٤]، وضد المجمع نفسه، حتى لقد عرف هذا المجمع فيما بعد بين الكنائس الغربية باسم "مجمع اللصوص"[٥].

---

(١) تاريخ الكنيسة القبطية ص ٢٢٩.،

(٢) د/ إسحاق عبيد: الإمبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية ص ٨٨.

(٣) لجنة التاريخ القبطى: تاريخ الأمة القبطية ج ٢ ص ١١٧.

(٤) تاريخ الفكر الدينى المسيحى ما بين الإسكندرية وروما ص ٣٢.

(٥) نشأة الطوائف المسيحية ص ٤٩، ولقد قيل إنه سمى بهذا بسبب الإجراءات التى حدثت فيه، فلقد قيل إنه حين اشتد الجدل بين الحاضرين فرّ بعض الأساقفة ومنهم نواب البابا، واستولى الرعب على الباقين حتى وقعوا على بياض (د/ أسد رستم: الروم (١ / ١٢٦).

سبب انعقاد هذا المجمع:

لقد شن بابا روما الحرب ضد مجمع أفسس الثانى وقراراته، وكان يأمل فى انعقاد مجمع يلغى به قرارات هذا المجمع، ولكنه لم يستطع أن يفعل ذلك فى عهد الإمبراطور "ثيودوسيوس الثانى"، وبعد موت هذا الإمبراطور عام ٤٥٠م خلفه على العرش الإمبراطور "مرقيان" الذى كانت زوجته "بولكيرا" تميل إلى القول بالطبيعتين، فانتهز بابا روما (ليون الكبير) هذه الفرصة، وكتب إلى الإمبراطور يطلب منه الدعوة بعقد مجمع مسكونى، واستجاب الإمبراطور (مرقيان) إلى رغبة (ليون) بابا روما، ودعا إلى عقد مجمع مسكونى يأمل منه تقرير إيمان واحد فى كل أنحاء الإمبراطورية [١].

انعقاد المجمع فى نيقية أولاً ثم نقله إلى خلقيدونية:

لقد اجتمع الأساقفة فى نيقية تلبية لدعوة الإمبراطور "مرقيان" لحضور المجمع المسكونى، ولكن نظراً لحدة الخلاف [٢] - ومرض بعض الأساقفة واضطرارهم للمعالجة.. هذا إلى جانب أن الإمبراطور "مرقيان" نفسه لم يستطع أن يبارح العاصمة "بيزنطة" - أمر الإمبراطور بنقل المجمع إلى خلقيدونية فى جوار من بيزنطة ليشرف بنفسه على سير الأحداث [٣].

وعقد المجمع جلسته الأولى فى الثامن من أكتوبر سنة ٤٥١م فى خلقيدونية، وقد اشترك فى أعماله ستمائة وثلاثون أسقفاً بينهم نواب روما - أسقفان وقسان - وبطريرك القسطنطينية وبطريرك الإسكندرية "ديسقورس" وغيرهم كثير... ووضع الإنجيل فى منتصف حلقة المجمع، وتصدرها وجهاء الدولة وأعيانها، وفى هذه الجلسة الأولى أقر المجمع أن كل ما جرى فى أفسس سنة ٤٤٩م إنما كان جبراً وظلماً، وأن "ديسقورس" بطريرك الإسكندرية ومن ذهب مذهبه مستحق القطع [٤].

---

(١) تاريخ الفكر الدينى المسيحى ما بين الإسكندرية وروما ص ٣٣.
(٢) المرجع السابق نفس الصفحة.
(٣) د/ أسد رستم: الروم (١ / ١٢٧).
(٤) المرجع السابق نفس الصفحة.

ولقد شهدت هذه الجلسة اختلافاً كبيراً بين المسيحيين حتى وصفت بأنها كانت صاخبة وعنيفة، وكانت العبارات البذئية تقذف خلالها هنا وهناك(١).

فلقد حدث ضجيج وصخب ومنازعات فى أثناء هذه الجلسة مما جعل مندوبى الحكومة يصيحون فيهم قائلين بلسان أحدهم: إنه لا يجدر بالأساقفة وأئمة الدين أن يأتوا بمثل هذه الأعمال الشائنة من صياح وصراخ وسب وقذف وضرب ولَكْم، بل يجب عليهم أن يكونوا قدوة للشعب فى الهدوء وتسيير الأمور على محور الحكمة والسداد، ولذلك نرجوكم أن تستعملوا البرهان بدل المهاترة، والدليل عوضا عن القول الهراء "(٢).

وقد بالغت الكنيسة القبطية فى وصف الأضرار التى وقعت على ديسقورس بطريرك الإسكندرية، حيث أوردت أن زوجة الإمبراطور "بولكيرا" حنقت من أقوال "ديسقورس" فلكمته، فانقلع له ضرسان، ثم أمرت بنتف أكثر لحيته"(٣) إلى غير ذلك من الروايات التى لا تخلو من المبالغة.

وفى الجلسة الثانية تليت رسالة "كيرلس" البطريرك الإسكندرى إلى "نسطوريوس" ورسالة البابا إلى "فلافيانوس" بطريرك القسطنطينية.

وفى الجلسة الثالثة قرأ رئيس وفد روما نص الحرم الذى كان قد أصدره البابا ضد "ديسقورس" فوافق عليه المجمع.

وفى الجلستين الرابعة والخامسة دار البحث حول العقيدة، وبعد جدال طويل وافق المجمع على النص التالى: "إننا نعلم جميعا تعليما واحدا، تابعين الآباء القديسين، ونعترف بابن واحد هو هو نفسه ربنا يسوع المسيح، وهو نفسه كامل بحسب الناسوت، إله حقيقى وإنسان حقيقى، وهو نفسه من نفس واحدة وجسد مساو للآب فى جوهر اللاهوت، وهو نفسه مساو لنا فى جوهر الناسوت، مماثل لنا

---

(١) د/ مراد كامل: تاريخ الأدب السريانى ص ٩٧

(٢) محاضرات فى النصرانية ص ١٦٥.

(٣) كتاب السنكسار (١ / ١٧) ، تاريخ الكنيسة القبطية ص ٢٣٦.

فى كل شىء ما عدا الخطيئة، مولود من الآب قبل الدهور بحسب اللاهوت، وهو نفسه فى آخر الأيام مولود من مريم العذراء والدة الإله بحسب الناسوت، لأجلنا ولأجل خلاصنا، ومعروف هو نفسه مسيحاً، وابناً، ورباً، ووحيداً، واحداً بطبيعتين بلا اختلاط ولا تغيير ولا انقسام ولا انفصال من غير أن ينفى فرق الطبائع بحسب الاتحاد، بل إن خاصة كل واحدة من الطبيعتين ما زالت محفوظة تؤلفان كلتاهما شخصاً واحداً وإقنوماً واحداً لا مقسوماً ولا مجزوءاً إلى شخصين، بل هو ابن ووحيد واحد هو نفسه الله الكلمة الرب يسوع المسيح، كما تنبأ عنه الأنبياء منذ البدء، وكما علمنا الرب يسوع نفسه وكما سلمنا دستور الآباء "[١].

ويلاحظ فى هذا النص أن المجمع انتهى فى قراراته إلى القول بالطبيعتين فى المسيح، وهاتان الطبيعتان تؤلفان أقنوماً واحداً وشخصاً واحداً، ومريم على ذلك والدة الإله بحسب الناسوت.

وقرر المجمع أيضاً حرمان ولعن كل من: نسطور، وديسقورس، ومن يقول بمقالتهما، ولعنوا وأبطلوا قرارات مجمع أفسس الثانى سنة ٤٤٩م، ونفى ديسقورس إلى فلسطين[٢].

وحين علم المسيحيون المصريون بقرارات هذا المجمع أصروا على عدم الاعتراف بهذا المجمع، ومقاطعته، ومقاطعة الكنائس التى وافقت على هذا المجمع.

فهذا المجمع لا تعترف الكنيسة المصرية به[٣]، ولذلك يُحدد عام ٤٥١م بأنه عام انفصال الكنيسة المصرية عن الكنائس الأخرى.

وبعد هذا نبذ المصريون كل ما هو يونانى ولاتينى، وانطوت الكنيسة المصرية على نفسها واستخدمت اللغة الوطنية وهى اللغة القبطية فى قداستها علامة على سخطها،. وتسمت بالكنيسة القبطية الأرثوذكسية[٤] وتبنت القول بالطبيعة الواحدة فى المسيح من طبيعتين.

---

(١) د/ رستم: الروم (١ / ١٢٧ ـ ١٢٨).

(٢) راجع التاريخ المجموع على التحقيق (١ / ١٨٢)

(٣) لجنة التاريخ القبطى: تاريخ الأمة القبطية (٢ / ١١٨)

(٤) د/ إسحاق عبيد: الإمبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية ص ٩١.

وهكذا نرى أن هذا المجمع تسبب فى الانشقاق المزمن بين المسيحيين، فهو أساس اختلاف الكنائس إلى اليوم، وهو أساس انفصال الكنيسة المصرية عن الكنائس الأخرى، ولا زال هذا الانفصال سارياً.

مجامع أخرى:

وبعد المجامع الأربعة عقدت ثلاث مجامع مسكونية أخرى لم تمثل فيها الكنيسة القبطية الأرثوذكسية وهى:

المجمع الخامس: الذى عقد فى القسطنطينية سنة ٥٥٣م للرد على القائلين بتناسخ الأرواح وأنه ليس هناك قيامة [١].

والمجمع السادس: الذى عقد بالقسطنطينية أيضاً سنة ٦٨٠م وحكم بالكفر على القائلين بالمشيئة الواحدة ولعنهم وطردهم من الكنيسة[٢].

والمجمع السابع: الذى عقد أولاً بالقسطنطينية سنة ٨٨٦م وأتم جلساته فى نيقية سنة ٧٨٧م لمناقشة عبادة الصور والأيقونات [٣]

وبعد ذلك - **وفى المجمع الثامن** - انفصلت الكنيسة الشرقية عن الكنيسة الغربية بسبب الاعتقاد فى انبثاق الروح القدس.. فقد اعتقدت الكنيسة الشرقية بانبثاق الروح القدس من الآب فقط.

بينما اعتقدت الكنيسة الغربية بانبثاق الروح القدس من الآب والابن معاً [٤]، وبسبب هذا الخلاف نجد أن المجمع الثامن يطلق على مجمعين:

المجمع الأول: ويسمى المجمع الغربى اللاتينى، وعقد فى القسطنطينية سنة ٨٦٩م وفى هذا المجمع تقرر انبثاق الروح القدس من الآب والابن معاً.

---

(١) راجع التاريخ المجموع على التحقيق (١ / ٢٠٥).

(٢) راجع فلسفة الفكر الدينى بين الإسلام والمسيحية (٢ / ٢٧٦).

(٣) الإمبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية ص ٩٤.

(٤) عن هذا الخلاف حول انبثاق الروح القدس (راجع: د/ إسحاق عبيد: روما وبيزنطة ص ١٢ - ١٨)

والمجمع الثانى: يطلق عليه المجمع الشرقى اليونانى، وعقد أيضاً فى القسطنطينية سنة ٨٧٩م وتقرر فى هذا المجمع انبثاق الروح القدس من الآب فقط [١]... وبسبب هذا الخلاف انفصلت الكنيسة الشرقية عن الكنيسة الغربية انفصالاً نهائياً ولم تلتئم إلى الآن.



ولقد اقتصرنا على تفصيل المجامع الأربعة الأولى، لأنها هى المجامع التى قررت العقيدة المسيحية الحاضرة التى يؤمن بها جميع المسيحيين على اختلاف طوائفهم عدا ما جاء فى المجمع الرابع، فإن الكنيسة المصرية لم تعترف بما جاء به، وهذا يعنى أن المجامع الثلاثة الأولى هى مجامع معترف بها فى جميع الكنائس المسيحية.

أما المجامع الأخرى فقد اختلف المسيحيون حول ما جاء بها، ولذلك سردناها بإيجاز شديد... وهكذا يتضح لنا أن المجامع الأربعة الأولى حددت قوانين الإيمان المسيحى.

فالمجمع الأول: قرر ألوهية المسيح.

والمجمع الثانى: قرر ألوهية الروح القدس.

والمجمع الثالث: حدد كيفية التجسد، حيث قرر أن المسيح اجتمع فيه الإنسان والإله لا الإنسان فقط، وأن مريم والدة الإله.

والرابع فى نظر المصريين "قرر أن المسيح ذو طبيعة واحدة من طبيعتين، "أما المجمع المسكونى الرابع فى نظر الكنائس الأخرى فقد قرر" أن المسيح ذو طبيعتين منفصلتين لا طبيعة واحدة وهذه هى أهم العقائد المسيحية.

---

(١) لزيادة المعلومات عن هذين المجمعين: راجع المجامع المسيحية وأثرها فى مذاهب الكنيسة (رسالة دكتوراة) ص ٣٠٣.

أثر المجامع فى المسيحية

أولاً: إن هذه المجامع لم يؤسسها المسيح ولم يدع إليها ولم يأمر بها، ولم يشر إليها لا بالتلميح ولا بالتصريح، وإنما ابتدعت بعده، وذلك من أجل أن تحكم وتشرع وتقرر شرائع وعقائد ما أنزل الله بها من سلطان على رسوله عيسى بن مريم، لذلك كان أول مجمع ابتدع ـ وكان لبولس يد فى اجتماعه وفى القرارات التى توصل إليها ـ كانت قراراته مخالفة للشريعة التى جاء بها المسيح عليه السلام، ذلك أنه نقض شريعة موسى عليه السلام، تلك التى صرح المسيح بأنه ما جاء ناقضاً لها بل مكملاً.

وإذا نظرنا إلى المجمع المسكونى الأول نجد أيضاً أن الذى ابتدعه إنما هو قسطنطين الوثنى، وهذا يعنى أن المجامع سواء كانت العامة ـ المسكونية ـ أو الخاصة ـ إنما ابتدعت على يد من لم ير المسيح، ومن لم يتتلمذ على يديه، وإنما كان بولس فى البداية من أشهر وأشد المضطهدين والمناوئين لرجال المسيح عليه السلام، ولما لم يستطع أن يقضى عليهم اخترع قصة رؤيا المسيح فى الطريق حتى يتسنى له الدخول فى هذه الديانة ويدخل فيها ما ليس منها.

أما قسطنطين فإنه حين دعا إلى المجمع المسكونى وترأسه وحكم فيه كان لازال وثنياً، حيث إنه لم يعمد إلا على فراش الموت، وقسطنطين هذا كان معروفاً بأنه صاحب فكر تأليفى ـ كان يؤلف ويمزج بين ديانات الإمبراطورية حتى يستطيع أن يرضى جميع أصحاب الديانات، وكان يأمل فى وحدة الإمبراطورية وعدم المنازعات والانقسامات حتى يستطيع إحكام السيطرة على الإمبراطورية.

وعليه فإن المجامع من ابتداع من ليسوا من أصحاب المسيح ولا حوارييه، وإنما من اختراع من كان مناوئا للمسيحية ومن كان وثنياً.

ثانياً: إن رسل الله عليهم الصلاة والسلام يأتون الناس بعقائد وشرائع واضحة سهلة، يبلغونها للناس ويوضحونها لهم، ولا يتركون أصول العقائد والشرائع

لشطط العقول، ولا لاختلاف الناس حولها، كل واحد منهم يدلى بدلوه فيها ويشرح رأيه حولها.

إن أصول العقائد والشرائع فى الدين السماوى من الله سبحانه وتعالى لا من تأليف وتقرير مجمع أو غيره، وهذا يعنى أن المسيحية حين تناست أصول عقائدها وشرائعها الصحيحة رأت أن توجد بدعة المجامع لتقرر لها البديل فى العقائد والشرائع وهذا يسلمنا إلى النقطة التالية.

ثالثاً: إن المجامع فرضت سيطرتها على عقول المسيحيين حين قررت أن التعاليم المسيحية من عقائد وشرائع ونظم وعبادات لا يتلقاها الناس من الكتب المسيحية بل لابد من تلقيها من المجامع المؤلفة من الأساقفة بتدبير ودعوة الأباطرة.

يقول الشيخ أبو زهرة: "إن المجمع فرض نفسه حكومة وجماعة كهنوتية تلقى على الناس أوامر الدين وعليهم أن يطيعوا راغبين أو كارهين، وقرر أن تعاليم الدين لا يتلقونها من كتب المسيحية رأساً، بل لابد من تلقيها من أفواه أولئك العلماء ورجال والكهنوت وأن أقوالهم فى ذاتها حجة سواء أخالفت النصوص أم وافقت وسواء أكانت الصواب أم جافت الحق"(١).

وهذا يعنى أن تقرير العقائد والشرائع فى المسيحية وقع تحت سيطرة رجال الكنهوت المسيطرين على هذه المجامع.

رابعاً: إن المجامع المسكونية نسبت إلى نفسها العصمة من الوقوع فى الخطأ متعللين بأن الروح القدس يحل عليهم فى اجتماعاتهم...

ففى كتاب "مجموعة الشرع الكنسى" جاء ما يلى: "إن المجامع المسكونية تنسب إلى ذاتها الحصانة من الخطأ فى تعاليمها فى العقائد والآداب، اعتماداً على الوعد بحلول الروح القدس على المجتمعين وإلهامه لهم"(٢)..

ومع ذلك فقد أخطأت المجامع، وإليك بعض الأمثلة:

---

(١) محاضرات فى النصرانية ص ١٥٢ ـ ١٥٣.

(٢) مجموعة الشرع الكنسى ص ١٠.

إن مجمع نيقية وضع قانوناً للإيمان، ولكن المجامع التى تلته رأت أن هذا القانون ناقص فأضافت إليه ما ليس منه، وهذا يعنى أن المجمع لو كان معصوماً من الخطأ لوضع قانون الإيمان كاملاً بلا نقصان، ولم يكن الأمر فى تخطئته محصوراً فى اتهامه بالنقص، بل إن الأمر يعدو ذلك ليصبح وقوعه فى الخطأ راجعاً إلى إثبات ما يجب نفيه وذلك أنه أى مجمع نيقية حرم قراءة بعض الكتب المسيحية ثم جاءت المجامع بعد ذلك وخطأت هذا التحريم واعترفت بصحة هذه الكتب المحرمة...

هذا إلى جانب أن المذاهب والطوائف المسيحية لا تعترف بكل المجامع المسكونية كما هو الحال بالنسبة لمجمع خلقيدونية.

كل هذا دليل على أن دعوى عصمة هذه المجامع غير صحيحة فضلاً عن كونها دعوى بغير دليل.

خامساً: إن هذه المجامع هى التى قررت العقائد والشرائع والعبادات، وكل ما يعتقده المسيحيون الآن، حتى العقائد والشرائع المختلف عليها بين المسيحيين، وهذه المجامع بدأت فى القرن الرابع الميلادى وبالتحديد فى عام ٣٢٥م، وهذا يعنى أنه قبل هذا العام لم يكن مقرراً شئ من هذه العقائد، وإلا لما احتاجوا إلى عقد المجامع لتقريرها، وهذا يدل على وجود الفجوة بين تعاليم المسيح عليه السلام وتعاليم هذه المجامع.

يقول ابن تيمية: "فالنصارى تضع لهم عقائدهم وشرائعهم أكابرهم بعد المسيح، كما وضع لهم الثلاثمائة والثمانية عشر الذين كانوا فى مجمع نيقية الأمانة التى اتفقوا عليها، ولعنوا من خالفها من الأريوسية وغيرهم، وفيها أمور لم ينزل الله بها كتاباً، بل تخالف ما أنزل الله من الكتب مع مخالفتها العقل الصريح"[1].

سادساً: إن العقائد التى قررتها المجامع لم تعلن للناس دفعة واحدة، بل قررت فى مجامع مختلفة وأزمنة مختلفة، فالتثليث لم تقرره المجامع مرة واحدة

---

(١) ابن تيمية: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١ / ١١٥)

وفى مجمع واحد، وعقيدة التجسد لم تقرر فى مجمع واحد، وقانون الإيمان لم يكتمل فى مجمع واحد وعام واحد، وهذا يدل على أمرين:

الأمر الأول: أن أصول الديانة كانت ناقصة، وكان كل مجمع يكمل فيها شيئا ، وهذا يدل على وضعية هذه الديانة.

الأمر الثانى: بشرية العقول التى وضعت والتى من شأنها عدم العصمة من الخطأ.

وكل هذا يدل على التحريف فى ديانة المسيح عليه السلام وأثر المجامع فى هذا التحريف.

سابعاً: إن هذه المجامع هى التى قضت على عقيدة التوحيد فى المسيحية، فلقد حرم المجمع الأول أريوس بالرغم من أن الأغلبية كانت معه، وقرر المجمع الثانى ألوهية الروح القدس، والمجمع الثالث قرر عقيدة التجسد المسيحية.

يقول د/ بركات دويدار: كان من الواجب على المسيحيين أن يرجعوا إلى نصوص الوحدانية فى الكتاب المقدس ويرفضوا كل عقيدة ضد التوحيد، ولكن الأمر سار على غير هذا ، فعقدت المجامع، وفى كل مجمع كان يخنق صوت التوحيد ليرفع صوت الشرك والتثليث"[١].

ثامناً: إن هذه المجامع هى التى ساعدت على تأصيل الوثنية فى المسيحية وجعلها هى أساس الديانة ومضمونها، ويتبين ذلك من القرارات والقوانين التى توصلت إليها المجامع، فالعقائد التى توصلت إليها إنما هى مستقاة من الفكر الوثنى.

يقول هـ. روز: "وخرجوا بعد بضعة قرون من التأمل بلا هوت العقيدة النيقاوية... أما اللاهوت الناتج فكان يونانياً فى قالبه، يونانياً كذلك فى الجزء الأكبر من مضمونه "[٢].

---

(١) د/ بركات دويدار: الحركة الفكرية ضد الإسلام ص ٢١٧.

(٢) هـ. روز : الديانة اليونانية ص ١٧٧.

ويقول شارل جنيبير: "إذا تأملنا الكنيسة المسيحية فى مقتبل القرن الرابع فإنه يتعذر علينا أن نجد صورة من صور مجتمع الحواريين "[١].

ثم يقول: " أنشأت هذه الكنيسة مجموعة عقائدية جديدة بالغة التعقيد، اعتمدت فى صلبها على شخصية المسيح التى نمت من حولها النظريات حتى تم توحيدها بالله، واستقت عناصرها من التأملات الخاصة المتغالية فى تفسير معطيات الإيمان الأولى، ثم من المذاهب الفلسفية والدينية التى وجدتها فى البيئة اليونانية الرومانية، وقد خرجت هذه المجموعة العقائدية على الناس فى صورة ما سمى بـ (دستور الإيمان)"[٢].

ويزيد ـ ول ديورانت ـ ذلك المعنى وضوحاً فيقول: "إن المسيحية لم تقض على الوثنية بل تبنتها ذلك أن العقل اليونانى المتحضر عاد إلى الحياة فى صورة جديدة فى لاهوت الكنيسة وطقوسها، وأصبحت اللغة اليونانية التى ظلت قروناً عديدة صاحبة السلطان على السياسة أداة الآداب والطقوس المسيحية، وانتقلت الطقوس اليونانية الخفية إلى طقوس القداس الخفية الرهيبة، وساعدت عدة مظاهر أخرى من الثقافة اليونانية على إحداث هذه النتيجة المتناقضة الأطراف، فجاءت من مصر آراء الثالوث... ومنها جاءت عبادة أم الطفل... إلى آخره[٣]" وأخذ يعدد العقائد والطقوس ومصادرها، ثم قال فى النهاية:

"وقصارى القول: إن المسيحية كانت آخر شئ عظيم ابتدعه العالم الوثنى القديم"[٤].

وهكذا يتبين لنا دور المجامع التى قررت هذه العقائد وتلك الطقوس، فهى التى تبنت العقائد الوثنية وقررتها حتى أصبحت هى الدين المسيحى المبتدع من الوثنية.

---

(١) المسيحية نشأتها وتطورها ص ١٢٦.

(٢) المرجع السابق ص ١٢٧.

(٣) قصة الحضارة (مج ٣ ج ٣ ص ٢٧٥ ، ٢٧٦).

(٤) المرجع السابق ص ٢٧٦.

تاسعاً: إن العقائد التى نتجت عن المجامع إنما هى عقائد تكونت بطريقة تراكمية من نتاج بشرى، لذلك جاءت عقائد بالغة الصعوبة والتعقيد ومناقضة للعقل ومنافية لبديهيات الأمور - وذلك بخلاف الدين السماوى الذى يتميز بالسهولة والبساطة ووحدة المصدر الإلهى، وعدم التناقض مع العقل - وهذا نتج عن التلقيح الذى أخذته المسيحية من الوثنية القديمة.

عاشرا: من الواضح أنه كان لكنيسة الإسكندرية دور كبير فى تقرير التثليث، وتكميل حلقات الثالوث، والتأكيد على ألوهية المسيح، وألوهية الروح القدس، ويرجع ذلك إلى أن الإسكندرية كانت آنذاك مليئة بالمعتقدات والآراء الفلسفية - وخاصة الأفلاطونية الحديثة - فكانت تعد من أولى المدارس الفلسفية فى ذلك الزمان، ولقد تأثر أساقفة الإسكندرية بهذه المعتقدات وتلك الآراء، فتبنوا عقيدة التثليث وفرضوها على الناس من خلال المجامع المسيحية.

يقول الشيخ أبو زهرة: " إن التثليث الذى اشتملت عليه فلسفة الإسكندرية كان يعلن على ألسنة بطاركتها، وأنهم كانوا يمثلون تلك الفلسفة بآرائهم أكثر من تمثيلهم لمسيحية المسيح عليه السلام... إن ذلك هو مفتاح التاريخ الصحيح "[١].

حادى عشر: لا يمكن لدارس المجامع أن ينسى دور الأباطرة والحكام، فلقد كان لهم دور كبير فى اجتماع المجامع المسكونية وقراراتها.

فمن شروط المجمع المسكونى أن يكون بدعوة الإمبراطور أو الحاكم.

ففى كتاب (مجموعة الشرع الكنسى) جاء ما يلى: "إن المجامع المسكونية دعيت إلى الاجتماع بأمر ومشيئة الملوك والحكام ذوى السلطة المدنية وبدون معرفة البابا"[٢].

ويقول ولز: "وثمة أمر هام جدا علينا أن نسجله وهو الدور الذى لعبه الإمبراطور فى تثبيت المسيحية ،فلم يقتصر الأمر على أن قسطنطين هو الذى دعا لاجتماع مجمع نيقية، بل إن كل المجامع العظيمة جمعتها كلها يد الإمبراطور"[٣].

---

(١) محاضرات فى النصرانية ص ١٥٧.
(٢) مجموعة الشرع الكنسى ص ١١.
(٣) معالم تاريخ الإنسانية (٣ / ٧٢١)

وقد وضع المسيحيون رقابهم تحت سيطرة الأباطرة حين رضوا بالتدخل من أول الأمر - فى زمن قسطنطين - ولم يكذب الأباطرة خبرا، واستغلوا ذلك أحسن الاستغلال لصالحهم ولصالح أهوائهم وسياستهم وإمبراطوريتهم.

فليس شرطا أن تكون الأغلبية فى صالح عقيدة حتى تقرر فى المجامع، وليس شرطا أن تكون العقيدة مقدسة سماوية أو وضعية وثنية حتى تنال قبول المجمع، ولكن الأهم أن تنال العقيدة المقررة قبول الحكام والأباطرة حتى يصدقوا عليها ويعلنوا شرعيتها ووجوب تنفيذها، ولم يكن الأباطرة يعلمون دقائق الديانة المسيحية وعقائدها حتى يقرروا ويحكموا أيها أصح؟، ولكن الحقيقة أنهم كانوا يقررون ما هو قريب لوثنيتهم ولاعتقادهم الوثنى.

ولا شك أن الحكام كانوا يميلون إلى العقائد الوثنية المنتشرة حتى يستطيعوا أن يهيئوا الجو لوحدة الإمبراطورية وعدم انقسامها... وأكبر دليل على هذا هو ما فعله قسطنطين حين شجع القول بألوهية المسيح، وأفرد للفئة القائلة بهذا الاعتقاد مجلسا خاصا بهم، ورغبهم فى تقرير هذه العقيدة وأرهبهم إن لم يقرروا هذا الاعتقاد، وكان هدفه من هذا: أن هذه العقيدة قريبة إلى الاعتقاد الوثنى، فيستطيع الوثنى أن يرى فى المسيحية التى يناصرها الإمبراطور عقيدته التى يدين بها، فيدخل فيها حرصا على الوفاق مع الإمبراطور الحاكم، وهذا الأمر "ساعد على ازدياد صفوف المسيحيين زيادة سريعة، لاسيما أن التحول من الوثنية إلى المسيحية لم يكن انتقالا إلى جو غريب تمام الغرابة، بل بدا الولوج فى المسيحية عملية رفيقة فى كثير من التدرج الشعورى والعاطفى، إذ شابهت طقوس الديانة المسيحية وأسرارها المقدسة ما للديانة القديمة من طقوس وأسرار كما اشتملت تعاليمها على تعاليم الأفلاطونية الحديثة"[1].

ثانى عشر: إن هذه المجامع تسببت فى ازدياد الخلافات المذهبية والطائفية، وإلى انقسام الكنائس، فلقد انشقت الكنيسة المصرية، والكنائس الشرقية عن الكنيسة

(١) فشر: تاريخ أوربا العصور الوسطى ص ٨.

الغربية، حتى أنشأت كل كنيسة مذهبا خاصا بها... فلقد وجدنا أن الكنيسة المصرية انفصلت عن الكنائس كلها بسبب مجمع خلقيدونية، كما أن الكنائس الشرقية انفصلت نهائيا عن الكنيسة الغربية بموجب المجمع الغربى اللاتينى سنة ٨٦٩م [١].

ثالث عشر: أما اتصال دور هذه المجامع بدور بولس فيظهر واضحا، ذلك أن المجامع تبنت أفكار وآراء بولس وزادت عليها، وهذا يعنى أن المجامع المسيحية جاءت لتكمل الحلقة التى بدأها بولس لتغيير وجه الديانة الصحيحة، فإذا كان بولس هو الذى وضع أساس الدين الذى يسمى بالدين المسيحى، فإن المجامع المسيحية هى التى أكملت الحلقة فى تثبيت الوجه الثانى الجديد فى المسيحية [٢] حتى أنك لو نظرت فى فقرات دستور الإيمان تجد أغلبها مقتبسا من رسائل بولس، فمثلا قول دستور الإيمان المسيحى (نؤمن بإله واحد الله الآب ضابط الكل) تجده فى الرسالة الأولى لأهل كورنثوس ٨ : ٦، والرسالة الأولى لأهل غلاطية ١ : ١

وقوله (نؤمن برب واحد يسوع المسيح) تجده فى الرسالة الأولى لأهل كورنثوس ٨ : ٩، والرسالة الأولى لأهل غلاطية ٦ : ٨٨.

وقوله (المولود من الآب قبل الدهور) تجده فى الرسالة إلى العبرانيين٥ : ٥.

يقول أفلاطون مطران موسكو: "وجملة دستور الإيمان" وقام فى اليوم الثالث على ما فى الكتب " مأخوذة من قول بولس الرسول (فإننى سلمت إليكم فى الأول ما تسلمته أنا أيضا أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب، وأنه دفن وأنه قام فى اليوم الثالث كما فى الكتب "[٣][٤].

ويقول : "من دستور الإيمان (وصعد إلى السموات وجلس عن يمين الآب) هذه العبارات مأخوذة من قول بولس" الذى نزل هو الذى صعد أيضا فوق جميع

---

(١) عن هذا الموضوع راجع د / رؤوف شلبى: يا أهل الكتاب ص ٢٠٩.

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة، راجع أيضا: المجامع المسيحية وأثرها فى تقرير عقائد الكنيسة ص ٥١(رسالة دكتوراة).

(٣) ١ كولوسى ١٥ : ٣، ٤.

(٤) الخلاصة الشهية فى أخص العقائد والتعاليم الأرثوذكسية ص ٩٩.

السموات "[١] . ومن قوله :"إن لنا رئيس كهنة مثل هذا قد جلس فى يمين عرش الجلالة فى السموات "[٢]، [٣].

ويقول د/ حنا جرجس الخضرى: "والدارس المدقق يجد فى رسائل بولس ما يمكننا أن نسميه بقوانين الإيمان "[٤].

كل هذا يدل على أن المجامع أكملت ما بدأه بولس معتمدة على دوره ورسائله وآرائه وأفكاره بل وزادت عليها.

يقول ول ديورانت: "واتخذت الكنيسة صورة العقائد الثابتة فى لاهوت بولس ثم نمت باستيعابها العقائد والطقوس الوثنية"[٥].

وبعد...

فيمكننا فى خلاصة وجيزة أن نقول:

إن بولس وقسطنطين والمجامع ـ هذا الثالوث ـ اجتمع على ديانة المسيح عليه السلام فغير وجهها وبدلها، وأدخل فيها ما ليس منها، وطعمها بالأفكار والمعتقدات الوثنية السائدة.

---

(١) أفسس ٤ : ١٠.

(٢) عبرانيين ٨ : ١.

(٣) الخلاصة الشهية ص ١٠١.

(٤) د/ حنا جرجس: تاريخ الفكر المسيحى (١ / ٣٨٥).

(٥) قصة الحضارة (مج ٣ ج ٣ ص ٢٤٢).

الفصل السادس

منافذ الاتصال بين المسيحية والأديان الوضعية

تمهيد:

أكدت المصادر أن العالم في العصور الميلادية الأولى ـ وما قبلها بقليل ـ كان مليئا بالمعتقدات والأفكار الدينية.

وكان من مميزات تلك العصور عامة هو التبادل التجارى والثقافى والدينى بين جميع شعوب العالم، مما كان له أثره فى أن ديانات تلك العصور لم يقتصر التدين بها فى مكان نشأتها وموضع ولادتها، ولكنها انتقلت إلى البلاد الأخرى المجاورة القريبة منها والبعيدة، ولقد كان هذا سبباً فى التقاء تلك الديانات المنتشرة آنذاك، بل والتحامها وامتزاج البعض بالآخر.

هذا وقد نتج عن هذا الانفتاح الدينى ـ إن صح هذا التعبير ـ أن وجدنا معظم تلك الديانات متقاربة فى معتقداتها، وعباداتها، والطقوس التى تقوم عليها، والوعود التى تعد أصحابها والداخلين فيها بها.

فالديانات المصرية تجد لها أتباعاً فى روما وإيطاليا وآسيا الصغرى ومعظم بلاد العالم فى تلك الفترة تقريباً.

والديانات الفارسية نجد لها صدى واسع النطاق بين الرومانيين فى أنحاء الإمبراطورية الرومانية التى كانت تسيطر على بلاد العالم حينئذ وكان بيدها زمام الأمور لهذه البلاد.

والديانات الهندية نجد لها أنصاراً فى المراكز والموانى التجارية نتيجة لانتقال الآراء والمعتقدات مع التجار الوافدين من الهند والمسافرين إليها، ولذلك كان للبوذية أتباع فى الإسكندرية وطرسوس وإنطاكية ـ أكبر المراكز الدينية والفلسفية فى تلك العصور ـ وغيرها.

ولم يشأ الرومانيون واليونانيون أن يتدينوا بهذه الديانات الشرقية التى استهوتهم وملكت عليهم أحاسيسهم ومشاعرهم الدينية فقط، بل عملوا على مزجها بآلهتهم وتوحيدها بها.

فى وسط هذا الجو الدينى، ووسط هذه المادة الدينية الضخمة والمتنوعة ظهرت ديانة سيدنا عيسى عليه السلام، وكانت فى بداية أمرها ديانة صحيحة سليمة سهلة واضحة لا تعقيد فيها ولا تضليل، ولا انحراف فيها عن أمر الله ووحيه، ولكن هذه الديانة تغيرت وتبدلت وانقلب أمرها بعد رفع سيدنا عيسى عليه السلام، وذلك حين التقت بتلك الديانات بفعل الفاعلين وأيدى الآثمين الذين دخلوا في هذه الديانة وغيروا وجهها الصحيح، وبدلوا أمرها المستقيم، وحرفوا صراطها القويم.

حدث هذا التغيير نتيجة لتسرب ونفوذ الأديان الوضعية إليها، والتى لم تتسرب إليها بنفسها ولكن بفعل فاعل ونتيجة لظروف معينة، وهذا يعنى أن هناك منافذ رئيسة استطاعت الأديان الوضعية أن تزحف من خلالها كالسيل الجارف على ديانة سيدنا عيسى عليه السلام، فتطوى صفحتها البيضاء الناصعة وتترك لنا صفحة أخرى جديدة مختلفة كل الاختلاف، ومتناقضة أشد التناقض، عسيرة الفهم، صعبة الإدراك، معقدة فى عقائدها، وذلك نتيجة لأنها تدخل فيها الوضع البشرى والعقل الإنسانى.

ولا نستطيع أن نجزم أن هذه الديانة تغيرت جملة واحدة أو دفعة واحدة أو نتيجة لمنفذ واحد، ولكن شيئاً فشيئاً وعصراً بعد عصر، ومنفذاً يكمل الآخر، حتى اكتمل هذا التغيير وتكونت ديانة جديدة لا تمت إلى الوحى السماوى بشئ.

يقول القاضى عبد الجبار: "واعلم أن دين المسيح وديانات الرسل عليهم السلام لم تتغير ولم تتبدل جملة واحدة، ولكن شيئا بعد شئ، وفى كل عصر، وفى كل حين حتى تكامل تغيرها، وما زال أهل الحق فيها يقلون وأهل الباطل يكثرون حتى غلبوا ومات بهم الحق"[١].

وفى هذا الفصل سنحاول تبيان هذه المنافذ، والملابسات الخاصة بها لنتعرف على كيفية اللقاء، وكيف نتج عنه ذلك التحريف؟.

(١) القاضى عبد الجبار: تثبيت دلائل النبوة (١ / ١٥٢).

أولاً: يهود الشتات

يقسم المؤرخون شعب اليهود فى عصر المسيح إلى فريقين:

الأول: اليهود اليونانيون: وهم يهود الشتات الذين عاشوا فى الممالك اليونانية، وكانوا يتكلمون اليونانية، وكانت ثقافتهم يونانية.

الثانى: اليهود العبرانيون: وهم الذين عاشوا فى بلاد فلسطين، وكانوا يتكلمون الآرامية، وكانت ثقافتهم عبرانية.

وكان ليهود الشتات أثر كبير فى تاريخ المسيحية، ويجدر بنا قبل أن نشير إليه أن نسترجع شيئاً من تاريخ شتاتهم بإيجاز.

ويرجع تاريخ شتاتهم إلى عصور السبى الآشورى والبابلى.

ففى عام ٧٢١ق.م وقعت مملكة إسرائيل[١] فى يد الآشوريين الذين سبوا الكثيرين من اليهود إلى بلاد آشور، وهذا هو السبى الأول، وقد سبى فيه حوالى ٢٧٢٩٠ يهودياً، ثم بعد ذلك تعرض اليهود عامة (أى مملكتا الشمال والجنوب) مرة ثانية وثالثة للسبى فى عام ٥٩٧ق. م وعام ٥٨١ق . م على يد البابليين، وفى هذه الفترة لم يسمح لليهود بالعودة إلى بلادهم إلا بعد عام ٥٣٨ق. م حين انهارت الإمبراطورية البابلية على يد هجمات كورش مؤسس الدولة الفارسية، ومن ثم أصبح له السلطان على أرض يهوذا [٢]

"وسمح كورش لليهود بالعودة إلى بلادهم، ولكن أكثر اليهود كانوا قد ألفوا الحياة البابلية وامتدت بها أعراقهم، وعرفوا بها خصب العيش والتجارة الرابحة،

---

(١) والمقصود بها مملكة الشمال وهى إحدى أقسام مملكة سليمان عليه السلام بعد وفاته، ففى سنة ٩٣٥ق.م انقسمت مملكته بعده إلى قسمين: مملكة الجنوب وتدعى (مملكة يهوذا) وعاصمتها أورشليم، وقد شمل هذا القسم كل بيت يهوذا وسبط بنيامين، والقسم الثانى هو مملكة إسرائيل من الشمال وعاصمتها السامرة، وكان هذا القسم يشمل عشرة أسباط وهم: أشير، أفرايم، جاد، دان، رأوبين، زبولون، شمعون، منسى، نفتال، يساكر." راجع: تاريخ الفكر المسيحى ١ / ٤٢ ".

(٢) راجع ذلك بتوسع فى المرجع السابق ص (٤٣، ٤٤)، رسالتنا للماجستير : الخلاص المسيحى ونظرة الإسلام إليه ص (٤٤ ـ ٤٥).

ومن ثم فقد ترددوا طويلاً فى العودة للقفار والصراع حول المدينة المقدسة، وبعد هذا التردد استقر رأى الأغلبية الساحقة على البقاء حيث كانوا بالعراق ومصر وغيرهما من البلاد[١] التى نزحوا إليها عقب سقوط دولتهم على يد بختنصر سنة ٥٨٦ق . م، ولم تقبل العودة إلى فلسطين إلا قلة بدأت رحلتها بعد سنتين من مجئ كورش"[٢].

"وإلى هذه الفترة بدورها يرجع تشتت اليهود، ذلك لأنهم لم يعودوا جميعاً إلى موطنهم، وإنما عاد البعض فقط، وظل هؤلاء يشكلون دولة دينية قليلة الأهمية نسبياً"[٣].

ثم استمر بعد ذلك هذا الشتات فى أثناء حكم البطالمة ثم الرومان، وقد ساعد على ذلك أن بلاد فلسطين ومصر كانتا تحت الحكم البطلمى من الفترة (٣٢٣ ق.م إلى ١٩٨ ق.م)[٤]، ثم انتقل أمرهما إلى الحكم الرومانى بعد ذلك[٥].

وفى هذه الفترة هاجر كثيرون من فلسطين[٦] إلى مصر وانتشروا فى شتى أرجاء مصر وقامت لهم بها جاليات منظمة، وكان من أبرزها جالية الإسكندرية ومنها انساب اليهود إلى كثير من أقطار البحر الأبيض المتوسط[٧]، وأخذوا يتنقلون هنا وهناك وأقاموا جاليات كثيرة فى معظم الأقطار التى استقروا فيها، فبجانب الجاليات اليهودية فى مصر " كانت هناك جاليات أخرى فى دمشق حيث كان يوجد عدد كير من اليهود وكذلك فى إنطاكية، وفى مختلف بلاد اليونان، وكان فى روما جالية

---

(١) يقول جورج سارتون - عن هؤلاء الباقين - استوطنوا فى أجزاء كثيرة من الأناضول وسوريا وفى مصر خصوصا فى جزيرة الفنتين (جزيرة واقعة فى وسط أسوان) حيث وجدت مستعمرات يهودية قديمة جداً يرجع زمانها من القرن السابع إلى القرن الخامس قبل الميلاد. تاريخ العلم (٤ / ٣٠٣) ، وعن جزيرة الفنتين راجع (٤/ ١٩٠).

(٢) د/ أحمد شلبى: اليهودية ص (٩٢ ، ٩٣).

(٣) برتراند رسل: حكمة الغرب (١ / ٢٣٨).

(٤) تاريخ العلم (٤ / ٣٠٣)

(٥) فلقد خضعت بلاد فلسطين للحكم الرومانى فى عام ٦٣ق.م ، ومصر عام ٣٠ق .م.

(٦) عن أسباب هجرة اليهود من بلاد فلسطين فى تلك الفترة راجع: المسيحية نشأتها وتطورها ص (٥٦).

(٧) د/ مصطفى عبد العليم: اليهود فى مصر فى عهدى البطالمة والرومان ص (٢٩).

أخرى آخذه في النمو والازدياد[١] حتى تجاوز عدد أفرادها الألوف في بداية عصر الإمبراطورية[٢]، واستمر هذا الشتات خارج بلاد فلسطين حتى أنه في أيام المسيح عليه السلام كان عدد يهود الشتات ستة أضعاف اليهود الذين يعيشون في فلسطين[٣].

هذا هو موجز تاريخ يهود الشتات قبل عصر المسيح عليه السلام.

أهم صفاتهم:

لقد تأثر هؤلاء اليهود بالمجتمعات والشعوب الجديدة التي تشتتوا فيها، فتأثروا بثقافاتهم وأفكارهم ولغاتهم، وانعكس ذلك على دينهم اليهودي.

ففي فترات التشتت الأولى ـ وأثناء السبي البابلي ـ حينما كان زمام الأمور بأيدي البابليين والفارسيين وجدنا هؤلاء اليهود قد تأثروا بثقافاتهم واستخدموا لغتهم، وكان لهذا تأثيره على دينهم.

يقول ولز: "والحقيقة المجردة المستخلصة من رواية الكتاب المقدس هي أن اليهود قد ذهبوا إلى بابل همجاً وعادوا منها ممدينين[٤]، عادوا شعباً متأجج الوعي الذاتي مشرباً بالنزعات السامية[٥].

هذا إلى جانب أنهم تولدت لديهم أثناء فترات السبي هذه فكرة المخلص الذي يخلصهم من سبيهم ويحررهم من عبوديتهم[٦].

يقول د/ أحمد شلبي: "وفكرة المخلص برزت في الفكر اليهودي في وقت متأخر، ومراجعة الكتاب المقدس تقرر لنا أن هذه الفكرة لم تظهر إلا بعد سقوط دولتهم وأسرهم في بابل ثم خضوعهم إلى الفرس، وهذا التوقيت دفع الكثيرين من

---

(١) تاريخ العلم (٥ / ٥٥).
(٢) تاريخ الحضارات العام (المجلد الثاني الخاص بروما وإمبراطوريتها) ص (٤١٨).
(٣) جون لوريمر: تاريخ الكنيسة (١ / ٣٠).
(٤) معالم تاريخ الإنسانية. المجلد الثاني ص (٣٠٠).
(٥) موجز تاريخ العالم ص (٩٠).
(٦) الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه ص (٤٦ ـ ٥٠).

الباحثين إلى الاعتقاد بأن فكرة المنقذ (المخلص) مستعارة من الزرادشتية التى يدين بها الفرس"[١].

فلقد تأثر اليهود بفترات السبى البابلى والفارسى وظهر ذلك واضحاً فى ديانتهم.

يقول زكى شنودة: "وقد عاش اليهود فى المنفى بعد سبيهم عيشة العبيد فلم يلبثوا أن حاكوا سادتهم من البابليين فى عاداتهم وتخلقوا بأخلاقهم وعبدوا آلهتهم وإن كان فريق ضئيل منهم تمسكوا بعقائدهم وتقاليدهم"[٢].

ويقول د/ عزت زكى: "وإبان السبى الفارسى يبدو أن اليهودية قد تمثلت شيئاً من ديانة فارس"[٣].

وقد استخدم هؤلاء اليهود فى هذه الفترة اللغة الآرامية، وكانت هى اللغة الجارية فى الإمبراطورية الفارسية[٤]، ولذلك ترجمت أسفار العهد القديم[٥] ـ فى هذه الفترات ـ من اللغة العبرية إلى اللغة الآرامية[٦].

وهذا التأثر فى الحقيقة لم يكن قاصراً على يهود الشتات وحدهم بل انتقل إلى يهود فلسطين، وذلك بفضل هؤلاء اليهود العائدين من السبى بعد أن سمح لهم كورش بالعودة إلى بلادهم، فعادوا إليها وقد حملوا معهم ما تأثروا به من أفكار وثقافات.

هذا هو ما حدث لليهود عقب فترات الشتات الأولى وأثناء ازدهار الحضارة البابلية والفارسية.

---

(١) اليهودية ص (٢١٩).

(٢) تاريخ الأقباط (٢ / ٣٩).

(٣) د/ عزت زكى: الأخلاقيات فى محيط الفكر والديانات ص (١٢٠).

(٤) تاريخ العلم (٤ / ٣٠٩).

(٥) إن تسمية الجزء الأول من الكتاب المقدس بالعهد القديم تسمية متأخرة عن هذا التاريخ، حيث إن المسيحيين هم الذين أطلقوا هذه التسمية للتمييز بينه وبين العهد الجديد، ولقد أطلقناه هنا تجاوزاً وذلك أنه لم يصح عندنا ـ نحن المسلمين ـ تسمية هذا الجزء بالتوراة.

(٦) د/ على عبد الواحد وافى: الأسفار المقدسة ص (١١).

أما وقت ازدهار الحضارة اليونانية وانتشار الثقافة اليونانية فقد وجدنا أيضاً أن يهود الشتات الذين كانوا يعيشون فى البلاد الشرقية الخاضعة لليونان، والممالك اليونانية الأخرى، قد تأثروا بالثقافة اليونانية، فقد استمالتهم هذه الثقافة الجديدة واستهوتهم بدرجة كبيرة، وظل هذا التأثر واضحاً فيهم حتى وقت ظهور المسيح عليه السلام.

وكان هؤلاء اليهود هم النواة الأولى لتطعيم ديانة عيسى عليه السلام - بعد رفعه - ببعض العقائد والشعائر الوثنية، ويظهر هذا من خلال صفاتهم التى اتسموا بها، ومن خلال الروح التى وصفوا بها، وذلك على النحو التالى:

(١) اتصفوا هؤلاء بالمرونة "وكان تعصبهم لقوميتهم أقل من أولئك الذين يعيشون فى فلسطين"[١].

يقول شارل جنيبير: "ولم يكن يهود المهجر قد احتفظوا بالصورة الأصيلة الكاملة لعادات وروح إخوانهم فى الدين من أهل فلسطين، فقد لانت تلك العادات وتلك التقاليد ولان معها تعصبهم وعداؤهم لـ (الأجنبى) فى ربوع هذه البلاد[٢].

(٢) ونتيجة لهذه الروح المرنة التى اتصف بها هؤلاء اليهود وجدناهم تأثروا بالثقافة اليونانية تأثراً كبيراً واصطبغوا بها وظهر ذلك واضحا فى أفعالهم.

(أ) نسوا لغتهم الأصلية - اللغة العبرية - واستخدموا اللغة اليونانية بدلا منها فى حياتهم.

يقول جون لوريمر: "وقد بلغ بهم الأمر أنهم نسوا العبرية لغتهم الأصلية لأنهم اضطروا أن يتكلموا اليونانية باستمرار لكونها اللغة العالمية فى ذلك العصر"[٣].

---

(١) بارو: الرومان ص (١٨٥).
(٢) المسيحية نشأتها وتطورها ص (٥٩).
(٣) جون لوريمر: تايخ الكنيسة (١ / ٣١).

وأصبح من المتعذر على عامة اليهود وخاصتهم قراءة التوراة في لغتها الأصلية[١]، ولذلك كان من الضروري ترجمة أسفار العهد القديم في العبرية إلى اليونانية مما أدى إلى ظهور الترجمة السبعينية [٢].

ويشك بعض المؤرخين في أن هذه الترجمة جاءت صادقة للنص العبراني وذلك لتأثر المترجمين بالأساليب الإغريقية [٣].

وأصبحت مراسم العبادة أيضاً تقام عندهم باليونانية، بل كانوا يسمون (يهوه) إلههم (ثيوس هبستوس) وهو لقب الإله اليوناني زيوس [٤].

هذا وقد تأثر اليهود باليونانيين في كتاباتهم الأدبية.

" فقد استخدم اليهود النثر اليوناني في الكتابة، ونظم بعضهم شعراً باللغة اليونانية، ومن أمثلة ذلك (فيلون) الذي كتب ملحمة عن بيت المقدس "[٥].

يقول د/ مصطفى عبد العليم: "ويتضح في تراثهم الأدبي[٦] تقليدهم النماذج اليونانية من حيث صيغتها وصورها، حتى إننا لا نكاد نحس ونحن نقرأ تلك النماذج أننا بصدد أدب يهودي، إلا من حيث أنه كان يتناول مواضيع متصلة باليهود وتاريخهم، أو مساجلاتهم الأدبية أو الفلسفية مع بعض فلاسفة الإغريق ومفكريهم"[٧].

(ب) قلدوا اليونانيين في عاداتهم وتقاليدهم وتسموا بأسمائهم التي تتضمن مقاطعها لفظ (ثيوس) أي الرب مثل ثيودوتوس أو دوروثيا[٨]، وبل قلدوهم أيضاً في مظهرهم وزيهم.

---

(١) اليهود في مصر في عهدي البطالمة والرومان ص (١١٥)

(٢) وقام بهذه الترجمة يهود الإسكندرية وكان ذلك في منتصف القرن الثالث قبل الميلاد، وقد نسجت حول هذه الترجمة كثير من الأساطير فقيل إنها سميت بالسبعينية لأن سبعين مترجما قاموا على ترجمتها، وقيل إن كل مترجم من هؤلاء السبعين قد قام وحده بالترجمة وأنه لما قورنت الترجمات بعضها ببعض وجدت متطابقة، ولكن البحث العلمي أثبت ـ بعد ذلك ـ سوء هذه الترجمة، وأنها فيها أخطاء كثيرة وعيوب كبيرة. راجع: تاريخ الفلسفة الغربية. الكتاب الثاني ص (٣٢ ، ٣٣)

(٣) اليهود في مصر ص (١١٥).

(٤) تاريخ العلم (٥ / ٥٥)

(٥) المرجع السابق (٦/ ١٣٩).

(٦) يقصد يهود الشتات.

(٧) اليهود في مصر ص (١١٥).

(٨) تاريخ العلم (٤/ ٤٧) ، (٥ / ٥٥).

يقول د/ مصطفى عبد العليم: "ويحتمل أن مظهر اليهود الإغريقى فى لغتهم وزيهم جعل من العسير التفرقة بينهم وبين الإغريق"(١).

وهكذا يتبين لنا أن اليهود تعاملوا باليونانية وقرأوا كتبهم المقدسة باليونانية، وأقاموا مراسيمهم الدينية بها، وكتبوا أدبهم نثراً، وشعراً بها، بل امتد الأمر أن قلدوا اليونانيين فى كل أمورهم، وتسموا بأسمائهم، ولبسوا أزياءهم.

كل هذه الظواهر مجتمعة تدل على أن يهود الشتات لم يحتفظوا بصورتهم اليهودية كاملة، وعلى أنهم فقدوا الكثير من مقومات حياتهم القومية، وتدل أيضاً بوضوح على تأثرهم باليونانيين تأثراً واضحاً لا مجال للشك فيه.

(٣) فشت بين يهود الشتات ـ إلى حد ما ـ النزعة اليونانية التى كانت سائدة منذ نهاية القرن الرابع قبل الميلاد، وهى نزعة الجمع والمزج بين الآراء المختلفة، وكان لذيوعها بينهم أثر على دينهم اليهودى، ولقد كان الأسلوب الذى اتبعه هؤلاء اليهود مع الشعوب الذين يعيشون معهم هو السبب فى هذا. ذلك أنهم كانوا يميلون إلى الاندماج بالقوم الذين كانوا يعايشونهم، أى أنهم كانوا يؤثرون ـ كما يقول جورج سارتون ـ أن يعتبروا يونانيين لايهودا"(٢)، ولذلك قلدوهم فى كل أمورهم ووصل الأمر ببعضهم إلى المزج والتوفيق بين الفلسفة اليونانية والعهد القديم مثل ما فعل (فيلون) (٣).

يقول حبيب سعيد: "وامتزجت أيضاً فى الإسكندرية آراء العهد القديم الدينية بالآراء الفلسفية اليونانية وخاصة الأفلاطونية والرواقية، وكان أشهر أولئك الشراح (فيلون) الذى وفق بين آراء الكتاب المقدس، وبين أفضل الآراء والمذاهب الأفلاطونية والرواقية، وكان لهذا المزج والتوفيق أعمق الأثر فيما بعد فى نشوء الاصطلاحات اللاهوتية المسيحية"(٤).

---

(١) اليهود فى مصر ص (١١٦)،

(٢) تاريخ العلم (٥/ ٥٥).

(٣) عن آراء فيلون راجع: إميل بريهية: آراء فيلون الدينية والفلسفية، ترجمة: د/ محمد يوسف موسى.

(٤) فجر المسيحية ص (٧٨).

بل وأكثر من ذلك أن بعض هؤلاء اليهود اعتنقوا الديانات الشرقية واليونانية ومزجوها بيهوديتهم.

"ففى آسيا الصغرى كان اليهود يتزوجون من أجنبيات ويعتنقون ديانات يونانية شرقية، وقد كانوا فى اعتناقهم ديانات شرقية يقلدون اليونان فى عرفهم الدينى، فقد كان الشئ المتعارف عليه عندهم أن يعتنق الواحد منهم مذهب القوم الذى يعايشهم"[١].

يقول شارل جنيبير: " لم يكتف يهود المهجر بالتطور الاجتماعى وفقاً للبيئة التى يعيشون فيها، ولم يكتنفوا بإعادة تنظيم عقيدتهم الدينية لم يكتفوا بذلك، بل راحوا يخلطون باليهودية بعضاً من أفكار ومعتقدات المشركين الوثنيين المحيطين بهم"[٢].

ولا نستطيع أن نقول إن عملية المزج ـ بين اليهود والديانات الأخرى ـ كانت عادة كل يهود الشتات، ولكن ربما تكون نزعة البعض فقط، والأدلة غير قاطعة فى أنهم مزجوا كل ديانتهم بالديانات الوثنية، والمراد هنا أن نقول إن نزعة المزج بين اليهودية والديانات الأخرى كانت موجودة بين اليهود.

يقول شارل جنيبير: "وإن ما تجمع لدينا من معلومات لا تكفى لأن نقطع بالرأى فى كل ما يتعلق بهذه الفرق اليهودية التى نزعت إلى تأليف وتطوير عناصر مختلفة من الأديان الموجودة حينذاك، غير أن مجرد وجودها يدل دلالة واضحة على اتصال الروابط بين اليهودية بمعناها الحقيقى وبين الأديان الأخرى المختلفة فى غرب آسيا"[٣].

ونخلص من هذا إلى أن يهود الشتات كانوا يميلون جميعاً ـ بدرجات متفاوتة ـ إلى الامتزاج والاندماج فى الإغريق والشعوب الهلنستية المحيطة بهم[٤]. وكانوا على

---

(١) تاريخ العلم (٥/ ٥٥).

(٢) المسيحية نشأتها وتطورها ص (٦١)

(٣) نفس المرجع ص (٦٣).

(٤) معالم تاريخ الإنسانية. المجلد الثالث ص (٦٨٩).

استعداد لقبول آراء جديدة، وربما أفكار جديدة فى ديانتهم اليهودية لتلائم القوم الذين يعيشون معهم، وهذا يدل على "أن عقيدة وتقاليد يهود الشتات كانت أكثر ليونة وتقبلاً للتأثر من مثيلتها فى ربوع فلسطين، وأنه كلما ابتعد اليهود عن المعبد الأكبر وكهنته كلما أصبح تعصبهم للشريعة اليهودية ضعيفاً أمام بعض العوامل الخارجية، فينزعون فى بعض الأحوال إلى التعبير عن شعورهم الدينى فى صورة أكثر انسجاماً مع المشاغل الدينية العامة للوسط الذى يعيشون فيه، والذى لم يكن له بد فى النهاية من التأثير عليهم"(١).

كل هذا يوضح أن ديانة يهود الشتات قد تأثرت بالثقافة اليونانية فى خلال تلك الفترة التى عاش فيها يهود الشتات بين أحضان الثقافة اليونانية.

تقول كاثرين هنرى: "وحتى الدين اليهودى قد تأثر خلال تلك الفترة بالآراء اليونانية التى انسابت إليه"(٢).

تقول أندريه إيمار: "ولكن الديانة اليهودية القديمة بفعل اتصالها بالحضارة اليونانية قد تأثرت بصورة حتمية"(٣).

(٤) لقد مكنت لهم حياتهم هذه وسط الشعوب اليونانية والشرقية الاطلاع على الديانات الوثنية التى كانت شائعة فى العالم آنذاك، وهيأت لهم الظروف أيضاً أن يتعرفوا على الفكر الوثنى، وأهم الأفكار والعقائد الوثنية التى تشغل بال اليونانيين والشرقيين.

هذا وقد استطاعوا من خلال معايشتهم للوثنيين أن يتعرفوا أيضاً على أهم الخصائص التى كانت تجذب الناس إلى هذه الديانات.

(٥) وكان اتصاف يهود الشتات بالمرونة والليونة أثره فى قبولهم لاعتناق الوثنيين لدينهم مع احتفاظ هؤلاء بوثنيتهم فى أغلب الأحيان.

---

(١) المسيحية نشاتها وتطورها ص (٦٤).

(٢) كاثرين هنرى: التاريخ فى الكتاب المقدس ص (١٠٧).

(٣) تاريخ الحاضرات العام. المجلد الأول الخاص بالشرق واليونان القديمة ص (٤٨٧).

فقد تكون حول يهود الشتات بعض الفئات الوثنية الذين سئموا من الديانات الوثنية وما يدور حولها من أساطير، وانقسموا إزاء اليهودية إلى قسمين:

البعض اعتنق اليهودية ـ مع التحفظ فى هذا ـ.

بينما وقف البعض الآخر منهم موقف المتعاطف من اليهود.

يقول جلانفيل دوانى: "وكان فى إنطاكية جالية يهودية، وكانت هذه الطائفة تجتذب إلى شعائرها وتعاليمها عدداً من غير المؤمنين بعقيدتها ممن كانوا يجدون فى اليهودية مذهباً خلقياً أكثر إرضاء لنفوسهم من التعاليم الوثنية "[١].

ويقول: "إنهم انجذبوا إلى اليهودية بسبب استيائهم من المذاهب الوثنية التقليدية"[٢].

وهكذا انجذبت طائفة من الوثنيين لديانة يهود الشتات بينما توقفت الطائفة الأخرى.

يقول جون لوريمر: "بعضهم صار يهودياً، ولكن البعض الآخر كانوا متعاطفين فقط"[٣].

وكان أغلب هؤلاء المعتنقين لليهودية من الوثنيين يحتفظون بثقافتهم وأفكارهم، بل وربما يُعدّلون من اليهودية بما يتفق واتجاهاتهم وأفكارهم الوثنية.

يقول شارل جنيبير: "ولا غرابة إذن فى تلك الظاهرة التى نلاحظها لدى الأتباع الجدد للدين اليهودى من الاحتفاظ بمقومات الثقافة والفكر المنتشرة فى بيئتهم الأصلية، فلم يكن هناك ثمة ما يدعوهم إلى احتقار تلك الحضارة التى صورها لهم معلموهم الأول على أنها أجمل الحضارات قاطبة، وأكرمها بالنسبة إلى الإنسان العاقل، فإذا ما اعتنقوا اليهودية على نحو ما، لم يكن ذلك إلا على أساس تطويرها مع اتجاهاتهم الفكرية، وعدم التخلى عن الآراء أو تقاليد الحياة التى نشأوا عليها إلا فى حدود ما بدا لهم أنه يتعارض تمام التعارض مع ما يأخذونه من الدين الجديد"[٤].

---

(١) إنطاكية القديمة ص (١٥٩).
(٢) إنطاكية فى عهد ثيودوسيوس الكبير ص (٣٣) راجع أيضاً: برودبنت: الكنيسة المتغربة ص (٦).
(٣) جون لوريمر: تاريخ الكنيسة (١ / ٣١).
(٤) المسيحية نشأتها وتطورها ص (٦٠).

وكان هؤلاء اليهود الجدد من أخطر ما يكون على ديانة المسيح عليه السلام.

والخلاصة هنا: أن يهود الشتات قبلوا فى دينهم الوثنيين المتطبعين على الوثنية والتى لم يستطيعوا نسيانها - أو على الأقل عدم الجهل بها - وكانوا على دراية بكل أسرار وطقوس الديانات الوثنية المنتشرة آنذاك والجوانب المشتركة بينها.

هذا إلى جانب أن معرفتهم بالعهد القديم والكتب المقدسة كانت أقل بكثير من اليهود الأصليين حيث إنهم لم يعرفوا هذه الكتب إلا فى دائرة الترجمة اليونانية الجديدة - وهى المسماة بالسبعينية - وهى التى أشرنا إلى أنها كانت غير مطابقة - إلى حد ما - للنص العبرانى.

وكانت معرفة هؤلاء الجدد باليهودية وعقائدها وشرائعها أقل من معرفة اليهود الأصليين بل وأقل من يهود الشتات الذين تعلموا منهم.

ولك أن تتصور أيها القارئ مدى خطورة هؤلاء على ديانة المسيح عليه السلام حينما يؤمنون بها أو يدخلون فيها.

هذه هى أهم صفات يهود الشتات وقت ظهور المسيحية.

كيف عبرت ديانة المسيح عليه السلام إلى مجتمعات يهود الشتات (أو المهجر)؟.

إن الأناجيل المسيحية الحالية لا تذكر لنا شيئاً عن أن المسيح بشر بديانته بين يهود الشتات، أو أن أحداً منهم قبل رسالته، أو أنه خرج إليهم فى الممالك اليونانية والرومانية ليدعوهم إلى ديانته.

ولم يرد أى ذكر ليهود الشتات فى الأناجيل إلا مرة واحدة - وفى إنجيل يوحنا خاصة.

فلقد ذكر إنجيل يوحنا أن المسيح كان يحاور اليهود ويقول لهم "أنا معكم زماناً يسيراً بعد ثم أمضى إلى الذى أرسلنى، ستطلبوننى ولا تجدوننى، وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا، فقال اليهودفيما بينهم إلى أين هذا مزمع أن يذهب حتى لا نجده نحن ألعله مزمع أن يذهب إلى شتات اليونانيين ويُعلّم اليونانيين" [١].

---

(١) يوحنا ٧ : ٣٣ - ٣٥.

وهذا النص لا يفيد شيئاً سوى استهزاء اليهود بالمسيح عليه السلام والسخرية منه.

ولا دلالة فى هذا النص على تبشير المسيح بديانته بين يهود الشتات، وعليه فهو لم يبشر بها بينهم، وكذلك لم يؤمن أحد منهم برسالته وقت وجوده بين الناس.

وبعد رفع المسيح عليه السلام يقص علينا سفر الأعمال أن بعضاً من يهود الشتات الذين عاشوا فى بلاد متفرقة جاءوا إلى أورشليم للمشاركة فى يوم الخمسين(١).

يقول سفر الأعمال: " وكان يهود رجال أتقياء من كل أمة تحت السماء ساكنين فى أورشليم... فرتيون(٢)، وماديون(٣)، وعيلاميون(٤)، والساكنون ما بين النهرين، واليهودية، وكبدوكية(٥)، وبُنتُس(٦)، وآسيا، وفريجية(٧)، وبمفيلية(٨)، ومصر، ونواحى ليبية التى نحو القيروان، والرومانيون المستوطنون يهودٌ ودخلاء كريتيون، وعرب "(٩).

---

(١) وهو عيد يهودى كان يحتفل به بعد عيد الفصح وسمى بيوم الخمسين لأنه يقع بعد خمسين يوماً من الفصح، أو بعد سبعة أسابيع (سفر اللاويين ٢٣ : ١٥).

(٢) فرتيون: هم سكان بارثيا وهى ولاية كانت تقع فى آسيا الغربية جنوب شرقى بحر القزوين، وتكاد تكون مطابقة لمقاطعة خراسان الحالية الواقعة فى القسم الشمالى الشرقى من إيران. راجع قاموس الكتاب المقدس ص (٦٧٣).

(٣) ماديون: وهم نسل مادى بن يافث. (تكوين ١٠ : ٢)، وسكان بلاد مادى وهى اسم بلاد يحدها نهر اركسيس وبحر القزوين إلى الشمال والشمال الشرقى. المرجع السابق ص (٨٢٩).

(٤)عيلاميون: نسل عيلام بن سام (تكوين ١٠ : ٢٢) وسكان بلاد عيلام وهى بلاد فيما وراء دجلة وإلى الشرق من مملكة بابل. المرجع السابق ص (٦٥١).

(٥) كبدوكية: أكبر ولايات آسيا الصغرى القديمة وكانت واقعة إلى الجهة الشرقية. المرجع السابق ص ٧٥٨).

(٦) بنتس: هى المقاطعة الشمالية الشرقية من آسيا الصغرى وكانت واقعة على شطوط البحر الأسود. المرجع السابق ص (١٩٠)

(٧) فريجية: هى الجزء الغربى من الهضبة الوسطى فى آسيا الصغرى. تاريخ العلم (٢ / ٢٠٣).

(٨) بمفيلية: مقاطعة فى آسيا الصغرى الواقعة إلى الجهة الشمالية من بحر الروم. قاموس الكتاب المقدس ص (١٨٩).

(٩) أعمال الرسل ٢ : ٥ ـ ١١.

ويبين لنا سفر الأعمال هذا أن بعضاً من هؤلاء آمنوا بالمسيحية[١]. "وأن فئة منهم عادوا إلى بلادهم فور الانتهاء من الاحتفالات بالعيد، بينما بقيت فئة أخرى بفلسطين غير أنها لم تلبث أن طردت منها إثر مقتل استفانوس على أيدى اليهود"[٢].

وبعد رجوعهم إلى بلادهم التى تشتتوا فيها من قبل أخذوا يبشرون بالمسيحية بين إخوانهم اليهود وبين هؤلاء الدخلاء ـ كما يسميهم المؤرخون ـ الذين دخلوا اليهودية من اليونانيين وغيرهم نتيجة استيائهم من المعتقدات الوثنية التقليدية، فآمن عدد كثير منهم بالمسيحية.

يقول سفر الأعمال: "أما الذين تشتتوا من جراء الضيق الذى حصل بسبب استفانوس فاجتازوا إلى فينيقية وقبرص وإنطاكية وهم لا يكلمون أحداً بالكلمة إلا اليهود فقط، ولكن كان منهم قوم وهم رجال قبرصيون، وقيروانيون الذين لما دخلوا إنطاكية كانوا يخاطبون اليونانيين مبشرين بالرب يسوع وكانت يد الرب معهم فآمن عدد كثير ورجعوا إلى الرب"[٣].

وبدأت المسيحية تنتشر فى مجتمعات يهود الشتات فى البلاد اليونانية والرومانية بعيداً عن أعين تلاميذ المسيح وبعيداً عن مجتمعهم.

وقد ساعد على انتشار المسيحية فى تلك المجتمعات النشاط التبشيرى الذى قام به بولس الذى كان واحداً من يهود الشتات المتأثرين بالثقافة اليونانية، وفى إحدى هذه المجتمعات ـ وبالتحديد فى إنطاكية ـ أطلق على هؤلاء ولأول مرة لقب المسيحيين[٤]، وهذا يعنى ـ كما قلنا سابقاً ـ إن هذا اللقب لم يطلق على تلاميذ المسيح، ولا فى بلاد فلسطين التى ظهر فيها المسيح عليه السلام ودعا الناس فيها إلى

---

(١) نقول هنا إنهم آمنوا بالمسيحية ولم نقل آمنوا بديانة المسيح عليه السلام، لأن سفر الأعمال المشار إليه يوضح أنهم آمنوا به رباً ومسيحاً ومخلصاً، وهذه ليست ديانة المسيح عليه السلام.

(٢) المسيحية نشأتها وتطورها ص (٦٤) ، راجع أيضاً: سفر الأعمال ٦: ٩، ٧ : ٥٧

(٣) أعمال الرسل ١١ : ١٩ ـ ٢١.

(٤) أعمال الرسل ١١ : ٢٦.

دعوته ورسالته، ويعنى أيضاً أن الناس ميزوا تمييزاً واضحاً بين هؤلاء وبين الطائفة اليهودية الأصيلة[١].

يقول شارل جنيبير: وكان الخطر كبيراً على ديانة المسيح عليه السلام عندما انتقلت إلى المعابد اليهودية فى بلاد اليونان: خطر الانحراف والتطبع بخصائص الفكر اليونانى[٢].

خطر يهود الشتات على ديانة المسيح عليه السلام:

لقد شكل يهود الشتات - بمرونتهم وعدم تعصبهم ليهوديتهم وتأثرهم بمن حولهم - خطراً على ديانة المسيح عليه السلام حين آمنوا بها ونقلوها إلى مكان سكناهم فى المجتمعات اليونانية والرومانية، فالحقيقة أنهم لم يؤمنوا بهما كما جاء بها المسيح عليه السلام بل آمنوا بها بعد أن عدلوا فى عقائدها وأدخلوا فيها ما ليس منها، فأدخلوا العقائد الوثنية فى هذه الديانة وألصقوها بديانة المسيح عليه السلام.

وقد ساعدهم على ذلك أنهم كانوا بعيدين عن موطن تلاميذ المسيح الحقيقيين الذين يعرفون الحق من الباطل والصحيح من المحرف والسماوى من الوثنى.

يقول شارل جنيبير - عن مجتمعات يهود الشتات -: "ولا نشك فى أنها طورت من ادعاءات أصحاب عيسى قبل اعتناقها"[٣].

ولا نشك أيضاً فى أنه من أوائل العقائد الوثنية التى أدخلها يهود الشتات هى عقيدة الخلاص والفداء وما يتصل بهما؛ فلقد آمنوا بعيسى بن مريم على أنه ابن الله المخلص والمنقذ كما كان يؤمن الوثنيون بآلهتهم.

يقول د/ محمد توفيق صدقى: "التعبيرات والأفكار المتعلقة بالفداء وحمل الآثام، وعقاب البرئ بذنب المذنب، حمله اليهود المتنصرون فى مبدأ المسيحية كبولس وأضرابه إلى ديانتهم الجديدة، فأدخلوا فيها هذه العبارات والأفكار وطبقوها على

---

(١) المسيحية نشأتها وتطورها ص (٩٠).

(٢) المرجع السابق ص (٦١).

(٣) المرجع السابق ص (٨٧).

المسيح ثم توسعوا فيها شيئا فشيئاً حتى وصلت عقائدهم إلى ما نعرفه عنهم اليوم"[١].

وقد ساعد اليهود على إدخال هذه الأفكار وجودهم فى ذلك الوسط الوثنى وسط اليونانيين والرومانيين وغيرهم وانتشار مثل هذه العقائد بين جميع الأمم الوثنية الأخرى[٢].

فلقد حمل يهود الشتات ـ وعلى رأسهم بولس ـ بعض العقائد[٣] الوثنية إلى ديانة المسيح عليه السلام، وصاغوها وطبقوها على المسيح، حتى أصبحت تسمى بالمسيحية.

ومن خلال هذا النهج زحفت الوثنيات الأخرى إلى هذه الديانة.

هذا وقد عمل يهود الشتات على جعل ديانتهم المسيحية مقبولة لدى العالم الوثنى، فأزاحوا العقبات التى ظنوا أنها تقف حائلاً دون قبولهم المسيحية، فألغوا الختان، والتحريمات فى الطعام عدا ما ذبح للأوثان، والمخنوق، والدم[٤]، وأصبحوا يبشرون بأن الناموس الموسوى لم يعد صالحاً للاستعمال.

يقول يوسف الحداد: "منذ مطلع العهد الرسولى نشأ تفسيران للدعوة الإنجيلية، تفسير النصارى من بنى إسرائيل بزعامة يعقوب أخو يوحنا، وهذا التفسير يقول بإقامة التوراة والإنجيل معاً، والعمل بالختان والعماد معاً، وتفسير المسيحيين الذى نادى به التلاميذ من الشتات بقيادة مدرسة استفانوس وخصوصاً مدرسة بولس وهم يقولون بإقامة الإنجيل وحده وتحرير المسيحية من الموسوية[٥] أى تحرير المسيحية من شريعة موسى.

وبذلك فتحوا المجال أكثر لدخول العقائد الوثنية إلى المسيحية لسد الفراغ الذى تركه نبذ الشريعة الموسوية.

---

(١) د/ محمد توفيق صدقى: دين الله فى كتب أنبيائه ص (٣١).

(٢) المرجع السابق ص (٤١).

(٣) راجع ما قلناه فى الفصل الثالث من الباب الأول عن بولس والعقائد التى أدخلها فى ديانة المسيح عليه السلام.

(٤) أعمال الرسل ١٥ : ٢٠.

(٥) يوسف الحداد: فلسفة المسيحية فى رسائل بولس (١ / ١٦).

وهكذا يتضح لنا أن يهود الشتات لعبوا دوراً كبيراً فى تأثر ديانة المسيح عليه السلام ـ بعد رفعه ـ بالديانات الوثنية، والواقع أنهم كانوا مهيئين بالصفات التى اتصفوا بها، والتى أشرنا إليها سابقاً لأن يقوموا بهذا الدور، فكانوا من أوائل المنافذ لتسرب الوثنية إلى ديانة المسيح عليه السلام، حيث إنهم ألغوا ديانته وشريعته واستبدلوها بعقائد وشرائع وثنية وطبقوها على المسيح عليه السلام، وفتحوا المجال لمن يأتى بعدهم لأن يضيف إلى هذه الديانة ما يراه من وثنيات طالما أنه ينسبها للمسيح عليه السلام، ولذلك وجدنا منافذ أخرى لدخول الوثنيات إلى المسيحية.

وكان ليهود الشتات أيضاً دور فى هذه المنافذ كما سيتبين فيما يأتى، وذلك لأنهم هم الذين استخدموا اللغة اليونانية بدلاً من الآرامية، ولأنهم هم الذين بشروا بالمسيحية بين الوثنيين.

المنفذ الثانى: السرية التى فرضها المسيحيون على أنفسهم فى أول الأمر خوفاً من الاضطهاد

لقد قلنا سابقاً إن أتباع الديانة المسيحية قد عانوا الكثير من اضطهاد الأباطرة الرومانيين المعادين لهم، فكانت الكلمات التى تردد على ألسنة المسيحيين فى القرون الثلاثة الأولى (مسيحى) أو (مسيحية) تجلب على الناطقين بها الاضطهاد والتعذيب والموت(١)، وكان هذا سببا فى أن يتستر المسيحيون أو على الأقل يكتموا تدينهم بين أضلاعهم فلا يعرفه أحد(٢).

يقول د/ جوزيف نسيم يوسف: "أخذ المبشرون ينشرون المسيحية فى أقطار الأرض المعروفة وقتذاك، وقد بدأ التبشير بالديانة المسيحية كحركة سرية لا يمكن أن تكون علانية مع طبيعة النظام القائم وقتها "(٣).

ولذلك نجد أن العلماء يقررون أنه برغم أن المسيحية وصلت مصر فى القرن الأول إلا أنه لا يوجد لها أى أثر فى أى ورقة من أوراق البردى التى ترجع إلى القرن

---

(١) راجع الفصل الأول من الباب الأول والخاص "بالاضطهاد".
(٢) د/ أحمد شلبى: المسيحية ص (١٣٣).
(٣) د/ جوزيف نسيم يوسف: دراسات فى تاريخ العصور الوسطى ص (٤٢).

الأول مما كشف حتى الآن، بل إنه فى وثائق القرن الثانى لا يوجد من الأدلة والبيانات الواضحة سوى أثر ضئيل لهذه الديانة[١].

فهذا يدل على أن المسيحيين كانوا يخفون اعتقادهم خوفاً من أن تمتد إليهم أيدى السلطات الرومانية بالاضطهاد والتعذيب.

"وما دام قوم يتسترون ولا يجهرون بدعوتهم فإن العقيدة سيدخلها كثير من الباطل"[٢] خاصة بعد ضياع الإنجيل الصحيح والخروج بالديانة بعيداً عن موطن التلاميذ.

" لقد عاش القوم وسط الاضطهادات فكانت التعاليم سرية ولا يستطيع إنسان أن يتأكد مما يسمع.

إن الواحد منهم ـ بلا شك ـ كان يعتقد أن كل من حوله جاسوس عليه ورقيب عليه يحصى حركاته وسكناته، وإذا كانت هذه حاله فكيف يتمكن من سؤال غيره عن شئ فى دينه المحظور؟ لعل من يسأله يكون جاسوساً جاء ليعرف سره، وفى وسط هذا الجو دست على الدين كتب تحوى عقائد لم يتكلم بها السيد المسيح ولا تمت إلى شريعته بصلة "[٣].

فلقد كانت السرية من أكبر المنافذ التى ساعدت ومكنت يهود الشتات والوثنيين من دس المعتقدات والتعاليم الدينية التى لم يأت بها المسيح عليه السلام خاصة وأن الأناجيل والرسائل كتبت فى فترة الاضطهاد والسرية.

المنفذ الثالث: استخدام اللغة اليونانية

شرع المسيحيون من يهود الشتات فى استخدام اللغة اليونانية وإدخال الثقافات والمصطلحات اليونانية بدلاً من الآرامية، وذلك لكى يخفوا نهجهم فى تحريف ديانة المسيح عليه السلام وإدخال الوثنية إليها.

---

(١) إدريس بل : الهلينية فى مصر من الإسكندري الكبر إلى الفتح العربى ص (١١٦)

(٢) الوحدانية ص (١٤٧).

(٣) الحركة الفكرية ضد الإسلام ص (٢١٢ ـ ٢١٣).

واللغة الآرامية هى اللغة التى كانت سائدة فى بلاد فلسطين، وهى التى كان يتكلم بها أهلها فى العصر الذى ظهر فيه المسيح [١].

"وكانت اللغة العبرية ـ كما تقول كاثرين هنرى ـ قد بطل استعمالها لغة للكلام منذ السبى، لأن اليهود فى بابل تعلموا اللغة الآرامية وظلوا يتكلمون بها حتى بعد عودتهم"[٢].

"أصبحت اللغة الآرامية بعد تغلبها على اللغة العبرية فى فلسطين وما إليها، وعلى اللغة الأكادية (أو البابلية الآشورية) فى مناطق العراق، أى منذ أواخر القرن الرابع قبل الميلاد، اللغة السائدة فى التخاطب والكتابة فى جميع بلاد العراق من جهة، وفى سوريا وفلسطين وما إليها من جهة أخرى"[٣].

وظـل هؤلاء اليهود يستعملونها ويقدسونها، وبقى سلطانها عليهم حتى سنة ٦٣٥ م عند الفتح العربى فاستبدلت الآرامية باللغة العربية [٤].

فكانت الآرامية هى اللغة التى كان يتكلم بها المسيح عليه السلام وتلاميذه الأصليون[٥]، ولكن حينما آمن يهود الشتات بديانة المسيح بدأوا يستخدمون اللغة اليونانية فى التعبير عن هذه الديانة بدلاً من اللغة الآرامية السائدة، وكان بولس هو السبَّاق إلى صبغ ديانة المسيح عليه السلام بالصبغة اليونانية، واستخدام المصطلحات اليونانية وذلك حين عمل على نشر المسيحية بين ربوع اليونان والرومان.

يقول يوسف الحداد: "ودور بولس الثانى[٦] كان فى توطين المسيحية فى العالم الهلنستى وذلك فى (تهلينها) باستخدام التفكير والتعبير الهلنستى"[٧].

---

(١) د/ على عبد الواحد وافى : فقه اللغة ص (٦٦).

(٢) التاريخ فى الكتاب المقدس ص (١٢٩ ، ١٣٠).

(٣) الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام ص (١١)

(٤) ولفنسون: تاريخ اللغات السامية ص (١٢٥ ، ١٢٦) ، راجع أيضاً : لمحات من التاريخ فى الكتاب المقدس ص (١٢٠ ، ١٢١).

(٥) فقه اللغة ص (٦٦).

(٦) ذكر الكاتب المسيحى (يوسف الحداد) أن بولس له أفضال ثلاثة على المسيحية ، ذلك أنه المتكلم الأول والأفضل ـ فى نظره ـ فى تفصيل الإنجيل، وهو الذى قاد حركة تحرير المسيحية من الموسوية فى الشريعة والختان، وهو الذى نقل المسيحية إلى البيئة الهلنستية. راجع: فلسفة المسيحية فى رسائل بولس(١ / ١٦).

(٧) المرجع السابق، نفس الصفحة.

وبانتشار المسيحية بين يهود الشتات انتشر استخدام اللغة اليونانية بدلاً من اللغة الآرامية حتى إن الأناجيل المسيحية الحالية ألفت جميعها بها ما عدا إنجيل متى، فالراجح أنه كتب بالآرامية، ثم ترجم إلى اليونانية، غير أن الأصل الآرامى فقد، ولم يبق إلا الترجمة اليونانية، ولا يعرف من ترجمها؟ ولا متى ترجمت؟

يقول ناصر الدين دينيه : "أما أن الله سبحانه قد أوحى الإنجيل إلى عيسى بلغته ولغة قومه فالذى لا شك فيه أن هذا الإنجيل قد ضاع واندثر ولم يبق له أثر أو أنه باد أو أنه قد أبيد، ولهذا قد جعلوا مكانه توليفات أربعاً مشكوكاً فى صحتها، وفى نسبتها التاريخية، كما أنها مكتوبة باللغة اليونانية وهى لغة لا تتفق طبيعتها مع لغة عيسى الأصلية، لذلك كانت صلة السماء بهذه الأناجيل اليونانية أضعف بكثير من صلتها بتوراة اليهود"[١].

واستخدام اللغة اليونانية فى التبشير بالمسيحية بدلاً من الآرامية يعتبر من أكبر المنافذ لتسرب الوثنية إلى المسيحية، ذلك أن الكلمة فى لغة غير الكلمة فى لغة أخرى، وأن المعانى التى تحويها الكلمة فى لغة تقل أو تزيد إذا ترجمت إلى لغة آخرى.

ومن هذا الطريق استخدم المسيحيون ـ من يهود الشتات اللغة اليونانية بدلاً من الآرامية حتى يستطيعوا أن يغيروا المعنى، وتكون المحصلة تحريف ديانة المسيح عليه السلام . وإليك بعض الأمثلة على هذا.

يقول شارل جنيبير: "ولم يقل عيسى عن نفسه أنه (ابن الله)، وذلك تعبير لم يكن فى الواقع ليمثل بالنسبة إلى اليهود ـ سوى خطأ لغوى فاحش، وضرب من ضروب السفه فى الدين، كذلك لا يسمح لنا أى نص من نصوص الأناجيل بإطلاق تعبير (ابن الله) على عيسى، فتلك لغة لم يبدأ فى استخدامها سوى المسيحيين الذين تأثروا بالثقافة اليونانية"[٢].

---

(١) ناصر الدين دينيه : أشعة خاصة بنور الإسلام ص (٤٠ ، ٤١).

(٢) المسيحية نشأتها وتطورها ص (٣٩).

ويقول: " يمكن لليهودى أن يعتبر نفسه (عبداً) ليهوه، لا (ابناً ليهوه) ونعتقد أنه من المحتمل أن يكون عيسى قد صور نفسه (عبد الله) وتقدم للناس بهذه الصفة، والكلمة العبرية (عبد) كثيراً ما تترجم إلى اليونانية بكلمة تعنى (خادماً) و(طفلاً) على حد سواء، وتطور كلمة (طفل) إلى كلمة (ابن) ليس بالأمر العسير، ولكن مفهوم (ابن الله) نبع من العالم الفكرى اليونانى "[(١)].

ولقد برر العالم المسيحى د/ إدوار يونج الاختلاف فى روايات الأناجيل فى قصة الشاب الغنى [(٢)] بقوله: "إنه من الواجب أن نعلم أن الحديث جرى فى الأصل باللغة الآرامية بين المسيح والشاب الغنى غير أن البشيرين ـ كتاب الأناجيل ـ عندما كتبوا الأناجيل كتبوها باللغة اليونانية، أو أنهم فى الواقع كتبوا ترجمة الحديث من الآرامية إلى اليونانية "[(٣)]

ويفهم من هذا التبرير أن الترجمة من الآرامية إلى اليونانية هى التى سببت هذا الاختلاف، وهذا يعنى أن استخدام اللغة اليونانية للتعبير عن المسيحية كان سبباً فى تعديل أقوال المسيح وتعاليمه.

ولم يقتصر الأمر عند حد استخدام اللغة اليونانية فقط، بل تعداها إلى الأفكار والمصطلحات الهلينية[(٤)].

يقول د/ فهيم عزيز: "إن الكنيسة المسيحية الأولى قد استفادت واستخدمت كثيراً من الصور والتفكير اليونانى وملأته بالرسالة المسيحية "[(٥)].

---

(١) المرجع السابق هامش ص (٣٩، ١٠٦).

(٢) وملخص هذه القصة أن شابا غنياً سأل المسيح قائلاً: أيها المعلم الصالح: أى صلاح أعمل لتكون لى الحياة الأبدية؟ فقال له المسيح ليس أحد صالحاً إلا الله، ولكن إذا أردت أن تدخل الحياة الأبدية فاحفظ الوصايا: لا تقتل، لا تزن... إلى آخره " راجع هذه القصة فى الأناجيل المسيحية على النحو التالى: متى ١٩ : ١٦ ـ ٢٦ / مرقس ١٠ : ١٧ ـ ٢٧، لوقا ١٨ : ١٨ ـ ٢٧.

(٣) د/ إدوار يونج: الكتاب المقدس فى الميزان ص (١٥١).

(٤) المدخل إلى العهد الجديد ص (١٠٤).

(٥) المرجع السابق ص (١٠٥).

ويقول جون لوريمر ـ عن الكنيسة ـ "فقد كانت لغتها هى اليونانية، أما الفكر اللاهوتى والتقاليد فقد اصطبغ بالصبغة الهلينية"(١).

ويقول محمد شفيق غربال: "فالكلمات الأساسية كافة فى العقيدة المسيحية يونانية الأصل"(٢).

والخلاصة: أن استخدام اللغة اليونانية بدلاً من الآرامية التى كان يتحدث بها المسيح عليه السلام كان سبباً فى تحريف ديانته، وذلك عن طريق لوى الألفاظ، وتغيير المعانى، أو عن طريق إدخال المصطلحات والأفكار اللاهوتية اليونانية والتى كانت تستخدم فى التعبير عن العقائد الوثنية.

وكان المسيحيون من يهود الشتات هم السبب فى هذا الاستخدام، وذلك لكى يخفوا تغييرهم لمضمون ديانة المسيح عليه السلام، ويحتالوا على تحريفها.

وقد فطن القاضى عبد الجبار إلى هذا المنفذ الخطير، وأشار إليه فقال: " قالت العلماء: عدولكم معشر النصارى عن اللغة العبرانية، وهى لغة المسيح والأنبياء قبله عليهم السلام إلى سائر اللغات حتى ما من نصرانى يتلو هذه الأناجيل فى فرض من فروضه بلغة العبرانى، حيلة ومكيدة وفراراً من الفضيحة، فقال الناس لهم: إنما وقع العدول عنها لما قصده أصحابكم الأولون من الادّغال فى المقالات، واحتيالاً فى تدليس ما وضعوه من الأكاذيب، وستراً لما احتالوا طلباً للرئاسة، ذلك أن العبرانية كانت لغة أهل الكتاب، وأهل العلم فى ذلك الزمان، فغير هؤلاء النفر اللغة بل عدلوا عنها كلها لئلا يفهم أهل العلم مذهبهم وقصدهم لسترها فيفتضحوا قبل تمكن مذهبهم، ولا يتم لهم، فعدلوا إلى لغات أخرى ما تكلم المسيح ولا أصحابه بها، وليس أهلها من أهل الكتاب ولا لهم علم بكتب الله وشرائعه"(٣).

---

(١) جون لوريمر: تاريخ الكنيسة (١/ ١٤٣).

(٢) تكوين مصر ص (٧١).

(٣) القاضى عبد الجبار: تثبيت دلائل النبوة (١ / ١٥٣، ١٥٤).

المنفذ الرابع: التبشير بالمسيحية فى العالم الوثنى

إن المسيح عليه السلام ـ كما توضح الأناجيل الحالية ـ كان يعلم تلاميذه أنه أرسل إلى بنى إسرائيل خاصة فقال لهم (لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة) [١] وأوصاهم حين أرسلهم للتبشير بقوله: "إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامرين لا تدخلوا بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة"[٢].

وهناك فقرات أخرى فى الأناجيل تبرز خصوصية رسالة المسيح لبنى إسرائيل، ففى إنجيل متى أن بطرس سأل المسيح قائلاً: ها نحن قد تركنا كل شئ وتبعناك فماذا يكون لنا؟ فقال لهم يسوع: الحق أقول لكم إنكم أنتم الذين تبعتمونى فى التجديد متى جلس ابن الإنسان على كرسى مجده تجلسون أنتم أيضاً على اثنى عشر كرسياً تدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر"[٣].

فهذه الفقرات وغيرها تدل بوضوح على أن دائرة التبشير بديانة المسيح عليه السلام مقتصرة على بنى إسرائيل وحدهم.

ولكن يهود الشتات ـ وعلى رأسهم بولس ـ كان لهم رأى آخر، ذلك أنهم أخذوا يبشرون بالمسيحية بين الوثنيين فى الأقطار اليونانية والممالك الرومانية بين اليونانيين والرومانيين والشرقيين، وقد وجد هؤلاء فى الدين الذى يعرض عليهم بعض العقبات التى تقف فى طريق قبولهم له، ولكن بفضل جهود بولس ومن معه أزيلت هذه العقبات، فلقد تسامح بولس فى قبول الوثنيين فى المسيحية دون أن يفرض عليهم الالتزام بالشريعة الموسوية، هذا إلى جانب أنه فسر لهم الأحداث التى ألصقت بالمسيح ـ كالصلب مثلاً ـ بما يتفق وعقائدهم الوثنية حتى أصبحت المسيحية ملائمة لهم.

---

(١) متى ١٥ : ٢٤.

(٢) متى ١٠ : ٥ ، ٦.

(٣) متى ١٩ : ٢٧ ، ٢٨

يقول د/ محسن العابد: "إلا أن تسامح بولس فى قبول المسيحيين من غير اليهود، دون أن يفرض عليهم الختان، والخضوع للتشريع الموسوى، وخاصة الشعائر الطقوسية الخاصة بالطعام قد فتح للمسيحية آفاقاً جديدة خارج أورشليم"[١].

ويقول فيليب حتى: "قد بدت بعض مظاهر الدين الجديد (المسيحية) غريبة على الفكر الرومانى اليونانى، ولكن الهوة أزيلت نهائياً بجهود بولس والآباء المسيحيين الأولين، ذلك بأن هؤلاء الكتاب قاموا بإعطاء المسيحية شكلها الهلينى، وجعلوها ملائمة للانتشار فى العالم، وكان بولس يعرف اللغة والفلسفة اليونانية، واستعمل التعابير والمصطلحات الفلسفية، وتبنى بعض آراء من ديانات الأسرار، وبفضل الطريقة التى انتهجها تم التفاهم بين الديانة المسيحية والحضارة اليونانية، وقد اتخذت المسيحية طابعاً هلينياً قبل أن تصبح مقبولة لدى الرومان واليونان"[٢].

ثم أخذت المسيحية تنتشر بين الوثنيين بعد هذه التعديلات.

أهم خصائص الديانات الوثنية آنذاك[٣]:

إن الديانات الوثنية التى انتشرت فى الفترة ما قبل ظهور المسيح بثلاثة قرون وحتى القرن الثالث الميلادى قد جمعت بينها خصائص مشتركة أهمها ما يلى:

(١) كانت هذه الديانات تقوم على التعدد، فلم تخل أى ديانة من تلك الديانات من ظاهرة التعدد، هذا وقد حددت بعض الديانات هذا التعدد بثالوث، مثل الديانة المصرية (أوزيريس - وإيزيس - وحورس).

(٢) كانت هذه الديانات تؤمن بعقيدة حلول الله فى الحيوانات والنباتات والإنسان، وذلك مثل الديانة المصرية واليونانية والرومانية.

(٣) كانت هذه الديانات تؤمن بالإله المخلص المنقذ الذى يموت ثم ينتصر عليه بقيامه من الأموات، وذلك مثل أوزيريس، وديونيس.

---

(١) د/ محسن العابد: مدخل فى تاريخ الأديان ص (٣١)

(٢) تاريخ سورية (١ / ٣٦٦).

(٣) راجع للمؤلف كتاب: دراسات فى الأديان الوثنية القديمة، ط أولى سنة ١٩٩١م، دار المنار.

(٤) هذا إلى جانب أن هذه الديانات كانت تمارس طقوساً دينية يعتقد الناس فيها أنها تطهرهم من الآثام وتضمن لهم الخلود مثل التعميد، وطقوساً أخرى يعتقد الناس فيها أنها توحدهم بالإله وذلك مثل المائدة المقدسة وغيرها.

(٥) وكانت أهم ظاهرة فى هذه العصور هى ظاهرة المزج والتوفيق بين الآلهة، والتى كانت سائدة ومنتشرة فى أرجاء العالم الوثنى ، فى الفترة ما بين القرن الرابع قبل الميلاد إلى القرن الثالث الميلادى.

"فمنذ عصر الإسكندر الأكبر كان هناك ميل مطرد إلى التوحيد بين مختلف الآلهة سواء الوطنية أو الأجنبية، ويعرف هذا الاتجاه باسم حركة التوفيق العقائدى"[١].

يقول جورج سارتون: "ذاعت نزعة الجمع الهلينية بين الناس ذيوعاً جعلهم لا يقتصرون على عبادة الآلهة الأجانب بل يعبدون أمشاجاً منها"[٢]، وذلك بعد التوفيق والمزج بينها، وقد استمرت حركة المزج هذه فى عصر الإمبراطورية الرومانية، "حتى ليمكن أن يقال إن العالم لم يشهد فترة امتزجت فيها الأديان القديمة كما حدث فى ظل الإمبراطورية الرومانية"[٣]، ولهذا وصف ذلك العصر بأنه عصر المزج الدينى والفكرى[٤].

كيف اعتنق الوثنيون المسيحية؟:

إن ديانة المسيح عليه السلام التى شوهت على أيدى يهود الشتات وأصبحت تسمى بالمسيحية، حين خرجت من دائرة نفوذها وتبشيرها فى بلاد أورشليم إلى بلاد العالم الوثنى، لم تكن لتستطع أن تتجنب المؤثرات الخارجية، ولم تكن لتستطع أن

---

(١) الديانة اليونانية القديمة ص (١٤١).

(٢) تاريخ العلم (٤ / ٣٠٨).

(٣) د/ مصطفى العبادى: مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربى ص (٢٧٥)

(٤) تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسى والحضارى ص (٢٤٤)، وكان المزج بين الدين والفلسفة سمة من سمات هذا العصر الرومانى أيضاً، ففى كتاب (مبادئ الفلسفة) جاء ما يلى: (وكان امتزاج الدين بالفلسفة ـ الذى هو من خصائص التطور العقلى قبيل النصرانية وبعدها ـ ملموحاً فى الرأى العام وفى المدنية أيام الحكم الرومانى، كان الدين يبحث عن الفلسفة ونظمها ليجد له أساساً علمياً يبنى عليه عقائده ويجعلها أكثر قبولاً لقوم راقين ". راجع رابوبرت: مبادئ الفلسفة ص (١٠٩).

تقف أمام وثنيات العالم الوثنى، فلم يكن لها من القوة الذاتية ما يحفظها من التأثر بغيرها، إذ أنها خرجت من دائرة نفوذها بدون كتاب صحيح يقف عنده كل مبتدع أو مغال أو مضل، أو كل من يحاول العبث بها، ذلك أن الإنجيل الصحيح الذى أنزل على عيسى عليه السلام لم يتعلمه هؤلاء الذين حلموا الديانة إلى العالم الوثنى، وذلك بحكم شتاتهم بعيداً عن البلاد التى بشر فيها المسيح عليه السلام. ويهود الشتات هؤلاء لم يكونوا هم الذين يهمهم أن يحفظوا الديانة بعيداً عن المؤثرات الوثنية، بل هم الذين ساعدوا على دخول الوثنية إلى المسيحية، وذلك بحكم تكوينهم ومعيشتهم بين الشعوب الهلنستية، فلقد أغرموا بثقافتهم اليونانية وأعجبوا بها وأدخلوها فى ديانتهم.

بهذه الروح حمل يهود الشتات المسيحية إلى الوثنيين بدون وضع الحد المانع لهم الذى يقفون عنده، بل فتحوا المجال أمامهم لأن يدخلوا المسيحية ويؤثروا فيها بدون وضع شرط أو قيد عليهم، وذلك بعد أن سهلوا لهم عملية الدخول بدون الالتزام بشريعة موسى التى صرح المسيح بأنه ما جاء مناقضاً لها، بل وعدلوا لهم بعض العقائد التى لم يكن ليرضى عنها هؤلاء الوثنيون، ولذلك صوروا لهم المسيح عليه السلام بأنه المخلص والمنقذ لهم (بالطريقة الوثنية) وفسروا المسيحية بما يتفق ومعتقدات الوثنيين.

ولذلك نجد القاضى عبد الجبار يقول : " فاختلع بولس من ديانات المسيح وصار إلى ديانات الروم، فإذا تبينت الأمر وجدت النصارى ترومو ورجعوا إلى ديانات الروم، ولم تجد الروم تنصّروا"[١].

ويقول د/ رؤوف شلبى: "إن قبول الرومان للمسيحية كان بعدما صارت المسيحية رومية الموضوع وبعد أن حذفت كثيراً من عناصرها الرئيسية"[٢].

ولقد سار الوثنيون على النهج الذى رسمه هؤلاء اليهود فأدخلوا وعدلوا فى الديانة الجديدة بما يتفق وعقائدهم الوثنية، وساروا على ما ألفوه فى مجال المعتقدات

---

(١) تثبيت دلائل النبوة (١ / ١٥٨ ، ١٦٨ ، ١٧٣).

(٢)د/ رؤوف شلبى : التفكير الدينى فى العالم قبل الإسلام ص (٣٩٩).

وهو المزج والتوفيق بين الآلهة، وحمل هؤلاء الوثنيون إلى المسيحية وثنياتهم القديمة، والتى لم يستطيعوا التخلى عنها أو التجرد منها.

يقول ول ديورانت: "وعرض بولس الإنجيل على غير اليهود من أهل كورنثة، ودخل كثيرون منهم فى دينه، ولعل **المسيحية قد بدت لهم أنها صورة أخرى من الأديان الخفية - السرية - التى طالما حدثتهم عن المنقذين الذين يبعثون بعد موتهم، ولعلهم حين قبلوها قد مزجوها بتلك العقائد القديمة، وأثروا فى بولس فجعلوه يفسر المسيحية تفسيراً يألفه العقل الهلينستى**"[١].

ويقول: "ولم يكن فى وسع غير اليهود من أهل إنطاكية وسواها من المدن اليونانية الذين لم يعرفوا عيسى بجسمه أن يؤمنوا به إلا كما آمنوا بآلهتهم المنقذين ولهذا ناداهم بولس بقوله[٢]: "هو ذا سر أقوله لكم"[٣].

وأخذت العقائد الوثنية تتسرب إلى المسيحية بواسطة هؤلاء الوثنيين سواء كانوا فى البلاد الشرقية أو اليونانية أو الرومانية، فكلما آمن قوم منهم أدخلوا فيها ما يتفق وعقائدهم الوثنية.

ومن الأدلة على ذلك ما أوردته الكاتبة المسيحية (بتشر) فى صورة خطاب بعثه أدريانوس[٤] قيصر إلى سرفيانوس القنصل الرومانى يقول فيه: "أما بعد فإن مصر التى أطنبت لى فى مدحها أيها العزيز قد وجدت أهلها على درجة عظيمة من الخفة والطياشة وقلة الحزم، يصدقون كل ما يقال ويطيرون مع كل ريح تهب، **فالذين يعبدون سرابيس مسيحيون، والذين يدعون أنفسهم أساقفة المسيح عبيد لسرابيس، بل إن البطريرك نفسه لما جاء إلى مصر** قال عنه بعضهم إنه يعبد الإله سرابيس، وقال آخرون إنه يعبد المسيح"[٥].

---

(١) قصة الحضارة. المجلد الثالث (٣ / ٢٥٨).

(٢) ١- كورنثوس ١٥ : ١٥.

(٣) قصة الحضارة. المجلد الثالث (٣ / ٢٦٤).

(٤) عندما مات الإمبراطور تراجان سنة ١١٧م خلفه (أدريانوس) على العرش، وقد شرع هذا الإمبراطور فى السنة الرابعة من ملكه يطوف الولايات الرومانية وزار خلالها مصر.

(٥) ا.ل. بتشر: تاريخ الأمة القبطية (١ / ٦١).

فلم يستطع القيصر أن يفرق بين المسيحيين والوثنيين، وذلك لأن الوثنيين حين دخلوا المسيحية حملوا معهم عبادة الإله سرابيس، ومزجوها بالمسيحية، ولم يجد الكهنة أو الشعب ـ كما يقول ول ديورانت ـ ما يحول بينهم وبين استبدال مريم بإيزيس أو المسيح بسرابيس"(١).

ومن الأدلة على ذلك أيضاً، ما أوردته هذه الكاتبة عن إنجيل المصريين فتقول: "إن هذا الإنجيل الذى كان ينسب للمصريين ضاع منذ زمان طويل، حتى إنه ليصعب الآن معرفة أى الأناجيل الأربعة كان هو، بل قد أصبح من المرجح الآن استدلالاً من بعض شذرات وصلت إلينا باللغة اليونانية أن الإنجيل المذكور لم يكن ترجمة **وإنما هو مجموعة أدخل إليها شئ من العقائد المصرية القديمة**"(٢).

فإنجيل المصريين اختلطت فيه الوثنيات المصرية القديمة بالمسيحية.

ولقد أوردت الكاتبة المسيحية هذه أسماء بعض الأشخاص الذين كانوا يمزجون الوثنية بالمسيحية فقالت:

"فقد كان كربو كراتيس، وباسيليدوس، وفالنتينيان، وجميعهم مصريو الجنس يتفننون وقتئذ فى إلباس القواعد الدينية ثوب المجاز والرمز، مجتهدين فى إذاعة تعليمهم ومذهبهم بالإسكندرية، نعم قد عُدّ هؤلاء الثلاثة بعد موتهم من الهراطقة، **ولكن لا يوجد برهان صريح على أن الكنيسة حكمت على أى منهم بالهرطقة فى أثناء حياته، وربما كان ذلك لأنهم كانوا يؤمنون بالحقائق الجوهرية فى الديانة المسيحية، وإنما أثموا لأنهم كانوا يحاولون مزج أسرار الديانة الوثنية المصرية وغوامض رموزها بقواعد الإيمان المسيحى**"(٣).

والصحيح ـ فى نظرى ـ أنهم لم يحكم عليهم بالهرطقة فى حياتهم لأنه لم يكن بعد قد حدد ـ بصفة نهائية ـ الإيمان المسيحى فى نظر المسيحيين، فإنهم حين قرروا قانون الإيمان فى القرن الرابع عَدّوا ما عداه هرطقة، ولم يعد الأخذ من الوثنيات مطلقاً بغير ضوابط كما كان من قبل.

---

(١) قصة الحضارة. المجلد الثانى (٣ / ٧٩).

(٢) ا.ل. بتشر: تاريخ الأمة القبطية (١ / ٦١).

(٣) المرجع السابق ص (٤٩).

وعلى ذلك فالمسيحية انتشرت بين المصريين ـ كما يقول هارناسك ـ لأنهم خلقوا لأنفسهم ديناً قومياً من المسيحية وذلك بأن لقحوا هذه الديانة ببقايا معتقداتهم القديمة وآمالها"(١).

ولم يكن الأمر قاصراً على المصريين وحدهم، والديانة المصرية وحدها، بل هناك عناصر وثنية أخرى أدخلها اليونانيون والرومانيون حين دخلوا فى المسيحية حين أدمجوا عقائدهم الوثنية بالمسيحية.

يقول ديتلف نيلسن: "والمسيحية ضمت إليها سواء كان ذلك فى وطنها أو فى الأوطان التى غزتها كثيراً من العادات والتقاليد الوثنية القديمة، وكانت روح الوئام بينها وبين الوثنية قوية"(٢).

وقد علل العلماء(٣) انتشار المسيحية فى القرون الميلادية الأولى ونجاحها فى التغلب على الديانات الوثنية آنذاك بأنها قد استوعبت هذه الأديان "وأخذت من كل دين خير ما وجدته"(٤).

بمعنى أنها أخذت من كل دين ما تراه صالحاً لانتشارها وقبولها لدى الوثنيين (٥).

يقول أرنولد توينبى: "لكن المسيحية خرجت عن التوحيد اليهودى بأن ابتلعت وتمثلت الديانات المنافسة المقهورة والتى كانت بأجمعها ديانات لا يهودية"(٦).

ويقول: "لم يكن باستطاعة المسيحية أن تعيش وتسمح لغيرها أيضاً بالعيش، وكان عليها إما أن تقضى على منافساتها أو أن تمتصها، وكان مثل هذا الامتصاص يجب أن يتم بشكل خفى، ومع ذلك فقد امتصت المسيحية أكثر مما دمرت"(٧).

---

(١) محمد شفيق غربال: تكوين مصر ص (٧٣).

(٢) ديتلف نيلسن: التاريخ العربى القديم ص (١٧٣).

(٣) يقول عبد الرشيد الأنصارى ـ أحد المسيحيين الذين أسلموا ـ فى سبب إسلامه: "ومما ثبط من عزمى أيضاً أننى وجدت المسيحية قد استوعبت العديد من الشعائر الوثنية فى كفاحها لتبقى". راجع: عبد الرشيد الأنصارى: قصة إسلامى ص (١٨).

(٤) راجع المسيحية نشأتها وتطورها ص (١٢٨).

(٥) وهذا المعنى يفسره الكاتب الأمريكى (اليوت) بقوله: تكيف المسيحية نفسها باستمرار لوضع يمكن معه الاعتقاد بها" راجع: أسطورة تجسد الإله ص (٢٣)...

(٦) أرنولد توينبى: تاريخ البشرية (١ / ٣٦١)

(٧) المرجع السابق (١ / ٣٧٨).

ويقول: "إن المسيحية كما أوضحها بولس نجحت فى التغلب على الديانات الإقليمية المنافسة لها بأن امتصتها، وكان ثمن ذلك التخفيف من الوحدانية[١] التى ورثتها عن اليهودية، فأصبح يسوع الإله المتجسد كما كان الفرعون والقيصر وراما وكرشنا، وباعتبارها (أم الله) أصبحت أم يسوع الإنسان إلاهة فى الواقع."[٢]

ويقول شارل جنيبير: "وإذا كانت المسيحية قد انتصرت فى القرن الثالث على سائر ألوان التأليف الدينى الوثنى، فذلك لأنها كانت قد تطورت هى الأخرى إلى تأليف دينى، تجتمع فيه سائر العقائد الخصبة، والشعائر الجوهرية النابعة من العاطفة الدينية الوثنية، قامت هى بترتيبها وتركيبها، وأضفت عليها الانسجام الذى تفتقر إليه"[٣].

فانتشرت المسيحية إذن بعد أن أصبحت تشتمل على معظم العقائد والطقوس الوثنية التى ألفها العالم الوثنى آنذاك.

ولذلك يمكن القول: "إن المسيحية لم تقض على الوثنية بل تبنتها"[٤].

يقول ول ديورانت: "وقصارى القول إن المسيحية كانت آخر شئ ابتدعه العالم الوثنى"[٥].

الخلاصة:

إن المسيحية حين خرجت من نطاق التبشير بين اليهود ومضت إلى بلاد الوثنيين اختلطت وامتزجت بالأفكار والعقائد الوثنية.

وكان الوثنيون الذين دخلوا فى المسيحية منفذاً كبيراً لتسرب عقائدهم الوثنية إلى المسيحية، حيث إنهم لم يستطيعوا فهم المسيحية ـ وهم معزولون عن إنجيل عيسى وتلاميذه ـ بغير ما هو ممتزج بأفهامهم وما هو مغروس فى قلوبهم، فحاول كل

---

(١) والأجدر أن يقول: " وكان ثمن ذلك الخروج عن الوحدانية " فهذا هو الصحيح فى نظرى.

(٢) المرجع السابق ص (٣٧٧).

(٣) المسيحية نشأتها وتطورها ص (١٢١).

(٤) قصة الحضارة. المجلد الثالث (٣ / ٢٧٥).

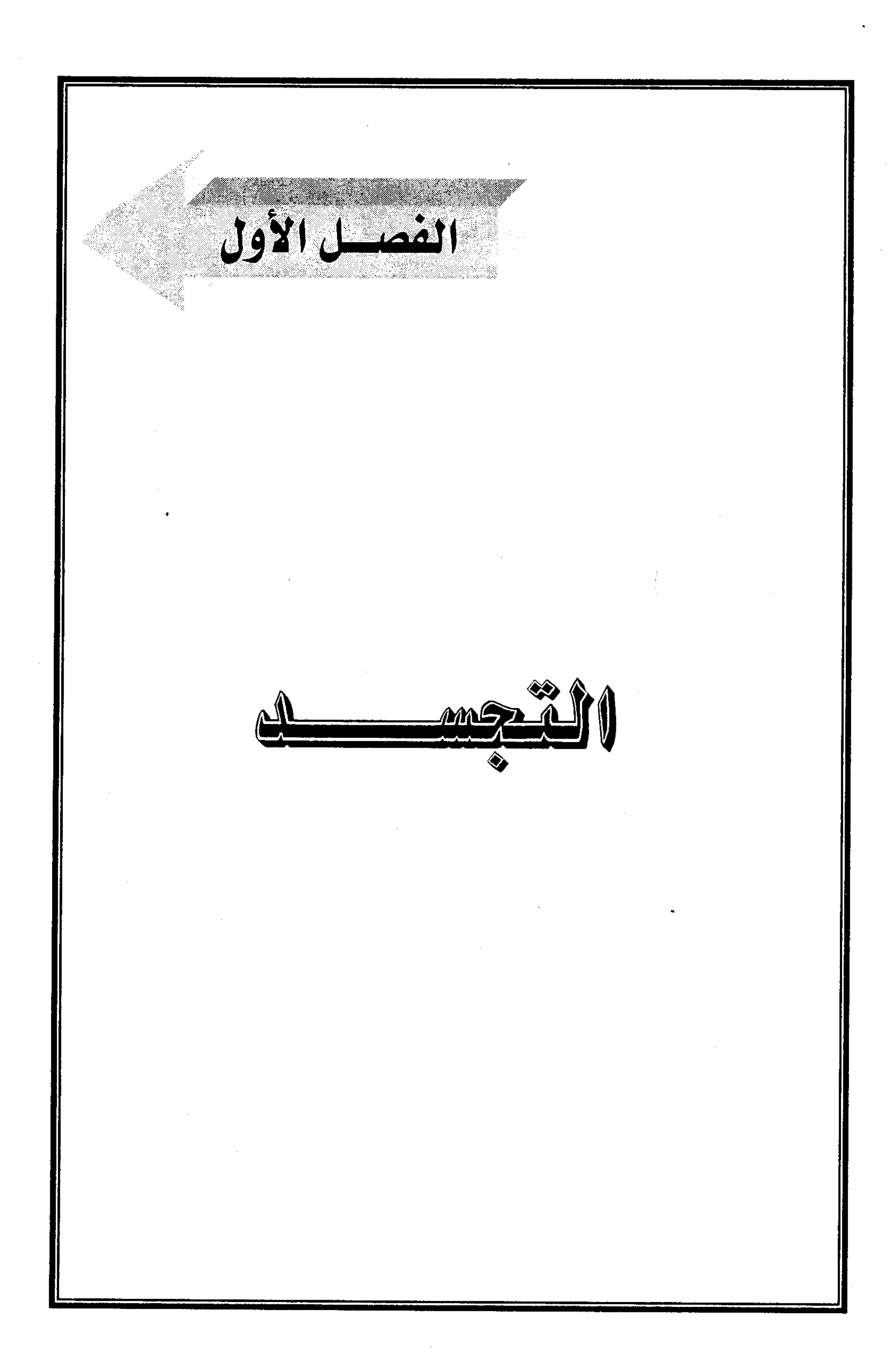
(٥) المرجع السابق ص (٢٧٦).

واحد منهم ـ بمساعدة مدرسة بولس ـ أن يفهم دينه الجديد فى ضوء فكره ومعتقده القديم، ونتيجة لهذا تكون للمسيحية العديد من العقائد الوثنية من أديان الشرق والغرب.

ولقد أدى هذا الأمر إلى الاختلاف الشديد بين المسيحيين، وحاولت المجامع ابتداء من القرن الرابع الميلادى حسم هذا الاختلاف، وفى سبيل هذا أخرجت لنا عقيدة معقدة مستحيلة الإدراك والفهم، فضلاً عن كونها لم تستطع أن تحسم الخلاف القائم بين المسيحيين.

الباب الثانى

مظاهر تأثر المسيحية
بالأديان الوضعية



الفصل الأول

التجسد

التجسد فى المسيحية

تعتبر عقيدة التجسد أهم العقائد المسيحية على الإطلاق، لدرجة أن المسيحية ـ كما يقول وايلز أستاذ الإلهيات والكتاب المقدس فى كلية المسيح بإكسفورد ـ توصف غالباً بأنها " عقيدة التجسد"[١].

ويقول: "وكلمتا مسيحية وتجسد متقاربتان إلى حد الترادف فى آذان كثير من الناس، لدرجة أن مسيحية بدون تجسد لها وقع مبهم وغير مفهوم بالنسبة لهؤلاء الناس"[٢].

وأهمية عقيدة التجسد فى المسيحية تظهر حينما نعلم أنها أساس العقائد المسيحية الأخرى، فالمسيح الإله ـ فى نظر المسيحيين ـ هو الأقنوم الثانى من الأقانيم الثلاثة التى تصور عقيدتهم فى الذات الإلهية، وهو أيضاً ـ فى نظرهم ـ الذى تجسد ليصلب ويموت ويقوم من موته ليفدى البشرية ويخلصها من الخطايا والآثام.

ولذلك فإن إنكار التجسد ـ كما يقول د/ جورج حبيب ـ هو إنكار لكل شئ فى الكنيسة، بل هو إنكار المسيحية برمتها "[٣].

ويقول إنسطاسى شفيق: "وكل من لا يقبل حقيقة التجسد ليس مسيحياً البتة"[٤].

معنى التجسد :

والكلمة (تجسد) تعنى فى الجسد، وتستعمل فى علم اللاهوت المسيحى دلالة على الاعتقاد بأن (الكلمة) صار جسداً[٥]، بمعنى أن المسيح ابن الله صار إنساناً باتخاذه لذاته جسداً[٦].

---

(١) مجموعة من أساتذة اللاهوت المسيحى : أسطورة تجسد الإله فى المسيح ص (٢٧).
(٢) المرجع السابق ص (٢٨).
(٣) د/ جورج حبيب: المعمودية فى الكنيسة الواحدة ص (٢٢).
(٤) اللاهوت فى إنجيل يوحنا ص (٤١)
(٥) جورجيا هاكنس : بماذا يؤمن المسيحيون ص (٦٠).
(٦) تفسير أصول الإيمان (١ / ٨١).

يقول كلايدتارنر: نعنى بالتجسد أخذ جسد بشرى، أى أن ابن الله جاء إلى العالم وأخذ جسد بشر، والكلمة صار جسدًا[١].

واستند المسيحيون فى هذا المعنى إلى قول يوحنا "والكلمة صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده كما لوحيد من الآب مملوءاً نعمة وحقاً"[٢].

ويتبين من هذا التعريف أن التجسد خاص بالمسيح ابن الله ـ أو الكلمة ـ الذى يمثل الأقنوم الثانى فى الثالوث المسيحى.

يقول إنسطاسى شفيق: "إن الأقنوم الثانى أخذ جسداً، فكان هو الكلمة قبل أن يتجسد، ولم يزل هكذا بعد ذلك فقد ولد من عذراء، وأخذ جسداً بشرياً مثلنا تماماً ما خلا الخطية"[٣].

التصور المسيحى حول التجسد الإلهى:

عند تحليل كلمات التعريف السابق للتجسد نرى أنه يشتمل على حقيقتين:

الأولى: القول بأن المسيح إله.

الثانية: أن هذا الإله ظهر فى صورة بشرية، وهذا يعنى أن المسيح فى نظرهم إله وإنسان.

يـقول كلايد تارنر: "هناك حقيقتان يحويهما تجسد المسيح، إله حق، إنسان حق"[٤].

وسنتحدث فيما يلى عن الحقيقة الثانية بإيجاز أولاً، وذلك لأن كون المسيح عليه السلام إنسانا ليست محل خلاف بين أحد، ثم نذكر بعد ذلك قولهم فى ألوهية المسيح وما يتبع ذلك.

أولاً: المسيح إنسان:

جاء فى علم اللاهوت المسيحى "أن المسيح إنسان حقيقى، أى ذو طبيعة بشرية كاملة، ولذلك كل ما ينسب إلى الإنسان باعتبار ناسوته ما خلا الخطية يمكن أن ينسب إلى المسيح"[٥]. "فالطبيعة البشرية التى أخذها المسيح عليه السلام ـ فى نظرهم

---

(١) كلايد تارنر: هذه عقائدنا ص٨٢.

(٢) يوحنا ١ : ١٤.

(٣) اللاهوت فى إنجيل يوحنا ص (٤١).

(٤) كلايد تارنر: هذه عقائدنا ص (٨٢).

(٥) علم اللاهوت النظامى ص (٧٧٣).

- لم تكن طبيعة مختلفة عن كل الطبائع البشرية، بل هى نفس طبيعة كل إنسان، وهى طبيعة آدم قبل السقوط بل بعده"(١).

وهذه الطبيعة البشرية تظهر فى كونه حملت به امرأة، وولدته، ثم بعد ذلك اتصف بكل صفات الإنسان.

يقول القس أنسطاسى شفيق: "فى الكلام عن تجسد المسيح من جهة نفس التجسد ينبغى أن نلاحظ أمرين على الخصوص: أحدهما الحبل به الذى كان فى مستودع واحدة من الجنس البشرى وقد صار به ابن الإنسان حقاً، كما دعى مرارا كثيرة، وكان من نسل آدم ابناً لإبراهيم وابن داود حسب وعد الله(٢)، غير أن هذا

---

(١) تاريخ الفكر المسيحى. المجلد الأول ص (٣٨٩).

(٢) يعتقد المسيحيون أن المسيح ابن داود، وذلك باعتبار أن داود هو الشخص الذى سيخرج منه المسيا المنتظر الذى يخلص الناس من الشرور والآثام، ولذلك استشهدوا ببعض نبوءات العهد القديم وقالوا إنها تدل على المسيح، وذلك مثل ما جاء فى المزامير " أقسم الرب لداود بالحق لا يرجع عنه، من ثمرة بطنك أجعل على كرسيك، إن حفظ بنوك عهدى وشهاداتى التى أعلمهم إياها فبنوهم أيضا إلى الأبد يجلسون على كرسيك" مزمور ١٣٢ : ١١ ، ١٢.والمقصود بهذه النبوءة - فى نظر المسيحيين - هو المسيح (عن نسبة المسيح إلى داود، ونبوءات العهد القديم. راجع: تاريخ الفكر المسيحى. المجلد الأول ص (٣٠ ، ٣١ ، ١٧٣).

ولقد أطلق كتاب الأناجيل على المسيح هذا اللقب. ففى إنجيل لوقا يقول الملاك للعذراء " ويعطيك الرب الإله كرسى داود أبيه " لوقا ١ : ٣٢، وفى إنجيل مرقس ورد إطلاق هذا اللقب على المسيح ثلاث مرات " مرقس ١٠ : ٤٧، ٤٩، ١٢ : ٣٥ (عن إطلاق لقب ابن داود على المسيح فى العهد الجديد.. راجع المدخل إلى العهد الجديد ص (١٩٧ ، ١٩٨).

وعند مناقشة هذه الدعوى يجب أن نبرز أن المسيح لم ينسب إلى نفسه هذا اللقب، بل نجد أنه بين أن النبوءات الخاصة بابن داود لا تنطبق عليه، فالأناجيل تذكر (متى ٢٢ : ٤١- ٤٦، مرقس ١٢ : ٣٥- ٣٧، لوقا ٢٠ : ٤١- ٤٤) أن المسيح وجه سؤالا إلى الفريسيين قائلا: ماذا تظنون فى المسيح؟ فقال الفريسيون إنه من نسل داود، فقال لهم: لن يكون من نسل داود، لأن داود قال عنه: إنه سيده، فلو كان من نسل داود ما كان يقول عنه إنه سيده) وهذا يعنى أولا: أن المسيح لو كان ابن داود فليس هو المخلص الذى تنبأت به الكتب المقدسة عندهم، لأن المسيح ابن مريم قال ذلك واستشهد بأقوال داود. ثانيا: أنه لو كان المسيح ابن مريم هو المخلص الذى يخلص البشرية - كما يعتقد المسيحيون - فليس هو ابن داود، هذا ما تشير إليه كتبهم ذلك أن داود نفسه يدعوه ربا، فكيف يكون ابنه؟ يقول داود فى المزمور العاشر بعد المائة (قال الرب لربى اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطنا لقدميك) ١١٠ - ١، وعلى المعنى الثانى إما أن تكون الأناجيل كاذبة وإما أن المسيحيين افتروا على المسيح وسموه بما لم يقله والتسليم بأحدهما ملزم للمسيحيين.

على أن نسبة المسيح إلى داود فيها كلام كثير بين العلماء، ذلك أن (متى) و (لوقا) حين يذكران سلسلة نسب المسيح - الذى ينسب فيها المسيح إلى داود - يذكران سلسلته من ناحية يوسف النجار وهو لم يكن الأب الشرعى للمسيح، وعلى ذلك فلا يمكن أن يكون المسيح ابنا لداود.

يقول د/ حنا جرجس الخضرى: " فإن الهدف الذى من أجله سجلت هاتان السلسلتان هو إثبات بنوة يسوع لداود، فإذا كان يسوع قد ولد بطريقة معجزية دون أى اتصال جنسى بين مريم ويوسف فإن يسوع يفقد نسبته لداود، الأمر الذى يتمسك به عدد كبير من كتاب العهد الجديد) تاريخ الفكر المسيحى ص (١٧٣- ١٧٤).

ولو تمسكوا بهذه النسبة فمعنى ذلك نسبة الفاحشة لمريم - وحاشا لمريم البتول الطاهرة أن تفعل ذلك. وعلى ذلك فنسبة المسيح إلى داود نسبة غير صحيحة.

الحبل لم يكن كمألوف بل بقوة الروح القدس. الثانى: ولادته: ومع أن الحبل به كان فائق الطبيعة، كانت طبيعته البشرية بعد الحبل تنمو شيئاً فشيئاً فى مستودع العذراء حسب مجرى الطبيعة إلى أن كملت، وهكذا كانت ولادته كجارى العادة فى غيره[١]، ثم بعد ذلك نسب إليه ما ينسب إلى البشر من صفات.

يقول كلايد تارنر: تحت عنوان (المسيح إنسان حق): إن الاسم الذى أطلقه المسيح على ذاته أكثر من غيره من الأسماء هو (ابن الإنسان)، وكل ما رواه لنا عنه الإنجيل يقدمه كإنسان عاش واتصف بكل صفات الإنسان، كبر، ونما جسدياً، يقول لوقا: "وأما يسوع فكان يتقدم فى الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس"[٢]، لقد تعب المسيح وجاع، يقول يوحنا" فإذا كان يسوع قد تعب من السفر جلس هكذا على البئر"[٣]، ويقول متى "فبعدما صام أربعين نهاراً وأربعين ليلة جاع أخيراً"[٤]، كما تألم آلاماً جسدية، بكى، ونام، ومات، كل هذه الاختبارات تشهد بكون يسوع إنساناً"[٥].. إلى غير ذلك من الأوصاف البشرية الإنسانية التى تنسب إلى المسيح عدا الخطية فى نظر المسيحيين.

والقول بأن المسيح لا ينسب إليه أى خطية قول لا يتفق مع ما جاء فى الأناجيل المسيحية.

فمثلاً جاء فى الأناجيل أن المسيح حين جاءه قوم من الكتبة والفريسيين وقالوا له يا معلم نريد أن نرى منك آية فأجابهم قائلاً: جيل شرير فاسق يطلب آية[٦]، وقالها أكثر من مرة، ويظهر من هذا أنه كان معتاداً على[٧] السب والشتم، لأنهم سألوه

---

(١) القس إنسطاسى شفيق: الفداء فى إنجيل لوقا ص (١٤٩).
(٢) لوقا ٢ : ٥٢.
(٣) يوحنا ٤ : ٦.
(٤) متى ٤ : ٢.
(٥) كلايد تارنر: هذه عقائدنا ص (٨٣).
(٦) راجع متى ١٢ : ٣٩، ١٦ : ٤.
(٧) نحن المسلمين نُجل المسيح ونوقره ونؤمن بأنه رسول معصوم من مثل هذه الآثام.

بكل احترام وخاطبوه بلفظ (يا معلم) ولكنه ما لبث أن سمع سؤالهم فنزل فيهم بقوارع الكلمات[١] علماً بأن المسيح كان يوصى تلاميذه ـ كما جاء فى الأناجيل ـ من قال لأخيه يا أحمق فقد استوجب نار جهنم"[٢].

ومثال آخر: تذكر الأناجيل أن المسيح عليه السلام لم يكرم أمه[٣]، ولم يلتفت إليها، بل تركها واقفة، وزاد على ذلك إذ قال فى جواب المخبر له عن أمه: من هى أمى ؟ ومن هم أخوتى؟

يقول متى "وفيما هو يكلم الجموع إذا أمه وإخوته قد وقفوا خارجاً طالبين أن يكلموه فقال له واحداً هوذا أمك وإخوتك واقفون خارجاً طالبين أن يكلموك فأجاب وقال للقائل: من هى أمى ومن هم إخوتى"[٤].

وفى حادثة أخرى: لما قالت له أمه ليست لهم خمر فقال لها مالى ولك يا امرأة يقول يوحنا: "وفي اليوم الثالث كان فى عرس فى قانا الجليل وكانت أم يسوع هناك، ودعى أيضاً يسوع وتلاميذه إلى العرس، ولما فرغت الخمر قالت أم يسوع له ليس لهم خمر، فقال لها يسوع مالى ولك يا امرأة "[٥].

أهذا يكون احترام الأم؟ وهل يجوز زجرها بهذه الصورة؟. وهل يليق بشأن الصالح أن ينادى أمه بلفظ امرأة؟[٦]، فهل هذه آثام وخطايا أم لا ؟

إنها خطايا لا شك، فالأناجيل تروى أن المسيح أوصى بإكرام الآباء والأمهات فقال: "أكرم أباك وأمك وأحب قريبك كنفسك"[٧].

وبعد هذا الذى تذكره الأناجيل عن المسيح عليه السلام كيف يمكن للمسيحيين أن يثبتوا أن المسيح ينسب إليه كل الصفات الإنسانية ما عدا الخطية؟!!!

---

(١) جلال الدين شمس: البرهان الصحيح فى إبطال ألوهية المسيح ص (٥٠).

(٢) متى ٥ : ٢٢.

(٣) مرة ثانية نحن نؤمن أن مثل هذه الأمور لا تقع ولا تحدث من المسيح عليه السلام.

(٤) متى ١٢ : ٤٦ ـ ٤٨.

(٥) يوحنا ٢ : ١ ـ ٤

(٦) راجع البرهان الصحيح فى إبطال ألوهية المسيح ص (٥٠).

(٧) متى ١٩ : ١٩.

نحن لا نقر أن يحدث هذا من المسيح عليه السلام، فهو رسول من عند الله معصوم. لكننا هنا نناقش ما ذكره المسيحيون عنه، ببيان أنه لا يتفق مع ما جاء فى أناجيلهم.

ولهذه الحقيقة ـ حقيقة كون المسيح إنساناً ـ أهمية كبرى عند المسيحيين إذ أنهم يعتقدون أنه ـ باعتباره ابن الله ـ اتخذ جسداً من جنس الجسد الذى أخطأ فيه آدم وذلك لكى يستطيع التغلب على الخطية بثوب الخطية ويخلص الناس من الشرور والآثام ـ كما يعتقدون.

ثانياً: دعوى ألوهية المسيح:

يعتقد المسيحيون أن المسيح هو الله، وأنه هو ابن الله باعتباره الأقنوم الثانى من الثالوث المسيحى(١).

ففى قانون الإيمان المسيحى "نؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساو للآب فى الجوهر، الذى به كان كل شئ الذى من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس"(٢).

يقول حبيب سعيد: "كان المسيح إلهاً متجسداً أعلن للناس فى حياته ذات الله"(٣).

ويقول الأنبا شنودة: المسيح إلهنا البار الكامل فى كل شئ القدوس الذى بلا خطية وحده الذى عاش على الأرض حياة كاملة "(٤).

وجاء فى كتاب (ما معنى المسيح ابن الله ؟) تحت عنوان صفات وامتيازات المسيح الإلهية التى ينفرد بها بوصفه الله: (إن الأزلية والأبدية، الوجود الذاتى، وعدم التغير، والقدرة على كل شئ، العلم بالخفيات وبكل شئ، الحضور فى كل مكان،

---

(١) راجع المسيحية ديانة التوحيد ص (٢٦)، تاريخ الأقباط (١ / ٢٣٦).

(٢) راجع خلاصة الأصول الإيمانية ص (١٠٣، ١٠٤).

(٣) حبيب سعيد: أديان العالم ص (٢٥٦).

(٤) الأنبا شنودة: المسيح المتألم ص (٧٠).

القداسة المطلقة لا يتصف بها سوى الله، كما أن الإيمان والسجود له وتقديم العبادة إليه هى من الامتيازات التى يتمتع بها الله وحده دون سواه، ولكن مع ذلك نجد أن جميع هذه الصفات والامتيازات يتصف بها المسيح مما يقطع الشك واليقين بأن المسيح هو الله "[١].

ومع تحفظنا الشديد على وصف المسيح بهذه الأوصاف إلا أن الشاهد من كلام المسيحيين أن المسيح يتصف بصفات وامتيازات إلهية لأنه هو الله.

والمسيح ـ أيضاً فى نظر المسيحيين ـ هو ابن الله[٢] وذلك لأنه ـ كما يقول المسيحيون ـ هو الذى يعلنه، أو بتعبير آخر لأنه هو الله معلناً"[٣] ولأنه يمثل الأقنوم الثانى فى الثالوث المسيحى.

فالمسيح ـ فى نظرهم ـ هو الله، وهو أيضاً ابن الله[٤]، وهو اعتقاد يظهر فيه التناقض والتضارب ولذلك تجدهم يحاولون التوفيق بين هذين القولين.

يقول القس زكريا بطرس: " كيف أن المسيح ابن الله، وهو الله؟ الرد: نحن نقول إن المسيح هو الله من حيث الجوهر فهو من طبيعة وجوهر الله، وإنه ابن الله من حيث الأقنوم أى أن له وجوداً ذاتياً ولكنه غير منفصل عن الآب"[٥].

وهو قول بعيد التصور، ومستحيل الحدوث، وإلا فكيف يتصور العقل وجوداً ذاتياً للمسيح (الابن) وهو فى الوقت نفسه غير منفصل عن الآب، ذلك أن اتحادهما فى الطبيعة والجوهر وعدم الانفصال بينهما يؤدى إلى أنهما ذات واحدة، مع أن قوله إن للمسيح وجوداً ذاتياً يؤدى إلى انفراده واستقلاله[٦]، وعلى هذا يظل الاعتراض قائماً، وسنزيد إيضاح ذلك فى الفصل التالى الخاص بالتثليث.

---

(١) ما معنى المسيح ابن الله ؟ ص (٢٤)

(٢) تاريخ الفكر المسيحى المجلد الأول ص (٣٨٤).

(٣) ما معنى المسيح ابن الله؟ ص (١٣).

(٤) راجع يسوع المسيح ص (٦٦).

(٥) زكريا بطرس : المسيح ابن الله ص (٢٤).

(٦) القرآن وعقائد أهل الكتاب ص (٢٤٦).

المهم هنا أن نبين أن المسيحيين يعتقدون بألوهية المسيح وأنه ينسب إليه ما ينسب إلى الله من صفات وأوصاف إلهية.

متى بدأ القول بألوهية المسيح؟

مما لا شك فيه أن المسيح عليه السلام لم يذكر قط أنه إله أو ابن إله، ولم يدع فى يوم من الأيام أنه الله أو ابن الله، بل كان دائماً يدعو الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وأنه رسول أرسل من عند الله.

والناظر فى كتب العهد الجديد المسيحية لا يجد فيها قولاً أو إشارة للمسيح تنسب إليه على أنه كان يدعو إلى أنه إله أو ابن إله بل كان يدعو إلى الله الذى أرسله.

يقول المسيح عن نفسه كما يروى إنجيل يوحنا: " أنا إنسان قد كلمكم بالحق الذى سمعه من الله "(١).

" فنادى يسوع وقال: الذى يؤمن بى ليس يؤمن بى بل بالذى أرسلنى"(٢).

"فنادى يسوع وهو يعلم فى الهيكل قائلاً: تعرفوننى وتعرفون من أين أنا، ومن نفسى لم آت بل الذى أرسلنى هو حق الذى أنتم لستم تعرفونه"(٣).

"أنا لا أقدر أن أفعل من نفسى شيئاً كما أسمع أدين لأن دينونتى عادلة، لأنى لا أطلب مشيئتى بل مشيئة الآب الذى أرسلنى"(٤).

ويقول المسيح فى الدلالة على أنه رسول ـ كما جاء فى الأناجيل "الكلام الذى تسمعونه ليس لى بل للآب الذى أرسلنى "(٥).

ويقول: "هذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته "(٦).

---

(١) يوحنا ٨: ٤٠.
(٢) يوحنا ١٢: ٤٤.
(٣) يوحنا ٧: ٢٨.
(٤) يوحنا ٥: ٣٠.
(٥) يوحنا ١٤: ٢٤.
(٦) يوحنا ٣:١٧.

كل هذه الأقوال تدل على أن المسيح كان يدعو الناس إلى أنه رسول مرسل من الله وحده لا شريك له وأنه ما دعا الناس إلى أنه إله أو ابن إله.

وهذه النتيجة قال بها كثير من الباحثين، ومنهم الكثير من المسيحيين.

يقول د/ نظمى لوقا: "ولم يرد على لسان المسيح فى أقواله الواردة فى الأناجيل إشارة إلى أنه الله أو ابن الله، بل كان يدعو نفسه على الدوام بـ (ابن الإنسان)"(١).

ويقول أرنولد توينبى: "وبحسب ما ورد فى الكتب المقدسة المسيحية فقد رفض يسوع نفسه فكرة الألوهية بالنسبة إليه فى أى معنى كان"(٢).

ويقول إميل لودفيغ: "ولم يفكر يسوع فى أنه أكثر من نبى، وليس بقليل أن يرى نفسه فى بعض الأحيان دون النبى، ولم يحدث أن بدا من يسوع ما يخيل به إلى السامع أن له خواطر وآمالاً فوق خواطر البشر وآمالهم"(٣).

ويقول شارل جنيبير: "والنتيجة الأكيدة لدراسات الباحثين هى أن عيسى لم يدع قط أنه هو المسيح المنتظر، ولم يقل عن نفسه أنه (ابن الله)، وذلك تعبير لم يكن فى الواقع ليمثل - بالنسبة إلى اليهود - سوى خطأ لغوى فاحش وضرب من ضروب السفه فى الدين، كذلك لا يسمح لنا أى نص من نصوص الأناجيل بإطلاق تعبير (ابن الله) على عيسى، فتلك لغة لم يبدأ فى استخدامها سوى المسيحيين الذين تأثروا بالثقافة اليونانية "(٤).

ولقد اجتمع فى سنة ١٩٢١م عدد كبير من رجال الدين المسيحى فى مؤتمر دينى مؤلف من كثير من الأساقفة والقسس وعظماء رجال الكنائس بإكسفورد، ورأس هذا الاجتماع د/ راشدال أسقف كارليل الذى أدهش العالم المسيحى دهشة عظيمة إذ قال: إن قراءته للكتاب المقدس أظهرت له أن عيسى ليس بإله، ولم تسمح له تلك القراءة باتخاذ عيسى إلهاً، لأنه كان رجلاً بكل معنى الكلمة لا إلهاً.

---

(١) د/ نظمى لوقا: محمد الرسالة والرسول ص (٦٦، ٦٥).

(٢) تاريخ البشرية (١ / ٣٧٢).

(٣) إميل لودفيغ: ابن الإنسان ص (٩٥).

(٤) المسيحية نشأتها وتطورها ص (٣٩).

ثم قال: إن الناس يطلبون بشدة أن يخبرهم علماء اللاهوت الأشراف الأحرار بكلمات قاطعة عما يقصدونه فى الحقيقة عندما يستعملون التقاليد القديمة التى تدور حول ألوهية المسيح.

ثم قال: إن ما يأتى هو بعض الأشياء التى تدل على أنه لا يمكننا أن نعزو وننسب الألوهية للمسيح:

(١) لم يدع المسيح الألوهية، ولم يناد بها، ربما كان قد سمح لنفسه أن يدعى مسيحاً إلا أنه لا يوجد أبداً فى أى قول مثبت ما يدل على أن علاقته بالله تختلف عن علاقة أى بشر آخر بالله، وأقوال الإنجيل الرابع(إنجيل يوحنا)[١] لا يمكن النظر إليها على أنها أدلة تاريخية.

(٢) يتضح مما أتى به عيسى أنه كان رجلاً وكان له جسم، ونفس عاقلة، وإرادة بشرية.

(٣) ومن المخالف لتعاليم الكتاب المقدس أن نظن أن روح عيسى البشرية كانت موجودة قبل خلق العالم، إذ ليس هناك أى أساس لمثل هذه العقيدة.

(٤) لا تحتاج ألوهية المسيح إلى ولادة عذرية، أو إلى إتيان أى معجزة أخرى، فإن أمكن أن يثبت تاريخياً أن المسيح ولد حقاً من غير أب[٢] لا يكون ذلك دليلاً أو برهاناً على ألوهيته[٣].

وفى عام ١٩٧٧م أصدر سبعة من أساتذة اللاهوت ومن رجال الدين المسيحى ببريطانيا كتاباً أظهروا فيه أن ألوهية المسيح أسطورة من الأساطير، وأن المسيح لم يدع أنه الله أو ابن الله، وفى إحدى مقالات هذا الكتاب يقول موريس وايلز ـ أستاذ الإلهيات والكتاب المقدس فى كلية المسيح بإكسفورد ـ إن علماء المسيحية المثبتين لعقيدة التجسد يقولون إن يسوع لم يكن يعلم أنه ابن الله وأن الإله متجسد فيه"[٤].

---

(١) يشير بذلك إلى ما جاء فى افتتاحية إنجيل يوحنا والتى يستشهد بها المسحيون على ألوهية المسيح.

(٢) نحن المسلمين نؤمن ونعتقد أن المسيح عليه السلام ولد من غير أب.

(٣) خواجا أفندى كمال الدين ـ زعيم المبشرين السنيين بإنجلترا ـ : ينابيع المسيحية ص (٥٦) ط ١٩٢٩م.

(٤) أسطورة تجسد الإله ص (٣٣ ، ٣٤).

ثم يقول تعليقاً على هذا: "ولو فعل ذلك كما يصرحون لكان حقاً أقل كلية فى بشريته"[١].

فلو كان المسيح إلهاً لأبرز ذلك وأوضحه.

هذا ولم يعتقد التلاميذ فى المسيح عليه السلام أنه إله أو ابن إله، فإنهم لم يعرفوه إلا على أنه بشر مرسل من الله.

تقول دائرة المعارف الأمريكية: "وبالمثل اعتقد التلاميذ أن يسوع مجرد إنسان، إذ لو كان عند أى من بطرس أو يهوذا أى فكرة عن أن المسيح إله لما كان هناك أى تفسير معقول لإنكار بطرس ليسوع"[٢]، حسبما تذكره الأناجيل بعد القبض عليه والذهاب به إلى بيت رئيس الكهنة "وما كان هناك تبريراً لخيانة يهوذا[٣]، إن الإنسان لا يمكن أن ينكر أو يخون كائناً إلهياً له كل القوى"[٤].

كل هذا يدل على أن القول بألوهية المسيح بدأ بعد رفع المسيح عليه السلام وبفعل أناس غير تلاميذ المسيح.

ولقد قلنا سابقاً إن بولس هو أول من نادى بأن المسيح هو (ابن الله). فبعد أن ادعى أن المسيح ظهر له وهو فى الطريق إلى دمشق أخذ يبشر بأن المسيح هو ابن الله.

يقول سفر الأعمال: "وللوقت جعل يكرز فى المجامع بالمسيح أن هذا هو ابن الله "[٥].

وبدأ بولس يبشر بهذه العقيدة وينشرها بين اليهود اليونانيين وبين الوثنيين، وكتبها فى رسائله التى أرسلها إلى المسيحيين فى البلاد التى بشر فيها.

---

(١) المرجع السابق ص (٣٤).

(٢) تذكر الأناجيل أن المسيح عليه السلام قال لبطرس - وهو رئيس التلاميذ - إنك تنكرنى ثلاث مرات قبل أن يصيح الديك، وفى أثناء محاكمة يسوع - كما يدعون - أنكره بطرس ثلاث مرات وتحققت النبوءة.

(راجع قصة إنكار بطرس فى :(متى ٢٦ : ٥٨-٧٥، مرقس ١٣ : ٥٣-٧٢، لوقا ٢٢ : ٥٤ - ٦١، يوحنا ١٨ : ١٦ - ٢٧)

(٣) تروى الأناجيل أن يهوذا أحد تلاميذ المسيح خانه بأن ساعد الجنود على القبض عليه - كما يدعون - راجع متى ٢٦ : ٤٧-٥٠ ، يوحنا ١٨ : ٣ - ٩

(٤) دائرة المعارف الأمريكية (٢٧ / ٣٠٠ ، ٣٠١)، نقلاً عن طائفة الموحدين ص (٣٨).

(٥) أعمال ٩ : ٢٠.

ولقد استنكر تلاميذ المسيح أفكار وعقائد بولس التى كان يبشر بها، ولكن لأن هؤلاء كانوا قلة بينما كان أتباع بولس هم الكثرة الكثيرة كُتب لآراء بولس فى المسيح أن تكون هى أساس عقائد الديانة المسيحية.

ولقد حمل أتباع بولس هذه المعتقدات، وأضافوا إليها ما يجدونه مطابقا لها، وبدأت عقيدة ألوهية المسيح تنتشر هنا وهناك، حتى تلقفتها يد السلطان فى القرن الرابع الميلادى، وتحمست لها وعملت على تقريرها وجعلها هى أساس الديانة المسيحية .

يقول د/ أحمد شلبى: "وأما الطبقة الحاكمة فقد كانت ميولها فى جانب بولس وأتباعه وابتداء من القرن الرابع برزت هذه الميول وأصبحت تأييداً صريحاً لاتجاهات بولس وإلزاماً للناس باتباعها"(١)، ويتمثل هذا فيما فعله قسطنطين، فقد ساعد على تقرير ألوهية المسيح فى مجمع نيقية سنة ٣٢٥م وألزم المسيحيين بالاعتقاد بها.

وهكذا يتضح لنا أن ألوهية المسيح دخلت المسيحية على يد بولس الذى كان من ألد أعداء المسيحية ـ ثم تم تقريرها فى القرن الرابع الميلادى على يد السلطة الحاكمة التى ألزمت المسيحيين بتقريرها والاعتقاد بها، وعملت على طرد وإيذاء كل من يقول بغير ذلك.

أدلة المسيحيين على دعوى ألوهية المسيح:ـ

يدعى المسيحيون أن ألوهية المسيح تستفاد من بعض الأقوال والأفعال التى نسبت إليه.

يقول حبيب سعيد: "ومن أقواله وتعاليمه نستشف لاهوته وناسوته وهذا سر شخصيته التى قد لا تدركها الأفهام، ولكن الكنيسة اجتهدت طوال العصور فى اكتناه هذا السر العميق"(٢).

وهذا يعنى ابتداء أن أدلتهم على دعوى ألوهية المسيح ليست صريحة وإنما هى تستشف وتستقى وتستنتج من أقواله وأفعاله.

---

(١) المسيحية صـ ١١٣.

(٢) حبيب سعيد: فجر المسيحية صـ ٣٥.

وبرغم أن العقائد لا تترك للاستشفاف أو الاستنتاج، فإن علينا أن ننظر فى هذه الأدلة لنرى هل يستفاد منها ألوهية المسيح أم لا ؟

(١) **الميلاد العذراوى (ولادته بدون أب)**:

تروى الأناجيل أن مريم كانت مخطوبة ليوسف النجار، وقبل أن يتصل بها حملت بعيسى عليه السلام.

يقول متى: "وأما ولادة يسوع فكانت هكذا: لما كانت مريم مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس"[١].

ولقد كان ميلاد المسيح من عذراء منفذاً للقول بتأليهه، فما دام أنه ولد دون أب فلابد أن الله أبوه، وأنه ليس من جنس الناس[٢].

يقول لوقا: "فقالت مريم للملاك فكيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً فأجاب الملاك وقال لها الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظلك فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله "[٣].

يقول د/ هانى رزق: "وعلى ذلك فالمولود من العذراء لم يكن إنساناً مثل كافة البشر، إذ لم يكن من مشيئة جسد رجل بل من مشيئة روح الله"[٤].

ويقول القس لبيب ميخائيل تحت عنوان (لماذا نؤمن بأن المسيح هو الله؟) قائلاً: "إننى أؤمن بأن المسيح هو الله على أساس ميلاده المعجزى من عذراء"[٥].

ويقول إبراهيم لوقا: "ولقد اتخذت المسيحية منذ بداءتها ذلك الميلاد العجيب برهاناً على لاهوت المسيح وهى فى ذلك لم تنحرف عن جادة الصواب، فالشخص الذى يولد على غير الطبيعة والمألوف لا يمكن أن يكون إلا شخصاً خرج عن دائرة البشر"[٦].

---

(١) متى ١ : ١٨.

(٢) محمد مجدى مرجان: المسيح إنسان أم إله ص (١٨٤).

(٣) لوقا ١ : ٣٤، ٣٥.

(٤) د/ هانى رزق : يسوع المسيح فى ناسوته ولاهوته ص (١٥٦).

(٥) القس لبيب ميخائيل: هل المسيح هو الله ص (١٢٦)

(٦) إبراهيم لوقا: المسيحية فى الإسلام ص (١٢٩)، عن ولادة المسيح من عذراء ودلالتها ـ فى نظر المسيحيين ـ على ألوهية المسيح راجع أيضا: القمص بيشوى عبد المسيح: المسيحية ديانة التوحيد ص (٤٣)، بطرس ديناسيوس: القول الصريح فى لاهوت المسيح ص (١٩ ، ٢٠).

فولادة المسيح من عذراء تدل ـ فى نظر المسيحيين ـ على ألوهية المسيح.

وهذا هو أول أدلتهم على ألوهية المسيح.

والحق أن هذا الاستدلال غير صحيح، ذلك أن ميلاد المسيح العذراوى لا يرفعه عن رتبة الآدمية إلى مصاف الألوهية، وإلا لكان آدم وحواء أولى منه فى نسبة الألوهية.

يقول الجاحظ: "إن كان المسيح إنما صار ابن الله، لأن الله خلقه من غير ذكر، فآدم وحواء إذ كانا من غير ذكر وأنثى أحق بذلك، إن كانت العلة فى اتخاذه ولداً أنه خلقه من غير ذكر"[١].

فلو كان هذا الاستدلال صحيحاً فآدم إله المسيح، وهو أحق بأن يكون إلهاً منه[٢] لأنه لا أم له ولا أب، والمسيح له أم[٣] ولأنه ـ أى آدم ـ لم يباشر الأرحام، ولا سقم الأطفال، ولا تطور فى أطوار البشر[٤]، فقد شارك المسيح فى كونه من غير أب، وزاد عليه أنه من غير أم، لم يتكون فى ظلمة الرحم، ولم يتلطخ بدم الطمث، ولا خرج من مجرى البول[٥].

ونقول أيضاً للمسيحيين: يلزمكم على هذا الاستدلال أن تكون حواء أيضاً إلهاً، لأنها لا أم لها وهى أعجب من خلق المسيح[٦].

يقول الشيخ رحمت الله الهندى: "وقد يتمسكون على ألوهيته ببعض حالاته فيستدلون تارة أنه وُلد بلا أب، وهذا الاستدلال ضعيف جداً، لأن العالم حادث

---

(١) الجاحظ: المختار فى الردعلى النصارى ص (١١٦).

(٢) وكذلك أيضاً (ملكى صادق) الكاهن الذى كان معاصراً لإبراهيم عليه السلام وهو الذى تقول عنه كتبهم المقدسة " إنه بلا أب بلا أم بلا نسب ولا بداءة أيام ولا نهاية حياة " راجع سفر التكوين ١٤ : ١٨، ١٩، عبرانيين ٧: ٣) . فـ (ملكى صادق) فى نظرهم ولد بلا أب وبلا نسب ولا بداية أيام ولانهاية حياة، ولذلك فهو أولى بالألوهية من المسيح إذا كان مقياسها الولادة من أم بدون أب (راجع بكر السيد عمر : السيف الصقيل فى الرد على رسالة البرهان الجليل ص ١١١).

(٣) ابن القيم: هداية الحيارى ص (٢٧٨)، راجع أيضاً: جواب أبى الوليد الباجى على رسالة راهب فرنسا إلى المسلمين ص (٦٦).

(٤) القرافى: الأجوبة الفاخرة ص (٢٨٨).

(٥) القرطبى: الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام ص (١٣٦).

(٦) هداية الحيارى ص (٢٧٨)، راجع أيضاً المرجع السابق ص (١٣٧).

بأسره وما مضى على حدوثه إلى هذا الزمان ستة آلاف سنة ـ على زعمهم[١] ـ وكل مخلوق من السماء والأرض والجماد والنبات والحيوان وآدم خلق عندهم فى أسبوع واحد[٢]، فجميع الحيوانات مخلوقة بلا أب وأم فكل من هذه يشارك المسيح فى كونه مخلوقاً بلا أب ويفوق عليه فى كونه بلا أم، وتتولد أصناف الحشرات فى كل سنة فى موسم نزول المطر بلا أب وأم فكيف يكون هذا سبباً للألوهية[٣].

والمعنى الصحيح الذى يفهم من ولادة المسيح بدون أب هو أنه دال على قدرة الله سبحانه وتعالى، فالله سبحانه هو المالك للكون كله الخالق له حسب مشيئته وإرادته فقد يخلق بعض الأحياء بدون أب وأم، وقد يخلق بعض الأحياء بدون أم أو بدون أب، ولا يدل شكل الخلق أو سببه على أن هذا المخلوق إله، لأن الله سبحانه هو الخالق يخلق ما يشاء بقدرته وإرادته، ويميز بعض المخلوقات بقدرته ومشيئته، ولا يخرج المخلوق بهذه الميزة عن كونه مخلوقاً لله[٤].

إن خلق المسيح عليه السلام من أنثى دون ذكر إنما هو إتمام لدورة القدرة الإلهية فى خلق الإنسان، فآدم عليه السلام خلق دون ذكر ولا أنثى، وحواء خلقت من ذكر دون أنثى، والإنسان العادى خلق من ذكر وأنثى، ثم تمت دورة القدرة الإلهية بخلق عيسى عليه السلام من أنثى دون ذكر، فهذه صور ميلاد البشر، وكل صورة منها تناظر الأخرى فى الدلالة على الخالق العظيم، ليس منها ما هو هين وما هو صعب فى جانب الله[٥].

(٢) معجزات المسيح:

لقد أجرى الله سبحانه وتعالى على يد المسيح بعض المعجزات التى تثبت دعواه للنبوة والرسالة، والتى هى بمثابة قول الله صدق عبدى فيما يبلغ عنى.

---

(١) راجع: دراسة فى الكتب المقدسة ص (٤٧ ، ٤٨).

(٢) راجع: الإصحاح الأول والثانى من سفر التكوين.

(٣) إظهار الحق ص (٣٥٧).

(٤) تفسير المنار (٦ / ٢٥٨).

(٥) المسيح إنسان أم إله ص (١٨٥).

والمعجزات التى تقع على يد الأنبياء والرسل سنة من سنن الله فى خلقه، حيث إنه سبحانه وتعالى كان إذا أرسل رسولاً أيده بالمعجزات والخوارق التى تؤيد دعواه، والمسيح عليه السلام شأنه كشأن الأنبياء والرسل السابقين أيده الله بالمعجزات وخوارق العادات.

ولقد روت الأناجيل المسيحية الحالية أن المسيح قام ببعض المعجزات مثل إحياء الموتى، وشفاء المرضى، وتسكين العاصفة، والمشى على الماء، وإشباع الجياع، وغير ذلك.

ففى إنجيل يوحنا أن المسيح أقام لعازر من قبره بعد موته بأربعة أيام، ولعازر هذا رجل من بيت عنيا ـ قريبة من أورشليم نحو خمس عشرة غلوة[١] ـ كان يسكن مع أختيه مرثا ومريم، وكان موضع محبة أختيه، وبعد أن مات لعازر جاء كثيرون من اليهود ليعزوهما.

ولما سمعت مرثا أن يسوع آت قابلته وقالت له لو كنت هاهنا لم يمت أخى... وبعد ذلك سأل المسيح عن مكان قبره، فجاء إليه ومعه كثير من اليهود، وكان مغارة قد وضع عليه حجر، قال المسيح: ارفعوا الحجر، قالت له مرثا أخت الميت: يا سيد قد أنتن لأن له أربعة أيام، قال لها المسيح ألم أقل لك إن آمنت ترين مجد الله، فرفعوا الحجر حيث كان الميت موضوعاً **ورفع يسوع عينيه إلى فوق وقال أيها الآب أشكرك لأنك سمعت لى، وأنا علمت أنك فى كل حين تسمع لى، ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا أنك أرسلتنى، ولما قال هذا صرخ** بصوت عظيم لعازر هلم خارجاً، فخرج الميت ويداه ورجلاه موبوطات بأقمصة ووجهه ملفوف بمنديل، فقال لهم يسوع حلوه ودعوه يذهب"[٢].

فهذه الرواية توضح أن المسيح أقام الميت من قبره وذلك بعد أن رفع عينيه إلى السماء ودعا الله أن يؤيده بالمعجزة وخوارق العادات.

---

(١) الغلوة: مقياس يونانى الأصل يبلغ ٦٠٦ أقدام إنجليزية. راجع قاموس الكتاب المقدس ص (٦٦١).
(٢) راجع يوحنا ١١: ١٧ ـ ٤٣.

كذلك تروى الأناجيل أن المسيح أبرأ الأكمة[١]، والأبرص[٢]، وفتح أعين العميان[٣]، وشفى الخرس، والمجانين[٤]، وأشبع الجموع الكثيرة بطعام قليل، فلقد أشبع خمسة آلاف من الرجال - كما تروى الأناجيل. بخمسة أرغفة وسمكتين، بل وبقى منهم ما يملأ اثنتى عشرة قفة[٥]، وأسكن العواصف[٦] ومشى على الماء[٧].

"وكانت معجزات المسيح هذه باباً آخر نفذت منه دعوى القول بتأليهه، فمادام يشفى المرضى ويحيى الموتى فهو - فى نظرهم - الله نفسه أتى من السماء ونزل إلى الأرض ليعرض على الناس قدرات الآلهة"[٨].

وبدلاً من أن يستدل بها المسيحيون على صدقه فى دعوى النبوة والرسالة استدلوا بها على ألوهيته وعلى امتيازه على جميع الرسل وكافة البشر[٩].

جاء فى علم اللاهوت النظامى "عن معجزات المسيح" هى دليل راهن على أنه الله، لأن عمل المعجزات علامة على القدرة الإلهية"[١٠]

ويقول جماعة من المسيحيين الهنديين: "عرف التلاميذ أن حياة المسيح كانت إلهية من المعجزات"[١١].

ويقول فولتون شين: "إن ما فى معجزات المسيح من إعجاز يعد مؤشراً على قدراته الإلهية "[١٢].

---

(١) راجع متى ٩: ٢ - ٨، مرقس ٢: ١ - ١٢، لوقا ٥: ١٧ - ٢٦.
(٢) راجع متى ٨: ١ - ٤، مرقس ١: ٤٠ - ٤٥، لوقا ٥: ١٢ - ١٦.
(٣) متى ٩: ٢٧ - ٣١.
(٤) متى ٩: ٣٢، ٣٣، ١٢: ٢٢.
(٥) راجع متى ١٤: ١٣ - ٢١، مرقس ٦: ٣٠ - ٤٤، لوقا ٩: ١٠ - ١٧
(٦) راجع متى ٨: ٢٣ - ٢٧، مرقس ٤: ٣٥ - ٤١، لوقا ٨: ٢٢ - ٢٥.
(٧) متى ٢٤: ٢٢ - ٣٣، مرقس ٦: ٤٥ - ٥٢، يوحنا ٦: ١٥ - ٢١.
(٨) المسيح إنسان أم إله ص (١٨٧، ١٨٨).
(٩) القرآن وعقائد أهل الكتاب ص (٢٤٩)
(١٠) علم اللاهوت النظامى ص (٣٣٢).
(١١) لفيف من المفكرين فى بلاد الهند: أنوار كاشفة ص (٢٣).
(١٢) حياة المسيح ص (١٥٥).

ويقول اثناسيوس: "فطرده الأرواح الشريرة وخروجها فى الحال لا يمكن أن يكون عمل إنسان بل عمل الله، من ذا الذى بعد أن رآه يشفى الأمراض الخاضع لها الجنس البشرى يتجاسر ويقول إنه لا يزال إنساناً وليس إلهاً؟ فقد طهر البرص، وجعل العرج يمشون، والصم يسمعون، والعمى يبصرون، وبإجمال طرد من كل البشر كل مرض، وكل ضعف، من كل هذا كان ممكناً لأبسط إنسان أن يرى لاهوته"[١].

ويتحدث القمص بيشوى عبد المسيح بوضوح أكثر عن معجزات المسيح ودلالتها على ألوهيته فيقول: "وفى خدمة المسيح للبشرية نستدل من أعماله على لاهوته، ففى خلقه عينين من طين للأعمى[٢] وبتحويله الماء إلى خمر جيد فى عرس قانا بمنطقة الجليل[٣]، وهو بإشباعه الخمسة آلاف من خمسة أرغفة وسمكتين، وإشباعه الأربعة آلاف من سبعة أرغفة وقليل من صغار السمك[٤]، نرى فيه الإله الغنى الذى يعطى الجميع بسخاء، ويشبع الكل من رضاه، وهو بإقامته لعازر من الموت نرى فيه الإله الحى معطى الحياة، وهو بإخراجه الشياطين وشفائه البرص والعمى وغيرهم نرى فيه الإله الشافى القادر على كل شئ، وهو بمشيه على الماء وبإسكاته البحر والأمواج نرى فيه الإله القادر الذى له سلطان على الطبيعة"[٥].

فالمسيحيون يرون فى معجزات المسيح أنها تدل على ألوهيته وقدراته الإلهية.

ويدعى المسيحيون أيضاً أن هناك فرقاً بين معجزات المسيح ومعجزات الرسل السابقين.

فالرسل السابقون ـ فى نظرهم ـ قاموا ببعض المعجزات لا بقوتهم الذاتية ولكن بتأييد من الله وقوته وقدراته، بينما كان المسيح يقوم بالمعجزات بقوته وسلطانه ولاهوته.

(١) اثناسيوس الرسولى: تجسد الكلمة ص (٦٤).

(٢) راجع هذه الرواية فى: يوحنا ٩: ١-٤١.

(٣) راجع يوحنا ٢: ١-١١.

(٤) راجع متى ١٥: ٣٢-٣٩، مرقس ٨: ١-١٠

(٥) القمص بيشوى عبد المسيح: القول الصريح فى لاهوت المسيح ص (٢٢).

يقول بولس إلياس اليسوعى : "إن الفرق بين المسيح ومن سبقه من الأنبياء لبعيد، بعد الإنسان عن الله، نعم لقد ماثل المسيح بعضاً من الأنبياء بما أتوه من خوارق، لكنهم فصلوا تعاليمهم عن شخصيتهم بحيث نسبوا ما قاموا به من معجزات إلى الله لا إلى ذواتهم، أما المسيح فلم يفصل بين تعاليمه وشخصيته ولا نسب إلى سواه ما أتاه من معجزات لكنه جعل نفسه موضوع تعليمه لأنه إله وابن الله"(١)

وهذا الكلام فيه مغالطات شديدة، فلو راجعنا الأمثلة التى أوردناها سابقا من معجزات المسيح لوجدناه عليه السلام لم ينسب المعجزات إلى نفسه وإنما نسبها إلى الله الذى أرسله. وبرغم هذا فهم ما زالوا يرددون تلك المغالطات.

ففى (علم اللاهوت النظامى) نعم موسى والأنبياء صنعوا معجزات ولكن ليس بقوتهم الذاتية كما صرحوا بذلك للشعب كقول بطرس لماذا تشخصون إلينا كأننا بقوتنا أو تقوانا قد جعلنا هذا يمشى(٢)، وحين شق موسى البحر لم يكن سوى آلة كالعصا التى ضرب بها المياه، أما المسيح ففعل معجزاته بقوته، وحين فعلها نسبها إلى نفسه فقط، وأعطى تلك القوة للآخرين والرسل الذين نسبوا معجزاتهم إليها "(٣).

وهذه الأقوال باطلة وذلك لما يأتى:

أولاً: إن المسيح عليه السلام أعلن بلسانه عدم القدرة على فعل المعجزات بقدرته الذاتية فيقول ـ كما تروى الأناجيل ـ "أنا لا أقدر أن أفعل من نفسى شيئاً كما أسمع أدين ودينونتى عادلة لأنى لا أطلب مشيئتى بل مشيئة الآب الذى أرسلنى"(٤)، معنى ذلك أن المسيح لا ينسب إلى نفسه قدرة شخصية على فعل المعجزات، وإنما ينسبها إلى الله الذى أرسله فهو الذى أجرى على يديه بعض المعجزات، وإذا كان الأمر كذلك فلا فرق بينه وبين الأنبياء الآخرين الذين كانوا يفعلون المعجزات بإذن الله.

---

(١) يسوع المسيح ص (٦٦).
(٢) أعمال ٣ : ١٢.
(٣) علم اللاهوت النظامى ص (٣٣٢).
(٤) يوحنا ٥ : ٢٠.

ثانياً: لم يكن المسيح يرى المعجزات إلا بالدعاء[١]، حيث إننا نرى المسيح يتجه إلى الله بالصلاة والدعاء قبل طلب المعجزة، والحمد والشكر بعد إعطائه المعجزة، ويدل على ذلك ما روى فى إنجيلى متى ولوقا أن المسيح بعد أن أعطى تلاميذه سلطاناً ليدوسوا الحيات والعقارب وليشفوا المرضى فى تلك الساعة "تهلل يسوع وقال أحمدك أيها الرب رب السماء والأرض"[٢].

فالمسيح هنا يتجه بالحمد والشكر لله الذى ييسر له إعطاء النعمة، فلو كان المسيح هو الله فلمن يتجه بالحمد والشكر؟ وإذا كان المسيح إلهاً وأنه يفعل ما يفعل بقوته الإلهية فلمن يشكر ويحمد إذا كانت هذه قوته؟

هذا وقد روت الأناجيل أيضاً أن المسيح كان يصلى قبل طلب المعجزة، مثال ذلك : ما ورد فى إنجيل لوقا "وفيما هو يصلى على انفراد كان التلاميذ معه"[٣].

"أما هو فكان يعتزل فى البرارى ويصلى"[٤].

"وفى تلك الأيام خرج إلى الجبل ليصلى"[٥].

" أخذ بطرس ويعقوب وصعد إلى الجبل ليصلى "[٦].

فلمن يصلى المسيح إذا كان هو الله؟ ولماذا يصلى إذا كان هو متصفاً بالألوهية؟

هذا ما كان فى حياة المسيح العامة قبل المعجزة وبعدها، الصلاة والدعاء والحمد والشكر لله.

وهذا يدل على أن معجزات المسيح لا تدل على ألوهيته، وذلك لأنه يفعلها بعد الصلاة والطلب من الله سبحانه وتعالى.

وهذا يدل أيضاً على أن الله هو مصدر المعجزة فهو الذى يتفضل على رسله بالخوارق المؤيدة لهم فى دعوى النبوة والرسالة.

---

(١) البرهان الصحيح فى إبطال ألوهية المسيح ص (٥٤).

(٢) متى ١١ : ٢٥، لوقا ١٠ : ٢١.

(٣) لوقا ٩ : ١٨.

(٤) لوقا ٥ : ١٦.

(٥) لوقا ٦ : ١٦.

(٦) لوقا ٩ : ٢٨.

ثالثاً: وهو مترتب على سابقه: أنه يظهر من إجراء عيسى بن مريم للمعجزات أنها ليست مقصودة لذاتها، بل يقصد منها اهتداء الناس إلى الإيمان بالله عز وجل. فإذا تم ذلك بالموعظة الحسنة فكان لا يفعل المعجزة، أما إذا وجد ضرورة للمعجزة حتى يؤمن القوم فإنه يفعلها رغبة فى إيمانهم.

فالمسيح عليه السلام ـ كما تروى الأناجيل ـ كان يبدأ بإلقاء العظات على الناس شارحاً لهم جمال الطاعة ومغبة المعصية مبيناً لهم طريق الحق والصدق، فإذا استمع الناس وتنبهت عقولهم فرح عيسى وانشرح، أما إذا وجد أمامه قوماً عميت أبصارهم وختمت أفئدتهم فلا يؤمنون إلا بالخوارق والأعاجيب فلا مفر من الإتيان بمعجزة تنبه هؤلاء وتردهم عن الغى والخلف[١].

ففى إنجيل يوحنا أن خادماً للملك كان ابنه مريضاً فأتى إلى عيسى عليه السلام وطلب منه أن يذهب إلى بيته ويشفى ابنه، وتبرم عيسى من طلب الرجل، وضاق بأن تكون كل مهمته فى الحياة تطبيب الناس وشفاء الأمراض "فقال له يسوع لا تؤمنون إن لم تروا آيات وعجائب" ولكن الرجل ازداد إلحاحاً ورجاء مما اضطر عيسى إلى الذهاب معه وشفاء ابنه، وهنا فقط آمن الرجل وأهل بيته برسالة المسيح[٢].

فالمسيح عليه السلام كان يقصد من إتيان المعجزة اهتداء الناس إلى الإيمان بالله عز وجل. وعليه فلا دلالة فى معجزات المسيح على ألوهيته، ولا فرق بينها وبين معجزات الأنبياء والرسل السابقين من حيث الغاية والهدف.

رابعاً: حرص المسيح على إخفاء المعجزات حتى لا تشغلهم عن الغاية منها.

قلنا إن عيسى بن مريم كان يضيق من الذين يطلبون منه المعجزة وذلك لأنها ليست مقصودة لذاتها، وهنا نقول: إن المسيح حين كان يستجيب بعد إلحاح لإجراء بعض المعجزات فإنه كان يوصى دائماً بإبقائها فى طى الكتمان، وذلك للتأكيد على أنها ليست مقصودة لذاتها، ففى الأناجيل أن رجلاً أبرص جاء إلى عيسى وطلب أن

---

(١) المسيح إنسان أم إله ص (٧٧).

(٢) راجع يوحنا ٤ : ٤٦-٥٣.

يشفيه "فتحنن يسوع ومد يده ولمسه وقال له أريد فاطهر، فللوقت وهو يتكلم ذهب عنه البرص وطهر، فانتهره وأرسله للوقت وقال له انظر لا تقل لأحد شيئاً"[١].

وعندما شفى المسيح أعميين أمرهما ألا يقولا لأحد " فانتهرهما يسوع قائلاً انظرا لا يعلم أحد "[٢].

ويقول لآخر بعد أن أبرأه: "لا تدخل القرية ولا تقل لأحد فى القرية"[٣].

هذه الحوادث وأمثالها التى تتكرر فى الأناجيل نرى فيها مدى حرص عيسي عليه السلام على أن تظل معجزاته فى طى الكتمان" وهذا الاتجاه يدعونا إلى التأمل لماذا كان يحرص عيسى على إخفاء المعجزات وإبقائها فى طى الكتمان، وعلى ألا يفعلها وسط الجموع أو بين الجماهير؟

إن رغبة عيسى فى عدم إعلان معجزاته، وعدم الدعاية لها، والتهويل فيها، راجع إلى رغبته فى ألا تشغل المعجزات الناس عن جوهر الدين والرسالة، وفى ألا تكون محور اهتمام الجموع. فيتركون الشريعة والجوهر ويهتمون بالأشكال والأعراض، وتصبح الخوارق شغلهم الشاغل، وينسون شريعة الله وناموسه"[٤].

إن عيسى عليه السلام أخفى المعجزات فى بعض الأحيان حرصاً منه على أن يهتم الناس بجوهر الرسالة والدين وهو الإيمان بالله عز وجل.

وعليه فلا دلالة فى معجزات المسيح على الألوهية وإلا لما أخفاها.

خامساً: إذا كانت معجزات المسيح عليه السلام لا تختلف عن معجزات الأنبياء والرسل السابقين، من حيث أسلوب طلبها، ومن حيث الغاية والهدف، فإنها بذلك لا تدل على ألوهية المسيح، وإلا لكان جميع الأنبياء آلهة، وهو ما لا يقول به عاقل.

---

(١) مرقس ١: ٤٠ـ ٤٤، راجع أيضاً متى ٨: ٢ ـ ٤، لوقا ٥: ١٢ـ ٤١.

(٢) متى ٩: ٣٠.

(٣) مرقس ٨: ٢٢ ـ ٢٦.

(٤) المسيح إنسان أم إله ص (٨١ـ ٨٣).

والسؤال الآن: هل اختص المسيح عليه السلام بنوع من المعجزات لم يفعلها غيره حتى تكون مثار أفضلية وتكون سبباً للقول بألوهيته؟

الحق: لا، فإن الكتب المقدسة عندهم تبين أن الأنبياء والرسل السابقين كانوا يقومون بمثل معجزات المسيح.

ومثال ذلك: إحياء الموتى، فقد روى العهد القديم أن حزقيال أحيا جيشاً عظيماً جداً بإذن الله ورد الحياة إلى آلاف الراقدين وبعثهم من قبورهم، بعد أن طال رقادهم وتحللت أجسادهم[١].

وإذا نظرنا إلى معجزة (حزقيال) بالمقياس البشرى، فإننا نرى أنها تفوق كل معجزات المسيح حيث إن عدد الذين أحياهم حزقيال يفوق عدد الذين أحياهم المسيح عليه السلام.

إنه ـ أى حزقيال ـ أحيا آلاف الراقدين، بينما نجد الذين أحياهم عيسى ـ كما فى الأناجيل ـ لا يتعدى أربعة أشخاص، هذا فضلاً عن أن حزقيال أحيا الراقدين بعد أن تحللت أجسادهم وأصبحوا تراباً وعظاماً، أى بعد أن طال عليهم الزمن فى القبور وتوالت عليهم السنون حتى تحللت أجسادهم وتناثرت عظامهم، وتمكن نبى الله حزقيال بقدرة الله أن يجمع عظام كل شخص على حدة ويعيد إليهم الحياة، بينما كانت معجزات المسيح فى إحياء الموتى عبارة عن إحياء الميت الذى لا زالت أعضاؤه وعظامه كما هى.

فالمسيح لم يختص وحده بإحياء الموتى فحزقيال أحيا جيشاً عظيماً بفضل الله، ورغم ذلك لم يقل أحد عنه إنه إله، وكذلك أيضاً أحيا (إيليا)[٢]، و(اليشع)[٣] بعض الأموات فلا خصوصية للمسيح فى إحياء الموتى، وكذلك أيضاً

---

(١) راجع حزقيال ٣٧: ١ ـ ١٠.

(٢) راجع الملوك الأول ١٧: ٢١، ٢٢.

(٣) الملوك الثانى ٤: ٣٢ ـ ٣٥، راجع أيضاً فى ذلك: الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد ص (١٣٥)، هداية الحيارى ص (٢٧٨)، تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب ص (٨٤)، الرد الجميل ص (٢٣٩).

لا خصوصية له فى المعجزات الأخرى[١] التى فعلها، وهذا يعنى أنها لا تدل على الألوهية وإلا لأصبح هؤلاء الأنبياء جميعاً آلهة وهو ما لم يقل به أحد.

(٣) دعوى نسبة بعض الألقاب الإلهية إلى المسيح:

لقد تمسك المسيحيون فى الاستدلال على ألوهية المسيح بأن أسفار العهد الجديد أطلقت عليه بعض الألقاب التى تدل فى نظرهم ـ على الألوهية مثل ابن الله، والإله، والرب.

وإليك بيان ذلك ومناقشته:

١ـ ابن الله:

لقد أطلقت الأناجيل على المسيح لقب (ابن الله) مرات عديدة.

يقول القس إنسطاسى شفيق: "وقد استعمل لفظ (ابن الله) فى العهد الجديد ما يقرب من أربع وأربعين مرة عن يسوع المسيح"[٢].

ففى إنجيل متى أن المسيح سأل تلاميذه قائلاً: "وأنتم من تقولون إنى أنا فأجاب سمعان بطرس وقال أنت هو المسيح ابن الله الحى"[٣].

وفى إنجيل يوحنا أن المسيح لما رأى كثيرين من تلاميذه رجعوا ولم يعودوا يمشون معه قال للاثنى عشر: "ألعلكم أنتم أيضاً تريدون أن تمضوا، فأجابه سمعان بطرس يا رب إلى من نذهب، كلام الحياة الأبدية عندك، ونحن قد آمنا وعرفنا أنك أنت المسيح ابن الله الحى"[٤].

واستدل المسيحيون بهذا الإطلاق على ألوهية المسيح، فابن الإله لا يكون إلا إلهاً.

---

(١) راجع المراجع السابقة التى أشرنا إليها

(٢) اللاهوت فى إنجيل يوحنا ص (٤٧)

(٣) متى ١٦ : ١٥، ١٦.

(٤) يوحنا ٦ : ٦٧ـ ٦٩.

يقول القس إنسطاسى شفيق: "يجب تفهم عبارة (ابن الله) بأن الله متجسداً عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد"(١).

ويقول: " ومدلول البنوة لا يفيد الولادة الطبيعة، بل بالحرى يفيد الوحدة، فالابن والآب كلاهما طبيعة إلهية واحدة، وجوهر إلهى واحد، ولذلك عبر لنا عن هذه الوحدة بتسمية ذاته الآب، والابن "(٢).

وهذا الاستدلال ضعيف جداً وذلك لما يأتى:

١ـ إن المسيح عليه السلام لم يدع نفسه (ابن الله) بل كان يدعو نفسه بـ (ابن الإنسان)(٣).

٢ـ إن هذا الإطلاق معارض بإطلاق "ابن الإنسان" و(ابن داود) فلابد من التطبيق بحيث لا يثبت المخالفة للبراهين العقلية، ولا يلزم منه محال، ولأنه لا يصح أن يكون لفظ (ابن) بمعناه الحقيقى، لأن معناه الحقيقى باتفاق لغة أهل العلم من تولد من نطفة الأبوين وهذا محال ههنا، فلابد من الحمل على المعنى المجازى المناسب لشأن المسيح(٤).

يقول الشيخ عبد الوهاب النجار: "يتمسك المسيحيون بأن المسيح إله وابن إله بألفاظ وردت فى بعض الأناجيل التى صنعوها مثل إطلاق لفظ (ابن الله) عليه، وهو دليل واهن لأن هذا الإطلاق معارض بإطلاق (ابن الإنسان) على نفسه، وبإطلاق (ابن داود) على نفسه أيضاً فلابد من حمل هذا الإطلاق على معنى لا يتنافى مع ما ثبت من جلال الله وتنزهه عما لا يليق"(٥).

٣ـ إن هذا اللفظ (ابن الله) لم ينفرد به المسيح، بل لقد شاركه فيه ـ كما تبين الكتب المقدسة عندهم ـ البشر جميعاً.

---

(١) اللاهوت فى إنجيل يوحنا ص (١١٠).
(٢) المرجع السابق ص (١٠٩).
(٣) محمد الرسالة والرسول ص (٦٥، ٦٦)
(٤) إظهار الحق ص (٣٥١).
(٥) قصص الأنبياء ص (٤٥٨).

فلقد أطلق على آدم (ابن الله)[١]، وعلى يعقوب[٢]، وداود[٣] وسليمان[٤]، وعلى المؤمنين بالله من أتباع سيدنا نوح[٥]، وعلى شعب بنى إسرائيل[٦]، وعلى الناس جميعاً[٧].

وعلى ذلك فإن البنوة لله لها معنى آخر، وهو الطاعة والولاء لله تعالى.

يقول عبد الرحمن الباجة: الذى يظهر أنهم فى الزمن الأول كانوا يسمون المؤمن الطائع ابن الله كما هو الواضح من نصوص العهد القديم، وأبناء الله بصيغة الجمع المؤمنون الطائعون، فلا إشكال ولا بأس إذن بإطلاق (ابن الله) على المسيح بالمعنى المذكور، وإلا لتزم أن يكون جميع المؤمنين أبناء الله حقيقة كالمسيح، إذ صرح بقوله[٨] "كونوا أبناء الله"[٩].

وعلى ذلك فهذا اللقب ـ ابن الله ـ لا يدل على ألوهية المسيح وإلا لأصبح جميع المؤمنين بالله آلهة.

يقول ابن القيم: "إن قلتم إنما جعلناه إلهاً لأنه سمى نفسه ابن الله فى غير موضع من الإنجيل. قيل: فاجعلوا أنفسكم كلكم آلهة"[١٠].

٢ـ الرب:

من الألفاظ التى تمسك بها المسيحيون فى الاستدلال بها على ألوهيته (الرب).

فقد ورد فى بعض أسفار العهد الجديد إطلاق هذا اللقب على المسيح.

---

(١) لوقا ٣: ٣٨.
(٢) خروج ٤: ٢٢.
(٣) ٢ـ صموئيل ٧: ١٤.
(٤) أخبار الأيام الأول ٢٢: ١٠.
(٥) تكوين ٦: ١ـ ٣.
(٦) تثنية ١٤: ١.
(٧) غلاطية ٣: ٢٦.
(٨) متى ٥: ٤٥.
(٩) الفارق بين المخلوق والخالق ص (٤٢).
(١٠) هداية الحيارى ص (٢٨٠).

ففى إنجيل لوقا ظهر الملاك لبعض الرعاة قائلاً لهم "لا تخافوا فها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب إنه ولد لكم فى مدينة داود مخلص هو المسيح الرب"(١).

وفى أعمال الرسل ـ عن بولس ـ "فكان معهم يدخل ويخرج فى أورشليم ويجاهر باسم الرب يسوع"(٢).

ويقول بطرس ـ كما يروى سفر الأعمال ـ "الكلمة التى أرسلها إلى بنى إسرائيل يبشر بالسلام يسوع المسيح هذا هو رب الكل"(٣).

وفى رسائل بولس تجد هذا اللقب مضافاً إلى المسيح كثيراً.

ففى رسالته إلى أهل كورنثوس الأولى: "لأنهم لو عرفوا لما صلبوا رب المجد"(٤)

وفى رسالته إلى تيموثاوس الثانية "نعمة ورحمة وسلام من الله الآب والمسيح يسوع ربنا"(٥).. إلى غير ذلك من الفقرات.

يذكر يسى منصور أنه قام بعملية إحصائية عن عدد المرات التى أطلق فيها لفظ (الرب) على كل أقنوم من الأقانيم الثلاثة فى الأناجيل ورسائل الرسل فوجد أن الله الآب قد دعى رباً اثنتين وستين وأربعمائة مرة، أما الله الابن فقد دعى رباً أربعاً وأربعين ومائة مرة، ودعى الروح القدس رباً خمس مرات"(٦).

وقد استدل المسيحيون بهذا الإطلاق على ألوهية المسيح.

جاء فى "علم اللاهوت النظامى" عن أدلة المسيحيين على لاهوت المسيح من العهد الجديد ما يلى:

"من بين هذه الأدلة تسميته فيه بالرب وربنا بمعنى خاص.

---

(١) لوقا ٢: ١٠، ١١.

(٢) أعمال ٩: ٢٨.

(٣) أعمال ١٠: ٣٦.

(٤) ١ـ كورنثوس ٢:٨.

(٥) ٢ـ تيموثاوس ٢:١.

(٦) رسالة التثليث والتوحيد نقلاً عن (الله واحد أم ثالوث) ص (٤٤).

إن لفظة (رب) وردت فى العهد الجديد[١] بمعنى مالك نحو رب الكرم أى مالكه، وبمعنى متسلط نحو رب العبيد أى المتسلط عليهم، وبمعنى معلم، وأيضا لقب اعتبار لرؤساء الحكومة وذوى المناصب، وهى مستعملة للمسيح فيه بمعنى أنه مالكنا ورئيسنا وإلهنا"[٢].

ويقول باركلى: "إن تلقيب يسوع بالرب يعنى وضعه فى نفس درجة الله إننا نعطيه أعظم مكان فى حياتنا مع الطاعة والعبادة"[٣]

وهذا الاستدلال خاطئ وذلك لأن الأناجيل تفسر لنا معنى إطلاق لفظ (رب) على المسيح.

ففى إنجيل يوحنا أن عيسى عليه السلام فى بداية دعوته كان يسير بمفرده فتبعه رجلان صارا فيما بعد من تلاميذه "فالتفت يسوع ونظرهما يتبعانه فقال لهما ماذا تطلبان؟ **فقالا ربى الذى تفسيره يا معلم أين تمكث**"[٤].

وكذلك أيضاً ورد فى هذا الإنجيل الحوار التالى بين المسيح ومريم المجدلية "قال لها يسوع يا مريم فالتفتت تلك **وقالت له ربونى الذى تفسيره يا معلم**، قال لها يسوع لا تلمسينى لأنى لم أصعد بعد إلى أبى ولكن اذهبى إلى إخوتى وقولى لهم إنى أصعد إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم"[٥].

من هذه الأقوال يتضح أن المعنى المراد من إطلاق لفظ (رب) على المسيح هو ـ المعلم لا أكثر من ذلك، خاصة و أن الأناجيل مليئة بإطلاق هذا الوصف على المسيح.

يقول لوقا: " فتقدموا ـ أى التلاميذ ـ وأيقظوه قائلين يا معلم يا معلم إننا نهلك"[٦].

---

(١) جاء فى قاموس الكتاب المقدس تحت لفظ (رب) ما يلى: يقصد بهذا اللفظ اسم الجلالة وفى هذه الحالة يطلق على الآب والابن بدون تمييز بينهما، وقد يستعمل بمعنى سيد أو مولى دلالة على الاعتبار والإكرام (قاموس الكتاب المقدس ص ٣٩٦).

(٢) علم اللاهوت النظامى ص (٣٢٧).

(٣) باركلى: تفسير العهد الجديد (رسالة رومية)، ص (١٦٠).

(٤) يوحنا ١ : ٣٧ ، ٣٨.

(٥) يوحنا ٢٠ : ١٦ ، ١٧

(٦) لوقا ٨ : ٢٤ ، راجع أيضاً لوقا ١١ : ٤٥ .

ويقول : "فأجاب يوحنا وقال يا معلم رأينا واحداً يخرج الشياطين باسمك فمنعناه ."[١]

وليس فى هذا الإطلاق بهذا المعنى أى ضير أو لبس، لأن طبيعة رسل الله أن يكونوا معلمين للبشر ما أوحى الله به إليهم، لذلك يروى لوقا "إنه فى يوم من الأيام بعد أن فرغ المسيح من الصلاة تقدم إليه أحد تلاميذه قائلاً : يا رب علمنا أن نصلى كما علم يوحنا تلاميذه[٢] أى كما علم يحيى بن زكريا عليه السلام تلاميذه".

يقول عبد الرحمن الباجة : "فالذى يسمى المسيح رباً بهذا المعنى فهو غير مشرك ومن يعتقده رباً بمعنى الخالق فهو مكذب لإنجيله مشرك ومعاند بلا شبهة عند كافة الملل الإلهية"[٣]

٣ـ الإله :

لقد تمسك المسيحيون بما ورد فى أناجيلهم، بإطلاق لقب (الإله) على المسيح فى الاستدلال به على ألوهيته .

من ذلك ما جاء فى إنجيل يوحنا من أن (توما) أحد التلاميذ نادى المسيح بقوله (ربى وإلهى)[٤].

وفى أعمال الرسل " لترعوا كنيسة الله التى اقتناها بدمه"[٥].

وفى رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس "عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد" [٦]... إلى غير ذلك من الفقرات التى استشهد بها المسيحيون على ألوهية المسيح.

---

(١) لوقا ٩ : ٤٩.

(٢) لوقا ١١ : ١ .

(٣) الفارق بين المخلوق والخالق ص (٣٢).

(٤) يوحنا ٢٠ : ٢٨

(٥) أعمال ٢٠ : ٢٨.

(٦) ١ـ تيموثاوس ٣ : ١٦.

وهذا الاستدلال ضعيف أيضاً، ذلك أن لقب الإله لم يطلق فى الكتب المقدسة ـ عندهم ـ على المسيح وحده، فلقد أطلق على موسى عليه السلام "فقال الرب لموسى انظر أنا جعلتك إلهاً لفرعون وهارون أخوك يكون نبيك"(١).

وقال الرب أيضاً لموسى عن شقيقه هارون "وهو يكلم الشعب عنك وهو يكون لك فماً، وأنت تكون له إلهاً، وتأخذ فى يدك هذه العصا التى تصنع بها الآيات"(٢).

وأطلق على البشر العاديين من القضاة والحكام الإسرائيليين، فداود عليه السلام ـ على فرض أن المزامير من أقواله ـ يسمى القضاة آلهة فيقول "الله قائم فى مجمع الله فى وسط الآلهة(٣) يقضى"(٤).

ويقول داود أيضاً للقضاة " أنا قلت إنكم آلهة وبنو العلى كلكم ولكن مثل الناس تموتون وكأحد الرؤساء تسقطون "(٥).

وهذا يعنى أن إطلاق لفظ (الإله) على المسيح وغيره إنما هو من قبيل المجاز المطلق، والمعنى الصحيح لهذا الإطلاق هو تكريم الشخص الموصوف به باعتباره قريباً من الله عاملاً بوصاياه(٦).

ولقد أيد المسيح ـ كما تذكر الأناجيل المسيحية ـ المعنى المجازى لهذا الإطلاق، وذلك حين قام بالرد على اليهود الذين أمسكوا حجارة ليرجموه لادعائه بنوة الله،

---

(١) خروج ٧: ١.

(٢) خروج ٤: ١٦، ١٧.

(٣) وهذه الفقرة تفهم على المعنى التالى: إن الله موجود وحاضر فى محكمة العدل ووسط مجلس الحكم وأن ما ينطق به القضاة من أحكام إنما هو كلام الله وحكمه، وكأن القضاة أنفسهم آلهة ينطقون بحكم الله وينفذون مشيئته. راجع المسيح إنسان أم الله ص (١٩٢)

(٤) مزمور ٨٢: ١.

(٥) مزمور ٨٢: ٦، ٧.

(٦) المسيح إنسان أم إله ص (١٩٧).

قال اليهود لعيسى "لسنا نرجمك لأجل عمل حسن بل لأجل تجديف[١] فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهاً "[٢].

ويرد عليهم المسيح موضحاً لهم المجاز ومؤكداً أنه فى هذا يشبه نفسه بحكامهم وقضاتهم الآلهة الذين ينطقون بحكم الله فهو أيضاً إنسان حامل كلمة الله منفذ لتعاليمه كأحد أبنائه "[٣]

يقول يوحنا عن هذه الحادثة " أجابهم يسوع **أليس مكتوباً فى ناموسكم أنا قلت إنكم آلهة، إن قال آلهة لأولئك الذين صارت إليهم كلمة الله، ولا يمكن أن ينقض المكتوب، فالذى قدسه الآب وأرسله إلى العالم أتقولون له إنك تجدف لأنى قلت إنى ابن الله** "[٤].

فلقد اقتبس المسيح من المزامير قول داود للقضاة " أنا قلت إنكم آلهة " وذلك لكى يوضح لليهود أن المراد بهذا الإطلاق هو المعنى المجازى، وإلا لأصبح موسى وهؤلاء القضاة آلهة بالمعنى الحقيقى وهو مالا يقول به مؤمن بالله.

يقول الإمام الغزالى: "هذا النص بالغ فى تحصيل غرضنا، وبيانه أن اليهود لما أنكروا عليه قوله" أنا والآب واحد "ظانين أنه أراد بقوله هذا مفهومه الظاهر فيكون إلهاً حقيقة، انفصل عليه السلام عن إنكارهم مصرحاً بأن ذلك من قبيل المجاز، ثم أبان لهم حجة التجوز بضربه لهم المثل فقال قد أطلق عليكم فى ناموسكم أنكم آلهة ولستم آلهة حقيقة، وإنما أطلق عليكم هذا اللفظ لمعنى وهو: صدور الكلمة إليكم وأنا قد شاركتكم فى ذلك"[٥].

---

(١) والتجديف ـ فى نظرهم ـ قوله لهم كما جاء في الفقرة السابقة على الفقرة المذكورة (الأعمال التى أنا أعملها باسم أبى هى تشهد لى ولكنكم لستم تؤمنون لأنكم لستم من خرافى كما قلت لكم، خرافى تسمع صوتى وأنا أعرفها فتتبعنى، وأنا أعطيها حياة أبدية ولن تهلك إلى الأبد ولا يخطفها أحد من يدى، أبى الذى أعطانى إياها هو أعظم من الكل ولا يقدر أحد أن يخطف من يد أبى ، أنا والآب واحد) يوحنا ١٠ : ٢٥ ـ ٣٠ والتجديف يقصد به فى الكتاب المقدس كلام غير لائق فى شأن الله وصفاته. قاموس الكتاب المقدس ص (٢٥٣).

(٢) يوحنا ١٠ : ٣٣ ـ ٣٤.

(٣) المسيح إنسان أم إله ص (١٩٣).

(٤) يوحنا ١٠ : ٣٤ ـ ٣٦.

(٥) الإمام الغزالى : الرد الجميل ص (٢٤٤ ، ٢٤٥)

ثم يقول: "ولو لم يكن ما ضربه لهم من التمثيل جواباً قاطعاً لما تخيلوه من إرادة ظاهر اللفظ لكان ذلك مغالطة منه وغشاً فى المعتقدات المفضى الجهل بها إلى سخط الإله، وهذا لايليق بالأنبياء المرسلين الهادين إلى الحق..

فإن كان هو الإله الذى يجب أن يعبد وقد صرفهم عن اعتقاد ذلك بضربه لهم المثل، فيكون قد أمرهم بعبادة غيره، وصرفهم عن عبادته، وذلك غش وضلال لا يليق بمن يدعى فيه أنه أتى لخلاص العالم "[١].

وعلى هذا فإن صح إطلاق لقب (إله) على المسيح فالمراد به المعنى المجازى وهو: أنه الناطق بوحى الله المنزل عليه والداعى إلى أوامر الله ونواهيه، والمنفذ لشرع الله وتعاليمه.

وهكذا يتبين لنا أنه لا حجة للمسيحيين فى القول بألوهية المسيح، وأن ما ساقوه من أدلة ما هى إلا شبهات واهية وتأويلات فاسدة، وهى برغم هذا أدلة غير مقنعة.[٢]

يقول وايلز ـ أستاذ الإلهيات والكتاب المقدس ـ: ويظهر لى أن الكنيسة خلال تاريخ طويل من محاولات تقديم عرض منطقى للمسيح كإنسان كامل وإله كامل لم تنجح أبداً فى عرض صورة متماسكة مقنعة "[٣].

على أننا لو سلمنا بهذه الأدلة لترتب عليها فساد فى العقيدة، ذلك أننا لو سلمنا أن هذه الأدلة تدل على الألوهية لترتب على ذلك ألوهية آدم وحواء[٤]، وموسى وجميع الأنبياء[٥]، بل وجميع شعب بنى إسرائيل، بل وجميع البشر، وهو ما لا يقول به عاقل.

---

(١) المرجع السابق ص (٢٤٦، ٢٤٧).

(٢) أسطورة تجسد الإله ص (٣٢).

(٣) من حيث ولادتهما بدون أب وأم.

(٤) من حيث نسبة المعجزات وخوارق العادات إليهم.

(٥) من حيث نسبتهم إلى الله بالبنوة

كيفية التجسد الإلهى فى نظر المسيحيين:

بعد أن بيّنا أن المسيحيين يعتقدون فى تجسد المسيح أنه يشتمل على حقيقتين: الحقيقة الإنسانية، والحقيقة الإلهية، يجدر بنا الآن أن نبين وجهة نظرهم فى كيفية الالتقاء والاتصال بين هاتين الحقيقتين.

هم يعتقدون أن الإله تجسد وظهر فى صورة بشرية، والسؤال الآن: كيف اتصل اللاهوت بالناسوت فأصبح هذا المتجسد إلهاً كاملاً وإنساناً كاملاً، أو إلهاً متجسداً ؟ وما مدى تأثير كل منهما فى الآخر؟ وما طبيعة هذا المتجسد بعد الاتصال؟ وهل لا زال يتكون من طبيعتين أم من طبيعة واحدة؟

اختلف المسيحيون حول هذا الموضوع اختلافاً كبيراً، ويرجع هذا الاختلاف إلى العصور الأولى لتقرير العقائد المسيحية، فبعد أن قرر مجمع نيقية سنة ٣٢٥م ألوهية المسيح، اختلف المؤلهون بعد ذلك فى طبيعة المسيح الذى أصبح إلهاً بموجب هذا المجمع، ذلك أنهم لم يتفقوا على كنه هذا التأليه، وعلى طبيعة هذا الإنسان المؤله، وهل هو من طبيعة إلهية خالصة؟ أم من طبيعتين إحداهما إلهية والثانية إنسانية، وكيف تلاقت هاتان الطبيعتان؟ هل امتزجتا؟ وما نوع هذا الامتزاج؟ إلى غير ذلك.

وكان مصدر هذا الاختلاف هو التوفيق بين ألوهية المسيح التى صدر بها قرار وأصبح الاعتقاد بها ملزماً، وبين الواقع وهو أن المسيح بن مريم كان يمشى على الأرض وكان يأكل ويشرب ويفعل كل الأفعال والنقائص البشرية.

ولقد كان هذا الاختلاف سبباً فى انعقاد الكثير من المجامع بدءاً من القرن الخامس، والتى نتج عنها انقسام الكنيسة إلى مذاهب وطوائف مختلفة، وأهم هذه الطوائف: الأرثوذكس، والكاثوليك..

ولكل منهما رأى فى طبيعة المسيح، وكيفية الاتصال بين الطبيعة الإنسانية والطبيعة الإلهية ونتيجة هذا الاتصال.

فالأرثوذكس: يعتقدون "أن الطبيعة اللاهوتية قد اتحدت بالطبيعة الناسوتية اتحاداً كاملا مطلقاً"[١] حتى أنه لا يجوز ـ كما يعتقدون ـ أن نميز بين اللاهوت والناسوت[٢].

---

(١) الأب متى المسكين: لمحة سريعة عن رهبنة مصر ص (١٠).

(٢) د/ جورج حبيب: المعمودية فى الكنيسة الواحدة ص (٣٦).

يقول حبيب جرجس: "إن فادينا العظيم قد تنازل من سماء مجده وقبل أن يتحد بالإنسان باتخاذه جسداً حقيقياً بنفس عاقلة ناطقة، فحُمل به بقوة الروح القدس فى بطن القديسة الطاهرة مريم العذراء آخذاً كل مالنا ما عدا الخطيئة"(١) وهذا يعنى أن مريم ولدت يسوع الإله المتجسد.

فالذى ولدته ـ كما يقول منسى يوحنا ـ لا إلهاً بالإطلاق، ولا إنساناً بالإطلاق، ولا إلهاً وإنساناً، بل إلهاً متأنساً"(٢)...

وهذا من المحال إذ كيف يمكن أن يكون الإله قد استحال لحماً ودماً؟

أما عن نوعية هذا الاتحاد ـ عند الأرثوذكس ـ فيقول حبيب جرجس: "اتحد اللاهوت بالناسوت بدون اختلاط ولا امتزاج، وباتحادهما معاً بدون اختلاط ولا امتزاج صار المسيح ذاتاً واحدة، جوهراً واحداً، طبيعة واحدة "(٣).

ويقول سعيد مرقص" بلا انفصال ـ أى لم تأت لحظة فى حياة المسيح أن انفصل اللاهوت عن الناسوت (٤).

ولا اختلاط: أى لم يختلط اللاهوت بالناسوت كما تختلط المواد بعضها ببعض ولا امتزاج: أى لم يمتزج اللاهوت بالناسوت كامتزاج السوائل بعضها ببعض ولا تغيير: أى لم تتغير طبيعة اللاهوت بحلولها فى الناسوت، ولم تتغير طبيعة الناسوت بحلول اللاهوت فيها"(٥)

وهذه الأقوال مليئة بالتناقض الغريب إذ كيف يتحد اللاهوت بالناسوت ويصيرا طبيعة واحدة بدون امتزاج واختلاط؟ إذ أن تركيب الشئ مع شئ آخر غيره وصيرورتهما شيئاً واحداً يفتقر إلى انقلاب حقيقة أحدهما إلى حقيقة الآخر كاستحالة الهواء إلى الماء، والماء إلى الهواء، بواسطة البرودة فى الأول، واستحالة

---

(١) حبيب جرجس: خلاصة الأصول الإيمانية فى معتقدات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ص (٢٨ ، ٢٩).

(٢) القس منسى يوحنا: تاريخ الكنيسة القبطية ص (٢٥٩).

(٣) خلاصة الأصول الإيمانية ص (٢٩ ، ٣٠).

(٤) وهذا يقتضى أن يكون الإله المتجسد قد صلب وتألم، أى أن اللاهوت على هذا القول يكون مصلوباً متألماً وجرى عليه ما جرى على المسيح الإنسان من إهانة وتعذيب وقتل وموت وهذا محال.

(٥) سعيد مرقص: جسد الرب ودمه ص (٣٨).

الماء فى النار. وبدون انقلاب الحقائق لا يحصل الاتحاد الحقيقى، وإنما تحصل المجاورة ومجرد الاختلاط كمزج الشعير بالبر واللبن بالماء، وكل منهما يتميز عن الآخر دائماً كالأول، أو بعد يسير من الزمان كالثانى. وهذا معلوم بضرورة العقل ومعروف بالمشاهدة، والمغالطة فيه لا يصغى إليها لأنها تشكيك فى الضروريات وليس بشئ، فاللاهوت لو تركب مع الناسوت للزم يقينا انقلاب حقيقة أحدهما إلى حقيقة الآخر وانقلاب اللاهوت إلى الناسوت محال، وانقلاب الناسوت إلى اللاهوت مثله لأن المجرد لا يكون مادياً، والمادى لا يكون مجرداً"[١].

فبطل بذلك قولهم بتركيب اللاهوت مع الناسوت فى المسيح واتحادهما معاً بلا اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير.

أما كيفية الاتحاد ـ عند الأرثوذكس ـ فيقولون عنه إنه تم بطريقة سرية لا تدرك ولا تفهم. يقول أفلاطون مطران موسكو: "اتحدت طبيعته الإنسانية بالطبيعة الإلهية بطريقة سرية لا تدرك، ومن اتحاد الطبيعتين صار شخص واحد هو المسيح الإله الإنسان معاً"[٢].

فهذه الأقوال غير معقولة ومتناقضة، ولم يستطع أهلها تفسيرها، فكيف يؤمنون بها ويدعون الناس إلى الإيمان بها وهم لا يفهمونها؟

والتناقض فى هذه العقيدة واضح إذ كيف يمكن القول باتحاد اللاهوت بالناسوت؟ وكيف يمكن اتحاد القديم بالحادث؟ وكيف يعقل الاتحاد بدون امتزاج واختلاط وينتج عنهما طبيعة واحدة؟ وكيف يعقل أن ينتج عن هذا الاتحاد طبيعة واحدة دون أن يحدث أى تحول أو تغيير؟ وكيف يجتمع فى هذه الطبيعة هذا النقيض الهائل من اللاهوت والناسوت؟

ولقد رد المسيحيون القائلون بالطبيعتين على الأرثوذكس بما يلى:

يقول لويس برسوم: "إن القول بأن المسيح لاهوت وناسوت وهو هو طبيعة واحدة هو عين التناقض"[٣].

---

(١) الشيخ على البحرانى: لسان الصدق ص (١١٥).

(٢) الخلاصة الشهية فى أخص العقائد والتعاليم الأرثوذكسية ص (٨٩).

(٣) المسيح الإله والإنسان ص (٥٥).

ويقول: "من المبادئ المسلم بها عند جمهرة الفلاسفة واللاهوتيين، إن من طبيعتين كاملتين لا يمكن أن تقوم طبيعة واحدة، فمن المحال أن تتحول الطبيعتان إلى طبيعة واحدة "[١].

أما الكاثوليك: فيعتقدون أن المسيح إله كامل وإنسان كامل وأن له طبيعتان طبيعة لاهوتية وطبيعة ناسوتية، وهاتان الطبيعتان باقيتان فى المسيح، ويعنون بذلك أن الطبيعتين اتحدتا فى شخص المسيح.

يقول الأب بولس إلياس اليسوعى: "عندما تجسد ابن الله يسوع المسيح جمع فى شخصه الإلهى الطبيعتين الإلهية والبشرية، فكان إلهاً وإنساناً معاً "[٢]

ويقول إلياس مقار[٣]: "إن المسيح ذو طبيعتين تامتين كاملتين إذ هو إله تام وإنسان تام اتحدا فى شخصه الواحد بالتجسد"[٤].

ونوعية هذا الاتحاد ـ عند هؤلاء ـ هو أنه اتحاد بدون امتزاج أو اختلاط.

يقول الأب لويس برسوم: "ولكن دون أن ينشأ عن هذا الاتحاد ـ أى اتحاد الجسد أو الناسوت باللاهوت ـ أى اختلاط أو امتزاج أو تغيير، ومن ثم فإن كلا من اللاهوت والناسوت فى المسيح يتميزان بعضهما عن بعض تميزاً حقيقياً جوهرياً "[٥].

ويقال لهم: إن قلتم إن المسيح بعد الاتحاد باق على طبيعته ومشيئته كما كان قبل الاتحاد فقد أبطلتم الاتحاد، إذ الاتحاد عبارة عن صيرورة الأكثر من الواحد واحداً، فإذا كان جوهر الأزلى باقياً بحاله، وجوهر الإنسان باقياً بحاله، فقد آل الاتحاد إلى مجرد تسمية فارغة عن المعنى خالية من الفائدة.

ويقال لهم أيضاً: أتقولون إن اللاهوت اتحد بالناسوت حقيقة أو مجازاً؟ فإن قالوا إن ذلك تجوزاً أو توسعاً، فقد أبطلوا الاتحاد وتجوزوا بإطلاق ما لا يجوز إطلاقه على القديم سبحانه.

---

(١) المرجع السابق ص (٥٣).

(٢) يسوع المسيح ص (٩٩).

(٣) وهو بروتستانتى وذلك على أساس أنهم يتفقون مع الكاثوليك فى القول بالطبيعتين بعد الاتحاد.

(٤) قضايا المسيحية الكبرى ص (١١٥)، راجع أيضاً المسيح الإله والإنسان ص (٣٨)

(٥) المسيح الإله والإنسان ص (٦٤).

وإن قالوا إنه اتحد حقيقة، لزمهم أن يكون مشيئتهما واحدة لأن الواحد لا يكون له إلا مشيئة واحدة، إذ لو كان للواحد مشيئتان للزم إما أن تكونا متماثلتين أو مختلفتين، فإن كانتا متماثلتين فإحداهما مغنية عن الأخرى، وإن كانتا مختلفتين تناقضت أحكامهما وامتنع حصول مرادهما، فثبت أنه لابد من إبطال أحد المشيئتين إن كان الاتحاد حقيقة، أو إبطال الاتحاد جملة إذا ثبت الطبيعتان والمشيئتان.[١].

أما عن كيفية الاتحاد ـ عند هؤلاء ـ فيقول الأب لويس برسوم: "وأما إذا سألت كيف يمكن أن يكون هناك اتحاد جوهرى حقيقى بين طبيعتى المسيح الإلهية والإنسانية دون أن يحدث بينهما أى اختلاط أو امتزاج، ودون أن يحدث فى جوهرها أى تغيير؟ فأقول[٢]: إن هنا يكمن لب السر"[٣].

"أو هو ـ كما يقولون ـ سر بعيد عن الاستقصاء"[٤].

ولقد لخص (علم اللاهوت النظامى) كيفية التجسد عند القائلين بالطبيعتين فى النقاط التالية:

(١) إن فى المسيح طبيعتين ـ اللاهوت والناسوت ـ وأنهما متحدتان اتحاداً لا يقبل الانفكاك والانفصال.

(٢) إن هاتين الطبيعتين غير ممتزجتين امتزاجاً يتكون منه طبيعة ثالثة متميزة عن كل منهما بل إن كل واحدة منهما حافظة لكل خواصها.

(٣) إنه لم تنتقل صفة من الطبيعة الإلهية إلى البشرية وبالأولى لم تنتقل صفة من الطبيعة البشرية إلى الإلهية، أى الناسوت فى المسيح لم يصر إلهاً واللاهوت لم يصر ناسوتاً.

(٤) إن اتحاد الطبيعتين ليس على سبيل حلول الطبيعة الإلهية فى بنية بشرية بل على سبيل اتحاد شخص نشأ منه، أى أن المسيح شخص واحد بطبيعتين ممتازتين إلى الأبد أى أنه هو إله وإنسان فى وقت واحد[٥].

---

(١) أبو الفضل المسعودى: المنتخب الجليل ص (٥٢).

(٢) الكلام لا زال للأب لويس برسوم.

(٣) المسيح الإله والإنسان ص (٦٤).

(٤) علم اللاهوت النظامى ص (٧٧٩).

(٥) المرجع السابق صـ ٨٧٠.

وهذه الأقوال مليئة بالتناقض الغريب: إذ كيف يكون الشخص غير محدود ومحدوداً فى الوقت نفسه؟ كيف يكون إلهاً وإنساناً فى وقت واحد؟

كيف يكون قادراً وغير قادر فى آن واحد؟

يقول أبو الفضل المسعودى: "هذا المذهب فيه قباحة ذلك أن صيرورة الجوهرين مختلفى الطباع شخصاً واحداً أى أقنوماً واحداً لا يقوله عاقل، إذ يلزم عليه أن يشار إلى المسيح بأنه قديم ومحدث بإشارة واحدة"[1].



يتبين لنا مما سبق أن المسيح عليه السلام لم يقل بعقيدة التجسد، ولم يشر إليها، ولم يعلم تلاميذه إياها، فلم يقل عن نفسه إنه إله أو ابن إله، وكذلك لم يقل تلاميذه الأصليون عنه إنه إله أو ابن إله، وإنما الذى أشاع عن المسيح أن له قدرات إلهية فوق قدرات البشر ولذلك فهو ابن الله بولس الذى علم وبشر بتعاليم لم يأخذها عن المسيح ولا عن تلاميذه، وإنما استقاها من مصادر وثنية، وأن ما ساقه المسيحيون من أدلة على هذه العقيدة غير مسلم بها.

هذا فضلاً عن أن عقيدة التجسد نفسها لا تتسق مع صحيح العقول ففيها من التناقض الغريب والعجيب الذى لا يمكن التسليم به.

كل هذا يدل على أن المسيحيين استقوا هذه العقيدة من مصادر أخرى غير تعاليم المسيح الواضحة المتسقة مع صحيح العقول، والذى دعا فيها إلى توحيد الله وتنزيهه من كل نقص بشرى.

---

(١) المنتخب الجليل ص (٥٢).

تجسد الآلهة فى صورة بشرية فى الأديان الوضعية

لقد انحرف الإنسان عن فطرة الله ووحيه السماوى وانقاد إلى شهواته وأهوائه وأثبت الألوهية لغير الله، فاتخذ المخلوقات آلهة وأربابا من دون الله، ودعاها وتضرع لها ورجا منها النفع والضر، ومن هذا الانحراف تكونت أمما وثنية متنوعة تعبد آلهة متعددة ومتنوعة اخترعتها أوهامهم وعقولهم القاصرة التى لم تعد تؤمن إلا بكل محسوس أو مشاهد حتى فى مجال الألوهية، لذلك نجدهم لم يتركوا قوة من قوى الطبيعة إلا وجعلوها إلها، كإله الرعد، وإله البرق، وإله الماء، وإله النار، وإله الكواكب وغير ذلك.

ومنهم من عبد الحيوانات والنباتات وأضاف إليها صفات الألوهية وأحاطها بهالة من التقديس والإجلال، بل وقدم لها الطقوس والقرابين المعبرة عن تقديسه وخضوعه لها، إما لأنها حلت فيها روح الإله، أو على أساس أنها الجد الأعلى للقبيلة أو على اعتبار أنها مصدر للقوة والانتصار، وإما للخوف من هذا الحيوان أو الرغبة فى الانتفاع به.

ومنهم من عبد أحد أفراد البشر، وقدم له كل فروض الولاء والطاعة، وكل ألوان الخضوع والتقديس على أنه إله مقدس، ولذلك وصف بصفات الإله وعومل معاملة الإله على أساس أن الإله تجسد فى صورة بشرية أو أنه حلت فيه روح الله.

يقول العلامة دوان: "ومن عقائد الوثنيين القدماء قولهم بتجسد أحد الألهة ونزوله وسكنه معهم، وقد ورد ذكر ذلك على أنواع كثيرة من التصورات والروايات الشرقية"[١].

ولقد أشار العلماء إلى أن تأليه البشر أو تجسد الإله فى صورة بشرية عرف منذ زمن بعيد.

يقول جيمس فريزر: "ترجع فكرة (الإنسان الإله) أو الكائن البشرى الذى يتمتع بقوى إلهية أو خارقة للطبيعة ـ فى جوهرها ـ إلى تلك الحقبة الأولى من التاريخ

---

(١) محمد طاهر التنير: العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية ص (٥٤)

الدينى التى كان ينظر فيها إلى الآلهة البشر على أنهم كائنات من نوع واحد تقريباً"[١]

ويقول: "فبينما تبدو فكرة تجسد الإلهة فى صورة بشرية فكرة غريبة بالنسبة لنا" نحن المعاصرين "فلم يكن فيها ما يدعو للعجب أو الدهشة بالنسبة للإنسان المبكر"[٢].

" ولعل الكاتب يريد أن يقول عبادة البشر كانت من بين أطوار العقيدة التى ارتقت إلى التوحيد، فهو يتبنى نظرية تطور العقائد من الوثنية إلى التوحيد وهو ما يرفضه الإسلام رفضاً باتاً إذ أن العقيدة الإسلامية قائمة على أن أبانا آدم عليه السلام هبط إلى الأرض بعقيدة التوحيد ثم خلف من بعده خلف نزعوا إلى الشرك والوثنية فتتابعت الأنبياء يدعون إلى توحيد الله ويحاربون الوثنية فى شتى صورها.

ولكن ما نستفيده من قول هذا الكاتب أن عبادة وتأليه البشر فكرة وقعت للإنسان من قديم"[٣].

وقد اختلف العلماء حول أسباب اتجاه الإنسان إلى تأليه البشر.

يرى البعض أنها ربما وجدت بديلاً عن الآلهة الحيوانية.

يقول ول ديورانت: "وربما استمدت الآلهة البشرية الأولى طبعها من الآلهة الحيوانية التى جاءت تلك الآلهة البشرية لها بديلاً، والانتقال من أولئك إلى هؤلاء واضح فى القصص المشهورة التى تروى لنا تحول الصورة الإلهية، والتى تصف لنا كيف كانت الآلهة؟ أو كيف صارت حيوانية الصورة؟. وبعدئذ ظلت صفات الحيوان لاحقة بالآلهة لا تبرحها، كما تظل رائحة الإسطبل لاحقة بمكانه حتى بعد تحويله قصراً ريفياً منيفاً"[٤].

---

(١) جيمس فريزر: الغصن الذهبى (١ / ٣٣٣).

(٢) المرجع السابق: نفس الصفحة.

(٣) د/ فتحى الزغبى: غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام ص (٢٨٢) رسالة ماجستير.

(٤) قصة الحضارة مجلد ١ (١ / ١٠٧ ـ ١٠٨).

ويورد بعد ذلك أمثلة من ديانات اليونانيين والبابليين والمصريين، ثم يقول: "وهذه الآلهة بوجوهها الإنسانية وأجسادها الحيوانية تبين مرحلة الانتقال نفسها وتعترف بالحقيقة عينها وهى أن كثيراً من الآلهة البشرية كانت يوماً آلهة حيوانية "(١).

وبجانب هذا الاحتمال، هناك احتمال آخر وهو أن تأليه البشر كان وليداً لعبادة الموتى والأسلاف.

يقول ول ديورانت: "ومع ذلك فمعظم الآلهة البشرية قد كانوا ـ فيما يظهر ـ عند البداية رجالاً من الموتى ضخموا بفعل الخيال، فظهور الموتى فى الأحلام كان وحده كافياً للتمكن من عبادتهم، لأن العبادة إن لم تكن وليدة الخوف فهى على الأقل زميلته، وخصوصاً من كانوا أقوياء إبان حياتهم فألقوا الخوف فى نفوس الناس، هؤلاء يرجح جداً أن يعبدوا بعد موتهم "(٢).

ويدلل على ذلك بقوله: " ولذلك تجد الكلمة التى معناها (إله) عند كثير من الشعوب القديمة معناها فى الحقيقة (رجل ميت) وحتى اليوم ترى كلمة (Spirit) فى الإنجليزية، وكلمة (Geist) فى الألمانية معناها إما روح وإما شبح "(٣).

وهذا الاحتمال فيه جزء من الصواب ـ فى نظرى ـ فالناس كما يشير القرآن الكريم كانوا أمة واحدة على الهدى والإيمان بالله وتوحيده فاختلفوا وانحرفوا فأرسل الله إليهم نوحاً ليرشدهم إلى الصواب(٤).

وكان هذا الانحراف قبل زمانه بقليل، وذلك أنه حين أرسل إليهم وجدهم يعبدون أصناماً وتماثيل نصبها آباؤهم لبعض الصالحين منهم(٥) بعد موتهم، ثم جاء من بعدهم فعبدوها اعتقاداً منهم بأن آباءهم كانوا يعبدون هذه التماثيل فاتجهوا إليها

---

(١) المرجع السابق ص (١٠٨)
(٢) المرجع السابق نفس الصفحة.
(٣) المرجع السابق نفس الصفحة.
(٤) تفسير ابن كثير (١ / ٢٥٠)، (٢ / ٤١١).
(٥) المرجع السابق (٤ / ٤٢٦).

بالعبادة تقليداً لآبائهم ونسبوا لأصحابها الألوهية، ويدل على ذلك قوله تعالى ﴿قَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ نوح : ٢٣، وهذا أيضاً هو السبب فى نظرى ـ للاتجاه إلى الوثنية والشرك [١].

ثم حدث بعد ذلك أن اعتقد الناس فى ملوكهم أو أباطرتهم أنهم آلهة، وغالباً ما كان هذا بإيعاز من الملوك أنفسهم.

" فقد كان الملوك من قديم الزمان يحيطون أنفسهم بهالة من التقديس ويضعون مكانتهم فى إطار من الألوهية لا جهلاً منهم بأنهم أناس لا يختلفون عن غيرهم، ولكنهم يفعلون ذلك تمويهاً على العامة حتى يأمنوا غائله الثورات الهوج من الذين يطمعون فى تبوئ عرش الملك، مقدرين أن ذلك التقديس يحول بين النازعين إلى الثورة، وبين ما يشتهون، وهذه كانت حالة (نمروذ) فى عهد إبراهيم وحال الذين أتوا بعد موسى من ملوك اليونان ثم الرومان، كما كانت حالة الفراعنة فى مصر " [٢].

هذا إلى جانب "أنه وجد بعض الملوك الذين طغوا على الجميع وكلما أمعنوا فى طغيانهم تضاءل الناس أمامهم ورمقوهم بعين الإكبار والتقديس يصاحب ذلك خوف ورهبة حتى وصلوا بهم إلى درجة الألوهية واستراح الطغاة لذلك إشباعاً لغرورهم واطمأنوا على سلطانهم وطاعة أوامرهم" [٣]

ولذلك إذا نظرنا إلى معظم الأمم الوثنية التى قدست البشر ورفعتهم إلى مرتبة الألوهية وجدنا الملوك أو الأبطال أو الفراعنة أو الحكام أو الأباطرة فى مقدمة الذين ينسب إليهم الألوهية.

يقول جيمس فريزر: " كانت فكرة الألوهية وفكرة الملكية تتداخلان إحداهما فى الأخرى وتختلطان فى أذهان الأسلاف الأقدمين " [٤].

---

(١) راجع الفصل الثانى من هذا الباب وهو الخاص بالتثليث.

(٢) قصص الأنبياء، هامش ص (١٨٢).

(٣) د/ فتحى الزغبى : غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام ص (٢٨٣).

(٤) الغصن الذهبى (١ / ٣٤٨).

ويقول ولز: "وقد كانت أقدم الإمبراطوريات فى العالم بطبيعة الحال دولاً دينية تتمركز حول عبادة أحد الآلهة أو الملوك الآلهة"[١]

ولم يكن التجسد قاصراً على الملوك فقط، وذلك على أساس أن التجسد المزعوم - كما يقول جيمس فريزر - قد يتم فى بعض الأحوال فى أشخاص من أحط الطبقات. ففى الهند مثلاً بدأ أحد الآلهة البشرية حياته بالعمل بتبيض القطن، وبدأها آخر ابناً لأحد النجارين "[٢].

وكان قادة الإصلاح أيضاً الذين يقومون بأدوار إصلاحية فى بلادهم - فى بعض الأحيان - معرضين لأن يعتقد الناس بألوهيتهم وذلك مثل بوذا.

والتجسد - كما هو فى الأديان الوضعية - إما مؤقت وإما دائم.

"وفى الحالة الأولى يتخذ التجسد الذى يعرف حينئذ بأنه وحى أو مس شكل المعرفة أو العلم الخارق وليس شكل القوة الخارقة للطبيعة ويعبر بذلك عن نفسه عن طريق العرافة والتنبؤ وليس عن طريق المعجزة.

أما حين لا يكون التجسد مجرد حالة مؤقتة وإنما تتخذ الروح الإلهية من الجسم البشرى مقراً دائماً لها فإنه يتوقع من (الإله الإنسان) أن يبرز صفاته عن طريق المعجزات"[٣].

هذا وقد روى التاريخ أن الاعتقاد بألوهية البشر كان منتشراً فى أنحاء العالم الوثنى القديم، وأن كثيراً من البشر قد نسب إليهم الألوهية وخلع الناس عليهم صفات التقديس والإجلال - سواء كان هذا فى حياتهم أم بعد مماتهم - وذلك قبل ظهور المسيحية بآلاف السنين.

فالمصريون والهنود واليونانيون والرومانيون وغيرهم كانوا يقدسون بعض أفراد البشر على أساس أنهم آلهة متجسدون، وسوف يظهر هذا من خلال العرض التالى.

---

(١) ولز: موجز تاريخ العالم ص (١٩٣).

(٢) الغصن الذهبى ١ / ٣٣٦).

(٣) المرجع السابق. نفس الصفحة.

(١) التجسد عند الهنود:

يعتبر التجسد من أشهر عقائد الهنود وأكثرها ذيوعاً بينهم، وهو يسمي عندهم باللغة السنسكريتية واللغات الهندية (أوتار) [١]، وبوجه عام فإن الأساطير الهندية تضفى على آلهتها الصفات الإنسانية مثل الزواج والإنجاب[٢].

يقول جيمس فريزر: "يمكن القول بأنه قد لا توجد دولة فى العالم أخصب من الهند فى الآلهة البشرية، فهى توجد فى كافة الطبقات ابتداء من طبقة الملوك حتى طبقة بائعى اللبن"[٣].

ويقول د/ محمد الندوى: "إن عقيدة التجسد نالت شهرة كبيرة فى الهند وغطت شهرتها جميع العقائد والاتجاهات"[٤].

ولقد رويت عنهم روايات مختلفة بشأن اعتقادهم بتجسد الآلهة، وسوف نقتصر هنا على دراسة أهم الآلهة المتجسدة عندهم.

(أ) تجسد الإله كرشنا:

لقد اعتقد الهنود أن الإله (كرشنا) تجسد وظهر في صورة بشرية[٥] وهو عندهم أعظم من كافة الآلهة التى تجسدت، ويمتاز عنهم كثيراً لأنه لم يكن فى أولئك ـ فى نظرهم ـ إلا جزء قليل من الألوهية أما هو ـ أى كرشنا ـ فإن الإله فشنو ظهر بالناسوت [٦].

فهم يعتقدون أنه التقى فيه اللاهوت والناسوت أو حل فيه اللاهوت في الناسوت [٧] ويعتبرون ذلك سراً عجباً، ففى (فوشنو بورانا) ـ أحد الكتب الهندية المقدسة ـ جاء ما يلى: "وإنه لسر عجيب كيف أن الإله تكيف بجسد إنسان"[٨].

---

(١) د/ محمد إسماعيل الندوى: الهند القديمة ص (١١٠)
(٢) المرجع السابق ص (٩٣).
(٣) الغصن الذهبى (١ / ٣٥٤).
(٤) الهند القديمة ص (١١٢).
(٥) راجع: د/ على زيغو: الفلسفات الهندية ص (١٦٨)
(٦) يقول العلامة دوان: (إن كرشنا يخالف كل الإلهة التى تجسدت لأنها لم يكن فيها إلا جزء من الألوهية، أما كرشنا فهو نفس الإله فشنو ظهر بالناسوت) راجع: العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية ص (٥٤).
(٧) الشيخ محمد أبو زهرة: مقارنة الأديان (الديانات القديمة) ص (٢٨).
(٨) العقائد الوثنية ص (٥٧).

ولقد روت كتبهم قول كرشنا "والجهال لا يعترفون بلا هوتيتى وبأننى رب كل شئ ويحتقروننى بالناسوت متكلين على الشر والخبث والمكر فى طبائعهم، فآمالهم وحكمتهم وأفكارهم وطبيعتهم كلها فاسدة، أما الرجال ذوو العقول الواعية يتكلمون على طبيعتهم اللاهوتية فيعلمون أنى الأبدى الكائن قبل كل شئ ويعبدوننى بقلوب لا تميل إلى آلهة أخرى"[١].

وقوله لتلميذه (أرجون) : "وأنت يا أرجون الذى بداعى ثقتك اعترفت بألوهية ولادتى انضم إلىّ وادخل فىّ"[٢].

وكان الهنود يدعون أم كرشنا والدة الإله [٣].

يقول دوان: "والهنود يقولون إن كرشنا هو ابن العذراء ديفاكى ويدعونها والدة الإله"[٤].

(ب) التجسد عند البوذيين:

لقد انحرفت البوذية ـ بعد موت بوذا ـ ونسى أتباعه تعاليمه وراحوا يؤلهونه، وبدأت القصص فى كتبهم المقدسة تتحدث عن الإله بوذا وتصف كيف تقدم له القرابين، وأقاموا له المعابد وجعلوا منه هو نفسه إلهاً معبوداً[٥].

فاعتقد البوذيون أن بوذا إله متجسد ذو أسرار عجيبة[٦] وأنه واحد من سلسلة من كائنات قدسية هى البوذوات، وأن "لكل البوذوات روحاً خالدة لا تمتد إليها يد الموت"[٧].

فهم يعدونه إلهاً متجسداً ـ أى أنه إله ظهر بالناسوت أتى إلى هذا العالم ليعلم الناس ويرشدهم ويفيدهم ويبنى لهم طريق السلام[٨].

---

(١) المرجع السابق ص (٥٩).

(٢) المرجع السابق ص (٥٨).

(٣) وكما ترى تجد التقارب واضحاً بين اعتقاد المسيحيين فى المسيح واعتقاد الهنود فى كرشنا. راجع العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية (الفصل السابع عشر) ففيه مقارنة بين أقوال الهنود فى كرشنة وأقوال المسيحيين فى المسيح.

(٤) المرجع السابق ص (٥٥).

(٥) قصة الديانات ص (١٢٠).

(٦) الفلسفة الشرقية ص (١٤٥).

(٧) ولز: معالم تاريخ الإنسانية (المجلد الثانى) ص (٤٨٩).

(٨) العقائد الوثنية ص (٦٠).

ويروون عنه بعض الأساطير التى تشبه إلى حد كبير أقوال المسيحيين فى المسيح[١].

(٢) **التجسد عند المصريين القدماء:**

ساد الاعتقاد فى مصر بالتجسد وحلول الإله فى البشر..

والآلهة المصرية المتجسدة كائنات فى أغلب الأحيان من الملوك والفراعنة أو من ينتسب إليهم.

يقول ول ديورانت: "ولم يكن آلهة مصر من الآدميين إلا رجالاً متفوقين أو نساء متفوقات خلقوا فى صور عظيمة باسلة، ولكنهم خلقوا من عظام وعضلات ولحم ودم، يجوعون، ويأكلون، ويظمئون، ويشربون، ويحبون ويتزوجون، ويكرهون، ويقتلون، ويشيخون، ويموتون شأنهم فى ذلك شأن آلهة اليونان سواء بسواء"[٢].

وكانت عبادة الملوك ـ الذين يمثلون الإله المتجسد ـ تطغى أحياناً على عبادة الآلهة الأخرى، وتكاد تخفيها. وهكذا نجد أنه فى أيام حكم (مرنرع) أعلن أحد الموظفين أنه قد بنى الكثير من الأماكن المقدسة حتى يمكن للناس الابتهال لأرواح الملك (مرنرع) الخالد ـ فى نظرهم ـ أكثر مما يبتهلون ويتضرعون لجميع الآلهة"[٣].

ويبدو أن هذه العقيدة ظهرت بين المصريين فى عام ٣٢٠٠ق.م وذلك حين أعلن (مينا) ـ بعد أن وحد القطرين ـ أن الإله حل فيه وأنه الملك الإله وذلك حتى يجمع فى يده كل السلطات"[٤].

ثم تناقلتها الأجيال المتعاقبة دون تغيير جوهرى.

يقول ولز: "أما مصر فكان فيها فرد يرفع فوق الكهنة وهو التجسيد الحى الممثل لرب البلاد الأعلى وهو فرعون الملك الرب"[٥].

---

(١) راجع الموازنة التى أوردها صاحب كتاب العقيدة الوثنية فى الديانة النصرانية بين أقوال البوذيين فى بوذا وأقوال المسيحيين فى المسيح (الفصل الثامن عشر).

(٢) قصة الحضارة مجلد ١ (٢ / ١٥٩).

(٣) الغصن الذهبى (١ / ٣٦٧).

(٤) راجع دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم (الجزء الخامس الخاص بالحضارة المصرية) ص (٩٩)، الفلسفة الشرقية ص (٤٠).

(٥) موجز تاريخ العالم ص (٦٣).

وأصبح الملك الذى يتقلد الملك فى مصر ينظر إليه على أنه لم يكن من البشر وإنما كان إلهاً ثم تجسد فى الفرعون ليحكم الناس"[١].

يقول ول ديورانت: "وكان الفرعون لا يحكم مصر بحقه الإلهى فحسب، بل يحكمها أيضاً بحق مولده الإلهى، فهو إله رضى أن تكون الأرض موطناً له"[٢].

وكان الناس يقدمون لهم القرابين، كما كانت عبادتهم تقام فى معابد خاصة يشرف عليها كهنة خصوصيون[٣].

فموحد مصر (مينا) ومن خلفه من بعده ـ الذين كانوا يلبسون تاج مصر ـ كانت تقدم لهم العبادة على أنهم تجسيد للإله فى صورة بشرية[٤].

ولقد وضع المصريون القدماء بعد ذلك هذه العقيدة فى إطار فكرة أنشئوها مجملها ما يلى: "أنه كان يحكم مصر على الدوام ملوك، وأن الملوك الأوائل كانوا آلهة حقيقيين قاموا بتنظيم شئون البلاد، وعلموا المصريين فنون الحياة، ووضعوا قواعد ديانتهم ثم ارتفعوا إلى السماء وخلفهم على العرش ملوك من البشر، غير أن هؤلاء الملوك كانوا بشراً فى المظهر فحسب إذ أنهم فى الحقيقة كانوا صورة مجسمة للآلهة "[٥].

"ولما كان آخر ملوك مصر من الآلهة الحقيقيين ـ كما يعتقدون ـ يدعى حورس فإن خلفاءه من الملوك البشر الذين تربعوا بعده على عرش البلاد كانوا يحملون هذا اللقب الذى أصبح جزءاً لا يتجزأ من ألقاب كافة الفراعنة، لأنه كان دليلاً على طبيعته السماوية، وبما أن المصريين كانوا يعتقدون أن الإله (رع) كان أول الملوك

---

(١) راجع: طه باقر: مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة (٢ / ١٦٠) بتصرف

(٢) قصة الحضارة مجلد ١ (٢ / ١٦١).

(٣) الغصن الذهبى (١ / ٣٦٧).

(٤) تاريخ البشرية (١ / ٩٠).

(٥) د/ إبراهيم نصحى: تاريخ مصر فى عصر البطالمة (٢ / ٤، ٥).

الآلهة الذين حكموا مصر وجدهم الأعلى فإن فرعون اكتسب لقباً آخر، وأصبح الملك الإله يحمل لقبى (حورس) أو هورس، و(ابن رع)[(١)].

ولما كان المصريون يعتقدون أن فرعون صورة حية للإله (حورس) وأنه (ابن رع) فمعنى ذلك أن فرعون كان إلهاً ابن إله ووريث الآلهة على عرش مصر"[(٢)].

وتتضمن فكرة ألوهية (الفرعون) بالتجسيد جيلين من الفراعنة، فإن اعتلاء الملك الجديد للعرش يعنى اندماج قوى الملك الراحل بالملك الجديد، إذ أن الملك الميت يصير بالتجسيد بمثابة الإله (أوزوريس) أما الملك الذى يخلف الملك الميت فيصير الإله (حورس) ـ أو هورس كما يسميه البعض ـ ابن أوزوريس الذى أعقب أباه وصار ملكاً أيضاً، كما أن الملك الجديد يتجسد أيضاً بإله الشمس (رع) ويصير ابنه وهكذا تستمر الدورة "[(٣)].

وهكذا نرى أن المصريين كانوا يعتقدون بالتجسد الإلهى فى صورة بشرية، ولقد أخذت هذه العقيدة كثيراً من اهتمامهم، فصوروا الملك على أنه إله وابن إله نزل من السماء وتجسد بهيئة بشرية ليحكم الناس.

(٣) التجسد عند اليونانيين:

صور اليونانيون أبطالهم على أنهم آلهة بهيئات بشرية، ووصفوها بالصفات الإنسانية الصالحة والرديئة[(٤)].

فالآلهة اليونانية بشرية إلى أقصى الحدود، فهى تأكل وتشرب وترتكب الخطايا والآثام وتنقاد إلى الشهوات، ولا تختلف عن الإنسان إلا فى كونها خالدة ومزودة بقوة خارقة للطبيعة البشرية[(٥)].

---

(١) المرجع السابق (٢ / ٥) ، راجع أيضاً: تاريخ الحضارات العام. المجلد الأول الخاص بالشرق واليونان القديمة ص (٤٦).

(٢) تاريخ مصر فى عصر البطالمة (٢ / ٦).

(٣) مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة (٢ / ١٦١).

(٤) برستيد: العصور القديمة ص (٢٩٩).

(٥) راجع تاريخ الفلسفة الغربية الكتاب الأول ص (٣٥)، د/ أحمد الخشاب: الاجتماع الدينى ص (٢٩٩)، الأدب اليونانى القديم ص (١١).

واعتقد اليونانيون أنه يحدث أحياناً أن ينزل الإله ويتقمص جسم إنسان فيستحيل الإنسان إلهاً وقد يتصل الإله اتصالا جنسياً مع امرأة من الآدميين فتلد بطلاً [١] أو إلهاً كما فعل زيوس مع (أكمينا)[٢] فولدت (هرقل)[٣][٤].

فكانوا يدعون أبطالهم آلهة وأولاد آلهة وأنهم ظهروا بالناسوت، وكانوا يقربون لهم الذبائح والعبادات [٥]. وغير ذلك من الطقوس المعبرة عن التقديس والإجلال.

٤) التجسد عند المقدونيين والبطالمة والسلوقيين:

فقد ادعى الإسكندر الأكبر وخلفاؤه أنهم آلهة يجب على رعاياهم أن يعبدوهم، وفازوا بمطلبهم، إذ أنهم عندما لم يجدوا فى دساتير المدن الإغريقية سنداً لسلطتهم رفعوا أنفسهم إلى مصاف الآلهة الإغريقية، وأقبل رعاياهم على عبادتهم على أنهم آلهة [٦].

تقول فرنسيس يونغ ـ أستاذ العهد الجديد فى جامعة بيرمنغهام ببريطانيا ـ: "إن ادعاء الإسكندر بأنه سليل الآلهة يرجع إلى فترة حياته نفسها وتدل على ذلك النقوش والمصادر الأخرى"[٧].

فلقد عُبد الإسكندر فى حياته وبعد مماته كإله[٨].

---

(١) يقول د / محمد صقر خفاجة: إن أقدم تفسير للأساطير اليونانية ينسب إلى العالم اليونانى (يوهيميروس) أواخر القرن الرابع قبل الميلاد الذى قال بأن آلهة اليونان كانوا فى الأصل أبطالاً تجمع حولهم ضباب الزمن والخيال فحور أشكالهم وخلع عليهم صفة القداسة ورفعهم إلى مصاف الآلهة. راجع أساطير اليونان هامش ص (٣).

(٢) أكمينا: إحدى النيمف (بنات المحيط) وحفيداته وهن آلهة إناث للبحار والأنهار والعيون والآبار والغابات والجبال، والطائفة الأولى منهن وهى نيمف البحار يطلق على أفرادها اسم الأوسيانيد أى البحريات أو المحيطات. راجع : الأدب اليونانى القديم ص (١٩).

(٣) هرقل: إله القوة وتنسب له الأساطير القيام باثنى عشر عملاً عجز عن القيام بها كثير من الآلهة قبله. المرجع السابق ص (١٦).

(٤) قصة الحضارة مجلد ٢ (١ / ٣٢٧).

(٥) راجع العقائد الوثنية ص (٦٧ ، ٦٨).

(٦) فشر: تاريخ أوربا العصور القديمة ص (٧٣).

(٧) أسطورة تجسد الإله ص (٥٩).

(٨) راجع: تراث العالم القديم (١ / ٢١٣).

وناداه الناس فى أنحاء المملكة المقدونية بلقب الإله وابن الإله، ويدل على ذلك أنه حين فتح مصر زار واحة سيوة وزار معبد آمون فيها وقرب القرابين [١] وهناك لقبه الكهنة (ابن آمون) أى ابن الإله [٢].

وكذلك رحب به الكهنة السوريون على أساس أنه إله وابن إله[٣].

وحينما تولى البطالمة حكم مصر، والسلوقيون حكم سوريا ـ بعد وفاة الإسكندر ـ ساروا على سنة سلفهم فدرجوا على تأليه الحكام والملوك .

يقول د/ إبراهيم نصحى: ولقد رفع بطليموس أيضاً إلى مرتبة الألوهية وأطلق عليه اسم الإله المنقذ، أو عبد باسم الإله المنقذ "[٤].

ويقول إدريس بل: "وكان بطليموس الأول (٣٢١ ـ ٢٨٢ ق. م) قد أله بلقب سوتير أى (المخلص) وابن بطليموس الثانى وخليفته منح لقب (يورجيتيس) أى المحسن ومن ذلك الوقت فصاعداً كان ملوك هذه الأسرة ـ ويسمون جميعاً باسم بطليموس ـ يحملون لقب العبادة التى كانوا يعبدون بها حتى فى أثناء حياتهم"[٥].

وبعد موت الذى كان يؤله فى حياته يصبح بعد مماته (الإله المتجلى) أو (الإله الحى) وفى اليونانية (إبيفانس)، وأول بطليموس لقب نفسه (الإله المتجلى) كان بطليموس الخامس الذى حكم من سنة ٢٠٥ إلى سنة ١٨٠ ق. م "[٦].

والملوك السلوقيون قد رفعوا أيضاً إلى مرتبة الآلهة، ولقب أنطيوكس الثانى السلوقى (٢٦١ ـ ٢٤٧ ق . م) بلقب (ثيوس) أو (الإله)، وكان أنطيوكوس الرابع الملك السلوقى (١٧٥ ـ ١٦٣ ق . م) يلقب بإبيفانس أى الإله المتجلى [٧].

---

(١) يقول د/ إبراهيم نصحى (إن الاسكندر الأكبر زار معبد آمون فى سيوة لإثبات ألوهيته وإثبات نسبه الإلهى) تاريخ مصر فى عصر البطالمة (١ / ٢٢) ، (٢ / ١٣) وما بعدها.

(٢) التاريخ القديم ص (١١٣)، راجع أيضاً الحضارة الهلينية ص (١٤٧).

(٣) أسطورة تجسد الإله ص (١٥٩).

(٤) تاريخ مصر فى عصر البطالمة (١ / ٨٣، ٨٨، ٨٩).

(٥) الهلينية فى مصر ص (٨١)، راجع أيضاً قصة الحضارة مجلد ٢ (٣ / ٧٠).

(٦) تاريخ العلم (٥ / ٦٤).

(٧) المرجع السابق نفس الصفحة .

(٥) التجسد عند الرومانيين:

وانتقلت فكرة (تأليه البشر) إلى العالم الرومانى وتوطدت فيه، وظهرت بصورة واضحة فى عبادة الأباطرة أيضاً.

وكان تأليه الإمبراطور (يوليوس قيصر ١٠٢ ـ ٤٤ ق. م) بداية اتجاه العالم الرومانى لظاهرة تقديس وعبادة الأباطرة الرومان.

وقد اختلف المؤرخون حول تأليه (يوليوس قيصر) ومتى تم ؟ هل أله فى حياته أم بعد مماته؟

أشار د/ إبراهيم نصحى إلى أنه أله فى حياته وذكر الأدلة على ذلك. ملخصها ما يلى:

(١) أنه عثر على نقوش فى بلاد الإغريق وآسيا الصغرى وصف فيها (يوليوس قيصر) بأنه إله، ومن البديهى أن وجود مثل هذه النقوش ينم على الأقل عن وجود اتجاه قوى فى روما نحو تأليه قيصر.

(٢) أنه نقش صورة (يوليوس قيصر) على العملة الرسمية الرومانية ـ ذلك أنه يتبين من دراسة العملة أنه فى الدول الهلينستية كانت لا تنقش عليها عادة إلا صور الآلهة والملوك، وأنه فى روما كانت لا تنقش عليها عادة إلا صور الآلهة، بيد أنه فى عام ٤٥ق. م نقشت بأمر السناتو لأول مرة على العملة الرسمية صورة بشر على قيد الحياة.

(٣) لقد عين (يوليوس قيصر) فى حياته كاهناً خاصاً له ـ وهو أمر لم يسبق له مثيل فى الدولة الرومانية ـ ومن المسلم به أن الكهنة كانوا يعينون لإقامة شعائر عبادة إله.

فما كانت إذن مهمة كاهن قيصر، وما كان مبرر تعيين هذا الكاهن الخاص إلا إذا كان قيصر قد رفع إلى مرتبة الألوهية فى حياته.

(٤) أنه أقيم لـ (يوليوس قيصر) تمثالان أحدهما فى معبد كويرينوس والآخر على تل قابينولينوس بجوار تماثيل ملوك روما الأسبقين، وأول هذين التمثالين كان يحمل نقشاً نصه (إلى الإله الذى لا يقهر).

هذا إلى جانب قرائن أخرى ذكرها المؤلف، ثم يقول فى النهاية: إنه من الإسراف فى الرأى إنكار تأليه قيصر فى حياته [١].

وقد ذكر بعض المؤرخين أن تأليه (يوليوس قيصر) كان بعد مماته.

يقول د/ سيد أحمد الناصرى (لم ينس أوكتافيوس ٢٧ ق. م - ١٤ م) أن يبعث السرور فى قيصر وهو فى قبره، فبنى له معبدا في ساحة المدينة حيث حرق جثمانه، كما أوجد بمقتضى قانون خاص عبادة يوليوس قيصر الذى اعتبر من بين آلهة الدولة البارزين، وأصبح يسمى المؤله يوليوس، وكان ذلك بداية لتأليه الأباطرة فيما بعد"[٢].

ويقول جورج سارتون: "فى السنة التالية لاغتيال يوليوس قيصر احتفل الخلفاء بتأليه قيصر وشيدوا معبداً لتخليد ذكراه"[٣].

ويقول دونالد ددلى: "وقد تم إعلان تاليه (يوليوس قيصر) بعد موته وكان هذا شيئاً جديداً على التاريخ الرومانى، وقد تلقى الشعب هذا النبأ بترحاب بالغ وبحماس شديد"[٤].

ويمكن القول بأن تأليه يوليوس قيصر قد مر بمرحلتين: مرحلة تمهيدية وفيها نسب إلى يوليوس قيصر ما ينسب إلى الآلهة، أو وصف فيها بما يوصف به الآلهة مثل رسم صورته على العملة، وتعيين كاهن خاص به. إلى آخره، وكان هذا فى حياته، وهو ما يعنى أن يوليوس قيصر أله فى حياته بنوع معين بأن نسب إليه ما ينسب إلى الآلهة، وكان هذا بمثابة التمهيد لإعلان تأليهه رسمياً.

أما المرحلة الثانية فقد تمت بعد موته وفيها أعلن تأليهه رسمياً، وهو ما يعنى أن عبادة الأباطرة بدأت بتأليه يوليوس قيصر "وقد اتخذتها الحكومة الرومانية عبادة

---

(١) د/ إبراهيم نصحى: تاريخ الرومان (٢ / ٦٩١ - ٦٩٥).

(٢) د/ سيد أحمد الناصرى: تاريخ وحضارة الرومان ص (٤١٥).

(٣) تاريخ العلم (٥ / ٢٤).

(٤) حضارة روما ص (١٦٢).

رسمية ـ بعد موته ـ أى فى عهد أوكتافيان[١] الذى سمى بالإمبراطور أغسطس[٢] فيما بعد.

وما لبثت عبادة الأباطرة أن انتشرت فى سائر أنحاء الإمبراطورية، وقام بعض الشعراء بإذكاء الحماسة لهذه الفكرة[٣] وذلك مثل فرجيل[٤].

"فمن أهم الأفكار التى تضمنتها مختارات فرجيل هو تأليه قيصر وظهوره كنجم فى السماء"[٥].

وقد ساعد على انتشار هذه العبادة أن الاتجاه العام فى البلاد التى تخضع لحكم الرومان كان يدور حول اتخاذ الملوك والحكام آلهة، كما تبين مما سبق عند المصريين واليونانيين والمقدونيين والسوريين.

يقول د/ لطفى يحيى: "وكانت هذه العبادة صدى لاتجاه عام كان قد بدأ يسود المنطقة التى امتدت عليها الإمبراطورية الرومانية"[٦].

وقد فتح تأليه (يوليوس قيصر) الباب لتأليه الأباطرة الذين جاءوا بعده بدءاً من أغسطس حتى عام ٢٧٤م، وذلك حين قام أورليانوس بتغيير هذا الوضع الذى استعاض عنه بـ (الشمس التى لا تغلب) على أنها إله الإمبراطورية[٧].

وكان أول الأباطرة المؤلهين بعد (قيصر) أوكتافيانوس الذى عومل فى حياته معاملة الآلهة، فقد أكرمته المدن الإيطالية، وأفرزت له محلاً لائقاً فى هياكلها،

---

(١) د/ لطفى عبد الوهاب يحيى: دراسات فى حضارة اليونان والرومان ص (١٨).

(٢) فى ١٦ يناير عام ٢٧ق. م أنعم السناتو (مجلس الشيوخ) على أوكتافيانوس بلقب (أغسطس) وهو لفظ يعنى (المهيب) أو (الممجد) أو (المختار بحسن الطالع). راجع: تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسى والحضارى ص (٢٧).

(٣) راجع كانتو: التاريخ الوسيط (١ / ٥٥).

(٤) هو بوبليوس فرجيل مارو (٧٠ ـ ١٩ ق.م) شاعر الإمبراطورية الأول، وكان أول عمل قدمه للناس مجموعة من (المختارات) فى الشعر الرعوى الذى تغنى فيها بجمال الريف وهدوئه كرد فعل لما ساد المدن من حروب أهلية ومظاهرات ومشاكل اجتماعية معقدة، وأهم أعماله الخالدة (الإلياذة) التى ألفها فى السنوات العشر الأخيرة من عمره بناء على رغبة أوكتافيانوس سنة ٢٩ق.م وهى تعتبر نموذجا للشعر عندما يوضع فى خدمة الأمانى الوطنية، فهى وضعت لكى تعلن صيحة روما الجديدة ورسالتها كحاكمة للعالم كله. راجع: تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسى والحضارى ص (٨٥، ٨٦).

(٥) المرجع السابق ص (٨٦).

(٦) د/ لطفى يحيى: دراسات فى حضارة اليونان والرومان ص (١٨).

(٧) تاريخ البشرية (٢ / ١٤ ، ١٥).

وأضافت رومة اسمه منذ سنة ٢٧ق.م إلى أسماء الآلهة فى التراتيل الرسمية وجعلت يوم ميلاده يوماً مقدساً كما اعتبرته يوم بطالة[١]، وفى الشرق استقبل فى سنة ٢١ ق.م استقبالاً إلهياً وحيوه مخلصاً وبشيراً وإلهاً ابن إله[٢].

يقول ول ديورانت: "ولما أن زار أغسطس آسيا اليونانية فى عام ٢١ق.م وجد أن عبادته قد انتشرت فيها انتشارا واسعاً، وكانت النذور تقدم إليه، والخطب ترحب بوصفه (المنقذ) و (ناقل الأنباء السارة) و(الإله)، و(ابن الله). وقال بعض الناس إنه هو المسيح الذى طال انتظاره أقبل يحمل السلام والسعادة لبنى البشر، وجعلت مجلس الولايات الكبرى عبادته المحور الذى تدور عليه احتفالاتها، وعينت مجالس الولايات والبلديات طائفة جديدة من الكهنة يدعون بالأغسطيين لخدمة الإله الجديد"[٣].

" ومن وجهة نظر اليونانيين كان أغسطس حاكماً إلهياً، وفى مصر لقبه المصريون بـ (الإله) وكان من ألقابه الرسمية لقب (ابن الإله) ولقب (أغسطس) أى الممجد أو صاحب الجلالة وهى جميعاً ألقاب إلهية "[٤].

وكما أله الرومان ـ يوليوس قيصر ـ رسمياً بعد مماته فكذلك أيضاً ألهوا أغسطس رسمياً بعد مماته، وأدمجوا عبادته بعبادة الآلهة فى روما[٥].

"واجتمع السناتو (مجلس الشيوخ الرومانى) بالفعل وألقيت خطب التكريم والتعظيم تأبيناً للراحل العظيم، وبلغ بهم الأمر إلى إضفاء الألوهية رسمياً عليه واعتباره بين عداد الآلهة الرومانية الخالدة، ومن ثم أنشأت هيئة دينية للإشراف على عبادته ونشرها فى كافة أنحاء الإمبراطورية، وقد اختيرت هذه الهيئة التى كانت باسم الأوغسطاليس من بين رجال طبقة السناتو"[٦].

---

(١) قصة الحضارة مجلد ٣ (٢ / ٣٥)

(٢) د/ أسد رستم: عصر أوغسطوس قيصر وخلفائه ص ـ ٩٦).

(٣) قصة الحضارة مجلد ٣ (٢ / ٣٦).

(٤) تاريخ العلم (٥ / ٦٥)

(٥) المرجع السابق نفس الصفحة

(٦) تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسى والحضارى ص (١٠٦).

يقول ول ديورانت: "ولما مات أصدر مجلس الشيوخ قراراً أن تعبده روما من ذلك الوقت، وأن تعده من الآلهة الرسمية"[١].

وكان تأليه السناتو لـ (أغسطس) بمثابة قرار أو عرف بضم الأباطرة بعد وفاتهم إلى قائمة الآلهة المعبودة.

يقول إدوار جيبون: "واستحدث عرف جديد ذلك أن السناتو كان يصدر عند وفاة الإمبراطور ـ الذى لم يحك فى حياته أو مماته سيرة طاغية ـ يصدر قراراً خطيراً بإدراجه فى عداد الآلهة، وكان الاحتفال بضمه إلى الآلهة يختلط بمراسم دفنه"[٢].

وأصبحت حينئذ عبادة الأباطرة ـ وتأليه البشر ـ الديانة الرسمية للإمبراطورية الرومانية، ووضع لها الكهان الطقوس والقرابين، بل وخصص لها بعض الكهان الذين يقومون بالإشراف عليها "وأصبحت هذه العبادة على مر الزمن من الواجبات الوطنية المفروضة على كل مواطن، وكان من يتعمد التغاضى عن القيام بفروضها وطقوسها يعتبر خارجاً على العرف خائنا لوطنه"[٣].

ولذلك كان من أسباب اضطهاد الرومان للمسيحيين ـ كما سبق أن ذكرنا فى الباب الأول ـ هو عدم اعترافهم بالآلهة الرومانية، وعدم اشتراكهم فى تقديم القرابين والطقوس للأباطرة الرومان.

وهكذا يتبين لنا أن الرومانيين وغيرهم كانوا يؤلهون أباطرتهم ويعبدونهم ويقدمون لهم الطقوس والقرابين.

وكانت هذه الفكرة منتشرة انتشاراً واسعاً فى معظم الأمم التى خضعت للرومان، وهذا يعنى أن عبادة البشر وفكرة تجسد الآلهة فى صورة بشرية كانت شائعة فى العالم وقت ظهور المسيحية.

---

(١) قصة الحضارة مجلد ٣ (٢ / ٣٥).

(٢) اضمحلال الإمبراطورية الرومانية (١ / ١٣١).

(٣) تاريخ العلم (٥ / ٦٥).

الصلة بين التجسد المسيحى والتجسد الوثنى:

تبين لنا مما سبق أن الاعتقاد بالتجسد والقول بتأليه الأشخاص البشرية صورة ألفها العالم الوثنى وقت ظهور المسيحية.

هذا وقد وضح من العرض لفكرة التجسد عند الوثنيين أن هناك تقارباً شديداً وتشابهاً كبيراً بين الوثنيين والمسيحيين فى تصوير هذه العقيدة... ولقد أقر المسيحيون بهذا التشابه.

يقول د/ جوزيف نسيم يوسف: "إن لاهوت المسيح وناسوته لهما شبيه فى شخص أوزوريس الذى كان إلهاً وإنساناً فى ذلك الوقت. وفى الحقيقة كان كل الفراعنة أشخاصاً مؤلهين."[١].

ويقول: "من وجوه الشبه أيضاً بين المصريين الوثنيين والمسيحيين أن الإله أبيس كان يتجسد من عجلة بكر بعد حلول روح الإله بتاح فيها "[٢].

وأشار زكى شنودة إلى هذا المعنى فقال: "كما كان فى معتقدات المصريين ما يجعل فكرة ابن الله من عذراء قريبة إلى فهمهم، فقد كانوا يعتقدون مثلاً أن حور محب آخر ملوك الأسرة الثامنة عشرة هو ابن الإله آمون من عذراء، وأن أبيس كان يتجسد فى مولود عجلة بكر بعد حلول روح الإله بتاح فيها"[٣].

وإذا كان التشابه بين الاعتقادين واضح فما الصلة بينهما؟

إن القول بالتجسد لم يقله المسيح ولم يشر إليه، وتلاميذ المسيح الأوائل لم يؤثر عن واحد منهم أنه كان يعلم هذه العقيدة.

والرأى الجامع للأدلة هو أن بولس هو الذى وضع بذرة ألوهية المسيح فأضفى عليه الصفات والقدرات الإلهية، وبولس هذا لم يكن بمعزل عن التأثر بالأديان الوثنية المنتشرة آنذاك.

---

(١) دراسات فى تاريخ العصور الوسطى ص (٤٣).

(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٣) تاريخ الأقباط (١ / ٣٦).

ولقد حمل أتباعه من الوثنيين ـ الذين دخلوا المسيحية ـ هذه الفكرة وأضافوا إليها ما يجدونه مطابقاً لمعتقداتهم، ذلك أنهم لم يستطيعوا فهم المسيحية إلا فى ضوء عقائدهم الوثنية، أى أنهم ألهوا المسيح وعبدوه بدلاً من تلك الآلهة الوثنية...

وهذا يعنى أن الصلة الحقيقية بين المسيحية والوثنية فى عقيدة التجسد هى أن المسيحيين اقتبسوا هذه العقيدة من الوثنية وأخذوها عنها.

تقول فرنسس يونغ: طالما لا يمكن تصور مثل هذه العقيدة فى إطار العقيدة اليهودية الموحدة لله فالبيئة الوثنية التلفيقية وحدها هى الأصل لعقيدة التجسد"[١].

ويقول د/ محمد عبد الله الشرقاوى: "وهذه العقيدة مأخوذة من الديانات الوثنية القديمة السائدة آنذاك"[٢].

ويقول أرنولد توينبى: من الآثار التى خلفتها الحضارة الهلينية خلق المسيحية عن طريق تطعيم الديانة اليهودية بفكرة تتناقض مع المبادئ اليهودية ألا وهى فكرة التجسد "[٣].

ويقول: "كان إله المسيحية ـ مثله مثل الآلهة الهلينية أبولو وأغسطس ـ شخصاً يمكن للبشر أن يتقابلوا معه ويتصلوا به"[٤].

ويقول: "كان المبدأ المسيحى الذى يقول بتجسد الله إقحاماً إلحادياً على الديانة اليهودية لأسطورة كانت من أفدح وألعن الأخطاء التى وقعت فيها الديانة الوثنية الهلينية"[٥].

ويقول: "ومثل أغسطس والإسكندر وكل الفراعنة كان يسوع ابن الله ولد من أم بشرية"[٦].

---

(١) أسطورة تجسد الإله ص (١٦٣).
(٢) رسالة راهب فرنسا إلى المسلمين وجواب القاضى أبى الوليد عليها هامش ص (٥٣).
(٣) تاريخ الحضارة الهلينية ص (٢١).
(٤) المرجع السابق ص (١٩).
(٥) المرجع السابق ص (٢٠).
(٦) المرجع السابق ص (٢٤٧).

وقد توصل إلى هذه النتيجة أيضاً بعض رجال الدين المسيحى بعد أن قاموا ببعض الأبحاث المتصلة بهذا الموضوع.

فقد انبرى بعض رجال اللاهوت المسيحى لبحث عقيدة التجسد وجذورها ومصادرها، وانتهوا مجتمعين إلى القول بأن هذه العقيدة أسطورة وثنية وألفوا كتاباً بعنوان (أسطورة تجسد الإله فى المسيح) وهذا العنوان ينم عن فكرتهم التى انتهوا إليها.

والكتاب مقسم على عشرة فصول، كتبها سبعة من أساتذة الدين المسيحى ستة رجال وامرأة [١] صدر طبعته الأولى سنة ١٩٧٧م فى لندن، والقاسم المشترك لهذه الفصول العشرة هو البحث فى جذور ومصادر الأسطورة التى تسربت إلى العقيدة المسيحية (عقيدة التجسد).

يقول المؤلفون ـ فى مقدمة هذا الكتاب ـ: "والمؤلفون مقتنعون أن تطوراً لاهوتياً رئيسياً آخر مطلوب فى الربع الأخير من القرن العشرين، وتبرز الحاجة لذلك نمو حجم المعلومات عن الأصول المسيحية والتى تضم اعترافاً بأن المسيح كان إنساناً اختاره الله لدور خاص فى إطار الإرادة الإلهية، وأن الاعتقاد المتأخر بأن الله المتجسد ليس هو إلا أسلوباً أسطورياً أو شاعرياً للتعبير عن أهميته بالنسبة لنا وهذا الاعتراف مطلوب منا لمصلحة الجميع "[٢]

ويقولون: "ليس هناك من جديد فى الفكرة الرئيسية لهذا الكتاب ولا ندعى (الفرادة) هناك عدد متزايد من المسيحيين من علماء اللاهوت ومن العامة ينحون فى تفكيرهم نفس المنحى، إلا أننا ألفنا هذا الكتاب لتثبيت موضوعه على جدول أعمال

---

(١) وهم: دون كوبيت: محاضر فى الإلهيات وعميد كلية عمانوئيل جامعة كمبردج ببريطانيا
ميكائيل غولدر: محاضر فى اللاهوت فى جامعة بيرمنغهام ببريطانيا.
جون هك: أستاذ (بروفسور) اللاهوت فى جامعة بيرمنغهام ببريطانيا.
لسلى هولدن: محاضر فى دراسة الأناجيل فى كلية كينغ جامعة لندن.
دنيس نينهام: مدير كلية كيبل، إكسفورد ببريطانيا.
موريس وايلز: أستاذ (بروفسور) الإلهيات والكتاب المقدس فى كلية المسيح إكسفورد ببريطانيا..
فرنسس يونغ: محاضرة فى دراسة الأناجيل فى جامعة بيرمنغهام ببريطانيا.

(٢) أسطورة تجسد الإله ص (٢٤).

المناقشات بخاصة فى إنجلترا حيث كان الاعتقاد التقليدى بالتجسد منذ زمن طويل نوعاً من المتمسك الطائفى المعفى من التقصى المنطقى والمطروح بحرفيته دون أية تساؤلات"[١].

وفى الفصل الثانى من هذا الكتاب تقول فرنسس يونغ: "ويبدو أن مجموعة من الاستنتاجات قد برزت نتيجة لذلك:

(أ) أن الألقاب والأفكار المنسوبة للمسيح كانت موجودة قبل أن يتبناها المسيحيون الأوائل، أى يمكن الاطلاع عليها فى وثائق غير مسيحية وبتفسيرات غير مسيحية.

(ب) وبتطبيق استعمالها على المسيح حملت هذه التعابير مضامين جديدة، وأصبحت التفسيرات الجديدة أمراً لابد منه عندما ظهر امتزاج جديد لأفكار كانت قبل متميزة كل بمفردها.

(ج) ومن المحتمل أن الامتزاج كان نتيجة لتفتيش المؤمنين عن تصنيفات يستطيعون بواسطتها التعبير عن استجابتهم للمسيح، أكثر مما كان ـ أى الامتزاج ـ نتيجة ادعاء المسيح أنه هو هذه الشخصيات "المعينة "[٢].

وتقول فى الفصل الخامس: "إن هناك مجموعة من النقوش الممثلة والمدونات على ورق البردى يظهر منها أن الألقاب التى أضفاها المسيحيون الأوائل على المسيح تتوازى تماماً بصورة كبيرة مع ما استعمل فى عبادة الإمبراطور"[٣].

وتقول: "إن وجود تشابه صارخ بين البشر المؤلهين الوثنيين وبين موضوع شخصية المسيح أمر لا يمكن استبعاده كلياً، فنحن نواجه ليس فقط بحقيقة أن كل من يعتبر استثنائياً أو بارزاً فى شخصيته أو قدرته أو مركزه يمكن أن يدعى ـ أى إلهى ـ ولكننا نواجه بحقيقة الولادة الخارقة[٤] وقصص أسطورية عن اختفاء عجيب عند

---

(١) المرجع السابق ص (٢٥ ، ٢٦).

(٢) المرجع السابق ص (٤٤).

(٣) راجع ذلك بالتفصيل المرجع السابق ص (١٦٣ ـ ١٦٤).

(٤) نحن المسلمين نؤمن بأن المسيح ولد من عذراء بطريقة إعجازية.

الموت والتأليه والتجليات من الأعالى كلها كانت تتلازم تكرارا مع شخصيات مثل هذا فى العالم الوثنى !!

من أين إذن أتت هذه الألقاب والدوافع؟ من الواضح جداً أنها استعيرت من الميثولوجيا القديمة ـ قصص الأساطير القديمة"[١].

والنتيجة الأكيدة لهذه الأبحاث أن عقيدة التجسد أسطورة وثنية انتقلت إلى المسيحية من الأديان الوثنية القديمة.

تقول فرنسس يونغ: "إن ظهور الآلهة للبشر على هذه الأرض كان من مخزون تجارة الميثولوجيا ـ الأساطير القديمة ـ "[٢].

ويقول جون هك: "إن فكرة التجسد الإلهى هى فكرة أسطورية"[٣].

ويقول موريس وايلز: فكرة التجسد فى ابن الله تعتبر أسطورة تحوى عنصراً مزعجاً غريباً حقاً، إنها لا تقول فقط بأن الله ظهر بشكل إنسانى، بل إنه أصبح تماماً من بنى الإنسان عاش كشخص تاريخى... وحتى تعذب ومات كإنسان، وفكرة التجسد تصل موضوع الأسطورة وطبيعة الألوهية نفسها بحادثة تاريخية بشخص تاريخى، ولقد أعيد التأكيد مرات عدة على أن هذا لا يعنى فقط تفسيراً تعسفياً لفكرة ذات أساس أسطورى، بل هو مناقض لطبيعة الأسطورة نفسها، لأن الفرادة التاريخية أبعد ما تكون عن الأسطورة، والفرادة هذه تعبر عن نموذج صحيح لكل عصر"[٤].

فعقيدة التجسد إذن انتقلت إلى المسيحية من الوثنية بواسطة بولس وأتباعه من اليهود اليونانيين، والوثنيين الذين دخلوا المسيحية، ذلك أنهم لم يروا المسيح إلا صورة طبق الأصل لآلهتهم الوثنية، وهذه حقيقة أكدتها الأبحاث العلمية التى قام بها المتخصصون فى علم اللاهوت المسيحى.

بقى بعد ذلك أن نشير إلى بعض الردود الموجزة على عقيدة التجسد.

---

(١) المرجع السابق ص (١٦٧، ١٦٨).

(٢) المرجع السابق ص (١٦٠، ١٦١).

(٣) المرجع السابق ص (٢٧٤).

(٤) المرجع السابق ص (٢٤٣)

الرد على عقيدة التجسد:

أولاً: إبطال دعوى ألوهية المسيح:

إن ادعاء المسيحيين بأن المسيح إله ـ رغم أنهم متأثرون فيه بالوثنية فهو مردود بما يأتى:

(أ) : من حيث النقل:

أولاً: إن أقوى الأدلة على إبطال هذه الدعوى هو أن المسيح لم يقل عن نفسه إنه إله أو ابن إله ولم يدع أحد من تلاميذه هذه الدعوى، ولكن الذى نسب إليه الألوهية بولس، وهو لم يكن من تلاميذ المسيح ولا من تلاميذ التلاميذ، وإذا لم يقل المسيح عن نفسه إنه إله فلا يجوز لغيره ادعاء الألوهية له [١].

وكذلك لم يشر المسيح من قريب أو بعيد إلى أنه إله أو ابن إله مما يدحض كل حجة تقول بألوهيته.

ثانياً: إن الأناجيل المسيحية مليئة بالأحداث الكثيرة التى تقطع ببشريته حيث أثبتت له الأكل والشرب والنوم والراحة، وتحدثت عن كثير من مواقف ضعفه التى ألمت به فجزع لها أو حزن وبكى.

يقول المسيح ـ فيما ترويه الأناجيل ـ مخاطباً اليهود: "جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب"[٢]، وكان يتعب ويستريح وينام "فإذا كان يسوع قد تعب من السفر جلس هكذا على البئر"[٣]، وهذا ظاهر فى إبطال ألوهية المسيح، فإن من يعتريه النصب ليس بإله [٤].

"وإذا اضطراب عظيم قد حدث فى البحر حتى غطت الأمواج السفينة وكان هو نائماً فتقدم تلاميذه وأيقظوه"[٥].

---

(١) راجع دراستنا للماجستير (الخلاص المسيحى ونظرة الإسلام إليه) ص (٣٧٨).

(٢) متى ١١ : ١٩، لوقا ٧: ٣٤.

(٣) يوحنا ٤ : ٦.

(٤) الفارق بين المخلوق والخالق ص (٣٤٦).

(٥) متى ٨: ٢٤، ٢٥.

وها هو يغضب ويتضح ذلك مما جاء فى الأناجيل من أن المسيح حينما دخل الهيكل فى أورشليم "أخرج جميع الذين كانوا يبيعون ويشترون فى الهيكل، وقلب موائد الصيارفة وكراسى باعة الحمام"(١). وصنع سوطاً من حبال وطرد الجميع من الهيكل"(٢).

وها هو أيضاً يجوع، يقول متى: "وفى الصبح إذ كان راجعاً إلى المدينة جاع فنظر شجرة تين على الطريق وجاء إليها فلم يجد فيها شيئاً إلا ورقاً فقط، فقال لها لا يكن منك ثمر بعد إلى الأبد فيبست التينة فى الحال، فلما رأى التلاميذ ذلك تعجبوا قائلين كيف يبست فى الحال "(٣).

وهذه الفقرة تدل على بشريته وعدم ربوبيته من وجوه:

١ـ جوعه وهو ينافى الربوبية ويثبت العبودية.

٢ـ عدم علمه بعدم ثمرة الشجرة، والله تعالى بكل شئ عليم فدل على أنه بشر لا يعلم إلا ما علم وذلك يثبت عبوديته وينافى ربوبيته.

٣ـ غضبه على الشجرة لأنه لما انخرم عليه أمله قوى غضبه وهذه خاصية البشرية ومنافية للربوبية.

٤ـ تعجب التلاميذ من يبسها بقوله، ولو كانوا يعتقدون أنه الله تعالى لما عجبوا من ذلك(٤).

وهو أيضاً يحزن ويبكى، ومن الأمثلة على ذلك ما حكاه متى عن المسيح قبل القبض عليه ـ فى نظرهم ـ وهو يقول لتلاميذه "نفسى حزينة جداً حتى الموت امكثوا هنا واسهروا معى، ثم تقدم قليلاً وخر على وجهه وكان يصلى قائلاً يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عنى هذه الكأس ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت"(٥).

---

(١) متى ٢١ : ١٢، ١٣، مرقس ١١ : ١٥، ١٦.

(٢) يوحنا ٢ : ١٥.

(٣) متى ٢١ : ١٨ ـ ٢٠.

(٤) القرافى: الأجوبة الفاخرة ص (٢١٧، ٢١٨).

(٥) متى ٢٦ : ٣٨، ٣٩.

"فهذا إقرار من المسيح بأنه آدمى عاجز يخاف نزول الموت عليه وأن له إلهاً ناداه وتضرع إليه، وزادوا هم أنه مع آدميته كان من الشاكين فى قدرة الله تعالى، حيث قال إن أمكن صرف كأس المنية فاصرفها عنى" لأن هذا عين الشك فى قدرة الله تعالى، ولا يخلو المسيح من أن يكون قد علم أن الله لا يعجزه شئ، فما معنى قوله (إن أمكن ذلك)؟ وإن كان علم أن الله لا يمكنه ذلك فما معنى سؤاله والتضرع إليه؟

وحاشا روح الله ورسوله أن يشك فى قدرة الله تعالى، بل كان عالماً فى درجات اليقين بأن الله تعالى لا يعجزه شئ"[١].

ولقد أوردنا ذلك لبيان أن المسيح إنسان تضرع إلى الله بأن يجيز عنه كأس الموت واعترف بأن الله فعال لما يريد، وهذا يدل على إنسانيته وعبوديته لا ألوهيته.

ومن الأمثلة على ذلك أيضاً ما جاء فى إنجيل لوقا: "وإذ كان فى جهاد كان يصلى بأشد لجاجة وصار عرقه كقطرات دم نازلة"[٢].

وهو أيضاً بكى فى أكثر من مناسبة، فلقد بكى حين علم بموت العازر[٣]، وبكى حين اقترب من أورشليم[٤].

بل وتذكر الأناجيل أنه وقع فى قبضة الشيطان وأخذ يسأله إن كان ابن الله فليحول الحجارة إلى خبز، وتضيف هذه الأناجيل كذلك أن الشيطان أخذ المسيح فى قبضته وارتفع به إلى جبل عال جداً، وأراه ممالك الدنيا ووعده بإعطائها إياه وذلك إذا سجد له وصار له عبداً، ولكن عيسى رفض قائلاً: اذهب عنى يا شيطان[٥].

"وهذه الرواية أقوى شاهد على عبوديته، وهل يصدق الصغير الذى لم يبلغ الحلم أن من يكون إلهاً يعرض نفسه على المطرود من رحمة الله ليجربه؟ وهل

---

(١) عبد الله الترجمان: تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب ص (٦٨).

(٢) لوقا ٢٢: ٤٤.

(٣) يوحنا ١١: ٣٥.

(٤) لوقا ١٩: ٤١.

(٥) راجع متى ٤: ١ـ ١٠، لوقا: ١ـ ١٣.

يتصور فى فكر من عنده ذرة من العقل أن إبليس الذى هو أحقر مخلوق لله يتجاسر على الإله بأن يطلب منه السجود لنفسه؟" "[١].

يقول ابن حزم ـ فى تعليقه على هذه الرواية ـ: "فيها عجائب لم يسمع بأطم منها، إقرارها بأن إبليس قاده المسيح فانقاد معه ومضى معه، وقاده مرة أخرى، ولا يخلو من أن يكون قاده فانقاد له مطيعاً سامعاً، فما نراه إلا منصرفاً تحت حكم الشيطان تـ وهذه والله منزلة رذيلة جداً، أو يكون قاده كرهاً، فهذه منزلة المصروعين الذين يتخبطهم الشيطان من المس، حاشا للأنبياء من كلتا الصفتين فكيف إله وابن إله بزعمهم؟"[٢].

فإن قال المسيحيون إن هذه الأحوال والأوصاف البشرية وقعت للمسيح من ناحية ناسوته. قلنا لهم: إن اللاهوت والناسوت عندكم متحدان بمعنى أنهما صارا شيئاً واحداً والمسيح عندكم إله معبود[٣].

يقول القرافى: "قلنا الاتحاد عندكم لم يبق اللاهوت متميزاً عن الناسوت، فلذلك لا يمكنكم تخصيص أحوال البشرية بها "[٤].

ويقول أبو الفضل المسعودى: "وقد ثبت أن المسيح جاع وشبع واطمأن وجزع، وناله النفع والضرر، واعتورت عليه أحوال البشر، فإن قالوا إن هذه النقائص إنما دخلت على ناسوته دون لاهوته. قلنا لم يكن الاتحاد الذى تدعونه ناسوتاً متميزاً عن لاهوت حتى يخص بهذه النقائص بل صار به شيئاً واحداً، والشئ الواحد لا يقال له جاع ولم يجع، ومات ولم يمت"[٥].

والخلاصة: أن كل هذه الأوصاف والأحوال ـ التى وردت فى أناجيلهم تدل على أن المسيح إنسان بشرى يجرى عليه كل أوصاف البشرية، وأنه ليس إلهاً ولا ابن إله.

---

(١) الفارق بين المخلوق والخالق ص (٣٤).

(٢) ابن حزم: الفصل فى الملل والنحل (٢ / ٣١).

(٣) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٤) الأجوبة الفاخرة ص (٢١٧).

(٥) المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ص (٢٠).

هذا وقد وصفت الأناجيل المسيحية المسيح بأنه نبى ورسول [١].

من ذلك قول يوحنا حكاية عن المسيح "أنا لا أقدر أن أفعل من نفسى شيئاً كما أسمع أدين ودينونتى عادلة لأنى لا أطلب مشيئتى بل مشيئة الآب الذى أرسلنى" [٢].

ويقول: "أقول لكم إن من يسمع كلامى ويؤمن بالذى أرسلنى فله حياة أبدية [٣].

وهنا نقول للمسيحيين: "هل ما تضمنته أناجيلكم من أقوال المسيح حق أم باطل؟ فإن قالوا إنه باطل فقد كفروا بالمسيح، وإن قالوا إنه حق فقد اعترفوا بنبوة المسيح وعبوديته" [٤].

ثالثاً: إن الكتب المقدسة لدى المسيحيين ناطقة بإبطال ادعاء الألوهية لغير الله. فإن أسفار العهد القديم ناطقة بأن الله واحد أزلى أبدى لا يموت، قادر على ما يشاء ليس كمثله شئ لا فى الذات ولا فى الصفات، برئ عن الجسم والشكل [٥].

وهذه الأمثلة كثيرة جداً نذكر منها على سبيل المثال ما يلى:

"الرب هو الإله وليس آخر سواه" [٦].

يقول موسى: "اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد" [٧].

ويقول داود: "يا رب لا إله غيرك" [٨].

ويقول أشعياء: "أنت هو الإله وحدك لكل ممالك الأرض" [٩].

---

(١) راجع ما أوردناه فى بداية هذا الفصل.
(٢) يوحنا ٥ : ٣٠.
(٣) يوحنا ٥: ٢٤.
(٤) القرآن وعقائد أهل الكتاب ص (٢٥٨).
(٥) إظهار الحق ص (٣١٧).
(٦) تثنية ٤ : ٢٥.
(٧) تثنية ٦ : ٤.
(٨) أخبار الأيام الأول ١٧ : ٢٠.
(٩) أشعياء ٣٧: ١٦.

وجاء فى سفر أشعياء قول الله "أنا الأول وأنا الآخر ولا إله غيرى "[١].

فهذه الفقرات وغيرها تدل على أن الله واحد لا شريك له.

وكذلك ورد فى أسفار العهد القديم ما يدل على أن الله ليس كمثله شئ.

من ذلك قول موسى "ليس مثل الله"[٢].

وقول سليمان " أيها الرب إله إسرائيل لا إله مثلك فى السماء والأرض"[٣].

وفى أسفار العهد الجديد ما يدل على أن الله ليس له شبه وصورة، وأن رؤية الله فى الدنيا غير واقعة، من ذلك ما يأتى:

"الله لم يره أحد قط"[٤].

"لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه"[٥].

"الله لم ينظره أحد قط"[٦].

فثبت من هذه الفقرات وغيرها أن من كان مرئياً لا يكون إلهاً قط[٧].

وكذلك أيضاً فإن الكتب المقدسة عندهم توضح أن عبادة غير الله حرام، وحرمتها مذكورة بصراحة فى مواضع شتى.

ففى سفر التثنية "أنه لو دعا نبى أو من يدعى الإلهام فى المنام إلى عبادة غير الله يقتل هذا الداعى وإن كان ذا معجزات عظيمة، وكذا لو أغرى أحد من الأقرباء أو الأصدقاء إليها يرجم هذا المغرى ولا يرحم عليه"[٨].

---

(١) أشعياء ٤٤ : ٦.

(٢) تثنية ٣٤: ٢٦.

(٣) أخبار الأيام الثانى ٦ : ١٤.

(٤) يوحنا ١ : ١٨.

(٥) ١ تيموثاوس ٦ : ١٦.

(٦) ١ـ يوحنا ٤ : ١٢.

(٧) راجع : إظهار الحق ص (٣١٩).

(٨) تثنية ١٣ : ١ ـ ١١ (نقلنا هذا النص بمعناه لطوله).

وفى سفر التثنية أيضاً : إذا وجد فى وسطك فى أحد أبوابك التى يعطيك الرب إلهك رجل أو امرأة يفعل شراً فى عينى الرب إلهك بتجاوز عهده ، ويذهب ويعبد آلهة أخرى ويسجد لها أو للشمس أو للقمر أو لكل من جند السماء ، الشئ الذى لم أوص به ، وأخبرت وسمعت وفحصت جيداً وإذا الأمر صحيح أكيد قد عمل ذلك الرجس فى إسرائيل ، فأخرج ذلك الرجل أو تلك المرأة الذى فعل ذلك الأمر الشرير إلى أبوابك الرجل أو المرأة وارجمه بالحجارة حتى يموت"[١].

وهذه الفقرات تبين أن عبادة غير الله حرام ، وأن من يفعل ذلك يرجم على رؤوس الأشهاد.

وعلى ذلك فدعوى ألوهية المسيح باطلة أيضاً بما ورد فى الكتب المقدسة عندهم.

(ب) من حيث العقل:

إن العقل يبطل ما يدعيه المسيحيون من ألوهية المسيح ويتبين ذلك مما يأتى :

إن من صفات الإله وجوب الوجود لذاته وذلك يستلزم ألا يكون جسماً ولا متحيزاً ولا عرضاً ويجب له القدم والبقاء وسائر صفات الكمال ، وعيسى عليه السلام لم يكن كذلك بل كان عبارة عن شخص بشرى جسمانى وجد بعد أن لم يكن وكان طفلاً ثم صار مترعرعاً ثم شاباً ، يأكل ويشرب ويحدث وينام ويستيقظ فهو إذن محدث محتاج ، وقد تقرر فى بداهة العقول أن المحدث لا يكون قديماً ، والمحتاج لا يكون غنياً ، والممكن لا يكون واجباً ، والمتغير لا يكون دائماً ، فكيف فيكون عيسى إلهاً ؟ "[٢].

وكذلك يبطل دعوى ألوهية المسيح ما ثبت فى الأناجيل من أن عيسى عليه السلام كان عظيم الرغبة فى العبادة والطاعة لله تعالى. فلو كان إلهاً لاستحال ذلك ، لأن الإله لا يعبد نفسه[٣].

---

(١) تثنية ١٧ : ٢ ـ ٥.

(٢) الفارق بين المخلوق والخالق ص (٣٦٨) ، راجع المناظرة التى جرت بين الفخر الرازى وأحد النصارى والتى أوردها فى تفسيره (٨ / ٨٧).

(٣) مفاتيح الغيب (٨ / ٨٨).

ثم إن القول بألوهيته يستلزم أن يكون خالقاً لأمه مريم، وأن تكون مريم قد ولدت خالقها، وهو ما لا يقول به عاقل، لأنه يستلزم أن يكون المخلوق سابقاً لخالقه والخالق متأخر عن مخلوقه[١].

ويقال لهم أيضاً فى إبطال ألوهية المسيح: هل كان الأنبياء والمرسلون يعرفون المسيح الإله وابن الإله أم لا؟

فإن قالوا لا يعرفونه فقد شهدوا على الأنبياء بالكفر الصريح، إذ كانوا لا يعرفون ربهم وخالقهم الذى لا يصح التوحيد دون معرفته، وإن قالوا كانوا عارفين وهو ربهم وخالقهم، أكذبتهم كتبهم ونبواتهم إذ ليس فيها شئ من هذا القبيل"[٢].

وعلى هذا فدعوى ألوهية المسيح باطلة بالنقل والعقل.

ثانياً: إبطال ما ذهب إليه المسيحيون فى اتحاد اللاهوت بالناسوت:

أما ما ذهب إليه المسيحيون من أن التجسد كان عن طريق الاتحاد فهو باطل أيضاً بما يأتى:

أولاً: إن القول باتحاد اللاهوت بالناسوت باطل صريح لأنه يستلزم انقلاب القديم بالحادث والمجرد بالمادى[٣].

ويقال لهم: إن كان اللاهوت والناسوت قد اتحدا ـ كما زعمتم ـ فقد استحالت صفة اللاهوت واستحالت صفة الناسوت، فلم يبق اللاهوت لاهوتاً ولا الناسوت ناسوتاً، بل صار جوهراً ثالثاً، لا لاهوتاً وناسوتاً، وهم ينكرون هذا القول وهو باطل، فإن رب العالمين لا يتبدل ولا تستحيل صفاته بصفات المحدثات، ولا ينقلب القديم ولا شئ من صفاته محدثاً، ولا يستحيل القديم الرب الخالق والمخلوق المحدث إلى ثالث، بل صفات الرب التى لم يزل ولا يزال موصوفاً بها لا تتبدل ولا تنقلب ولا تستحيل، فضلاً عن أن تستحيل إلى أمر ثالث.

---

(١) القرآن وعقائد أهل الكتاب ص (٢٥٥).

(٢) المنتخب الجليل ص (١١٠ ، ١١١).

(٣) إظهار الحق ص (٣٣٦).

ثم هذا الثالث إن كان قديماً خالقاً صار هنا خالقان قديمان، وإن كان مخلوقاً محدثاً كان الخالق قد صار مخلوقاً محدثاً، ومعلوم أن استحالة الخالق إلى خالق آخر أو إلى مخلوق ممتنع ظاهر الامتناع "(١).

يقول الإمام الآلوسى ـ عن هذا المعنى ـ: "إنه لو اتحد اللاهوت القديم بالناسوت الحادث للزم حدوث القديم أو قدم الحادث أو إبقاء كل على طبيعته، ومحال أن ينقلب القديم حادثاً أو الحادث قديماً، لاستحالة انقلاب الطبائع والحقائق، ولما يلزمه من كون الشئ الواحد قديماً حادثاً فى وقت واحد وهو باطل، فلم يبق إذن إلا بقاء كل واحد على طبيعته وعلى ذلك فلا اتحاد أصلاً، وعليه فلا يكون المسيح إلهاً ولا أقنوماً فى الإله ـ كما زعموا ـ لعدم تحقق هذا الاتحاد"(٢).

ثانياً: يقال لهم: إنه إذا جاز اتحاد أقنوم الجوهر القديم بالحادث فما المانع من اتحاد صفة الحادث بالجوهر القديم، فلئن قالوا المانع أن اتحاد صفة الحادث بالجوهر القديم يوجب نقصه وهو ممتنع، واتحاد صفة القديم بالحادث يوجب شرفه، وشرف الحادث بالقديم غير ممتنع، قلنا، فكما أن ذات القديم تنقص باتحاد صفة الحادث بها فالأقنوم القديم ينقص باتحاده بالناسوت الحادث فليكن ذلك ممتنعاً(٣).

ثالثاً: أنهم يقولون فى قانون إيمانهم " إن المسيح إله حق نزل من السماء " وهنا نقول لهم: هل النازل الناسوت أم اللاهوت فإن كان النازل هو الناسوت فهو باطل، لإجماعهم أنه ابن مريم رضى الله عنها، وإن كان اللاهوت: فإن كان الأب لزم لحوق النقائص به من الأكل والشرب والحركة والسكون، من العلو إلى السفل، وتلك صفات المخلوقين وخواص الأجسام المحدثة وهو محال على الله تعالى اتفاقاً.

وإن كان الكلمة الذى هو العلم عندهم يلزم أن يبقى البارى تعالى بغير علم لأن علمه نزل وتركه، وعدم علم الإله يسقط ربوبيته اتفاقاً وعقلاً، أو يبقى عالماً بعلم

---

(١) الجواب الصحيح (٣ / ٤١).

(٢) تفسير الألوسى (٦ / ٣٠)، راجع الدميرى: إرشاد الحيارى فى ردع من مارى ص (٤).

(٣) محمود الألوسى (ابن الألوسى صاحب التفسير): الجواب الفسيح ص (١٨).

ليس قائماً بذاته وهو مستحيل أن يعلم إنسان أو غيره بعلم لم يقم به، فبطل القول بالنزول والاتحاد مطلقاً"[١].

رابعاً : يقال لهم: هل اتحاد اللاهوت بالناسوت واجب أم جائز؟ فإن قالوا إنه واجب لزم قدم الناسوت ولا قائل به، وإن قالوا إنه جائز لزم عليه الحدوث كسائر الحوادث وجاز انتفاء الاتحاد بعد وجوده كما يجوز عدم سائر الحوادث.

ويقال لهم: هذا الاتحاد كمال أو نقص، فإن قالوا إنه نقص فقد وصفوا الإله بهذا الوصف. وإن قالوا إنه كمال لزم وجود الاتحاد فى الأزل وأن اللاهوت لم يزل بالناسوت قبل وجود الناسوت وهو محال "[٢]:

خامساً: إن قول القائلين بأن فى المسيح طبيعة واحدة من طبيعتين بعد الاتحاد باطل أيضاً [٣] وذلك لما يأتى :

إن قالوا إن حقيقة اللاهوت والناسوت بقيتا بعد الاتحاد على حالهما ولم يتغيرا عما كان عليه فقد بطل قولهم صارتا طبيعة واحدة.

وإن قالوا: أحدهما قد غيّر الآخر وأبطله، كانوا قد أقروا ببطلان الإله ولزمهم أن يكون المسيح لا قديماً ولا محدثاً ولا إلهاً ولا غير إله.

وإن قالوا: إن اللاهوت أبطل الناسوت، كان العيان يبطل قولهم فإن ناسوت المسيح مثل ناسوت غيره فى الجسمية واللحمية.

وإن قالوا: الناسوت أبطل اللاهوت لزمهم أن يكون المحدث مبطلاً للقديم [٤].

أو يقال لهم: اللاهوت والناسوت إن بقى لكل واحد منهما خصوص ذاته فهما حقيقتان قطعاً لا حقيقة واحدة فلا اتحاد، وإن ذهبت خصوصية كل واحد منهما

---

(١) الأجوبة الفاخرة ص (٣٠٩).

(٢) إرشاد الحيارى فى ردع من مارى ص (٤، ٥).

(٣) راجع المنتخب الجليل ص (٤٩، ٥٠)، إبراهيم حريبة: مشكلة الحلول والاتحاد وموقف الإسلام منهما (رسالة ماجستير) ص (٤٩) وما بعدها.

(٤) نصر بن يحيى: النصيحة الإيمانية ص (٦٦، ٦٧).

عدما بالضرورة، لأن الخصوصية للذات من ألزم اللوازم، فإذا عدم اللازم عدم الملزوم، وإذا عدمت الحقيقتان فلا اتحاد بالضرورة، لأن اتحاد الذاتين فرع وجودهما، والعدم نفى محض، فلا اتحاد معه فالاتحاد باطل جزماً.

ويلزمهم أيضاً على هذا المذهب: أن القديم صار محدثاً، والمحدث صار قديماً لضرورة اتحاد الحقيقة، وأن يصير الخالق مخلوقاً والمخلوق خالقاً لضرورة اتحاد الحقيقة وإلا فلا اتحاد [١].

سادساً: ويقال للقائلين بأن في المسيح جوهرين أو طبيعتين: أنهما إن كانا قديمين فقد أثبتم قديماً رابعاً ـ بجانب الثالوث ـ هو ناسوت المسيح، وإن كانا محدثين كنتم قد قلتم بحدوث الابن الذى تزعمون أنه أزلى وعبدتم ما ليس بإله لأنكم تعبدون المسيح وهو على هذا القول جوهران محدثان .وإن كان أحدهما قديماً والآخر حادثاً كنتم قد عبدتم القديم والمحدث إذ المسيح الذى تعبدونه مجموعهما ،ومجموع القديم والمحدث من حيث هو هذا المجموع فهو محدث، فيكون قد عبدتم المحدث من حيث هو محدث لا يستحق العبادة فيجب أن تتمخض العبادة للقديم ولا يبقى للمحدث فى ذلك مدخل فلا يكون قد عبدتم المجموع لو أخرجتم المحدث عن أن يكون له مدخل فى العبادة، وحينئذ يثبت أن المسيح الذى هو عبارة عن مجموع الأمرين غير مستحق للعبادة وهو خلاف معتقدكم [٢].

ويقال لهم أيضاً: إن قلتم إن المسيح بعد الاتحاد باق على طبيعته ومشيئته كما كان قبل الاتحاد فقد أبطلتم الاتحاد، إذ الاتحاد عبارة عن صيرورة الأكثر من الواحد واحداً، فإذا كان جوهر الأزلى باقياً بحاله وجوهر الإنسان باقياً بحاله فقد آل الاتحاد إلى مجرد تسمية فارغة عن المعنى خالية من الفائدة.

ويقال لهم: أتقولون إن اللاهوت اتحد بالناسوت حقيقة أو مجازاً، فإن قالوا إن ذلك تجوزاً وتوسعاً أبطلوا الاتحاد وتجوزوا بإطلاق مالا يجوز إطلاقه على القديم سبحانه.

---

(١) الأجوبة الفاخرة صـ ٣٠١.

(٢) ابن كمونة: تنقيح الأبحاث للملل الثلاث ص (٥٦ ، ٥٧).

وإن قالوا إنه اتحد حقيقة لزمهم أن يكون مشيئتهما واحدة، لأن الواحد لا يكون له إلا مشيئة واحدة إذ لو كان للواحد مشيئتان للزم إما أن تكونا متماثلتين أو مختلفتين، فإن كانتا متماثلتين فإحداهما مغنية عن الأخرى وإن كانتا مختلفتين تناقضت أحكامهما وامتنع حصول مرادهما فثبت أنه لابد من إبطال أحد المشيئتين إن كانا الاتحاد حقيقة أو إبطال الاتحاد جملة إذا ثبت المشيئتان[١].

سابعاً: إن المسيحيين قالوا: إن هذا الاتحاد بدون امتزاج ولا اختلاط ولا تغير ولا استحالة وهذا القول مناقض لما جاء فى إنجيل يوحنا (الكلمة صار جسداً وحل بيننا)[٢]، وهذا القول يقتضى أن الكلمة صارت جسداً وجسماً بالإنسان المخلوق، وذلك يقتضى انقلابها جسداً أو جسماً، وهذا يقتضى استحالتها وتغيرها، وهم قالوا اتحاداً من غير تغير ولا استحالة[٣].

ثامناً: إنهم إن قالوا إن هذا الاتحاد عن طريق الحلول فهو باطل أيضاً، لأنه إما أن يكون شخص المسيح هو الإله، أو يكون الإله بكليته قد حل فى المسيح، أو حل بعض الإله أو جزء منه فيه، والأقسام الثلاثة باطلة:

أما الأول: فمحال، لأنه بإعدام المسيح ينعدم الله، ذلك أنه لو كان إله العالم هو ذلك الجسم فحين قتله اليهود كان ذلك قولاً بأن اليهود قتلوا إله العالم، فكيف بقى العالم بعد ذلك من غير إله؟ ثم إن أشد الناس ذلاً ودناءة هم اليهود، فالإله الذى تقتله اليهود إله فى غاية العجز.

وأما الثانى: وهو أن الإله بكليته حل فى هذا الجسم فهو أيضاً فاسد، لأن الإله إن لم يكن جسماً ولا عرضاً امتنع حلوله فى الجسم، وإن كان جسماً فحينئذ يكون حلوله فى جسم آخر عبارة عن اختلاط أجزائه بأجزاء ذلك الجسم وذلك يوجب

---

(١) المنتخب الجليل ص (٥٠، ٥١).

(٢) يوحنا ١: ١٤.

(٣) لمزيد من التفاصيل عن الرد على المسيحيين فى قولهم بالاتحاد بدون امتزاج: راجع: الجواب الصحيح (٢ / ٢٦٧)، (١ / ١٨٦).

وقوع التفرق فى أجزاء ذلك الإله، وإن كان عرضاً كان محتاجاً إلى المحل وكان الإله محتاجاً إلى غيره وكل ذلك سخف.

وأما الثالث: وهو أنه حل فيه بعض من أبعاض الإله وجزء من أجزائه فذلك أيضاً محال، لأن ذلك الجزء إن كان معتبراً فى الإلهية فعند انفصاله عن الإله وجب أن لا يبقى الإله إلهاً، وإن لم يكن معتبراً فى تحقيق الإلهية لم يكن جزءاً من الإله فثبت فساد هذه الأقسام [١].

تاسعاً: إن قوانين العقل البشرى ترفض رفضاً باتا اتحاد الإله بعيسى وظهوره فى صورته، فقانون الذاتية يحدد لكل موجود ذاتيته الخاصة التى لا يمكن أن تختلط بغيرها أو تتحد مع ذاتية أخرى، ولكن هؤلاء يهدمون هذا القانون ويدعون أن ذاتية الإله قد اتحدت مع عيسى وظهرا فى صورة واحدة، وهو خروج على مبادئ العقل وقوانينه [٢]، ولعل هذا هو الذى دعا أحد الباحثين إلى أن يقول: " ولولا أننا نرى بأعيننا أناساً يقرون هذه العقيدة ويدينون بها ما صدقنا أن العقول البشرية تقبل عقيدة كهذه "[٣].

يقول الجاحظ: " لو جهدت بكل جهدك، وجمعت كل عقلك، أن تفهم قولهم فى المسيح لما قدرت عليه، حتى تعرف به حد النصرانية وخاصة قولهم فى الإلهية"[٤].

ولقد أقر المسيحيون بعلو هذه العقيدة عن الإفهام وتناقضها مع العقول.

يقول القس وهيب عطا الله: " إن التجسد قضية فيها تناقض مع العقل، والمنطق والحس، والمادة، والمصطلحات الفلسفية، ولكنا نصدق ونؤمن أن هذا ممكن ولو لم يكن معقولاً"[٥].

---

(١) مفاتيح الغيب (٨ / ٨٧، ٨٨).

(٢) د/ سعد الدين صالح: مشكلات العقيدة النصرانية ص (٨٥، ٨٦).

(٣) الشيخ عبد الرحمن الجزيرى: أدلة اليقين ص (٢٠١).

(٤) الجاحظ: المختار فى الرد على النصارى ص (٩٥).

(٥) القس وهيب عطا الله: طبيعة السيد المسيح ص (١٨).

ويقول القس إنسطاسى شفيق: "غير أننا نقبل حقيقة التجسد بموجب الإعلانات الصريحة، ولا يجوز لنا أن نبحث فيها عقلياً، ولا نثبتها، ولا ندافع عنها بالأدلة والبراهين البشرية، لأنها تعلو عن أفكارنا بقدر ما لا يوصف وإنما نقبلها بالإيمان"[١]

ويقول القديس كيرلس: "إن التجسد الإلهى فائق الوصف، سرى بصفة مطلقة، يفوق العقل، .. هو سر لا يستطيع فكر الإنسان أن يسبر غوره، ولا أى لسان أن يعبر عنه، ولكنه جدير بأن يعبد فى صمت وإيمان".[٢].

والحق أن الأمر يدعو إلى الحيرة، فإذا كان رجال الدين أنفسهم قد عجزوا عن فهم عقائدهم فمن يا ترى يستطيع فهمها؟ وإذا لم يستطع الإنسان إدراك وفهم عقيدته الدينية بعقله وفهمه فبماذا يمكنه أن يدركها؟ إن العقائد الدينية يجب أن تكون بسيطة ومفهومة حتى يتمكن الناس من اتباعها والسير عليها، فالإيمان ما وقر فى القلب وصدقه العمل، وكيف تقر فى القلب عقيدة لم يستسغها العقل ويقبلها الفهم؟[٣].

والحق أيضاً أن استحالة فهم هذه العقيدة هى التى جعلتهم يقولون إن هذه العقيدة تعلو عن أفكارنا ولا نستطيع فهمها.

واستحالة فهم هذه العقيدة ـ وغيرها ـ من العقائد المسيحية هى التى جعلت بعض المسيحيين يتخلصون من إيمانهم بل وربما من الإيمان بالله كلية.

يقول وولتر أوسكار لندبرج: "ففى جميع المنظمات الدينية المسيحية تبذل محاولات لجعل الناس يعتقدون منذ طفولتهم فى إله على صورة الإنسان بدلاً من الاعتقاد بأن الإنسان قد خلق خليفة لله على الأرض، وعندما تنمو العقول بعد ذلك وتتدرب على استخدام العلمية فإن تلك الصورة التى تعلموها منذ الصغر لا يمكن أن تنسجم مع أسلوبهم فى التفكير أو مع أى منطق مقبول وأخيراً عندما تفشل جميع المحاولات فى التوفيق بين تلك الأفكار الدينية القديمة وبين

---

(١) اللاهوت فى إنجيل يوحنا ص (٤١)، راجع أيضاً للمؤلف نفسه الفداء فى إنجيل لوقا ص (١٩٠).

(٢) التجسد الإلهى للقديس كيرلس الكبير ص (٢٠، ٢١).

(٣) راجع (الخلاص المسيحى ونظرة الإسلام إليه) ص (٣٩٤).

مقتضيات المنطق والتفكير العلمى تجد هؤلاء المفكرين يتخلصون من الصراع بنبذ فكرة الله كلية، وعندما يصلون إلى هذه المرحلة ويظنون أنهم قد تخلصوا من أوهام الدين وما ترتب عليه من نتائج نفسية لا يحبون العودة إلى التفكير فى هذه الموضوعات، بل يقاومون قبول أية فكرة جديدة تتصل بهذا الموضوع وتدور حول وجود الله "(١).

ولذلك اقترح موريس وايلز الدعوة إلى ترك الادعاء بالتجسد وألوهية المسيح(٢)، ولقد طالب مؤلفو كتاب (أسطورة تجسد الإله) ـ كما سبق أن بيّنا ـ بأن تطوراً لاهوتياً لابد أن يحدث فيجب الاعتراف بأن التجسد أسطورة.

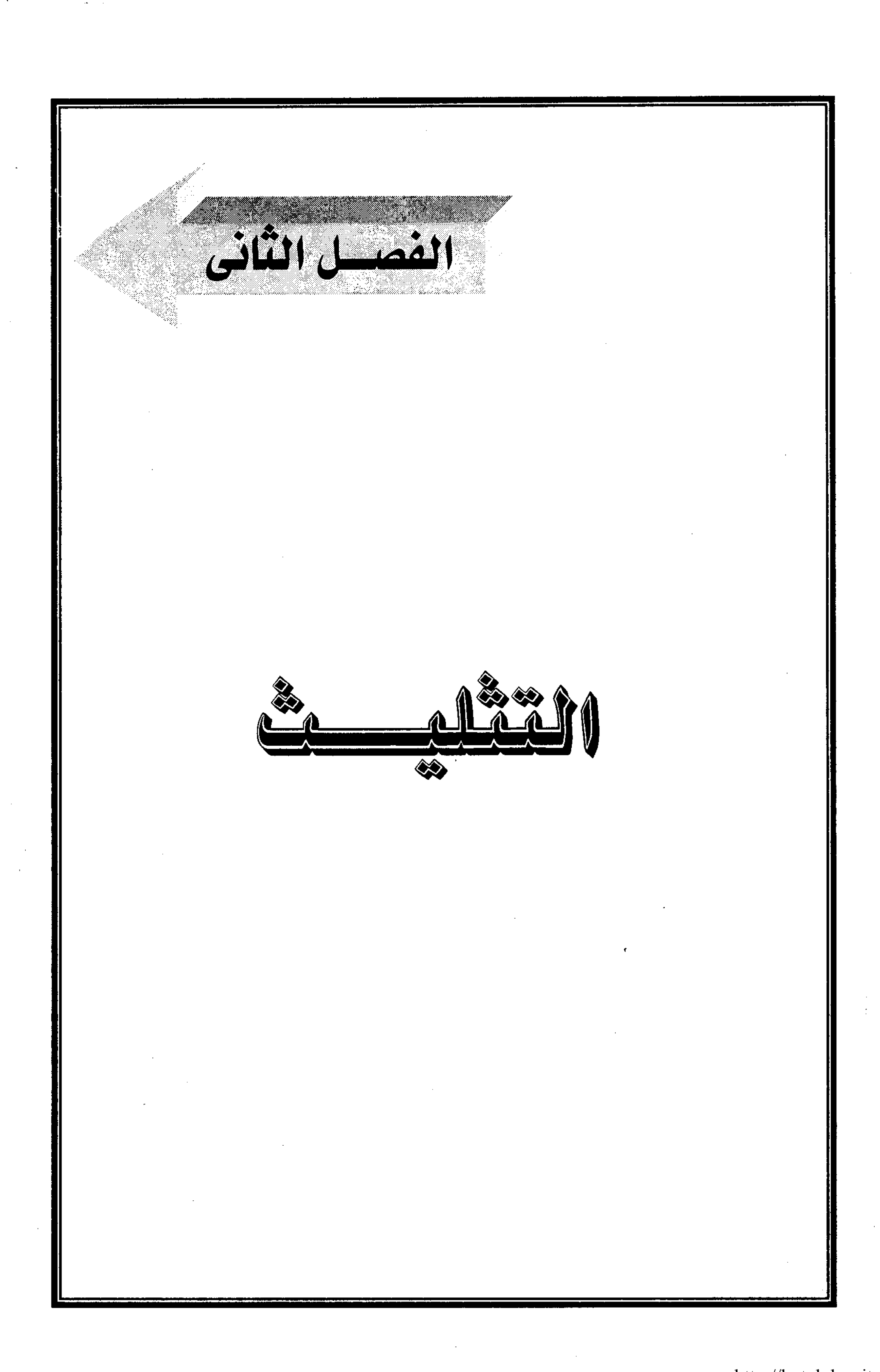
وهكذا يتبين لنا أن عقيدة التجسد باطلة من كل الجوانب...

هذا فضلاً عن أنها عقيدة وثنية، انتقلت إلى المسيحيين عن طريق الوثنيين الذين لم يستطيعوا فهم المسيحية إلا فى ضوء معتقداتهم الوثنية، والتى كان أهمها تجسد الإله فى صورة بشرية.

---

(١) نخبة من العلماء الأمريكيين : الله يتجلى في عصر العلم صـ ٣٢.

(٢) راجع الفصل الأول من كتاب (أسطورة تجسد الإله) والذى يحمل عنوان (مسيحية بلا تجسد).



الفصـــل الثانى

التثليـــث

التثليث عند المسيحيين

يعتبر التثليث من أهم العقائد المسيحية، فمحور قانون الإيمان المسيحى يدور حول هذه العقيدة، فلا يعتبر المرء مسيحياً إلا إذا آمن بها ومارس الشعائر والطقوس المقترنة بالألفاظ والمصطلحات الدالة عليها.

وبعد أن تم تقرير هذه العقيدة فى المجامع المسكونية لعن وطرد من الكنيسة كثيرون بسبب إنكارهم لعقيدة التثليث، واعتبر غير المثلثين فى نظر الكنيسة هراطقة ومبتدعين وخارجين عن إيمان الكنيسة، وخارجين عن المسيحية.

يقول القس إنسطاسى شفيق: " نؤمن إيماناً كاملاً بأن فى اللاهوت ثلاثة أقانيم هى الآب، والابن ، والروح القدس، وفى نفس الوقت ليس منا من ينكر أن اللاهوت وحدة كاملة، وهذا حق إلهى عظيم، يتحتم التمسك به كاملاً، ولا ينبغى أن يضعف البتة، فكل من يسلم بأنه ليس فى اللاهوت أقانيم ثلاث فهو ليس مسيحياً على الإطلاق بل هو مضل، وضد المسيح "[1]

مدلول كلمة(تثليث) فى المعاجم العربية:

بالرغم من أن أصل الكلمة المعبرة عن عقيدة التثليث ليس عربياً ـ فهى مترجمة عن الكلمة اليونانية (ثرياس) أو اللاتينية (ترنيتاس) ومعناها الثالوث، وأول من استعمل لفظ (ثرياس) باليونانية هو تيوفيلوس أسقف إنطاكية، وأول من استعمل كلمة (ترنيتاس) باللاتينية (ترتليان) [2] فى أواخر القرن الثانى[3]ـ إلا أنه لا مانع من

---

(١) اللاهوت فى إنجيل يوحنا ص (٨١).

(٢) تعده الكنيسة واحداً من أبرز الشخصيات المسيحية فى القرون الأولى عاش ما بين عامى (١٦٠ ـ ٢٤٠م) كان من أصل وثنى اعتنق المسيحية فى عام ١٩٠م، وينسب إليه بعض المصطلحات اللاهوتية الرئيسية التى استخدمت لأول مرة فى المسيحية ولا زالت تستخدم إلى الآن مثل كلمة (ثالوث)، (سر)، (الجوهر). راجع جون لوريمر: تاريخ الكنيسة (٢ / ٣١) وما بعدها.

(٣) حبيب سعيد: أديان العالم ص (٣٠٠).

أن نستأنس بمعاجم اللغة العربية لنتعرف على نظير هذه الكلمة أو مرادفها فى اللغة العربية وهى كلمة (ثالوث) أو (تثليث) .

والواقع أن مادة هذه الكلمة (ثلث) بجميع اشتقاقاتها وتصريفاتها تشير إلى التعدد والكثرة لا الوحده.

يقول ابن منظور: "ثلث الاثنين يَثْلُثهمْا ثَلْثا: صار لهما ثالثاً، وثلثت القوم أثلثتهم إذا كنت ثالثهم، وأثلث القوم أى صاروا ثلاثة، وأثلثوا أى صاروا ثلاثين، والمثلوث من الحبال ما فُتل على ثلاث قوى، والتثليث: أن تسقى الزرع سقية أخرى بعد الثُّنيا"[١].

وفى المعجم الوسيط: الثالوث : ما كون من ثلاثة[٢].

فكل اشتقاقات هذه الكلمة " تدل إما على تعدد الشئ ذاته أو نسبته إلى ثلاثة أشياء أو تألفه من ثلاثة أجزاء أو أنه ذو ثلاثة أبعاد، ولم نجد أن هذه المادة أفادت معنى التوحد فى ذات الشئ الدالة عليه بمعنى عدم تجزئه او انقسامه، إنما كل ما دارت فيه هذه المادة يدل على تأليف الشئ وتعدد أجزائه ونسبه "[٣].

مدلول الكلمة عند المسيحيين:

وكلمة (التثليث) أو (الثالوث) هى الكلمة المعبرة عن عقيدة المسيحيين فى الله سبحانه وتعالى وهم يعنون بها، أن فى الله ثلاثة اقانيم: الله الآب، الله الابن، الله الروح القدس، " وأن الثلاثة هم واحد فى الجوهر وأنهم متساوون فى سائر الكمالات "[٤]، " وأن لكل من الآب، والابن، والروح القدس ما للآخر من الألقاب

---

(١) لسان العرب (مادة ثلث) ص (٤٩٧ ـ ٥٠٠)، راجع القاموس المحيط (١ / ١٦٥٩). المعجم الوسيط (١ / ٩٩).

(٢) المعجم الوسيط (١/ ٩٩).

(٣) عقيدتا التثليث والصلب فى المسيحية وموقف الإسلام منهما ص (٣) (رسالة دكتوراة).

(٤) بطرس ديناسيوس: القول الصريح فى تثليث الأقانيم وتجسد المسيح ص (١٠)، راجع أيضاً، وليمسن: تفسير أصول الإيمان (١ / ٢٤).

والصفات الإلهية إلا ما كان خاصاً بالأقنومية [١]، وأن كلاً منهم يستحق العبادة الإلهية والمحبة والإكرام والثقة "[٢]، " وأن بينهم تمييزاً فى الوظائف والعمل "[٣].

فالله فى نظر المسيحيين ـ كما يقول أحدهم ـ " واحد من حيث الجوهر، لكن هذا الواحد فى جوهره مثلث فى أقانيمه "[٤].

وأنت ترى بادئ ذى بدء أن وضع هذه القضية فى معادلة رياضية أمر لا يقبله منطق العقل ولا يصدقه وإن جلبت له الحيل من كل وجه، فالثلاثة لا تكون واحداً، والواحد لا يكون ثلاثة أبداً، ومع هذا فتلك هى القضية [٥].

معنى كلمة (أقنوم):

يقول د/ مراد وهبه تحت لفظ (أقنوم):

١ـ الأقنوم فى اللغة الأصل وجمعه أقانيم [٦].

٢ـ عند أفلوطين أحد مبادئ العالم الثلاثة الأولى وهى: الواحد ـ والعقل ـ والنفس الكلية.

٣ـ فى اللاهوت المسيحى الأقانيم ثلاثة: الآب، والابن، والروح القدس "[٧].

وهذه الكلمة (أقنوم) من الكلمات الرئيسية فى الديانة المسيحية فهى المعبرة عن التمييز بين الآب، والابن، والروح القدس.

ولقد اختلف المسيحيون حول أصل هذه الكلمة.

فلقد ورد فى بعض المراجع المسيحية أن أصل هذه الكلمة (يونانى)

---

(١) الأقنومية: هى تلك التى بها يتميز الأقنوم الواحد عن الآخر بحيث أن اقنوم الآب لا يمكن أن يكون أيضاً أقنوم الابن، وأقنوم الروح القدس، راجع الخلاصة الشهية فى أخص العقائد والتعاليم الأرثوذكسية ص (٧٣)..

(٢) علم اللاهوت النظامى ص (٢٨٥).

(٣) المرجع السابق ص (٢٨٦).

(٤) مفيد كامل: الثالوث ص (١٩).

(٥) عبد الكريم الخطيب: المسيح فى القرآن والتوراة والإنجيل ص (٢١٠).

(٦) راجع القاموس المحيط (٤ / ١٦٩).

(٧) المعجم الفلسفى ص (٣٩).

يقول د/ أندرو وطسون: إن المراد بكلمة (أقنوم) اليونانية الأصل المستعملة فى علم اللاهوت هو التعبير عن شخصية كل من الآب والابن والروح القدس مع اشتراكهم فى الجوهر الواحد غير المتجزئ "[١].

ويقول د/ إبراهيم سيعد، ومن معه من مؤلفى كتاب الدين المسيحى: " أقنوم كلمة معربة عن اليونانية من مصدر " قنم " ومعناها (أصل) أو (ذات) أو (شخص) ". [٢].

لكن بعض المسيحيين خطأ هذا القول، وأشار إلى أن أصل هذه الكلمة (سريانى).

يقول عوض سمعان : " والأقنوم كلمة سريانية يطلقها السريان على كل من يتميز عن سواه على شرط أن لا يكون مما شخص أو له ظل "[٣].

ويقول القمص بيشوى عبد المسيح: " والأقنوم كلمة سريانية بمعنى الخاصية الذاتية " [٤].

ويقول الأنبا غريغوريوس: " الأقنوم كلمة سريانية الأصل بمعنى شخص ، لكنها تقال فى مقابل الكلمة اليونانية (أبيوستاسيس) فى مجال التحدث عن الثالوث وهو (الله) فى المسيحية "[٥].

والمسيحيون يركزون على كون (أقنوم) سريانية الأصل ؛ وذلك لتخفيف حدة المعنى المراد منها فى اليونانية، فالكلمة فى اليونانية - كما ذكر المسيحيون فى الفقرات السابقة - بمعنى (شخص) أو (أصل) أو (ذات) وكلها معانى تعنى انفصال واستقلال كل أقنوم عن الآخر دون أن يكونوا جوهراً واحداً، والمسيحيون لا يرضون عن هذا المعنى حيث اعتقادهم بتوحيد الثالوث.

---

(١) د/ أندرو وطسون: شرح أصول الإيمان ص (٤٦).

(٢) الدين المسيحى للمرحلة الثانوية سنة ١٩٦١م ص (٣).

(٣) عوض سمعان: الله ذاته ونوع وحدانيته ص (١٣١)، راجع للمؤلف نفسه: الله ثالوث وحدانيته ووحدانية ثالوثه ص (١٧).

(٤) القمص بيشوى عبد المسيح: المسيحية ديانة التوحيد ص (١٧)..

(٥) تاريخ الفكر الدينى المسيحى ما بين الإسكندرية وروما وبيزنطة (هامش ص ٥).

لذلك نجد عوض سمعان يقول: " فكلمة (الأقانيم) تختلف كل الاختلاف عن كلمة (الأشخاص) من ناحيتين رئيسيتين :

الأولى: أن الأشخاص هم الذوات المنفصل أحدهم عن الآخر، أما (الأقانيم) فهم ذات واحدة هى ذات الله.

الثانية: أن الأشخاص وإن كانوا يشتركون فى الطبيعة الواحدة، إلا أنه ليس لأحدهم ذات خواص أو صفات أو مميزات الآخر، أما الأقانيم فمع تميز أحدهم عن الآخر فى الأقنومية هم واحد فى الجوهر بكل صفاته وخواصه ومميزاته لأنهم ذات الله الواحد "(١).

وعن معنى (الأقنوم) يقول مفيد كامل: إن كلمة (أقنوم) تعنى الإشارة إلى كائن حى، قدير، تصدر عن شخصه أقوال وأفعال تنم عن كينونته، وهذه الأقانيم أشخاص - مع الاحتراز بأنها شخصية غير منفصلة - متميزة بخواص معينة تقوم فى جوهر واحد"(٢).

وعلى هذا فالأقنوم - فى نظر المسيحيين - يعنى الخواص التى يتميز بها كل أقنوم عن الآخر مع عدم الانفصال والاستقلال، فهم يحاولون ما أمكن جعل الأقانيم متميزة، غير منفصلة.

فهم يسلمون بأن هناك تمييزاً بين هذه الأقانيم، ولذلك يجيب د/ أندرو وطسون على السؤال القائل: ماذا تتضمنه أقنومية الآب، والابن، والروح القدس؟ قائلاً: " إنها تتضمن كل الخاصيات المختصة منذ الأزل بالآب، والابن، والروح القدس تمييزاً لشخصيتهم، وأيضاً تتضمن إمكانية المشورة بينهم، وإمكانية استعمال ألفاظ (أنا) و (أنت) و (هو) و (نحن) بينهم "(٣).

ويزيد هذا المعنى وضوحاً، أفلاطون مطران موسكو فيقول: " فالأقنومية هى تلك التى بها يتميز الأقنوم الواحد عن الآخر، بحيث أن أقنوم الآب لا يمكن أن

---

(١) الله ذاته ونوع وحدانيته ص (١٣٢).

(٢) مفيد كامل: الثالوث ص (٢٣).

(٣) شرح أصول الإيمان ص (٤٧).

يكون أيضاً أقنوم الابن وأقنوم الروح القدس، ولا الابن يمكن أن يكون الآب، ولا الروح القدس يمكن أن يكون الابن.

أما الخواص الجوهرية فهى على السواء عامة بين الأقانيم الثلاثة تخص كل واحد منهم كقولنا الآب، والابن، والروح القدس على السواء أزليون وبلا ابتداء كاملون "[١].

وإذا كان المراد بأقنومية كل من الآب ، والابن ، والروح القدس هو الاختصاص الذاتى لكل واحد منهم عن الآخر، فكيف يكونون بعد ذلك جوهراً واحداً؟ كيف مع هذا التميز والاختصاص الذى لأحدهم عن الآخر يكونون واحداً؟ وواحداً فى الجوهر وفى كل الصفات والخصائص والمميزات؟ كلام غير معقول وغير مستساغ!! ولكن هو عند المسيحيين هكذا.

التصور المسيحى للأقانيم الثلاثة:

لقد ظهر مما سبق أن المسيحيين يعتقدون أن الذات الإلهية ذو ثلاثة أقانيم الله الآب، الله الابن، الله الروح القدس ، كل أقنوم مميز عن الآخرين .

يقول وليمس: " وعقيدة الثالوث يمكن أن يعبر عنها بثلاث حقائق :

(١) يوجد إله واحد.

(٢) الآب هو الله، الابن هو الله، الروح القدس هو الله.

(٣) كل أقنوم من هذه الأقانيم الثلاثة مميز عن الآخرين[٢].

فالآب، والابن، والروح القدس - فى نظر المسيحيين - أقانيم ثلاثة متميزة، ومع هذا فهى - فى نظرهم - أيضاً إله واحد، أى أن هذه الأقانيم متميزة كل له صفاته وخواصه الأزلية وكل يطلق عليه (الله) ومع ذلك فهى مجتمعة - فى رأيهم - فى إله واحد!!

---

(١) الخلاصة الشهية ص (٧٣).

(٢) وليمسن : تفسير أصول الإيمان (١ / ٢٤).

والناظر فى كتب العقائد المسيحية يجد أن عقيدة التثليث تدرس بطريقتين فى آن واحد:

الطريقة الأولى: دراسة كل أقنوم على حدة مع بيان مميزاته الشخصية والذاتية.

الطريقة الثانية: بيان أن هذه الأقانيم الثلاثة غير منفصلة، وأنهم إله واحد، ثم يحاولون بعد ذلك تبرير دعواهم بوحدانية هذا الثالوث.

ولذلك ينبغى أن نبين التصور المسيحى حول كل أقنوم على حدة، ثم نذكر التعاليم المسيحية حول هذه الأقانيم مجتمعة.

ولنبدأ فى دراسة كل أقنوم على حدة وخاصية كل منهم كما فى التصور المسيحى.

" والخاصية تعنى - كما يقول أندرو وطسون - كل ما يتميز به كل من الآب والابن والروح القدس فى أقنوميتهم وفاعليتهم الواحد عن الآخر "[١].

دعوى الله الآب:

والآب فى التصور المسيحى أحد الأقانيم الثلاثة التى تصور الذات الإلهية. وقد أطلق المسيحيون على هذا الأقنوم (الله الآب)، كما أطلقوا على الأقنومين الآخرين الله الابن، والله الروح القدس.

يقول حبيب سعيد تحت عنوان (الله الآب): " تفردت المسيحية فى إطلاق هذه الصفة على الله، ولكن ليس لهذه اللفظة فى المدلول المسيحي أية صلة بالأبوة البيولوجية، وقد علم يسوع أتباعه أن يصلوا قائلين: " أبانا الذى فى السموات... "[٢] وهى الصلاة التى يرددها المسيحيون فى كل أرجاء العالم"[٣].

ثم يقول: " وقد تبنت الكنيسة هذه الصفة من صفات الله وصاغتها فى نصوص عقائد الإيمان، وكلمة (آب) بسيطة فى مبناها، عميقة فى معناها، فالله الآب

---

(١) شرح أصول الإيمان ص (٥٩).

(٢) متى ٦ : ٩.

(٣) حبيب سعيد : أديان العالم ص (٢٥٥).

السماوى يحبنا كأبناء، أبراراً كنا أو خاطئين، مذنبين كنا أو تائبين، حكماء كنا أو جاهلين "[١].

وبرغم اعتقادهم أن المسيحية تفردت فى إطلاق لقب (الله الآب) ـ بهذه الصفة ـ أى باعتباره أقنوماً من أقانيم الذات الإلهية، إلا أنهم لم ينكروا أن هذا اللقب ـ وإطلاقه على الله ـ كان موجوداً من قبل فى الديانة اليونانية[٢].

وقد ورد بهذا اللفظ فى العبرية والفينيقية والآشورية والآرامية والسريانية[٣]، وأيضاً نجده فى بعض فقرات العهد القديم حيث أطلق اليهود على الله لقب (الأب) ففى سفر التثنية " الرب تكافئون بهذا يا شعباً غبياً غير حكيم، أليس هو أباك ومقتنيك"[٤].

وفى سفر أشعياء: " فإنك أنت أبونا وإن لم يعرفنا إبراهيم، وإن لم يدرنا إسرائيل أنت يا رب أبونا، ولينا منذ الأبد اسمك"[٥].

وفى سفر ملاخى: " أليس أب واحد لكلنا، أليس إله واحد خلقنا "[٦].

والمعنى الأساسى للأبوة فى هذه الفقرات هو الخلق والتأسيس [٧].

ولقد أشار د/ فهيم عزيز إلى أن اليهود تأثروا بالأدب اليونانى فى إطلاق لقب (الآب) على الله فيقول:

"أما فى اليهودية فإننا نجد فى كتب الأبوكريفا[٨] وغيرها بضعة شواهد حيث ينادى الله بلقب الآب، ولكنها متأثرة بالأدب اليونانى"[٩].

---

(١) المرجع السابق. نفس الصفحة.

(٢) راجع المرجع السابق ص (٢٦٤).

(٣) قاموس الكتاب المقدس ص (١٧).

(٤) تثنية ٣٢ : ٦

(٥) أشعياء ٦٣ : ١٦

(٦) ملاخى ٢ : ١٠.

(٧) د/ فهيم عزيز: ملكوت الله ص (٦٠).

(٨) أبو كريفا: كلمة يونانية معناها (مخفى) أو (مخبأ) أو (سرى) وقد وردت فى سفر دانيال فى الترجمة السبعينية فى ١١ : ٤٣ للتعبير عن الكنوز المخيفة، كما وردت فى دانيال ٢ : ١٩ للدلالة على معرفة الأسرار المخيفة عن علم البشر، وقد كان هناك نوعان من المعرفة الدينية عند اليونان فى ذلك الحين. النوع الأول: كان يشمل عقائد وطقوساً لجميع طبقات البشر ومعرفتها وممارستها. أما النوع الثانى: فقد كان يشمل حقائق عميقة غامضة لا يمكن أن يفهمها أو يدرك كنهها إلا قلة من الخاصة، ولذلك بقيت مخيفة أو " أبو كريفية " عن العامة، وقد أطلقت فى العصور المسيحية الأولى على بعض الكتب غير القانونية فى العهد القديم وكذلك فى العهد الجديد. قاموس الكتاب المقدس ص (١٨).

(٩) المدخل إلى العهد الجديد ص (١٩١).

وإذا كان اليهود قد تأثروا بالأدب اليونانى فى إطلاق لقب (الآب) على الله، فإن هذا المعنى ينتقل إلى المسيحيين ضمناً، خاصة وأن المسيحيين الأوائل كانوا من اليهود - ويهود الشتات المتأثرين بالفكر والثقافة اليونانية.

أما كون المسيحية تفردت فى إطلاق لقب (الآب) باعتباره أقنوماً من الأقانيم الثلاثة فإن هذا أيضاً غير مسلم، وذلك لأننا لو سألنا لماذا كان الآب " هو الأقنوم الأول؟ وجدنا الجواب - كما يقول القمص بيشوى عبد المسيح: " لأنه أصل وعلة وموجد كل الكائنات وخالقها وبارئها "[١].

ويقول مفيد كامل " فالأقنوم الأول هو أصل الوجود ومبدع الأشياء "[٢].

وهذه الإجابة يشوبها المعنى الفلسفى، إذ تحمل المصطلحات الفلسفية " أصل، وعلة الموجودات " وهذا تجد له نظيراً فى الفلسفة اليونانية "[٣].

وسنزيد بيان هذا فى موضوع التثليث فى الأديان الوضعية.

أما لماذا سمى المسيحيون (الله الآب) بهذا الاسم؟ فإننا نجدهم يجيبون على ذلك بما يلى:

أولاً: " لأنه - كما يقول مفيد كامل - أبو يسوع المسيح الذى هو الابن، الكلمة، كما جاء فى العهد الجديد " مبارك الله (الآب) أبو ربنا يسوع المسيح "[٤].

فالأقنوم الأول سمى (آباً) - فى نظرهم - لأن له ابناً[٥].

" فمن أجل وجود هذا الابن سمى الله أباً، وهذا الابن هو المسيح عليه السلام فهو فى اعتقاد المسيحيين ابن الله، وبما أنه مولود من الله فهو إله مثل الله وقد سمى الوالد أباً والمولود ابناً"[٦].

---

(١) القمص بيشوى عبد المسيح: المسيحية ديانة التوحيد ص (٢٥).

(٢) الثالوث ص (٢٥).

(٣) راجع: د/ محمد البهى: الجانب الإلهى من التفكير الإسلامى (الكتاب الأول) ص (٨٩) وما بعدها.

(٤) أفسس ١ : ٣، ١- بطرس ١ : ٣.

(٥) مفيد كامل : الثالوث ص (٣٣).

(٦) محمد مجدى مرجان: الله واحد أم ثالوث ص (٩٤).

ونسبة الأبوة إلى الله - فى نظرهم - ليست بالمعنى الجسدى - كما يقول عوض سمعان - " بل بالمعنى المجازى أو الروحى الذى يتوافق مع روحانية الله وخواصه وهو المحبة "(١).

وإذا كان الأمر كذلك فإننا نقول إنه ليس للمسيح عليه السلام ميزة خاصة تجعل الله يسمى بـ (الآب) من أجل كونه - أى المسيح - ابناً ، خاصة وأن نصوص العهد القديم والجديد تذكر أن أبناء الله كثيرون (٢).

فلقد ذكر لوقا أن " آدم ابن الله "(٣).

وكذلك يعقوب أطلق عليه لقب الابن " هكذا يقول الرب: إسرائيل ابنى البكر "(٤).

وأيضاً داود دعى ابن الله " هو يدعونى أباً وأنا أيضاً أجعله ابنى "(٥).

" أنا أكون له أبا وهو يكون لى ابناً"(٦).

وكذلك سليمان بن داود عليهما السلام فقد ورد فى أخبار الأيام الأول قول الله تعالى - كما يدعون - عن سليمان " هو يكون لى ابناً وأنا له اباً"(٧).

وكما دعى الأنبياء أبناء الله فكذلك الملائكة دعوا أبناء الله.

ففى إنجيل لوقا (لأنهم مثل الملائكة وهم أبناء الله) (٨).

وكذلك أيضاً دعى البشر العاديون أبناء لله.

ففى سفر التثنية جاء عن بنى إسرائيل أنهم أبناء الله " أنتم أولاد للرب إلهكم "(٩).

---

(١) عوض سمعان: الله ثالوث وحدانيته ووحدانية ثالوثه ص (٨٤).
(٢) راجع: الله واحد أم ثالوث ص (٩٥، ٩٦).
(٣) لوقا ٣: ٨.
(٤) خروج ٤: ٢٢.
(٥) مزمور ٨٩: ٢٧.
(٦) ٢ صموئيل ٧: ١٤.
(٧) أخبار الأيام الأول ٢٢: ١٠.
(٨) لوقا ٢٠: ٣٦.
(٩) تثنية ١٤: ١.

فإن صحت تسميتكم أن الله (أب) فليس لكونه أب المسيح وحده بل لأنه أب كل الشر، كما جاء فى سفر ملاخى " أليس أب واحد لكلنا، أليس إله واحد خلقنا "[١].

وإذا كان الأمر كذلك فلماذا خصصتم المسيح بهذه الميزة - التى تجعل الله أباً من أجل كونه ابناً؟ [٢]فهذا تحكم لا أصل له، ولا مجال للقول إن المسيح له ميزة أنه خلق بدون أب، وأنه جاء ببعض المعجزات مثل إحياء الموتى وغيرها، فهذه الأمور ليست خاصة بالمسيح عليه السلام وحده، فآدم خلق بدون أب وأم، والمعجزات ليست خاصة بعيسى وحده وإنما لجميع الأنبياء والرسل.

ثانياً: يقول مفيد كامل : لأن هناك علاقة محبة عظمى أزلية غير متناهية متبادلة بين الأقنومين الأول والثانى، ولأنه لا توجد فى عالمنا هذا رابطة تعبر عن أسمى درجات المحبة أقوى من تلك التى تقوم بين الأب وابنه [٣].

كيف هذا وهم يقولون إن الثلاثة جوهر واحد؟ إن وجود مثل هذه العلاقة يستدعى وجود شخصين أو (إلهين) بينهما علاقة حب متبادلة.

كيف يمكن أن يحدث هذا لجوهر واحد؟ هل يوجد انفصال ذاتى، بين البعض علاقات وبين البعض الآخر لا يوجد علاقات، إن هذا لمستحيل وغير معقول!!

ثالثاً: يقول مفيد كامل أيضاً: للدلالة على المساواة الكاملة والتطابق التام بين الأقنوم الأول والأقنوم الثانى من حيث الجوهر والطبيعة والصفات وسائر الكمالات الإلهية؛ حيث لا يوجد فى عالم البشر من دليل على التطابق والتماثل أعظم من دليل الأبوة والنبوة"[٤].

كيف يصح هذا وهم يقولون إن الأقانيم جوهر واحد؟

---

(١) ملاخى ٢ : ١٠.

(٢) ومن ناحية أخرى: إن صح أن يطلق على المسيح كونه إلهاً لأنه ابن الله، صح أن يطلق على هؤلاء جميعاً أنهم آلهة وهم لا يقولون بذلك .

(٣) الثالوث ص (٣٣).

(٤) السابق ص (٣٤).

رابعاً: يقول مفيد كامل أيضاً: " لأنه يبطن فى ذاته محبة اللاهوت الأزلية لبنى البشر من قبل إنشاء العالم كقول بولس " كما اختارنا فيه من قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم "[١]، فهو كالمرء الذى تتمثل فيه معانى الأبوة الكاملة دون أن يكون له أبناء بالجسد، لأنها خاصية طبيعية كامنة فى أعماقه"[٢].

ويقول بيشوى عبد المسيح: " وقد دعى الله أباً بسبب محبته التى أظهرها لنا فى ابنه الذى هو الكلمة المتجسد لأجل فداء وخلاص بنى البشر "[٣].

هذه هى الأسباب التى من أجلها دعى الأقنوم الأول أباً ـ فى نظرهم ـ وهى كما ترى قائمة على أساس أن المسيح ابن الله، وأنه أقنوم ثان مساو للآب فى الجوهر والصفات الأزلية وسائر الكمالات الإلهية، وهذا الأقنوم ـ الثانى تجسد ليفدى البشرية، وهذا يعنى أن الآب ذات إلهية، والمسيح ذات إلهية كل منهما مكمل للآخر ولازم له، وهذا دليل نقص وضعف لا يمكن تصوره فى الذات الإلهية.

وللأقنوم الأول خاصية تميزه عن الأقنومين الآخرين، ذلك أن المسيحيين يعتقدون أن " لكل أقنوم خاصية تميزه عن الآخر، وعمل معين، وليس لواحد منهم أن يطغى على الآخر أو يؤثر فى كينونته أو يضمحل فيه "[٤].

أما خاصية هذا الأقنوم فهى ـ فى نظرهم ـ أنه الذات الموجد لجميع الأشياء أى أنه أصل كل الموجودات.

يقول الأنبا ساويرس: " لأن خاصة الآب أنه القوام، لأنه الذات ، وهو الأصل غر محتاج إلى أصل آخر "[٥].

وإذا كان الآب هو الأصل لجميع الأشياء فهو الإله وحده، وما عداه لا يعد أصلاً ولا إلهاً.

ويقول بيشوى عبد المسيح: " والآب كلمة تعنى الأصل والعلة، وقد اصطلح على لفظة "الآب" كتعبير أصدق عن أول أقنوم من الأقانيم، يوضح هذه الخاصية

---

(١) أفسس ١ : ٤.

(٢) الثالوث ص (٣٤).

(٣) المسيحية ديانة التوحيد ص (٢٦).

(٤) مفيد كامل: الثالوث ص (٢٥).

(٥) الأنبا ساويرس: الدر الثمين فى إيضاح الدين ص (٢٤).

التى ينفرد بها الله، من حيث هو ذات عليا أوجدت كل ما هو دونها من محسوسات وظواهر وخلائق"[١].

وإذا كانت هذه هى خاصية الأقنوم الأول (الآب) فإن معنى ذلك أن الأقنومين الثانى والثالث ليس كل منهما ذاتاً قائمة بنفسها، وليس كل منهما ذاتاً موجودة، وإنما ينسب وجودهما إلى الله الآب، وهذا يعنى أن الأقنومين الآخرين - على فرض ألوهيتهما - لم يشتركا فى الإيجاد للكائنات، وأن الذى أوجدهما جميعاً هو الله الآب، فيتساوى الأقنومان الآخران مع الكائنات الأخرى فى أن أصلهم جميعاً هو الله الآب، وهذا يدل على حدثهما وعدم ألوهيتهما.

وخلاصة القول حول الأقنوم الأول فى نظر المسيحيين كما يلى:

أن الآب - فى نظر المسيحيين - هو الأقنوم الأول للذات الإلهية، وأنه سمى بالآب لأنه أبو المسيح عليه السلام، وأنه قد اختص بأنه الذات، وأنه الأصل لجميع الأشياء والكائنات.

قولهم الله الابن:

فالابن هو الله أيضاً[٢]- فى نظرهم - وهو الأقنوم الثانى - فى الذات الإلهية - الذى له خواصه الذاتية التى يتميز بها عن الأقنومين الآخرين.

والمقصود بالله الابن - عند المسيحيين - هو المسيح عليه السلام، فهو المراد من قولهم الأقنوم الثانى هو الله الابن، وهو عندهم مساو للآب والروح القدس فى كل الصفات الإلهية [٣].

وفى سؤال وجواب عن المراد ببنوة الأقنوم الثانى يقول د/ أندرو وطسون: ماذا يراد ببنوة الأقنوم الثانى؟ يراد بها أن الأقنوم الثانى تسمى (ابناً) من حيث نسبته الأزلية إلى الأقنوم الأول فى الجوهر الواحد، كما أن الأقنوم الأول تسمى (أباً) من حيث نسبته الأزلية إلى الأقنوم الثانى فى الجوهر الواحد "[٤].

---

(١) القمص بيشوى عبد المسيح: المسيحية ديانة التوحيد ص (٢٠).

(٢) السابق ص (٢٦).

(٣) تاريخ الأقباط (١ / ٢٣٦).

(٤) شرح أصول الإيمان ص (٥٥، ٥٦).

فالأقنوم الثانى - فى نظر المسيحيين - منسوب إلى الآب بنسبة أزلية، فهو مولود منه - كما يقول مفيد كامل - قبل كل الدهور[١].

ولذلك يقول د/ أندرو وطسون: "كيف صارت هذه البنوة؟ إنها صارت بالولادة الأزلية"[٢].

ثم يقول: " لا يراد بولادة الأقنوم الثانى ما يدل عليه حصر اللفظ فى كلام البشر، ولا أن الابن أوجد بواسطة الآب فى زمان من الأزمنة الأزلية، ولا أن الآب علة وجود جوهر الابن وصفاته، إنما يراد بها ذلك الفعل الأزلى الذى به - من التزام الطبيعة الإلهية ليس باختيار الإرادة - يلد الآب منذ الأزل أقنومية الابن لا جوهره، بحيث يكون الابن (رسم جوهر الآب) منذ الأزل، وهكذا يدوم فى الآب، والآب فيه إلى الأبد"[٣].

وهذا كلام غير معقول وغير مفهوم!! ذلك أنهم قالوا بأن المسيح مولود من الآب، والولادة تقتضى الحدوث، ذلك أن المولود من غيره لابد أن يتقدم عليه والده بالزمان، ثم يوجد الولد بعده فى زمن آخر، إذ لو وجدا فى زمان واحد، لم يكن كون أحدهم ابناً للآخر أولى من العكس، والمتأخر بالزمان هو الحادث [٤]، فالابن على هذا حادث.

هذا هو الذى يمكن فهمه من قولهم المسيح هو الابن، ولكنهم قالوا بغير المفهوم، وهو أن المراد بالولادة والبنوة الفعل الأزلى أو الصفة الأزلية، ولذلك تجدهم يقولون إن الابن هو النطق.

يقول مفيد كامل: " فالابن قائم مع الآب فى جوهر واحد هو اللاهوت، الآب هو اللاهوت بخاصية الأبوة، والابن هو اللاهوت بخاصية البنوة، وبمعنى آخر: الآب هو الله بخاصية الوجود الذاتى (الله موجوداً) والابن هو الله بخاصية النطق الذاتى (الله ناطقاً)[٥].

---

(١) الثالوث ص (٣٦).

(٢) شرح أصول الإيمان ص (٥٦).

(٣) المرجع السابق . نفس الصفحة .

(٤) الإمام القرافى: الأجوبة الفاخرة ص (٣٠٧).

(٥) الثالوث ص (٣٧).

ويقول: " وعندما نتحدث عن كلمة الله المولود من الذات الإلهية فإنما نعنى الإشارة إلى الله بخاصية النطق الذاتى الذى هو أقنوم الابن "[١]،فيسمون الصفة القديمة الأزلية القائمة بالموصوف ابناً، وهذا كلام لم يقل به أحد من قبل، فضلاً عن كونه متناقضاً[٢].

يقول ابن تيمية: " فهذا لم يقله أحد من الأنبياء وأتباعهم ولا من سائر العقلاء غير هؤلاء النصارى، ولا يفهم أحد من العقلاء من اسم الولادة والبنوة هذا المعنى.

والأنبياء لم يطلقوا لفظ الابن إلا على مخلوق، وهم يقولون: أب للمسيح بالطبع ولغيره بالوضع، فلا يعقل جمهور العقلاء وغيرهما من هذا إلا البنوة المعقولة بانفصال جزء من الولد، وهذا ينكره من ينكره من علمائهم، لكنهم لم يتبعوا الأنبياء، ولم يقولوا ما تعقله العقلاء"[٣].

ويقول الإمام القرافى:" هذا كلام غير معقول أصلاً وتقريره: أن النطق صفة قائمة بذات الله تعالى، وقد سلمتم ذلك فهو من المعانى لا من الأجسام،فإن أردتم أن عيسى عليه السلام المتجسد أنه لم يزل هذه الصفة المعنوية فهو من باب قلب الحقائق الذى يستحيل وقوعه فى زمن من الأزمان فضلاً عن كونه لم يزل كذلك،كما يستحيل أن السواد يكون بياضاً، والعلم يكون طعاماً، والرائحة تكون لوناً، وكذلك يستحيل أن يكون النطق إنساناً ، فهذا التفسير غير معقول ولا متصور، وإن أردتم تفسيراً آخر فقولوه"[٤].

والتفسير الآخر الذى يقولون به هو أن النسبة بين الآب و الابن غير معروفة، وغير مدركة وأنها تفوق مستوى عقولهم وإدراكاتهم.

يقول د/ إبراهيم سعيد ـ ومؤلفو كتاب الدين المسيحى ـ إن بنوة الابن للآب ليست بنوة جسدية طبيعية بالمعنى الذى يتسرب إلى الأذهان لدى سمعها، بل هى نسبة روحية سرمدية أزلية تفوق مستوى مداركنا المحدودة "[٥].

---

(١) السابق ص (٣٩).

(٢) لأنهم يدعون المساواة بين الأقنومين، فى حين أن الصفة لا تساوى الموصوف.

(٣) الجواب الصحيح (٢ / ١٥٨).

(٤) الأجوبة الفاخرة ص (١٣٩).

(٥) الدين المسيحى للمرحلة الثانوية سنة ١٩٦١م ص (٣).

ويقول د/ أندرو وطسون: " إنه توجد بين الأقنوم الأول وبين الأقنوم الثانى نسبة سرمدية، غير مدركة منا، وغير معروفة عندنا"(١).

وإذا كان هؤلاء لا يعرفون ولا يفهمون عقيدتهم فمن يا ترى يستطيع فهمها وإدراكها!!

أما خاصية الأقنوم الثانى - فى نظر المسيحية - فهى البنوة.

يقول مفيد كامل: " أما خاصية الأقنوم الثانى الذى هو الابن، فهى الولادة (البنوة) لأنه مولود من الآب، وهذه الخاصية لا يشاركه فيها أقنوم آخر، وعمله المميز فى الخليقة هو فداء العالم "(٢).

فالابن فى نظرهم هو الذى تجسد وصلب ليفدى البشرية ويخلصها.

يقول الأب لويس برسوم: "فالأقنوم الثانى من الثالتوث - أقنوم الابن - هو وحده الذى تجسد وصار إنساناً لا كل الثالوث الإلهى، وهذا واضح من قول يوحنا(٣) والكلمة صار جسداً "(٤).

ولا نترك الحديث عن الأقنوم الثانى قبل أن نقول إن المسيح لم يكن وحده هو الذى أطلق عليه لقب ابن الله، فقد أطلق هذا اللقب - فى الكتاب المقدس - لدى المسيحيين على كثيرين (٥)، ولذلك يمكن أن يكون للبنوة معنى آخر، غير كونه أقنوماً من أقانيم الذات الإلهية.

" ومن يطالع العهد القديم والأناجيل ورسائل الرسل يجد أن لفظ (ابن الله) أو صفة البنوة لله لم ينفرد بها السيد المسيح بل لقد شاركه فيها كافة الأنبياء والملائكة وجميع المؤمنين، وأن هذا اللفظ (ابن الله) لم يقصد به إطلاقاً المعنى الحرفى له،

---

(١) شرح أصول الإيمان ص (٥٦).

(٢) الثالوث ص (٢٥).

(٣) يوحنا ١ : ١٤

(٤) الأب لويس برسوم: المسيح الإله والإنسان ص (٣٣).

(٥) راجع الشواهد التى نقلناها من الكتاب المقدس والتى تدل على أنه لا ميزة للمسيح عليه السلام فى كونه ابنا تجعل الأقنوم الأول أبا. راجع ص ٣٧١ وما بعدها من هذا الكتاب.

وإنما قد أطلق كثيراً وكثر استعماله بالمعنى المجازى، ولم يكن يراد به سوى المقربين لله والمؤمنين له "[١].

فلقب ابن الله ـ كما تشير الكتب المقدسة لدى المسيحيين ـ ليس خاصاً بالمسيح وحده، وعليه فلا يدل اللقب على ألوهية وأزلية من يتصف به وإلا لتعددت الألوهية وأصبح جميع أفراد البشر المؤمنين ـ الذين هم أبناء الله ـ آلهة وهو ما لا يصح القول به.

وعلى ذلك فإن صح إطلاق (ابن الله) على المسيح فإنما يقصد به الطاعة والولاء والتقرب لله.

" فبنوة المسيح لله بنوة مجازية يقصد بها مجرد الطاعة والولاء من قبل الابن، والرعاية والرحمة من قبل الآب، وعلى هذا فلا اختصاص للمسيح بها دون سائر الأنبياء والأولياء "[٢].

وخلاصة قول المسيحيين عن الأقنوم الثانى كما يلى:

إن ابن الله مولود من الآب مساو له فى كل الصفات الأزلية، وهو والآب والروح القدس فى جوهر واحد، وخاصية هذا الأقنوم البنوة، بمعنى النطق الذاتى لله، هذا إلى جانب أنه تجسد ونزل إلى الأرض ليفدى البشرية ويخلصهم.

قولهم الله الروح القدس:

يرى المسيحيون أن (الروح القدس) هو الأقنوم الثالث فى الذات الإلهية، فهو فى نظرهم أقنوم قائم بذاته، وإله مستقل بذاته، بمعنى أنهم يقولون عنه (الله الروح القدس) كما يقولون عن الأقنومين الآخرين (لله الآب)، (الله الابن).

يقول وليمسن: " وهكذا نرى أن الروح القدس يسمى الله، وله خاصيات الله ويعمل أعمال الله، ويعبد كما يعبد الله، فالروح القدس هو الله "[٣].

---

(١) الله واحد أم ثالوث ص (٩٥).

(٢) د/ رفقى زاهر : قصة الأديان ص (١٧٤).

(٣) وليمسن : تفسير أصول الإيمان (١ / ٢٦).

ولقد نسب المسيحيون لهذا الأقنوم - شأن الأقنومين الآخرين - كل الكمالات والصفات الإلهية، إلا أن له أقنومية وخاصية تميزه عن الآب والابن.

يقول مفيد كامل: " وللروح القدس سائر الصفات والكمالات والألقاب التى للآب والابن فيما عدا الخاصية الأقنومية [١].

ويقول زكى شنودة: " الروح القدس هو الأقنوم الثالث من اللاهوت الأقدس، وهو مساو للآب والابن فى الذات والجوهر والطبع، وكل فضل اللاهوت، وهو روح الله وحياة الكون، ومصدر الحكمة والبركة ومنبع النظام القوة، ولذلك فهو يستحق العبادة الإلهية والمحبة والإكرام والثقة مع الآب والابن "[٢].

وعن السبب فى إطلاق اسم الروح القدس على هذا الأقنوم يقول عوض سمعان: "سمى بالروح القدس لأنه يقوم بأعمال اللاهوت بوسيلة روحية، أو بالحرى بوسيلة غير منظورة، كما أنه يوصف بالقداسة لأنه هو الذى يعلن بحالة روحية قداسة الله التى هى الطابع العام لذاته، ولأنه أيضاً هو الذى بعلمه الروحى فى القابلين له من البشر يقدسهم بالتمام لكى يكونوا متوافقين مع الله فى قداسته"[٣]." فهو - فى نظرهم - يحل فى نفوس المؤمنين يجددها ويقدسها ويهيئها لتكون لله"[٤].

وقد ورد فى المراجع المسيحية أنه سمى روحاً لأنه مبدع الحياة "[٥]. ولذلك فإن خاصية هذا الأقنوم - فى نظر المسيحيين - الحياة [٦]، فإذا كان الأقنوم الأول هو الذات، والثانى هو النطق، فالأقنوم الثالث هو الحياة.

---

(١) الثالوث ص (٤٦).

(٢) تاريخ الأقباط (١ / ٢٤٠).

(٣) عوض سمعان: الله ثالوث وحدانيته ص (٩١، ٩٢).

(٤) الثالوث ص (٤٦).

(٥) قاموس الكتاب المقدس ص (٤١٤).

(٦) الدر الثمين فى إيضاح الدين ص (٢٤)، راجع أيضاً الثالوث ص (٢٨، ٢٩).

يقول ابن تيمية ـ فى التعليق على هذه التسمية ـ: " إن تسمية حياة الله روح القدس أمر لم ينطق به شئ من كتب الله المنزلة، فإطلاق روح القدس على حياة الله من تبديلهم وتحريفهم "[١].

ولقد جاء فى قانون الإيمان المسيحى (المسمى بالأمانة) عن الروح القدس ما يلى: " نؤمن بالروح القدس الرب المحيى المنبثق من الآب المسجود له مع الآب والابن الناطق بالأنبياء".

وقد اختلف الأرثوذكس والكاثوليك حول انبثاق الروح القدس.

فالأرثوذكس يعتقدون بأن الروح القدس منبثق من الآب وحده[٢] بينما الكاثوليك يعتقدون بأنه منبثق من الآب والابن[٣].

فالروح القدس عند جميع المسيحيين منبثق، والاختلاف يدور حول كون الانبثاق من الآب فقط أو من الآب والابن معاً.

والانبثاق يعنى الانفجار، كالاندفاق والانصباب ونحو ذلك، يقال بثق السيل موضع كذا يبثقه، أى خرقه وشقه فانبثق أى انفجر[٤].

ومقتضى ذلك أن يكون هذا الرب المحيى فى نظرهم ـ انفجر من الآب واندفق منه، وهذا المعنى لا يتفق مع اعتقاد المسيحيين أن الروح القدس هو الحياة.

" فمعلوم أن حياة الله التى هى صفته ليست منبثقة منه بل هى قائمة به لا تخرج عنه البتة، وهى صفة لازمة له لا تتعلق بغيره، فإن العلم يتعلق بالمعلومات والقدرة بالمقدورات والتكليم بالمخاطبين بخلاف التكلم فإنه صفة لازمة، يقال علم الله كذا، وقدر الله على كل شئ، وكلم الله موسى.

وأما الحياة: فاللفظ الدال عليها لازم لا يتعلق بغير الحى، يقال: حيا، يحيا، حياة، ولا يقال حيا كذا ولا بكذا، وإنما يقال أحيا كذا، والإحياء فعل غير كونه حياً، كما أن التعليم غير العلم، والأقدار غير القدرة ،والتكليم غير التكلم"[٥].

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٢ / ١١٥).

(٢) حبيب جرجس: خلاصة الأصول الإيمانية فى معتقدات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ص (٥٤) راجع أيضاً: تاريخ الأقباط (١ / ٢٤١).

(٣) الأب بولس إلياس اليسوعى: يسوع المسيح ص (٧٨) المطبعة الكاثوليكية ببيروت

(٤) لسان العرب ص (٢٠٨)، راجع أيضاً: المعجم الوسيط (١ / ٣٨).

(٥) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٢ / ١١٩).

هذا إلى جانب أن المسيحيين - بنص قانون الإيمان - جعلوا الروح القدس هذا ناطقاً فى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام " الناطق بالأنبياء ".

كيف يتفق هذا وحياة الله صفة قائمة به لا تحل فى غيره ؟

وهذا المعنى يجرنا إلى القول بأن الروح القدس الذى تكون فى الأنبياء والصالحين ليس هو حياة الله القائمة به، ولو كان روح القدس الذى فى الأنبياء هو أحد الأقانيم الثلاثة لكان كل من الأنبياء إلهاً معبوداً قد اتحد ناسوته باللاهوت كالمسيح عند المسيحيين - فإن المسيح لما اتحد به أحد الإقانيم كما يقول المسيحيون صار ناسوتاً ولا هوتاً - فإذا كان روح القدس الذى هو أحد الأقانيم الثلاثة ناطقاً فى الأنبياء، كان كل منهم فيه لاهوت وناسوت كالمسيح، والمسيحيون لا يقرون بالحلول والاتحاد إلا للمسيح وحده، مع أنهم يثبتون لغيره ما ثبت له"[1].

وعلى هذا فيمكننا أن نقول إن المراد من إطلاق (الروح القدس) معنى آخر غير كونه أقنوماً من الأقانيم الثلاثة التى تصور اللاهوت المسيحى، وغير كونه حياة الله، فما هو هذا المعنى؟

إن العهد القديم يوضح أن روح الله أو روح القدس أنزل على الأنبياء والصالحين. ففى سفر صموئيل الثانى يقول داود: " روح الرب تكلم بى، وكلمته على لسانى"[2].

وفى المزامير يقول داود: " روحك القدس لا تنزعه منى "[3].

ويقول حزقيال: (وحل على روح الرب وقال لى قل هكذا قال الرب)[4]

وفى سفر العدد جاء قول موسى (يا ليت كل شعب الرب كانوا أنبياء إذ جعل الرب روحه عليهم "[5].

---

(١) المرجع السابق ص (١٢٠).
(٢)٢- صموئيل ٢٣ : ٢.
(٣) مزمور ٥١ : ١١.
(٤) حزقيال ١١ : ٥.
(٥) عدد ١١ : ٢٩.

وكذلك ورد فى العهد الجديد أن روح القدس حل على المسيح وعلى الحواريين.

ففى إنجيل لوقا (أما يسوع فرجع من الأردن ممتلئاً من الروح القدس)[١].

وفى رسالة بطرس الثانية : إعلان بأن النبوة بحلول الروح القدس " لأنه لم تأت نبوة قط بمشيئة إنسان، بل تكلم أناس الله القديسين مسوقين من الروح القدس "[٢].

وهذا يعنى أن الروح القدس أو روح الله ليست هى الله، وليست أقنوماً أو جزءاً أو عنصراً من الله ، وليست هى حياة الله، وليست خاصة بالمسيح فهى تحل فى جميع الأنبياء والمرسلين إبراهيم وموسى وداود.... وغيرهم.

وعن المعنى الصحيح للروح القدس يقول ابن تيمية : " وروح القدس قد يراد بها الملك المقدس كجبريل، ويراد بها الوحى والهدى والتأييد الذى ينزله الله بواسطة الملك أو بغير واسطة، وقد يكونا متلازمين، فإن الملك ينزل بالوحى، والوحى ينزل به الملك، والله يؤيد رسله بالملائكة والهدى"[٣].

" وإذا كان روح القدس معروفاً فى كلام الأنبياء والمتقدمين والمتأخرين أنها أمر ينزله الله على أنبيائه وصالحى عباده سواء كانوا ملائكة تنزل بالوحى أو النصر أو وحياً وتأييداً مع الملك وبدون الملك. فليس المراد بروح القدس أنها حياة الله القائمة به كأن قال (عمدوا الناس باسم الآب والابن والروح القدس)[٤]، مراده مروا الناس أن يؤمنوا بالله، ونبيه الذى أرسله، وبالملك الذى أنزل عليه الوحى الذى جاء به، فيكون ذلك أمراً لهم بالإيمان بالله وملائكته ورسله وكتبه. وهذا هو الحق الذى يدل عليه صريح المعقول وصحيح المنقول "[٥].

وروح القدس التى كانت فى المسيح كانت من هذا الجنس، وهذا يعنى " أن روح القدس لا تختص بالمسيح ـ وهم يسلمون بذلك، فإن ما فى الكتب التى بأيديهم فى غير موضع أن روح القدس حلت فى موسى وداود وفى غيرهما.

---

(١) لوقا ٤ : ١.

(٢) ٢ ـ بطرس ١ : ٢١.

(٣) الجواب الصحيح (١ / ٩٧ ، ٩٨).

(٤) يشير بذلك إلى ما جاء فى إنجيل متى ٢٨ : ١٨.

(٥) الجواب الصحيح (٢ / ٩٨).

ومن ناحية أخرى: فإن كان روح القدس هو حياة الله، ومن حلت فيه يكون لاهوتاً لزم أن يكون إلهاً، لزم أن يكون كل هؤلاء فيهم لاهوت وناسوت كالمسيح وهذا خلاف إجماع المسلمين والنصارى واليهود "[١]

فعلم من هذا أن روح الله - أو روح القدس - هو ما ينزله الله على عباده المصطفين، سواء كان ملكاً ينزل بالوحى، أو وحياً وتأييداً بدون الملك.



خلاصة قول المسيحيين عن هذا الأقانيم:

يعتقد المسيحيون أن الذات الإلهية ذو ثلاثة أقانيم وهم الله الآب، والله الابن، والله الروح القدس، كل أقنوم على حدة له مميزاته وخواصه الذاتية، فخاصية الآب الذات، وخاصية الابن النطق، وخاصية الروح القدس الحياة، وهم مع ذلك متساوون فى كل الكمالات والصفات الإلهية...

التعاليم المسيحية حول هذه الإقانيم :

أولاً: دعوى حتمية الثالوث:

لقد ادعى المسيحيون أن التثليث حتمى بمعنى (حتمية أن يكون الله الواحد ثلاثة أقانيم)[٢] وذلك لما يأتى:

أولاً: قولهم إن الله محبة، وهذه المحبة تستلزم وجود محب ومحبوب وثمرة محبة، وتصبح المحبة عاطلة عند عدم وجود هذه الأمور.

يقول بولس إلياس اليسوعى: " من الناس من يقولون : لم يا ترى إله واحد فى ثلاثة؟ أو ليس فى تعدد الأقانيم انتقاص لقدرة الله؟ أو ليس من الأفضل أن يقال الله أحد وحسب؟ لكننا إذا اطلعنا على كنه الله لا يسعنا إلا القول بالتثليث، وكنه الله محبة [٣]. ولا يمكن إلا أن يكون محبة ليكون سعيداً، فالمحبة هى مصدر سعادة الله، ومن طبع المحبة أن تفيض وتنتشر على شخص آخر فيضان الماء وانتشار النور، فهى إذن تفترض شخصين على الأقل يتحابان، وتفترض مع ذلك وحدة تامة بينهما بحيث يندفع الحب إلى هبة الذات لمن يحب، هبة تكون فيها سعادتهما، فليكون الله

---

(١) المرجع السابق (٢ / ١٥٢)

(٢) مفيد كامل: الثالوث ص (٧٣).

(٣) يشير بذلك إلى ما جاء فى الرسالة الأولى ليوحنا ٤ : ١٦.

سعيداً كان عليه أن يهب ذاته شخصاً آخر يجد فيه سعادته ومنتهى رغباته ويكون بالتالى صورة ناطقة له، ولهذا ولد الله الابن منذ الأزل نتيجة لحبه إياه، ووهبه ذاته، ووجد فيه سعادته ومنتهى رغباته، وبادل الابن الآب هذه المحبة، ووجد فيه هو أيضا سعادته، ومنتهى رغباته، وثمرة هذه المحبة المتبادلة بين الآب والابن كانت الروح القدس "(١).

ثم يقول: " ليس الله إذن كائنا تائهاً فى الفضاء، منعزلاً فى السماء لكنه أسرة مؤلفة من ثلاثة تسودها المحبة، ويفيض منها على الكون بره، وهكذا يمكننا أن نقول إن كنه الله يفرض فيه التثليث"(٢).

ويقول حبيب سعيد: "وإن كان الله هو مصدر الحياة والحق والخير فى العالم فلابد أن تكون له إرادة، وأن يكون له عقل، وأن يكون له محبة، وأن يكون له فكر، ومن حقائق الوجود أن كل كائن يحب كماله، فكمال العين هو اللون وهى تتعشق روعة الشمس فى مغيبها... ونحن نعلم أن المحبة متبادلة بين المحب والمحبوب، وبينى وبين من أحب عروة وثقى تربطنا معاً، وفى ذات الله الآب يحب الابن الذى ولده، وهو رسم جوهره، والابن يحب الآب الذى ولد منه، أحدهما يفكر فى الآخر، وأحدهما يحب الآخر، محبة قوية دافقة كاملة بحيث تخلق بينهما رابطة حية، والمحبة فى هذا الطور لا تنطق ولا تصيح، ولا تعبر عن نفسها بألفاظ منطوقة، ولا بأنغام مسموعة ولكنها تعبر عن نفسها - كما يحدث لنا نحن البشر - بزفرة أو أنة أو نسمة... لهذا نسمى الأقنوم الثالث فى الذات الإلهية الروح القدس" (٣).

ويتبين من هذه النصوص أنهم صوروا الله " بأنه كان وحيداً " فأحس بحاجته إلى ذات ثانية توجد معه، ويفيض عليها محبته، لذلك أوجد الإله الآب تلك الذات، وكانت تلك الذات هى الإله الابن، وعندما وجد الابن أحبه الآب حباً شديداً، وبادله الابن حباً بحب فنشأ عن المحبة المتبادلة بينهما إله ثالث وهو (الإله الروح القدس)(٤).

والمتأمل فى هذه الدعوى يجدها باطلة لما يأتى:

---

(١) يسوع المسيح شخصيته وتعاليمه ص (٧٩).
(٢) المرجع السابق ص (٨٠).
(٣) حبيب سعيد: الروح القدس ص (٦٩) ، راجع أيضاً: أديان العالم ص (٣١٧).
(٤) د/ محمود مزروعة: بحث فى حولية كلية أصول الدين بالمنوفية. العدد السادس. الجزء الأول ص (٢٢).

(١) أنهم أثبتوا لله الاحتياج إلى شخص آخر يبثه حبه وعطفه، والاحتياج أمارة الحدوث، وهو باطل فى حقه تعالى، لقيام الأدلة القاطعة التى تثبت له القدم فى الذات ووجوب الوجود والغنى المطلق عن كل ما عداه [١].

(٢) يتبين من دعواهم أن هناك فروقاً بين صفة الوجود بالنسبة لله الآب، وصفة الوجود بالنسبة لله الابن، والله الروح القدس، ذلك أن وجود الله الآب هو وجود بالذات وليس بالغير، فالله الآب موجود ووجوده لذاته، فليس محتاجاً فى وجوده إلى غيره، أما وجود الله الابن والله الروح القدس فهو وجود غيرى وليس ذاتياً، فهما موجودان لغيرهما وليس لذاتهما، ووجودهما مستمد من الغير ومستند إليه، أى أنهما محتاجان إلى الغير فى وجودهما سواء فى أصل الوجود أو فى استمراره وبقائه [٢]، وهذا يدل على حدوثهما إذ لا يكون الإله محتاجاً إلى غيره فى الايجاد وفى الاستمرار والبقاء.

وبهذا يبطل قولهم إن كلاً من الابن والروح القدس لهما كل الصفات الإلهية والأزلية.

(٣) إن المحبة بالمعنى الذى قصدوه، وهو ميل القلب إلى محبوب كما يفهم من عباراتهم محالة فى حقه تعالى " لأنها من الكيفيات النفسية التابعة للمزاج المستحيل عليه سبحانه وتعالى، لذلك جرى المحققون من العلماء على أنها فى حقه تعالى إرادة الثواب لمن أطاعه، أو بمعنى الإثابة للطائعين فهى على الأول صفة ذات، وعلى الثانى صفة فعل، وعلى كلا الحالين لا تقتضى محبوباً أزلياً، أما على الأول فلأن تعلق الإرادة الأزلى صلوحى أى أنها صالحة فى الأزل لأن تخصص الممكن فيما لا يزال ببعض ما يجوز عليه، وأما على الثانى فلأن صفات الأفعال عبارة عن تعلقات القدرة التنجيزية الحادثة"[٣]، وعلى كل فمحبة الله لا تستلزم وجود محبوب فى الأزل.

---

(١) د/ إبراهيم سلامة: القرآن وعقائد الكتاب ص (٢٢٩).

(٢) راجع مقال د / محمود مزروعة فى مجلة كلية أصول الدين. العدد السادس (١ / ٢٢).

(٣) د/ محمد شرعان: موقف القرآن والكتب المقدسة من عقيدة التثليث وألوهية المسيح ص (٥٧)، راجع أيضاً القرآن وعقائد أهل الكتاب ص (٢٩٩).

(٤) إن وصف الله تعالى بهذا الوصف لعجيب وغريب، إذ يصفون الله سبحانه وتعالى بما يصفون به البشر من احتياج إلى محب وكلمات الحب.... إلى آخره، ولذلك يقول محمد مرجان بأسلوب التهكم على هذا الوصف.

" ومفاد نظرية بولس إلياس اليسوعى ومن معه أن الله عبارة عن عائلة تتكون من ثلاثة أعضاء أو ثلاثة كائنات، وكل كائن منها غير الآخر، وكل عضو فيها مستقل عن الآخر، ولكن بين أعضاء هذه الأسرة الإلهية علاقات وأواصر متينة، ظاهرة وخفية، عاطفية وحسية أيضاً، وقد نتج عن العلاقة بين أقنومى الآب والابن ثمرة هى أقنوم الروح القدس، ومن يدرى فقد تعقب هذه الثمرة ثمرات أخرى يتزايد بها عدد أفراد الأسرة الإلهية وتتم بها سعادتها، فقد يشتاق الأب إلى ابنة أيضاً يبثها محبته وحنانه..."(١).

" هذا هو تصوير دعاة الثالوث لله ذى الجلال، التصوير الذى يجعل الله الغنى محتاجاً إلى شخص آخر يبثه عواطفه وينشئ معه علاقات تنزل بالله إلى مستوى مخلوقاته، علاقات نربأ بأنفسنا عن ذكرها ويعف فكرنا عن تصورها"(٢).

كل هذا يدل على أن دعواهم بأن الثالوث حتمى دعوى باطلة تؤدى إلى الكفر والضلال.

ثانياً: قولهم إن التثليث حتمى لأنه لا يعقل ـ كما يقول مفيد كامل ـ أن يكون الوجود الإلهى غير ناطق بالكلمة أو غير حى بالروح القدس، فالكلمة والروح القدس من مستلزمات الوجود الإلهى، فهى خواص أزلية واجبة الوجود وبدونها يصير جوهراً صامتاً لا حياة فيه "(٣).

فالتثليث حتمى ـ فى نظرهم ـ لأنه لابد أن يكون الله موجوداً، ناطقاً، حياً، والوجود والنطق والحياة يمثلون الأقانيم الثلاثة فى الذات الإلهية.

يقول القمص بيشوى عبد المسيح ـ فى الإجابة على سؤال لماذا يتحتم وجود الثالوث فى الله الواحد قائلاً: " لأنه لا يمكن لله الذى خلق الكون كله وأوجد جميع

---

(١) الله واحد أم ثالوث ص (١٩).

(٢) المرجع السابق ص (٢٠).

(٣) الثالوث ص (٧٣).

الخلائق بكلمته وقدرته أن يكون هو بغير وجود، ولأنه لا يمكن لله الذى خلق آدم إنساناً عاقلاً ناطقاً أن يكون هو بغير نطق أو عقل.

ولأنه لا يمكن لله الخالق والمحيى من العدم والذى نفخ فى كل كائن حى نسمة حياة أن يكون هو بغير روح وحياة "(١)

ولقد ناقشنا سابقاً تسمية النطق (ابن الله)، وحياة الله " الروح القدس "، وقلنا إن هذا لم ينطق به أحد من الأنبياء والرسل السابقين فلم نجد أحداً سمى الصفة القديمة القائمة بالموصوف الابن أو الروح القدس(٢).

على أننا لو أمعنا النظر فى العناصر التى جعلها دعاة التثليث هى مكونات الذات الإلهية - وهى الذات - النطق - الحياة - لوجدنا أن هؤلاء قد أخطأهم التوفيق كثيراً حين اقتصروا فى وصف الله على هذه العناصر الثلاثة فقط، بل لقد أخطأهم التوفيق أيضاً فى اختيار تلك العناصر بالذات هيكلاً لتكوين الثالوث.(٣)

يقول محمد مرجان: "وإذا حاولنا أن نقارن مثلاً عنصر النطق الذى يكون الله الابن بعنصر العقل والتفكير، لا تضح بجلاء أن العقل والتفكير أهم بكثير من النطق، فإعمال العقل والفكر يسبق النطق، أما النطق بدون عقل أو تفكير فهو تخريف وهذيان، كذلك فالنطق ليس إلا مجرد وسيلة ضمن وسائل متعددة للتعبير عن الفكر والإرادة بأدوات أخرى كثيرة قد تفوق النطق، منها مثلاً الكتابة أو الإشارة أو إصدار قرار أو اتخاذ موقف معين بالفعل دون نطق أو قول... فإنه إذا أمكن تصور الله مدبر الكون بدون عنصر العقل فهل يمكن إضافة أقنوم رابع هو أقنوم العقل والحكمة والتفكير؟!"(٤).

كذلك الأمر بالنسبة للقلب والقدرة والسمع والبصر، هل يمكن تصور الله دون قلب؟ وهل يمكن تصور الله وهو غير قادر؟ إن المتصف بالعجز لا يكون إلهاً. وهل يمكن تصور الله بدون سمع أو بصر؟ وهكذا.

---

(١) المسيحية ديانة التوحيد ص (٢٠ - ٢٣).

(٢) الجواب الصحيح (٢ / ١١٥، ١٥٨).

(٣) الله واحد أم ثالوث صـ ٣٥.

(٤) المرجع السابق ص٣٥، ٣٦.

يقول القاضى عبد الجبار: " إذا كنتم تثبتون الأقانيم الثلاثة من حيث استحال عندكم كونه تعالى فاعلاً إلا وهو حى عالم، فأثبتم له علماً وهو الابن والكلمة، وروحاً وهى الحياة، فيجب أن تثبتوا له قدرة لأن الفعل لا يصلح إلا من قادر، وحاجة الفعل إلى كون فاعله قادراً آكد من حاجته إلى كونه حياً عالماً، ويلزمكم إثبات سمع له وبصر..."[(١)].

فهناك أمور أخرى لازمة للإله غير النطق - أو العلم - والحياة مثل القدرة والسمع والبصر وجميع صفات الله، فهلا أثبتها المسيحيون أقانيم بجانب الأقانيم الثلاثة؟!!

ثم إنك إذا سألتهم لماذا النطق والحياة؟

يقولون: إن الإنسان أشرف الموجودات وهى حى ناطق فلذلك وجب أن يكون الله حياً ناطقاً.

يقول إبراهيم لوقا: تنقسم الموجودات إلى ثلاثة أقسام لا رابع لها، فهى إما حى ناطق كالإنسان، وإما حى غير ناطق كالحيوان والنبات، وإما غير حى وغير ناطق كالجماد، وأولها أشرفها من غير شك، وكلنا يؤمن أن الله تعالى موجود وأنه مبدع جميع هذه العوالم المختلفة فيتحتم إذن ما دام أن أشرف الموجود هو الحى الناطق أن يكون الله بجانب وجوده (حياً، ناطقاً) وإلا لكان الموجود الحى الناطق - وهو مخلوق لله - فاضلاً له تعالى فيما هو نفسه قد فضله به على المخلوقات "[(٢)].

فكما أن الإنسان يتكون من ذات - ونطق - وحياة، فكذلك الله لابد وأن يكون ذاتاً - ناطقاً - حياً.

وهكذا ينظر دعاة الثالوث إلى الله العظيم الذى ليس كمثله شئ والمنزه عن مشابهة الكائنات فيمثلونه بأحد مخلوقاته الضعيفة وهو الإنسان، إن الله فى نظر فلاسفة المسيحية له كيان قائم بذاته كالإنسان تماماً، والله ناطق بكلمته كالإنسان وهو حيى بروحه كالإنسان، ومن هذه الإقانيم أو العناصر يتكون الله كما يتكون الإنسان تماماً.

---

(١) القاضى عبد الجبار: المغنى (٥ / ٩١)، راجع أيضاً: الدميرى: إرشاد الحيارى فى ردع من مارى (مخطوط بدار الكتب) ص ٥، الأصول والفروع جـ ٢ صـ١٨٩.

(٢) إبراهيم لوقا: المسيحية فى الإسلام ص (٦٥).

ومع ذلك فإن الباحث المتأمل يلاحظ أن فلاسفة المسيحية قد أعطوا للإنسان صفات ضنوا بها على الله، فالإنسان به عناصر وأجزاء أخرى كثيرة لا تقل أهمية عن العناصر السابقة ـ هذا إن لم تكن تفوقها أهمية ـ منها مثلا أن الإنسان مبصر بعينيه، سميع بأذنيه، رحيم بقلبه، مفكر بعقله، مشير بيده... إلى آخره. وهكذا نستطرد فى ذكر العناصر والأجزاء التى يتكون منها الإنسان المخلوق فنجد أنه قد تفوق فيها على الله خالقه"[١].

لقد نسى هؤلاء أن لهذا الإنسان عناصر ـ أو صفات أخرى ـ من الأهمية بمكان، فهل لنا أن نضيفها إلى الأقانيم الثلاثة أم نعتبرها غير موجودة فى الإله؟؟

على أنه يؤخذ عليهم فى هذا التشبيه، أنهم منحوا الصفات الثلاث لله بشروط وأوضاع خاصة، أما بالنسبة للإنسان فهذه الصفات مجتمعة فيه بدون هذه الشروط فهم قد قسموا الله إلى ثلاثة أقسام منحوا كل قسم صفة من الصفات منعوها عن القسم الآخر، فى حين أن تلك العناصر والصفات تجتمع كلها فى الإنسان الواحد ولا تجتمع فى الله.

فبينما نجد الإنسان كائناً بذاته دائماً، وناطقاً بكلمته دائماً، وحياً بروحه دائماً، نجد الله لا يكون كائناً بذاته إلا حين يسمى (الآب) فبصفته كائن بذاته فهو الله الآب، فإذا تخلت عنه صفة الأبوة وتحول فأصبح بناً تتخلى عنه صفة الكينونة والذات ويصبح فقط ناطقاً بكلمته، كذلك إذا تحول الله إلى روح قدس تخلت عنه الصفتان السابقتان وصار فقط حياً بروحه[٢].

وهكذا يتضح لنا أن دعوى أن الثالوث حتمى دعوى باطلة لا أساس لها من الصحة، وأن ما ساقه المسيحيون على ذلك من تبريرات غير مسلمة وظاهرة الفساد والبطلان.

ثانياً: من تعاليم المسيحيين حول الأقانيم قولهم إن التثليث أكمل الأعداد

يدعى المسيحيون أن العدد ثلاثة ـ وهو عدد الأقانيم عندهم ـ هو أول الأعداد الكاملة، والذات الإلهية أكمل الذوات فلذلك اشتملت على ثلاثة أقانيم..

---

(١) الله واحد أم ثالوث ص (١٤).

(٢) المرجع السابق ص (١٥).

يقول عوض سمعان: " وأما عدد الأقانيم - المقصود الأقانيم الثلاثة - فهو طبعاً أول عدد لا يمكن لأقل منه أن تتوافر فيه خواص الوحدانية الجامعة المانعة "[١].

ثم أخذ يستدل بأقوال بعض الفلاسفة على أن العدد ثلاثة هو أول الأعداد الفردية [٢]وأنه أيضاً هو أول عدد كامل[٣].

والمقصود بهذا القول: أن الله سبحانه وتعالى هو الكامل وأن الذى يطلق عليه هو العدد الكامل، وهو ثلاثة فى نظرهم.

ولذلك تجده يقول عما يسميه بالوحدانية الجامعة " أنها تتوافق كل التوافق مع كمال الله واستغنائه بذاته عن كل شئ "[٤].

وهذه الدعوى غير مسلمة، ولا يسلم بها أحد غير هؤلاء.

وقد رد ابن حزم على هذه الدعوى بأدلة قوية دامغة نذكر منها ما يلى:

يقول ابن حزم: " وقال بعضهم لما كانت الثلاثة تجمع الزوج والفرد وهذا أكمل الأعداد وجب أن يكون البارى كذلك لأنه غاية الكمال وهذا من أغث الكلام لوجوه أهمها:

أحدها: أن البارى تعالى لا يوصف بكمال ولا تمام، لأن الكمال والتمام من باب الإضافة، لأن التمام والكمال لا يقعان البتة إلا فيما فيه نقص، لأن معناهما إنما هو إضافة شئ إلى شئ به كلمت صفاته، ولولاه لكان ناقصاً ولا معنى للتمام والكمال إلا هذا فقط.

والوجه الثانى: أن كل عدد بعد الثلاثة فهو أتم من الثلاثة، لأنه يجمع إما زوجاً زوجاً، وإما زوجاً وزوجا وفرداً، وإما أكثر من ذلك، وبالضرورة يعلم أن ما جمع أكثر من زوج فهو أتم وأكمل مما لم يجمع إلا زوجاً وفرداً. فيلزمه أن يقول إن ربه أعداد لا تتناهى أو أنه أكثرالأعداد، وهذا أيضاً ممتنع محال لو قاله، وكفى فساداً بقول يؤدى إلى المحال "[٥].

---

(١) ويقصد بالوحدانية الجامعة أن الله واحد فى جوهره جامع فى تعيينه. عوض سمعان: الله ثالوث وحدانيته ص (١٥) بمعنى أن جوهر اللاهوت وإن كان واحداً إلا أنه جامع لأقانيم ثلاثة.

(٢) على أساس أن الواحد ليس بعدد بل أصل الأعداد

(٣) المرجع السابق ص (١٨). راجع أيضا للمؤلف نفسه: الله ذاته ونوع وحدانيته صـ ٢٣٣.

(٤) الله ثالوث وحدانيته ص (٨، ٢٠)، الله ذاته ونوع وحدانيته ص (١٣٥)

(٥) ابن حزم: الفصل فى الملل والنحل (١ ، ٤٢).

ثم يقول: "والوجه الثالث: إن هذا الاستدلال مضاد لقولهم إن الثلاثة واحد والواحد ثلاثة، لأن الثلاثة التى تجمع الزوج والفرد بخلاف هذا، فليست الواحد التى يتناهى بل هى بعضها، وهى كل له ولغيره، والبارى تعالى لا بعض له ولا كل، والجزء ليس الكل، والكل ليس الجزء، والواحد جزء من الثلاثة، والثلاثة كل لواحد والاثنين معه، فالواحد غير الثلاثة، والثلاثة غير الواحد"[١].

ثم يقول: "والوجه الرابع: إن هذا المعنى السخيف الذى قصده نجده فى الاثنين، لأن الاثنين عدد يجمع فرداً فرداً وهو مع ذلك زوج ففى الاثنين الزوج والفرد فليجعل ربه اثنين على هذا المعنى "[٢].

وعلى ذلك فدعوى أن التثليث واجب لله لأنه أكمل الأعداد مردودة وغير مسلم بها.

ومن ناحية أخرى فإن فكرة قدسية العدد ثلاثة، فكرة وثنية " فالشعوب الهندو أوربية كانت تعتقد أن الرقم ثلاثة هو أعظم الأرقام قداسة "[٣].

يقول فشر: "وكانت فكرة التثليث معتقداً شائعاً بين الوثنيين تنبع أساساً مما تعارفوا عليه من أن العدد ثلاثة كان هو العدد الكامل"[٤].

ثالثاً: اعتقاد المسيحيين بأن الثالوث واحد

يعتقد المسيحيون أن الأقانيم الثلاثة متساوية فى نسبة الصفات والكمالات الإلهية، فكل واحد منهم ينسب إليه من صفات اللاهوت ما ينسب إلى الآخر من الألقاب والصفات الإلهية [٥].

فكل أقنوم ينسب إليه - فى اعتقادهم - أنه الله، وأنه أزلى، وأنه حى قادر يستحق العبادة والخضوع.

ولذلك جاء فى أصول إيمانهم عن الأقانيم الثلاثة " أنهم متساوون فى القدرة والمجد "[٦].

---

(١) الأصول والفروع (٢ / ١٩٠)، راجع أيضاً المرجع السابق ص (٤٢ / ٤٣).
(٢) المصدر السابق ص (٤٣).
(٣) رالف لنتون: شجرة الحضارة (٣ / ٣٠٦).
(٤) تاريخ أوربا العصور القديمة ص (١١٥) نقلاً عن حقيقة التبشير ص (٧٩).
(٥) راجع علم اللاهوت النظامى ص (٢٨٥).
(٦) شرح أصول الإيمان ص (٥٩)، تفسير أصول الإيمان (١ / ٢٤).

ويعتقدون أيضاً أن كل أقنوم يتميز عن الآخر، فكل واحد منهم له خواصه وأعماله التى يتميز بها عن الأقنومين الآخرين.

لذلك جاء فى علم اللاهوت النظامى :

١ـ أن الآب والابن الروح القدس أقانيم ممتازون الواحد عن الآخر

٢ـ أن بين أقانيم الثالوث تميزاً فى الوظائف والعمل، لأن الكتاب يعلم أن الآب يرسل الابن، وأن الآب والابن يرسلان الروح القدس، ولم يذكر قط أن الابن يرسل الآب، ولا أن الروح القدس يرسل الآب أو الابن.

٣ـ أن بعض الأعمال تنسب على الخصوص إلى الآب، وغيرها إلى الابن، وأخرى إلى الروح القدس، مثال ذلك ما قيل إن الآب يختار ويدعو، وأن الابن يفدى، وأن الروح القدس يقدس ويجدد.

٤ـ تنسب بعض الصفات إلى أقنوم من الثالوث دون الآخرين، كالأبوة إلى الآب والبنوة إلى الابن، والانبثاق إلى الروح "[١].

وجاء أيضاً : أن كلاً من الآب والابن والروح القدس يقول عن ذاته أنا، إن كلاً منهم يقول للآخر فى الخطاب أنت، ويقول عنه فى الغيبة هو، إن الآب يحب الابن، والابن يحب الآب، والروح القدس يشهد للابن "[٢].

وواضح من هذه العبارات أن الأقانيم الثلاثة ـ فى نظرهم ـ متغايرة ومختلفة ومتميزة، بحيث أنه ينسب لأحدهم ما لا ينسب للآخر، ويوصف أحدهم بما لا يتصف به الآخر، والمسيحيون يعتقدون أنهم متساوون فى الجوهر والأزلية، وكل الصفات الإلهية، وأن كلاً منهم إله مستقل ورب خالق، وهذا يعنى أنهم يعبدون ثلاثة آلهة، المنطق يقول ذلك.

" فإن قالوا: فإنا لا نقول إنها ثلاثة آلهة فكيف يحكون عنا التثليث؟ قلنا لهم: إنكم أعطيتمونا معنى التثليث وأشعتموه واستوفيتم حقائقه ومنعتم بعض العبارة عنه، ألا ترون أنكم تقولون إله هو أب إله حى قديم عالم خالق رازق، وإله هو ابن مولود كلمة حى قديم خالق رازق ليس بأب ولا ولد ولا يجوز أن يكون والداً ولا

---

(١) علم اللاهوت النظامى ص (٢٨٦ ، ٢٨٧).

(٢) المرجع السابق ص (٢٨٥ ، ٢٨٦).

أباً، وإله روح قدس حى عالم قديم خالق رازق ، ثم قلتم هى ثلاثة أقانيم، وقلتم فى كل واحد منها إنه إله ورب قديم، وامتنعتم من الإقرار بالجملة وقد أعطيتم التفصيل، وما مثال ذلك إلا كمن قال: عبد الله العربى رجل وإنسان وجسم وشخص ، وخالد الفارسى رجل وإنسان وجسم وشخص ، وزيد الرومى رجل وإنسان وجسم وشخص، قلنا: فهؤلاء ثلاثة رجال وثلاثة أناس وثلاثة أشخاص وثلاثة أجسام، فقلتم: لا بل هو رجل واحد، قلنا: لا يؤثر امتناعكم من إطلاق هذه العبارة فى شئ قد أشيعت حقيقته"[١].

فالمفهوم من كلامهم القول بثلاثة آلهة، ولكنهم يحاولون ـ منعاً لهذا الاعتقاد ـ أن يجعلوا هذه الأقانيم لشئ واحد، أو فى جوهر واحد، بمعنى أنهم يقولون إن الثالوث واحد، وإن الواحد يتكون من ثالوث، أو بعبارة أدق يحالون الجمع بين التوحيد والتثليث.

يقول كلايد تارنر: " نقول بثلاثة أقانيم فى اللاهوت، هؤلاء الثلاثة واحد فى الجوهر متميزون بشخصياتهم "[٢].

وجاء فى علم اللاهوت النظامى " إن ملخص تعليم الكتاب المقدس[٣] فى هذا الموضوع هو أنه لا يوجد إلا إله واحد فقط، ومع ذلك لكل من الآب والابن والروح القدس صفات اللاهوت وحقوقه"[٤].

وجاء أيضاً : إن تعليم التوحيد والتثليث معاً يتضمن ما يأتى:

١ـ وحدانية لله.

٢ـ لاهوت الآب والابن والروح القدس [٥].

---

(١) القاضى عبد الجبار: تثبيت دلائل النبوة (١ / ٩٥).

(٢) كلايد تارنر: هذه عقائدنا ص (٣٦).

(٣) سنتناول بعد ذلك أدلتهم من الكتاب المقدس ونبين هل تدل على التثليث أم لا؟

(٤) علم اللاهوت النظامى ص (٢٨٥).

(٥) ويوضح ذلك (وليمسن) فيقول : الآب هو الله، والابن هو الله، والروح القدس هو الله. راجع تفسير أصول الإيمان (١ / ٢٤).

٣ـ إن الآب والابن والروح القدس أقانيم ممتازون الواحد عن الآخر.

٤ـ إنهم واحد فى الجوهر متساوون فى القدرة والمجد.

٥ـ إن بين أقانيم الثالوث الأقدس تمييزاً فى الوظائف والعمل"(١).

ولكن كيف يمكن ذلك؟ إن وضع هذه العقيدة بهذا الوجه لا يمكن أن يقبله أو يصدقه أى عقل وإن جلبت له جميع أنواع الحيل من كل وجه.

كيف يمكن أن نعتبر أن الله واحد، وهو ثلاثة فى نفس الوقت؟

ولذلك يقول المسيحى وليمسن: " ويلاحظ أنه فى بيان هذه العقيدة يوجد حسب الظاهر أمران متناقضان، وهما الوحدة والتعدد فى الله، الوحدة تظهر فى أنه يوجد إله واحد فقط، والتعدد يظهر فى أنه يوجد ثلاثة أقانيم وكل منهم هو الله... ويظهر لنا أن كلا عقيدتى التوحيد والإشراك أقرب إلى الفهم من عقيدة التثليث، ولكن هذا لا يعتبر حجة لهما أو حجة ضد الإيمان المسيحى، ولنذكر دائماً أن عقيدة التثليث ليست شيئاً آمن به الناس لأنه موافق للعقل. كلا، ولكن السبب الوحيد للإيمان بهذه العقيدة هو أن الكتاب لا يسمح لنا برأى آخر"(٢).

وسوف نتناول بعد ذلك أدلة المسيحيين لنبين مدى صحة هذا الادعاء ،ولكن كل الذى أريد أن أبينه هنا هو: أنهم أنفسهم يحسون بهذا التناقض ويسلمون به، ولا تعبأ بقوله تناقضاً ظاهرياً، فهو لم يبين عدم التناقض الحقيقى لنقول إنه صادق فى قوله، وما دام هو لم يبين ذلك فالدعوى بالتناقض لاز الت قائمة وباقية.

فالقضية متناقضة من كل الجوانب.

يقولون إن الأقانيم متميزة، ومع ذلك فهم واحد فى الجوهر بكل خواصه وصفاته ومميزاته (٣). وهذا تناقض..

إذ كيف يمكن أن يقال إن الأقانيم الثلاثة هم واحد فى الجوهر وأنهم يتقاسمون جميع الأعمال الإلهية على السواء، بينما يختص بعضهم بصفات ووظائف لا يختص بها بقية الأقانيم ـ خاصية الأقنومية لكل أقنوم ـ ويعجز البعض منهم عن فعل

---

(١) علم اللاهوت النظامى ص (٢٨٦).

(٢) تفسير أصول الإيمان (١ / ٢٥).

(٣) الله ثالوث وحدانيته ووحدانية ثالوثه ص١٠٤.

ما يفعله البعض الآخر وما يختص به، فالآب لا يمكن أن يكون ابناً ولا روح قدس، ومع ذلك يقال إنهم واحد فى كل الصفات والخصائص والمميزات ،أليس فى هذا القول تناقض؟ كيف يتميزون ولا يتميزون...؟[١].

ومن ناحية أخرى: فإن أقوالهم تدل على أنهم ثلاثة آلهة متساوون فى كل الصفات الإلهية وسائر الكمالات الإلهية، كيف يمكن بعد ذلك أن نقول إنهم إله واحد؟

لقد وضح مما سبق أن كل أقنوم هو إله وله كل صفات الكمال، وأيضاً كل أقنوم له صفاته ومميزاته الخاصة به، وهذا يعنى انفصالاً كاملاً بين الأقانيم، انفصالاً يمنع الوحدة، بل ويمنع المساواة، وذلك لأن الابن مولود من الآب - كما يقولون - والابن مرسل من الآب - كما جاء فى كتبهم - "أرسل الله ابنه"[٢]، ويقول المسيح - فيما تحكيه الأناجيل المسيحية - " خرجت من عند الآب "[٣].

ويقول: " لأنى قد نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتى بل مشيئة الآب الذى آرسلنى "[٤].

فلا شك أن الآب أقدم من الابن، وفى موضوع الإرسال لا شك أن المرسِل أعلى درجة من المرسَل أو الرسول فحين يرسل الآب الابن مثلاً فلا شك أن الآب أعلى من الابن، فهو كإرسال السيد خادمه أو كإرسال الرئيس مرؤوسه، يقول المسيح - فيما ترويه الأناجيل المسيحية - " الحق الحق أقول لكم إنه ليس عبد أعظم من سيده ولا رسول أعظم من مرسله إن علمتم هذا فطوباكم "[٥].

إن الانفصال بين الأقانيم واضح وظاهر، وهو انفصال يمنع أن تكون الثلاثة واحداً بل ويمنع المساواة بينهم[٦].

---

(١)الله واحد أم ثالوث ص (٣١).

(٢) ١- يوحنا ٤ : ٩.

(٣) يوحنا ١٦ : ٢٨.

(٤) يوحنا ٦ : ٣٩.

(٥) يوحنا ١٣ : ١٦.

(٦) راجع : الله واحد أم ثالوث ص (٣٣).

وعلى ذلك فلا يمكن أن يكون الثلاثة واحداً ، ولا الواحد ثلاثة، فدعوى المسيحيين بتوحيد الثالوث وتثليث التوحيد لا يمكن أن يقرها أو يقبلها عقل أو منطق.

والكتَّاب المسيحيون أنفسهم " يعتقدون أنها بعيدة التصور عند محاولة الجمع بين التوحيد والتثليث، لأنه من أصعب الأمور الجمع بين الوحدانية والتثليث "(١)، ولم يستطيعوا أن يقدموا لنا دليلاً عقلياً مستساغاً لقبول هذا الاعتقاد وتصوره، كل الذى قدموه بعض التشبيهات والتمثيلات التى لا تنطبق ولا تتوافق مع معتقدهم.

يقول د/ إبراهيم سعيد، ومؤلفو الدين المسيحى: "ومع اعترافنا بأن عقيدة الوحدانية والثالوث تعلو على أفهامنا وعقولنا إلا أنها ليست مستحيلة الفهم، فكم من أشياء تجمع ثلاثاً فى واحد "(٢).

ولقد ساق المسيحيون على ذلك كثيراً من التشبيهات ووصل الأمر إلى تشبيه عقيدتهم بإصبع الإنسان (٣)

وأكثر التشبيهات شيوعاً وانتشاراً بين المسيحيين هو تشبيه الثالوث فى الواحد بالإنسان والشمس(٤).

فقالوا: كما أن الإنسان واحد وإن كان له ذات وعقل وروح.

والشمس واحدة وإن كانت تعرف بثلاثة أشياء: القرص الذى هو جسمها، والشعاع، والحرارة، فكذلك الذات الإلهية ثلاثة أقانيم فى إله واحد.

والواقع أن هذه التشبيهات وغيرها غير متطابقة، ذلك أن المسيحيين أغفلوا فيها أن الذات والنطق والروح فى الإنسان لا يكون كل واحد منها ذاتاً مستقلة بنفسه، فلا يطلق على الذات وحدها إنسان، ولا على النطق وحده إنسان، وكذلك الروح، وليس النطق ولا الروح ذاتاً قائماً بنفسه.

فلا يمكن أن نقول عن الصفات الثلاث المذكورة أن كل واحد منها إنسان ثم هى بعد ذلك إنسان واحد، فهذا لا يقول به عاقل.

---

(١) محاضرات فى النصرانية ص (١٢٢).

(٢) الدين المسيحى للمرحلة الثانوية ١٩٦١م ص (٤).

(٣) الدر الثمين فى إيضاح الدين ص (١٤).

(٤) راجع هذه التشبيهات فيما يلى: المرجع السابق ص (١٧، ١٨)، مطالعات فى الكتاب المقدس ص (٢٥٧، ٢٥٨)، الثالوث ص (٩٩ ـ ١٠٤)، وراجع الردود عليها فيما يلى: الجواب الصحيح (٢ / ١٢٠)، محمد طلعت: القول المبين ص (٤٩، ٥٠).

إن الذات والنطق والروح والسمع والبصر والقلب... وأشياء أخرى هى التى يتكون منها الإنسان، ولا يطلق على أى جزء منها أنه ذات مستقلة أو إنسان مستقل[١]، بينما نجد أن المسيحيين يعتبرون أن كل واحد من الثالوث إنما هو إله وأقنوم مستقل متميز ومتصف بكل صفات الكمال الإلهية ثم هم بعد ذلك إله واحد، وهذا يعنى أن تشبيهاتهم لشرح الثالوث فى واحد غير متطابقة وغير مقنعة، وأن عقيدة الثالوث فى واحد لا زالت غير مفهومه.

والسؤال الآن: لماذا كل هذه المحاولات ـ من المسيحيين ـ للجدمع بين التوحيد والتثليث المتناقضين؟ لماذا يفرغ المسيحيون كل قواهم العقلية والذهنية لمحاولة الجمع بين الوحدانية والثالوث؟

لعل الذى دفعهم إلى هذا الأمر الصعب هو اعتقادهم بأن العهد القديم ـ الذى صرح المسيح بأنه ما جاؤ ناقضًا له ـ كتاب مقدس عندهم، وهو يصرح بالتوحيد ويدعو إليه ويحث عليه وينهى عن الشرك، وذلك مثل ما جاء فى سفر التثنية (الرب هو الإله وليس آخره سواه)[٢].

وفى سفر الملوك الأول: "ليعلم كل شعوب الأرض أن الرب هو الله وليس آخر"[٣].

وفى سفر أشعياء: أنت هو الإله وحدك لكل ممالك الأرض"[٤].

وفى سفر أشعياء أيضًا: "أنا الأول وأ،ا الآخر ولا إله غيرى"[٥].

وحين وجدوا أنفسهم امام هذه النصوص وغيرها الناطقة بالتوحيد الخالص فى العهد القديم اضطروا إلى التماس التوفيق بين التثليث والإله الواحد الذى صرح به العهد القديم فقالوا بأن هذا الواحد ثلاثة، والثلاثة واحد، حتى لا ينشزوا عما جاء في العهد القديم[٦].

---

(١) وكذلك الأمر بالنسبة للشمس لا يطلق على الحرارة أو الشعاع أو القرص أو كل واحد منها شمس مستقلة بذاته.

(٢) تثنية ٤ : ٣٥.

(٣) ١ ـ ملوك ٨ : ٦٠.

(٤) أشعياء ٣٧ : ١٦ ، ٢ ـ ملوك ١٩ : ١٥.

(٥) أشعياء ٤٤ : ٦.

(٦) راجع د/ محمد الفرت: عقيدتا التثليث والصلب فى المسيحية وموقف الإسلام منهما ص (١٢).

ولذلك تجدهم يجتهدون أولاً في أن يستنبطوا من نصوص العهد القديم ما يحملونه معنى الإشارة إلى التثليث كعبارة (كلمة الله) أو عبارة (روح الله).

وثانياً : يحاولون أن يرجعوا التثليث إلى الوحدانية ليلتقى العهد القديم مع الإنجيل فيقربوا العهد القديم إليهم بتحميل عباراته ما لا تحتمل ، ويقربوا عقائدهم من العهد القديم بتضمين ثالوثهم معنى التوحيد ، وإن كان هو أيضاً لا يحتمل ذلك[1].

رابعاً: اختلاف المسيحيين حول الثالوث:

لقد اختلف المسيحيون اختلافاً كبيراً حول عقيدة التثليث جملة وتفصيلاً ، فمنهم من ينكرها جملة واحدة ، ومنهم من ينكر بعض تفاصيلها أو أجزاء منها.

❖ فلقد كان (بولس السمساطى) ـ أسقف إنطاكية ٢٦٠ـ ٢٧٣م " من سمساط المدينة السورية " يعلم بالتوحيد وينكر ألوهية المسيح.

يقول المؤرخ المسيحى الروسى أفغراف سميرنوف : فى صف مضادى الثالوث ، يشغل بولس السمساطى مكاناً أكثر ظهوراً ، وشغل فى النصف الثانى من القرن الثالث كرسى أسقفية إنطاكية ، أدخل فى تعليمه التوحيد اليهودى الصرف ، وعلم أن يسوع المسيح ليس هو إلهاً بالمعنى الصحيح ، سكنت فيه منذ الولادة الحكمة الإلهية أو العقل الإلهى بدرجة عالية أكثر مما فى أنبياء العهد القديم ، ويمكن أن يدعى ابن الله بالمعنى الأدبى "[2].

فكان قول ـ بولس السمساطى ـ " التوحيد المجرد الصحيح ، وأن عيسى عبد الله ورسوله وأنه إنسان لا إلهية فيه "[3].

❖ أما (سابليوس) ـ أحد أساقفة بطولمايس بالخمس المدن الغربية [4]. فى النصف الثانى من القرن الثالث ـ فكان يعلم ـ كما جاء فى علم اللاهوت النظامى ، إن

---

(١) محاضرات فى النصرانية ص (١٢٢ ، ١٢٣).

(٢) أفغراف سميرنوف : تاريخ الكنيسة المسيحية ص (١٠٠) ترجمة الكسندروس مطران حمص ، وقد منح هذا الكتاب جائزة من المجمع المقدس الروسى وحبذ تدريسه للصفوف العالية فى (السيمنار).

(٣) ابن حزم : الفصل فى الملل والنحل (١ / ٣٩).

(٤) والخمس مدن الغربية واقعة فى الجزء الشرقى من طرابلس الغرب المتاخم الآن لمصر ، وتسمى باليونانية (بنتابوليس) وقد تأسست سنة ٦٣٠ق.م وهى : قيروان ، برنيقية وهى بنى غازى الآن ، سوزوسا وهى اسمها الآن مرسى سوزوسا ، درنة ، بطولمايس وتسمى الآن طولميت بقرب أطلال برقة. راجع القس منسى يوحنا : تاريخ الكنيسة القبطية هامش ص (١١)

التثليث كناية عن ثلاثة تجليات مختلفة لإله واحد مفرد الأقنوم أى أن الألفاظ آب، وابن ، وروح قدس، ليست أسماء أقانيم ممتازة بل أسماء ظهورات أقنوم واحد سمى الآب لأنه الخالق، وسمى الابن لأنه الفادى، وسمى الروح القدس لأنه المعزى والمقدس "(١). بمعنى أن الآب والابن والروح القدس أسماء لإله واحد، أو أسماء لثلاثة تجليات ذو مظاهر لهذا الإله الواحد "(٢).

- وكذلك أنكر آريوس وتابعوه عقيدة التثليث، حيث كان يعلم أن الله واحد فرد غير مولود لا يشاركه شئ فى ذاته تعالى (٣)، وأن المسيح والروح القدس مخلوقان منه وغير مشتركين فى طبيعته الإلهية(٤).
- أما السقف ماكدونيوس بطريرك القسطنطينية فقد أنكر ألوهية الروح القدس، وكان يعلم بأن الروح القدس ليس بإله بل هو مخلوق مصنوع (٥).

.ولم يكن الخلاف قاصراً على المؤيدين والمنكرين لعقيدة التثليث فحسب، بل وجدنا هذا الخلاف بين المؤيدين أنفسهم لعقيدة التثليث.

- فقد اختلفوا حول الأقانيم وطبيعتها وصفتها، وصلة الأقانيم بعضها بعض والناظر فى كتب المسيحيين يجد كلاماً كثيراً حول أقانيم الثالوث.
- فبعضهم يذكر أن الأقانيم ثلاث خواص أزلية يعلنها الكتاب المقدس فى صورة شخصيات متساوية(٦).
- وآخر يذكر أن الأقانيم ليست خواص بل صفات (٧)ذاتية فى الله (٨).

---

(١) علم اللاهوت النظامى ص (٢٩٣).

(٢) القس إلياس مقار : قضايا المسيحية الكبرى ص (٦١).

(٣) راجع : الأب جورج قنوانى : فلسفة الفكر الدينى (٢ / ٢٨٧).

(٤) علم اللاهوت النظامى ص (٢٩٢).

(٥) لجنة التاريخ القبطى : تاريخ الأمة القبطية (١١٥/٢).

(٦) اللاهوت فى إنجيل يوحنا هامش ص (٢٣١).

(٧) كيف يكون (الله) وهو أحد الأقانيم صفة؟ وكيف يصح أن (يرسل) الله (صفة) من صفاته كما أرسل أقنوم الابن؟ وكيف يصح وصف الصفة؟ إذ يتمتع كل أقنوم من الثلاثة وهو صفة بالصفات التى يوصف بها الآخر من حيث التساوى بينها

(٨) الأنبا غريغوريوس : تاريخ الفكر الدينى ما بين الإسكندرية وروما هامش ص (٥).

- وآخر يوضح لك أنها ليست صفات لأن الصفات معانى، والمعانى لا يقال عن أحدها إنه واحد من ذات الله، وعليه فالأقانيم عنده آحاد من ذاته أو آحاد ذاته[١].
- وآخـر يقول إنها ليست ثلاث صفات ولا ثلاثة أسماء بل هى ثلاثة أقانيم[٢].
- وآخرون يذكرون أنها أشخاص، أو أسماء ... إلى آخر هذه الاختلافات. وكذلك اختلف المسيحيون حول كل أقنوم من أقانيم الثالوث.
- فلقد حدث نزاع كبير بين المسيحيين حول طبيعة المسيح وعقدت المجامع للفصل فى هذا النزاع، ولكنها لم تستطع أن تحسمه، وانقسم المسيحيون إزاء ذلك إلى فريقين:
- الأرثوذكس: يعتقدون بأن للمسيح طبيعة واحدة من طبيعتين[٣]. والكاثوليك: يرون أن للمسيح طبيعتين[٤].
- كما حدث نزاع آخر حول مركز الأقنوم الثانى فى الثالوث ودرجته فى المرتبة الإلهية هل هو أعظم من الآب؟ أو أقل منه أو مساو له فى الدرجة؟
- ونزاع آخر حول زمن وتاريخ وجود الأقنوم الثانى هل هو أزلى أى موجود منذ الأزل؟ أم أنه حادث وجد بعد زمن معين؟ وهل هو مولود أو مخلوق؟[٥].
- وبالنسبة للأقنوم الثالث حدث اختلاف كبير أيضاً بين الطوائف المسيحية حول انبثاق الروح القدس.
- فالبعض قرر أن الروح القدس منبثق من الآب وهم الأرثوذكس[٦].

---

(١) الله ذاته ونوع وحدانيته ص (٢٣).
(٢) بطرس ديناسيوس: القول الصريح فى تثليث الأقانيم ص (١٨).
(٣) خلاصة الأصول الإيمانية ومعتقدات الكنيسة الأرثوذكسية ص (٢٩ ـ ٣٠).
(٤) الأب لويس برسوم: المسيح الإله والإنسان ص (٤١).
(٥) الله واحد أم ثالوث ص (٤٧ ـ ٤٨).
(٦) خلاصة الأصول الإيمانية ص (١٠٨).

وآخرون قرروا أنه منبثق من الآب والابن وهم الكاثوليك [١].إلى غير ذلك من الخلافات.

والواقع أن اختلاف المسيحيين المؤيدين والمنكرين لعقيدة التثليث حول هذه العقيدة إنما يعطى للباحث مؤشراً خطيراً وهو أن العقيدة ليست واضحة أى وضوح فى أذهان المسيحيين، وإلا لما اختلفوا حولها كل هذا الاختلاف.

" وهذه الخلافات الجوهرية بين أصحاب الثالوث أنفسهم بينهم وبين معارضيهم إنما تدل بوضوح على غموض تلك العقيدة، وعدم اقتناع أصحابها بها لمخالفتها لمنطق عقولهم وسوية فطرتهم مما يجعل أصحاب الثالوث أنفسهم فى صراع دائم بين منطق عقولهم وحكم ظروفهم، بين عقول فطرت على التوحيد وظروف فرضت التثليث، تعصف بهم الرياح وتتقاذفهم الأمواج، وقد يلجأ بعضهم إلى التحايل وإلى المزج بين العقيدتين، فيقول بتثليث فى وحدانية أو بوحدانية فى تثليث ولكن هذا المزج على استحالته يزيد الأمر تعقيداً ويزيد اللغز غموضاً، فكيف يكون الواحد ثلاثة؟ وكيف يكون الثلاثة واحداً؟ هل يجتمع النقيضان؟ هل يمتزج الضدان؟ هل يمتزج الحق بالباطل؟ هيهات.. ثم هيهات "[٢]..

والسبب الحقيقى وراء كل هذه الاختلافات، ووراء هذا التخبط، هو أن العقيدة المسيحية قد وضعها البشر بأنفسهم دون أية هداية إلهية من وحى السماء.

فوحى السماء يأتى بالعقائد الواضحة المتسقة مع الفطرة الإنسانية والعقل الإنسانى فلا تتناقض عقائده مع الفطرة ولا تتضارب مع العقل.

مدى فهم المسيحيين لعقيدة التثليث:

نعم إن عقيدة التثليث غامضة فى أذهان المسيحيين، فالأساقفة والقساوسة برغم أنهم يحاولون الدفاع عنها وتبريرها للعامة والبسطاء ببعض التشبيهات والتمثيلات إلا أنهم يشعرون بعدم إدراكهم لها، ولذلك صرح بعضهم بصعوبة فهم هذه العقيدة وبعد إدراكها عن العقل.

---

(١) يسوع المسيح شخصيته وتعاليمه ص (٧٨) المطبعة الكاثوليكية ببيروت.

(٢) الله واحد أم ثالوث ص (٥٢).

يقول القس توفيق جيد: " إن الثالوث سر يصعب فهمه وإدراكه، وإن من يحاول إدراك سر الثالوث تمام الإدراك كمن يحاول وضع مياه المحيط كله فى كفه"[١].

ويقول القس إلياس مقار: " على أننا ونحن نتأمل هذه العقيدة - التثليث - بشئ من التفصيل والتوضيح لا مندوحة لنا من الاعتراف أننا إزاء سر من أعمق أسرار الوجود والحياة، وإذا كان أوغسطينس وكلفن قد اعترفا بأن اللغة اللاتينية على ما فيها من غنى وجمال عاجزة كل العجز عن التعبير عن كنهها وعمقها، فإننا نقول ما هو أكثر إذ نقول أن بيان البشر أو الملائكة أعجز من أن يسبر غورها إلا إذا أمكنه أن يبلغ المستحيل ونعنى به تفصيل الأعماق فى طبيعة الله ذاتها"[٢].

ويقول نقولا يعقوب: " لست أحاول الآن تفسير عقيدة لم يستطع تفسيرها الأوائل ، ولن يتوصل إلى إدراك كنهها الأواخر "[٣].

وفى علم اللاهوت النظامى: " إنه لا يمكن إيضاح كيفية وجود الله فى ثلاثة أقانيم بصريح العبارة ،لأن ذلك فوق طاقة العقل "[٤].

فهم يصرحون بعدم إدراكهم لهذه العقيدة، ويأمل بعضهم فى أن يفهموها أكثر فى الحياة الآخرة.

يقول أفلاطون مطران موسكو: " إن سر الثالوث غير مدرك.. غير أن الروح القدس لأجل تعزيتنا وراحة بالنا، قد وعد بأن ينير عقلنا فى الحياة الآتية بمعرفة كاملة، فما ننظره الآن بطريقة غامضة، وكأنه لغز، ننظره حينئذ بكل وضوح وجلاء "[٥].

ويقول القس بوطر: " قد فهمنا ذلك على قدر طاقة عقولنا ونرجو أن نفهمه فهما أكثر جلاء فى المستقبل حين ينكشف لنا الحجاب عن كل ما فى السموات وما فى

---

(١) القس توفيق جيد: سر الأزل ص (١١).

(٢) قضايا المسيحية الكبرى ص (٦٠).

(٣) نقولا يعقوب جبريل: أبحاث المجتهدين فى الخلاف بين النصارى والمسلمين ص ٦٦.

(٤) علم اللاهوت النظامى ص (٢٩٢-٢٩٤).

(٥) الخلاصة الشهية ص (٧١ ، ٧٢)

الأرض. وأما فى الوقت الحاضر ففى القدر الذى فهمناه كفاية"[١]، فما هو هذا القدر الذى فيه الكفاية؟ إن أحداً لم يستطع فهم أى شئ فى هذه العقيدة حتى المسيحيين أنفسهم!!

" أى أن عقيدة التثليث لا يمكن أن تنكشف للنفس على وجهها إلا يوم تتجلى كل الأشياء لها يوم القيامة وذلك حق فإنهم لا يعلمون حقيقتها إلا يوم يحاسبهم الله عليها"[٢]..

فلقد صرح المسيحيون بعدم استطاعتهم فهم عقيدة التثليث وباستحالة التعبير عن كنهها وحقيقتها، ولذلك يعجزون عن تعليم هذه العقيدة لأحد أو إقناع أى إنسان بها، وفى هذا الموضوع نقل الشيخ رحمت الله الهندى قصة توضح عجزهم الحقيقى عن توصيل هذه العقيدة لأى إنسان، ونصها كما يلى.

" نقل أنه تنصر ثلاثة أشخاص، وعلمهم بعض القسيسين العقائد الضرورية لاسيما عقيدة التثليث أيضاً، وكانوا فى خدمته فجاء محب من أحباء هذا القسيس وسأله عمن تنصر؟ فقال: ثلاثة أشخاص تنصروا، فسأل هذا المحب: هل تعلموا شيئاً عن العقائد الضرورية؟ فقال نعم، وطلب واحداً منهم ليُرى محبه، فسأله عن عقيدة التثليث، فقال إنك علمتنى أن الآلهة ثلاثة أحدهم الذى هو فى السماء، والثانى تولد من بطن مريم العذراء، والثالث الذى نزل فى صورة الحمام على الإله الثانى بعدما صار ابن ثلاثين سنة، فغضب القسيس وطرده، وقال هذا جهول.

ثم طلب الآخر منهم وسأله فقال: إنك علمتنى أن الآلهة كانوا ثلاثة وصلب واحد منهم فالباقى إلهان، فغضب عليه القسيس وطرده.

ثم طلب الثالث - وكان ذكياً بالنسبة إلى الأولين وحريصاً فى حفظ العقائد - فسأله فقال : يا مولاى حفظت ما علمتنى حفظاً جيداً، وفهمت فهماً كاملاً بفضل الرب المسيح، إن الواحد ثلاثة والثلاثة واحد، وصلب واحد منهم ومات فمات الكل لأجل الاتحاد، ولا إله الآن وإلا يلزم نفى الاتحاد"[٣].

---

(١) القس بوطر: رسالة الأصول والفروع ص (٤٥).
(٢) محاضرات فى النصرانية ص (١٢٢).
(٣) إظهار الحق ص (٣٣٧-٣٣٨).

فلقد عجز هذا القسيس عن توصيل هذه العقيدة إلى فهم هؤلاء، لأنه أصلاً عاجز عن فهمها وتصويرها.

فهم عاجزون كل العجز عن تصوير عقيدة التثليث وتعليمها لأى إنسان ولذلك ينصحون أصحابهم بالاعتقاد بها دون شرحها أو فهمها، وإذا كان هؤلاء عاجزين عن فهمها فمن يستطيع أن يفهمها أو يوضحها؟؟

ولقد رأيت فى كتاب (الدين المسيحى) الذى كان مقرراً على طلاب الثانوية سنة ١٩٦١م ملاحظة كتبتها الهيئة المؤلفة للمدرس قائلين له: " إن موضوع الروح القدس [١].قد يرى أنه أشغل حيزاً كبيراً فى المنهج، غير أنه فى الواقع موضوع مختصر يمكن استيعابه فى حصص قليلة من غير إطالة فى الشرح، لأن كثرة الشرح فيه تزيده تعقيداً إذ أنه موضوع لاهوتى"[٢].

فهم يحاولون تنشئة التلاميذ والطلاب على الإيمان بهذه العقيدة دون الخوض فيها وإطالة الشرح لها، ولذلك أعلن المسيحيون أنه يجب على المسيحى أن يقبل هذه العقيدة بالإيمان فقط دون التفكير فيها، فعلى المسيحى أن يلغى عقله وفكره ولا يبحث فى عقيدة التثليث. عليه أن يسلم بها تسليماً مطلقاً دون بحث أو نظر.

يقول بنيامين بنكرتن: " وإذ أعلن الله لنا ثالوثه فى الكتاب المقدس [٣]. وهو جوهر المعتقد المسيحى فنحن نقبله بالإيمان لا بالعقل ولا نبحث فيه كأننا نقدر أن ندركه لأنه يفوق إدراكنا"[٤].

يقول الأستاذ محمد مرجان ـ **الذى كان مسيحياً وأنعم الله عليه بالإسلام** ـ: " ولقد قمت بنفسى بمناقشة كثير من الإخوة المسيحيين فى مدى فهمهم وتقبلهم لهذه العقيدة، تارة حين كنت محسوباً فى الجماعة المسيحية، وتارة بعد انسلاخى عنها، وكثير من هؤلاء المسيحيين أصدقاء وأقارب يولونى ثقتهم ويصدقونى الحديث

---

(١) وهو أول موضوع فى هذا الكتاب. وهو الأقنوم الوحيد الذى كان مقرراً على هؤلاء الطلاب.
(٢) الدين المسيحى للمرحلة الثانوية سنة ١٩٦١ص (٣).
(٣) وسوف نعرض بعد ذلك أدلتهم من الكتاب المقدس لنتعرف على صحة هذا الادعاء.
(٤) بنيامين بنكرتن: تفسير إنجيل متى ص (٥١).

فأخبرونى أنهم لا يستطيعون فهم كنه الثالوث المقدس ـ عندهم ـ وأن كثيرين منهم يعيشون فى صراع بين عقولهم وموروث معتقداتهم، وحين تناقشت فى ذلك مع بعض الآباء الكهنة أخبرونى أنه يجب الإيمان بالثالوث دون أى تمحيص أو تفكير، وأنه يلزم التسليم بهذا الاعتقاد الثالوثى تسليماً مطلقاً أى تسليماً أعمى"(١).

هذا وقد عاب المسيحيون على كل من يستخدم عقله فى هذه العقيدة، ومن يفعل ذلك يكون من الهراطقة الخارجين عن الدين المسيحى.

يقول أفغراف سميرنوف: " وهرطقة مضادى الثالوث ظهرت فى الكنيسة نتيجة لاعتماد بعض أعضائها على العقل فى قضية الديانة دون الإيمان"(٢).

والسؤال الآن ـ الذى يفرض نفسه ـ لماذا يحاول المسيحيون منع التفكير العقلى فى هذه العقيدة؟ لماذا يدعون إلى التسليم بها دون التفكير فيها؟

والجواب: لأنها تتصادم وتتناقض مع أبسط قواعد العقل والمنطق والحساب، فكيف يكون الثلاثة واحداً والواحد ثلاثة.

إن أبسط قواعد العقل أن الواحد لا يكون ثلاثة، والثلاثة لا تكون واحداً، وقواعد الحساب تقول إن ١+ ١ + ١ = ٣ ، وليست هناك قاعدة حسابية تقول إنها تساوى واحداً.

---

(١) الله واحد أم ثالوث ص (٧٣).

(٢) تاريخ الكنيسة المسيحية ص (٩٩).

أدلة المسيحيين على عقيدة التثليث

وكما هو واضح مما سبق أنه ليس للعقل مجال فى أدلتهم على عقيدة التثليث، وكل استدلالاتهم على هذه العقيدة من كتابهم المقدس بعهديه القديم والجديد.

ففى علم اللاهوت النظامى جاء ما يلى: " ولا ندعى أننا قادرون على بيان سر التثليث وذلك لعدم إيضاحه فى أسفار الوحى، لأن جل ما يتضح منها هو أن الله واحد فى ثلاثة أقانيم لكل منهم صفات اللاهوت حتى يمكن اعتبارهم إلهاً واحداً فى الجوهر لا ثلاثة آلهة "[١].

ويقول كلايد تارنر: " إن الثالوث هو من أعظم الأسرار إطلاقاً ولم نكن لنعرفه لو لم يعلن فى الأسفار المقدسة"[٢].

فالمسيحيون لا يلجأون فى الاستدلال على التثليث إلا إلى كتبهم المقدسة ، ولذلك يقولون بأن ما زاد على ما جاء فيها فهو من الأسرار المكنونة غير المدركة.

والسؤال الآن: هل كتابهم المقدس هذا فيه من النصوص والفقرات الواضحة التى تدل على عقيدة التثليث؟ أم أنهم استنتجوا ـ أو حمّلوا الألفاظ الموجودة فيه المعانى التى تدل على التثليث؟

وقبل أن نذكر أدلتهم بالتفصيل يجب أن نذكر بعض الحقائق الهامة التى لا يمكن إغفالها:

(١) إن الناظر فى كتابهم المقدس من أوله إلى آخره ـ بعهديه القديم والجديد ـ لا يجد الكلمات الدالة على هذه العقيدة، فلو قرأت العهد القديم والجديد سفراً سفراً، وإصحاحاً إصحاحاً، وكلمة كلمة لا تجد كلمة (تثليث) أو (ثالوث) ولا كلمة (أقنوم) أو (أقانيم) أو أى إشارة واضحة إليها، وهذه هى الكلمات الرئيسية فى هذه العقيدة، فالتثليث دال على وجود ثلاثة أقانيم فى الذات الإلهية، وكلمة (أقنوم) هى الدالة على التمييز بين هذه الأقانيم ـ مع عدم الانفصال ـ كما يقولون.

---

(١) علم اللاهوت النظامى ص (٢٩٤).

(٢) كلايد تارنر : هذه عقائدنا ص (٣٦).

(٢) إن أهل العهد القديم - وهم اليهود - لم يعرفوا التثليث ولا الأقانيم ولا اعتقدوا يوماً هذا المعتقد، ولا حدثهم به نبى من أنبيائهم، ولا كان لهم نظر فيه ولا علم به[١].

(٣) نعم توجد كلمات (الآب) و (الابن) و (الروح القدس) فى العهد القديم، ولكن لا يوجد فى كلام أحد من الأنبياء أنه عبر بهذه الألفاظ عما ذكروه من المعانى والعقائد.

(٤) إن المسيح عليه السلام كما فى كتبهم - لم يتحدث عن التثليث ولا عن الأقانيم، فلم تثبت الأناجيل المسيحية الحالية أى نص للمسيح يذكر فيه (التثليث) أو (الأقانيم) أو يعلم منه أن الله مثلت الأقانيم.

(٥) لم يثبت أيضاً أن أحداً من تلاميذ المسيح ذكر كلمه (تثليث) أو (أقنوم) أو اعتقد بأن الله مثلت الأقانيم.

أدلة المسيحيين على التثليث من العهد القدم[٢].

يعتقد المسيحيون أن العهد القديم يشير ويلمح إلى عقيدة التثليث، ففيه من الرموز والإشارات - كما يعتقدون - الدالة على التثليث المسيحى وأقانيمه.

يقول القس إنسطاسى شفيق: ومعرفتنا بهذه الشخصية المثلثة الأقانيم ليست إلا حقاً سماوياً - فى نظره - أعلنه لنا الكتاب فى العهد القديم بصورة غير واضحة المعالم"[٣].

ويقول كلايد تارنر: " وهذا التعليم - الثالوث - لمح إليه فى العهد القديم "[٤]..

ويقول أفلاطون مطران موسكو: " هذا السر - التثليث - لم يبين فى العهد القديم إلا بطريقة التلميح، وظهر فيه على سبيل التورية والرمز"[٥]..

---

(١) راجع: المسيح فى القرآن والتوراة والإنجيل ص (٢٦٩).

(٢) عن هذه الأدلة راجع: الدر الثمين فى إيضاح الدين ص (١٦٤) ، الثالوث ص (٧٩) وما بعدها، الخلاصة الشهية ص (٧٢)، الله ثالوث وحدانيته ص (٢١) وما بعدها.

(٣) اللاهوت فى إنجيل يوحنا ص (٢٣١).

(٤) كلايد تارنر: هذه عقائدنا ص (٣٦).

(٥) الخلاصة الشهية ص (٧٢).

وهذه الأقوال هى اعتراف مبدئى بعدم التصريح بعقيدة التثليث، وهو ما يعنى أنهم حمّلو الألفاظ ما تنوء به المعانى حتى يصلوا إلى غرضهم، وهو الاستدلال على هذه العقيدة بفقرات من العهد القديم.

ومع تحفظنا الشديد بأن العقائد لا تكون مجالاً للاستنتاجات البشرية والاحتمالات العقلية، فإننا سنورد أدلتهم، ونتبين هل هى فعلاً تشير إلى عقيدة التثليث؟ وهل تفهم منها دون عناء أو مشقة؟ وهل يستطيع أى عاقل أن يفهمها دون أن يكلف نفسه الدخول فى مجال الاستنتاج والاحتمال. أم لا؟.

أولاً: صيغ العظمة المنسوبة لله عز وجل فى العهد القديم:

أشار المسيحيون إلى أن هذه الصيغ لا تدل على العظمة الإلهية ،وإنما تشير إلى الأقانيم الثلاثة، وإلى اشتراكهم في الخلق والتدبير.

ويشيرون بذلك إلى ما جاء مثلا فى سفر التكوين من أن الله تعالى عندما شرع فى خلق الإنسان قال (نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا)[(١)].

يقول مفيد كامل: " لم يقل أعمل الإنسان على صورتى كشبهى، بل نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا، ودلالة ذلك أن الله الواحد فى جوهره إنما هو ثلاثة أقانيم، هؤلاء الأقانيم يشتركون معاً فى خلق الإنسان على صورتهم ومثالهم "[(٢)].

وهذه الفقرة لا تدل على التثليث إذ المعروف أن النون فى الفعل المضارع فى مثل هذا الموضع للمتكلم العظيم[(٣)].

واستدلوا أيضاً بما جاء فى سفر التكوين: أنه بعدما عصى آدم وصية الله قال الله عنه - كما يقولون - " هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفاً الخير والشر "[(٤)].

يقول عوض سمعان: " فقوله (كواحد منا) بهذا النص دليل على أن وحدانيته وحدانية جامعة وأن الجمع بالنسبة إليها هو الأقانيم"[(٥)].

---

(١) تكوين ١ : ٢٦ ،
(٢) الثالوث ص (٨٠).
(٣)يقول علاء الدين الباجى: " فإن قوله (لنعمل) صيغة أمر متوجهة نحو الآمر المتكلم لأن النون فى الفعل المضارع فى مثل هذا الموضع للمتكلم العظيم " (على التوراةص ٢٥)
(٤) تكوين ١١ : ٧.
(٥) الله ثالوث وحدانيته ووحدانية ثالوثه ص (٢٣).

ومن هذا القبيل أيضاً أنهم قالوا: إن الله قال عندما كثر شر الناس على الأرض هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم"[١].

واستدلوا أيضاً بما جاء فى سفر أشعياء " من أرسل ومن يذهب من أجلنا "[٢]... إلى غير ذلك من الأقوال المشتملة على الأساليب الدالة على التعظيم، وهم يستدلون بها على أن الله واحد مثلث الأقانيم.

وهو استدلال غير صحيح، فالأساليب التى أشار إليها المسيحيون لا تدل على أن الأقانيم ثلاثة، وإنما تدل على تعظيم الله سبحانه وتعالى لنفسه.

ولا معنى لقول قائلهم: " إن الله عظيم فى ذاته، ومن هو عظيم فى ذاته لا يلجأ إلى تعظيمها "[٣]، وذلك لأن الله سبحانه وتعالى هو وحده أحق بأن يعظم نفسه، وإذا كان البشر فى دنيا الناس يعظمون أنفسهم، وهم غير أهل لها، فكيف نستكثر هذا على العلى العظيم؟

على أننا لو سرنا مع هذا المنطق لقلنا إن الله لا يقول عن نفسه إنه العظيم، وإنه الملك وإنه الجبار المتكبر، وإنه سبحانه لا يصح أن يعرف البشر صفاته وأسماءه!! كيف هذا وهو سبحانه وتعالى عرفنا بصفاته عن طريق وحيه إلى رسله؟

يقول أبو الفضل المسعودى: " إذا كان شأن العبيد التواضع والانكسار فشأن الإله العظمة والكبرياء والصفات العلى والحمد والثناء، فهل فى كتاب جاء من عند الله أو آثارة من علم الله على لسان أنبياء الله أن الله تواضع لعبيده، إنما يصف نفسه بالعزة والحلم والعفو والمغفرة والصفح وليس ذلك من باب التواضع للعبيد بل من باب القدرة والإحسان والتفضل والامتنان"[٤].

ومن يراجع العهد القديم يجد هذه الصفات منسوبة إلى الله عز وجل، بل ويجد أن الله يعظم نفسه فيقول ـ على فرض أنها أقواله ـ " اسمى عظيم بين الأمم، وفى كل

---

(١) تكوين ١١ : ٧.
(٢) أشعياء ٦ : ٨.
(٣) الله ثالوث وحدانيته ص (٢٢).
(٤) المنتخب الجليل ص (٢٣)، راجع أيضاً: السيف الصقيل ص (١١٧).

مكان يقرب لا سمى بخور وتقدمة طاهرة لأن اسمى عظيم بين الأمم قال رب الجنود"[١].

وجاء أيضاً: " لأنى أنا ملك عظيم قال رب الجنود واسمى مهيب بين الأمم"[٢].

ومن ناحية أخرى فإن البشر حين يطلقون على أنفسهم هذه الأساليب التى تدل على التعظيم، هل يفهم أحد منها أنه يريد أن يقول عن نفسه إنه ثلاثة؟

" فإذا كان الواحد من الملوك يقول: إنّا، ونحن ، ولا يريدون أنهم ثلاثة ملوك، فمالك الملك رب العالمين ورب كل شئ ومليكه هو أحق بأن يقول: إنا ، ونحن ، مع أنه ليس له شريك ولا مثل بل له جنود السموات والأرض"[٣].

وعلى فرض أن هذه الأساليب تدل على تثليث الأقانيم فى الذات الإلهية ، هل يستطيع واحد من المسيحيين أن يقول إنها تدل على وحدة الثالوث؟.

هم يعتقدون أن الثلاثة واحد، فهل يستطيعون أن يثبتوا هذه الوحدانية من هذه الأساليب لو أنها دلت على التثليث؟.

" فمثلاً لو فرضنا أن جماعة مكونة من زيد، وعمر، ومحمد، وقالوا (قمنا) أو (جلسنا) هل هذا اللفظ - وإن دل على أنهم جماعة - هل يدل على أنهم واحد فى الذات والصفات؟، وهل الأوضاع اللغوية يمكن أن يؤخذ منها أن الثلاثة صاروا واحداً"؟[٤].

ثانياً: نجدهم يستدلون ببعض فقرات العهد القديم التى فيها تكرار للفظ (الرب) أو (الإله) فيقولون إن هذا دليل على أن الله مثلث الأقانيم.

فمثلاً يستدلون بما جاء فى سفر الخروج " ثم قال أنا إله أبيكم إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب"[٥].

---

(١) ملاخى ١ : ١١.

(٢) ملاخى ١ : ١٤.

(٣) الجواب الصحيح (٢ / ٢٣٥).

(٤) الشيخ عبد الرحمن الجزيرى: أدلة اليقين ص (٢٢١).

(٥) خروج ٣ : ٦.

وفى السفر نفسه : " قال الله أيضاً لموسى هكذا تقول لبنى إسرائيل يهوه إله آبائكم إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب أرسلنى إليكم "[١].

يقول مفيد كامل : " فى البداية يذكر اسم العلم (يهوه) الذى للمفرد للدلالة على الوحدانية، ثم يكرر كلمة (إله) ثلاث مرات للدلالة على التثليث الأقنومى ويختتم العبارة بقوله : (هذا اسمى إلى الأبد) تأكيداً منه لحقيقة الوحدانية فى الثالوث "[٢]. وهذا المعنى قاله أيضاً الأنبا ساويرس[٣].

ونتعجب من هذا الاستدلال، فهذه الفقرات وغيرها كان اليهود يقرءونها قبل ظهور المسيحية بمئات السنين ومع ذلك لم نسمع أن أحداً منهم فهم مثل هذا الفهم أو قال إنها تدل على التثليث.

على أننا لو التزمنا بالنص - وفهمناه بفهم المسيحيين - لقلنا إن الأقانيم أربعة وليست ثلاثة، فالفقرة واضحة فى تكرار لقب (إله) أربع مرات.

بل قل إن الأقانيم أكثر من أربعة، فالله سبحانه وتعالى بجانب كونه إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فهو أيضاً إله آدم، ونوح، وإسماعيل، وداود، وسليمان، وهو أيضاً إله كل شئ، وهو سبحانه إله العالمين، فهل لنا أن نعدد أقانيمه بحسب كونه إلهاً لكل المخلوقات؟؟

فيلزمهم على ذلك تعدد الأقانيم فى الذات الإلهية بتعدد اللفظ. فإذا ذكر لفظ إله مرتين فالأقانيم اثنين، وإذا ذكر أكثر من ذلك فالأقانيم تتعدد بحسب تكرار هذا اللفظ.

على أننا لو سلمنا أن هذا النص يدل على التثليث - على فرض صحته - فهل يمكن أن يدل على وحدة الجوهر؟

الواقع أننا لو نظرنا إلى النص بنظرة المسيحيين نقول إنه لا يدل على وحدة الذات ولا على وحدة الجوهر، فإن لقب (إله) ورد مكرراً بالعطف والعطف يقتضى المغايرة.

---

(١) خروج ٣: ١٥.

(٢) الثالوث ص (٨٢).

(٣) الدر الثمين فى إيضاح الدين ص (١٦٥).

يقول ابن تيمية فى الرد على هذا الاستشهاد: " والجواب أن الاحتجاج بهذا[١] على الأقانيم الثلاثة من أفسد الأشياء، وذلك يظهر من وجوه:

أحدهما: أنه لو أريد بلفظ الإله أقنوم الوجود، وبلفظ الإله مرة ثانية أقنوم الكلمة، وبالثالث أقنوم الحياة، لكان الأقنوم الأول إله إبراهيم، والأقنوم الثانى إله إسحاق، والأقنوم الثالث إله يعقوب، فيكون كل من الأقانيم الثلاثة إله أحد الأنبياء الثلاثة، والأقنومين ليس بإلهين له. وهذا كفر عندهم، وعند جميع الملل.

وأيضاً فيلزم من ذلك أن يكون الآلهة الثلاثة ثلاثة وهم يقولون إله واحد، ثم هم إذا قالوا: كل من الأقانيم إله واحد فيجعلون الجميع إله كل نبى، فإذا احتجوا بهذا النص على قولهم لزم أن يكون إله كل نبى ليس هو إله النبى الآخر مع كون الآلهة ثلاثة.

الوجه الثانى: أن يقال : إن الله رب العالمين، ورب السموات، ورب الأرض، ورب العرش، ورب كل شئ ،فيلزم أن يكون رب كل شئ، ويقال إله موسى وإله محمد، مع قولنا إله إبراهيم وإسحاق أفتراه أثبت إلهين أحدهما إلهه والآخر إله الثلاثة"[٢].

ثم يقول: " فإنه إذا قيل إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب دل على عبادة كل منهم باللزوم، وإذا قال " وإله " دل على معبود كل من الثلاثة، فأعاده باسم الإله الذى يدل على العبادة دلالة باللفظ المتضمن لها وفى ذلك من ظهور المعنى للسامع"[٣].

فاستشهادهم بتكرار لفظ (إله) فى النص المشار إليه لا يدل على التثليث.

❖ ومن هذا القبيل أيضاً استشهادهم بتكرار لفظ (رب) فى سفر العدد.

يقول النص: " هكذا تباركون بنى إسرائيل قائلين لهم، يباركك الرب ويحرسك، ويضئ الرب بوجهه عليك ويرحمك، يرفع الرب وجهه عليك ويمنحك سلاماً[٤].

---

(١) يشير إلى النص السابق ذكره الذى استشهد به المسيحيون على التثليث.
(٢) الجواب الصحيح (٢ / ٢٤٠).
(٣) المرجع السابق (٢ / ٢٤١).
(٤) عدد ٦ : ٢٢.

يقول مفيد كامل: " فتكرار كلمة (الرب) هنا ثلاث مرات مع اقتران ذكرها بأعمال إلهية خاصة يدلنا أولا على التثليث الأقنومى فى جوهر اللاهوت، ويدلنا ثانياً على طبيعة عمل الأقانيم[١].

وهذا النص من نفس نمط تكرار لفظ (إله) فهو لا يقتضى تعدد الأرباب والآلهة - أو الأقانيم - نتيجة لتكرار اللفظ، ولو كان الأمر كذلك لجعلنا الأقانيم اثنين أو أربعة أو أكثر إذا تكرر اللفظ مرتين، أو أربعة أو أكثر من ذلك[٢].

على أنه يجب التنبيه أيضاً: أن هذا النص لو فُهم بفهم المسيحيين لدل على تعدد الأرباب دون وحدة الثالوث.

❖ ومن هذا القبيل أيضاً ما جاء فى سفر أشعياء " وهكذا نادى ذاك وقال قدوس، قدوس، قدوس رب الجنود مجده ملء كل الأرض "[٣].

يقول مفيد كامل: " فتقديس الملائكة له ثلاث مرات واقتصارهم على ذلك بلا زيادة ولا نقصان سر لتقديسهم الأقانيم الإلهية الثلاثة "[٤].

وهذا النص كسابقيه لا يفهم منه التثليث، والمفهوم منه أنهم يقدسون ثلاث مرات لا ثلاثة أقانيم ولا ثلاثة آلهة.

هذه هى أهم أدلة المسيحيين من العهد القديم على التثليث.

❖ وهناك بعض الأدلة الأخرى التى ذكروها مثل ذكر لقب (ابن)، فكلما وجد المسيحيون هذا اللقب فى العهد القديم، قالوا إن المراد به هو الأقنوم الثانى، ومثال ذلك ما جاء فى المزمور الثانى " أنت ابنى أنا اليوم ولدتك "[٥].

وكذلك إذا جاء لفظ (روح الله) قالوا المراد به الأقنوم الثالث، ومثال ذلك ما جاء فى المزامير " ترسل روحك فتخلق "[٦].

---

(١) الثالوث ص (٨٣).
(٢) راجع المزمور السادس عشر
(٣) أشعياء ٦ : ٣.
(٤) الثالوث ص (٨٧).
(٥) مزمور ٢ : ٧.
(٦) مزمور ١٠٤ : ٣٠.

وهى ألقاب لا تدل على أقانيم المسيحيين، فالبنوة لله مجازية يراد منها الطاعة والولاء لله عز وجل، وروح الله بمعنى ما ينزله الله على عباده من وحى سواء كان عن طريق الملك الموكل بالوحى أو عن طريق الإلهام أو غير ذلك.

ولقد بينا سابقاً المعنى الحقيقى لهذه الألقاب، وأشرنا إلى أن لها معانى أخرى غير ما أراده المسيحيون منها.

تعقيب:

وإذا كان لنا من تعليق على هذا الأدلة جميعها فإننا نقول ـ على فرض أنها تدل على التثليث ـ فإنها ليست صريحة ولا ثابتة بالأدلة القطعية، ذلك أن العقائد لابد أن تكون صريحة، والأدلة عليها قطعية الثبوت وقطيعة الدلالة، بمعنى أن تكون مطلوبة من الإنسان على وجه القطع واليقين لا على وجه التلميحات التى يكتنفها الشك والاحتمال من كل جانب، وهذا الشرط غير متوافر فى هذه الأدلة، فنسبة العهد القديم وكذا العهد الجديد ـ إلى الله نسبة غير صحيحة، ذلك أن نسبة الأسفار إلى أصحابها غير مؤكدة، هذا فضلاً عن أنها مليئة بالتناقضات والاختلافات بل والأخطاء والتى لا يمكن معها نسبتها إلى الله تعالى[١].

ومن ناحية أخرى فإن هذه الأدلة ظنية الدلالة بمعنى أنه ـ جدلاً ـ يحتمل أن يراد بها هذا المعنى، ويحتمل أن يراد بها معنى آخر، والدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال خاصة وأنها أدلة عقيدة أساسية يجب أن تأتى صريحة، وأن يكون الاستدلال عليها بأدلة قطعية لا مجال لأن يدخل إليها الشك أو الظن أو الاحتمال.

والمسيحيون أنفسهم يعترفون بأنها أمور ظنية وذلك حين قالوا إنها إشارات أو رموز أو تلميحات للتثليث.

والإشارات والتلميحات لا تكفى لأن تكون أدلة لعقيدة أساسية، إذْ كيف يمكن أن تترك العقيدة لاجتهادات شخصية أو استنتاجات عقلية؟ أو كيف يلقى الله الحجة على عباده بالرمز والإشارة دون التصريح والتوضيح؟

وهنا سؤال يفرض نفسه: لماذا لم تذكر عقيدة التثليث صراحة فى العهد القديم؟ لماذا ذكرت بالإشارة والتلميح دون التصريح؟

والجواب عند المسيحيين أنها ذكرت بالإشارة لتهيئة الناس إليها.

---

(١) راجع رسالتنا للماجستير: الخلاص المسيحى ونظرة الإسلام إليه ص (١٠ ـ ١٨).

يقول القس إنسطاسى شفيق: " إن العهد القديم يهيئنا تهيئة يقينية ولو أنها تدريجية لبزوغ نور هذا الحق ـ يقصد الثالوث ـ واقتباله على الأثر فى قلوبنا "(١).

وهذه الإجابة خاطئة، فلقد أثبت العلماء الباحثون وجود عقيدة التثليث عند أكثر الأمم الوثنية القديمة، فهل وصل الناس إليها بالعقل أم بالوحى، فإذا كان الأول فما معنى تهيئة النفوس أو عدم الاستعداد؟

وإذا كان الثانى فلم أوحيت إلى هؤلاء الناس ـ الذين كانوا يؤمنون بها ـ ولم توح إلى شعب إسرائيل ـ شعب الله المختار ـ كما يقولون؟ وما معنى هذه التهيئة وتلك الاستعداد؟ وهل كان الناس غير قادرين على فهم هذه العقيدة ثم فهموها، مع أنها ما فهمت قط ولن تفهم أبداً !!(٢).

أدلة المسيحيين على التثليث من العهد الجديد

برغم أن كلاً من كلمتى (تثليث) و (أقنوم) لم تردا فى العهد الجديد إلا أن المسيحيين يعتقدون ويعلمون " بأن العهد الجديد يعلم ويشهد بالثالوث صريحاً وبكل جلاء "(٣).

يقول كلايد تارنر: " وظهر الثالوث جلياً فى العهد الجديد "(٤).

ويقول مفيد كامل : " كانت هناك إعلانات واضحة وتصريحات جلية عن الثالوث فى العهد الجديد "(٥).

وعمدة ما استدلوا به من العهد الجديد على عقيدة التثليث ما يلى:(٦).

١ـ يقول مفيد كامل (٧): " أعلن الملاك جبريل الثالوث عندما دخل إلى العذراء مريم يبشرها بولادة المسيح قال لها " الروح القدس يحل عليك، وقوة العلى تظلك فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله "(٨).

---

(١) اللاهوت فى إنجيل يوحنا ص (٨٢).

(٢) د/ محمد توفيق صدقى: دين الله فى كتاب أنبيائه ص (٤٣) بتصرف

(٣) الخلاصة الشهية ص (٧٢).

(٤) كلايد تارنر: هذه عقائدنا ص (٣٦) ، راجع اللاهوت فى إنجيل يوحنا هامش ص (٢٣١).

(٥) الثالوث ص (٩٣).

(٦) المرجع السابق ص (٩٣)، الله ثالوث وحدانيته ص (٣٩) وما بعدها، الخلاصة الشهية ص (٧٢، ٧٣)، راجع أيضاً: يسوع المسيح ص (٧٦).

(٧) الثالوث ص (٩٣)

(٨) لوقا ١ : ٣٥.

٢ـ ويقول[١]: لقد أعلن الثالوث مرة أخرى عند عماد المسيح " فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء، وإذا السموات قد انفتحت فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وآتياً عليه صوت من السماء قائلاً هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت"[٢].

٣ـ ويقول: " ولقد أعلن الثالوث صراحة قبل صعود السيد المسيح إلى ملكوت السموات إذ قال لتلاميذه: اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس "[٣].

٤ـ ويقول [٤]: " وإن هذا الثالوث واحد ـ كما فى رسالة يوحنا ـ: فالذين يشهدون فى السماء هم ثلاثة الآب، والكلمة، والروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هم واحد"[٥].

هذه هى أهم أدلة المسيحيين على التثليث وإعلانه صراحة ـ كما يقولون ـ فى العهد الجديد.

والحقيقة أننا لو نظرنا فى هذه الأدلة لا نجد فيها تصريحاً ولا إعلاناً واضحاً عن هذه العقيدة، ولا أدرى كيف فهم المسيحيون من هذه الفقرات عقيدة التثليث؟

فالمتأمل فى هذه الفقرات يجد أنها لا تدل على شئ مما يعتقدون.

- فالقول الأول من جبريل "إنما هو يبشرها بأن الله سيشملها بعنايته ويظللها بقوته فتحمل من غير أن يمسها بشر ويكون ولدها محبوباً لله"[٦].
- والقول الثانى ـ على فرض أنه صحيح ـ يعنى أن المسيح عندما اعتمد رأى جبريل نازلاً عليه من السماء يبشره بأنه محبوب عند الله.

---

(١) الثالوث ص (٩٣)

(٢) متى ٣ : ١٦.

(٣) متى ٢٨ : ١٨.

(٤) الثالوث ص (٩٤).

(٥) ١ـ يوحنا ٥ : ٧.

(٦) د/ إبراهيم سلامة: القرآن وعقائد أهل الكتاب (رسالة دكتوراة) ص (٢٣١).

- أما القول الثالث والرابع: فهما من الأدلة المشهورة والهامة عند المسيحيين على عقيدة التثليث، وعلى كون الثالوث واحداً، ولذلك سنتوقف عندهما قليلاً.

- فالنص الأول منهما من إنجيل متى ـ ولم تذكر الأناجيل الأخرى هذا النص ـ وهو ليس بالإنجيل الذى يعتمد عليه فى إثبات عقيدة أو نفيها، خاصة بعد أن تبين أن كاتبه مجهول، والنسخة الأصلية غير موجودة، والمترجم غير معروف، كل هذه الأمور تجعل هذا الإنجيل غير أهل للثقة فيما أخبر به أو دل عليه.

ومن ناحية أخرى لو نظرنا إلى النص نفسه ـ على فرض أنه صحيح ـ وفهمناه فهماً حقيقياً لوجدنا أنه نص عادى لا يدل على ما اعتقدوه من التثليث، وأن الأقنوم الأول هو الذات والثانى هو النطق أو العلم والثالث هو الحياة.

" فالمعنى المفهوم [1]ـ كما يقول أبو الفضل المسعودى ـ عمدوهم ببركة الله ورسوله والملك المؤيد للأنبياء "[2]خاصة بعد أن بينا سابقاً أن لقب (الابن) و (الروح القدس) لهما معانى أخرى غير ما أراده المسيحيون منهما.

يقول ابن تيمية فى مناقشة هذا النص: " هذا عمدتكم على ما تدعونه من الأقانيم الثلاثة وليس فيه شئ يدل على ذلك نصاً ولا ظاهراً، فإن لفظ الابن لم يستعمل قط فى الكتب الإلهية فى معنى صفة من صفات الله، ولم يسم أحد من الأنبياء علم الله ابنه، ولا سموا كلامه ابنه، ولكن عندكم أنهم سموا عبده أو عباده ابنه أو بنيه، وإذا كان كذلك فدعواكم أن المسيح أراد بالعلم ابن الله وكلامه دعوى فى غاية الكذب على المسيح، وهو حمل للفظ على ما لم يستعمله. هو ولا غيره فيه لا حقيقة ولامجازاً، فأى كذب وتحريف لكلام الأنبياء أعظم من هذا؟[3].

---

(١) يقول ابن تيمية فى معنى هذا النص: ومراده مروا الناس أن يؤمنوا بالله ونبيه الذى أرسله وبالملك الذى أنزل عليه الوحى الذى جاء به فيكون ذلك أمراً لهم بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله " راجع: الجواب الصحيح (٢ / ٩٨).

(٢) أبو الفضل المسعودى: المنتخب الجليل ص (٦٤).

(٣) الجواب الصحيح (٢ / ١٣١ـ ١٣٢).

" ولو كان لفظ الابن يستعمل فى صفة الله لسميت حياته ابناً وقدرته ابناً، فتخصيص العلم بلفظ (الابن) دون الحياة خطأ ثان لو كان لفظ الابن يستعمل فى صفة الله، فكيف إذا لم يكن كذلك؟ وكذلك روح القدس لم يستعملوها ـ أى الأنبياء ـ فى حياة الله، ولا أرادوا بهذا اللفظ حياة الله التى هى صفته وإنما أرادوا بذلك ما ينزله الله على الصديقين والأنبياء "(١).

على أن هذا النص ـ وإن صح أنه يدل على التثليث ـ لا يدل على توحيد الثالوث، فالنص لا يقول إن الثلاثة هم إله واحد أو جوهر واحد، بل الظاهر أنه أفاد أن كل واحد منهم غير الآخر تماماً، لأن الابن معطوف على الآب، والروح القدس معطوف على الابن، والعطف يقتضى المغايرة.

وأمر آخر هو فى غاية الأهمية : ذلك أن هذا النص غير قاطع فى الدلالة على التثليث، فهو ـ وإن صح أنه قول المسيح ـ من النصوص التى تحتمل أكثر من معنى.

يقول القرطبى ـ صاحب كتاب الإعلام ـ عن هذا النص: " لا حجة لكم فيه إذ ليس بنص قاطع، بل هو مما تقولون أنتم فيه متشابه، فإنه يحتمل أن يكون مراده: عمدوهم على تبركهم بهذا القول ، كما يقول القائل : كل على اسم الله، وامش على اسم الله، أى على بركة اسم الله، ولم يعين الآب والابن من هما؟ ولا ما المعنى المراد بهما؟ فلعله أراد بالآب هنا: الملك الذى نفخ فى مريم أمه الروح إذ نفخه سبب علوق أمه وحبلها به، وأراد بالابن : نفسه إذ خلقه الله تعالى من نفخة الملك، فالنفخة بمثابة النطفة فى حق غيره"(٢).

وهذا يعنى أن هذا الدليل بجانب أنه ظنى الثبوت فهو أيضاً ظنى الدلالة، والدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال.

---

(١) المرجع السابق (٢ ، ١٣٢).

(٢) القرطبى : الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام ص (٦٤) ثم يقول بعد ذلك " ثم لا يبعد فى التأويل ـ إن صح أن عيسى أنه كان يطلق على الله لفظ الآب ـ أن يكون مراده به أنه ذو حفظ ، وذو رحمة وحنان عليه، وعلى عباده الصالحين، فهو لهم بمنزلة الآب الشفيق الرحيم، وهو له فى القيام بحقوقه وعبادته بمنزلة الولد البار ". المرجع السابق ص (٦٥).

❖ أما النص الثانى فهو من رسالة يوحنا الأولى ونصه: " فالذين يشهدون فى السماء هم ثلاثة: الآب والكلمة ، الروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هم واحد"[١].

ونسبة هذه الرسالة إلى يوحنا ـ تلميذ المسيح ـ مشكوك فيها، فالرسالة لا تذكر اسم الكتاب ولا اسم المكتوب إليهم، بل ولا توجد فيها خاتمة رسائل أيضاً، وهى مختلفة كل الاختلاف عن الإنجيل المنسوب إلى يوحنا، وعن الرسالتين الأخرتين المنسوبتين إلى يوحنا وهما الرسالة الثانية والثالثة [٢]..

هذا بالنسبة لأمر رسالة يوحنا الأولى ككل.

أما بالنسبة لهذه الفقرة بالذات فإن بعض المسيحيين ينكرونها، ويقرون بأنها لم تكن موجودة فى النسخ الأصلية وإنما أضيفت بعد ذلك.

ولا زال بعض البروتستانتيين ـ إلى الآن ـ لا يذكرونها فى نسخهم وترجماتهم الخاصة بفرقتهم، وبين يدى الآن ترجمة جديدة للعهد الجديد لم أجد فيها هذا النص، بينما ورد فيها النص كما يلى: " فإن هنالك ثلاثة شهود: الروح، والماء، والدم، وهؤلاء الثلاثة هم فى الواحد"[٣].

ولقد نقل الشيخ رحمت الله الهندى أقوال كثيرين من المسيحيين الذين يقرون بأن هذا النص مضاف إلى الأصل.

يقول الشيخ رحمت الله الهندى: " (وكريسباخ)، (وشولز) متفقان على إلحاقية هذه الفقرة، (وهورن) مع تعصبه قال إنها إلحاقية واجبة الترك، وجامعو تفسير (هنرى)و (اسكات) اختاروا قول (هورن)، (وآدم كلارك) أيضاً مال إلى إلحاقيتها، وكذلك (اكستاين) الذى كان أعلم علماء المسيحيين المثلثين فى القرن الرابع من القرون المسيحية "[٤].

---

(١) ١ ـ يوحنا ٥ : ٧.

(٢) راجع المدخل إلى العهد الجديد ص (٥٧٥ ، ٥٧٦).

(٣) كتاب الحياة (ترجمة تفسيرية للإنجيل ١ ـ يوحنا ٥ : ٧) وهو كتاب متداول ومشهور.

(٤) إظهار الحق ص (٢٣٦).

ويقول : " وأقر صاحب ميزان الحق - القسيس فندر - على رؤوس الأشهاد فى المناظرة التى وقعت بينى وبينه سنة ألف ومائتين وسبعين من الهجرة - أنها محرفة - وعلى ذلك لا ينكر التحريف فى عبارة يوحنا إلا مكابر عنيد "[١].

ثم يذكر قول (هورن) وأدلة القائلين بكذب هذا النص فيقول " للذين يثبتون أن هذه العبارة كاذبة وجوه:

الأول : أن هذه العبارة لا توجد فى نسخة من النسخ اليونانية التى كتبت قبل القرن السادس عشر.

والثانى: أنها لا توجد فى النسخ المطبوعة التى طبعت بالجد والتحقيق التام فى الزمان الأول.

والثالث: أنها لا توجد فى ترجمة من التراجم القديمة غير اللاتينية.

والرابع: أنها لا توجد فى أكثر النسخ القديمة اللاتينية.

والخامس: أنها لم يتمسك بها أحد من القدماء ومؤرخى الكنيسة.

والسادس : أن أئمة فرقة البروتستانت ومصلحى دينهم إما أسقطوها، أو وضعوا عليها علامة الشك"[٢].

وهذا النص - على علاته - يمكن أن يكون له فهم آخر غير الذى أراده المسيحيون منه، فالنص لم يذكر أن هؤلاء الثلاثة هم إله واحد، صحيح أنه قال هم واحد - ولم يقل هم إله واحد - " وعلى هذا يمكن فهم معناه على أن الثلاثة واحد فى المنزلة والمجد والعظمة، أو أن الثلاثة هم واحد فى الرأى والقصد والفكر، وما مثل وحدانيتهم إلا كمثل وحدانية تلاميذ المسيح - الذى قال المسيح عنهم كما يحكى إنجيل يوحنا - " أيها الآب احفظهم فى اسمك الذى أعطيتنى ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد "[٣]، فما يراد من معنى قول المسيح الأخير يراد مثله فى قول يوحنا فى الرسالة الأولى "[٤].

---

(١) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٣) يوحنا ١٧ : ١١.

(٤) راجع عقيدتنا التثليث والصلب فى المسيحية وموقف الإسلام منهما ص (١١ ، ١٢).

والمقصود هنا أن هذا النص بجانب أنه محرف ودخيل على الرسالة المنسوبة إلى يوحنا ـ وهى نسبة مشكوك فيها ـ فهو أيضاً غير قاطع فى عقيدة التثليث المسيحية، وغير قاطع فيما أراده المسيحيون من الاستدلال به.



هذه هى أهم أدلة المسيحيين على التثليث من العهد الجديد، وهى كما ترى غير قطعية الثبوت وغير قطعية الدلالة، فالعهد الجديد قامت الأدلة القاطعة على أنه من وضع البشر، وليس من عند الله، فلا يصلح لأن يكون حجة على ما يتصل بذات الله تعالى.

هذا فضلاً عن أن الأدلة التى ساقها المسيحيون على التثليث أدلة ظنية تحتمل أكثر من معنى والاحتمال إذا دخل إلى الاستدلال أبطله، على أنه يمكن القول ـ كما ظهر مما سبق . إن عقيدة التثليث أبعد المعانى المحتملة لهذه الأدلة خاصة وأن العهد الجديد مليئ بالفقرات التى تصرح بالتوحيد الخالص وترد كل قول بأن الله مثلث الأقانيم.

من ذلك مثلاً ما جاء فى إنجيل مرقس من أن أحد الكتبة سأل المسيح عليه السلام عن أول الوصايا، فأجابه المسيح " إن أول كل وصية هى اسمع يا إسرائيل[١]. الرب إلهنا رب واحد "[٢]، فيرد عليه هذا الكاتب قائلاً: " جيدا يا معلم، بالحق قلت لأن الله واحد وليس آخر سواه "[٣].

وكذلك أيضاً ما جاء فى إنجيل متى، من أن المسيح بينما كان يسير فى الطريق " وإذا واحد تقدم وقال أيها المعلم الصالح أى صلاح أعمل لتكون لى الحياة الأبدية فقال له لماذا تدعونى صالحاً، ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله "[٤].

ويورد يوحنا فى إنجيله إحدى المناجاة للمسيح الذى يقول فيها ـ على فرض أنها مناجاة المسيح ـ " وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته "[٥].

---

(١) يشير المسيح عليه السلام بذلك إلى ما جاء فى سفر التثنية ٦ : ٤.
(٢) مرقس ١٢ : ٢٩.
(٣) مرقس ١٢ : ٣٢، عن هذه الحادثة كلها راجع مرقس ١٢ : ٢٨ ـ ٣٤.
(٤) متى ١٩ : ١٦، ١٧، راجع أيضا مرقس ١٠ : ١٧، ١٨.
(٥) يوحنا ١٧ : ٣.

إلى غير ذلك من الفقرات الواضحة المنسوبة إلى المسيح عليه السلام والتى يتحدث فيها عن الله بأنه الواحد الأحد.

ولم يرد فى هذا الأناجيل ـ على فرض صحتها ـ أن المسيح تحدث عن الله بالمفهوم المسيحى وهو أن الله ذو أقانيم ثلاثة، فلو أن هذه العقيدة من تعاليم المسيح لحدث الناس بها وعلم أصحابه وتلاميذه إياها، ولما تركها للناس من بعده يفهمونها ويستنتجونها.

ولو كانت هذه العقيدة ضمن رسالته لكان أولى الناس بتبليغها وتبيينها للناس وشرحها لهم، وإلا لاعتبر أن المسيح قد قصر فى تأدية الرسالة، أو لم يؤدها على الوجه الأكمل وهو مستحيل على رسل الله.

والخلاصة:

(١) إن المسيحيين لم يعتمدوا على العقل فى الاستدلال على عقيدة التثليث، وقالوا إنها من الأسرار التى لا يكتنه العقل سرها[١]، ونحن لن نعلق على هذا إلا بالقول بأنهم فعلوا ذلك لأن هذه العقيدة مناقضة للعقل أشد التناقض، ومستحيلة الفهم، إذ لا يمكن الجمع بين التثليث والتوحيد.

(٢) إن أدلتهم النقلية التى استندوا إليها، واقتطعوها من الكتاب المقدس غير قطعية الثبوت وغير قطعية الدلالة، والاستدلال إذا نفذ إليه الاحتمال أسقطه وأبطله.

(٣) إن المسيح عليه السلام ـ وهو رسول الديانة التى يدعون أنهم ينتسبون إليها ـ لم يذكر كلمة (التثليث) ولا كلمة (الأقنوم) ولم يتحدث عن الله بالمفهوم المسيحى التثليثى، وإذا كان المسيح لم يتحدث عن عقيدة التثليث، فمن أين جاء بها المسيحيون؟ من أين استقى المسيحيون هذه العقيدة؟؟؟

الواقع أننا سنرجئ الإجابة على هذه الأسئلة قليلا إلى ما بعد نظرة سريعة ننظر فيها كيف تكونت هذه العقيدة عندهم حتى وصلت إلى ما هى عليه الآن؟ وكيف فرضت وأصبحت هى العقيدة الأساسية في المسيحية؟.

---

(١) راجع الرد على هذا القول فى نهاية هذا الفصل.

كيف تكونت عقيدة التثليث عند المسيحيين

إن عقيدة التثليث المسيحية لم تظهر دفعة واحدة، بل تجمعت وتكونت فى فترات طويلة من تاريخ هذه الديانة.

والمتتبع لهذه العقيدة لا يجد لها أثراً فى بداية تاريخ هذه الديانة، فالمسيح عليه السلام كما قلنا سابقاً ـ لم يتحدث عن هذه العقيدة بأى وجه كان، ولم يؤثر عن تلاميذ المسيح أن أحداً منهم كان يعتقد بهذه العقيدة، أو يتحدث بها.

تقول دائرة معارف (لاروس) الفرنسية: " إن تلاميذ المسيح الأولين الذين عرفوا شخصه، وسمعوا قوله، كانوا أبعد الناس عن الاعتقاد بأنه أحد الأركان الثلاثة المكونة لذات الخالق، وما كان بطرس تلميذ المسيح يعتبر المسيح أكثر من رجل يوحى إليه"[١].

والأناجيل المسيحية الحالية أيضاً لا تجد فيها أى حديث عن التثليث وتعاليمه، بل تجدها تصور المسيح عبداً لله ورسوله وأن الله واحد لا شريك له[٢]، فلا تجد فيها أى دليل على أن المسيح إله أو أنه أحد الأقانيم الثلاثة التى تصور الذات الإلهية فى المعتقد المسيحى. أو بعبارة أدق لا تجد فيها شيئاً يمكن أن تقوم عليه عقيدة مضمونها أن الله ذو أقانيم ثلاثة هى الآب، والابن، والروح القدس.

وأما ما استشهد به المسيحيون من هذه فهو إما من المتشابه الذى يحتمل أكثر من معنى، ويكون التثليث أبعد المعانى المحتملة، وإما أنه لا يفيد التثليث بأى وجه من الوجوه، أو أنه من الفقرات الملحقة والمضافة بعد تقرير عقيدة التثليث فيما بعد.

أما إذا ولينا وجوهنا تجاه رسائل بولس فسنجد فيها نوعاً جديداً من التعاليم ونمطاً جديداً من العقائد، " فهى تحتوى على عبارات لاهوتية غامضة يمكن أن تحمل على

---

(١) نقلاً عن عبد الله العلمى: سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية ص (١٩).

(٢) ليس معنى ذلك أننا نثق بهذه الأناجيل ونسلم بها، وإنما تحدثنا عنها بهذه الصورة لأن المسيحيين يستدلون ببعض فقراتها على عقيدة التثليث، والحقيقة أن المسيحيين تركوا الفقرات الكثيرة الواضحة والدالة على عبودية المسيح لله واستشهدوا بالفقرات المتشابهات التى تحتمل المعانى الكثيرة، ويعتبر التثليث أبعد المعانى المحتملة.

محاميل شتى من بينها أن يكون المسيح ابن الله بمعنى لاهوتى هو الولادة العقلية، ولهذا اعتمدت المسيحية كثيراً على مقولات (بولس) فى تصوير العقيدة المسيحية على النحو الذى تشكلت به فى المجامع المسيحية "(١).

يقول ول ديورانت: " وأضاف بولس إلى هذا اللاهوت الشعبى الموسوى بعض آراء صوفية غامضة كانت قد ذاعت بين الناس... من ذلك قول بولس إن المسيح هو (حكمة الله)(٢) و (ابن الله الأول)(٣)، " بكر كل خليقة، فإن فيه خلق الكل، الكل به وله قد خلق، الذى هو قبل كل شئ وفيه يقوم الكل"(٤)، وليس هو المسيح المنتظر (المسيا) اليهودى الذى سينجى إسرائيل من الأسر ،بل هو الكلمة الذى سينجى الناس كلهم بموته "(٥).

وتقول دائرة معارف (لاروس) الفرنسية: " إن بولس خالف عقيدة التلاميذ الأولين لعيسى، وقال إن المسيح أرقى من إنسان، وهو نموذج إنسان جديد، أى عقل سام متولد من الله"(٦).

وعلى هذا يمكن القول إن جذور العقائد المسيحية تجد لها أصلاً فى رسائل بولس وهذا يعنى أن بولس وضع بداية عقيدة التثليث.

يقول حبيب سعيد: " ولم يكن الوقت قد حان للتأويل الكامل فى العصر الرسولى، ولم يتطور الفكر اللاهوتى فى تلك الفترة ليصاغ فى عقيدة لفظية واضحة المعالم "(٧).

فجذور عقيدة التثليث بدأت من بولس، ولكن لم تكن الصورة قد اكتملت ولم يكن المناخ قد ناسب أن تصاغ فى قانون إيمانى، خاصة وأنهم كانوا قريبى عهد

---

(١) المسيح فى القرآن والتوراة والإنجيل ص (٣٠٤).
(٢) ١ - كورنثوس ١ : ٢٤.
(٣) عبرانيين ١ : ٥، ٦.
(٤) كولوسى ١ : ١٥ - ١٧.
(٥) قصة الحضارة مجلد ٣ (٣ / ٢٦٤، ٢٦٥).
(٦) نقلاً عن سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية ص (١٩).
(٧) حبيب سعيد: الروح القدس ص (٥٨).

بالمسيح عليه السلام وتلاميذه الأصليين الذين كانوا يعلمون أن عيسى لم يكن أكثر من إنسان اختصه الله بالنبوة والرسالة.

ومع أن بولس وضع بداية - أو بذور - عقيدة التثليث إلا أنه لم يستخدم هذه الكلمة نفسها، ولم يستخدم كلمة (أقنوم) وهذا يعنى أن الذين جاءوا بعده من تلاميذه أضافوا إلى الأسس التى وضعها.

وفى نهاية القرن الثانى - ولأول مرة فى تاريخ الديانة المسيحية - أطلقت كلمة (تثليث) وأول من استعملها فى الديانة المسيحية ترتليان، والكلمة المقابلة لها فى الإغريقية أول من استعملها ثيوفيلوس الذى كان معاصراً لـ (ترتليان)[(١)].

وفى خلال الفترة من نهاية القرن الثانى وأوائل القرن الرابع الميلادى ظهرت بعض التعاليم عن التثليث، وبعضها رفض بعد ذلك، فمثلاً أعلن سابيلوس سنة ٢٦٠م أن الآب والابن والروح القدس أسماء لإله واحد، أو لنفس الإله.

ولم تكن الكنيسة حتى أوائل القرن الرابع الميلادى تعرف أية صلاة تعبر عن المفهوم التثليثى[(٢)].

ولقد بدأت المناقشات فى أوائل القرن الرابع حول صيغة الإيمان وقانونه، واشتدت المناقشات والمنازعات، واختلفت الآراء وتنوعت ،ولم يحسم هذا الخلاف إلا على يد الإمبراطور قسطنطين، الذى قرر عقد مجمع مسكونى فى نيقية سنة ٣٢٥م تكون مهمته الفصل فى هذه المنازعات ووضع قانون للإيمان يلتزم به كل المسيحيين - حتى ولو لم يكن هو رأى الأغلبية - وتدخل قسطنطين بسلطته لتقرير ما يراه صالحاً ونافعاً للإمبراطورية لا للمسيحية، وصالح الإمبراطورية - فى نظره - أن يكون قرار المجمع يقبله المسيحى والوثنى، وأقرب المعتقدات إلى الوثنية هو الاعتقاد بألوهية المسيح الإنسان، فمثل هذا الاعتقاد كان منتشراً بين الوثنيين الذين ألهوا البشر والكائنات.

---

(١) دائرة معارف الدين والأخلاق (باللغة الإنجليزية) مجلد ١٢ ص (٤٥٨)

(٢) د/ محمد يحيى : رحلتى من الكفر إلى الإيمان (قصة إسلام الكاتبة الأمريكية مريم جميلة) ص (١٨٩).

ولقد عزل قسطنطين هؤلاء المعتنقين لعقيدة ألوهية المسيح ،وأعطاهم الحق فى تقرير مصير الديانة المسيحية ، برغم أن رأى الأغلبية كان فى صالح آريوس الذى كان ينادى بأن المسيح مخلوق، عبد الله ورسوله.

وقررت الفئة التى عزلها قسطنطين قانون الإيمان المسيحى وقررت فيه ألوهية المسيح، ولكى يضمن قسطنطين قوة هذا الاعتقاد أضاف إلى قانون الإيمان ـ الذى قررته هذه الفئة ـ فقرة تعنى " أن المسيح مساو للآب فى الجوهر "، وبعد ذلك أيد قسطنطين هذه القرارات بقوة سلطانه، وحرم كل من يخالف هذا القانون وطرده.

ولم يكن مجمع نيقية هذا قد وضع قانون الإيمان كاملاً ـ أو بمعنى آخر لم يكن قد قرر عقيدة التثليث كاملة ـ ولذلك عقد مجمع آخر فى القسطنطينية سنة ٣٨١م ليقرر ألوهية الروح القدس ، وليضع اللمسات الأخيرة لعقيدة الله واحد فى ثلاثة أقانيم، ولتظهر هذه العقيدة لأول مرة فى تاريخ الديانة المسيحية فى نهاية القرن الرابع الميلادى.

تقول دائرة المعارف الأمريكية: " إن عقيدة التثليث التى أقرت فى القرن الرابع الميلادى لم تعكس بدقة التعليم المسيحى الأول فيما يتعلق بطبيعة الله، لقد كانت على العكس من ذلك انحرافاً عن هذه التعاليم، ولهذا فإنها تطورت ضد التوحيد الخالص.

إن التوحيد هو القاعدة الأولى من قواعد العقيدة، أما التثليث فإنه انحراف عن هذه القاعدة، لذلك نجد من الصواب أن نتكلم عن التثليث باعتباره حركة متأخرة ظهرت ضد التوحيد بدلاً من اعتبار هذا الأخير حركة دينية جاءت لتقاوم التثليث "(١).

وبعد أن قررت عقيدة التثليث فى القرن الرابع، لم تنته المناقشات حوله، فلقد أثيرت بعد ذلك مناقشات أخرى حول كل أقنوم على حدة، وعقدت المجامع المحلية والمسكونية للنظر فى هذه المناقشات، وأهمها ما عقد فى أفسس وخلقيدونية للنظر فى طبيعة الأقنوم الثانى (المسيح).

---

(١) دائرة المعارف الأمريكية سنة ١٩٥٩م (٢٧/ ٢٩٤) نقلاً عن طائفة الموحدين ص (٩).

ثم أثيرت مناقشات أخرى حول انبثاق الأقنوم الثالث (الروح القدس)، وهل انبثق من الآب والابن، أم من الآب فقط؟ ولم يحسم هذا إلا بانعقاد مجمعين فى النصف الثانى من القرن التاسع الميلادى، أحدهما للكنيسة الغربية سنة ٨٦٩م والذى قرر انبثاق الروح القدس من الآب والابن.

والثانى للكنيسة الشرقية سنة ٨٧٩م والذى قرر انبثاق الروح القدس من الآب فقط.

وهكذا يمكن القول: إن عقيدة التثليث المسيحية والتعاليم حول الأقانيم لم تكتمل إلا فى نهاية القرن التاسع الميلادى.

والخلاصة: إن عقيدة التثليث لم تفرض على المسيحيين مرة واحدة، بل تكونت وتجمعت عبر قرون تسعة.

فى القرون الأولى لتاريخ المسيحية لا نجد لهذه العقيدة أى أثر، فلم يبشر المسيح عليه السلام بها، ولم يعلمها للناس وإنما كان يعبد الله الواحد، وكذلك لم نجد لتلاميذ المسيح أى أقوال وأى تعاليم تشير إلى هذه العقيدة من قريب أو بعيد.

وبدأت العقيدة تتكون بعيداً عن أقوال وتعاليم المسيح، بل وبعيداً عن تعاليم تلاميذ المسيح، إذ أن بولس هو الذى بدأ الحلقة، وتاريخ بولس هذا لا يبشر بأنه كان أميناً على تعاليم المسيح، فبدأ ينقضها ويدعو الناس إلى تعاليم أخرى ما أنزل الله بها من سلطان.

ثم تتابع الزمن لتجد تعاليم بولس يد السلطان تتلقفها لتساعد على تقريرها، وتكميل بعض أجزائها لتكون هى الديانة المسيحية، وهذا يعنى أن عقيدة التثليث وضعت بأيدى البشر.

فالبشر هم الذين أنشأوا هذه العقيدة وأقاموا التعاليم حولها، وخلفوا لنا عقيدة معقدة مستحيلة الفهم والإدراك.

إن أصول العقائد والشرائع السماوية ـ التى تكون من عند الله ـ تأتى إلى البشر كاملة، ولا يكون فيها مجال لإضافات بشرية، أو لتدخل بشرى بالزيادة أو النقصان، وإلا لأجزنا على الله سبحانه وتعالى عدم العلم والله منزه عن ذلك.

هذا فضلاً عن أن رسل الله عليهم الصلاة والسلام يبلغون ويوضحون هذه العقائد كاملة للناس، فلا يتركون بيانها لشطط العقول واختلاف الناس وتناحرهم حول فهمها وتوضحيها.

هذا إلى جانب أن الدين السماوى سهل ميسور الفهم واضح لا تعقيد فيه.

كل هذا يدل أن لعقيدة التثليث مصدراً آخر غير وحى السماء وغير تعاليم المسيح التى جاء بها من عند الله سبحانه وتعالى.

التثليث فى الأديان الوضعية

إن التاريخ يحدثنا أن المسيحيين ليسوا هم أول من اعتقدوا بالتثليث، فلقد كانت هذه العقيدة منتشرة فى أنحاء العالم الوثنى القديم، قال بها الوثنيون واعتقدوا بها قبل ظهور المسيحية بآلاف السنين.

يقول موريس : " كان عند أكثر الأمم البائدة الوثنية تعاليم دينية جاء فيها القول باللاهوت الثالوثى "(١).

ويقول برتشرد: لا تخلو كافة الأبحاث الدينية المأخوذة عن مصادر شرقية من ذكر أحد أنوا ع التثليث أو التولد الثلاثى "(٢).

ويقول حبيب سعيد: " هذه العقيدة ـ التثليث ـ منتشرة فى أهم الأديان الوثنية "(٣).

فالبراهمة، والبوذيون، وقدماء المصريين، وقدماء الصين، والفارسيون، واليونانيون، وغيرهم كانوا يعتقدون بالتثليث ويؤمنون به، ويعتبرونه أصلاً من أصول ديانتهم، ومعتقداً من أهم معتقداتهم(٤).

التثليث عند البراهمة:

" والبراهمة كهنة يدعون بهذا الاسم، وكانوا يؤلفون طبقة خاصة هى أولى الطبقات الهندية، فيتوارثون المنصب ومزاياه، وكانوا رجال علم ونظر، ولقد أدى التفكير بهم ـ أو ببعضهم ـ حوالى القرن التاسع قبل الميلاد إلى آراء مغايرة للعقائد الموروثة تكون مذهباً هو (البرهمية)". (٥).

والبراهمة كانوا يعتقدون بأن الله واحد فى ثلاثة أسماء:

برهما ـ فشنو ـ سيفا (٦).

---

(١) راجع محمد طاهر التنير : العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية ص (١٨).

(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة .

(٣) أديان العالم ص (٣٠٤)، راجع أيضاً محمد أفندى حبيب : فتح الملك العلام ص (٢٥٦).

(٤) ولقد عدد د/ محمد الصادقى اثنى عشر شعباً من الوثنين كانوا يعتقدون بالتثليث ويؤمنون به، راجع ذلك فى كتابه : تاريخ الفكر والحضارة ص (٧٢ ، ٧٣).

(٥) د/ إبراهيم مدكور، يوسف كرم : دروس فى تاريخ الفلسفة. المقدمة ص ر.

(٦) المرجع السابق، نفس الصفحة، راجع أيضاً د/ أحمد شلبى : أديان الهند الكبرى ص (٤٨).

وكانوا يعتقدون أن كل واحد منهم إله، فهم ثلاثة آلهة يسمون (الثلاثة فى واحد)[١].

وكانت مهمة هذه الآلهة هى السيطرة على الكون، فلكل واحد منهم مهمة خاصة به ، فبراهما هو الإله الخالق، وفشنو هو الحافظ، وسيفا هو المدمر.

وإليك بعض التفاصيل عن هذا الثالوث.

أول هذا الثالوث" براهما " : وهو خالق الكون والمصدر الذى انبثقت منه جميع الآلهة الفرادى [٢].

فهو الإله الخالق مانح الحياة، والقوى الذى صدرت عنه جميع الأشياء ، والذى يرجو لطفه وكرمه جميع الأحياء [٣].

فشنو: وهو الحافظ وحامى العالم " وهو إله الحب الذى كثيراً ما انقلب إنساناً ليتقدم بالعون إلى بنى الإنسان، وأعظم من يتجسد فيه (فشنو) هو (كرشنا) وهو فى صورته الكرنشية هذه ولد فى سجن وأتى بكثير من أعاجيب البطولة والغرام، وشفى الصم، والعمى، وعاون المصابين بداء البرص، وذاد عن الفقراء، وبعث الموتى من قبروهم، وكان له تلميذ محبوب إلى نفسه وهو (أرجونا)، وأمام (أرجونا) تبدلت خلقة (كرشنا)حالاً بعد حال، ويزعم بعض الرواة أنه مات مطعوناً بسهم، ويزعم آخرون أنه قتل مصلوباً على شجرة وهبط إلى جهنم ثم صعد إلى السماء[٤]، على أن يعود فى اليوم الآخر ليحاسب الناس أحياءهم وأمواتهم"[٥].

ففشنو هو الإله الذى تجسد وظهر بالناسوت على الأرض ليخلص الناس [٦].

---

(١) سليمان مظهر : قصة الديانات ص (٦٨)،

(٢) بليفنش: عصر الأساطير ص (٤٣٨)، راجع المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٣) الشيخ محمد أبو زهرة: مقارنة الأديان ص (٢٧).

(٤) أثبتت الدراسات التى قام بها بعض الباحثين أن الهنود يعتقدون فى (كرشنا) ما يعتقده المسيحيون فى المسيح، ولقد عقد الأستاذ محمد طاهر التنير، موازنة بينهما، وظهر التقارب واضحاً بين أقوال الهنود فى كرشنا، وأقوال المسيحيين فى المسيح. راجع : العقائد الوثنية ص (١٣٠) وما بعدها .

(٥) قصة الحضارة مجلد ١ (٣ / ٢٠٤)

(٦) العقائد الوثنية ص (٢٠، ٢١).

سيفا : وهو تجسيم للمصدر المدمر [١]، وسمى هذا الإله بـ (سيفا) للتخفيف من بشاعة هذا الإله، فالكلمة (سيفا) معناها الحرفى (العطوف) مع أن (سيفا) فى حقيقة الأمر إله القسوة والتدمير قبل كل شئ آخر، وهو تجسيد لتلك القوة الكونية التى تعمل واحدة بعد أخرى على تخريب جميع الصور التى تتبدى فيها حقيقة الكون"[٢]

وسيفا لا يظهر عادة إلا فى ميادين القتال والمعارك الضخمة والمنازعات الطاحنة... وفى كل هذه الميادين تحل بركته وهى دائماً تكون بركة قاتلة [٣]، فهو (المهلك)، وقال العلماء إن هذه هى صفته المظلمة، أما صفته الحسنة فهو (المعيد) يعبرون عنه بصورة حمامة، ويقصدون بهذه الصورة الرمز عن الإعادة والخلق الجديد وهو الروح الذى يرف على وجه الماء "[٤].

وعلى ذلك فـ " سيفا " المهلك، والمبيد، والمعيد، أو يمكن القول إنهم يعتقدون فيه أنه المحيى والمميت"[٥].

ويظهر من هذا أن التثليث كان من أشهر عقائد البراهمة، وكانوا يدعون هذا التعليم - كما يقول العلامة دوان - بلغتهم (ترى مورتى) وهى جملة مركبة من كلمتين سنسكريتيتين، أما (ترى) فمعناها ثلاثة، و (مورتى) معناها هيئات أو أقانيم، وثلاثة أقانيم غير منفكين عن الوحدة وهى الرب والمخلص وسيفا، ومجموع هذه الثلاثة أقانيم إله واحد، ويرمزون عن هذه الأقانيم الثلاثة بثلاثة أحرف وهى الألف والواو والميم ويلفظونها (أوم) [٦].

وكانوا يعتقدون أيضاً أن هذا الثالوث غير منقسم فى الجوهر والفعل والامتزاج[٧]

وقد جاء فى كتاب (الباجا فاتابورانا) وهو من الكتب الهندية المقدسة أن كاهناً اسمه أتنيس توجه إلى الآلهة(برهمة - فشنو - سيفا) قائلاً :

---

(١) عصر الأساطير ص (٤٣٩).

(٢) قصة الحضارة مجلد ١ (٣ / ٢٠٥).

(٣) قصة الديانات ص (٧٠).

(٤) العقائد الوثنية ص (٢١).

(٥) محمد فؤاد الهاشمى : سر إسلامى ص (٤٩).

(٦) العقائد الوثنية ص (١٩ ، ٢٠).

(٧) المرجع السابق ص (٢٠).

" يا أيها الأرباب الثلاثة: اعلموا أنى أعترف بوجود إله واحد ، فأخبرونى أيكم الإله الحقيقى لأقرب له نذرى وصلاتى، فظهرت الآلهة الثلاثة وقالوا له: اعلم أيها العبد (أو الكاهن) أنه لا يوجد فارق حقيقى بيننا، وأما ما تراه من ثلاثة فما هو إلا بالشبه والشكل، فإن الإله الواحد يظهر بثلاثة أشكال بأعماله من خلق وحفظ وإعدام، ولكن فى الحقيقة واحد، فمن يعبد أحد الثلاثة فكأنه عبدها جميعاً، أو عبد الواحد الأعلى "[١]

ولقد عبر الهنود عن هذه العقيدة بإنشاء بعض التماثيل التى تمثل الوحدة والتثليث معاً، فرسم على هيئة جسد واحد وثلاثة رؤوس، وقد اكتشف علماء الآثار بعض هذه التماثيل، وموجود بعضها الآن فى بلاد الهند.

يقول د/ محمد الندوى: " وجد الباحثون ختمة فى موهنجودارو [٢] تحمل صورة إله ذى قرن وثلاثة وجوه وهو جالس واضعاً رجلاً على الأخرى ... وكذلك وجدت لوحات طينية عديدة تشير إلى وجود الإله (سيفا) وله ثلاثة وجوه "[٣].

ويقول الشيخ محمد رشيد رضا: " وللهنود تماثيل للوحدة والتثليث رأيت واحداً منها فى دار العاديات التى بنتها الحكومة الهندية الإنجليزية فى ضواحى مدينة بنارس (المقدسة عند البراهمة) وهو تمثال واحد من ثلاثة وجوه ، ولعله هو الذى قال عنه (موريس) فى كتابه (آثار الهند القديمة) لقد وجدنا فى أنقاض هيكل قديم قوّضه مرور القرون صنماً له ثلاثة رؤوس على جسد واحد والمقصود منه الرمز للثالوث"[٤].

ويتضح من هذا كله أن البراهمة اعتقدوا ـ وذلك منذ القرن التاسع قبل الميلاد أو بعد ذلك ـ بالتثليث على أنه مظاهر أو أسماء للإله الواحد أى تثليث فى واحدية، وقد خلفوا آثاراً توضح هذا الاعتقاد وتبينه.

---

(١)المرجع السابق ص (٢١ ، ٢٢)،راجع أيضاً محمد فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين (٢ / ١٥٥).

(٢) إحدى المدن الهندية القديمة التى كشف النقاب عنها حديثا فى الربع الثانى من القرن العشرين.

(٣) د/ محمد الندوى: الهند القديمة ص (٤٤ ، ٤٥).

(٤) تفسير المنار (٦ / ٧٤).

(٢) التثليث عند البوذين:

لقد ذكرنا فيما سبق أن البوذية بعد بوذا انحرفت عن تعاليمه، ونسج بعض الأتباع حوله كثيراً من الأساطير والخرافات التى صورته بأنه إله مخلص، وكذلك أيضاً وجد بينهم من يعتقد بالتثليث.

يقول المستر فابر: " وكما نجد عند الهنود ثالوثاً مؤلفاً من برهمة وفشنو وسيفا، هكذا نجد عند البوذيين، فإنهم يقولون أن بوذا إله ويقولون بأقانيمه الثلاثة "[١]

ويقول العلامة دوان: " والبوذيون الذين هم أكثر سكان الصين واليابان يعبدون إلهاً مثلث الأقانيم يسمونه (فو)، ومتى ودوا ذكر هذا الثالوث يقولون الثالوث النقى (فو)، ويصورونه فى هياكلهم بشكل الأصنام التى وجدت فى الهند، ويقولون أيضاً (فو) واحد لكنه ذو ثلاثة أشكال، ويوجد فى أحد المعابد المختصة ببوتالا فى منشوريا ـ شمال شرق آسيا ـ تمثال (فو) مثلث الأقانيم "[٢]

ويقول المستر فابر: " والصينيون يعبدون (بوذا) ويسمونه (فو)، ويقولون إنه ذو ثلاثة أقانيم والألف الواو والميم تماماً كما تقول الهنود "[٣].

وهكذا يتبين لنا أن أتباع بوذا حين انحرفوا عن تعاليم بوذا تصوروه فى صورة الإله المتجسد، ثم بعد ذلك اعتقدوا بأنه مثلث الأقانيم. وهذه البوذية هى التى انتشرت فى الشرق الأقصى فى الصين واليابان وبورما وسيلان وغيرها.

(٣) التثليث عند قدماء المصريين:

وكان التثليث أحد معتقدات المصريين القدماء، فقد ظهر هذا الاعتقاد واضحاً فى الآثار المصرية القديمة.

ونشأ التثليث بين المصريين القدماء متأخراً نسبياً، وذلك نتيجة لاعتقادهم أن الإله حل فى الإنسان، وهذا الاعتقاد هو الذى ساعد على التفكير فى أن الإله يكون له زوجة وابن.

---

(١) العقائد الوثنية ص (٢٢).

(٢) المرجع السابق ص (٢٣).

(٣) المرجع السابق، نفس الصفحة.

يقول د/ عبد العزيز صالح: "اتجه المصريون إلى افتراض روابط الأبوة والبنوة والزيجة بين أربابهم المتقاربين فى الصفات وفى أماكن العبادة، وذلك أمر بدت منطقيته بعد أن تخيلوا لأربابهم هيئات إنسانية وافترضوا لها حياة تماثلها حياة البشر لولا أنها سرمدية عالية... وقد يسرت هذه الأخيلة افتراض أسر إلهية ثلاثية تكونت من أب، وأم، وولد، ومن زوج وزوجتين ثم أسر تساعية "[١]. ومن هنا نشأت عقيدة التثليث بين المصريين القدماء، وشاعت وذاعت حتى أصبح لكل مدينة هامة من مدن مصر القديمة ثالوثها الخاص بها.

ففى كتاب (تاريخ الأمة القبطية) جاء ما نصه: " وكان التثليث (أى تمثيل الإله بشكل ثلاثة أقانيم) محورالديانة المصرية، فكان عندهم جملة ثواليث، لكل مدينة هامة ثالوث خاص بها"[٢].

" فكان هنالك ثالوث اليفانتين ويتكون من خنوم، وسانت، ووعنقت، وثالوث كوم امبو ويتكون من سوبك، وحتحور، وخونسو.

وثالوث إدفو: ويتكون من حور، وحتحور، وحارسومايتس، وثالوث اسنا: ويتكون من خنوم، ومنحيت، وحكا ، وثالوث أرمنت: ويتكون من مونتو، وثنيت، وحربو قراط، وثالوث طيبة: ويتكون من آمون، وموت، وخونسو، وثالوث قفط: ويتكون من مين، ورشب، وقدش، وثالوث دندرة: ويتكون من حتحور، وسماتاوى، وايحى، وثالوث أبيدوس: ويتكون من أوزوريس، وإيزيس، وحورس، وثالوث منف: ويتكون من بتاح، وسخمنت، ونفرتم، وثالوث عين شمس ويتكون من : أتوم، وشو، وتفنوت"[٣].

ولقد كان ثالوث طيبة وثالوث أبيدوس من أشهر هذه الثواليث جميعاً.

أما عن ثالوث طيبة فهو الذى يتكون من الإله آمون أباً والإلهة موت زوجة وكانت تعبد فى طيبة وتمثل على شكل امرأة تلبس التاج المزدوج، ثم خونسو وهو

---

(١) د/ عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم (مصر والعراق ص ٣٣٢).

(٢) لجنة التاريخ القبطى: تاريخ الأمة القبطية (٢ / ٢١، ٢٢).

(٣) محمد بيومى مهران: دراسات فى الشرق الأدنى القديم (الجزء الخامس. الحضارة المصرية) ص (٢٧٢)،

الابن الإله، وكان يمثل القمر ويعبد فى طيبة على شكل رجل أو طفل على رأسه هلال يحيط بأسفل قرص القمر وقد تدلت على كتفيه خصلة شعر ويحمل فى يديه رموز الحياة والصحة والسعادة"[١].

وقد خصص معبد الأقصر لهذا الثالوث [٢].

أما ثالوث أبيدوس: الذى يتكون من الإله أوزوريس أباً، وإيزيس أماً، وحورس ابناً فهو أشهر ثالوث على الإطلاق، فقد اكتسب شهرة واسعة فى عصر الإمبراطورية الرومانية لا فى الأقطار المصرية وحدها بل فى معظم بلاد العالم آنذاك، بمعنى أن هذا الثالوث كان أكثر الثواليث المصرية انتشاراً وقت ظهور المسيحية، وقد ساعده على ذلك " أن الإسكندرية أصبحت بعد عصر الإسكندر الأكبر مركزاً هاماً لحياة مصر الدينية، بل أصبحت فى الحق مركز الحياة الدينية فى العالم الهلليني كافة، فأقام بطليموس الأول (٣٠٥ـ ٣٥٨ق.م) معبداً عظيماً هو معبد السرابيوم، وكان يعبد فيه الثالوث المكون من سرابيس، وإيزيس، وحوس"[٣]، وذلك بعد أن أصبح سرابيس هو الإله الأب بدلاً من أوزوريس ليناسب اليونانيين والمصريين.

ولم يكن المصريون يعبدون الثالوث على أنهم آلهة أو أرباب منفصلة بل كانوا يعتقدون أنهم هيئات ثلاث لإله واحد[٤].

يقول زكى شنودة: " وكانوا يعتقدون أنهم وإن كانوا ثلاثة إلا أنهم يعملون معاً"[٥]

وتقول المؤرخة المسيحية (بتشر) عن الديانة المصرية: " إن كثيرين من الكهنة والخواص كانوا لا يزالون يعتقدون بإله واحد فى ثلاثة أقانيم، وأنه الفاعل لكل خير وأن بقية الآلهة ليست إلا (رمزاً) عن مظاهره وتجلياته المتعددة"[٦]

---

(١) محمد على كمال الدين: الشرق الأوسط فى موكب الحضارة. الجزء الأول ص (١٤٦).
(٢) أنطون زكرى: الأدب والدين عند قدماء المصريين ص (٨١).
(٣) ولز: موجز تاريخ العالم ص (١٦٩).
(٤) المرجع السابق، نفس الصفحة.
(٥) تاريخ الأقباط (١ / ٣٦)، راجع أيضاً: لجنة التاريخ القبطى: تاريخ الأمة القبطية (٢ / ٢٢).
(٦) بتشر: تاريخ الأمة القبطية (١ / ٥).

ولقد سأل أحد الملوك المصريين القدماء أحد الكهنة قائلاً: هل كان قبله أحد أعظم منه؟ أو هل يكون بعده من هو أعظم؟ فقال له الكاهن: نعم يوجد من هو أعظم هو أولاً الله، ثم الكلمة، ومعهما الروح القدس، ولهؤلاء الثلاثة طبيعة واحدة هم واحد بالذات وعنهم صدرت القوة الأبدية"(١).

فالتثليث كان شائعاً بين المصريين على أنهم ثلاثة أقانيم لإله واحد.

(٤) التثليث عند البابليين والآراميين:

وفى الديانة البابلية تجد أيضاً الاعتقاد بالتثليث.

وكان هناك أكثر من ثالوث أهما ما يلى:

الثالوث الأول ويتكون من : آنو، أنليل، أيا.

أما الإله (آنو) فهو يأتى على رأس الآلهة البابلية، وقد نعتوه بأبى الآلهة وملك الآلهة، وتمثل السماء هذا الإله، ويقتسم هو والإلهان (أنليل، وأيا) فيما بينهم الكون، فيحكم الإله (آنو) السماء ولـ (أنليل) الهواء والجو، ولـ (أيا) الأرض والماء.

أما (أنليل) فهو يأتى بعد (آنو) فى المرتبة والمنزلة، وهو الإله الخاص بالهواء والجو والظواهر المتعلقة بهما، ويلقب مثل (آنو) بأبى الآلهة، ومعنى اسمه (السيد الهواء) أو (الرب الهواء) ويلقب بسيد البلدان

أما ثالث هذه الآلهة فهو (أيا) ويسمى كذلك (أنكى) وهو الاسم السومرى وهو يعنى سيد الأرض، وهو إله الحكمة والمعرفة، ولذلك يلقب برب الحكمة أو سيد الحكمة، و بيده أسرار السحر المقدس والتعزيم، وهو الذى علم البشر - فى نظرهم - الكتابة والصنائع والفنون وأصل العمران، واشتهر بحبه الكثير للبشر"(٢)

---

(١) العقائد الوثنية ص (٢٦).

(٢) طه باقر: مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة (١ / ٢٤٧ - ٢٤٩) ، وعن هذا الثالوث راجع د/ محمد جابر عبد العال : فى العقائد والأديان ص (٨٢، ٨٣) ، د/ محمد الصادقى: تاريخ الفكر والحضارة ص (٦٣).

وهناك ثالوث اشتهر بين البابليين ويتكون من (سين) إله القمر، وشمش (إله الشمس) وإدد، وهو من الإلهة الخاصة بالجو والمناخ، ولا سيما الأمطار والرعد والفيضان وما شاكل ذلك[١].

أما التثليث عند الآراميين [٢] فهو قريب الشبه بتثليث البابليين، فكان عندهم أكثر من ثالوث.

فالثالوث الأول عندهم كان يتكون من (آنو) الإله الأعظم أبو الآلهة ورب الظلمات والمسيطر على العالم الأسفل وعلى الكنوز المخيفة فى السماء والأرض.

وأما الإله الثانى فهو (بل) - بعل - رب العالم الروحانى المسيطر على جميع الأقاليم وعلى جميع الأرواح فى العوالم الثلاثة: الأرض، والسماء، والهاوية.

وأما الإله الثالث فهو (حيا) ويوصف بأنه الهادى إلى الرشاد، العاقل، رب العالم المسيطر على الحياة، وعلى ما فيها من معرفة ونبل ونور وحضارة.

وكانوا يرسمون صورة مجسمة لكل من هؤلاء الآلهة، فكانت صورة (آنو) على شكل إنسان ذى لحية طويلة كثة، وكانت صورة (بل) - بعل - على شكل ملك عظيم وقور يجلس على عرش فخم، وكانت صورة (حيا) ذات أجنحة أربعة مبسوطة "[٣]

ويلى هذا الثالوث ثالوث آخر هو نفسه الثالوث الثانى عند البابليين مع اختلاف بعض الشئ فى التفاصيل [٤].

---

(١) لمزيد من التفاصيل عن هذا الثالوث: راجع المراجع السابقة والصفحات المشار إليها وما بعدها.

(٢) ينسب الآراميون إلى آرام بن سام بن نوح (تكوين ١٠ : ٢٢) كانوا فى أول أمرهم قبيلة من القبائل السامية لها مميزات خاصة تتنقل فى البادية فى الشمال الإفريقى من جزيرة العرب على حدود بلاد العراق، وكانوا يكتفون فى البداية بالصيد ورعى الماشية، ويكثرون من الإغارة على بلاد العراق، وانتهى أمرهم إلى الاستقرار بعض الوقت فى بعض جهات سوريا، وفى (ميزوبوتاميا) العليا فى حوض الفرات، حيث أسسوا لهم دولة قوية وعاشوا عيشة حضارة ومدنية. (حامد عبد القادر: الأمم السامية ص ١٠٤).

(٣) المرجع السابق ص (٩٦).

(٤) لمزيد من التفاصيل راجع المرجع السابق ص (٩٧).

(٥) التثليث عند الصينيين:

وكان لدى الصينيين أيضاً اعتقاد بالتثليث.

والثالوث الصينى يتكون من (تى ين) و (تشانج) و (تشانج تى ين).

و (تى ين) هو الإله المجهول غير المنظور.

و (تشانج) هو الروح الذى حلت فى أرواح الآباء والأجداد والملوك فصيرتهم مقدسين، وببركتهم كانت كل الأشياء التى خلقت لهم، وسرت تلك الروح إلى جميع المخلوقات من إنس وجن وحيوان وطير.

و (تشانج تى ين) هو إله الشمس وسياراتها، والقمر ونوروه ،والأرض والسماء [١].

(٦) التثليث عند اليونانيين والرومانيين:

جاء فى كتاب (العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية) ما يلى:

" وكان اليونانيون يقولون إن الإله مثلث الأقانيم، وإذا شرع قسيسوهم بتقديم الذبائح يرشون المذبح بالماء المقدس ثلاث مرات (إشارة إلى الثالوث) ويرشون المجتمعين حول المذبح بالماء ثلاث مرات، ويأخذون البخور من المبخرة بثلاثة أصابع، ويعتقدون بأن الحكماء قد صرحوا أن كل الأشياء المقدسة يجب أن تكون مثلثة، ولهم اعتناء تام بهذا العدد (التثليث) فى كافة أحوالهم الدينية "[٢].

وقد نقل العلامة" دوان" عن أورفيوس الشاعر اليونانى الذى كان قبل المسيح بعدة قرون ما نصه: كل الأشياء عملها الإله الواحد مثلث الأسماء والأقانيم [٣].

وكان لدى الرومانيين أيضاً ثالوث مقدس يتكون من:

(جوبيتر) ، (جونون)، (مينرفا)، وكانوا يعتقدون أنه - أى الثالوث - أقام نهائياً على تل الكابتول (قلعة روما)[٤].

---

(١) محمد فؤاد الهاشمى: سر إسلامى ص (٥٠) ، راجع للمؤلف نفسه : الأديان فى كفة الميزان ص (٣٢)، وحوار بين مسيحى ومسلم ص (١١٤ ، ١١٥).

(٢) العقائد الوثنية ص (٢٩).

(٣) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٤) روما والشرق الرومانى ص (٤٢ ، ١١٩)، راجع أيضاً: حضارة روما ص (٢٥).

وفى كتاب العقائد الوثنية " وكان الرومانيون الوثنيون القدماء يعتقدون بالتثليث وهو أولاً الله ثم الكلمة ثم الروح "(١).

هذه هى أهم الأمم والشعوب التى كانت تدين بالتثليث وتعتقد به(٢).

(٧) التثليث فى الفلسفة الأفلاطونية الجديدة:

والأفلاطونية الجديدة يمكن تعريفها - كما يقول يوسف كرم - بأنها محاولة لوضع فلسفة دينية، أو دين مفلسف، وهى مذهب قام على أصول أفلاطونية، وتمثل عناصر من جميع المذاهب فلسفية ودينية يونانية وشرقية بما فى ذلك السحر والتنجيم والعرافة، غير أن رجاله حرصوا على الاحتفاظ بالروح اليونانية خالصاً "(٣).

" وقد ظهرت هذه المدرسة فى الإسكندرية ملتقى طرق الشرق والغرب، ففيها كانت توجد مؤثرات دينية فارسية وبابلية وبقايا الشعائر المصرية القديمة، وطائفة يهودية قوية تمارس عقيدتها الخاصة، وفرق مسيحية، ويضاف إلى هذا كله خلفية عامة من الحضارات الهلينستية "(٤).

يقول برتراند رسل: " ويقال إن مؤسس المدرسة الأفلاطونية الجديدة هو " أمونيوس ساكاس " الذى لا يعرف عنه إلا القليل، ولكن أهم تلاميذه كان أفلوطين (٢٠٤ - ٢٧٠م) الذى هو أعظم الفلاسفة الأفلاطونيين الجدد، وقد ولد فى مصر "ودرس فى الإسكندرية حيث عاش فيها حتى عام ٢٤٣م "(٥).

والنظرية الأساسية فى فلسفة أفلوطين هى قوله بالثالوث الذى يتألف من : الواحد، والعقل، والنفس.

والعنصر الأول فى هذا الثالوث هو الواحد.

---

(١) العقائد الوثنية ص (٢٩ ، ٣٠).

(٢) لمزيد من التفاصيل عن شعوب أخرى تعتقد بالتثليث المرجع السابق ص (٣٠ - ٣٥).

(٣) يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية ص (٢٨٥).

(٤) برتراند رسل : حكمة الغرب (١ / ٢٢٦).

(٥) المرجع السابق نفس الصفحة.

يقول ول ديورانت عن هذا العنصر: " من وراء الكائن يوجد الواحد وفى خلال الفوضى الظاهرية البادية فى التعدد الدنيوى تسرى الحياة الموحّدة، ولا نكاد نعرف عن هذا الواحد إلا أنه موجود، وكل صفة موجبة نصفه بها أو ضمير متحيف نحله محله تحديد له غير لائق به، وكل ما نستطيع أن نسميه به هو أنه واحد، وأول، وخيّر، وأنه هدف رغبتنا العليا "[١].

فلا يمكن أن نقول عنه ـ فى نظر أفلوطين ـ أكثر من أنه يوجد وأنه واحد وأول، أما تقديم أى وصف له فيعنى أن هناك أشياء أخرى أعظم منه [٢].

والعنصر الثانى فى ثالوث أفلوطين هو ما يسميه بالعقل أو النوس وهى كلمة ـ كما يقول برتراند رسل ـ يكاد يكون من المستحيل إيجاد ترجمة مطابقة لها، والمقصود هنا شئ يشبه الروح لا بمعنى صوفى بل بمعنى عقلى، وخير سبيل إلى إيضاح العلاقة بين النوس والواحد هو استخدام تشبيه، فالواحد أشبه بالشمس التى تبعث نورها الخاص، وعندئذ يكون النوس هو ذلك النور الذى يرى به الواحد ذاته، ويمكن بمعنى معين أن نسميه الوعى الذاتى [٣].

والنفس هى العنصر الثالث فى ثالوث أفلوطين ، " وهى وإن تكن أدنى منزلة من العقل إلا أنها خالقة الكائنات الحية جميعاً، فهى التى خلقت الشمس والقمر والنجوم وسائر العالم المرئى جميعاً، وهى وليدة العقل الإلهى "[٤].

" وهى تتصف بطبيعة مزدوجة فهى فى جانبها الداخلى تتجه إلى أعلى صوب العقل (أو النوس) ،أما مظهرها الخارجى فيهبط بها إلى عالم الحس الذى تكون خالقة له "[٥].

وهكذا يتضح لنا أن ثالوث أفلوطين يتكون من : الواحد وهو الموجود الذى لا يوصف بما تتصف به الحوادث، والعقل وهو أول شئ صدر عن هذا الواحد كأنه

---

(١) قصة الحضارة مجلد ٣ (٣ / ٣٠٣).

(٢) حكمة الغرب (١ / ٢٢٨).

(٣) المرجع السابق. نفس الصفحة .

(٤) تاريخ الفلسفة الغربية (الكتاب الأول) ص (٤٢٦).

(٥) حكمة الغرب (١ / ٢٢٩).

يتولد منه (فالموجود الكامل يلد دائماً موضوعاً سرمدياً، يلد موجوداً أدنى منه ولكنه الأعظم بعده، وهو العقل الكلى الذى هو كلمة الواحد وفعله وصورته ،ولكن الواحد ليس عقلاً، فكيف يلد العقل؟ ذلك بأن يرى باتجاهه إلى ذاته وهذه الرؤية هى العقل " الكلمة) "[١].

وعن العقل تنبثق النفس وهى الخالقة للكائنات الحية.

الصلة بين التثليث المسيحى والتثليث الوثنى والادعاء المسيحى بأن مصدرهما واحد

لقد تبين لنا مما سبق أن عقيدة التثليث كانت شائعة فى معظم الديانات الوثنية، وعليه فالمسيحيون ليسوا أول القائلين بها.

هذا وقد وضح من العرض السابق أن هناك تقارباً شديداً وتشابهاً كبيراً بين الوثنين والمسيحيين فى تصوير وفهم عقيدة التثليث والتعاليم حولها .

والسؤال الآن: ما الصلة بين التثليث المسيحى والتثليث الوثنى؟

لابد أن هناك صلة بينهما، فالوثنية كانت منتشرة وقت ظهور المسيحية وكانت عقيدة التثليث إحدى عقائدها.

والمسيحية حين ظهرت لم يكن التثليث واحداً من عقائد هذه الديانة، فلا نجد له دليلاً خالصاً فى كتب المسيحيين المقدسة لديهم، ثم بعد فترة من الزمن أصبح الثالوث هو العقيدة الأساسية والركيزة الأولى فى الديانة المسيحية.

لقد شعر المسيحيون بذلك فأجابوا على هذا السؤال بما يفيد أن هناك صلة بينهما تتمثل فى أن المصدر واحد، وهذا المصدر ـ فى نظرهم ـ هو الله سبحانه وتعالى.

يقول حبيب سيعد: " هذه العقيدة ـ الثالوث ـ منتشرة فى أهم الأديان الوثنية قديماً وحديثاً، ففى ديانة الفينيقيين نرى أنه كان لكل عاصمة من عواصمهم ولكل مستعمرة من مستعمراتهم ثالوث، وكان للمصريين أيضاً ثالوث هو أوزوريس ـ وإيزيس ـ وحورس، وللهنود ثالوث برهما وفشنو وسيفا، وعند الصينيين ثالوث

---

(١) يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية ص (٢٩١).

يعبرون به بمثلث متساوى الأضلاع والزوايا. وإن قيل: ما علاقة ذلك بالثالوث المسيحيين وهل أخذوه عن الوثنيين؟

أقول[١] لم يأخذه المسيحيون عن الوثنيين غير أن عقيدة الثالوث فى المسيحية وغيرها مستقاة من مصدر واحد، مثل عقيدة وجود إله أو عبادة إله، فليس من أمة بلا معبود أو عبادة، ولم أذكر [٢]وجود هذه العقيدة عند غير المسيحيين إلا للدلالة على أن مصدرها واحد هو الله نفسه، وأنها غير موضوعة وضعاً من البشر، وإن تكن فى الوثنية مشوهة مبعثرة بعيدة عن الوحدانية السماوية "[٣].

ويقول القس لبيب ميخائيل: " وبغير شك أن وجود عقيدة الثالوث فى ديانات الهنود والمصريين والفينيقيين والصينيين يؤكد أن مصدر الاعتقاد واحد، وهو إعلان الله ذاته منذ البدء للإنسان، لكن البشر شوهوا ما وصل إليهم من حق عن الله، واستبدلوه بثالوث من ابتكار عقولهم التى انحرفت عن إعلانات الله "[٤].

ويقول: " إن الناس قد عرفوا الله فى ثالوثه العظيم ، ولكنهم فى ظلام عقولهم الغبية الحمقاء أبدلوا مجد الله الذى لا يفنى بثالوث من ابتكار مخيلتهم المريضة "[٥].

فالمسيحيون أقروا بأن هناك صلة واضحة بين الثالوث الوثنى والثالوث المسيحى، وتفسير هذه الصلة يتمثل - فى نظرهم - فى ادعاء أن مصدرهما واحد، وهو الله سبحانه وتعالى.

وهكذا يصل المسيحيون فى دفاعهم عن عقيدة التثليث إلى الاستشهاد بالديانات الوثنية ، ليتخذوا منها أساساً لما يعتقدونه.

فإذا سألناهم عن المصدر الإلهى لهذه الوثنيات لم نجد جواباً إلا الصمت والحيرة، فكفى بهذا خسراناً وضلالاً.

---

(١) الكلام لا زال للمؤلف المسيحى (حبيب سعيد).

(٢) الكلام لا زال لـ (حبيب سعيد).

(٣) أديان العالم ص (٣٠٤، ٣٠٥).

(٤) القس لبيب ميخائيل: هل المسيح هو الله؟. ص (٥٦ ، ٥٧).

(٥) المرجع السابق ص (٥٧).

والواقع أن ما يدَّعونه محض افتراء على الله سبحانه وتعالى، فالرسل عليهم الصلاة والسلام من لدن آدم لم يؤمر واحد منهم بأن يبلغ الناس أن الله مثلث الأقانيم، ولا يوجد فى أقوالهم وتعاليمهم ما يدل على هذا الاعتقاد.

وهذا هو العهد القديم الذى يؤمن به المسيحيون - برغم ما فيه - لا نجد فيه أية إشارة أو أية مقولة لنبى أو رسول يدعو الناس فيها إلى التثليث، بل والأناجيل المسيحية الحالية - على علاتها - ليس فيها أى قول للمسيح عليه السلام يدعو الناس فيه إلى الاعتقاد بالتثليث.

كيف يدعى المسيحيون أن مصدر هذه العقيدة هو الله مع أننا لا نجد فى أى كتاب من الكتب السابقة أى إشارة لذلك؟ كيف يكون ذلك وكتب المسيحيين - برغم ما فيها من تحريف - لا تصرح بهذه العقيدة؟

ولو كان التثليث من عند الله لكان الواجب على موسى وجميع الأنبياء والرسل أن يبينوه للناس حق التبيين، بل لكان من الواجب على المسيح عليه السلام أن يوضحه للناس.

إن كتب وأقوال الأنبياء والرسل خالية تماماً من التصريح أو الإشارة بأى وجه كان إلى دعوة الناس إلى هذه العقيدة.

فكيف يكون بعد ذلك مصدر هذه العقيدة هو الله؟ وما دليلهم على ذلك؟

والعجيب أن (حبيب سعيد) نفسه هو الذى قال " ولم نر عقيدة الثالوث فى الكتاب المقدس كنظام تعليمى كما هو فى قوانين الإيمان وعقائد الدين "[١]

يقولون إن مصدر عقيدة التثليث هو الله، ثم بعد ذلك يقولون إن الكتاب المقدس - الذى هو عندهم من الله - لا يوجد فيه هذه العقيدة، أى تناقض هذا؟ إذا لم تكن فى الكتب المقدسة عندهم، فكيف يكون مصدرها هو الله؟

لا مناص إذن من القول إنه إذا كانت عقيدة التثليث من الله والكتاب المقدس لا يصرح بها ولا يوضحها، فمعنى ذلك أنكم تقولون بتحريفه وكذبه على الله لأنه

---

(١) أديان العالم ص (٣٠٧، ٣٠٨)

حرف ما أنزل الله. وأنتم أيها المسيحيون متهمون بتحريف الأناجيل والكتب المقدسة الأخرى حيث لم يذكر فيها شئ عن هذه العقيدة.

وعلى ذلك فأمام المسيحيين أمران: إما أن تكون عقيدة التثليث من الله، والكتب المقدسة ليست من عند الله، فهى محرفة ومبدلة وغير صحيحة ولا يعتمد عليها فى بيان الأصول والفروع.

أو أن الأناجيل صحيحة يعتمد عليها، لأن أناس الله القديسيين كتبوها بوحى من الله[١]. كما تقولون ـ وتكون عقيدة التثليث من العقائد الدخيلة على الديانة.

والتسليم بأحدهما هدم للديانة المسيحية وعقائدها.

ومن ناحية أخرى فإن الأمر الذى لا شك فيه هو أن الوثنيين المعتقدين بالتثليث قد انحرفوا عن الطريق الصحيح لفطرة الله ووحى الله حين اعتقدوا بالتثليث والشرك والوثنية.

فالتوحيد فطرى فى الإنسان، وإذا أردنا الاستدلال على ذلك من المصادر الإلهية الموثقة لم نجد إلا تأكيداً لعقيدة التوحيد الخالص، منذ خلق آدم إلى مبعث محمد عليه الصلاة والسلام.

يقول د / عوض الله حجازى: " لقد ذهب جمهور أهل السنة من المسلمين إلى أن عقيدة التوحيد فطرية واستدلوا على ذلك بأدلة كثيرة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية "[٢]

من هذه الأدلة قوله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴾ سورة الأعراف: ١٧٢.

يقول ابن كثير فى تفسير هذه الآية: " يخبر الله تعالى أنه استخرج ذرية بنى آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكهم وأنه لا إله إلا هو كما أنه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم عليه "[٣].

---

(١) ٢ ـ بطرس ١ : ٢١.

(٢) د/ عوض الله حجازى: مقارنة الأديان ص (٣٦).

(٣) تفسير ابن كثير (٢ / ٢٦١).

وقوله تعالى ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ الأنبياء : ٢٥.

ومن هنا كان الاعتراف بالوحدانية لله تعالى أمراً مقرراً ومعترفاً به لدى الناس جميعاً منذ خلقهم الله تعالى، وأما الشرك والكفر، والتعدد والبعد عن العقيدة السليمة فأمر عرض للإنسانية بعد ذلك "(١).

فالتوحيد هو العقيدة التى أوحى الله بها إلى أنبيائه ورسله ليبلغونها إلى البشر.

فدين الأنبياء والرسل جميعاً هو التوحيد الخالص المنزه من الشوائب والنقائص ، وهو العقيدة التى أوحى الله بها إلى آدم عليه السلام أبى البشر .

يقول الله لآدم ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ سورة البقرة : ٣٨، ٣٩.

ويقول سبحانه ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ سورة طه ١٢٣ - ١٢٧.

فالجماعة الإنسانية الأولى لم تُترك وشأنها تستلهم غرائزها وحدها - بغير مرشد ومذكر - بل تعهدتها السماء بنور الوحى من أول يوم فكان آدم أبو البشر أول المؤمنين الموحدين وأول المتضرعين الأوابين (٢)

" إن الأخبار المقدسة خاصة الواردة فى القرآن الكريم تحدثنا عن أن التدين كان مصدره الوحى ابتداء، وأنه الصورة الأولى التى عرفها الإنسان وتعلمها ووقف عليها "(٣).

---

(١) د/ عوض الله حجازى : مقارنة الأديان ص (٣٧).

(٢) المرجع السابق ص (٤٣).

(٣) د/ عبد الله الشاذلى : الحكمة العربية ص (٢٦٣).

كل هذا يدل على أن الأديان التى اعتقدت بالتثليث كانت فى أول عهدها تؤمن بالتوحيد ثم انحرفت فأدخلت التعدد والوثنية.

" ألا وإننا نعرف بالاستقراء أن كل واحدة من هذه الديانات بدأت بعقيدة التوحيد النقية ثم خالطتها الشوائب والأباطيل على طول العهد[١].

لقد بدأ الإنسان إذن موحداً بالله سبحانه وتعالى فطرياً[٢] وعن طريق الوحى السماوى المنزل من عند الله سبحانه وتعالى على أبى البشر آدم عليه السلام.

ولكن الإنسان حاول بعد ذلك التدخل فى هذا الوحى السماوى فبدأ يشوه العقيدة الصحيحة ويضيف إليها ويخلطها بأهوائه، فأضاف الألوهية إلى كثيرين، وأصبح التعدد فى الألوهية أمراً مألوفاً لديه.

والقرآن الكريم يشير إلى أن هذا التدخل بدأ منذ فترة طويلة وذلك قبل زمان سيدنا نوح عليه السلام بقليل [٣]

فلقد عبد الناس سبعة من الصالحين بعد موتهم [٤]، فنصبوا لهم التماثيل والأوثان يعبدونها من دون الله، ولذلك أرسل الله إليهم نوحاً عليه السلام يدعوهم إلى العبادة الصحيحة وترك هذه الأوثان التى عبدوها من دون الله.

يقول سبحانه ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ۝ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴾ سورة نوح - ٢٣ - ٢٤.

وكان الناس قبل هذا الزمان - كما يشير القرآن الكريم - أمة واحدة على الإيمان بالله وتوحيده فلما اختلفوا أرسل الله إليهم الرسل مبشرين ومنذرين ... يقول سبحانه

---

(١) د/ محمد عبد الله دراز: الدين ص (١١٦).

(٢) نقصد بالتوحيد الفطرى هو توحيد الربوبية.

(٣) يقول أبو زيد البلخى " وعبادة الأوثان دين كان موجوداً قبل نوح عليه السلام بدلالة قوله تعالى (وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعا ...) سورة نوح آية ٢٣، راجع مفاتيح الغيب (٣٠ / ١٤٣).

(٤) راجع تفسير ابن كثير (٤ / ٤٢٦).

﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ﴾ سورة البقرة : ٢١٣.

يقول جمهور العلماء:" كان الناس على دين واحد هو الإيمان والحق فلما اختلفوا أرسل الله إليهم الأنبياء والرسل مبشرين ومنذرين "[١].

ويقول سبحانه ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُواْ﴾ سورة يونس: ١٩.

يقول ابن كثير- في معنى هذه الآية واتصالها بما قبلها -: " ثم أخبر تعالى أن هذا الشرك حادث في الناس كائن بعد أن لم يكن وأن الناس كلهم كانوا على دين واحد هو الإسلام"[٢].

والسؤال الآن: لماذا اتجه الإنسان إلى الشرك والوثنية والتعدد؟

لماذا اتجه الإنسان إلى التثليث؟ وما مصدره؟[٣].

الحق أن الاتجاه إلى الوثنية عامة نشأ نتيجة لانحراف الإنسان عن فطرة الله ووحيه، واتباعه لشهواته وأهوائه.

ولقد أجاب العلماء عن هذا السؤال بإجابات كثيرة.

وقد أورد الإمام فخر الدين الرازي وجوهاً سبعة للإجابة عن هذا السؤال.

الوجه الأول:

هذه المقالة إنما تولدت من مذهب القائلين بأن الله جسم، وفي مكان، وذلك لأنهم قالوا إن الله نور هو أعظم الأنوار، والملائكة الذين هم حافون حول العرش الذي هو مكانه هم أنوار صغيرة بالنسبة إلى ذلك النور الأعظم، فالذين اعتقدوا هذا المذهب اتخذوا صنماً هو أعظم الأصنام على صورة إلههم الذي اعتقدوه واتخذوا

---

(١) راجع مفاتيح الغيب (٦ / ١٢).

(٢) تفسير ابن كثير (٢ / ٤١١).

(٣) إننا نفصل القول هنا في تاريخ التثليث حتى يتبين مدى افتراء المسيحيين على الله سبحانه وتعالى بنسبة التثليث إليه على أنه مصدره، فالتثليث على مر العصور شرك وكفر ووثنية وخروج على الدين الصحيح، وبعد عن الوحي السماوي.

أصناماً متفاوتة بالكبر، والصغر ، والشرف، والخسة، على صورة الملائكة المقربين، واشتغلوا بعبادة تلك الأصنام على اعتقاد أنهم يعبدون الإله والملائكة، فدين عبادة الأوثان إنما ظهر من اعتقاد التجسيم.

الوجه الثانى:

وهو أن جماعة الصابئة كانوا يعتقدون أن الإله الأعظم خلق هذه الكواكب الثابتة والسيارة وفوض تدبير هذا العالم السفلى إليها، فالبشر عبيد هذه الكواكب ، والكواكب عبيد الإله الأعظم، فالبشر يجب عليهم عبادة الكواكب، ثم إن هذه الكواكب كانت تطلع مرة وتغيب أخرى فاتخذوا أصناماً على صورها واشتغلوا بعبادتها، وغرضهم عبادة الكواكب.

الوجه الثالث:

أن القوم الذين كانوا فى قديم الدهر كانوا منجمين على مذهب أصحاب الأحكام فى إضافات سعادات هذا العالم ونحوساتها إلى الكواكب فإذا اتفق فى الفلك شكل عجيب صالح لطلسم عجيب فكانوا يتخذون ذلك الطلسم، وكان يظهر منه أحوال عجيبة وآثار عظيمة، وكانوا يعظمون ذلك الطلسم ويكرمونه ويشتغلون بعبادته، وكانوا يتخذون كل طلسم على شكل موافق لكوكب خاص ولبرج خاص، فقيل كان (ود) على صورة رجل. و (سواع) على صورة امرأة. و (يغوث) على صورة أسد. و (يعوق) على صورة فرس. و (نسر) على صورة نسر.

الوجه الرابع:

أنه كان يموت أقوام صالحون، فكانوا يتخذون تماثيل على صورهم ويشتغلون بتعظيمها، وغرضهم تعظيم أولئك الأقوام الذين ماتوا حتى يكونوا شافعين لهم عند الله وهو المراد من قولهم ﴿ **مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ** ﴾ سورة الزمر : ٣.

الوجه الخامس:

أنه ربما مات ملك عظيم، أو شخص عظيم، فكانوا يتخذون تمثالاً على صورته وينظرون إليه، فالذين جاءوا بعد ذلك ظنوا أن آباءهم كانوا يعبدونها فاشتغلوا بعبادتها لتقليد الآباء، أو لعل هذه الأسماء الخمسة وهى (ود - وسواع - ويغوث -

ويعوق ـ ونسر) أسماء خمسة من أولاد آدم فلما ماتوا قال إبليس لمن بعدهم: لو صورتم صورهم فكنتم تنظرون إليهم، ففعلوا، فلما مات أولئك قال لمن بعدهم إنهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم.

الوجه السادس:

الذين يقولون إنه تعالى جسم، وأنه يجوز عليه الانتقال والحلول، لا يستبعدون أن يحل تعالى فى شخص إنسان، أو فى شخص صنم، فإذا أحسوا من ذلك الصنم المتخذ على وجه الطلسم حالة عجيبة، خطر ببالهم أن الإله حل فى ذلك الصنم.

الوجه السابع:

لعلهم اتخذوا تلك الأصنام كالمحراب، ومقصودهم بالعبادة هو الله "[١].

وهذه الأوجه السبعة صورت كل العلل التى اتجه الإنسان بسببها إلى التعدد والشرك والوثنية على مر العصور، فلا يخلو أى اتجاه للشرك والوثنية ـ غالباً ـ من أن يكون له وجه من الوجوه السبعة السابقة.

والذى يهمنا هنا هو أن نبين أى الوجوه السبعة يمكن أن ينطبق عليها بداية الاتجاه إلى الوثنية.

والرأى الراجح ـ فى نظرى ـ أن الوجه الخامس هو الذى يمكن أن يمثل بداية اتجاه الإنسان إلى الشرك والوثنية، والذى يدل على أن الناس اتجهوا للوثنية والانحراف عن شرع الله ووحيه نتيجة تعظيمهم أشخاصاً ـ ملوكاً كانوا أم عباداً صالحين ـ أو أقواماً صالحين، فلما ماتوا اتخذوا تماثيل على صورهم، وحين تطاول الزمن عليهم اعتقد الناس أن آباءهم كانوا يعبدونها ويتجهون إليها بالعبادة والخضوع.

وهذا الرأى هو الذى تدل عليه الأدلة، والتى ترجح أن يكون هو السبب فى اتجاه الإنسان إلى الوثنية والشرك.

---

(١) مفاتيح الغيب (٣٠ / ١٤٣ ـ ١٤٤).

فالقرآن الكريم يشير إلى أن حجة الوثنيين والمشركين على مر العصور والأزمان ومع معظم الأنبياء والرسل[١] ﴿ وَجَدْنَا ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ سورة الشعراء : ٧٤.

يقول سبحانه ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ سورة البقرة : ١٧٠.

فالمشركون وعبدة الأصنام زمن الخليل إبراهيم عليه السلام حينما كان يدعوهم إلى الإيمان يقولون له ﴿ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴾ سورة الأنبياء : ٥٣.

وموسى وهارون عليهما السلام حين بعثهما الله إلى فرعون وملائه وطلبا منهم الإيمان بالله وحده لا شريك له، قالوا لهما ﴿ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴾ سورة يونس : ٧٨.

وسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام حين دعا المشركين إلى الإيمان بالله قالوا له ﴿ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ﴾ سورة المائدة : ١٠٤.

كذلك يشير القرآن الكريم إلى أن الله سبحانه وتعالى أخذ على بنى آدم العهد والميثاق أن يؤمنوا به ولا يشركوا به شيئا، وألا يتعللوا بأن آبائهم وأجدادهم وأسلافهم أشركوا من قبل، وأنهم قلدوهم فى ذلك. يقول سبحانه ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ سورة الأعراف ١٧٢، وفى هذا تأكيد على أن تقليد الآباء هو سبب أساسى فى نقض

---

(١) وكذلك يوضح القرآن الكريم أن هذه هى حجتهم فى كل حياتهم عامة، فإذا اختبرهم الله ببأس أو ابتلاهم بشدة ليتضرعوا، لم يفعلوا ذلك، فإذا قلب عليهم الحال إلى الرخاء ليشكروا فما فعلوا ذلك ثم قالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء. يقول سبحانه " وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾ سورة الأعراف : ٩٤-٩٥.
راجع تفسير ابن كثير (٢ / ٢٣٣).

العهد والميثاق، والانحراف عن توحيد الله وتنزيهه، والإشراك بالله بحجة إشراك الآباء من قبل.

بل إن القرآن الكريم يشير غالباً والله أعلم بالصواب ـ أن البداية الفعلية للاتجاه إلى الفحش عامة هو الاعتقاد بتقليد الآباء والأجداد.

ففى سورة الأعراف يوجه الله سبحانه وتعالى ـ بعد قصة آدم وتوبته ـ نداء إلى بنى آدم يطلب منهم الحذر من الشيطان الذى يغريهم فينزع عنهم لباس الإيمان والتقوى، ثم يبين المولى بعد ذلك العلة الأساسية التى يتذرع بها بنو آدم لإتيان الفحش فيقول ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ سورة الأعراف : ٢٨.

فالبشر اتجهوا إلى الوثنية بسبب اتخاذهم تماثيل وصوراً للأبطال أو الصالحين، ثم بعد ذلك اعتقد أبناؤهم أن آباءهم كانوا يعبدونها من دون الله فعبدوا هذه التماثيل والأصنام.

والآثار تدل على أن الآلهة الخمسة التى كان يعبدها قوم نوح كانوا فى الأصل عباداً صالحين فزين لهم الشيطان بعد أن ماتوا أن يصوروهم على هيئة تماثيل وصور حتى يتذكرونهم[1] ثم بعد ذلك عبدت هذه التماثيل وتلك الصور.

ومن وقتها بدأ الناس يتخذون آلهة وثنية، وأصبح التعدد فى الألوهية بالنسبة لهم أمراً مألوفا.

ولقد كان التثليث تحديداً لهذا التعدد، فالبطل أو الصالح الذى أصبح إلهاً تكون زوجته وابنه هم أحق الناس بأن يشاركوه الألوهية.

يقول د/ أحمد شلبى : " أما التثليث فلعله كان تحديداً لهذا التعدد الذى بولغ فيه أحياناً، ويمكن القول بأن تحديد الآلهة بثلاثة عمل له صلة بعبادة الأبطال، تلك العبادة التى بدأت منذ فجر التاريخ ، وارتباط التثليث بعبادة الأبطال مرجعه إلى أن الجماهير كانت تعبد البطل لعمل رائع قام به ثم يتخذ البطل له زوجة فتحتل معه

---

(١) راجع تفسير ابن كثير (٤ / ٢٤٦)، تفسير القرطبى (٢٨ / ٣٠٧، ٣٠٨).

مكان الألوهية، وتسجد لهما الجماهير وينجب الزوجان ويعين البطل أحد أبنائه ليتولى مكانه فيما بعد فتسجد له الجماهير أيضاً، ويتم بذلك الثالوث، تلك هى الفكرة الأولى للتثليث، ثم انطلق التثليث فلم يعد يتقيد بهذه الفكرة وأصبح الثالوث معروفاً لكثير من الأمم"[١].

هذا هو تاريخ التثليث لا نجد فيه أى آثار لوحى من الله سبحانه وتعالى، إنما هو فى الأصل - كما هو الآن كذلك - انحراف عن شرع الله ووحيه.

وعلى هذا فالصلة التى ادعاها المسيحيون بين التثليث الوثنى والتثليث المسيحى - على أنهما من مصدر واحد هو الله - صلة غير صحيحة، فهذا القول فيه افتراء على الله سبحانه وتعالى، و افتراء على رسل الله، وافتراء على الكتب المنزلة من عند الله، ، بل وافتراء على التاريخ الإنسانى الذى بدأ بالتوحيد المنزل من عند الله ثم انحرف الإنسان عن هذا التوحيد إلى الشرك والوثنية والتعدد.

الصلة الحقيقية بين التثليث الوثنى والتثليث المسيحى:

والصلة الحقيقية بين التثليث الوثنى والتثليث المسيحى هى صلة أخذ وتأثر، ولا يقول عاقل إن الوثنية هى التى أخذت أو هى التى تأثرت بالمسيحية فالثالوث الوثنى كان منتشراً فى معظم الأديان الوثنية قبل ظهور المسيحية بآلاف السنين.

فالمسيحية هى التى أخذت وهى التى تأثرت بالتثليث الوثنى ، وهذه نتيجة لما سبق، فالتثليث المسيحى لا يدل عليه دليل من نقل أو عقل، ولم يقل به نبى أو رسول من الرسل، ولم يدع إليه المسيح عليه السلام، حتى الكتب - التى يدعون قدسيتها - ليس فيها أدلة واضحة وقطعية عن التثليث، كل الأدلة التى أوردها المسيحيون منها أدلة ظنية ومحتملة، بل واحتمال الاستدلال بها على التثليث من أبعد الوجوه المحتملة.

وعلى هذا فالمصدر الصحيح للتثليث المسيحى هو التثليث الذى كان منتشراً وقت ظهور المسيحية فى معظم بلدان العالم، حتى الأقوام الذين لم يكن التثليث من بين

---

(١) د/ أحمد شلبى: المسيحية ص (١٣٠ ١٣١).

معتقداتهم الأصلية أخذوه من الأديان الشرقية، أو على الأقل علموا به أو هم كانوا يعتقدون بالتعدد على أى وجه من الوجوه.

ولقد ساعد على انتشار عقيدة التثليث ـ وغيرها من المعتقدات الوثنية ـ وقت ظهور المسيحية الروح الدينية التى كانت تتميز بها البلاد آنذاك، وهى روح التسامح والمزج الدينى إزاء الأديان الأخرى، ولم يمنع الرومان ذلك، بل ساعدوا عليه وذلك بأن تدينوا بالمعتقدات الشرقية واليونانية.

فلقد أخذ اليونان والرومان المعتقدات الشرقية وتدينوا بها ومزجوها بمعتقداتهم فانتشر بينهم الثالوث المصرى بعد أن مزجوه بمعتقداتهم، وكانت الطريقة التى اتبعها الرومان واليونان آنذاك إزاء آلهة الأديان الأخرى " إما أن يحتضنوها ويعبدوها جنباً إلى جنب مع الآلهة التى كانوا يعرفونها من قبل ، وإما أن يسلموا بها باعتبارها موضعاً للعبادة من شعب آخر، أو أنهم يقرنون القوى الجديدة بالكائنات العلوية الخاصة بهم، وقد يتخذون من ذلك الاسم الأجنبى لقباً لإلههم المحلى، أو يكتفون بالقول بأن هذا الشعب أو ذاك يعبد إلهاً من الآلهة التى يعرفونها هم، وإن كان هذا الشعب المقصود يطلق عليه اسماً مخالفاً [1].

وعلى كل الأحوال كانت المعتقدات الوثنية المختلفة للشعوب المختلفة كلها ـ أو معظمها ـ معروفة فى معظم بلاد العالم آنذاك، وكان من أهم هذه العقائد (التثليث).

وحين دخل الوثنيون المسيحية دخلوها وأذهانهم مليئة بالمعتقدات الوثنية، فكان كل واحد منهم لا يستطيع فهم المسيحية بغير ما هو ممتزج بفهمه وعقله، ومغروس فى قلبه، وعن طريق هؤلاء الوثنيين دخلت المعتقدات الوثنية، وكان أهم هذه المعتقدات ـ التى دخلت على أيدى الوثنيين ـ عقيدة التثليث.

فالتثليث فى المسيحية عقيدة وثنية انتقلت إليها عن طريق الوثنيين الداخلين فيها.

---

(١) الديانة اليونانية ص (٢٠).

وقد أكد العلامة (جارسلاف كرينى) أستاذ الحفريات بجامعة إكسفورد: " وجود التماثل والتطابق التام بين الثالوث المسيحى والثالوث الفرعونى الأمر الذى دعاه إلى التقرير بأن الثالوث المسيحى مأخوذ من الثالوث الفرعونى "(١).

ويقول ول ديورانت: " إن المسيحية لم تقض على الوثنية بل تبنتها.. ثم يقول : فجاءت من مصر آراء الثالوث المقدس "(٢).

ويقول المستشرق الفرنسى إميلينو: " إن روح الله القدس فى دستور الإيمان المسيحى إنما يقوم مقام (الآلهة الأم) فى علم اللاهوت المصرى مستدلاً على ذلك بأن كلمة (رواح) العبرية التى هى (روح) فى العربية كلمة مؤنثة"(٣).

ويرى بعض الباحثين أن التثليث يمكن أن يكون مأخوذاً من الديانة الهندية (٤).

والصحيح - فى نظرى - أن المسيحية استقت أصول التثليث من كل الديانات الوثنية التى كانت تعتقد بالتثليث آنذاك خاصة وأن الوثنيين الذين دخلوا المسيحية وأدخلوا معهم عقائدهم الوثنية فى المسيحية لم يكونوا مصريين فقط أو هنوداً فقط، بل كانوا من معظم الأمم الوثنية آنذاك.

يقول الشيخ محمد رشيد رضا: " والله إننى لا أرى من عجائب أطوار البشر وقلبهم للحقائق ولبسهم الحق بالباطل أعجب وأغرب من وجود الديانة النصرانية فى الأرض، ديانة بنيت على أساس التوحيد الخالص المعقول، جعلوها ديانة وثنية بتثليث غير معقول أخذوه من تثليث اليونان والرومان المقتبس من تثليث المصريين والبراهمة اقتباساً مشوهاً"(٥)

ولقد عملت المسيحية على أن تستوعب مزايا الديانات الوثنية - فى نظر أصحابها - حتى تكون مقبولة لدى كل الوثنيين، ولذلك حينما وجد المسيحيون أن الفلسفة الأفلاطونية الحديثة - التى تأثرت بالديانات الشرقية - فلسفت التثليث، عملوا بكل

---

(١) راجع : الله واحد أم ثالوث ص (٨١).
(٢) قصة الحضارة. المجلد الثالث (٣ / ٢٧٦).
(٣) راجع: إيريس حبيب المصرى : قصة الكنيسة القبطية (١ / ٣٦).
(٤) د/ على عبد الواحد وافى: الأسفار المقدسة ص (١١٣).
(٥) تفسير المنار (٦ / ٧٧).

جهدهم أن يلصقوا بثالوثهم تلك الفلسفة، وهذا هو الذى حدا بكثير من الباحثين أن يعتقدوا أن الثالوث فى المسيحية مقتبس من الفلسفة الأفلاطونية.

يقول الشيخ أبو زهرة - بعد بيان قرارات المجمع المسكونى الثانى - وبذلك تم الثالوث الذى يتشابه تماماً مع فلسفة الإسكندرية "[1].

ويقول: "إن التثليث الذى اشتملت عليه فلسفة الإسكندرية كان يعلن على ألسنة بطاركتها، وأنهم كانوا يمثلون تلك الفلسفة بآرائهم أكثر من تمثيلهم لمسيحية المسيح"[2].

ويقول: " وهنا يرد على النفس سؤال: أيهما استقى من الآخر؟ وأيهما كان الينبوع؟ أأخذت الأفلاطونية الحديثة من النصرانية أم أن النصرانية الحاضرة هى التى أخذت عن الفلسفة؟

إن الجواب عن هذا يقتضى تعرف السابق منهما، فالسابق بلا ريب أستاذ اللاحق، والزمن هو الذى يحكم ويفصل، إن مجمع نيقية هو الذى سار فى تقرير التثليث ووضع الأساس لمن بعده، وهذا المجمع كان فى سنة ٣٢٥م، والمسيحيون قبله كانوا على اختلاف كبير... وعلى ذلك يكون تثليث المسيحية كحقيقة مقررة متأخراً عن أفلوطين، لأن أفلوطين توفى سنة ٢٧٠م والتثليث لم يتكامل إلا فى آخر القرن الرابع، والمتقدم أستاذ للمتأخر كما يرجح العقل وكما يوجبه الظن الذى لا يعد من الإثم "[3].

وهذا الرأى يقول به د/ على عبد الواحد وافى فيقول: " ويظهر أن هذه العقيدة المسيحية الطارئة قد نشأت عن تأثر بالفلسفة الأفلاطونية الحديثة... فوجه الشبه واضح كل الوضوح بين هذا المذهب من جهة، وعقيدة التثليث التى استقرت عليها المسيحية من جهة أخرى، وإذا لاحظنا أن هذا المذهب كانت منتشراً ومعروفاً قبل مجمع نيقية بأمد طويل، وأنه كان المذهب الفلسفى لمدرسة الإسكندرية، وأن بطريرك الإسكندرية الذى نشأ فى البيئة التى ساد فيها هذا المذهب كان من أكبر المدافعين عن عقيدة التثليث فى مجمع نيقية، وفى المجمع القسطنطينى الأول، إذا لاحظنا هذا كله

---

(١) محاضرات فى النصرانية ص (١٦١).
(٢) المرجع السابق ص (١٥٧).
(٣) المرجع السابق ص (٤٣ـ٤٥).

ترجح الاحتمال الذى ذكرناه وهو أنه يظهر أن العقيدة المسيحية الطارئة قد نشأت عن تأثر بالفلسفة الأفلاطونية"(١).

ويقول ول ديورانت: " وأفلوطين هو آخر الفلاسفة الوثنيين العظام وهو مسيحى بلا مسيح، ولقد قبلت المسيحية كل سطر من أسطره تقريباً"(٢).

فالتثليث المسيحى مشابه للتثليث الأفلاطونى - فى الأفلاطونية الحديثة - الذى كان منتشراً قبل تقرير عقيدة التثليث، ولذلك فالتثليث المسيحى - فى نظر هؤلاء وغيرهم - مقتبس من الثالوث الأفلاطونى.

والرأى الراجح - فى نظرى - أن المسيحيين اعتقدوا بالتثليث أخذاً من الديانات الوثنية، ثم بعد ذلك أخذوا التبريرات الفلسفية، والتصورات العامة عن الثالوث والعلاقة بينهم من الفلسفة الأفلاطونية، خاصة وأن أفلوطين استقى تعاليمه الدينية من الديانات الشرقية.

فربما أخذت الأفلاطونية الحديثة فكرة الثالوث من الديانات الشرقية، ثم بعد ذلك صورت هذا الثالوث بتصوير فلسفى، وهذا التصوير هو الذى أخذته المسيحية، ولذلك إذا راجعت المجامع المسيحية وجدت المصطلحات المستخدمة فى المناقشات هى مصطلحات فلسفية استخدمتها الأفلاطونية الحديثة مثل (صدر الابن عن الآب) أو (تولد منه) ولذلك فهو (أزلى).. إلى آخره. فالثالوث الأفلاطونى يبين أن الأول هو الله والثانى هو العقل أو الكلمة الذى صدر عن الأول، ومن العقل انبثقت الروح، وهذه الفلسفة هى التى أخذتها المسيحية.

يقول ليون جوتيه: حقاً استند اللاهوت المسيحى مثل المذهب الأفلاطونى الجديد إلى مذهب التثليث، فالأقانيم الثلاثة الإلهية هى نفسها لا تختلف فيهما، الأول هو الله الذى لا يوصف ولا يحيط به إدراك، الله الذى يحوى فى وحدته كل الكمالات إذ كان منبعها هو الخير المطلق، وقد أطلق عليه المسيحيون اسم الآب، والثانى أو الابن هو الكلمة وهو كذلك العقل الإلهى، والثالث هو دائماً الروح روح القدس"(٣).

---

(١) الأسفار المقدسة ص (١١٣).

(٢) قصة الحضارة. المجلد الثالث (٣ / ٣٠٤).

(٣) ليون جوتيه: المدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية ص (١٤٣، ١٤٤).

ولذلك نجد بعض الاختلافات الهامة بين الثالوث المسيحى وثالوث الأفلاطونية الجديدة. فالأفلاطونية لا تقول بأن الثالوث متساو فى الصفات الإلهية، فالثانى أدنى من الأول والثالث أدنى من الثانى[١].

وهذا يدل على أن المسيحية أخذت فلسفة الثالوث فقط من الأفلاطونية الحديثة.

والخلاصة:

أن المسيحية استقت أصول عقيدة التثليث من مواد وثنية من الديانات الشرقية، ثم استقت الطابع الفلسفى من الفلسفة الأفلاطونية. ولكى يضمن المسيحيون عدم مخالفتهم للعهد القديم المصرح بالتوحيد أضافوا إلى عقيدة التثليث فكرة أن الثالوث واحد، وحاولوا بكل جهدهم التوفيق بين الوحدانية والتثليث وحاولوا الاستدلال على ذلك ولكنهم لم يستطيعوا.

قانون الإيمان المسيحى مأخوذ من الوثنية

ولم يقتصر أخذ المسيحيين لعقيدة التثليث وشرحها من الأصول الوثنية بل وجد الباحثون أن قانون الإيمان الهندى الوثنى يشبه تماماً قانون الإيمان المسيحى المشتمل على التثليث.

يقول الأستاذ (مالفير) فى كتابه المطبوع سنة ١٨٩٥م وترجمه إلى العربية (نخلة بك شفوات سنة ١٩١٣م) ما يلى: نؤمن (بسافيسترى) أى الشمس إله واحد ضابط الكل، خالق السموات والأرض، وبابنه الوحيد (آتى) أى النار نور من نور، ومولود غير مخلوق، تجسد من (فايو) أى الروح فى بطن (مايا) العذراء، ونؤمن (بفايو) الروح الحى المنبثق من الأب والابن الذى هو مع الأب والابن يسجد له ويمجد.

فالثالوث القديم هو سافيسترى (الشمس) أى الأب السماوى، وآنى (النار) أى الابن وهو النار المنبعثة من الشمس، وفايو (نفخة الهواء) أى الروح، هو أساس المذاهب عند الشعوب الإريانية أى الهنود القدماء[٢].

---

(١) المرجع السابق ص (١٤٤).

(٢) مالفير: تاريخ الخلفاء ص (٩، ١٠).

ولو قرأنا قانون الإيمان المسيحى لوجدنا التشابه والتطابق الكامل.

وبرغم أننا ذكرنا هذا القانون سابقاً، لكننا نذكره هنا مرة ثانية لنذكر القارئ به، ولنرى مدى التشابه بينه وبين قانون الإيمان الهندى.

يقول قانون الإيمان المسيحى " نؤمن بإله واحد الآب ضابط الكل خالق السموات والأرض ما يرى وما لا يرى، وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساو للآب فى الجوهر، الذى به كان كل شئ ، الذى من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا نزل من السماء، وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء وتأنس، وصلب على عهد بيلاطس البنطى، وتألم وقبر، وقام من الأموات فى اليوم الثالث كما فى الكتب، وصعد إلى السموات وجلس عن يمين أبيه، وسيأتى بمجده ليدين الأحياء والأموات الذى ليس لملكه انقضاء، وبروح القدس الرب المحيى المنبثق من الآب المسجود له مع الآب والابن الناطق بالأنبياء "[١].

ويلاحظ هنا التشابه التام والتطابق الكامل لكل من القانونين. فلو حذفت بعض العبارات التفصيلية فى قانون الإيمان المسيحى لوجدته هو نفسه قانون الإيمان الهندى.

وهكذا يتضح بجلاء أن عقيدة التثليث فى المسيحية مأخوذة من الوثنية، وأن قانون الإيمان المسيحى المشتمل على هذه العقيدة مأخوذ من قانون الإيمان الهندى الوثنى، فهو يشبهه تماماً فى كل فقراته وألفاظه ومعانيه.

رد موجز على عقيدة التثليث:

إن عقيدة التثليث متهافته من كل الجوانب :

١- فهى عقيدة لم ينطق بها نبى من الأنبياء ولا رسول من الرسل، ولم تأت فى كتاب من الكتب المقدسة لدى المسيحيين، ولم تأت فى كتاب سماوى منزل من عند الله[٢].

٢- المسيح عليه السلام الذى يدعى المسيحيون النسبة إليه لم يتحدث عن التثليث ولا عن الأقانيم ولا عن الله بالمفهوم الذى يعتقده المسيحيون الآن.

---

(١) راجع خلاصة الأصول الإيمانية فى معتقدات الكنيسة القبطية ص (١٠٠ ، ١٠١).

(٢) وذلك بالرجوع إلى القرآن الكريم.

٣ـ هذه العقيدة وثنية أخذها المسيحيون من الوثنيين ولذلك فهى منافية للعقل ومتناقضة مع بديهات العقول والمنطق.

ويتبين ذلك من الوجوه الآتية:

أولاً: أن التثليث والتوحيد عند المسيحيين حقيقان بمعنى أنهم يحملون التوحيد والتثليث كليهما على المعنى الحقيقى، وهى قضية فاسدة فلا يمكن أن يكون الثلاثة واحداً والواحد ثلاثة، لأنه إذا ثبت أنه يوجد إله واحد حقيقى انتفى وجود ثلاثة أقانيم، وكذا إذا وجدت ثلاثة انتفى وجود واحد، لأن الواحد والثلاثة متنافيان فلا يجتمعان فى ذات واحدة فى وقت واحد.

" والقول بأن التثليث الحقيقى والتوحيد الحقيقى وإن كانا ضدين حقيقيين فى غير الواجب لكنهما غير ذلك فى الواجب فيه سفسطة محضة، لأنه إذا ثبت أن الشيئين بالنظر إلى ذاتيهما ضدان حقيقيان أو نقيضان فى نفس الأمر، فلا يمكن اجتماعهما فى أمر واحد شخصى فى زمان واحد من جهة واحدة واجباً كان ذلك الأمر أو غير واجب، كيف:

١ـ وأن الواحد الحقيقى ليس له ثلث صحيح، والثلاثة لها ثلث صحيح وهو واحد.

٢ـ وأن الثلاثة مجموع آحاد ثلاثة، والواحد الحقيقى ليس مجموع آحاد رأساً.

٣ـ وأن الواحد الحقيقى جزء الثلاثة فلو اجتمعا فى محل واحد يلزم كون الجزء كلاً والكل جزءاً.

٤ـ وأن هذا الاجتماع يستلزم كون الله مركباً من أجزاء غير متناهية بالفعل لاتحاد حقيقة الكل والجزء على هذا التقدير، والكل مركب، فكل جزء من أجزائه أيضاً مركب من الأجزاء التى تكوّن عين هذا الجزء، وهلم جراً، وكون الشئ مركباً من أجزاء غير متناهية بالفعل باطل قطعاً.

٥ـ وأن هذا الاجتماع يستلزم كون الواحد ثلث نفسه، والثلاثة ثلث الواحد وكون الثلاثة ثلاثة أمثال نفسها، والواحد ثلاثة أمثال الثلاثة"[1] وهذا ما لا يقول به عاقل.

---

(١) إظهار الحق ص (٣٣٥).

http://kotob.has.it

ثانياً: أن كل أقنوم فى نظر المسيحيين متميز عن الآخر بامتياز حقيقى - كما سبق بيان ذلك - ومع ذلك فهى فى نظرهم إله واحد، وهذا يستلزم ألا يكون الله حقيقة محضة بل مركباً وهذا باطل لما يأتى:

(١) أن الشئ المركب لا يتكون ولا يتم وجوده إلا بعد وجود تلك العناصر والأجزاء، فوجود الأجزاء يسبق تكوينها وتركيبها، وهذا يعنى أن الله وجد بعد أن لم يكن وهو باطل، فبطل ما أدى إليه وهو تركبه من أجزاء.

(٢) أن الشئ المركب يفتقر فى تحققه وتكونه إلى كل جزء من أجزائه، فإذا لم يفتقر بعض الأجزاء إلى البعض الآخر لا يمكن أن تتألف الذات الأحدية، والله لا يفتقر إلى شئ ولا يحتاج إلى أحد فهو الغنى وحده والكل محتاج إليه.

(٣) أن المركب لابد له من مركِب - بكسر الكاف - يتولي تركيب أجزائه وعناصره وضم بعضها إلى بعض حتى يتكون الكل ويصير كاملا، فالأجزاء والعناصر لا ينضم بعضها إلى البعض الآخر دون علة، والله سبحانه وتعالى لم يكونه أو يركبه أحد ولا علة له، فهو موجود بذاته أزلاً.

(٤) أن المركب محدود بكيمة أجزائه وعناصره ومقدراها، فهو محدود بحدود الأجزاء التى ركب منها وذلك يؤدى إلى تحيزه والله جل فى علاه غير محدود ولا متناه[١].. وبهذا يبطل كون الله مركباً.

ثالثاً: المسيحيون يعتقدون بأن الأقانيم متمايزة بعضها عن بعض...

"فما معنى هذا التمييز؟ فإن قيل: إن التمييز فى الصفات لا فى الذات قلنا: يلزم من ذلك أن تسلب الصفة الثبوتية التى تثبتها لأحدهم دون الآخر، فإذا قلنا إن الأب حى ناطق لزم أن يكون الابن صامتاً، وإلا لما ثبت التمايز والتغاير"[٢]

ثم يقال أيضاً: الأمر الذى حصل به هذا التمييز إما أن يكون من صفات الكمال أو لا يكون، فعلى الشق الأول لم يكن جميع صفات الكمال مشتركاً فيها بينهم،

---

(١) راجع الله واحد أم ثالوث ص (٦٨)، إظهار الحق ص (٣٣٥)، القرآن وعقائد أهل الكتاب ص (٢٣٤).

(٢) راجع: بهجة التفريح بحقيقةالسيد المسيح وهى مناظرة جرت بين أيوب صبرى - أحد المسيحيين الذين اهتدوا إلى الإسلام - وأحد المسيحيين (وهى مطبوعة على هامش السيف الصقيل ص ٢١١).

بمعنى أنه لا يحصل الكمال التام لكل أقنوم، وهذا خلاف ما تقرر عندهم، إذ أن كل أقنوم من هذه الأقانيم - فى نظرهم - متصف بجميع صفات الكمال.

وعلى الشق الثانى: فالموصوف به يكون موصوفاً بصفة ليست من صفات الكمال، وهذا نقصان يجب تنزيه الله عنه[١].

ويمكن أن يقال لهم أيضاً: إنه لو كانت الأقانيم متميزة بامتياز حقيقى، وجب أن يكون المميز - بكسر الياء - غير الوجوب الذاتى، لأنه مشترك بين الأقانيم ضرورة أن ما به الاشتراك غير ما به الامتياز، فيكون كل أقنوم مركباً من جزءين، وكل مركب ممكن لذاته، فيلزم أن يكون كل واحد منهم ممكناً لذاته وهو باطل"[٢].

هذا إلى جانب أن التمييز يعنى عدم المساواة بين كل الأقانيم فى كل الصفات. وأن كل أقنوم متميز بجانب - هو فى الأقنوم الآخر غير موجود، أو هو موجود بدرجة أقل - بمعنى أن الأقنوم الأول مميز بجانب، والأقنومين الآخرين متميزين عنه بشيئين آخرين، وهذا يعنى أن الأقانيم الثلاثة ناقصة ومحتاجة إلى بعضها الآخر حتى يتم لها الكمال، والنقص والاحتياج على الله محال.

رابعاً: هذه الأقانيم الثلاثة المكونة للذات الإلهية، هل محتاج بعضها إلى بعض أم لا؟ فإن كانت محتاجة إلى بعضها لزم عقلاً أن يكون جزء الإله وهو بعض هذه الأقانيم محتاجاً وهذا باطل، لأنه لو احتاج بعضه لتسرب الاحتياج إلى ذاته كلها، وكونه محتاجاً ينافى كونه إلهاً.

وإذالم تكن هذه الثلاثة محتاجة إلى بعضها لزم أن يكون كل واحد من الثلاثة إلها وهو باطل، لأنه منافى للتوحيد الذى يدعون أنهم يقولون به[٣].

خامساً: يقال للمسيحيين هل هذه الأقانيم ذوات أم صفات؟ أم لا ذوات ولاصفات؟فإن كانت ذوات فقد أثبتم التعدد وهو باطل.

---

(١) إظهار الحق ص (٣٣٦).

(٢) القرآن وعقائد أهل الكتاب ص (٢٣٥)، إظهار الحق ص٣٣٦.

(٣) د/ مصفطى سعداوى المهر: نظرات فى العقائد المسيحية ص (٦٧).

وإن كان مرادكم أنها صفات، فيقال لهم لابد لها من موصوف، وعلى ذلك يكون الموصوف قديماً، وهو ما يعنى أن الآلهة أربعة.

وإن كان مرادكم أن أحدهما ذات والباقيان صفات، فيقال لهم لم اقتصرتم على صفتين فقط؟ فهلا جعلتم صفة القدرة أقنوماً رابعاً؟ وهلا أضفتم صفات الله الأخرى ليصبح الله مكوناً من تسعة وتسعين أقنوماً، وهذا يعنى أن الأقانيم - التى هى صفات - غير وافية لصفات الله، وهو ما يعنى النقص وهو محال على الله تعالى.

أما إذا كان المراد أنها لا ذوات ولا صفات فهو ما يعنى أنها أشياء مجهولة من جميع الوجوه ،أو لا مسمى لها وهذا عبث.

سادساً: إن قول المسيحيين بأن عقيدة التثليث سر لا يمكن إدراكه بالعقل قول خاطئ، وذلك لأن من بديهيات العقول استحالة اجتماع النقيضين.

ففرق بين عدم إدراك العقل لشئ لكنه مع ذلك لا يمنع من أن يكون ممكناً ، وبين كون هذا الشئ مستحيل الوقوع أو غير ممكن "فقد لا يدرك العقل ماهية بعض الأشياء وكنهها كما هى، لكن مع ذلك يحكم بإمكانها ولا يلزم من وجودها عنده استحالة ما، ولذا تعد هذه الأشياء من الممكنات - أى معقولة ، وقد يحكم بداهة أو بدليل قطعى بامتناع بعض الأشياء، ويلزم من وجوده عنده محال ما، ولذا تعد هذه الأشياء من الممتنعات، وبين الصورتين فرق جلى، ومن القسم الثانى اجتماع النقيضين الحقيقيين وارتفاعهما"[1]. وكذا اجتماع التوحيد والتثليث الحقيقيين فى ذات واحدة من جهة واحدة.

وبهذا يتبين فساد القول بالتثليث من كل الوجوه فضلاً عن كونه توليفة وثنية لا أصل لها من الوحى.

---

(١) إظهار الحق ص (٣٣٠).

الفصل الثالث

عقيدة الصلب والفداء

عقيدة الصلب والفداء (الخلاص) فى التصور المسيحى

هى إحدى العقائد الرئيسية فى الديانة المسيحية، وإحدى الركائز الأساسية فى الإيمان المسيحى، وهى أيضاً المحور الذى يدور حوله العقائد المسيحية كلها.

فابن الله - فى نظرهم - تجسد وصلب وقام من أجل خلاص البشر من الخطيئة التى لحقت بهم نتيجة لعصيان آدم عليه السلام.

فخطيئة آدم، وتجسد ابن الله، والصلب، والقيامة كلها أسس وركائز لهذه العقيدة.

يقول عوض سمعان: " من المعلوم أن الديانة المسيحية بجملتها تقوم أو تسقط بقيام فكرة الخلاص والخطيئة أو سقوطها "(١)

وفى قانون الإيمان المسيحى عن هذه العقيدة " نؤمن برب واحد يسوع المسيح ،ابن الله الوحيد، المولود من الآب قبل كل الدهور، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساو للآب فى الجوهر الذى به كان كل شئ الذى من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء، وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء، وتأنس وصلب عنا على عهد بيلاطس البنطى وتألم وقبر، وقام من الأموات فى اليوم الثالث كما فى الكتب، وصعد إلى السموات وجلس على يمين أبيه " (٢)

المعنى المسيحى لكلمة (خلاص)

أطلقت هذه الكلمة فى الكتاب المقدس بمعنى الإنقاذ والنجاة. ففى (قاموس الكتاب المقدس): يراد بالخلاص فى العهد القديم :

---

(١) عوض سمعان : فلسفة الغفران ص (١٩٢).

(٢) راجع خلاصة الأصول الإيمانية ص (١٠٦).

النجاة من الشر أو الخطر [١].

أما فى العهد الجديد فقد خلع عليه معنى آخر هو إنقاذ الخطاة بالإيمان بيسوع المسيح [٢].

ولقد وضع المسيحيون لهذه الكلمة الكثير من المعانى..

والمعنى الرئيسى - عندهم - هو الخلاص من خطيئة آدم التى ورثها لأبنائه والجنس البشرى من بعده، والخلاص من الخطايا الأخرى التى يفعلها الإنسان فى حياته.

فالخلاص من الخطيئة - عندهم - يشمل الأزمنة الثلاثة: الماضى، والحاضر والمستقبل، بمعنى غفران الخطايا التى فعلها الإنسان فى ماضيه، والتى يفعلها فى حاضره، والتى سيفعلها فى المستقبل [٣].

وبإيجاز شديد: الخلاص عند المسيحيين هو التحرر من الخطيئة، والتحرر بالتالى من آثارها، وذلك - فى نظرهم - عن طريق الإيمان بالمسيح ابن الله الذى تجسد ليصلب ويموت ويقوم ويخلص البشرية من الخطيئة وآثارها [٤].

يقول إلياس مقار: " الخلاص هو تحرير الإنسان الكامل من دين الخطية [٥]، ومرضها وسلطانها [٦] واستعبادها نفساً وروحاً وجسداً والأخذ بيده حتى يقف أمام الله فى كمال البر والقداسة والمجد والعزة والبهاء إلى أبد الآبدين [٧].

---

(١) راجع خروج ١٤ : ١٣، مزمور ١٠٦ : ٨-١٠.

(٢) قاموس الكتاب المقدس ص (٣٤٤).

(٣) راجع كلايد تارنر: هذه عقائدنا (١١٣)، القس بخيت متى: قضاء الله ومسئولية الإنسان ص (١١٥).

(٤) جون ستوت: المسيحية فى جوهرها ص (١٣١).

(٥) المقصود بـ " دين الخطية " وراثة خطية آدم يقول إلياس مقار - عن هذا - الكتاب المقدس يفيد بأن الجنس البشرى ورث الأبوين الأولين فى سقوطها، وفساد الطبيعة، فإذا أضيف إلى هذا أننا خطاة ومدينون ليس على أساس الخطيئة الأصلية - خطيئة آدم - فحسب بل على أساس ما نرتكب من خطايا فعلية مستمرة دائمة أمام الله أضحى مركز كل بشرى مركز المدين أمام الله بدين الخطيئة الأصلى والفعلى " ١ هـ. قضايا المسيحية الكبرى ص (٢٨٦)

(٦) والمقصود بكلمة (سلطان الخطية) عند المسيحيين - هو أن الخطية تسلطت على الإنسان ولذلك فإن طبيعته طبيعة فاسدة مريضة - وذلك لتعلقها بالخطية الموروثة من آدم عن طريق التوالد الجسدى ولذلك فلا يستطيع الإنسان - فى نظرهم - أن يتصرف تصرفاً سليماً أو يفعل أفعالاً صحيحة إذ هو مكبل ومقيد بالخيطئة وسلطانها عليه وعلى نفسه.

المرجع السابق ص (٢٨٧).

(٧) المرجع السابق ص (٢٨٨).

المعنى المسيحى لكلمة (فداء):

وكلمة (فداء)قريبة فى المعنى لكلمة (خلاص) ولذلك يراد بها فى بعض الأحيان ما يراد بكلمة (خلاص)

فى " قاموس الكتاب المقدس " تشير لفظة " الفداء " فى العهد القديم فى أغلب الأحيان إلى خلاص الجسد [١].

أما فى العهد الجديد فتشير إلى الخلاص من الخطيئة [٢] ومن نتائجها "[٣].

يقول د/ أندرو وطسون: " يراد بالفداء كل بركات الخلاص المعلن فى الكتاب المقدس للخطاة الهالكين "[٤].

وقد يراد بها - عند المسيحيين - الفدية التى نال البشر بها الخلاص.

يقول القس صموئيل حبيب: " تستخدم كلمة الفداء أصلاً لشخص يسترد أرضه التى وقعت فى يد غيره فيشتريها لنفسه ثانية [٥]، فإذا رأى الله الإنسان قد باع نفسه للخطية وصار عبداً لها، قدم نفسه فى المسيح فداء للبشرية ثانية "[٦].

وعلى هذا فالفداء يعتبر نقطة ارتكاز لعقيدة الخلاص المسيحية من حيث إنه الثمن المشترى به خلاص الإنسان.

ولقد جمع (القس إنسطاسى شفيق) هذين المعنيين فى قوله: " إن عمل الفداء وعمل الخلاص شئ واحد فإن الذى يقال له فى الكتب المقدسة خلاص يقال له أحياناً فداء، وهكذا يقال عن المسيح إنه مخلص شعبه وفاديه.

: (١) راجع تثنية ٧: ٨، ١٣: ٥.

(٢) راجع تيطس ٢: ١٤.

(٣) قاموس الكتاب المقدس ص (٦٧٢).

(٤) شرح أصول الإيمان ص (٢١٠).

(٥) يقول ابن منظور: (فدى فديته وفداء أفديته، والمفاداة: أن تدفع رجلاً وتأخذ رجلاً، والفداء: أن تشتريه، فديته بمالى، وفديته بنفسى) ١. هـ راجع: لسان العرب ص (٣٣٦٦) وفى القاموس المحيط (فداه يفديه وفدى وفاداه: أعطى شيئاً فأنقذه، وفداه تفدية: جعلت فداك: ،وأفداه الأسير: قبل منه فديته) القاموس المحيط (٤ / ٣٧٥).

(٦) صموئيل حبيب: الخلاص فى مفهومه الكتابى التطبيقى ص (٤٢ ، ٤٣).

أما عمل الفداء : فقد يراد به على حصر المعنى مشترى الخلاص بإعطاء بدل، وعلى ذلك لم يكن زمانه طويلاً، لأنه ابتدأ من تجسد المسيح وانتهى عند وقوعه تحت سلطة الموت إلى يوم قيامته الذى أكمل فيه عمل الفداء فتمم المشترى، وقد يراد أحياناً بعمل الفداء - على غير وجه الحصر - جميع أعمال الله لهذه الغاية فلا ينحصر ذلك فى المشترى فقط بل يشمل جميع أعمال الله المعدة للمشترى والمتممة لنجاحه، فيطلق عمل الفداء على كل ما يعمل المسيح من هذا العمل العظيم من حيث إنه وسيط "[١].

جذور هذه العقيدة فى التصور المسيحى:

تبدأ هذه العقيدة - فى التصور المسيحى - من آدم عليه السلام.

إن المسيحيين يعتقدون أن الله سبحانه وتعالى خلق آدم على حالة الطهارة والبر والقداسة والنعمة [٢] ووضعه فى جنة غرسها الله بيده " وأنبت الرب الإله من الأرض كل شجرة شهية للنظر وجيدة للأكل "[٣]

وفى وسط هذه الجنة غرس الله شجرتين عجيبتين هما - كما يقول كلايد تارنر - شجرة الحياة التى جعلها الله لخلاص الإنسان من الموت لو لم يخطئ، وشجرة معرفة الخير والشر التى جعلت لامتحان مقدار ولاء الإنسان لله "[٤].

ثم بعد ذلك أوصى الله آدم بألا يأكل من شجرة معرفة الخير والشر.

يقول د/ راغب عبد النور " عاش الإنسان (آدم) الحياة أسعد ما تكون الحياة، ولكى يحفظ له الرب هذه القامة الشامخة فى السمو والترفع فإنه علمه بوصية ألا يأكل من شجرة معرفة الخير والشر حتى لا يقع فى المخالفة وتكون عقوبته الموت (يوم تأكل منها موتاً تموت)[٥] وفى نفس الوقت أعطاه شجرة الحياة التى تثبته فى مكانه

---

(١) الفداء فى إنجيل لوقا ص (٢٦).

(٢) دوم كولومبا مرميون : المسيح حياة النفس ص (٦٦).

(٣) تكوين ٢ : ٨.

(٤) كلايد تارنر : هذه عقائدنا ص (٥٤).

(٥) تكوين ٢ : ١٧.

من الحياة وقداسة الحق "[١].يقول سفر التكوين ـ عن هذا ـ " وأخذ الرب الإله آدم ووضعه فى جنة عدن ليعملها ويحفظها وأوصى الرب الإله آدم قائلاً من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً ، وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت "[٢].

ولكن آدم خالف وصية الله فأكل هو وحواء من شجرة معرفة الخير والشر ـ فى نظرهم ـ وحينئذ ـ كما يقول سفر التكوين " انفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر "[٣].

" ولقد اعتقد المسيحيون أن آدم نتيجة لهذه المعصية فقد ـ كما يقول إبراهيم لوقا ـ حالة الكمال الأدبى الذى خلقه الله عليها وأصبح خاضعاً لناموس الفساد وسلطان الخطية "[٤].

يقول حبيب جرجس : " وكانت نتيجة مخالفتهما لعهد الله تعالى ما يأتى :

١ـ سقطا من حال القداسة وحياة النعمة وفقدا الشركة مع الله.

٢ـ صارا أسيرين للخطية والموت.

٣ـ طردا من الفردوس وخضعا للبلايا كالتعب والجوع والعطش والفقر والأمراض والشيخوخة.

٤ـ فقدا ميراث الحياة الأبدية واستحقا غضب الله "[٥].

ويقول إلياس مقار : وأجرة الخطية هى موت[٦] ، وقد مات آدم وحواء فى اللحظة التى سقطا فيها وانفصلا عن الله ، لقد ماتا فى الحال الموت الروحى والأدبى إذ لم تعد لهما الشركة الجميلة الحلوة المقدسة مع خالقهما المحب وأبيهما القدوس ، بل لم

---

(١) د/ راغب عبد النور : شجرة الحياة ص (٨).

(٢) تكوين ٢ : ١٥ ـ ١٨.

(٣) تكوين ٣ : ٧.

(٤) المسيحية فى الإسلام ص (١٥٨).

(٥) خلاصة الأصول الإيمانية ص (٢١ ، ٢٢).

(٦) راجع رومية ٦ : ٢٣.

يعد لهما ذلك الإحساس الذى ألفاه ودرجا عليه إحساس الحنين إليه والشوق إلى رؤياه، بل لقد شعرا للمرة الأولى بأن غشية من الظلام استولت على عيونهما فلم يعودا يميزان للمرة الأولى بالفرق بين الحق والباطل والنور والظلام، والجمال والقبح والخير والشر، بل شعرا بما يشبه السم الزعاف القاتل يسرى فى بدنيهما فينحدر فى كيانهما كل المعانى والحقائق، ويقتلهما فى بطء وعذاب وقسوة، وإلى جانب هذا كله شعرا بالموت المادى يأخذ سبيله إلى جسديهما بالضعف والوهن والتعب والمرض والانحلال "[1].

وهذا المنطق عجيب!! إذ كيف يمكن القول بأن آدم عليه السلام بعد الأكل من شجرة معرفة الخير والشر أصبح لا يفرق بين الخير والشر والحق والباطل؟ هل يمكن أن يستساغ هذا !!

هم يعتقدون أن آدم أكل من شجرة معرفة الخير والشر، ونتيجة لهذا ـ كما يقول سفر التكوين ـ أصبحا يعرفان الخير والشر ولذلك خاف الله ـ تعالى الله عن ذلك ـ أن يأكلا من شجرة الحياة فطردهما من الجنة.

يقول سفر التكوين[2]: " وقال الرب هوذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفاً الخير والشر والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً ويأكل ويحيا إلى الأبد، فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التى أخذ منها، فطرد الإنسان،

---

(١) إلياس مقار: رجال الكتاب المقدس (١ / ١٢)، قضايا المسيحية الكبرى ص (٣٧٨).

(٢) ولقد أوردنا هذا النص ـ برغم أنه غير مستساغ ـ لإلزامهم وذلك لأنه كيف يحسن أن يقال وقال الرب هوذا الإنسان قد صار كواحد منا يعلم الخير والشر؟ أيتوهم عاقل أن الإلهية تكتسب فضلاً عن أنها تكتسب بالأكل؟ وكيف يحسن أن يقال عقب هذا" والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة ويأكل ويحيا إلى الأبد "؟ فإن ظاهره أن الحياة والموت ليسا بيد الله وقدرته بل بسبب بعض المأكولات، وأن الله خشى من حياته الأبدية بسبب أكل الشجرة فأخرجه من الفردوس، ولو كان أكل الشجرة الأولى موجباً لعلم الخير وأكل الثانية موجباً للحياة الأبدية كما هو ظاهر اللفظ لكان آدم عقيب أكل الشجرة الأولى أكلٍ من الشجرة ا لثانية ضرورة من غير تأخير إذ قد علم الخير والشر فيعلم أن هذا خير فلا يمكنه الصبر عنه أصلاً.
وكيف يحسن أن يقال " وأقام شرقى جنة عدن الكروبين .." عقيب قوله " فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض " فإن آدم فى الأرض خارج الفردوس فكيف يمكنه الدخول إلى الفردوس بغير إذن الله، حتى يحتاج إلى حفظ طريق الشجرة وهى داخل الفردوس؟ وأيضاً: فلو كان دخول الفردوس بغير إذن الله ممكنا لدخله الآن كل واحد منا، أو بعضنا ". راجع على الباجى: على التوراة ص (٣٤، ٣٥).

وأقام شرقى جنة عدن الكاروبيم[١]، ولهيب سيف متقلب[٢] لحراسة طريق شجرة الحياة "[٣].

كيف يمكن بعد ذلك أن نقول إنهما ـ أى آدم وحواء ـ أصبحا لا يفرقان بين الخير والشر والحق والباطل والنور والظلام؟

وهنا أمر آخر يجب أن نقف عنده وهو قولهم بأن الخطية سببت الموت لآدم وحواء.

ذلك أننا لو نظرنا فى قصة مخالفة آدم وحواء لأمر الله وأكلهما من الشجرة والملابسات المصاحبة لها ـ فى سفر التكوين ـ نجد أنه يمكن استنباط أن الإنسان خاضع للموت قبل أن يأكل من الشجرة، ذلك أن سفر التكوين يوضح لنا أن هناك شجرتين فى الجنة التى سكن فيها آدم قبل نزوله إلى الأرض إحداهما تسمى شجرة الحياة وثمرها يمنح الإنسان ـ فى نظر المسيحيين ـ الحياة الخالدة[٤]، فلو تناول الإنسان من هذه الشجرة ـ فى نظرهم ـ لأصبح خالداً وعاش إلى الأبد بدليل قوله " ويأخذ من شجرة الحياة ويحيا إلى الأبد"[٥]، وحيث إن آدم وحواء لم يأكلا من هذه الشجرة التى تمنح الخلود فمعنى ذلك أنهما كانا معرضين للموت قبل المخالفة وبعدها.

هذا فضلاً عن أن الكتاب المقدس ـ عندهم ـ يبين أن آدم كان قابلاً للفناء والموت حتى قبل المخالفة وذلك لأنه من التراب. يقول سفر التكوين: "لأنك تراب وإلى التراب تعود "[٦].

---

(١) الكاروبيم: ملائكة يرسلون من قبل الله أو يقيمون فى حضرته تعالى، أقامهم الله على أبواب جنة عدن عندما طرد آدم وحواء منها ويقال عنهم أنهم ذوو جناحين. راجع قاموس الكتاب المقدس ص (٧٧٩).

(٢) ولهيب سيف متقلب: هو أداة التأديب والقصاص. راجع الدين المسيحى للمرحلة الثانوية لسنة ١٩٦١ ص (٩٣٢).

(٣) تكوين ٣: ٢٢ ـ ٢٤.

(٤) راجع قاموس الكتاب المقدس ص (٥٠٧).

(٥) تكوين ٣: ٢٢، راجع القس منسى يوحنا: حياة آدم ص (٥٨).

(٦) تكوين ٣: ١٩، راجع أيضاً سفر الجامعة ٣: ٢٠.

على أن القول بأن أكل آدم من الشجرة سبب له الفساد والبعد عن الله قول تعوزه الحجة خاصة وأن سفر التكوين[١] قد جاء فيه فقرة تدل على أن آدم وحواء تابا، والله سبحانه وتعالى قبل توبتهما، ذلك أنهما حين أكلا من الشجرة انفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان، واختبآ خوفا وخجلاً من الله، ثم بعد ذلك يبين سفر التكوين أن الله صنع لآدم وامرأته أقمصة من جلد وألبسهما. ويمكن أن يستفاد من هذا أن الله تاب على آدم وحواء إذْ صنع لهما لباساً وألبسهما، والتوبة تغفر الذنب وتكفره. يقول سفر الأعمال: توبوا وارجعوا لتمحى خطاياكم "[٢].

ويعتقد المسيحيون أن آدم وحواء لم يجلبا الدمار والهلاك والفساد على أنفسهما بعصيانهما فحسب، بل على كل ذريتهما أيضاً لأنهم أصبحوا ورثة لطبيعتهما الساقطة الآثمة[٣].

يقول حبيب جرجس: " إن خطية آدم عمت جميع نسله وعادت بالويل والشقاء على سائر الجنس البشرى، وصار محكوماً عليهم بأن يولدوا أثمة وعبيداً للخطية والموت، وذلك لأن آدم لم يلدهم إلا وهو فى حالة الإثم والمعصية والغضب. فبناء عليه كان جميع الجنس المتناسل منه بالطبيعة آثماً ومخطئاً وواقعاً فى المعصية ومعاقباً عليها كما عوقب آدم وزوجته من قبل، ولذلك حسبت المعصية عليهم كما حسبت عليه"[٤].

ثم يقول " وكان نتيجة الخطية على عموم الجنس البشرى أن تدهوروا فى الفساد وسقطوا فى لجة الشرور حتى فسدت الأرض كلها "[٥].

ويقول لبيب ميخائيل: " فانحدرت البشرية إلى مهاوى الشر والرذيلة التى نراها فى الحروب والخيانات والتفرقة العنصرية، والكراهية، إلى نهاية قائمة الخطايا السوداء "[٦].

---

(١) راجع الإصحاح الثالث من سفر التكوين.
(٢) أعمال ٣ : ١٩.
(٣) كلايد تارنر: هذه عقائدنا ص (٥٩)، راجع أيضاً عوض سمعان: طريق الخلاص ص (١٢).
(٤) خلاصة الأصول الإيمانية ص (٢٣).
(٥) المرجع السابق ص (٢٤).
(٦) هل المسيح هو الله ص (٨٧).

وأصبح الإنسان بموجب هذه الفكرة - عند المسيحيين - عاجزاً عن كل خير روحى.

يقول الأب بولس إلياس اليسوعى: " إن سقطة الإنسان الأول كانت جسيمة أفقدته توازن قواه الروحية فأصيب بجراح بليغة وبنوع خاص فى عاقلته وإرادته، فعاقلته أصبحت محدودة القدرة تعجز عن إدراك الله كما فى أول عهدها وشلت إرادته وأصبحت عاجزة عن صنع الخير وحتى السعى إليه "(١).

وفى (علم اللاهوت النظامى) " إن البشر عجزوا منذ السقوط كل العجز باعتبار قدرتهم الذاتية عن الرجوع إلى الله وعن عمل الصالحات الحقيقية أمامه تعالى وذلك للفساد الذاتى "(٢).

ولذلك لا يستطيع الإنسان - فى نظرهم - أن يخلص نفسه من هذا الفساد.

وهذه الفكرة تتعارض مع ما ورد فى الكتاب المقدس عن تاريخ الجنس البشرى.

إن الله سبحانه وتعالى اختار بعض البشر ليكونوا أنبياء ورسلاً، اختارهم واصطفاهم ليبلغوا رسالاته لهداية البشر، اختارهم وأيدهم بالمعجزات والآيات البينات، فاختار نوحاً وإبراهيم ولوطاً وإسماعيل وإسحاق وموسى وغيرهم... فهل هؤلاء الذين اختارهم الله لتبليغ رسالاته للناس عاجزون عن كل خير روحى؟

الجواب عند المسيحيين بمقتضى فكرتهم بفساد الطبيعة الموروثة وعجز الإنسان عن كل خير روحى - نعم.

ولكن جواب الكتاب المقدس عندهم يتعارض مع ما يعتقدون.

ففى رسالة بطرس الثانية " لأنه إن كان الله لم يشفق على ملائكة قد أخطأوا بل فى سلاسل الظلام طرحهم فى جهنم وسلمهم محروسين للقضاء ولم يشفق على العالم القديم بل إنما حفظ نوحاً ثامناً كارزاً للبر إذ جلب الطوفان على عالم الفجار "(٣)

وفى سفر التكوين نجد أن الله بارك نوحاً " وبارك الله نوحاً وقال لهم أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض "(٤).

---

(١) يسوع المسيح ص (٨٣).

(٢) علم اللاهوت النظامى ص (٢٩٢).

(٣) ٢- بطرس ٤ : ٢ - ٥.

(٤) تكوين ٩ : ١.

كل ذلك يدل على أن نوحاً كان باراً مؤمناً يعمل الصلاح ، ولذلك نجاه الله ومن معه من المؤمنين ، وباركهم ودعاهم إلى الإكثار وملء الأرض ..

وعن إبراهيم عليه السلام يقول سفر التكوين " فآمن بالرب فحسب له براً "[١]. " مبارك ابرام من الله العلى مالك السموات والأرض "[٢].

ويخبر الكتاب المقدس عن أيوب بأنه كان رجلاً صالحاً تقياً مستقيماً ' قال الله : عبدى أيوب إنه ليس مثله فى الأرض رجل كامل مستقيم يتقى الله ويحيد عن الشر "[٣].

ويقول أيوب عن نفسه : " قلت أنا برئ بلا ذنب وأنا لا إثم لى "[٤].

وعن زكريا وامرأته يقول لوقا : " وكان كلاهما بارين أمام الله سالكين في جميع وصايا الرب بلا لوم"[٥]

كل هؤلاء الأنبياء السابقين وغيرهم ثبت برهم وصلاحهم من خلال شواهد الكتاب المقدس الذى يصرح بأن خلاص هؤلاء كان باستقامتهم وتقواهم وصلاحهم " وكان فيها هؤلاء الرجال الثلاثة نوح ودانيال وأيوب فإنهم إنما يخلصون أنفسهم ببرهم "[٦].

وعلى هذا يمكن القول بأنه قد ثبت البر والصلاح والتقوى لأفراد من البشر - أى من نسل آدم - وهذا يعنى أن الله قد وهب هؤلاء الأفراد ما يستطيعون به أن ينالوا رضاه عن طريق توجيه هذه المواهب إلى الله ، وبها يكون الصلاح والتقوى ، وإذا

---

(١) تكوين ١٤ : ١٩.
(٢) أيوب ١ : ٨ - ٩ ، ٢ : ٣.
(٣) أيوب ٣٣ : ٨.
(٤) لوقا ١ : ٦.
(٥) لوقا ١ : ٦.
(٦) حزقيال ١٤ : ١٤.

جاز ذلك على بعض الأفراد فإنه بالتالى يجوز على جميع الأفراد إذا سلكوا الطريق الصحيح إلى رضاء الله سبحانه وتعالى.

وعلى ذلك فلا مجال للقول بأن الجنس البشرى عاجز عن كل خير روحى، وإلا فكيف نفسر بر وصلاح هؤلاء؟ وكيف نفسر قبول الله[١] لقربان هابيل دون قابيل[٢]؟ وكيف نفسر نجاة الله سبحانه وتعالى لنوح ومن معه من المؤمنين من الطوفان وإغراق غيرهم ؟[٣].

دعوى التوفيق بين عدل الله ورحمته

لقد وضع المسيحيون فكرتهم عن توارث الخطيئة على هيئة مأزق لله سبحانه وتعالى، ذلك أنهم قالوا إن الإنسان قد ورث الخطية والطبيعة الفاسدة ولذلك فهو عاجز عن القيام بأى نوع من أنواع الخير، ولكن هل يبقى الإنسان على هذه الحالة من الخسران والبوار؟ أم أنه يستطيع أن يشق طريقة إلى غفران هذه الخطية فينال رضى الله ورحمته، ولكن كيف يمكن أن يشق الطريق إلى الله مرة أخرى بعد السقوط؟

إن الإنسان - فى نظرهم - غير مؤهل لأن يشق طريقه إلى الله لأنه متصف بالعجز لأن طبيعته فاسدة، فماذا يفعل الله - فى نظرهم إزاء هذا؟.

إنه سبحانه - فى نظرهم - لا يستطيع أن يغفر هذه الخطية أو يعفو عنها.

يقول إلياس مقار: " قد يقال : أليس من حق الله وسلطانه وهو صاحب السلطان الأعلى أن يعفو بكلمة عمن يريد أو يشاء؟ وهل يكون الله أقل من الملوك والرؤساء الذين يستطيعون بكلمة أن يعفوا عن المجرمين والمحكوم عليهم بأقسى العقوبات؟ إنه

---

(١) يقول محمد مرجان : (فرق الله فى المعاملة وفى الجزاء بين ولدى آدم فى الدنيا والآخرة كل حسب عمله، ولو كان الله لم يعف عن آدم - كما يقولون - أو كانت الخطية تتوارث كما يدعون لكان جزاء ولدى آدم وحواء واحداً، ولما كان هناك مبرر للرضى عن هذا، وللسخط على ذاك ،ولإدخال هذا الجنة وذاك فى السعير، وإنما هى العدالة الإلهية لا تأخذ البرئ بجريرة الآثم وإنما تعطى لكل ذى حق حقه) ا.هـ (المسيح إنسان أم إله ص ١٦٧).

(٢) راجع سفر التكوين ٤ : ٣ - ٨.

(٣) راجع الإصحاحين السادس والسابع من سفر التكوين.

قياس مع الفارق، لأن عفو الملوك الأرضيين أو الرؤساء إذا صح أنه نبيل وعظيم إلا إنه على حساب العدالة فى إطلاقها وكمالها ومجدها، وأنه إذا صح أن البشر لأنهم ناقصون يعفون أو يتساهلون بدافع من نقصهم أو ضعفهم عن العدالة المطلقة، فإن الله لا يمكن أن يعفو أو يتساهل قيد شعرة عن العدالة المطلقة، **وأن القول إن الله قادر على العفو بمجرد كلمة وإن أحداً لا يمكن أن يجرده أو يطلب إليه أن يتنازل عن السلطان إن هذا القول يفهم القدرة الإلهية فهماً خاطئاً لأن الله مع قدرته اللانهائية تورد أشياء نقول بكل احترام وإجلال لا يقدر عليها** "[١].

ثم يقول: " يمكن أن نقول بملء اليقين إن الله لا يمكن أن يغفر الخطية بمجرد كلمة إلهية تصدر منه لأنه لا يقدر أن يكون غير عادل أو غير قدوس أو غير حق... ومن ثم فإن المسيحية ترفض رفضاً باتاً تصور أن الله يعفو لمجرد العفو من غير جزاء كامل تحتمه العدالة الإلهية المطلقة"[٢].

ففى نظرهم الله لا يستطيع أن يغفر الخطية، وإذا كان الأمر كذلك، فماذا يفعل الله سبحانه وتعالى ـ فى نظرهم ـ إزاء ذلك؟

يقول لبيب ميخائيل: " ماذا يفعل الله بذلك الإنسان الشرير الأثيم الذى أصبحت نفسه أمارة بالسوء؟ كيف يوفق جل شأنه بين عدله الذى يطالبه بتوقيع القصاص على الإنسان وهو قصاص رهيب أبدى عظيم يتناسب مع عدله وقداسته، وبين رحمته التى تطالبه بأن يصفح عن خطيئة الإنسان ؟ "[٣].

كيف يوفق الله ـ فى نظرهم بين عدله الذى يقتضى عقاب الجنس البشرى كله وبين رحمته التى تقتضى العفو عنهم ؟

يقول نقولا يعقوب: " ولما كان الله عادلاً فهو لا يترك مثقال ذرة، لذلك وجب علينا أن نسلم أن كل الخاطئين ضد الله لابد أن يقيموا فى النار مخلدين عقاباً لهم،

---

(١) قضايا المسيحية الكبرى ص (٣٩٠).

(٢) المرجع السابق ص (٣٩١).

(٣) هل المسيح هو الله ص (٨٧، ٨٨).

فإذا تم هذا فأين رحمة الله؟ وإذا رحم الله هؤلاء الخطاة وغفر لهم ولم يعذبهم فأين عدله؟"[١].

ففى نظر المسيحيين لكى يغفر الله للإنسان خطيئته ويعفو عنه لابد أن يوفق بين عدله ورحمته.

يقول لبيب ميخائيل : " فالغفران الإلهى للإنسان الخاطئ يحتم أن يوفق الله بين عدله ورحمته، ذلك لأنه إذا غفر الله خطيئة الإنسان على أساس رحمته وحدها لاستهان الإنسان بعدالة الله ووصاياه، وأصبح فعل الخطية سهلاً لديه، إذ يرى أن الله لم يتكلف شيئاً لمنحه غفراناً لخطاياه، وإذا نفذ الله فى الإنسان حكمه ضد خطاياه على أساس عدله وحده لرأى الإنسان (الله) إلهاً جباراً منتقماً ولأصبح بتأثير إحساسه بقسوة الله عنيدا، قاسياً، بليد الشعور، ولاستمر فى عناده ومعاصيه حتى الهلاك "[٢].

وإذن لابد ـ فى نظرهم ـ من أن يكون هناك فادى فهو وحده الذى يستطيع ان يرضى عدل الله ويعلن رحمته "[٣].

فلا يمكـن ـ فى نظرهم ـ أن تجتمـع صفتا العدل والرحمة فى الله إلا بواسطة الفداء [٤].وهذا الفادى عندهم لا يمكن أن يكون مجرد إنسان، ولذلك دبر الله ـ كما يعتقدون ـ طريقة الفداء بنفسه.

يقول إبراهيم لوقا : " إن المسيحية تعلم أن الله لكى يجمع بين عدله ورحمته فى تصرفه مع الإنسان عقب سقوطه، دبر طريقة فدائه بتجسد ابنه الحبيب وموته على الصليب نيابة عنا، وبهذا أخذ العدل حقه واكتملت رحمة الله فنال البشر العفو والغفران "[٥].

---

(١) نقولا يعقوب : أبحاث المجتهدين فى الخلاف بين النصارى والمسلمين ص (٣٧).

(٢) هل المسيح هو الله؟ ص (٨٤).

(٣) المرجع السابق ص (٨٥).

(٤) أبحاث المجتهدين ص (٣٨).

(٥) المسيحية فى الإسلام ص (١٧١).

وعلى ذلك فالطريق الصحيح - فى نظرهم - للتوفيق بين عدل الله ورحمته هو تجسد ابن الله وصلبه وقيامته.

ولذلك فإن دراستنا لهذه الفكرة تقوم على ما يأتى:

١- دعوى التجسد من أجل الخلاص.

٢- دعوى الصلب من أجل الخلاص.

٣- دعوى قيامة المسيح من أجل الخلاص.

وقبل أن ننتقل إلى هذه الموضوعات يجب أن نشير إلى أن المسيحيين أقاموا فكرتهم على أسس واهية، وعلى منطق فاسد، إذ كيف يوصف الله سبحانه وتعالى بعدم القدرة على العفو وذلك بحجة أنه عادل؟

والحق أنه لا تنافى بين عدل الله وعفوه، وذلك لأن العدل يمكن فهمه لا على أنه وجوب معاقبة المذنب على ذنبه " وإنما هو بمعنى المساواة فإذا ساوى الله تعالى بين جميع عبادة فى معاملته لهم بأن غفر مثلاً لجميع المذنبين وزاد - فى مقابل ذلك - فى أجر المحسنين، فهو لا شك عادل لغة وعرفاً وعقلاً، وكذلك إذا وفى كل مخلوق حقه تماماً بلا نقص فى الأجر ولا زيادة فى العقاب عما يستحقه كل شخص، ولا ينافى العدل بعد ذلك أن يزيد فى الثواب أو أن ينقص فى العقاب بمقتضى فضله ورحمته "[1].

وتصوير العدل كعقبة فى طريق المغفرة والعفو تصوير خاطئ.

يقول الإمام الغزالى: " فإنا نقول العبادة قاضية والعقول مشيرة إلى أن التجاوز والصفح أحسن من العقوبة والانتقام، وثناء الناس على العافى أكثر من ثنائهم للمنتقم واستحسانهم للعفو أشد، فكيف يستقبح العفو والإنعام ويستحسن طول الانتقام؟ ثم هذا فى حق من آذته الجناية وغضت من قدره المعصية، والله تعالى يستوى فى حقه الكفر والإيمان والطاعات والعصيان فهما فى حق إلهيته وجلاله سيان "[2].

---

(١) د/ محمد توفيق صدقى: نظرة فى كتب العهد الجديد وعقائد النصرانية ص (١٦٠ ، ١٦١).

(٢) الإمام الغزالى: الاقتصاد فى الاعتقاد ص (١٥٦).

وإذا كان العدل يمنع الرحمة والمغفرة فما قيمة التوبة إذن؟

يقول د/ سعد الدين صالح: " وهم يجردون الله تعالى من صفة الرحمة لحساب صفة العدل، مع أن العدل يستلزم أيضاً غفران الخطايا، لأن الله خلق الإنسان وهو يعلم أنه معرض للخطأ، ومن هنا يكون من العدل أن يقبل توبة التائب"(١).

ويقول صاحب تفسير المنار: " ما رأينا أحداً من العقلاء ولا من علماء الشرع والقوانين يقول إن عفو الإنسان عمن يذنب إليه أو عفو السيد عن عبده الذى يعصيه ينافى العدل والكمال، بل يعدون العفو من أعظم الفضائل، ونرى المؤمنين بالله من الأمم المختلفة يصفونه بالعفو ويقولون: إنه أهل للمغفرة، فدعوى المسيحيين أن العفو والمغفرة مما ينافى العدل مردودة غير مسلمة "(٢).

على أننا لو نظرنا إلى الفداء المسيحى الذى جمع - فى نظرهم بين العدل والرحمة لوجدنا أنه يرتكز فى النهاية على مبدأ المغفرة بما يحتويه من تعارض مع العدل فى نظرهم، ذلك أن الفداء الخلاصى ليس بديلاً للمغفرة ولكنه مجرد وسيلة، وهو بديل عن التوبة لا عن المغفرة، وكأنهم يقولون يغفر لا بالتوبة ولكن بالفداء فلابد أنهم ينتهون إلى مبدأ المغفرة وعندئذ يأتى ما يعترضون به من حيث العدل الإلهى.

على أنهم يلزمهم من هذه الفكرة شئ أعظم من عجز الخالق - تعالى وتقدس - من إتمام مراده بالجمع بين عدله ورحمته، وهو انتفاء كل من العدل والرحمة فى صلب المسيح، لأنه عذبه من حيث هو بشر وهو لا يستحق العذاب لأنه لم يذنب قط، فتعذيبه بالصلب والطعن بالحراب - على ما زعموا - لا يصدر من عادل ولا من رحيم بالأحرى، فكيف يعقل أن يكون الخالق غير عادل ولا رحيم؟ أو أن يكون عادلاً رحيماً فيخلق خلقاً يوقعه فى ورطة الوقوع فى انتفاء إحدى هاتين الصفتين فيحاول الجمع بينهما فيفقدهما معاً؟!!(٣).

---

(١) مشكلات فى العقيدة النصرانية ص (٩٣).

(٢) تفسير المنار (٦/ ٢٣).

(٣) المرجع السابق، نفس الصفحة.

" إن هذه العملية ـ تجسد ابن الله وصلبه ـ لم يتحقق بها عدل ولا رحمة، لأنه ليس من العدل فى شئ أن يؤتى ببرئ غير مذنب ويطوق إثم جريمة جناها سواه، كما أن عقاب غير الآثم ليس فيه رحمة، وبخاصة إذا كان المعاقب من شأن الجبلة أن تشمله بالرحمة، ولو مع الذنب، فالابن البار غير الآثم أولى"[١].

دعوى تجسد ابن الله من أجل الخلاص

يدّعى المسيحيون أن الإنسان لا يستطيع أن يتحرر ويتخلص بنفسه من الطبيعة الخاطئة التى ورثها عن آدم ـ بناء على فكرتهم فى توارث خطيئة آدم ـ وذلك لأنه خاطئ.

يقول عوض سمعان: " فالإنسان لانتقال الطبيعة الخاطئة إليه بالوراثة وتسلطها على كيانه تبعاً لذلك لا يستطيع بمجهوده أن يتحرر منها أو يرتقى فوقها"[٢].

"فالبشر جميعاً بما فيهم الأنبياء محتاجون إلى من يفديهم "[٣]..

وكذلك لا يستطيع ـ فى نظرهم ـ أن يقوم بمهمة الفداء أيضاً ملاك.

ففى تاريخ الأمة القبطية " لم يكن فى استطاعه إنسان أو ملاك أن يقوم بهذه الفدية لأن الإنسان خاطئ ولأن الملاك مخلوق "[٤].

كذلك لا يستطيع أى مخلوق آخر ـ فى نظرهم ـ أن يقوم بالفداء.

يقول حبيب جرجس: " ولم يستطع إنسان ولا ملاك ولا خليقة أخرى أن تصلح الجنس البشرى من فساده لأن ذلك ضرب من المحال "[٥].

ويحاول بعض المسيحيين تعليل ذلك ببعض التعليلات.

يقول دوم كولومبا مرميون: "والخطيئة إهانة لله وإهانة يجب التكفير عنها والإنسان بما أنه خليقة بسيطة لا يمكنه أن يدفع للعظمة الإلهية بنفسه ديوناً جرتها

---

(١) قصص الأنبياء ص (٤٣١).

(٢) طريق الخلاص ص (١٣).

(٣) مطلعات فى الكتاب المقدس ص (٢٥١).

(٤) لجنة التاريخ القبطى: تاريخ الأمة القبطية (٢/ ٢٨).

(٥) خلاصة الأصول الإيمانية ص (٢٥).

خطيئة لا حدّ لأذاها ولا يكون التكفير وافياً إلا إذا قام به من عادل المهان مكانة لأن خطورة الإهانة تكون على قدر المهان "(١).

وهذا تعليل خاطئ ، فالله سبحانه وتعالى لا يتعامل مع عباده بهذه المعاملة البشرية ، فهو سبحانه يعلم أزلاً أن الإنسان معرض لأن يخطئ، ولذلك شرع سبحانه رحمة بنا العلاج للخطايا والمعاصى وهو التوبة، فلو كانت الخطيئة إهانة لله ومعاندة له لكان من الأولى أن يهلك من يهينه أو يعانده ـ أو على الأقل يطرده من رحمته ـ لا أن يجعل له باب التوبة مفتوحاً أمامه على مصراعيه.

ويثير أنسلموس اللاهوتى اعتراضاً ويجيب عليه فيقول: " لو قيل إنه كان من الممكن أن يكون ذلك الخلاص بواسطة شخص غير الله، من ملاك أو إنسان بأية طريقة وجدت لكان العقل يقبل ذلك بأكثر سرعة وأسهل فهم، إذ أنه تعالى كان يستطيع أن يخلق إنساناً بدون خطية من غير الجبلة البشرية كما خلق آدم أو على كيفية أخرى، وبذاك الإنسان يتم عمل الفداء!!!

ويجيب على ذلك بقوله : ألا نعلم أن ذاك الذى يفدى الإنسان من الموت الأبدى يكون من حقه السيادة عليه فيصبح الإنسان ملكاً له شرعياً، فلو كان الإنسان افتدى بمخلوق لما يتيسر للإنسان إذ ذاك أن يسترد المقام الجليل الذى أضاعه بسقوطه فى الخطية، إذ أنه عوضاً عن أن يكون عبداً للخالق وحده ومساوياً فى كل شئ للملائكة المقربين يعدو عبداً للشخص الذى افتداه أى لمن هو ليس إله"(٢).

وعلى ذلك فالذى يستطيع أن يقوم بالفداء ـ فى نظرهم ـ هو المسيح ابن الله.

يقول حبيب جرجس: " وهذا الفادى ليس إنساناً ولا ملاكاً ولا خليقة أخرى بل هو مخلصنا وفادينا ابن الله الوحيد ربنا يسوع المسيح "(٣)

ويقول جون ستوت: " والواقع لا يستطيع أحد أن يكون مخلصاً للبشر سوى ابن الله وحده... وما كان لكائن أن يخلص العالم سوى ابن الله "(٤).

---

(١) المسيح حياة النفس ص (٦٦)، راجع أيضاً: يسوع المسيح ص (٩٨).

(٢) لماذا تجسد الكلمة ص (٧).

(٣) خلاصة الأصول الإيمانية ص (٢٦).

(٤) المسيحية الأصلية ص (١٠٣، ١٣١).

وهذا هو الحل الوحيد - فى نظرهم - للفداء.

يقول عوض سمعان: " بما أنه لا يستطيع فداءنا إلا الله، وبما أنه ليس من المعقول أن يخلق الله شخصاً نظيره، لأن المخلوق يكون محدثاً، والمحدث لا يكون مثل الأزلى إذن ليس هناك كائن غير الله يستطيع القيام بفدائنا والتكفير عنا "(١).

ولكى يقوم ابن الله بالخلاص لابد وأن يتجسد ويظهر فى صورة بشرية أى فى ثوب الخطية حتى يستطيع الانتصار عليها بثوبها.

يقول القس صموئيل حبيب، " لذلك جاء يسوع فى جسد الخطية ليفتدى الخطاة "(٢).

ومن ناحية أخرى فإنه - أى المسيح ابن الله فى نظرهم - لكى يستطيع أن يموت على الصليب ويتحمل الخطايا والآثام كان ولابد أن يظهر فى صورة الجسد القابل للموت.

يقول اثناسيوس الرسولى: " وإنه مستحيل أن يتحمل (الكلمة) الموت لأنه غير مائت ولأنه ابن الآب لهذا أخذ لنفسه جسداً قابلاً للموت حتى باتحاده بالكلمة الذى هو فوق الكل يكون جديراً أن يموت نيابة عن الكل "(٣).

فلابد - فى نظرهم - أن يتخذ جسداً من جنس جسد آدم وذريته حتى يستطيع أن يفدى البشرية ويخلصها من الخطية.

وهنا نسأل سؤالاً: إذا كان كل أفراد الجنس البشرى متصفين بالسقوط فى الخطيئة نتيجة لعصيان آدم فكيف يكون المسيح بجسد بشرى وهو غير خاطئ؟ ذلك أن المسيح ولد من مريم وهى واحدة من أفراد الجنس البشرى الساقط - فى نظرهم - الذى ورث الخطية عن آدم، فكيف يكون مبرأ من الخطية وهو قد ولد من جسد خاطئ، بل وظهر فى جسد خاطئ؟ خاصة وأن الأناجيل تقول " كل شجرة جيدة تصنع أثمار جيدة وأما الشجرة الردية فتصنع أثماراً ردية، لا تقدر شجرة جيدة أن

---

(١) طريق الخلاص ص (١٩).
(٢) الخلاص فى مفهومه الكتابى والتطبيقى ص (٣٩).
(٣) تجسد الكلمة ص (٣٩).

تصنع أثمارا ردية ولا شجرة ردية أن تصنع أثماراً جيدة "[١]، فالنسل الفاسد - فى نظرهم - لا يستطيع أن يثمر نسلاً جيداً.

فإذا كان المسيح - فى نظرهم - قد ولد من جسد فاسد أو من نسل فاسد أو من طبيعة فاسدة فإن طبيعته كذلك فاسدة [٢].

والجواب عند المسيحيين على مثل هذه الاعتراضات أن المسيح اتخذ جسداً مبرأ من الخطية لأنه ابن الله المتجسد.

وهنا نقول إنه على ذلك ليس من نسل آدم، والشرط عندكم أن يكون الفادى من نسل آدم حتى يستطيع أن يقوم بالفداء.

يقول أنسلموس اللاهوتى: " وبما أنه من آدم وحواء قد سرت الخطية إلى العالم فلا يقتضى أن يكفر عن خطايا العالم إلا هما بالذات أو واحد من نسلهما، ولما كانا هما غير قادرين على ذلك وجب أن يعمله واحد من ذريتهما "[٣].

هذا وقد ذكرت الباحثة المسيحية - فرنسس يونغ - أن القول بأن الحل الوحيد للخلاص هو المسيح قول لم يستند على أدلة واقعية، ولم يكن جزءاً من قوانين الكنيسة.. تقول: " الادعاءات الخاصة أن هناك طريقة واحدة لفهم موضوع الخلاص عن طريق المسيح لم تكن قط جزءاً من قوانين الكنيسة المسيحية لا فى الاعتقاد ولا فى التعريف "[٤]..

دعوى صلب المسيح من أجل الخلاص:

يدعى المسيحيون أن المسيح ابن الله الذى تجسد وظهر فى صورة بشرية كان ولابد وأن يموت على الصليب حتى يستطيع أن يفدى البشرية ويخلصها من خطيئة آدم والخطايا الأخرى. يقول يوحنا: " ودم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطيئة "[٥].

---

(١) متى ٧: ١٧، ١٨، لوقا ٦: ٤٣.

(٢) إننا نقدر المسيح عبد الله ورسوله ونؤمن به رسولاً من عند الله، وإنما قلنا ذلك لإلزام القوم.

(٣) لماذا تجسد الكلمة ص (٥٥).

(٤) أسطورة تجسد الإله ص (٤١).

(٥) ١- يوحنا ١: ٧.

يقول إلياس مقار - عن المسيح ابن الله المخلص - " إنه لابد أن يدفع الثمن كاملاً لرفع الخطية ، وإلا لكان الأمر مجرد تمثيلية بعيدة عن الحقيقة والواقع، ومن ثم لم يكن صلب المسيح مجرد دفاع عن مبدأ يؤثر الناس الموت على تركه واستشهاده من أجل عقيدة يتمسك بها صاحبها وإلا لما افترق موت المسيح عن موت الشهداء وأصحاب المبادئ والمثل، لكن موت المسيح كان كفارة وفداء عن العقوبة التى وقعت للجنس البشرى كله بسقوط وخطية نائبه الأول (آدم) فالصليب هو رافع العقوبة والدين وشاف ومطهر من اللوثة والطبيعة الفاسدة"[١].

فالمسيح المخلص - فى نظرهم - لابد وأن يصلب ثم بعد ذلك يموت.

فالصلب والموت لهما أهمية كبيرة عند المسيحيين للمخلص.

ولننظر أولاً فى أهمية الصلب المخلص ثم بعد ذلك ننظر فى أهمية الموت للمخلص.

أهمية الصلب للمخلص:

أما أهمية الصلب للمخلص عند المسيحيين فإنهم يقولون إن هناك ارتباطاً بين غفران الذنوب وسفك الدماء، وذلك أن أساس غفران الخطايا عندهم هو سفك الدماء [٢].

ففى الرسالة الموجهة إلى العبرانيين يقول الكاتب: " بدون سفك دماء لا تحصل مغفرة "[٣].

ويقول بولس: " الذى فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا حسب غنى نعمته "[٤].. فهناك صلة عندهم بين سفك الدماء وغفران الخطايا.

---

(١) قضايا المسيحية الكبرى ص (٣٩٨).

(٢) راجع القس لبيب ميخائيل : يقين الخلاص ص (٢٥).

(٣) عبرانيين ٩ : ٢٢.

(٤) أفسس ١ : ٧.

يقول باركلى: وهناك صلة بين الكفارة والذبيحة ففى ناموس العهد القديم[١] كان المخطئ يقدم لله ذبيحة يهدف منها إلى جلب رضا الله وإزالة غضبه ورفع العقوبة عنه، لنفترض أن إنساناً أخطأ، فالخطية تفسد العلاقة بينه وبين الله، ولكى تعود العلاقة السليمة يقدم المخطئ ذبيحة "[٢].

والمسيح ابن الله - فى نظر المسيحيين - هو الذبيحة [٣] الحقيقية التى حصل بها الغفران والخلاص والفداء للبشرية، وذلك لأن الذبائح الحيوانية عندهم فشلت فى تحقيق ذلك.

يقول حبيب جرجس: " وكلمة الكفارة معناها فى الأصل التغطية والستر أى أن خطايانا سترت بواسطة ذبيحة المسيح وكفارته من انتقام العدل الإلهى "[٤].

ويقول باركلى: " إن الذبائح الحيوانية فشلت فى تحقيق هذا" لأنك لا تسر بذبيحة وإلا فكنت أقدمها بمحرقة لا ترضى"[٥] "بم أتقدم إلى الرب وأنحنى للإله العلى؟ هل أتقدم بمحرقات، بعجول أبناء سنة؟ هل يسر الرب بألوف الكباش، بربوات أنهار زيت؟ هل أعطى بكرى عن معصيتى، ثمرة جسدى عن خطية نفسى؟ "[٦]. لقد شعر الناس أن الذبائح لا تكفر عن خطاياهم، ولكن بولس هنا [٧] يقول إن يسوع المسيح بحياته حياة الطاعة الكاملة وبموته موت المحب الكامل، قدم نفسه ذبيحة لله، كفرت

---

(١) ففى سفر اللاويين (إذا أخطأ رئيس وعمل بسهو واحدة من جميع مناهى الرب إلهه التى لا ينبغى عملها وأثم، ثم أعلم بخطيته التى أخطأ بها يأتى بقربانه تيساً من المعز ذكراً صحيحاً ويضع يده على رأس التيس ويذبحه فى الموضع الذى يذبح فيه المحرقة أمام الرب إنه ذبيحة خطية) أ هـ لاويين ٤ : ٢٣، راجع بقية الإصحاح الرابع.

يقول إنسطاسى شفيق: (والذبائح كانت جزءاً من عبادة الله التى وضعها منذ البدء وعلى ذلك نرى فى الكتاب أن هابيل ونوحاً والآباء وإبراهيم وإسحاق ويعقوب قدموا الذبائح) الفداء فى إنجيل لوقا ص (٣٩).

(٢) تفسير رسالة رومية ص (٧٣)

(٣) جاء فى (علم اللاهوت النظامى) والذبيحة تشير إلى موت المسيح على الصليب كأنه مذبح لأجل خطايا العالم. أ. هـ ص (٨٢٢).

(٤) خلاصة الأصول الإيمانية ص (٢٧).

(٥) مزمور ٥١ : ١٦.

(٦) ميخا ٦ : ٦، ٧.

(٧) يشير إلى الإصحاح الثالث من رسالة رومية.

الكفارة الحقيقية عن الخطية، ويقول بولس إن ما حدث على الصليب فتح الباب للعلاقة السليمة مع الله الأمر الذى فشلت فيه كل ذبيحة أخرى "[١].

وهذه الفكرة - وهى أن الذبائح الحيوانية فشلت فى تحقيق غفران الخطايا والذنوب - مناقضة لما جاء فى أسفار العهد القديم، فسفر التكوين يبين أن هابيل قدم قربانا لله، والله قبله منه بدليل أن أخاه قابيل اغتاظ منه وقتله.

يقول سفر التكوين: " وحدث من بعد أيام أن قابيل قدم من أثمار الأرض قرباناً للرب، وقدم هابيل أيضاً من أبكار غنمه ومن سمانها فنظر الرب إلى هابيل وقربانه، ولكن إلى قابيل وقربانه لم ينظر فاغتاظ قابيل جداً وسقط وجهه "[٢].

وسفر التكوين يبين أيضاً أن الله سبحانه وتعالى قبل الذبائح التى تقرب بها نوح إليه.

" وبنى نوح مذبحاً للرب، وأخذ من كل البهائم الطاهرة ومن كل الطيور الطاهرة، وأصعد محرقات على المذبح، فتنسم الرب رائحة الرضا، وقال الرب فى قلبه لا أعود ألعن الأرض أيضاً من أجل الإنسان لأن تصور قلب الإنسان شرير منذ حداثته، ولا أعود أيضاً أميت كل حى كما فعلت "[٣]

فلو كانت الخطية - أى خطية آدم - لا زالت عالقة بأبنائه - كما يقولون - فإن أبناءه كفّروا عن خطاياهم بالذبائح الحيوانية - كما يشير العهد القديم - وهذه الذبائح الحيوانية قبلها الله سبحانه وتعالى ولو لم تكن هذه الذبائح كافية لما قبلها الله، ولما قال " لا أعود أميت كل حى " على أساس أن الموت جزاء الخطية - كما يقولون.

وهناك دليل آخر أوضح وهو أن ذبائح موسى وقومه كانت سبباً فى نجاتهم من عذاب الرب، فلو لم تكن الذبائح الحيوانية كافية فى التكفير عن الخطية، لما نجى الله موسى وقومه من عذاب الرب. ذلك أن العذاب مترتب على الخطية - كما يقولون -

---

(١) تفسير رسالة رومية ص (٧٣).

(٢) تكوين ٤ : ٣ - ٥.

(٣) تكوين ٨ : ٢٠، ٢١.

فلو لم تكن كافية لعذبوا حتى ولو بجزء من هذا العذاب، وهو ما لم يقع، فدل على أن الذبائح الحيوانية كانت كافية لنجاة الإنسان من العذاب أى كافية للتكفير عن الخطية.

يقول سفر الخروج: فدعا موسى جميع شيوخ إسرائيل وقال لهم اسحبوا وخذوا لكم غنماً بحسب عشائركم واذبحوا الفصح، وخذوا باقة زوفا[١] وأغمسوها فى الدم الذى فى الطست، ومسوا العتبة العليا والقائمتين بالدم الذى فى الطست، وأنتم لا يخرج أحد منكم من باب بيته حتى الصباح، فإن الرب يجتاز ليضرب المصريين. فحين يرى الدم على العتبة العليا والقائمتين يعبر الرب عن الباب ولا يدع المهلك يدخل بيوتكم ليضرب، فتحفظون هذا الأمر فريضة لك ولأولادك إلى الأبد "[٢].

فالنص يبين أن موسى فدى بنى إسرائيل بأن دلهم على الذبائح الحيوانية التى كانت سبباً فى نجاته هو وقومه من عذاب الرب الذى عذب به المصريين.

وعلى ذلك ففكرة المسيحيين بأن الذبائح الحيوانية فشلت فى تحقيق غفران الخطايا فكرة مناقضة لما جاء فى أسفار العهد القديم الدالة على أن هابيل ونوحاً وموسى وقومه قد قدموا الذبائح الحيوانية، والله قبلها منهم وغفر لهم خطاياهم ونجاهم من العذاب.

وعليه فلو كان أساس مغفرة الذنوب ـ عند المسيحيين ـ هو الذبائح وسفك الدماء، فإن العهد القديم أشار إلى أن الذبائح الحيوانية قامت بهذا الدور، وعلى ذلك فلا داعى للادعاء بأهمية صلب وسفك دماء المسيح، ولا داعى لأن ننسب إلى الله الظلم، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

---

(١) الزوفا اسم نبات ورد ذكره عدة مرات فى الكتاب المقدس، وهو نبات برى عطرى الرائحة له طعم حار فى البداية ثم يحدث برودة فى الفم، وينبت فى الجدران وفى الصخور، وأوراقه مشعرة صغيرة ويستخدم فى شكل حزم صغيرة يمكن أن تحمل السوائل فى داخلها للرش. راجع :قاموس الكتاب المقدس ص (٤٣٨).

(٢) حروج ١٢ : ٢١ ـ ٢٥.

فمن الظلم أن ننسب إلى الله أمره بصلب المسيح من أجل غفران الخطايا وهناك طريق آخر ـ وهو ذبح الحيوان ـ يمكن للإنسان أن يحصل ـ كما أشارت أسفار العهد القديم ـ على الغفران بسببه، فما الداعى إذن لأن يصلب إنسان ـ أو كما يقول المسيحيون ابن الله ـ بدون وجه حق وهناك ما يمكن الاستعاضة به عنه وليس فيه اجتراء ولا ظلم لأحد.

وعلى ذلك يمكن القول: إنه إذا كان بأى سفك دم تحصل المغفرة عندكم فأقرب طريق هو ذبح الحيوان لا الإنسان الذى جعله الله خليفة له فى الأرض.

والسؤال الأهم من ذلك: هل صلب المسيح فعلاً؟ وهل الأدلة قائمة على صلبه؟ الواقع أنه ليس للمسيحيين من أدلة على الصلب سوى الأناجيل الأربعة، والمسيحيون أنفسهم يعترفون بذلك.

يقول د/ حنا جرجس الخضرى: إن الأناجيل الأربعة تذكر لنا مؤامرة القبض ومحاكمة يسوع وموته، كما أنها تذكر أيضاً أسماء رؤساء الكهنة اليهود والحاكم الرومانى الذين اشتركوا فى محاكمة يسوع، ولكن الوثائق التاريخية غير الإنجيلية التى تتكلم عن يسوع وموته قليلة جداً الأمر الذى أدهش المؤرخين كثيراً بل يعتبر حجر عثرة بالنسبة لهم "[١].

ويذكر أيضاً أن السجلات والوثائق الرومانية لا تذكر شيئاً عن صلب المسيح ويقول: وهنا يتساءل بعض المؤرخين واللاهوتيين: كيف يمكن أن يصدر بيلاطس البنطى حكمه بإعدام شخص فى أمة خاضعة لسلطة روما دون أن يرسل تقريراً مفصلاً أو حتى موجزاً عن هذه القضية خصوصاً وأن رؤساء الكهنة والكتبة قدموه إلى الحاكم الرومانى كمفسد للأمة[٢] وكإنسان ثائر ضد روما والسلطة الحاكمة "[٣].

---

(١) د/ حنا جرجس الخضرى : تاريخ الفكر المسيحى المجلد الأول ص (٣٣٨)

(٢) يشير بذلك إلى ما جاء فى إنجيل لوقا (فقام كل جمهورهم وجاءوا إلى بيلاطس وابتدأوا يشتكون عليه قائلين إننا وجدنا هذا يفسد الأمة ويمنع أن تعطى جزية لقيصر قائلا إنه هو مسيح ملك.. وكانوا يشددون قائلين أنه يهيج الشعب وهو يعلم فى كل اليهودية مبتدئا من الجليل إلى هنا (لوقا ٢٣ : ١ ـ ٦)

(٣) تاريخ الفكر المسيحى ص (٣٣٩).

ويقول العقاد ـ بعد أن يذكر دخول المسيح إلى أورشليم ودخوله إلى الهيكل ـ[١]" وهنا ينتهى دور التاريخ ويبدأ دو العقيدة، ليس للتاريخ كلمة راسخة فى خبر من الأخبار التى أعقبت حادثة الهيكل وحركت كهانه للبطش والنكاية "[٢].

فروايات الأناجيل هى أدلة المسيحيين على الصلب.

والأناجيل بوجه عام ـ كما سبق أن بينا [٣]ـ غير مقدسة، وليست حجة فى الاستدلال بها على أى أمر من الأمور التى جاء بها المسيح عليه السلام.

هذا إلى جانب أننا لو نظرنا إلى روايات الأناجيل عن الصلب ومقدماته لوجدناها متناقضة متعارضة [٤]بحيث لا يمكن أن نعرف الحق فى أيهم.

" إن أدنى نظر يهدى إلى أن عبارات هذه الأناجيل الأربعة متخالفة، وشهادتها لا تصلح أن تكون مستنداً يثبت به أمر له من الأهمية مثل ما لمسألة صلب المسيح التى يدعيها المسيحيون ويجعلونها أساس إيمانهم[٥].

فلم تختلف الأناجيل فى مسألة من المسائل كاختلافها فى تفصيل مسألة الصلب وقتله، فلا تكاد جزئية من الجزئيات فى أحدها تتحد مع الجزئية نفسها فى إنجيل آخر، ولما كانت هذه الأناجيل من تأليف قوم يدعى المسيحيون لها الإلهام ويعتقدون خلوها من الخطأ !! كان ينبغى أن تكون كتابتهم فى هذه الحادثة المهمة ـ التى هى مناط النجاة ودعامة الإيمان فى نظرهم ـ متطابقة متوافقة بحيث لا يكون فيهما اختلاف أصلاً، إذ النفس لا تطمئن إلى الأخذ بروايات إذا اتفقت فى موضع واحد من قصة ـ جاءت في جميعها ـ فإنها تتخالف في مواضع كثيرة، وإذا لم يكن الراوى أميناً كل الأمانة كانت الثقة بروايته ضعيفة والتصديق بها غير سائغ"[٦].

---

(١) وهى الفترة السابقة للقبض على المسيح ـ فى نظر المسيحيين ـ مباشرة. راجع: مرقس ١١ : ١ ـ ١٠، متى ٢١ : ١ ـ ٧، لوقا ١٩ : ٢٩ ـ ٤٤ يوحنا ١٢ : ١٢ ـ ١٩.

(٢) حياة المسيح ص (١٩٠).

(٣) راجع الفصل الثانى من الباب الأول.

(٤) راجع دراسة فى الكتب المقدسة ص (١١٧).

(٥) قصص الأنبياء ص (٤٣٧).

(٦) المرجع السابق ص (٤٣٣ ، ٤٣٤).

"وفى الحق أن من يراجع الأناجيل وخبرها فى القبض على المسيح وحبسه ثم محاكمته وصلبه فى زعم المسيحيين يجد الاختلاف فى أخبارها اختلافاً بيناً، ولو كان بعض هذا الاختلاف فى شهادة اثنين يشهدان فى درهم ما ثبت بشهادتهما دعوى ولا انتصر بها حق "[١].. فكيف إذا كان هذا الاختلاف فى عقيدة هى أساس الديانة ورأس عقائدها، فالاختلاف بين الأناجيل فى روايات الصلب يجعلنا لا نثق بها، ذلك أن الاختلاف بين الأناجيل يوحى بأنه لابد وأن يكون واحد منها صادقاً والآخر كاذباً، فمن الصادق؟ ومن غير الصادق؟ ولما كان الصادق منهما غير متعين فالشك يرد على الجميع حتى يثبت الصحيح منها ويقوم الدليل على صدقه وهو ما لا يستطيع أحد أن يبينه.. "فالشك معلق بها جميعاً مما يجعلنا نسقطها جميعاً من مجال الاستدلال، لأن العقلاء يقولون: الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال"[٢].

هذا فضلاً عن أن نصوص العهد الجديد التى تحدثت عن الصلب وما يتصل به من أحداث منقولة نقلاً آحادياً [٣] لا يفيد القطع واليقين ولا تصلح أن تكون مستنداً يثبت به أمر له من الأهمية مثل ما لمسألة صلب المسيح التى يجعلها المسيحيون أساس إيمانهم وسبب نجاتهم "[٤].

يقول أبو الفضل المسعودى: " يقال للنصارى ما ادعيتموه من قتل المسيح وصلبه أتنقلونه تواتراً أو آحاداً؟ فإن زعموا أنه آحاد لم يقم بذلك حجة ولم يثبت به العلم الضرورى، إذ الآحاد لا يؤمن عليهم السهو والغفلة والتواطؤ على الكذب، وإذا كان الآحاد يعرض لهم ذلك فلا يحتج به فى القطعيات "[٥].

---

(١) محاضرات فى النصرانية ص (١٠٣).
(٢) مشكلات فى العقيدة النصرانية ص (١٥٦).
(٣) راجع الفصل فى الملل والنحل (١ / ٤٦ ـ ٤٧).
(٤) القرآن وعقائد أهل الكتاب ص (٢٧١).
(٥) المنتخب الجليل ص (١٠١).

وإن عزوا ذلك إلى التواتر قلنا لهم شرط التواتر استواء الطرفين فيه والواسطة وهو أن ينقل الجم الغفير عن الجم الغفير عن الذين شاهدوا المشهود به وهو المصلوب وعلموا به ضرورة، فإن اختل شئ من ذلك فلا تواتر، فإن زعم النصارى أن خبرهم فى قتل المسيح عليه السلام وصلبه بهذه الصفة أكذبتهم نصوص الإنجيل الذى بأيديهم[١] إذ قال نقلته الذين دونوه لكم وعليه معولكم إن المأخوذ للقتل كان فى شرذمة يسيرة من تلاميذه، فلما قبض عليه هربوا بأسرهم ولم يتبعه سوى بطرس من بعيد، فلما دخل الدار حيث اجتمعوا نظرت جارية منهم إلى بطرس فعرفته فقالت هذا كان مع يسوع فحلف أنه لا يعرف يسوع ولا يقول بقوله وخادعهم حتى تركوه وذهب، وأن شاباً آخر تبعه وعليه إزار فتعلقوا به فترك إزاره فى أيديهم وذهب عرياناً، فهؤلاء أصحابه وأتباعه ولم يحضر منهم ولا رجل واحد بشهادة الأناجيل، وأما أعداؤه من اليهود الذين تزعم النصارى أنهم حضروا الأمر فلم يبلغوا عداد التواتر، بل كانوا آحاداً وأفراداً وهم أعداؤه يحتمل عليهم تواطؤهم على الكذب على عدوهم، إيهاماً أنهم ظفرو به وأنهم بلغوا أمانيهم فلا يقبلون فيما يحتمل فيه تواطؤهم على الكذب، إذ شرط التواتر أن يكون مما لا يحتمل تواطؤهم على الكذب فمن نازع فيما قلناه فالإنجيل شاهد بيننا وبينه[٢].

فحوادث الصلب لم ينقلها جمع عن جمع فضلاً عن أن يكونوا صادقين فى رواياتهم، لأن الذين شهدوا هذه الأحداث هم الأعداء، فليس من المستبعد أن يكذبوا فى رواياتهم للأحداث، مما يجعلنا لا نسلم بها لفقدان التواتر الداعى إلى الثقة.. وعلى ذلك فأدلة المسيحيين على الصلب غير مسلم بها، لأنه لم يتوافر لها دواعى الثقة والاطمئنان إلى صحتها[٣].

---

(١) راجع: متى إصحاح ٢٦، ٢٧، مرقس إصحاح ١٥، ١٦

(٢) المنتخب الجليل ص (١٠١).

(٣) راجع فى الرد على القول بصلب المسيح: كشف الظلمة ص (٨١ـ ٨٥).

أهمية الموت بالنسبة للمخلص ـ فى نظر المسيحيين:

لكى يكون المسيح مخلصاً ـ فى نظر المسيحيين ـ كان لابد أن يموت بعد صلبه وذلك لأنهم يقولون إن الموت هو عقاب الخطية.

يقول بولس: لأن أجرة الخطية هى موت "[١].

ولأن الله سبحانه وتعالى قال لآد م ـ كما يدعون ـ حين أسكنه الجنة وحذره من الأكل من شجرة معرفة الخير والشر " لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت "[٢].

وآدم وحواء ـ فى نظرهم ـ حين أكلا من الشجرة المذكورة ماتا، وانتقل هذا العقاب إلى كل البشر، وذلك لأنهم ورثوا الطبيعة الفاسدة من آدم.

وحتى يستطيع المسيح أن يرفع عن البشر هذا العقاب ـ فى نظرهم ـ ويخلصهم من الموت الذى تسببت فيه الخطية كان لازماً أن يموت نيابة عن البشر.

يقول إثناسيوس الرسولى: " ولكن لما كان ضرورياً أيضاً وفاء الدّين المستحق على الجميع، لأن الجميع كانوا مستحقين الموت، الأمر الذى من أجله أتى المسيح بيننا لأجل هذه الغاية، ولذلك قدم نفسه ذبيحة عن الجميع إذ سلم هيكله للموت عوضاً عن الجميع.

أولاً: لكى يحرر البشر من معصيتهم القديمة.

ثانياً: لكى يظهر أنه أقوى من الموت بإظهاره أن جسده عديم الفساد كباكورة لقيامة الجميع "[٣].

ويقول فى موضع آخر: "وهكذا إذ أخذ من أجسادنا جسداً مماثلاً للطبيعة البشرية، وإذ كان الجميع تحت قصاص فساد الموت فقد بذل جسده للموت عوضاً عن الجميع وقدمه للآب، كل هذا فعله شفقة منه علينا، وذلك لكى يبطل الناموس الذى كان يقضى بهلاك البشر إذ مات الكل فيه، لأن سلطانه قد أكمل فى جسد الرب ولا يعود ينشب أظفاره فى البشر الذين ناب عنهم، ولكى يعيد البشر إلى عدم

---

(١) رومية ٦: ٢٣.

(٢) تكوين ٢: ١٧.

(٣) تجسد المسيح ص (٦٨، ٦٩).

الفساد بعد أن عادوا إلى الفساد، ويحييهم من الموت بجسده وبنعمة القيامة وينقذهم من الموت كإنقاذ القش من النار"[١].

فهم يعلمون أن موت المسيح كان بديلياً أي بدلاً من الإنسان [٢] فى التكفير عن الخطية وعقابها الذى هو الموت - فى نظرهم.

يقول باسيليوس : " فالموت والخطية قد قهرا على الصليب، والرب الذى بلا خطية والذى لم يكن خاضعاً للموت اتخذ طبيعة آدم البشرية بتجسده من الروح القدس والعذراء مريم اتخذ طبيعة بشرية غير محطمة أو مشوهة بالخطية، ثم بذوقه الموت عنا بإرادته حررنا من الخطية والموت "[٣].

" وأحل السلام - كما يقول جون ستوت - محل العداوة، وأحل الحياة مكان الموت الذى كان ثمرة الخطية لأن أجره الخطية هى موت، وأما هبة الله فهى حياة أبدية بالمسيح "[٤].

والمسيح بموته على الصليب - فى نظرهم - لم يخلصهم من خطيئة آدم فقط بل خلصهم من الخطايا والآثام كلها - كما سبق أن بينا فى تعريف الخلاص عندهم - الماضية والحاضرة والمستقبلة. يقول بولس: " وإذ كنتم أمواتاً فى الخطايا وغلف جسدكم أحياكم معه مسامحاً لكم بجميع الخطايا "[٥].

بل وأكثر من ذلك أنهم جعلوا فى موت المسيح على الصليب إماتة للأهواء والشهوات فى الإنسان، ويصبح الإنسان بهذا الموت - فى نظرهم - إنساناً جديداً .

يقول متى المسكين: " يموت الجسد وتموت فيه كل الأهواء مع الشهوات ويموت العالم من داخل النفس ويخلص الإنسان من طوفان هلاك محيط "[٦].

---

(١) المرجع السابق ص (٣٧ ، ٣٨).

(٢) راجع كلايد تارنر: هذه عقائدنا ص (٨٩)، تاريخ الفكر المسيحى المجلد الأول ص (٣٤٩).

(٣) سر الفداء ص (٢١).

(٤) رومية ٦ : ٢٣، المسيحية فى جوهرها ص (١٣٢).

(٥) كولوسى ٢ : ١٣.

(٦) متى المسكين: القيامة والصعود ص (١٧٨).

ولا شك أن هذا القول لا يتفق مع حال المسيحيين قديماً وحديثاً فما زالوا على حالتهم الطبيعية ـ أى من وجود الخير والشر معاً ـ ولم تتغير حالتهم بالصورة التى حدثوا بها، وجعلوها علة لموت المسيح.

فهل تحول الناس بعد ادعائهم بموت المسيح على الصليب؟ هل تحولت طبائعهم التى كانوا عليها؟ هل تغيرت الدنيا بعد هذا الادعاء؟!!

الواقع أن العالم لم يشهد أى تغير، فما زالت الشرور والآثام عامة وشاملة، تقع فى كل يوم، وفى كل مكان، وفى كل زمان.

أما قولهم بأن الموت عقاب الخطية وأن المسيح مات ليرفع عن البشر هذا العقاب ففيه نظر: ذلك أن آدم مات واستوفى بذلك جزاء خطيته، فما فائدة موت المسيح مرة ثانية؟ إذا قالوا إنه من أجل الموت الذى انتقل بالوراثة إلى أبناء آدم، فإن الواقع يكذبهم فما زال الناس يولدون ويموتون وما زال سلطان الموت قائماً.

" إن هذه العملية إنما كانت تتم ـ على فرض التسليم بوجود الموت نظير الخطيئة ـ كما زعموا ـ لو أن آدم لم يمت جزاء الخطية أما وأن آدم قد مات واستوفى بذلك جزاءه فموت المسيح إذن باطل لأنه خلا من الفائدة المزعومة بالمرة.

وربما قالوا وهو ما زعموه: بأن المراد هنا موت الخطيئة وهو الهلاك الأبدى ـ أى الخلود فى الجحيم ـ لا الموت الجسدى، لأن آدم لم يمت فى يوم الخطيئة نفسه بل عاش حتى بلغ تسعمائة وثلاث سنوات[1]، ولكن هذا الوهم على فرض التنزل لمجادلته غير مقبول، لأن آدم يعتبر قد مات فى نفس يوم الخطيئة لأن هذه المدة كلها لا تساوى عند الله يوماً واحداً لقول بطرس: " أيها الأحباء إن يوماً واحداً عند الرب كألف سنة وألف سنة كيوم واحداً"[2].

ثم إننا لو قصرنا اليوم على أيامنا هذه للزم الخلف فى وعد الله وفى قوله حيث لم يمت آدم الموت الأبدى المزعوم كما قال فى سفر التكوين: " لأنك يوم تأكل منها تموت "[3].

(١) تكوين ٥ : ٥.
(٢) ٢ـ بطرس ٣ : ٨.
(٣) تكوين ٢ : ١٧.

كما لم يمت الموت الجسدى لأنه لم يمت فور ارتكابه الخطيئة فى ذات اليوم المقدر كأيامنا والذى ارتكب فيه آدم الخطيئة اللهم إلا أن يكون قد مات حكماً لا حقيقة، وانتهى الأمر بذلك وإذن فلا وجه لموت المسيح مطلقاً "[١].

" على أن موت يسوع المقول به بدلاً عن آدم إنما هو موت صليبى وهذا يعين أن المراد بالموت هو الموت الجسدى وليس غير، ولو سلمنا أن المراد به الهلاك الأبدى أى الخلود فى الجحيم ـ لكان اللازم إذن أن يموت المسيح هذا الموت عينه ـ أى موت الهلاك الأبدى ـ حيث إنه النائب الشرعى عن آدم والبشر كما قيل وهو القائم مقامهم فى ذلك.

وحيث إنه لم يحصل ذلك النوع من الموت ولم يكن هو المراد فما تم الفداء ولا حصل الخلاص ولا وجد لنيابة المسيح أثر ولا ظهر لرحمة الله أثر ولا كان لعدل نفوذ، وكان موت المسيح إذن ظلماً لأن الموت الجسدى غير مراد هنا، ولو كان مراداً لأجزأ موت آدم عن نفسه لأنه هو الموعود بذلك وليس يسوع المسيح ويكون بذلك قد تم وعد الله ونفذ عدله بدون مشكلة "[٢].

ويقال لهم أيضاً: إذا كان المراد بالموت: الموت الروحى والأدبى بمعنى أن آدم روحياً أصبح ميتاً فإنه مردود بما سبق أن أوردنا من أن هناك دلائل ـ فى سفر التكوين ـ تشير إلى أن آدم تاب [٣] من هذه المخالفة والله قبل توبته وذلك لأن الله صنع له ولحواء أقمصة من جلد وألبسهما، فلو لم يتب عليهما لما صنع لهما هذه الأقمصة وتركهما وشأنهما، وما دام آدم قد تاب فلا داعى لأن يتحمل البشر ذنباً غفره الله وتاب على صاحبه.

هذا فضلاً عن أن القول بانتقال الطبيعة الفاسدة الميتة روحياً إلى البشر قول مناقض لما جاء فى أسفار العهد القديم والتى تدل على أن نوحاً وإبراهيم وإسحاق وموسى وأيوب وغيرهم كانوا مؤمنين صالحين بارين لله أتقياء له، فلو كانت الطبيعة

---

(١) عقيدتنا الصلب والتثليث فى المسيحية وموقف الإسلام منهما ص (٢١١).

(٢) المرجع السابق ص (٢١٢).

(٣) نحن المسلمين نؤمن بأن الله تاب على آدم ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧﴾ البقرة : ٣٧.

الميتة روحياً قد انتقلت إليهم لما كانوا كذلك ولما كانوا على هذه الدرجة من الإيمان بالله وتوحيده وتعظيمه.

من الذى صُلب ومات ـ فى نظرهم ـ هل هو المسيح الإنسان أم الإله؟

يرد على المسيحيين أسئلة كثيرة: من الذى صلب على الصليب؟ ومن الذى أسلم روحه ومات على الصليب؟ هل المسيح الإنسان؟ أم أنه المسيح الإله؟ أو بمعنى آخر: هل فارق اللاهوت الناسوت وقت الصلب والموت؟ أم أن اللاهوت لم يفارق الناسوت؟

مقتضى فكرة المسيحيين عن المخلص تحتم أن الذى صُلب هو المسيح ابن الله، فهو ـ فى نظرهم ـ تجسد خصيصاً من أجل الصلب والموت ليخلص البشرية.

لذلك يقول كتاب (السنكسار): " وتعلمنا الكنيسة المقدسة أن لاهوته لم يفارق ناسوته لحظة واحدة ولا طرفة عين "[(١)].

ويقول الأب لويس برسوم: " وإذن ظل اللاهوت متحداً بالناسوت على الدوام دون أن يفارقه قط، وحتى حينما أسلم يسوع روحه لم يفارق اللاهوت الناسوت بل ظل متحداً مع الجسد الذى دفن فى القبر"[(٢)].

ويقول الأنبا ساويرس: " لاهوته لم ينفصل قط لا من نفسه ولا من جسده ولم يفارق روحه ولا جسده عند موته "[(٣)].

كل هذا يقتضى أن اللاهوت وقع عليه الآلام وتعرض هو والناسوت إلى المعاناة والمشقة، ولكن المسيحيين يقولون نعم إن اللاهوت لم يفارق الناسوت لحظة إلا أن الذى تألم ومات هو الناسوت أما اللاهوت فلم يتألم ولم يمت.

---

(١) كتاب السنكسار (٢ / ٩٩).

(٢) المسيح الإله والإنسان ص (٦٥)

(٣) الدر الثمين فى إيضاح الدين ص (٦٢ ، ٦٥)

يقول أفلاطون مطران موسكو: "إن الذى تألم هو الناسوت لا اللاهوت المنزه عن كل ألم، ثم دفن مع الجسد لئلا يظن موت المسيح خيالياً "[١].

ويقول بولس إلياس اليسوعى: " إن المسيح لم يمت بوصفه إلهاً - فالإله لا يموت - ولكنه مات بوصفه إنساناً وليس فى موت الإنسان ما يدعو إلى الاستغراب"[٢].

فالمسيح - فى نظرهم - مات بوصفه (ابن الإنسان) لأن اللاهوت لا يتأثر بالصلب أو الموت [٣].

يقول باسيليوس: " المسيح ابن الله مات يقيناً ليس بلاهوته بل بناسوته قد مات ومع ذلك فإن إنسانية المسيح اتحدت بشخصه الإلهى وتشخصت فيه، ولذلك فرغم أن لاهوت المسيح كان حراً من الآلام وقت الآمه، وغير مائت فى وقت موته إلا أن هذه الآلام قد اتخذها ابن الله وتبناها لنفسه بطريقة ما تفوق الفهم، ولهذا السبب يمكننا أن نقول إن ابن الله الأزلى المتجسد تألم ومات على الصليب بناسوته بينما ظل غير متألم بلاهوته " [٤].

وبرغم عدم معقولية هذا المنطق وتناقضه إلا أننا سوف نناقشه على علاته وذلك فيما يلى:

(١) إن القول بأن الناسوت هو الذى تحمل الآلام والصلب والموت يعنى الحط من شأن الفداء والخلاص ، فهو على هذا خلاص ناسوتى بشرى لا لاهوتى، أو معناه أن الناسوت أقدر على الخلاص والفداء من اللاهوت.

" ويقال لهم أليس المسيح عندكم عبارة عن لاهوت وناسوت اتحدا فاصرا مسيحاً؟ فإذا قالوا بلى. قلنا فالميت أيهما؟ فإذا قالوا الناسوت. قلنا: فكيف استقل بهداية الخلق ناسوت ميت وعجز عن ذلك لاهوت حى؟ أفتقولون إن ناسوت المسيح أقدر على الهداية من لاهوته؟[٥].

---

(١) الخلاصة الشهية فى أخص العقائد والتعاليم الأرثوذكسية ص (٩٤).

(٢) يسوع المسيح ص (١١٣).

(٣) عوض سمعان: قيامة المسيح ص (٦).

(٤) سر الفداء (٢١-٢٢).

(٥) المنتخب الجليل ص (١١٥).

(٢) إن هذا القول مناقض لفكرتهم وشروطهم فى المخلص، إنه لابد وأن يكون المسيح ابن الله، فإذا كان الذى صلب وتألم ومات هو ابن الإنسان، فمعنى ذلك أنه لم يتوافر فيه وقت الفداء هذا الشرط.

هذا إلى جانب أن هذا القول مناقض لما جاء فى العهد الجديد الذى يقول: "دم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية "[١] "فدم ابن الله ـ لا ابن الإنسان ـ هو الذى يطهرهم من كل الخطايا.

(٣) إنه ـ على هذا القول ـ لا داعى لتجسد ابن الله، لأن أى إنسان كان يكفى أن يقوم بهذا ويتحمل الآلام ويصلب ويموت نيابة عن البشر.

ولقد رد العلامة أبو الفضل المسعودى على هذه الفكرة فقال " قال المسيحيون إنما يكون القتل نقيصة لو أنه مضاف إلى اللاهوت بل القتل مضاف إلى ناسوته دون لاهوته.

الجواب: يمتنع ذلك عند الأرثوذكس القائلين إن المسيح قد صار بالاتحاد طبيعة واحدة، إذ الطبيعة الواحدة لم يبق فيها ناسوت متميز عن اللاهوت، والشئ الواحد لا يقال مات ولم يمت، وأهين ولم يهن.

أما الكاثوليك القائلون بأن المسيح بعد الاتحاد باق على طبيعته فيقال لهم: فهل فارق اللاهوت الناسوت عند القتل؟ فإن قالوا فارقه أبطلوا دينهم فلم يستحق المسيح الربوبية عندهم إلا بالاتحاد، وإن قالوا لم يفارقه فقد التزموا ما ورد على الأرثوذكس وهو قتل اللاهوت مع الناسوت. وإن فسروا الاتحاد بالتدرع وهوأن الإله جعله مسكناً له وبيتاً ثم فارقه عند ورود ما ورد على الناسوت أبطلوا ألوهيته فى تلك الحالة، وقلنا لهم: أليس قد أهين!! وهذا القدر يكفى فى إثبات النقيصة إن لم يأنف اللاهوت لسكنه أن يناله هذه النقائص، فإن كان قادراً على نفى النقائص فقد أساء مجاورته ورضى بنقيصته وذلك عائد بالنقص عليه فى نفسه، وإن لم يكن قادراً فذلك أبعد له عن عز الربوبية"[٢].

---

(١) ١ـ يوحنا ١ : ٧.

(٢) المنتخب الجليل ص (٤٠ / ٤١).

دعوى قيامة المسيح وأهميتها لفكرة الخلاص عندهم:

يدعى المسيحيون أن المسيح عليه السلام صُلب ومات ثم بعد ذلك قام من القبر بعد ثلاثة أيام حيث ظهر لتلاميذه [١].

يقول حبيب جرجس: " بعدما دفن السيد المسيح ومكث فى القبر ثلاثة أيام [٢] عادت نفسه الطاهرة ونهض بقوة لاهوته قائماً من القبر فى يوم الأحد باكراً... وظهر بعد قيامته لتلاميذه" [٣].

وقيامة المسيح عقيدة أساسية فى المسيحية وركيزة من ركائز الإيمان المسيحى حتى أنه بدون قيامة ـ كما يقول باسيليوس ـ لا تكون المسيحية سوى وهم لا جدوى منه " [٤].

ويقول باركلى: " ويجب ألا ننسى أنه بدون قيامة لما قامت الكنيسة المسيحية على الإطلاق " [٥].

وهذه العقيدة ـ فى نظر المسيحيين ـ هى المنطلق الأساسى الذى بنى عليه الإيمان المسيحى كله فالإيمان بالمسيح يعنى الإيمان بالقيامة [٦].

---

(١) عن القيامة والظهور فى الأناجيل راجع: متى اصحاح ٢٨ـ مرقس إصحاح ١٦، لوقا إصحاح ٢٤، ويوحنا إصحاح ٢٠.

(٢) يعتمد المسيحيون على بيان أن المسيح مكث فى قبره ثلاثة أيام على ما ورد فى الأناجيل على لسان المسيح وهو بين تلاميذه، وذلك حين طلب الكتبة والفريسيون من المسيح عليه السلام أن يريهم آية " فأجاب وقال لهم جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبى لأنه كما كان يونان فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الإنسان فى قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال " متى ١٢ : ٣٨ـ ٤٠ ، مرقس ٨ : ١١ ، وهذا القول إشارة إلى ما جاء فى سفر يونان (١ : ١٧ ، ٢ : ١ ـ ١٠)" عن أن يونان بقى فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال. يقول المسيحيون إن هذا إخبار من المسيح بأنه سيمكث فى القبر هذه المدة المذكورة . ولكننا إذا رجعنا إلى الأناجيل ورواياتها عن الصلب والقيامة لوجدنا استحالة تحقيق هذه النبوءة لأنه لكى تتحقق يجب أن يبقى المصلوب فى بطن الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال ولكن إذا رجعنا إلى روايات الأناجيل لوجدنا أن المصلوب أنزل من على الصليب مساء الجمعة (مرقس ١٥ : ٤٢ ـ ٤٦) ولقد اكتشف التلاميذ قيامته فجر يوم الأحد (متى ٢٨ : ١ـ ٦) وبعملية حسابية بسيطة نجد أن عدد الأيام التى قضاها الميت فى بطن الأرض (فى القبر) تساوى يوماً واحداً (يوم السبت) وعدد الليالى التى قضاها الميت فى القبر تساوى ليلتين على أحسن الفروض. (راجع المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص (١٠١) وبذلك نستطيع أن نقول إنه استحال تحقيق هذه النبوءة فما بقى الميت فى قبره ثلاثة أيام ولا ثلاثة ليال (راجع أيضاً إظهار الحق ص ٢٥٩).

(٣) خلاصة الأصول الإيمانية ص (٤٨، ٤٩).

(٤) سر الفداء ص (٣٠).

(٥) تفسير أعمال الرسل ص (٤٧).

(٦) القيامة والصعود ص (٤٢).

لذلك يقول بولس: " إذا لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا [١] وباطل أيضاً إيمانكم [٢] وهذه العقيدة لها أهمية خاصة عند المسيحيين بالنسبة لفكرة الخلاص، فهى أساسية وضرورية لها، فلكى يكمل المسيح المخلص - فى نظرهم - عملية الخلاص كان لابد وأن يقوم من موته.

يقول كلايد تارنر: " إن مسيحاً ميتاً لا يمكن أن يكون مخلصاً، فقيامة المسيح أكدت أن الله قد قبل عمله الكفارى على الصليب "[٣].

ويقول بولس: " الذى أسلم من أجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا "[٤].

ويقول: " وإن لم يكن المسيح قد قام فباطل إيمانكم أنتم بعد فى خطاياكم [٥].

ويقول د/ فهيم عزيز: " إن قيامة المسيح كانت ركناً أساسيا فى هذا العمل العظيم "[٦].

ذلك أن المسيح بقيامته - فى نظرهم - أظهر انتصاره على الموت الذى هو أجرة الخطية..

يقول اسبيروجبور: " ففى آدم مات الجميع بآدم حيث انتقل الموت إلى الجميع، أما فى المسيح فقد قام الجميع، بالمسيح انتقل الجميع من الموت إلى الحياة "[٧].

ويقول أفلاطون مطران موسكو: " وقد أظهر يسوع بقيامته أنه غلب الموت، وكيف كان ممكناً أن يضبط الموت المتسلط على الحياة"[٨].

---

(١) الكرازة - كما يقول د/ فهيم عزيز - تقديم الإنجيل إلى الناس وإعلان ما فعله الله فى المسيح لكى يصالح العالم نفسه (المدخل إلى العهد الجديد ص ٨٧).

(٢) ١ - كورنثوس ١٥ : ١٤ يقول بولس إلياس اليسوعى فى التعليق على هذا النص (يظهر بولس بهذه العبارة أهمية القيامة بالنسبة إلى الدين المسيحى، لو لم يقم المسيح من بين الأموات لكان إيمان المسيحيين باطلا) ا. هـ (يسوع المسيح ص ١٤٨).

(٣) كلايد تارنر: هذه عقائدنا ص (٩٢).

(٤) رومية ٤ : ٢٥.

(٥) ١- كورنثوس ١٥ : ١٧.

(٦) المدخل إلى العهد الجديد ص (٨٩).

(٧) سر التدبير الإلهى (التجسد ص ١٦٨).

(٨) الخلاصة الشهية ص (١٠٠).

وعلى ذلك فالقيامة - فى نظرهم - هى التى أبرزت انتصار المسيح على الموت، وخلصت البشر من الخطيئة ومن الفساد الروحى الموروث نتيجة لسقوط آدم، وهى التى أقامت البشر - فى نظرهم - من وهدة الإثم والخطيئة التى أسقطهم فيها آدم بمعصيته.

يقول دوم كولومبا مرميون: " فالمسيح بقيامته أباد الخطيئة التى سببت الموت لآدم ونسله، ذلك أن المسيح بقيامته انتصر على الموت الذى سببته الخطيئة، وعليه فإن القيامة أعادت الحياة الجديدة للإنسان التى لا سلطان للموت عليها"(١).

وقبل أن نناقش فكرة القيامة (٢) ينبغى أن نسأل سؤالاً:

يقولون إن المسيح صلب ومات ثم قام، وهنا نقول لهم: من أقامه وأحياه؟

فإن قالوا نفسه. قلنا وهو حى أو ميت؟ فإن قالوا وهو حى لزمهم تحصيل الحاصل، وإن قالوا وهو ميت لزمهم المحال، لأن الخالق للحياة لا يمكن أن يكون ميتاً، بل أقل أحواله أن يكون عالماً بمن يحييه، وقيام العلم بغير الحى محال (٣)، وإن قالوا أحياه غيره وهو الذى أماته. قلنا فذلك الغير الذى تولى موته وإحياءه أحى أم ميت؟ فإن قالوا ميت كان ذلك محالاً إذ الميت لا يحيى ولا يميت. وإن قالوا كان حياً قادراً أمات المسيح ثم أحياه قلنا فقد اعترفتم أن المسيح عبد من العبيد تجرى عليه الأحكام من الأموات والأحياء وفى هذا بطلان شريعة إيمانكم(٤).

وهناك أمر آخر: هم يقولون إن المسيح الابن - الأقنوم الثانى - هو الذى يمثل العلم أو النطق للذات الإلهية، وهنا نتساءل: هل كان الله فى هذه الأيام الذى مات ودفن فيها جاهلاً بدون علم ؟ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

هل كان الله فى هذه الأيام أخرساً بدون نطق!! تنزه وتعالى سبحانه عن ذلك..

---

(١) المسيح حياة النفس ص (١٩٤).

(٢) عن الرد على القول بقيامة المسيح من قبره. راجع كشف الظلمة ص (٧٩ـ ٩٠).

(٣) الأجوبة الفاخرة ص (١٩٩).

(٤) المنتخب الجليل ص (١١٥) .

هم يقولون أيضاً إنه الله وهنا أيضاً نتساءل - كما يقول ابن القيم - " أخبرونا من كان الممسك للسموات والأرض حين كان ربها وخالقها مربوطاً على خشبة الصليب وقد شدت يداه ورجلاه بالحبال وسمرت اليد التى أتقنت العوالم، فهل بقيت السموات والأرض خلواً من إلهها وفاطرها وقد جرى عليه هذا الأمر العظيم؟ أم تقولون استخلف على تدبيرها غيره وهبط عن عرشه لربط نفسه على خشبة الصليب وليذوق حر المسامير وليوجب اللعنة على نفسه " ملعون من تعلق بالصليب "[١]؟ أم تقولون كان هو المدبر لها فى تلك الحال، فكيف وقد مات ودفن؟"[٢]

ونقول لهم أيضاً: من كان يقوم برزق الأنام والأنعام فى تلك الأيام؟ وكيف كان حال الوجود والإله فى اللحود؟ ومن المدبر للسموات والأرض بالبسط والقبض والرفع والخفض؟ وهل دفنت الكلمة بدفنه وقتلت بقتله أم خذلته وهربت مع التلاميذ؟ فإن دفنت فإن القبر الذى وسع الكلمة عظيم، وإن أسلمته وذهبت فكيف أمكنت المفارقة بعد الاتحاد والامتزاج؟ وكيف يحسن بهذا الإله إسلامه محله لأعدائه وخذلان سائر أوليائه "[٣].

ومن ناحية أخرى فإن فكرة القيامة قائمة على أسس باطلة فهى قائمة على أساس أن المسيح صُلب، ولقد بينا سابقاً أن أدلتهم على الصلب متناقضة متضاربة بحيث لا يمكن إثباته منها وعلى ذلك فهو باطل، وما بنى على الباطل فهو باطل.

هذا إلى جانب أننا لو نظرنا إلى دعوى القيامة ذاتها لوجدنا أنها ليس لها من الأدلة - كالصلب - سوى روايات الأناجيل وهى روايات متعارضة متناقضة أيضاً[٤]. فلقد اختلفت (قصة القيامة) فى الأناجيل اختلافاً عجيباً بحيث لا يمكن معه إثبات أى حقيقة[٥].

---

(١) تثنية ٢١ : ٢٣.

(٢) هداية الحيارى ص (٢٧٧).

(٣) الأجوبة الفاخرة ص (٢٩٩).

(٤) راجع تفسير المنار (٦ / ٣٩)، قصص الأنبياء ص (٤٥٠).

(٥) راجع عقيدة الصلب والفداء (ص ١٠٠ - ١٠١).

يقول شارل جنيبير :" إن روايات الإنجيل التى وصلت إلينا والتى تتعلق بقيامة المسيح لتبدو للمؤرخ الناقد نوعاً من الإنشاءات التى لا تنسجم عناصرها ، قد بنيت على ذكريات مبهمة وتفاصيل متعارضة "(١).

كيف ظهرت عقيدة الخلاص المسيحية؟

المسيح لم ينسب إلى نفسه إنه المخلص أو أنه المسيح المنتظر، ومن يقرأ الأناجيل المسيحية الحالية لا يجد فيها أى نص منسوب إلى المسيح عليه السلام يشير فيه إلى كونه مخلصاً.

وهذه الحقيقة أكدها العلماء والباحثون.

يقول ولز: " يعسر عليك أن تجد كلمة تنسب فعلاً إلى يسوع فسر فيها مبادئ الكفارة والفداء. كذلك لا يبرز هو دعواه أنه (المسيح) ولا يضفى على اشتراكه مع الله فى الربوبية أى ثوب بارز. ربما أحسسنا أنه لم يكن ليفوته أن يضيفه لو أنه كان يراه أمراً فى الدرجة الأولى من الأهمية، ومن أشد ما يحير اللب قوله: " حينئذ أوصى تلاميذه أن لا يقولوا لأحد أنه يسوع المسيح "(٢).

فمن العسير أن يفهم الإنسان السر فى هذا المنع إذا فرضنا أنه كان يعد هذه الحقيقة من ضروريات الخلاص"(٣).

ويقول شارل جنيبير: " والنتيجة الأكيدة لدراسات الباحثين أن عيسى لم يدع قط أنه هو المسيح المنتظر"(٤).

فإذا كان المسيح ـ فى نظرهم ـ هو ابن الله الذى تجسد وظهر فى صورة بشرية من أجل الخلاص والفداء فلم لم يقل عنه شيئاً؟ ولم لم يبينه؟

---

(١) المسيحية نشأتها وتطورها ص (٤٩).

(٢) متى ١٦ : ٢٠.

(٣) معالم تاريخ الإنسانية المجلد الثالث ص (٦٩٢ـ ٦٩٣).

(٤) المسيحية نشأتها وتطورها ص (٣٩).

لقد كان المسيح عليه السلام معلم الشعب، فإذا كان نزل للفداء فكان عليه أن يشرح ما جاء من أجله خاصة وأن يبينه ويوضحه.

يقول عبد الرحمن الباجة: " لو صحت فى عيسى دعواكم الباطلة من كونه إلهاً تجسد فى بطن العذراء من أجل خطيئة آدم لكان ذلك أول أوامره ومفتاح تعليمه لأنها أساس العقيدة الدينية ـ بزعمكم ـ وهذه الأناجيل على أنها محرفة لم يكن فيها شئ من دعواكم الباطلة "(١).

ومن ناحية أخرى لم نجد فى الأناجيل المسيحية أنه ورد على لسان المسيح عليه السلام أى نص يشير من قريب أو من بعيتد إلى ما يدّعونه من فكرة الخطيئة الأصلية (٢) الموروثة من آدم وحواء.

نعم إن هناك بعض النصوص التى تتكلم عن الخطايا التى يرتكبها الإنسان، ولكنها لا تشير ولا تلمح من قريب ولا بعيد إلى خطيئة سابقة موروثة من آدم وحواء (٣).

" إن المسيح عليه السلام وجميع الأنبياء والرسل قبله لم يذكروا لنا شيئاً مطلقاً عن هذه الخطيئة الموروثة، وإلا فها هو العهد القديم الذى بين أيديهم، وها هى الأناجيل التى يؤمنون بها، ها هى أمامهم، لم لم يذكر فى أحدها أن بنى آدم وصموا بذنب لم يقترفه أحدهم "(٤).

فالمسيح عليه السلام لم يسم نفسه أنه المخلص أو المسيح المنتظر(٥)، وكذلك لم يذكر لنا شيئاً هو والأنبياء والرسل قبله عما يسمونه بالخطيئة الموروثة وكذلك أيضاً لم يذكر الحواريون شيئاً عن هذا.

---

(١) الفارق بين المخلوق والخالق ص (٦٩).

(٢) يقسم المسيحيون الخطية إلى قسمين: أصلية وهى التى يولد الإنسان بها ـ أى التى ورثها من آدم ، وفعلية وهى التى يرتكبها الفرد فى حياته .٠ راجع علم اللاهوت النظامى ص ٨١٩).

(٣) راجع د/ محمد فؤاد الهاشمى: حوار بين مسيحى ومسلم ص (١٢٤ ، ١٢٥).

(٤) المسيح والتثليث ص (١٨٠).

(٥) المسيحية الرابعة ص (٤٠).

يقول د/ رؤوف شلبى: " وإذا درسنا ما قام به هؤلاء الحواريون من أعمال فإننا لا نجد أنهم فكروا فى إنشاء كنيسة، فقد ظلوا على إخلاصهم للدين اليهودى"[١]. ومعلوم أن قوام الكنيسة هو التركيز على ألوهية المسيح وصلبه وقيامته وهى أسس عقيدة الخلاص.

ويقول أدولف هرنك - أستاذ تاريخ الكنيسة بجامعة برلين - " لا يوجد فى أى مكان من تعاليم الاثنى عشر أى ذكر للخلاص الذى يقدمه المسيح "[٢].

ويقول ولز: " وليس هناك من دليل واضح على أن حواريى المسيح اعتنقوا مبادئ الكفارة والفداء"[٣].

ويعتبر (بولس) هو أول من أدخل هذه العقيدة فى المسيحية، فكانت إحدى عقائده الرئيسية التى بشر بها فى المسيحية.

يقول د/ فهيم عزيز: " ويعتبر بولس الشخص الذى عرف تلك الأسرار العميقة للموت الفدائى الذى قام به المسيح، وأظهر عقيدة الكفارة فى قوتها وجلالها، ورأى فى طقوس الناموس وشرائعه أعمالاً تشير إلى هذه العملية العظيمة التى يقوم بها المسيح"[٤].

ويقول المؤرخ الألمانى أرنست دى يونس: " إن روايات الصلب والفداء من مخترعات بولس "[٥].

ولقد أوردنا فى الفصل الثالث من الباب الأول أقوال كثير من العلماء. والباحثين الدالة على أن بولس هو الذى أدخل هذه العقيدة فى المسيحية وبولس هذا ليس واحداً من تلاميذ المسيح، ولا من تلاميذ تلاميذه، بل كان من ألد أعداء المسيحية، ثم بعد ذلك تحول إلى المسيحية، وأصبح من أكبر دعاتها ومبشريها.

---

(١) المرجع السابق ص (١١٦).
(٢) راجع المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص (٢٧٥).
(٣) معالم تاريخ الإنسانية (المجلد الثالث) ص (٦٩٢).
(٤) د/ فهيم عزيز ملكوت الله ص (٢٢٩).
(٥) راجع الفارق بين المخلوق والخالق ص (١٥، ٢٨٨).

وقد قلنا سابقاً إن بولس خضع لتأثيرات معينة، فقد استقى تعاليمه من مصادر أخرى غير تعاليم المسيح وتعاليم تلاميذه، وهى الأديان الوثنية المنتشرة آنذاك، وكانت هذه العقيدة إحدى العقائد الرئيسية التى استقاها بولس من هذه الأديان.

دعوى موت الإله وبعثه من أجل الخلاص فى الأديان الوضعية

لقد أشار الباحثون إلى أن فكرة موت الإله وبعثه من أجل الخلاص عرفت بين الوثنيين منذ زمن بعيد.

يقول العلامة دوان: " إن تصور الخلاص بواسطة تقديم أحد الآلهة ذبيحة فداء عن الخطيئة قديم العهد جداً عند الهنود الوثنيين وغيرهم "[١].

ويقول صموئيل هنرى: " لقد كانت أسطورة موت الله وبعثه إحدى أهم العناصر فى الأسطورة والنسق الطقسى القديمين "[٢].

وترجع أصل هذه الفكرة عند بعض الباحثين إلى أن الوثنيين كانوا يربطون بينها وبين النباتات، فالنباتات تموت فى الشتاء ثم تولد من جديد فى الربيع، لذلك تخيل الوثنيون موت النباتات سنوياً وولادتها من جديد فى بدء الربيع، وكان الوثنيون عند وقت البذور يضحون ببعض الأشخاص البشريين حتى إذا ما حل وقت الحصاد اعتقدوا بأنه بعث لهذا الشخص الذى مات ضحية.

يقول ولز: " إن فكرة البذار كانت مرتبطة ارتباطاً قوياً فى ذهن الوثنيين الأقدمين مع فكرة التضحية الإنسانية، ففى ذلك العالم القديم - منذ آلاف السنين - كانت كلما دارت الأيام دورتها وحل أوان البذار حلت معه ضحية بشرية، ولم تكن التضحية بأى شخص وضيع أو منبوذ بل كانت فى العادة تضحية بشاب مختار أو فتاة مختارة، وكان المختار فى الغالب الأعم فتى يعامل معاملة تنطوى على الإجلال العميق، بل حتى على العبادة إلى لحظة تقديمه قرباناً، وكان يعد ضرباً من ملك إله يقدم قرباناً،

---

(١) العقائد الوثنية ص (٣٦).

(٢) صموئيل هنرى هووك: منعطف المخيلة البشرية ص (١٤٣).

أو كان يعد (ملكاً رباً) كتبت عليه التضحية، ثم أصبحت كل تفاصيل قتله طقوساً يتولاها ويقوم عليها الرجال المسنون العارفون"[١].

" فرجل يضحى به وقت البذر حتى تخصب الأرض بدمائه - وذلك فى اعتقادهم - حتى إذا ما حل موسم الحصاد فسروه بأنه بعث للرجل الذى مات ضحية، وكانوا يخلعون عليه قبل موته وبعده جلال الآلهة، ومن هذا الأصل نشأت الأسطورة التى تروى فى ألف صورة مختلفة كيف يموت الله فى سبيل شعبه ثم يعود إلى الحياة بعدئذ ظافراً"[٢].

ثم حدث بعد ذلك أن "اختلطت الأساطير التى تروى عن الشمس بشعائر الزراعة اختلاطاً فيه تناسق وانسجام بحيث أصبحت الأسطورة التى تروى عن موته الإله وعودة ولادته لا يقتصر مدلولها على موت الشتاء وعودة الحياة إلى الأرض فى الربيع بل جاوزت ذلك إلى الانقلابين الأخيرين: الصيفى والخريفى، وما يعقب ذلك من قصر النهار وطوله، وذلك لأن حلول الليل - فى نظرهم - لم يكن إلا جزءاً من هذه المأساة، فإله الشمس يموت كل يوم مرة ويولد كل يوم مرة أخرى فكل غروب له بمثابة الاستشهاد على الصليب، وكل شروق هو بعث له ونشور "[٣].

وهناك رأى آخر يحول نشأة هذه الفكرة عند الوثنيين وهو: أن هذه الفكرة مرتبطة عندهم بضعف الشمس فى الشتاء ثم صحوتها فى الربيع، والآلهة مرتبطة بالشمس ولذلك فهى تموت فى الشتاء وتقوم فى الربيع.

وأعتقد أن الأخذ بأحد الرأيين لا يلغى الآخر، ففكرتهما واحدة والاختلاف يدور حول نوعية الآلهة المرتبطة بالفكرة هل هى آلهة الزراعة والإخصاب التى تموت وتبعث؟ أو هى آلهة الشمس والكواكب التى تموت فى الشتاء بأن تضعف أو تقل فى الشتاء ثم بعد ذلك تصحو فى الربيع؟

---

(١) موجز تاريخ العالم (٥٠، ٥١)، راجع أيضاً : معالم تاريخ الإنسانية (المجلد الأول) ص (١٠٨).
(٢) قصة الحضارة (المجلد الأول) (١ / ١١٣).
(٣) المرجع السابق. نفس الصفحة.

وأعتقد أيضاً أن تطبيق الفكرة على الاعتقاد بموت النبات فى الشتاء وولادته فى الربيع أكثر وضوحاً من تطبيقها على الفكرة الثانية.

يقول شارل جنيبير: " لقد ثارت مناقشات كثيرة حول أصل هذه الآلهة المختلفة ـ التى تموت وتبعث ـ وحول مبدأ ورموز الأساطير التى يمثلونها، والجدل ينحصر اليوم بين نظريتين فحسب، وإن كانت الواحدة منهما لا تلغى الأخرى، فإما القول بالآلهة الشمسية وإما التفسير بالمواسم الزراعية، ولكن العلة الأولى فى كلتا الحالتين لا يمكن أن تكون إلا تتابع الفصول المنتظم على مدار الزمن، سواء نظرنا إليه من زاوية المدار الظاهرى للشمس أم من ناحية ظواهر نمو النباتات، وقد نبعت من انتظام الفصول تلك الأسطورة التى تزعم أن الإله يموت فى بدء الشتاء ثم يبعث على أبواب الربيع"[١].

وما يعنينا هنا أن فكرة موت الإله وبعثه من أجل خلاص البشر ظهرت بين الوثنيين منذ فترة طويلة وظلت تدور فى الأديان الوثنية جميعها ـ أو معظمها ـ وتترك طابعها فيها حتى تجلت واضحة فيما بعد فى الديانة المسيحية[٢].

فقد ظهرت بين الهنود والمصريين واليونانيين والرومانيين وغيرهم كثير.. وإليك تفاصيل هذه الفكرة فى بعض الأديان الوثنية.

(١) فى الأديان الهندية القديمة:

كان الهنود الوثنيون يعتقدون بفكرة الخلاص بجذورها المعروفة بها عند المسيحيين..

فكانوا يعتقدون بالخطيئة الأصلية، ومما يدل على ذلك ما جاء فى تضرعاتهم " إنى مذنب ومرتكب الخطيئة وطبيعتى شريرة وحملتنى أمى بالإثم فخلصنى ياذا العين الحندوقية، يا ملخص الخاطئين، يا مزيل الآثام والذنوب"[٣].

---

(١) المسيحية نشأتها وتطورها ص (٧٢).

(٢) د/ نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم (٣ / ٦٢).

(٣) العقائد الوثنية ص (٣٧ ، ٣٨).

وكانوا يعتقدون أيضاً بتجسد أحد الآلهة وتقديم نفسه ذبيحة فداء عن الناس من الخطيئة[١]

وكانت الآلهة المتجسدة عندهم من أجل الخلاص متعددة نذكر منها ما يلى:

(١) **الإله كرشنا**:

والإله كرشنا هو أحد الآلهة التى كانت تمثل عندهم بصورة " الإله المخلص الذى قدم نفسه ذبيحة عن البشر".

يقول دوان: " ويعتقد الهنود بأن كرشنا المولود البكر الذى هو نفس الإله (فشنو) والذى لا ابتداء ولا انتهاء له، على رأيهم تحرك حنواً كى يخلص الأرض من ثقل حملها فأتاها وخلص الإنسان بتقديم نفسه ذبيحة عنه "[٢].

ويقول د/ على زيغو: " الملحوظ هنا هو النظرة للإله: إن كرشنا قد حل فى شكل بشرى، وهبط هذا الإله للأرض كى يخلص البشرية، وحيث إنه جاء ليخلص فهو بمثابة إله يهتم بالعالم ويساعد الإنسان، ومن صفات الإله كرشنا أنه محبة وبسبب ذلك تجسد "[٣].

ويصفون ـ أى الهنود ـ كرشنا بالبطل الوديع المملوء لاهوتًا، لأنه قدم شخصه ذبيحة. ويقولون إن عمله هذا لا يقدر عليه أحد سواه.

وقد ذكر موت (كرشنا) بأشكال متعددة أهمها أنه مات معلقاً على شجرة سمر بها بضربة حربة، والمقصود بالشجرة ـ كما يقولون دوان ـ الصليب ...

هذا وقد صور (كرشنا) فى كتب الهنود مصلوباً مثقوب اليدين والرجلين ومعلق بقميصه صورة قلب الإنسان[٤].

---

(١) المرجع السابق ص (٣٧).
(٢) المرجع السابق ص (٣٨).
(٣) د/ على زيغو: الفلسفات الهندية ص (١٦٨).
(٤) العقائد الوثنية ص (٣٨).

وقد صور " ول ديورانت " أقوال الباحثين فى موت كرشنا فقال: " ويزعم بعض الرواة أنه مات مطعوناً بسهم، ويزعم آخرون أنه قتل مصلوباً على شجرة وهبط إلى جهنم ثم صعد إلى السماء على أن يعود فى اليوم الآخر ليحاسب الناس أحياءهم وأمواتهم "(١).

وهكذا تصور الهنود أن الإله كرشنا محبة ولذلك تجسد وظهر بصورة بشرية ليقدم نفسه ذبيحة وفداء عن البشر وخطاياهم.

(ب) الإله بوذا المخلص:

هذا وقد عبد البوذيون (بوذا) على صورة الإله الذى تجسد من أجل خلاص البشرية، بأن يحمل عنها عبء خطاياهم القديمة ويحول بينهم وبين ارتكاب خطايا أخرى جديدة(٢).

لذلك يقول محمد طاهر التنير: "والقول بالفداء بواسطة إله تجسد وظهر بالناسوت عمومى عند البوذيين"(٣).

ويقول هوك ـ أحد المبشرين الفرنسيين ـ : " إن بوذا بنظر البوذيين إنسان وإله معاً وأنه تجسد بالناسوت فى هذا العالم ليهدى الناس ويفديهم ويبين لهم طريق الأمان، وهذا التجسد اللاهوتى يعتقده كافة البوذيين. كما يعتقدون أن بوذا هو مخلص الناس "(٤).

والبوذيون يقولون إن بوذا ترك الفردوس ونزل إلى الأرض، وظهر بالناسوت رحمة بالناس، كى ينقذهم من الآثام، ويرشدهم إلى الطريق المستقيم، ويحمل أوزارهم، ويفديهم مما يستحقونه من العذاب، بأخذه عنهم ما يستحقون من القصاص "(٥).

---

(١) قصة الحضارة المجلد الأول (٣ / ٢٠٤).
(٢) الفلسفة الشرقية ص (١٤٥).
(٣) العقائد الوثنية ص (٦١).
(٤) المرجع السابق ص (٤٢).
(٥) المرجع السابق ص (٥٩)

وهكذا صور البوذيون بوذا فى صورة المنقذ والمخلص الذى نزل إلى الأرض ليخلصهم من الآثام ويفديهم من العذاب بتحمله عنهم

(٢) فى الديانة المصرية القديمة:

لقد اعتقد المصريون القدماء بأن إلههم (أوزوريس) كان يحيا حياة البشر، ثم مات وبعد ذلك قام وبعث.

يقول أندريه إيمار: " كان أوزوريس وهو ابن الإله يموت ويبعث حياً "[١].

ويقول السير آرثرفندلاى " إن أول إله مخلص قرأنا عنه هو أوزوريس الذى ظهر فى مصر فى القرن الثامن عشر قبل الميلاد، وكان أميراً مصلحاً فظن أنه إله، لأن الآلهة ـ كما يعتقدون ـ تلبس لباس ذوى الشرف الرفيع، ولما ظهر شبحه بعد الموت ظنوا أن الآلهة سمحت له بالحياة، وأنها لم تعد غاضبة على الشعب الذى كان يرزح[٢] فى خطاياه وآثامه وأنها رفعت عنه غضبها ولعنتها التى كتبت عليه بسبب آثامه وخطاياه"[٣].

ويقول بونويك: " يعد المصريون أوزوريس أحد مخلصى الناس وأنه قهر وقتل "[٤] ثم عاد للحياة ثانية[٥].

(٣) فى الديانة الفارسية القديمة:

إن فكرة الإله المنقذ والمخلص كانت أيضاً واضحة فى الديانة الفارسية القديمة ذلك أنهم اعتقدوا بإله مخلص يخلص البشرية.

---

(١) تاريخ الحضارات العام المجلد الأول الخاص بالشرق واليونان القديمة ص (٩٢)، راجع أيضاً: مصر من فجر التاريخ إلى قيام الدولة الحديثة ص (٨٩)

(٢) فى المعجم الوسيط (رزح البعير رزاحا ورزوحاً: ضعف ولصق بالأرض من الإعياء أو الهزال لا يتحرك، ورزح فلان: ضعف وذهب ما فى يده) المعجم الوسيط (١ / ٣٤١).

(٣) الكون المنشور نقلاً عن (محمد فى التوراة والإنجيل والقرآن ص ٧٦).

(٤) العقائد الوثنية ص (٤٣).

(٥) راجع: محمد أفندى حبيب: مصادر المسيحية وأصول النصرانية ص (١٩)، راجع أيضاً : تاريخ البشرية (١ / ١٠١).

يقول بول ماسيون ـ عن الفارسيين ـ " إنهم أدخلوا فى شخص هذا الإله الخالد المبرر الأعظم للماضى، وبعبارة أخرى للوجود صفات المخلص التى تتجه لتبرير المثل الأعلى أى المستقبل "[١].

وكان الإله (مثرا) من أهم الآلهة التى وصفت بهذا...

فكانوا يدعون (مثرا) الوسيط بين الله والناس والمخلص الذى بتألمه خلص الناس ففداهم، ويدعونه (الكلمة)و (الفادى)[٢].

وقد وصف بأنه مات فى سبيل البشرية واحتفل بقيامه من القبر بفرح عظيم وقد أطلق عليه اسم المخلص[٣].

(٤) فى الديانة اليونانية والديانة الرومانية:

ظهرت فكرة الإله الذى يموت ويقوم من أجل الخلاص فى بلاد اليونان منذ زمن بعيد، حيث كان الكريتيون[٤] يعتقدون بأن (زيوس) يموت ويشاهده الناس ثم بعد ذلك يقوم من قبره ليكون رمزاً للنبات المجدد للحياة[٥].

هذا وقد وجدت بين اليونانيين فكرة الخلاص بجذورها الرئيسية.

يقول روز: " وكان للمسيحية عقيدة تؤمن بالخطيئة والخلاص، وهما أمران ألفتهما كثرة من اليونانيين من الآداب الأروفية وغيرها من الآداب "[٦].

وتقول د/ فاطمة المصرى: " وهذه النظرية (نظرية الخطيئة الأولى) تمتد إلى الأروفية التى عرفت عند المدارس اليونانية القديمة، وتقول الأسطورة إن الجنس

---

(١) بول ماسيون: الفلسفة فى الشرق ص (١٠٣).

(٢) العقائد الوثنية ص (٤٧).

(٣) د/ محمد جابر عبد العال: فى العقائد والإديان ص (٢٥٠).

(٤) نسبة إلى جزيرة كريت وهى جزيرة تقع فى الجنوب الشرقى من شبه جزيرة اليونان وسكانها من الجنس الإفريقى الأبيض أو من جنس البحر الأبيض المتوسط، وقامت فى هذه الجزيرة فى عصور قديمة جدا حضارة عظيمة ولكنها لم يكشف عنها النقاب إلا فى أوائل القرن العشرين (راجع التاريخ القديم ص ٧٧ وما بعدها).

(٥) قصة الحضارة المجلد الثانى (١ / ٢٩).

(٦) الديانة اليونانية ص (١٧٦).

الإنسانى من جنس التيتان الذين قتلوا ديونيسيس زاجراس ومزقوه إرباً وظل عبء هذه الجريمة ثقيلاً عليهم "[١] ولكن دونيسيس بعث مرة أخرى ليعلن بذلك خلاصه وإنقاذه للبشر.

يقول ول ديورانت عن ديونيسيس: " وانتهى أمره بأن صار ابن الله الذى مات لينجي البشر واختلطت عدة صور وأقاصيص بعضها ببعض لتتكون منها أسطورته، فكان اليونان يتخيلونه فى صورة زجريوس (أى الطفل المقرن) الذى ولد لزيوس من أخته برسفونى، وكان أحب أبناء زيوس إليه ويجلس إلى جواره على عرشه فى السماء، ولما حسدته هيرا على منزلته وأغرت الجبابرة بقتله بدله زيوس بماعز ثم بثور ليخفيه عن الأنظار، ولكن الجبابرة قبضوا عليه وهو فى هذه الصورة الثانية وقطعوا جسمه إرباً، ولكن " أثينا " أنقذت قلبه وحملته إلى زيوس وأعطاه زيوس إلى سميلى فحملت به، وولدت الإله مرة أخرى وسمى بعد مولده ديونيسيس "[٢].

وهناك آلهة يونانية أخرى وصفت بـ (المخلص) والمنقذ، فقد وصف (هرقل) بأنه ابن الله المحبوب الذى يرضى بالعذاب حباً فى الخلق، ويحيى الموتى، وينزل إلى الجحيم ثم يصعد إلى السماء [٣].

وكان (زيوس) و (أثينا) أيضاً يحملان كلاهما لقب المخلص والمنقذ[٤].

هذا وكانت الأديان السرية قد انتشرت بين اليونانيين والرومانيين، وهى التى كان الاعتقاد فيها يدور حول فكرة الخلاص عن طريق موت الإله وبعثه.

يقول وليم باركلى: " كانت تسود بين اليونانيين عقائد وممارسات تدور حول ما يعرف بديانات الأسرار، وكانت أسس هذه الديانات تدور حول آلام إله وموته وبعثه من الأموات [٥].

---

(١) د/ فاطمة المصرى: الزار ص (٢٠٨).
(٢) قصة الحضارة المجلد الثانى (١ / ٣٣٨)، راجع تاريخ الفلسفة اليونانية ص (٧).
(٣) عن أسطورة هرقل راجع قصة الحضارة مجلد ٢ (١ / ٨١، ٨٢).
(٤) الديانة اليونانية ص ١١٦ ، ١٣١.
(٥) تفسير إنجيل يوحنا ص (١٧٩).

ويقول: "وفى وقت حياة يسوع على الأرض كانت هناك ديانات يونانية ورومانية تعرف باسم ديانات الأسرار وهذه الديانات كلها كان لها طابع واحد، فهى فى جملتها رواية عن ألم يجوز فيه أحد الآلهة أو إحدى الآلهات، وبعد حياة شاقة متعبة يموت الإله ويقوم ثانية للمجد والبركة"(١).

وعن طابع هذه الأديان يقول كانتو: " لقد حددت هذه الأديان لنفسها إلها مخلصاً يموت ويبعث من جديد"(٢).

الصلة بين الخلاص المسيحى والخلاص الوثنى

دعت المسيحية إلى الخلاص عن طريق منقذ إلهى، وهذه الفكرة كانت شائعة فى الأديان الوثنية. ذلك أن العالم الدينى الوثنى وقت ظهور المسيحية كان يركز على فكرة المخلص، فكانت الأديان الشرقية واليونانية المنتشرة آنذاك تعتقد فى إله مخلص مات وقام.

فما الصلة إذن بين المسيحية والوثنية؟ إن الفكرة واحدة فيهما، والتشابه بينهما واضح فى هذه الفكرة، حتى أن الكتاب المسيحيين أنفسهم لم يجرءوا على إنكار هذا التشابه.

يقول د/ فهيم عزيز: " كانت الديانات السرية تشبه المسيحية فى بعض الخطوط الرئيسية ، فمثلاً كانت الديانات السرية تعتقد بأن الإله يموت ويقوم "(٣).

وبرغم أن الكاتب المسيحى أقر بالتشابه بين الأديان السرية والمسيحية إلا أنه يلاحظ أنه عكس القضية فليست الأديان السرية هى التى تشبه المسيحية، وإنما المسيحية هى التى تشبه الأديان السرية، فهى أسبق من المسيحية.

ويقول زكى شنودة ـ فى بيان الإقرار بالتشابه بين المسيحية والوثنية فى فكرة الخلاص ـ: نجد فى قصة الإله أوزوريس وقتله ثم انتصاره فى النهاية على الشر

---

(١) تفسير إنجيل متى (٢ / ٢٠).

(٢) التاريخ الوسيط (٥٨/١).

(٣) المدخل إلى العهد الجديد ص (٨٠).

وجلوسه بعد ذلك فى محكمة السماء ليحاسب الناس، ما يجعل قصة حياة المسيح وموته وقيامته وصعوده قريبة إلى عقول المصريين وقلوبهم"[١].

إنه يريد أن يقول إن قصة موت المسيح وقيامته - فى نظره - قريبة الشبه بموت أوزوريس وقيامته أيضاً، ولذلك كان وجود هذه الفكرة بين المصريين بمثابة التمهيد لقبولهم المسيحية.

والصواب - فى نظرى - أن المصريين وغيرهم من الوثنيين قبلوا المسيحية بعد أن أدخلوا فيها عقائدهم الوثنية والتى كان من أهمها ما يسمى بالخلاص عن طريق موت إله وبعثه.

أما تعليق المسيحيين على هذا التشابه فهو أن الأديان الوثنية التى كانت تؤمن بفكرة الخلاص بنيت على أساطير، أما المسيحية - فى نظرهم - فقد قامت على خلاص حقيقى.

يقول القس جورج خورى: " إلا أن القصة المصرية القديمة قصة الإله الذى مات وقام أسطورة وخرافة، أما سجل حياة يسوع الميسح موته وقيامته كما ورد فى الأناجيل فهو سجل تاريخى حقيقى وواقعى"[٢].

ويقول د/ فهيم عزيز: " هذه الأديان كان ينقصها عنصر واحد أفقدها كل شئ وهو الحقيقة. إنها ديانات بنيت على الأساطير، والخلاص فيها كان خلاصاً وهمياً أو كما قيل (خرافات مصنعة)[٣] وهذا الأمر بالذات هو ما جعل المسيحية شيئاً آخر. إنه خلاص حقيقى، والمخلص أسطورة قديمة، ولكنه جاء إنساناً وحل بيننا وعاش مع الناس رأوه واختبروه فى موته وقيامته وصعوده"[٤]

كان من الممكن أن نسلم لهم بهذا الفرق - مع تحفظنا الشديد وذلك للتشابه الكبير بين الأساطير الوثنية والمسيحية - لو أن الأدلة قائمة على أن المسيح عليه السلام

---

(١) تاريخ الأقباط (١ / ٣٧).

(٢) قاموس الكتاب المقدس ص (٩٠٤).

(٣) يشير بذلك إلى قول بطرس فى رسالته الثانية ٢ - بطرس ١ : ١٦.

(٤) المدخل إلى العهد الجديد ص (٨١).

صلب فعلاً وقام.. ذلك أنهم استندوا فى هذه الدعوى إلى أناجيلهم وليس لهم من أدلة عليها سوى روايات هذه الأناجيل، وهى برغم ما فيها من انقطاع للسند، وعدم صحة نسبتها إلى أصحابها، فهى متناقضة متضاربة بوجه عام، بل وأشد تناقضاً فى رواياتها عن الصلب والقيامة.

والتناقض يوحى بعدم صدق الروايات، ذلك أن التناقض بين الروايات يعنى أن إحداهما صادقة والأخرى كاذبة، وحيث إن الصادقة منها غير معروفة وغير متعينة فالشك يرد على الجميع، والشك إذا دخل إلى الاستدلال أفسده وأبطله، وعلى ذلك فليس هناك دليل صحيح على دعوى صلب المسيح وقيامته.

هذا فضلاً عن أنه لا يعقل أن يتشابه دين وثنى فى عقيدة رئيسية وأساسية مع دين يدعى أصحابه أنه من عند الله؟ فهل يعقل أن يأتى دين من عند الله متشابهاً بالأساطير الوثنية بدرجة كبيرة حتى إنه يصعب أن تجد أى فروق بينهما؟

هذا إلى جانب أن هذه العقيدة لم يقل بها المسيح ولا أحد من تلاميذه فلم ينسب المسيح لنفسه أنه المخلص أو المسيح المنتظر، وكذلك لم يقل أحد من تلاميذه عنه أنه المخلص أو الفادى.

كل هذا يعنى أن هذه الفكرة ليست من تعاليم المسيح ولا من تعاليم تلاميذه الحقيقيين، وإنما هى دخيلة عليها.

وعلى هذا يمكن القول إن التشابه بين الخلاص الوثنى والخلاص المسيحى قائم على أساس أن المسيحية استقت من الوثنية هذه الفكرة وأخذتها منها وطبقتها بأساطيرها على المسيح عليه السلام. وهذا الاستنتاج قال به كثير من العلماء والباحثين.

يقول الشيخ محمد رشيد رضا ـ عن عقيدة الصلب والفداء ـ " عقيدة وثنية محضة سرت إلى النصارى من الوثنيين كما بينه علماء أوربا الأحرار ومؤرخوهم وعلماء الآثار والعاديات منهم فى كتبهم"[1].

---

(١) تفسير المنار (٦ / ٢٧).

يقول لوازى ـ قس فرنسى سابق ـ " وهكذا مسيح بولس المحكوم عليه بالموت لمحو خطايا البشر ليس سوى نوع من تلك الأساطير "[١].

ويقول برتراند رسل : " ففى اللاهوت المسيحى عناصر كثيرة من الديانات التى تتميز بما يكتنفها من أسرار[٢] سواء فى ذلك الديانات الأورفية أو الآسيوية، والأسطورة الأساسية فى هذه العناصر التى دخلت المسيحية من تلك الديانات هى أسطورة الإله الذى يموت لينشر من جديد"[٣].

ويقول: " إن النظريات الخاصة بالخلاص من الخطيئة كانت فى جملتها دخيلة على المسيحية ولو أن بعضها يمكن تعقبه إلى المذهب الأورفى وغيره من مذاهب الشرق الأدنى الشبيهة به "[٤].

ويقول شارل جنيبير: " إن الأحداث الخاصة بالصلب تأثرت فى مخيلة المسيحيين بالأساطير المختلفة الشائعة فى الشرق"[٥].

ويقول: " تسربت آثار الأسطورة الشرقية التى تدور حول فكرة إله يموت ثم يبعث ليسير بأتباعه نحو حياة الخلود، تسربت إلى ضمير المجتمعات المسيحية فلم يلبث عيسى أن تحول بها من مسيح يهودى وشخصية محلية لا أثر فيها للتراث اليونانى ولا يفهمها أهل اليونان إلى عيسى المسيح السيد المنقذ ابن الله"[٦].

فالخلاص المسيحى كما أكد هؤلاء الباحثون مقتبس ومأخوذ من الأديان الوثنية الشرقية منها واليونانية والتى كانت تعتقد بفكرة الخلاص، وتؤمن بإله مخلص مات وقام.

ولذلك يقول د/ محمد فؤاد الهاشمى ـ أحد المسيحيين الذين اهتدوا إلى الإسلام " لقد تأثر المسيحيون بالمصريين والبابليين والسوريين والهنود والآسيويين والرومان

---

(١) راجع يسوع المسيح ص (١٣٢)، قصة إسلام الكاتبة الأمريكية مريم جميلة ص (٢٢٢).

(٢) يقصد بذلك الأديان السرية.

(٣) تاريخ الفلسفة الغربية (الكتاب الثانى) ص (٤٦).

(٤) المرجع السابق ص (١٣).

(٥) المسيحية نشأتها وتطورها ص (٢٩).،

(٦)المرجع السابق ص (٥٢).

والفرس وغيرهم حيث إن هذه الشعوب ظهر فيها قبل ميلاد المسيح آلهة مخلصون جاءوا لخلاص العالم وكلهم ماتوا من أجل خطايا البشر "(١).

وقد أشار د/ على عبد الواحد وافى إلى أن المسيحية استقت هذه الفكرة من الأديان الهندية فقال: " ويظهر أن فكرة الخلاص بتقديم الإله نفسه فداء لتكفير خطيئة أزلية متلبسة بها الإنسانية قد انتقلت إلى المسيحية من الديانات الهندية"(٢).

والصواب - فى نظرى - أن الرأى الأول هو الأصح، وهو أن المسيحية تأثرت فى هذه الفكرة بكل الأديان الوثنية المنتشرة آنذاك والتى كانت تؤمن بفكرة المخلص، خاصة وأن الفكرة كانت متشابهة فى كل هذه الأديان الوثنية، وأن الوثنيين الذين حملوا هذه الفكرة إلى المسيحية كانوا من شعوب مختلفة.

أما كيف انتقلت هذه الفكرة الوثنية إلى المسيحية؟ فالجواب أنها انتقلت عن طريق بولس وأتباعه من الوثنيين الذين دخلوا المسيحية وقلوبهم وعقولهم مليئة بالأفكار الوثنية.

فبولس هو أول من فسر دعوى صلب المسيح بأنه فداء إلهى لإنقاذ البشر من خطيئتهم الأولى (٣).

يقول ولز: "إن ذهن بولس كان مشبعاً بفكرة لا تبدو قط بارزة قوية فيما نقل عن يسوع من أقوال وتعاليم ألا وهى فكرة الشخص الضحية الذى يقدم قرباناً لله كفارة عن الخطيئة "(٤).

وكان بولس فى هذه الفكرة متأثراً بالأديان والأفكار الوثنية المنتشرة آنذاك.

يقول ولز أيضاً: " إن بولس نقل كثيراً من أفكار ديانات ذلك الزمان، وكان يعلم الناس أن موت عيسى كان تضحية - مثل ممات الضحايا القديمة المقربة إلى الآلهة - من

---

(١) سر إسلامى ص (٨٤)، حوار بين مسيحى ومسلم ص (١٣٤).
(٢) الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام ص (١١٤).
(٣) راجع مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة (٢ / ٣٣١).
(٤) معالم تاريخ الإنسانية المجلد الثالث ص (٧٠٦).

أجل خلاص البشرية، وراح يقرب إلى عقول تلاميذه الفكرة الذاهبة إلى أن شأن عيسى كشأن أوزوريس كان رباً مات ليبعث حياً وليمنح الناس الخلود "[١].

وهذه الفكرة كانت أكثر قبولاً لدى الوثنيين، حيث كانوا يؤمنون بها منذ زمن بعيد ولكن بأساطير لأشخاص وآلهة وثنيين، ولذلك حين دخلوا المسيحية لم يستطيعوا الإيمان بالمسيح إلا كما آمنوا بآلهتهم المخلصين الوثنيين.

يقول ول ديورانت: " ولم يكن فى وسع غير اليهود من أهل إنطاكية وسواها من المدن اليونانية الذين لم يعرفوا عيسى بجسمه أن يؤمنوا به إلا كما آمنوا بآلهتهم المنقذين" [٢].

ويقول كمال الدين: " فالوثنيون الذين كانوا موجودين أيام بولس عندما رأوا أن عيسى كما صوره بولس ما هو إلا صورة طبق الأصل لآلهتهم اتخذوه إلهاً من هذا الصنف من الآلهة الذين يعتقدون أنهم زاروا الأرض وشاركوا الناس فى الشئون والمسائل التى تختص بالبشر "[٣]. ثم بعد ذلك قدموا أنفسهم فداء للبشرية.

وهكذا يتبين لنا أن فكرة الخلاص المسيحية فكرة وثنية انتقلت إلى المسيحية عن طريق بولس وهؤلاء الوثنيين الذين لم يفعلوا شيئاً سوى تطبيق أفكارهم وعقائدهم الوثنية على المسيح عليه السلام الذى أصبح بالنسبة لهم إلهاً مخلصاً ومنقذاً مثل الآلهة المخلصين والمنقذين فى أساطيرهم الوثنية.

رد موجز على عقيدة الخلاص

وبرغم أن هذه العقيدة وثنية سرت إلى المسيحية عن طريق الوثنيين فإنها أيضاً غير مستساغة عقلياً وباطلة لما يأتى:

أولاً: إن هذه العقيدة مبنية على أسس باطلة والمبنى على الباطل باطل، ذلك أن أساس هذه العقيدة دعوى أن خطيئة آدم ليست خاصة به وحده بل انتقلت بالوراثة إلى كل أبنائه.

---

(١) موجز تاريخ العالم ص (١٧٨، ١٧٩).

(٢) قصة الحضارة مجلد ٣ (٣ / ٢٦٤).

(٣) ينابيع المسيحية ص (٦٢).

وهذا الأساس مردود بما جاء فى الأسفار التى يؤمنون بقدسيتها.

ففى سفر التثنية: " لا يقتل الآباء عن الأولاد ولا يقتل الأولاد عن الآباء كل إنسان بخطيته يقتل "[١].

وفى سفر حزقيال: " النفس التى تخطئ هى تموت، الابن لا يحمل من إثم الأب، والأب لا يحمل من إثم الابن، بر البار عليه يكون، وشر الشرير عليه يكون "[٢].

وفى إنجيل متى - قول المسيح - " يجازى كل واحد حسب عمله "[٣].

وهذه الفقرات الدالة على أن كل إنسان مسئول عن عمله إن خيراً فخير، وإن شراً فشر وأن كل إنسان يجازى حسب أعماله، فلا يحمل إنسان وزر أخيه تدحض أقوالهم بأن خطيئة آدم تحملها أبناؤه من بعده.

يقول عبد الرحمن الباجة: " ولا أعلم أمة تتلون فى دينها كما تتلون النصرانية فإن العاقل منهم لو تأمل معنى هذا الكلام من أن كل إنسان مجزى بعمله كما هو العدل والحق لحكم ببطلان عقيدتهم فى صلب المسيح فداءً عن الخطايا، وهل بعد التصريح بقوله كل إنسان مجزى بعلمه يقال إنه صار فداءً عن العالم بأسره، فما معنى هذا الفداء إذا كان الإنسان سيجزى بعمله"[٤].

أخطأ آدم فما بال النوع الإنسانى كله يتحمل وزر هذه الخطيئة مع أن كل الشرائع الإلهية والوضعية لا تأخذ بريئاً بجريرة غيره وقد صرح فى توراتهم بأن الأب لا يحمل إثم الابن، والابن لا يحمل وزر الأب[٥].

فالقول بأن خطيئة آدم انتقلت بالوراثة إلى أبنائه قول مردود بكتابهم المقدس وهو بهذا يتفق مع الشرائع الإلهية والوضعية فى أصل وضع العقوبات فى الدنيا والآخرة"

---

(١) تثنية ٢٤ : ١٦.

(٢) حزقيال ١٨ : ٢٠.

(٣) متى ١٦ : ٢٧.

(٤) الفارق بين المخلوق والخالق ص (١٢٤ ، ١٢٥).

(٥) أدلة اليقين ص (٢٣٩).

إذ أن أصل وضع العقوبات فى الدنيا والآخرة لا تقصد منها الشرائع الإلهية إلا تأديب الجناة ليكف غيرهم عن ارتكاب الجرائم، فمن المعقول حينئذ أن تقع العقوبة على نفس المجرم وإلا كان وضعها عبثاً، فكيف يصح أن يعاقب المسيح، بل الإله فى نظرهم الذى لم يقع منه جرم على جريرة غيره؟"(١).

ثانياً: إن القول باستقلال الصلب فى تخليص الناس من خطيئة آدم بل من الخطايا والذنوب قول غير مسلم به لأنه معارض بما يأتى:

١ـ بما ذكر مرقس فى خاتمة إنجيله من أن المسيح حين ودع تلاميذه قال لهم "اكرزوا ـ أى بشروا ـ بالإنجيل فى الخليقة فمن آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن فإنه يدان "(٢).

فالإيمان وحده ـ كما صرح المسيح ـ هو المخلص وهو سبب النجاة وعليه فيكون القتل والصلب عبثاً.

٢ـ بما شهد به المسيح من أن التوبة تستقل بمحو الخطايا والذنوب كقوله، "قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالبشرى "(٣).

وعلى ذلك يكون الصلب عبثاً لا داعى له (٤).

٣ـ ومعارض كذلك بقول الأمانة ـ التى هى أصل الدين المسيحى ـ نؤمن بمعمودية واحدة لغفران الذنوب" إذ مفاده أن التعميد وحده كاف فى محو الخطايا وغفران الذنوب فلا حاجة لقتل وصلب المسيح لاستقلال التعميد بالخلاص والمغفرة "(٥).

ثالثاً: يقال لهم هل كان البارى يقدر على خلاص آدم وذريته دون قتل المسيح أم لا ؟ فإن قالوا لا يقدر كفروا لنسبتهم العجز إلى الله تعالى، وأن نسبوه إلى القدرة جوروه ونسبوه إلى الحيف والظلم على المسيح (٦).

---

(١) المرجع السابق ص (٢٤٠).
(٢) مرقس ١٦ : ١٥، ١٦.
(٣) مرقس ١ : ١٥.
(٤)المنتخب الجليل ص (١١٤).
(٥) القرآن وعقائد أهل الكتاب ص (٢٧٥).
(٦) المنتخب الجليل ص (١١١).

رابعاً: يقال لهم أيضاً، ولنفترض أن المسيح صلب من أجل خطيئة آدم فلنسأل : هل هذا من أجل كل الناس حتى الذين صلبوه ونكلوا به أم من أجل فئة خاصة هم الذين آمنوا به؟ إذا قلتم بل هو لتخليص الذين آمنوا به (كما صرح بذلك علماؤهم)[(١)] فإن المسعى قد خاب تمامًا، لأن الخطيئة التى انقلبت الطبائع الإلهية من أجلها لا تزال موجودة على أتم معناها وأبشع صورها، وأين خطيئة آدم الضعيفة فى جانب خطيئة قتل الإله - كما يدعون - وغيرها من الجرائم ."[(٢)].

يقول أبو الفضل المسعودى: " يقال لهم هل المسيح يخلص من آمن به أو من كفر؟فإن قالوا : من كفر به قلنا لهم يطهرهم من خطاياهم بأعظم من خطاياهم كمن غسل البول بالغائط فإنه لا يزيد المحل إلا نجاسة، فعلى هذا ينبغى أن يكون اليهود الذين قتلوه والأسخريوطى الذى نم عليه، وفرعون ومن على شاكلته قد طهروا من خطاياهم وكذا كل كافر. وإن قالوا يطهر من آمن واتبعه قلنا وما ذنبهم وإيمانهم مطهرهم فلا حاجة إلى قتله، وإن قالوا أراد تطهير الحواريين قلنا وما ذنبهم الذى لا يطهره إلا قتل الله كما يدعون "[(٣)].

خامساً: يقال لهم ما تقولون فيمن مات قبل مجئ المسيح أكفاراً كانوا أم مؤمنين؟ فإن قالوا : مؤمنين فقد سلموا أنه لا حاجة إلى قتل المسيح وصلبه فى تخليصهم إذ إيمانهم مخلصهم لا غير.

وإن قالوا: كانوا كفاراً كذبهم المسيح إذ قال فى الإنجيل الذى بين أيديهم " لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة "[(٤)].. لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى... إنى لم آت لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة "[(٥)] وأنتم قلتم إن المسيح إنما نزل من السماء لخلاص الناس، فإن قالوا نعم قلنا لهم: فما تقولون فيمن مات قبل

---

(١) راجع المدخل إلى العهد الجديد ص (٣٨١ ، ٣٨٢)، كلايد تارنر: هذه عقائدنا ص (١١٦ ، ١١٧).
(٢) أدلة اليقين ص (٢٤٠).
(٣) المنتخب الجليل ص (١٣٥).
(٤) متى ١٥ : ٢٤.
(٥) راجع متى ٩: ١٢ ، ١٣ ، مرقس ٢ : ١٧ ، لوقا ٥ : ٣١.

نزوله عليه السلام. وكيف الطريق إلى بلوغ دعوته إليهم؟ فإن قالوا: تعذر تلافى أمره وفات استدراكه بموتهم. قلنا: جورتم المسيح ونسبتوه إلى الظلم والحيف، حيث لم ينزل لخلاصهم قبل موتهم ، فلم أخر ذلك حتى ماتوا على الضلال والكفر؟ وكيف صار الأحياء أحق بالرحمة من الأموات ؟

وإن تحامقوا وقالوا: إن المسيح دعا الأحياء وهو حيى ثم مات فدعا الأموات فى قبروهم فمن أجابه نجا ومن أبى هلك. فنقول: دعاهم فى قبورهم وهو حى أم دعاهم وهو ميت. فإن قالوا: دعاهم وهو ميت سقطت مكالمتهم وتبين جنونهم. وإن قالوا: دعاهم وهو حى نقضوا قولهم إنه مات فدعا الأموات.

ثم يقال لهم: أدعا المؤمنين والكفار أم اقتصر على دعاء المؤمنين فقط؟ فإن قالوا: دعا الجميع. قلنا لهم: فلعله دعا فرعون ونمروذ فآمنا، ودعا جماعة من الموحدين ولم يجيبوا، فهل تشكون فى أحد الفريقين؟

فإن توقفوا فى ذلك فقد جوزوا أن يكو ن فرعون وأشباهه فى الجنان، ومن مات على التوحيد فى دركات النيران لاحتمال تغير الحال.

وإن قالوا بل كل على ما مات عليه من كفر وإيمان. قلنا فدعاء المسيح إياهم وكونه مات بسببهم وقع عبثاً بلا فائدة "[١].

سادساً: إذا كان الإله صلب باختياره ليخلص الذين آمنوا به فقد مهد لهم بذلك السبيل إلى الإباحية المطلقة فيزنون ويلوطون ويقامرون ويسرقون ويقتلون ولا يبالون!!

ألم يمت المسيح الإله ـ كما يدعون ـ فداء لهم؟ !! ألم يصلب ليخلصهم من خطيئاتهم؟!! وإن هذا الصلب قد قبل فعلاً ـ كما يدعون ـ فلا خوف على من آمن بصلب المسيح حينئذ من جريرة مطلقة.

ويظهر أن مثل هذا المعتقد يسهل للناس اعتناق الشيوعية والإباحية فى كل شئ ولا ريب فى أن ديناً يدعو إلى مثل هذه الفوضى لا يكون من عند الله حتماً[٢].

---

(١) المنتخب الجليل ص (١١٤ ـ ١١٥).

(٢) أدلة اليقين ص (١٤٠).

سابعاً: إن المسيح عليه السلام إذا كان قد صلب وقتل ـ على زعمهم ـ لأجل فداء البشر وتخليصهم من العذاب فيجب على المسيحيين أن يشكروا اليهود على صلبه وقتله ويجزوهم خير الجزاء لأنهم هم الذين كانوا سبباً للفداء، ولا ينبغى لهم أيضاً أن يجزوا بالشر يهوذا الأسخريوطى ويلعنوه أشد اللعن حيث أسلم ربه والمسيح على زعمهم لليهود وارتشى على ذلك بثلاثين درهماً من الفضة لأنه قد أعان على أمر نافع لجميع العالم كما تدعون[١].

" إذا كان صلب الإله ضرورياً إلى هذا الحد وهو وقع باختياره وإرادته فلماذا يذم الذين صلبوه؟ ولماذا يقع الجفاء بين اليهود وبين النصارى إلى هذا الحد؟ إن الإنصاف يقضى بأن يكون اليهود محل احترام النصارى لأنهم خلصوهم من الخطايا وأحيوهم حياة أبدية"!![٢].

يقول القرافى: " يقال لهم إماتة المسيح عليه السلام هل هى حكمة أو سفه؟ فإن قالوا حكمة لزمهم الثناء على اليهود بالخير لإعانتهم على الحكمة وفعلهم لها. وإن قالوا سفهاً نسبوا الرب تعالى إلى السفه وهو كفر"[٣].

ثامناً: يقال لهم: هل غير صلب المسيح وقيامته ـ على فرض حدوثهما ـ حياة البشر؟ هل حول الصلب والقيامة طبائعهم التى كانوا عليها إلى طبائع أخرى ؟ إن شيئاً من ذلك لم يحدث فالناس هم الناس فى خيرهم وشرهم قبل قيامة المسيح ـ كما تدعون ـ وبعدها. فأين تلك الأعمال العظيمة التى يعملها المخلص فى الناس؟

وهذه أوربا المسيحية وأمريكا المسيحية.. أين عمل المسيح المخلص فيهما؟ وأين هدايته لهما؟ لقد تحول الناس هناك إلى عباد مال وتجار حرب فهل لهذا صلب المسيح وقام؟[٤].

---

(١) السيف الصقيل ص (١٢٢ ، ١٢٣).

(٢) أدلة اليقين ص (٢٤٠).

(٣) الأجوبة الفاخرة ص (٢٩٩)

(٤) المسيح فى القرآن والتوراة والإنجيل ص (٤٠٠).

" فهذا الرب الذى نزل لخلاصكم وحصل له ما وصفتم لم يحصل لكم خلاص به وما تم له مراد. إن كان خلاصكم من محن الدنيا فأنتم باقون على ما أنتم عليه من طبائع البشر وتحمل الضرر، أو من عهدة التكاليف فها أنتم بالصلاة والصيام مخاطبون وعلى فعل الآثام تعاقبون"(١).

وهكذا يتبين لنا بطلان عقيدة الصلب والفداء من كل الوجوه، هذا فضلاً عن أنها عقيدة وثنية سرت إلى المسيحية عن طريق بولس وأتباعه الوثنيين الذين لم يؤمنوا بالمسيح إلا كما آمنوا بآلهتهم الوثنية المخلصة.

---

(١) المنتخب الجليل ص (٤٠).

الفصـــل الرابع

الشعائر والأعياد

تمهيد:

للمسيحية شعائر يجب القيام بها ولا يصح التخلى عنها، ويقولون عنها إنها أسرار وفرائض مقدسة لابد من الالتزام بها، وهى - فى نظرهم - تمنح فاعليها بركات روحية غير منظورة.

وحيث إن الشعائر لا تسمو إلى مكانة العقائد فإننا نكتفى هنا بالإشارة إلى بعض الشعائر المسيحية الهامة، وخاصة المتفق عليها بين الطوائف والكنائس المسيحية.

فقد اتفقت الكنائس المسيحية على (التعميد) (والعشاء الربانى) كشعيرتين من الشعائر الأساسية للديانة المسيحية، واختلفوا فيما عدا ذلك حتى فى بيان التفاصيل حول هاتين الشعيرتين.

يقول القس إلياس مقار: "تتفق المذاهب المسيحية فى مختلف العصور والأجيال على الإيمان بفريضتى المعمودية والعشاء الربانى"[١].

ولم تؤمن الكنائس الإنجيلية بغير هذين السرين (على أساس أن الفريضتين - كما يقول إلياس مقار - تشيران إلى معنى المسيحية ولبها، فالمعمودية ترمز إلى الاغتسال من الخطية والحياة النظيفة المجددة والتى لا يمكن أن تكون لإنسان يعيش فى حياة العالم وأقذاره وأوحاله . والعشاء الربانى يشير إلى ذلك الثمن العظيم الذى قدمه المسيح لأجلنا[٢] على الصليب إذ بذل حياته من أجل خطايانا وللتطهير من الآثام"[٣].

---

(١) قضايا المسيحية الكبرى ص (٤٨٩).

(٢) الكلام لازال للقس إلياس مقار.

(٣) المرجع السابق ص (٤٤٩)

أما الكنائس الأرثوذكسية والكاثوليكية فقد جعلت شعائرها - أو أسرارها كما يقولون - سبعة [١] وهى: ١ - التعميد. ٢ - العشاء الربانى ٣ - سر المسحة وهو سر يناله المسيحى بعد التعميد. ٤ - سر التوبة. ٥ - سر مسحة المرضى. ٦ - سر الزيجة. ٧ - سر الكهنوت[٢].

وأهم هذه الأسرار السبعة عندهم الأول والثانى، لارتباطهما بالعقائد المسيحية. ولذلك سوف نقتصر على هذين السرين فى دراستنا هذه، لبيان كيفية تأثر المسيحية بالوثنية فى مجال الشعائر.

هذا وسوف نتناول فى نهاية هذا الفصل بيان تأثر المسيحيين بالأديان الوضعية فى بعض الأعياد المسيحية فى تحديد تواريخها وكيفية الاحتفال بها. وإليك البيان والتفصيل.

---

(١) يشير المؤرخون إلى أن الأسرار السبعة لم تكن قد تحددت حتى القرن الثالث عشر، يقول كانتو: "وللكنيسة حاليًا سبعة أسرار مقدسة بيد أن أعدادها لم تكن قد تحددت حتى القرن الثالث عشر، إذ أن أحد رجال اللاهوت البارزين فى القرن الحادي عشر يعدد لنا ما لا يقل عن أحد عشر سرًا مقدسًا، وكان للتعميد والعشاء الأخير أهم هذه الأسرار فى كل العصور) أ. هـ التاريخ الوسيط ص (٦٥).

(٢) عن بيان من الأسرار السبعة بالتفصيل (راجع حبيب جرجس: أسرار الكنيسة السبعة ص ٢٢ وما بعدها).

تعريف (السر) عند المسيحيين:

والشعائر فى المسيحية تعرف باسم (الأسرار).

والسر عندهم عمل مقدس ومنحة إلهية به ينال المسيحى نعمة غير منظورة تحت مادة منظورة (١).

يقول حبيب جرجس: "السر فى اصطلاح الكنيسة عمل مقدس به ننال نعمة غير منظورة تحت مادة أو علامات منظورة"(٢).

ويتبين من هذه التعريف أن السر ـ عند المسيحيين ـ يشتمل على وجهين: وجه منظور ووجه غير منظور.

الوجه المنظور: هو العمل الخارجى الذى يجريه خادم الكنيسة وهو عمل منظور.

والوجه الغير منظور: ـ كما يقولون ـ هو الفاعلية التى بها يغسل المعمد داخليًا ويطهر نفسه من الخطية(٣).

وقد اختلف المسيحيون حول مفعول الأسرار، هل لها قوة ذاتية تمنح فاعليها الخلاص والنعمة. أم أنها رموز مقدسة للدلالة على الخلاص والنعمة؟

الأرثوذكس والكاثوليك يعتقدون أن الأسرار تمنح فاعليها النعمة بذاتيتها وقوتها.

يقول حبيب جرجس: "إن الأسرار تمنح النعمة من ذاتها وبقوتها، فبها يتطهر الإنسان ويولد ثانية ويتجدد وتغفر خطاياه، وبها يقبل الروح القدس، وبها يتحد مع المسيح ويثبت فيه ويحيا إلى الأبد".(٤)

---

(١) راجع خلاصة الأصول الإيمانية ص (٧٤)، الخلاصة الشهية ص (١٢٢)، الدين المسيحى للمرحلة الثانوية ص (١٤٧).

(٢) أسرار الكنيسة السبعة ص (٧).

(٢) الخلاصة الشهية ص (١٢٣).

(٤) أسرار الكنيسة السبعة ص (١٣).

أما الإنجيليون فيعتقدون أنها رموز للدلالة على نعمة الله.

ففى علم اللاهوت النظامى: "فالأسرار تعنى فى نظر الكنيسة الإنجيلية رموزًا مقدسة، وختوم عهد النعمة أقامها الله للدلالة على المسيح وفوائده، ولإثبات نصيبهم فيه. وأيضًا لوضع فرق ظاهر بين أعضاء الكنيسة وسائر العالم، ولأجل ربطهم بخدمة الله فى المسيح حسب كلمته.

والأسرار تصير وسائط فعالة للخلاص ليس بقوة فى ذاتها ولا فى خادمها، ولكن بمجرد بركة المسيح وفعل روحه القدس فى الذين يقبلونها بالإيمان"(١).

وقبل أن ننتقل إلى التفاصيل حول الأسرار المسيحية أحب أن أشير إلى أن المسيحيين قد تأثروا بالأديان الوثنية فى إطلاق لفظ (السر) على الشعائر. فالطقوس كانت معروفة عند الوثنيين باسم (الأسرار).

يقول د/ فهيم عزيز: "السر ترجمة للكلمة اليونانية {Musterion} وهى تعنى فى استعمالها اليونانى الأصلى الطقوس السرية والتعاليم المختصة بها لتفسيرها وكيفية إقامتها، وقد ارتبطت هذه الكلمة بالديانات السرية حيث كان يقوم الشخص ببعض الطقوس ويستلم بعض التعاليم السرية، وبذلك يصبح الشخص كاملاً أو روحيًا."(٢)

{المعمودية}

والمعمودية أهم الأسرار والشعائر والمسيحية" ويعتبرونها كباب لسائر الأسرار التى يتممونها فى الكنيسة".(٣)

يقول حبيب جرجس: "ولسر المعمودية الرتبة الأولى بين الأسرار المسيحية لأنه بمثابة باب يدخل منه المسيحى إلى الكنيسة وملكوت النعمة طبقًا لما جاء فى إنجيل يوحنا "إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله"(٤) ولذلك يمنح هذا السر للمؤمن قبل أى سر آخر ومن يتقبله فلا حق له فى الاشتراك فى بقية الأسرار".(٥)

---

(١) علم اللاهوت النظامى صـ ١١٣٦.
(٢) الفكر اللاهوتى فى رسائل بولس صـ ٤٥.
(٣) اللاهوت فى إنجيل يوحنا ص (١٨٠).
(٤) يوحنا ٣ : ٥.
(٥) أسرار الكنيسة السبعة ص (٢٢).

والمعمودية كلمة معربة من الكلمة السريانية (معموديتو) ومعناها (الغسل لأجل التطهير) ومن كلمة المعمودية اشتقت كلمتا (اعتمد)و (عماد) وغيرهما[١]

واللفظة (عماد) اصطلاح قد اصطلح عليه المسيحيون للدلالة على العلامة التى توضح على من أقر بإيمانه المسيحى جهارًا[٢]

والمعمودية ـ كما عرفها المسيحيون ـ سر مقدس به يولد المسيحى ولادة ثانية روحية جديدة مقدسة بالماء والروح.[٣]

وقد أطلق المسيحيون على سر المعمودية أسماء كثيرة

يقول حبيب جرجس : "وبناء على مفاعيله باعتبار طقسه المنظور دعى حميمًا، وينبوعاً مقدسًا، وبالنظر إلى نتائجه غير المنظورة دعاه الآباء، ولادة جديدة، وتقديسًا، وختم الإيمان، وختم الدين المسيحى، وحميم الخلاص، والولادة الثانية، وحميم الحياة، وماء الحياة الدائمة، وهكذا... وغيرها من الأسماء الدالة على تأثيراته ومنحه". [٤]

أصل هذه الفريضة عند المسيحيين:

يذكر المسيحيون أن هذا السر بدأ منذ يوحنا المعمدان الذى يقولون عنه إنه كان يعمد الناس حتى إنه عمد المسيح نفسه.

يقول كلايد تارذر: "بدأت فريضة المعمودية بيوحنا الذى أرسل بدعوة إلهية "وكان إنسان مرسل من الله اسمه يوحنا"[٥] أرسله الله لا ليعظ بالتوبة لمغفرة الخطايا فقط بل ليعمد التائبين أيضًا كرمز ظاهرى لتغيير داخلى" الذى أرسلنى لأعمد بالماء"[٦] وقد أجاز يسوع هذه الفريضة باعتماده كما ورد فى إنجيل متى[٧] وعند

(١) عوض سمعان: الكهنوت الطقسى فى ضوء الوحى والتاريخ ص (٣٨).
(٢) بنيامين بنكرتن: تفسير إنجيل متى ص (٤٢).
(٣) راجع هذا التعريف فيما يلى: أسرار الكنيسة السبعة ص (٢٢)، خلاصة الأصول الإيمانية ص (٧٤)، الدين المسيحى للمرحلة الثانوية ص (١٤٧).
(٤) أسرار الكنيسة السبعة ص (٢٢)، د/ جورج حبيب: المعمورية ص (٩٤، ٩٥). وغيرهما
(٥) يوحنا ١ : ٦.
(٦) متى ١ : ٣٣.
(٧) متى ٣ : ١٣ ـ ١٧.

صعوده أمر تلاميذه قائلاً: اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس[(١)(٢)]

ويقول الأستاذ أنيس صائغ: "ولما جاء يسوع تبنى هذا الطقس وجعله فريضة فى الكنيسة المسيحية". [(٣)]

والمسيحيون يعتقدون أن المسيح عليه السلام هو الذى أسس لهم هذا السر فى المسيحية وذلك بأقواله وأفعاله.

يقول حبيب جرجس : " وقد أسس السيد المسيح هذا السر فى قوله "اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم ..."[(٤)].

وبفول د/ جورج حبيب :"إن المعمودية مؤسسة على حياة المسيح وموته وقيامته، حقيقى أنها تستند على أمر المسيح فى إنجيل متى (٢٨ : ١٩) لكن ما صلة هذا الأمر بحياة المسيح؟ من المستحيل أن تكون المعمودية مجرد أمر. وإلا كيف نفهم الإصحاح السادس من رسالة بولس إلى أهل رومية؟ حيث يؤكد بولس أن المعمودية هى موت ودفن وقيامة مع المسيح إلى حياة جديدة"[(٥)].

والقول بأن يوحنا المعمدان كان يعمد بأمر إلهى قول ينظر إليه بمزيد من الحذر خاصة وأنه لم يرد فى العهد القديم[(٦)]. ولا فى أى مصدر آخر سوى الأناجيل، وهى ليست بالمصدر العلمى الموثوق به الذى يمكن الأخذ بأقواله على أنها صحيحة وحقيقية.

---

(١) متى ٢٨ : ١٩.

(٢) كلايد تارنر: هذه عقائدنا ص (١٥١، ١٥٢).

(٣) قاموس الكتاب المقدس ص (٦٣٧).

(٤) خلاصة الأصول الإيمانية ص٧٥.

(٥) المعمودية فى الكنيسة الواحدة ص (٢٩).

(٦) يقول القرطبى: (وهذا التعميد لم يجر له فى التوراة ذكر ولم يشرعه الله قط لموسى ولكن المسيحيين كتبوا فى الأناجيل أن يوحنا عمد المسيح) راجع الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد ص (٣٠٣)، الأجوبة الفاخرة ص (٣٩٤).

هذا إلى جانب أن معمودية يوحنا ـ على فرض أنه كان يعمد ـ تختلف عن معمودية المسيحيين فيوحنا المعمدان ـ كما جاء فى أناجيلهم ـ كان يعمد لأجل التوبة (متى ٣ : ١١) أما معمودية المسيحيين فلها غاية أخرى كما سنين فيما بعد.

أما الاستناد إلى ما جاء فى إنجيل متى من أن المسيح أمرهم بالتعميد، فهذا القول أمر به المسيح ـ فى نظرهم ـ بعد صلبه وموته وقيامته من القبر، وهى أمور تبين بالأدلة ـ كما سبق أن بينا فى الفصل السابق ـ أنها باطلة، وما بنى على الباطل فهو باطل خاصة وأن المسيح عليه السلام لم يعمد أحدًا فى حياته [١].

غاية المعمودية فى نظر المسيحيين:

اختلف المسيحيون حول غاية المعمودية، وذلك بناء على اختلافهم حول مفعول الأسرار كما سبق أن أشرنا.

ففى علم اللاهوت النظامى" الإنجيليون يعلمون أن غاية المعمودية إدخال المعمود إلى الكنيسة الظاهرة، وهى مع ذلك رمز وإشارة إلى تطعيم المعمود فى المسيح وتجديده ومغفرة خطاياه وتسليمه إلى الله بيسوع المسيح ليسلك فى جدة الحياة، وكون هذا السر رمزًا أو إشارة أو ختمًا يتضمن أنه ليس المرموز إليه، أى أنه إشارة حقيقة لا هو الحقيقة عينها، فالمعمودية علامة خارجية لحقيقة داخلية، وهى فعل النعمة الإلهية فى قلب المعمود، على أن تلك الحقيقة الداخلية لا تتوقف على المعمودية الخارجية ولا تتم بواسطتها بل تسبقها، وإتمام الحقيقة الداخلية تجيز إتمام الحقيقة الخارجية"[٢].

فالتعميد ـ فى نظر الإنجيليين ـ رمز أو علامة خارجية للمواعيد الإلهية فليس لها أى فعل داخلى تحدثه فى المسيحى.

أما الأرثوذكس والكاثوليك فيرون أن التعميد شركة حقيقية مع المسيح، فالإنسان الذى يغطس تمامًا تحت سطح الماء يشبه إنسانًا مات مع المسيح، وعندما يخرج من الماء فذلك يشبه القيامة مع المسيح فهو يخرج إنسانًا جديدًا لحياة جديدة[٣].

---

(١) راجع يوحنا ٤ : ٢، قاموس الكتاب المقدس ص (٦٣٧).

(٢) علم اللاهوت النظامى ص (١٠٧٤)، راجع أيضا تفسير أصول الإيمان (٢/١٣٠).

(٣) تفسير إعمال الرسل ص (١١٤).

فالمعمودية ـ فى نظرهم ـ موت، ودفن، وقيامة مع المسيح إلى حياة جديدة(١).

يقول باسيليوس: "ففى سر المعمودية نحن نشترك فى موت المسيح ودفنه ثم نقوم ثانية معه وهكذا نحن نشترك فى موته وقيامته"(٢).

واستدلوا على ذلك بقول بولس: "أم تجهلون أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته، فدفنا معه بالمعمودية للموت حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضًا فى جدة الحياة .. فإن كنا قد متنا مع المسيح نؤمن أننا سنحيا أيضًا معه"(٣).

هذا إلى جانب أن التعميد ـ فى نظرهم ـ يمحو الخطيئة الأصلية، ويمحو لدى البالغ الخطايا الشخصية ويفى ما يتوجب عليه من ديون ويحدث فيهم الموت عن الخطيئة (٤).

وفى هذا يقول قانون الإيمان المسيحى "نعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا"(٥).

يقول بولس إلياس اليسوعى:" سر المعمودية سر يمحو الخطيئة الأصلية فى الإنسان، ويمنحه الولادة الروحية الثانية الجديدة التى تجدد الإنسان، فتنقله من الموت إلى الحياة، بحيث يفيض الله عليه نعمته الإلهية فيغيره، ويحييه، ويلقى فيه بذور الفضائل الثلاث الإيمان والرجاء والمحبة، التى تساعده على النمو المتواصل فى الحياة الإلهية كلما أتى بعمل ثوابى، كما أنها تحرره من مخالب إبليس ومن نير الخطيئة، وإن كان راشدًا فالمعمودية تمحو له جميع الخطايا التى اقترفها مدة حياته قبل اعتماده، كما أنها تدخله فى حظيرة الكنيسة فيصبح ابنًا لله بالتبنى"(٦).

كما أنها ـ أى المعمودية ـ فى نظرهم "ضرورية جدًا للخلاص وبدونها لا يمكن للإنسان أن يخلص(٧).

---

(١) المعمودية فى الكنيسة الواحدة ص (٢٩).

(٢) سر الفداء ص (٣٥)،

(٣) رومية ٦ : ٣ ، ٤ ، ٨.

(٤) المسيح حياة النفس ص (٢٠٤).

(٥) راجع : خلاصة الأصول الإيمانية ص (٧٦).

(٦) يسوع المسيح ص (٢٠٤ ، ٢٠٥) بتصرف .

(٧) خلاصة الأصول الإيمانية ص (٧٦)، راجع أيضًا أسرار الكنيسة السبعة ص (٢٦) وما بعدها.

واستدلوا على ذلك بما جاء فى الأناجيل حكاية عن المسيح "من آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يدن"(١).

"إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله"(٢).

فالمعمودية ـ فى نظر الأرثوذكس والكاثوليك ـ ليست إشارة أو رمزًا ولكنها عمل ـ كما يقول حبيب جرجس ـ يترك أثرًا فى النفس هو التطهير ومغفرة الخطايا والولادة الثانية"(٣).

ويقول إنسطاسى شفيق: "فنتائج النعمة إذن فى سر المعمودية هى الولادة الثانية والتبرير والتبنى والملكوت، وهذه النتائج مرتبطة بعضها ببعض ارتباطًا لا ينفك، لأن النعمة الإلهية إذ تعيد ولادة الإنسان بالمعمودية تنقيه من كل خطيئة مبررة ومقدسة إياه، وإذ تنقيه من الخطايا تخلصه من عواقبها الأبدية، وإذ تبرره أمام الله وتقدسه تجعله ابنًا لله وعضوا فى جسد يسوع المسيح وارثًا للحياة الأبدية"(٤).

ويستفاد من هذه الأقوال المسيحية أن التعميد وحده كاف فى محو الخطايا وغفران الذنوب. وإذا كان الأمر كذلك فإننا نقول المسيحيين لا حاجة إذن لصلب المسيح وموته وذلك لاستقلال التعميد بالخلاص ومغفرة الذنوب ومحو الخطايا.

هذا وقد اختلف المسيحيون حول نوع المعمودية :هل تتم بالتغطيس أو بالرش والسكب؟

اعتادت الكنيسة الإنجيلية رش الماء ـ وهو رأى الأغلبية (٥)ـ وبعضهم يفضل التغطيس بل يحسبه ضروريًا للمعمودية (٦)، وبعضهم يرى أن الرش أو السكب مستحسن(٧).

---

(١) مرقس ١٦ : ١٦.
(٢) يوحنا ٣ : ٥.
(٣) أسرار الكنيسة السبعة ص (٢٧).
(٤) الفداء فى إنجيل لوقا ص (٢٧١ ، ٢٧٢).
(٥) قاموس الكتاب المقدس ص (٦٣٧).
(٦) علم اللاهوت النظامى ص (١٠٧٦).
(٧) المرجع السابق ص (١٠٧٧).

أما الأرثوذكس فيرون أن المعمودية لا تتم إلا بالتغطيس فى الماء بواسطة رجال الكنيسة ويلزم أن يكون التغطيس ثلاث مرات(١).

والكاثوليك يرون أنها تكون بالتغطيس أو بالغسل أو بالرش(٢).

تأثر المسيحية بالأديان الوضعية فى التعميد:

وكما تأثر المسيحيون بالوثنيين فى مجال العقائد فإنهم أيضًا تأثروا بالشعائر الوثنية وأسرارها وطقوسها.

يقول كمال الدين: "قد شوهد أن كل ما فى الطقوس والنظامات الرسمية للديانة الوثنية قد أدخل على دين عيسى النقى الطاهر"(٣).

ويقول شارل جنيبير: "إلا أنه لا مجال للشك فى أن الروح الوثنية فيما يختص بمظاهر العبادة العملية قد فرضت على المسيحية شيئًا فشيئًا حتى أصبحنا نجدها كاملة فى احتفالاتها"(٤).

ويقول: "طقوس أخذت بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من اليهودية أو عن الأسرار الوثنية ولكنها ألبست ثياب المسيحية، وحملت ـ أو حمل الأهم منها على الأقل ـ بتلك القوى السحرية الخفية التى كان يراها رجال هذا العصر فى العبادات السرية سواء منها اليونانية أو الشرقية"(٥).

ويقول صموئيل هنرى هوك: "فى الطقس المسيحى وقناعاته المرادفة نحن أمام ثقافة حية مسلحة خير تسليح بأدب واسع، وجذورها تضرب عميقًا فى الأزمنة القديمة. وفضلاً عن ذلك ـ بقدر ما ـ كانت المسيحية نتاجًا لمزيج مشوش من الحركات الدينية التى اتسم بها العالم الإغريقى الرومانى"(٦).

---

(١) خلاصة الأصول الإيمانية ص (٧٤).

(٢) يسوع المسيح ص (٣٠٦).

(٣) ينابيع المسيحية ص (٣٩).

(٤) المسيحية نشأتها وتطورها ص (١٢٦).

(٥) المرجع السابق ص (١٢٨).

(٦) منعطف المخيلة البشرية ص (١٤٩).

لقد انتقلت الطقوس الوثنية إلى المسيحية، الأمر الذى ساعدها على الانتشار بين الوثنيين، لاسيما أن التحول عن الوثنية إلى المسيحية ـ كما يقول فشر ـ لم يكن انتقالاً إلى جو غريب تمام الغرابة، لقد كانت عملية التحول تتم بلطف، إذ شابهت طقوس الديانة المسيحية وأسرارها ما للديانة القديمة من طقوس وأسرار(١).

والتعميد كان من أهم الشعائر المنتشرة بين الوثنيين وقت وقبل ظهور المسيحية بآلاف السنين.

يقول لندى: "إذا تصفحنا التاريخ نرى طقس العمادة قديم العهد جدًا، فقد كان شائعًا فى آسيا وأمريكا وكان سكان البرازيل يعمدون أولادهم الذكور والأناث فى الهيكل المدعو (هيكل الصليب) يصب الماء من أبريق وكان يدعون ماء العمادة ماء الولادة الثانية"(٢).

وقد أشار كثير من العلماء الأوربيين إلى أن التعميد كان منتشرًا منذ عهد قديم فى بلاد كثيرة ، فكانوا عندما يعمدون الأطفال فى الهند ومنغوليا والتيبت يوقدون الشموع ويحرقون البخور على المذابح، وتقرأ الكهنة صلوات مخصوصة، ثم يغطسون الطفل فى الماء ثلاث مرات، ثم بعد ذلك يدعونه بالاسم الذى يريدونه" (٣).

والتعميد كان طقسًا معروفًا بين الوثنيين قبل المسيحية (٤). حيث كانت الأديان السرية (الشرقية واليونانية) المنتشرة قبل ظهور المسيحية تعتقد بفكرة الخلاص فى إله يموت ويقوم من أجل الخلاص، وكان من ينضم إلى هذه الأديان يقوم بالطقوس المعبرة عن هذه الفكرة والتى أهمها التعميد.

يقول المؤرخ المسيحى جون لوريمر :"تتميز هذه العبادات الشرقية بالاعتقاد فى إله فاد مات وقام مرة أخرى، وقد صارت دورة الفصول الطبيعية والمحاصيل عندما

(١) تاريخ أوربا العصور الوسطى ص (٧).
(٢) العقائد الوثنية ص (١٢٨) .
(٣) المرجع السابق ص (١٢٥).
(٤) راجع التفكير الدينى فى العالم قبل الإسلام ص (٧٨).

تزرع وتنمو وتموت وتنمو مرة أخرى رمزًا لموت وولادة الروح البشرية، وعندما كان يريد أحدهم الانضمام إلى إحدى الديانات كانت تقام له طقوس خاصة لإدخاله عضوًا فى الطائفة، وفى هذه الطقوس يشارك العضو فى موت وقيامة الإله"[١]. وذلك عن طريق تعميده.

يقول كانتو: "كان للأديان السرية التى تؤمن بفكرة الإله المخلص الذى يموت ويبعث من جديد بعض الطقوس السرية التى تتيح للمؤمن بها أن ينال الخلود من خلال ربط نفسه بمعناه الإله وانتصاراته"[٢].

١ ـ التعميد عند المصريين:

وقد وجد التعميد بين المصريين منذ عهد قديم وظل منتشرًا بينهم حتى وقت ظهور المسيحية.

"وكان المصريون يعمدون أولادهم المراهقين ويسلمونهم الأسرار الدينية الابتدائية ويرسمون على جبين المعمد علامة الصليب المقدس"[٣].

يقول زكى شنودة: "وكان المصريون يستعملون الغسل أو الرش بالماء المقدس وهو طقس يشبه العماد عند المسيحيين"[٤].

ويقول د/ رؤوف حبيب: "والعماد بالماء المقدس معروف فى الديانتين المصرية والمسيحية"[٥].

وكان المصريون يعتقدون أن من يعمد تحصل له الولاة الثانية ويحصل على النعيم الأبدى ـ وذلك كما يعتقد المسيحيون فى التعميد.

يقول جون لوريمر: "ففى عبادة إيزيس كان العضو يولد من جديد عندما يستحم فى المياه المقدسة"[٦].

---

(١) جون لوريمر : تاريخ الكنيسة (١/ ١٩).
(٢) التاريخ الوسيط (١/ ٥٨).
(٣) العقائد الوثنية ص (١٢٦ ، ١٢٧)
(٤) تاريخ الأقباط (١ / ٣٧).
(٥) د/ رؤوف حبيب : تاريخ الرهبنة والديرية ص (٣١).
(٦) جون لوريمر : تاريخ الكنيسة (١ / ١٩).

ويقول ول ديورانت ـ عن طقوس ديانة إيزيس ـ : "التطهير بالانغماس فى الماء المقدس وبعدها تظهر له الرؤى الصوفية ـ كما يعتقدون ـ لتهبه النعيم الأبدى"(١).

٢ ـ التعميد عند الفارسيين:

وقد وجد التعميد أيضًا بين الفارسيين القدماء، حيث كانوا يأخذون أولادهم إلى الهياكل بعد الولادة ببضع أيام، ويسلمونهم للكاهن عند صنم الشمس، فيغمسه فى إناء مملوء ماء، ثم يسمونه بما يدون من الأسماء(٢).

وكان التعميد واحدًا من طقوس ديانة (مثرا) الفارسية.

"واعتقدت المثراثية بالاندماج الروحى بالرب عن طريق العبادة ومارست التعميد"(٣).

وقد أورد (دونالد ددلى) أسرار ديانة مثرا وكان منها (سر التعميد)(٤).

وكان التعميد فى هذه الديانة يتم عن طريق الاستحمام فى دماء ثور، وذلك لأنهم كانوا يعتقدون أن مثرا قدم ثورًا ذبيحة وذلك لتخصيب الأرض.

"وكان المريد المتعبد الميثرائى يستحم بالفعل فى دم عجل التضحية وبذلك يولد من جديد"(٥).

ويقول جون لوريمر : "أما فى عبادة مثرا فكان يستحم فى دماء ثور فيعطى حياة جديدة"(٦).

وكان التعميد ـ فى ديانة مثرا ـ بمثابة إزالة الخطايا، والطهارة من الآثام، والولادة الروحية الثانية والحياة الجديدة.

---

(١) قصة الحضارة مجلد ٣ (٣/ ١٥٠).

(٢) العقائد الوثنية ص (١٢٦).

(٣) العصور الوسطى الأوروبية ص (٣٤)، راجع أيضًا د/ على الغمراوى: دراسة التاريخ الأوروبى الوسيط هامش ٤٧، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسى والحضارى ص (٤١٧).

(٤) حضارة روما ص (٣٧٧).

(٥) معالم تاريخ الإنسانية المجلد الثالث ص (٧٠٩).

(٦) تاريخ الكنيسة (١/ ٢٠).

يقول د/ فهيم عزيز: "إن من ينضم إلى ديانة مثرا عليه أن يقوم ببعض الطقوس، فهناك المعمودية بالتغطيس لإزالة ثقل الخطية والتطهير من الشر، وبعد المعمودية يولد الإنسان ولادة ثانية "[(١)].

٣ ـ التعميد عند الهنود:

لقد أشار كثير من الباحثين إلى انه كان لدى البرهميين القدماء عادة تشبه ما يقوم به المصريون والفرس من طقوس وهى العمادة بعينها، وحين إجرائها يصلون ويتوسلون للشمس، ومن بعد قسم الأيمان المغلظة من المعمد (هذا إذا كان كبيرًا) على أداء الطاعة التامة للكهنة وحفظ الأسرار والنظافة على جسده يرشونه بالماء ثلاث مرات، ويخاطبونه بما يوافق المقام، ويعدون الرش بالماء (الخلق الجديد)، ويلبسونه ثوبًا خصوصيًا وإكليلاً، ويرسمون على جبينه صليبًا ويضعون على صدره صليبًا، وأما إذا كان المعمد طفلاً فيأخذه الكاهن البرهمى ويدعونه - كورو - (أى راعى) ويلطخه بالوحل، ثم يغمسه بالماء ثلاث مرات، وعند تغطيسه يقول (يا أيها الر ب العظيم إن هذا الطفل خاطىء، تلطخ بالخطيئة من وحل هذه القناة، فكما أن الماء ينظفه من الوحل طهره وخلصه من الخطيئة. وكانوا يعتقدون أن العمادة بالماء تزيل الخطايا مهما تكن"[(٢)].

٤ ـ التعميد عند اليونانيين :

وكان التعميد واحدًا من طقوس الأديان اليونانية أيضًا.

ففى الديانة الأليوسيسة كان من يريد الدخول فى هذا الدين يقوم بالاستحمام [(٣)].فى الخليج ليتطهر من الدنس الجسمى والروحى[(٤)].

وفى الديانة الأورفية كان التعميد واحدًا من أهم طقوسها حتى لقد اعتقد بعض الباحثين أن المسيحية استمدت هذا السر منها.

---

(١) المدخل إلى العهد الجديد ص (٧١) .

(٢) العقائد الوثنية ص (١٢٥ ،- ١٢٦)

(٣) راجع قصة الحضارة مجلد ٢ (١ / ٣٤٢).

(٤) المرجع السابق مجلد ٣ (٣ / ١٥٠) .

يقول برتراند رسل: "وأهمية التعميد قد تكون مستمدة من المذهب الأورفى أو من الأديان الوثنية الشرقية"(١).

يقول د/ محسن العابد: "هذه الفكرة تعنى السر المقدس بموجبها يعمد المسيحى ويصبح مشاركًا فى حياة المسيح الإله مشاركة متجددة دائمة، لا شك أن هذه الفكرة تعود فى أصلها إلى الديانة السرية المعروفة عند الإغريق بطقوس الديونيسيسة وطقوس الأورفية "(٢).

والصواب - فى نظرى - أن المسيحية استمدت هذا السر منها ومن غيرها من الأديان الشرقية واليونانية المنتشرة وقت ظهور المسيحية والتى كان التعميد أهم طقوسها وشعائرها.

٥ ـ التعميد عند الرومانيين:

كان الرومانيون الوثنيون أيضًا يقومون بطقوس التعميد وما شابهها "فكانوا يعمدون أولادهم بالماء ويعتقدون أن العمادة واسطة لإزالة الخطايا، وكانوا يعمدون أولادهم على اسمها وبركتها، أما الأطفال الذكور فكانوا يعمدون فى اليوم التاسع من ولادتهم، والإناث فى الثامن من ولادتهن، ويدعون ماء العمادة (الماء المقدس)، ومن بعد العمادة يعطى الكاهن أبوى الطفل ورقة شهادة على أن ولدهما عُمد وخلق ثانية، ثم لهم الحق بعد ذلك أن يعدونه من العائلة ويتخذون هذا اليوم عيدًا عظيمًا" (٣).



وهكذا نرى أن التعميد كان من أهم الطقوس فى الأديان الشرقية واليونانية المنتشرة وقت ظهور المسيحية، والذى كان يمثل بالنسبة لهم الحياة الجديدة والولادة الثانية والطهارة من الذنوب والخطايا، وكان يمثل أيضًا المشاركة من المعمَّد فى موت الإله وقيامته الذى يعتقد فيه بأنه الفادى والمخلص.

وكان التعميد عند هؤلاء إما غمسًا بالماء أو رشًا(٤).

---

(١) تاريخ الفلسفة الغربية (الكتاب الثانى) ص (١٣).

(٢) مدخل فى تاريخ الأديان ص (٣٦).

(٣) العقائد الوثنية ص (١٢٧).

(٤) المرجع السابق ص (١٢٦).

كل هذا يدل على أن المسيحية تأثرت بهذه الأديان فى التعميد وكيفيته، وما يدل عليه. فالتشابه واضح بينهما فى كل شىء بالنسبة لهذا السر، فصورته وكيفيته وغايته واحدة فى الأديان الوثنية والمسيحية.

يقول شارل جنيبير : "هل نحن بحاجة إلى إيضاح أوجه الشبه الساطعة بين هذه الطقوس والشعائر المختلفة حتى وإن كانت النظرة إليها عاجلة ـ سطحية ـ وبين طقوس وشعائر التعميد والقربان عند المسيحيين؟ إن كبار رجال الكنيسة من بولس إلى أوغسطين ـ أى من القرن الأول إلى القرن الخامس الميلادى ـ لم يتجاهلوا هذا التشابه، وهناك من الشواهد عدد وفير يدل على شدة اهتمامهم به، إلا أنهم فسروه حسب أهوائهم فقالوا إن الشيطان أراد أن يتشبه بالمسيح وإن شعائرهم وطقوس الكنيسة كانت مثلاً أراد المشركون أن يحتذوه فى أسرارهم، وتلك نظرية لا يمكن الدفاع عنها فى عصرنا"[١].

لم يستطع المسيحيون أن يدافعوا عن هذا التشابه إلا قولهم إن الشيطان كان يقلد المسيح.

يقول أرنست كيللت ـ فى كتابه مختصر تاريخ الأديان ـ " إن التشابه بين الطقوس السرية المسيحية مذهل وهو محير فعلا لدرجة أن السبب الوحيد الذى أعطاه آباء الكنيسة تبريرًا لذلك كان قولهم إن الشيطان كان يقلد المسيح"[٢].

وهو ادعاء لا يمكن الدفاع عنه، فقد أظهرت نتائج الأبحاث العلمية أن هذه الطقوس كانت شائعة ومنتشرة فى الأديان الوثنية الشرقية واليونانية قبل ظهور المسيحية بمئات السنين.

يقول شارل جنيبير ـ فى التعليق على هذا الادعاء ـ "إن الأساطير الجوهرية والمراسم الدينية الأساسية والرموز والشعائر الفعالة كانت سابقة فى تلك الديانات على مولد المسيح، وكانت توجد العديد من التطبيقات فى العبادات المنتشرة بالعالم اليونانى إبان العهد الذى عاش فيه بولس"[٣].

---

(١) المسيحية نشأتها وتطورها ص (٧٨).

(٢) راجع حقيقة التبشير ص (٨٠)

(٣) المسيحية نشأتها وتطورها ص (١١٠).

وهذا يدل على أن المسيحية أخذت التعميد والتعاليم حوله من الوثنية.

يقول أرنست كيللت ـ بعد أن بين وجوه الشبه بين المسيحية والوثنية فى التعميد ـ " لقد أظهرت الديانة المسيحية قدرة ملحوظة فى جميع العصور على الأخذ لنفسها ما يناسبها من الأديان الأخرى"[١].

ويقول شارك جنيبير : "إن مفهوم التعميد المسيحى نابع من وجهة النظر الوثنية"[٢].

---

(١) راجع حقيقة التبشير ص (٨٠).

(٢) المسيحية نشأتها وتطورها ص (١١٠).

{ العشاء الربانى }

والعشاء الربانى من أهم الأسرار المسيحية ولذلك دعى - عندهم - "سر الأسرار"، "وأسمى أسرار الكنيسة"[١].

ولقد أطلق المسيحيون على هذا السر أسماء كثيرة فهو (سر الشكر)، و(العشاء الربانى) و(العشاء السرى) و(العشاء الإلهى) و(مائدة الرب) و(مائدة المسيح) و(المائدة السرية) و(خبز الرب) و(كأس الحياة الخلاصية) و(الأفخارستيا) و(الاجتماع) و(التقدمة) إلى غير ذلك من الأسماء[٢].

وأنسب العبارات للإشارة إلى هذا السر فى كلام الإنجيليين (عشاء الرب) أو (العشاء الربانى) و (مائدة الرب) و (كسر الخبز)[٣]. بينما أنسب العبارات بالنسبة للكاثوليك (الأفخارستيا)[٤]. وعند الأرثوذكس (القربان) أو (التناول) أو (الشكر) و (الأفخارستيا)[٥].

وهذا السر يعرف عند المسيحيين بتعريفات مختلفة، والاختلاف راجع إلى اختلافهم حول غاية العشاء الربانى.

الإنجيليون يعرفونه بأن سر يدل على موت المسيح بإعطاء خبر وخمر وقبولها حسبما رسم المسيح، والقابلون باستحقاق يتناولون جسده ودمه مع جميع فوائده لا تناولاً جسيمًا أو جسديًا بل تناولاً روحيًا بالإيمان[٦].

أما الكاثوليك فيعرفونه بأنه - كما يقول بولس إلياس اليسوعى - سر حضور ربهم يسوع حضورًا حقيقيًا بجسده ودمه ونفسه ولاهوته تحت أعراض الخبز والخمر[٧]. ، والخبز فى نظرهم يتحول إلى جسد المسيح والخمر إلى دمه[٨].

---

(١) حبيب جرجس : الصخرة الأرثوذكسية ص (١٢١).

(٢) راجع : أسرار الكنيسة السبعة ص (٦٢ ، ٦٣)، علم اللاهوت النظامى (١٠٩٠ ، ١٠٩١).

(٣) علم اللاهوت النظامى ص (١٠٩١).

(٤) تاريخ الفكر المسيحى المجلد الأول ص (٣٢٥).

(٥) خلاصة الأصول الإيمانية ص (٧٩) ، أسرار الكنيسة السبعة ص (٦٢).

(٦) تفسير أصول الإيمان (٢ /١٣٧)، راجع أيضًا : الدين المسيحى للمرحلة الثانية سنة ١٩٦١ ص (١٥٢ ، ١٥٣).

(٧) يسوع المسيح ص (٣٠٦).

(٨) المرجع السابق ص (٣٠٦ ، ٣٠٧).

أما الأرثوذكس فيعرفونه بتعريف يشبه تعريف الكاثوليك وذلك لأنهم متفقون فى الغاية من العشاء الربانى.

يقول حبيب جرجس - فى تعريف هذا السر - : " سر مقدس به يأكل المؤمن جسد المسيح ويشرب دمه تحت أعراض الخبز والخمر"(١).

فالإنجيليون يرون أن حضور المسيح وقت تناول العشاء الربانى حضورًا روحيًا .. أما الكاثوليك والأرثوذكس فيرون أن المسيح يحضر هذا السر - وقت الاحتفال به - حضورًا حقيقيًا، وأن الخبز يتحول إلى جسد المسيح والخمر يتحول إلى دمه تحولاً حقيقيًا.

"وذلك أمر غريب فى العقل، لا يستطيع أن يستسيغه أحد بيسر وسهولة، بل لا يستطيع أن يستسيغه قط، إذ كيف يتحول الخبز لحمًا؟ وكيف يصير لحم شخص معين معروف؟ وكيف تتحول الخمر دمًا؟ وتصير دم شخص معين معروف! ذلك غريب بل مستحيل التصور والقبول فى العقل" (٢).

العناصر التى تستعمل فى العشاء الربانى :

الخبز والخمر هما عنصرا العشاء الربانى وقد اختارهما المسيح - فى نظرهم - لأنهما مادتان بسيطتان تشيران إلى جسده ودمه(٣).

وقد استدل المسيحيون على ذلك بما جاء فى إنجيل متى" وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال خذوا وكلوا هذا هو جسدى وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً اشربوا منها كلكم"(٤).

وقد اختلفت الكنائس حول استعمال الفطير فى العشاء الربانى بدل الخبز، ونشأت بينها منازعة شديدة على هذا الموضوع فى القرن الحادى عشر.

---

(١) أسرار الكنيسة السبعة ص (٦٢)، راجع أيضًا خلاصة الأصول الإيمانية ص (٧٩).
(٢) محاضرات فى النصرانية ص (٢٠٤).
(٣) راجع علم اللاهوت النظامى ص (١٠٩٢)، جسد الرب ودمه ص (١١).
(٤) متى ٢٦ : ٢٦، ٢٧.

فالكنيسة الشرقية (الأرثوذكسية) رفضت استعمال الفطير لأنه حسب عندها من العوائد اليهودية التى ليسوا هم ملتزمين بها بعد.

أما الكنيسة الغربية (الكاثوليك) فقد حكمت بمناسبة استعمال الفطير بأنه النوع الوحيد الجائز استعماله باعتبار قانون الكنيسة، غير أن استعمال خبز الخمير يجوز بمعنى أن ذلك لا يفسد السر.

ولم يزل كل منهما باعتقاده القديم إلى هذا اليوم"[١].

والخمر المستعمل فى هذا السر هو عصير العنب المختمر فى الحالة التى يستعمل فيها والتى يعرف فيها أنه خمر"[٢].

فاعلية تناول العشاء الربانى فى نظر المسيحيين:

اشتهر فى تاريخ الكنيسة فى هذه المسألة أربعة أقوال وهى بإيجاز شديد كما يلى:

أولاً: تعليم زوينكلى (عاش فى سويسرة بين عامى ١٤٨٤ـ ١٥٣١م) وهو: أن العشاء الربانى مجرد علامة محسوسة تشير إلى موت المسيح بدون أن يكون فيه أدنى فاعلية فى حد ذاته، ولا يحضر فيه المسيح على الإطلاق لا جسديًا ولا روحيًا، ولذلك لا يحسب عشاء الرب من وسائط النعمة بل إنما هو تذكار لموت المسيح وشهادة الإيمان المشترك"[٣].

"فالعشاء الربانى فى تعليم زوينكلى ليس إلا مجرد ذكرى، وأنه خال من حضور المسيح، سواء كان حضور المسيح حضورًا روحيًا أو جسديًا، ولذلك فإنه ليس له أدنى فاعلية ذاتية"[٤].

ثانيًا: تعليم مارتن لوثر: مصلح دينى مسيحى ألمانى عاش ما بين عامى ١٤٨٢ ـ ١٥٤٦ م)[٥].

---

(١) علم اللاهوت النظامى ص (١٠٩٢).
(٢) المرجع السابق نفس الصفحة، راجع أيضا: الخلاصة الشهية ص (١٣١).
(٣) علم اللاهوت النظامى ص (١١٠١).
(٤) تاريخ الفكر المسيحى الأول ص (٣٣١).
(٥) عن مارتن لوثر حياته وتعاليمه راجع د/ حنا جرجس الخضرى: المصلح مارتن لوثر.

وهو : أن العشاء الربانى له فاعلية حقيقية ذاتية وتأثير فعلى فى كل من يقبله، غير أن فاعليته وإن كانت ذاتية فيه تتوقف على إيمان المشترك بمعنى أن عدم الإيمان مانع لفاعلية السر"[١].

والقول بأن للعشاء الربانى ذاتية فاعلية إنما هو ناتج عن القول بحلول المسيح جسديًا بكيفية خارقة للعادة فى الخبز والخمر[٢]، بمعنى أن المسيح يحل فى الخمر وفى الخبز بطريقة فعلية وحقيقية وحرفية على أن هذا الحلول لا يعتبر حلولاً بدليًا بل يعتبر حلولاً ازدواجيًا لأن حلول المسيح فى هاتين المادتين الخبز والخمر لا يلاشى بأى حال من الأحوال الخبز والخمر، وهذه النظرية تسمى عندهم بنظرية الحضور المزدوج[٣].

يقول د/ حنا جرجس الخضرى: "ولكى يشرح لوثر هذه العقيدة ـ عقيدة الحضور المزدوج ـ رجع لوثر إلى مشكلة التجسد لكى يتخذ منها مثالاً، فعندما تجسد ابن الله فى يسوع، وعندما حل اللاهوت فى الناسوت فإن ابن الله لم يتجرد من لاهوته لكى يصير إنسانًا وهذا لا يعنى بأن الناسوت تغير إلى اللاهوت، فلقد احتفظت كل طبيعة من الطبيعتين بخواصها دون أدنى تغيير أو تبديل لدرجة أنه كان من الممكن القول بأن هذا هو الله أو هذا الإله هو إنسان. هذا هو الأفخارستيا بحسب مفهوم لوثر"[٤].

ولقد ناقشنا هذه الفكرة فى الفصل الأول من هذا الباب، وبينا فسادها، ويقاس عليها فكرة الحضور المزدوج فى العشاء الربانى، إذ لا يمكن أن يشار إلى الخبز والخمر على أنهما حادثان قديمان ـ على اعتبار أن المسيح عندكم قديم!!

هذا فضلاً عن عدم معقولية هذا الحضور فى هذا السر.

ولذلك يقال لهم: هل المسيح الإله هو الذى حل فى الخبز والخمر أم المسيح الإنسان؟ إذا كان المسيح الإله فيلزمكم على هذا القول أن يشار إلى الخبز والخمر

(١) علم اللاهوت النظامى ص (١١٠١).
(٢) تاريخ الفكر المسيحى المجلد الأول ص (٣٣١).
(٣) مارتن لوثر ص (١٦٧ ـ ١٧١).
(٤) المرجع السابق ص (١٧٠)،

على أنهما قديمان حادثان؟ وهو محال، ويلزمكم أيضًا على هذا القول إثبات القدم للخبز والخمر فيكونوا قد قالوا لا بثلاثة أقانيم بل خمسة أقانيم.

ويقال لهم أيضًا: لقد أكلتم الإله القديم الذى حل فى الخبز وشربتم دمه الذى حل فى الخمر وهو ما يقال به عاقل.

أما إذا قالوا إن المسيح الإنسان هو الذى حل فى الخبز والخمر فهو باطل أيضًا، إذ لا يمكن أن يحل جسد المسيح ودمه فى الخبز والخمر فى أماكن متعددة فى وقت واحد.

فمن المحال أن يكون للمسيح ملايين ملايين الأجساد فى أماكن متعددة وفى وقت واحد بل فى أوقات مختلفة، فالمسيح له جسد إنسانى واحد.

وفاعلية تناول العشاء الربانى فى هذا التعليم: أن العشاء الربانى له فاعلية ذاتية بمعنى أنه يمنح فاعليه الخلاص، ولكن بشرط أن يكون الفاعل له مسيحيًا.

ثالثًا: تعليم الكنيسة الكاثوليكية ـ وتشاركها فى نفس التعاليم مع اختلاف بسيط الكنيسة الأرثوذكسية[١].

وهو: أن فى العشاء الربانى نعمة ذاتية لا إشارة إليها، وأنه واسطة فعالة فى إيصال النعمة إلى قلوب المشتركين (فعلاً مفعولاً)، وأن نوال الفائدة لا يتوقف على إيمان المشترك، بل إنما يقتضى عدم مقاومته لذلك السر، ومرادهم بتضمين الأسرار النعمة هو أن لها فى نفسها قوة ذاتية على تطهير الذين تعمل لهم، وأن قوتها فى الدين تشبه قوة المواد الطبيعية فى الطبيعة أو قوة النار على الإحراق"[٢].

وهذا القول ناتج عن القول بأن الخبز والخمر يستحيلان بطريقة حقيقية إلى جسد المسيح ودمه"[٣].

يقول د/ حنا جرجس الخضرى: "فالكنيسة الكاثوليكية تعتبر أن العشاء الربانى يمنح صاحبه التطهير وذلك بقوته الذاتية ذلك أنهم يعتقدون أن الخبز والخمر يتحولان إلى جسد المسيح الحقيقى، وإلى دمه الحقيقى بعد أن ينطق الكاهن

---

(١) أسرار الكنيسة السبعة ص (٧٤).

(٢) راجع علم اللاهوت النظامى ص (١١٠٣).

(٣) تاريخ الفكر المسيحى . المجلد الأول ص (٣٣١).

بالعبارات الخاصة بالاستحالة، فإن الخبز والخمر اللذين كانا خبزًا وخمرًا قبل الصلاة تحولا بطريقة معجزية وسرية إلى جسد المسيح (دمه ولحمه) وهذه العملية تسمى بعملية الاستحالة"(١).

والكاثوليك والأرثوذكس يعتقدون أيضًا أن العشاء الربانى بجانب أنه سر فهو أيضًا ذبيحة تقدم لله(٢) بمعنى أنه تكرار ذبيحة المسيح بتقديم جسده ودمه كفارة عن الخطيئة(٣).

يقول حبيب جرجس: "المسيحيون يقدمون لله ذبيحة حقيقية على مذبحهم ولهم وحدهم السلطان أن يأكلوا منها"(٤).

وهذا التعليم عجيب وغير مقبول، إذ كيف يتحول الخبز والخمر تحولاً حقيقيًا إلى جسد المسيح ودمه؟ وكيف يمكن اعتبار العشاء الربانى ذبيحة حقيقية؟

ولقد ثار أحد المسيحيين على هذا التعليم فقال: "وإننى أتساءل كيف يتصور إنسان عاقل أن خدام الله يذبحون سيدهم؟ إن الوثنية بكل شرورها وانحرافها وما وصلت إليه من حالة مزرية ومؤسفة لم تعلم مثل هذه التعاليم"(٥).

ولقد رد الشيخ رحمت الله الهندى على هذا التعليم بردود قوية نذكر منها ما يلى:

[١] إن القول بتحول الخبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه قول باطل، ذلك أنه إذا تحول الخبز والخمر مسيحًا كاملاً، حيًا بلاهوته وناسوته الذى أخذه من مريم عليها السلام، فلابد أن يشاهد فيه عوارض الجسم الإنسانى، ويوجد فيه الجلد والعظام والدم وغيرها من الأعضاء، لكنها لا توجد فيه، بل جميع عوارض الخبز باقية بعد نطق الكاهن كما كانت من قبل نطقه بكلمات التقديس بدليل أنه إذا نظره أحد أو

---

(١) المرجع السابق ص (٣٢٦).
(٢) اسرار الكنيسة السبعة ص (٨٣)، راجع أيضًا يسوع المسيح ص (٣٠٧).
(٣) علم اللاهوت النظامى ص (١١٠٣).
(٤) أسرار الكنيسة السبعة ص (٨٣).
(٥) جسد الرب ودمه ص (٤٦).

لمسه أو ذاقه لا يحس شيئًا غير الخبز، وإذا حفظه يطرأ عليه الفساد الذى يطرأ على الخبز لا الفساد الذى يطرأ على الجسم الإنسانى، فلو ثبت التحول يكون تحول المسيح خبزًا لا تحول الخبز مسيحا، فلو قالوا إن المسيح تحول خبز لكان أقل بعدًا من هذا وإن كان هو أيضًا باطلاً ومصادمًا للبداهة.

[٢] إن حضور المسيح بلاهوته فى أمكنة متعددة فى آن واحد ممكن فى زعمهم، لكن باعتبار ناسوته غير ممكن، لأنه بهذا الاعتبار كان مثلنا، حتى أنه كان يجوع ويأكل ويشرب وينام، ويخاف من اليهود وهلم جرًا، فكيف يمكن تعدده بهذا الاعتبار بالجسم الواحد فى أمكنة غير محصورة فى آن واحد حقيقة؟ والعجب أنه ما وجد قبل عروجه إلى السماء بهذا الاعتبار فى مكانين فضلاً عن الأمكنة غير المتناهية، وكذا بعد عروجه إلى السماء، فكيف يوجد بعد قرون من اختراع هذا الاعتقاد الفاسد بالاعتبار المذكور فى أمكنة غير محصورة فى آن واحد؟

[٣] إذا فرضنا أن مليونات من الكهنة فى العالم قدسوا فى آن واحد، وتحولت تقدمة كل إلى المسيح الذى تولد من العذراء، فلا يخلو إما أن يكون كل من هؤلاء المسحاء الحادثين عين الآخر أو غيره، والثانى باطل على زعمهم، والأول باطل فى نفس الأمر، لأن مادة كل غير مادة الآخر.

[٤] إذا تحول الخبز مسيحًا كاملاً تحت يد الكاهن، فكسر هذا الكاهن هذا الخبز كسرات كثيرة وأجزاء صغيرة، فلا يخلو إما أن يتقطع المسيح قطعة قطعة على عدد الكسرات والأجزاء، أو تتحول كل كسرة وجزء مسيحًا كاملاً، فعلى الأول لا يكون المتناول متناولاً لمسيح كامل، وعلى الثانى من أين جاء هؤلاء المسحاء، لأنه ما حصل بالتقدمة إلا المسيح الواحد؟

[٥] لو صح ما ادعوه لزم أن يكون المسيحيون أخبث من اليهود؛ لأن اليهود ما آلموه إلا مرة واحدة، وتركوه وما أكلوا لحمه، وهؤلاء يؤلمونه ويذبحونه كل يوم في أمكنة غير محصورة، فإن كان القاتل مرة واحدة كافرا وملعوناً، فما بال الذين يذبحونه مرات غير محصورة ويأكلون لحمه ويشربون دمه؟ !نعوذ بالله من الذين يأكلون إلههم

ويشربون دمه حقيقة، فإذا لم ينج من أيدى هؤلاء إلههم الضعيف المسكين فمن ينجو؟

[٦] وقع فى الإصحاح الثانى والعشرين من لوقا قول المسيح فى العشاء الربانى هكذا" اصنعوا هذا لذكرى" [١] فلو كان العشاء هو نفس الذبيحة لما صح أن يكون تذكرة، لأن الشيء لا يكون تذكرة لنفسه[٢].

رابعًا: تعليم كلفن (وهو مصلح مسيحى ظهر فى فرنسا عاش ما بين عامى ١٥٠٩ ـ ١٥٦٤م، وملخص هذا التعليم أن العشاء الربانى له قوة روحية فى بنيان المشتركين فى تناوله واتحادهم بالمسيح، وهذا القول ناتج عن القول بأن المسيح يحضر فعلاً فى العشاء الربانى ولكن بطريقة روحية[٣].

" ولقد حاول كلفن فى هذا التعليم أن يقوم بدور الموفق العقائدى بين لوثر وزوينكلى، فهو يعتقد أن المسيح يحضر فعلاً فى العشاء الربانى ولكن حضوره حضور روحى، ولقد شدد كثيرًا على حضور المسيح الروحى فى العشاء الربانى، ثم شدد أيضًا على عملية الروح القدس، فالروح القدس هو الذى يعمل فى الإنسان المشترك لكى يقنعه بأن المسيح موجود فعلاً ولكن بطريقة روحية، والخبز الذى يكسر والخمر الذى يشرب عند الاشتراك فى المائدة هى علامة ملموسة ومحسوسة يشيران إلى وجود يسوع بالروح، وهما يمثلان أيضًا جسد المسيح المكسور ودمه الذى سال، فالأكل من جسد المسيح والشرب من دمه لا يعنيان الأكل والشرب بطريقة ملموسة ومادية وجسدية، بل المسيح يصبح الطعام الروحى"[٤].



ويتبين من هذه التعاليم أن بعض المسيحيين يعتقدون بأن العشاء الربانى ليس إلا مجرد ذكرى، ولذلك فليس له أدنى فاعلية وهم أتباع زوينكلى.

---

(١) لوقا ٢٢ : ١٩

(٢) راجع إظهار الحق ص (٣٢٦ ـ ٣٣٧).

(٣) تاريخ الفكر المسيحى المجلد الأول ص (٣٣١).

(٤) المرجع السابق ص (٣٢٩).

أما أتباع لوثر فيعتقدون أن العشاء الربانى له فاعلية ذاتية فى منح النعمة والتطهير والخلاص، ولكن بشرط أن يكون المتناول لهذا السر مؤمنًا بالمسيحية.

أما الكاثوليك والأرثوذكس فيعتقدون بأن العشاء الربانى له قوة وفاعلية ذاتية على منح الإنسان المشترك فى هذا السر النعمة والخلاص من الخطيئة والتطهر من الذنوب والآثام.

أما كلفن وأتباعه فيرون أن قوته وفاعليته روحية.

تأثر المسيحيين بالأديان الوضعية فى العشاء الربانى:

كان الوثنيون يمارسون طقوسا كثيرة من بينها فكرة (الوليمة المقدسة) يدّعو ن فيها الأكل من لحوم آلهتهم والشرب من دمائهم، لكى تكون فيهم (أى فى أجسادهم صفات وقوة آلهتهم[١].

"وكان الاشتراك الجماعى فى تناول الطعام والشراب المقدسين من المظاهر الكثيرة الحدوث فى أديان البحر الأبيض المتوسط، وكثيرًا ما كان أهل هذه الأديان يعتقدون أن هذا الطعام ستحل فيه بهذا التقديس قوى الإله، ثم تنتقل منه بطريقة سحرية خفية إلى المشتركين فى تناوله"[٢]. فكانت فكرة التناول منتشرة بين الهنود والفارسيين واليونانيين والرومانيين وغيرهم.

١ ـ التناول فى الديانة الهندية:

يقول د/ محمد وصفى: "إن الأفخارستيا فكرة مأخوذة من مشركى الهند، فإن قدماءهم يتوقف ظاهر عبادتهم على قربان النار يشعلها رب البيت صباحًا ويبعث مع حرارتها صلاة حارة يستنزل بها رحمة القوة المستترة راء الطبيعة، ورب البيت مثل الأب أو (الكاهن) تشارك امرأته فى تقدمة القربان شراب مخمر ومن أقراص دقيق معجون بالسمن كقربان المسيحيين[٣].

---

(١) القس صموئيل مشرقى: المسيحية بين الكتاب المقدس والتقليد.

(٢) قصة الحضارة مجلد ٣ (١٥١/٣).

(٣) المسيح والتثليث ص (١٥٣).

فلقد انتشر بين الهنود ما يشبه فكرة التناول أو القربان المسيحى، ولم تكن هذه الفكرة قاصرة على الهنود فقط بل وجدناها منتشرة بينهم وبين غيرهم كما سنبين فيما يلى:

٢ ـ فى الديانة الفارسية:

لقد انتشرت بين الفارسيين القدماء ـ فى فترة من الفترات ـ عادة شرب بعض المشروبات قربانًا إلى الآلهة، وكانوا يعتقدون أنها تبعث فيهم التقى والاستقامة.

يقول ول ديورانت: "وكان من مشروبات الفارسيين مشروب مسكر يسمى (الهوما) يقدمونه قربانًا محببًا لآلهتهم، وكانوا يعتقدون أنه لا يبعث فى مدمنه الهياج والغضب بل يبعث فيهم التقى والاستقامة"(١).

ويقول: "وظلت هذه العادة ـ عادة تقديم عصير الهوما المسكر قربانًا إلى الآلهة ـ باقية بعد انتشار الدين الزرادشتى بزمن طويل وإن كان زرادشت نفسه جهر بسخطه على هذه العادة، وكان الكهنة يحتسون بعض هذا العصير المقدس ويوزعون ما بقى منه على المؤمنين المجتمعين للصلاة" (٢).

وكانت هذه العادة إحدى شعائر عبادة (هاوما) الإله الثور، فكانوا يعتقدون أن دمه يهب الحياة والخلود لمن شربه(٣).

وكان لأتباع الديانة المثرائية ضمن شعائرها وأسرارها ما يسمى بـ (شعيرة التناول) والتى يقابلها في المسيحية (طقس الأفخار ستيا)(٤) فكانوا يحتفلون حول (مائدة مقدسة) يأكلون منها مع الإله مثرا ليشتركوا في موت الإله وقيامته (٥)

---

(١) قصة الحضارة مجلد ١ (٢/١٢/٤).

(٢) المرجع السابق ص (٤٣٣).

(٣) فلاسفة الشرق ص (١٥٠).

(٤) مدخل إلى دراسة التاريخ الأوربى الوسيط هامش ص (٤٧)، راجع أيضا العصور الوسطى الأوربية ص (٣٤)، حضارة روما ص (٣٧٧)، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسى والحضارى ص (٤١٧).

(٥) المدخل إلى العهد الجديد ص (٧١).

يقول د/ محمد يحيى: " وكان أهم احتفالاتهم - أتباع مثرا - المقدسة العماد والتثبيت والعشاء الإلهى الذى كان متناولوه يشتركون في طبيعة مثرا الإلهية بتناول الخبز والنبيذ"(١).

ويقول شارل جنيبير: ونقل إلينا جوستين - أحد المدافعين عن المسيحية في القرن الثانى الميلادى (١٠٠م - ١٦٥م) - أن أسرار مثيرا احتوت على نوع من الشعائر، يفرض تقديم كأس من الشراب وقطعة خبز إلى المؤمن مع النطق ببعض العبارات المعروفة آنذاك"(٢).

ويقول العقاد: " والعشاء الربانى كان معروفاً في عبادة مثرا على الطريقة التى عرف بها في المسيحية، بل كان الخبز الذى يتناوله عباد (مثرا) في ذلك العشاء يصنع على شكل الصليب)"(٣).

وهكذا يتبين لنا أن (التناول) كان واحداً من أهم شعائر الديانة المثرائية، حيث كانوا يجتمعون حول مائدة مقدسة، ويقدمون فيها الخبز والخمر، وكانوا يعتقدون أنهم يشتركون مع الإله في الأكل من هذه المائدة.

٣- في الديانة اليونانية:

كان اليونانيون المتعبدون بالأديان السرية يقيمون بعض الطقوس الدينية والتى كان من أهمها (التناول) أو (العشاء الربانى).

ففى الأسرار الأليوسيسة كانوا يتناولون - كما يقول ول ديورانت - عشاءً ربانيًا مقدسًا إحياءً لذكرى "ديميتير"، ويشربون مزيجًا مقدسًا من دقيق الحنطة والماء ويأكلون كعكًا مقدسًا"(٤).

وفى أسرار (ديونيسس) كانوا يقيمون بعض الاحتفالات التى تمثل موت الإله (ديونيسس) وبعثه.

---

(١) قصة إسلام الكاتبة الأمريكية مريم جميلة ص (١٤٤).

(٢) المسيحية نشأتها وتطورها ص (٧٧).

(٣) العقاد: الله ص١٤٨.

(٤) قصة الحضارة مجلد ٢ (١ /٣٤٢).

"وكان أهم هذه الاحتفالات أن يمسك النساء بماعز أو ثور أو رجل في بعض الأحيان (يرين أن الإله قد تقمصه) ويمزقنه إربًا وهو على قيد الحياة إحياءً لذكرى تمزيق ديونيسس، ثم يشربن دمه، ويأكلن لحمه يتخذنه عشاء ربانيًا مقدسًا، معتقدات أن الإله سيدخل بهذه الطريقة إلى أجسامهن ويستحوذ على أرواحهن، وكن في هذه الحماسة القدسية يؤمن بأنهن سيصبحن هن و الإله شيئًا واحدًا"(١).

وهكذا يتبين لنا أن العشاء الرباني كان من أهم طقوس الأديان الوثنية المنتشرة وقت ظهور المسيحية، وقد انتقل هذا السر إلى المسيحية عن طريق بولس وأتباعه من الوثنيين.

يقول شارل جنيبير: "ولم يكن قد قدر لأي طقس من طقوس (الأسرار) الوثنية أن يذخر بمعاني وفيرة وبآمال جذابة مثل ما ذخرت به الطقوس الخاصة بالقربان لدى بولس، غير أنها كانت من قبيل عائلة الطقوس الوثنية ولم تكن نابعة من روح الدين اليهودي، لقد أدخلت في كنيسة الحواريين "قطعة من الوثنية"(٢).

ويقول ـ عن تصوير المسيحيين لهذا الطقس وفاعليته ـ: "إن هذا التصوير للقربان إنما يعني إدخال (قطعة من الوثنية) في الدين المسيحي، وعلينا أن نفهم من ذلك بطبيعة الحال أنها قطعة من وثنية الأسرار"(٣).

ولذلك يمكن القول إن العشاء الرباني أصله شعيرة وثنية، استقته المسيحية من الأديان الوثنية الشرقية واليونانية والتي كانت منتشرة وقت ظهور المسيحية، وهي التي كان يطلق عليها اسم الأديان السرية، وذلك بواسطة بولس وأتباعه.

ولقد أشار بعض الباحثين إلى أن الاسم نفسه مأخوذ من الوثنية.

يقول أرنولد توينبي: "والعشاء الرباني المسيحي قد استعير اسمه [sacramentum] من أحد الطقوس الرومانية الوثنية حين ينذر المجند الجديد نفسه للجيش الروماني"(٤).

---

(١) المرجع السابق ص (٣٣٩).
(٢) المسيحية نشأتها وتطورها ص (١١٠).
(٣) المرجع السابق ص (١٦١).
(٤) مختصر دراسة للتاريخ (٣/ ٢٠٠).

{ الأعياد المسيحية وتأثرها بالأعياد الوثنية }

ولم تكتف المسيحية باقتباس العقائد والشعائر من الوثنية وإنما اقتبست الأيام والتواريخ. وإليك بعض الأمثلة على ذلك.

يوم الرب:

إن يوم الرب عند المسيحيين ركن أساسى فى عبادة الله [١]، وعلى المسيحى أن يعرف هذا اليوم ويقدسه[٢].

قدس المسيحيون فى بداية أمرهم (السبت) كيوم للرب، وذلك لأن الله ـ كما يعتقدون ـ بارك هذا اليوم وقدسه، لأنه قد استراح فيه بعدما أكمل خلق السموات والأرض.

يقول سفر التكوين: "فأكملت السموات والأرض وكل جندها، وفرغ الله فى اليوم السابع من عمله الذى عمل، فاستراح فى اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل [٣]، وبارك الله اليوم السابع وقدسه، لأنه فيه استراح من جميع عمله الذى عمل الله خالقًا"[٤].

ولذلك فإن الله ـ كما يعتقدون ـ جعل تقديس هذا اليوم الوصية الرابعة من وصاياه لموسى عليه السلام، يقول سفر الخروج: "اذكر يوم السبت لتقدسه، ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك، وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك، لا تصنع عملاً ما أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وبهيمتك ونزيلك الذى داخل أبوابك، لأن فى ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها واستراح فى اليوم السابع لذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه"[٥].

---

(١) مجموعة من علماء الكنيسة : يوم الرب ص (١٢).

(٢) قضايا المسيحية الكبرى ص (٥١٥).

(٣) كيف يحسن أن يقال ـ فى حق الله ـ (فاستراح فى اليوم السابع)؟ فإن الاستراحة إنما تطلق على من يناله التعب ، فأما من أفعاله بالأمر التكوينى يقول للشىء (كن) فيكون، فذلك في حق الله ممتنع. راجع : على التوراة ص (٢٧ ـ ٢٨٩ ولقد رد القرآن الكريم على هذا الادعاء فقال ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ سورة ق: ٣٨.

(٤) تكوين: ٢ :١ ـ ٣.

(٥) خروج ٢٠ : ٨ ـ ١١.

وحينما بعث المسيح إلى بنى إسرائيل أكد لهم أنه ما جاء ناقضًا للناموس، بل مكملاً، ولذلك نجده ـ كما تحكى الأناجيل ـ يحفظ وصية السبت.

ففى كتاب (يوم الرب) " لم يتعد المسيح وصية السبت بل حفظها مدة حياته"(١).

يقول لوقا ـ عن المسيح ـ "ودخل المجمع حسب عادته يوم السبت"(٢).

ويقول القس إلياس مقار: "رسم المسيح بحياته وأعماله الطريقة المثلى لتقديس يوم الرب، وهناك أمور على الأقل ثلاثة واضحة قام بها السيد المسيح يوم السبت وهى: العبادة، وأعمال الضرورة، وأعمال الرحمة"(٣).

ولكن المسيحيين (٤). تركوا قول المسيح بعدم نقضه للناموس، وخالفوا أفعاله بأن تركوا تقديس يوم السبت وأبدلوه بيوم الأحد(٥).

وتقديس الأحد بدلاً من السبت مأخوذ من الوثنية، حيث كان الوثنيون يعظمون يوم الأحد بأن خصصوه لعبادة الشمس أعظم آلهتهم، ولا زال إلى الآن يسمى بالإنجليزية يوم الشمس (Sunday) وهى مركبة من كلمتين (sun) ومعناها في اللغة الإنجليزية(شمس)، (Day) ومعناها يوم (أى يوم الشمس) وقد جعلوها كلمة واحدة وأطلقوا عليها يوم الأحد.

فكان أتباع مثرا يفردون لعبادته (يوم الشمس)أو يوم الأحد (٦).

"واعتبرت المثرائية يوم الأحد يومًا مقدسًا"(٧).

وهو اليوم المقدس لإله الشمس (أبولو) الإله الحامى للإمبراطورية الرومانية (٨).

---

(١) يوم الرب ص (٣٤).

(٢) لوقا ٤ : ١٦ .

(٣) قضايا المسيحية الكبرى ص (٥١٨).

(٤) عدا طائفة تسمى (بالأدفنت) وهى طائفة قامت فى أمريكا منذ ما يزيد عن مائة عام

(٥) راجع فى ذلك مواقف فى تاريخ الكنيسة ص (٢٦)، المسيحية الأصلية ص (٨٢).

(٦) العقاد: الله ص (٩٩).

(٧) العصور الوسطى الأوربية ص (٣٤)، راجع أيضًا: تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسى والحضارى ص (٤١٧).

(٨) قصة إسلام الكاتبة الأمريكية مريم جميلة ص (١٤٧)

ولقد أكد الباحثون أن المسيحية استقت تقديس يوم الأحد بدلاً من السبت من الأديان الوثنية.

يقول ولز: "ثم إن مراعاة طقس السبت اليهودى وهو الذى استبدلوا به الأحد الميثرائى"[١].

ويقول: "ويبدو أن المسيحيين اقتبسوا من المثرائية يوم الأحد"[٢].

ويقول د/ محمد صدقى : "فالمسيحيون تركوا أوامر الله واتبعوا الوثنيين وعظموا يومهم"[٣].

ويقول: " ولذلك ترى أن المسيحية أدخلت فيها أشياء كثيرة من أفكار اليونانيين والرومانيين حتى إن تعظيم (يوم الأحد) بدل السبت هو مأخوذ منهم"[٤].

فلقد ترك المسيحيون تقديس يوم السبت، واستبدلوه بيوم الأحد أخذًا من الوثنية التى كانت تعظمه وتقدسه على أساس أنه يوم الشمس.

ولقد مر هذا التغير بمراحل....

فلقد أراد بولس أن يعزل المسيحية عن الموسوية حتى فى تقديس يوم السبت.

يقول يوسف الحداد: "إن بولس هو الذى قاد حركة تحرير المسيحية من الموسوية"[٥].

ولذلك بدأ فى تمييع التمسك بيوم السبت فقال لهم" لا يحكم عليكم أحد فى أكل أو شرب أو من جهة عيد أو هلال أو سبت"[٦].

وحينما جاء قسطنطين ألغى تقديس يوم السبت نهائيًا حيث أمر بحفظ يوم الأحد.

---

(١) معالم تاريخ الإنسانية . المجلد الثالث ص (٦٩٣)..
(٢) المرجع السابق ص (٧٠٨).
(٣) دين الله فى كتب أنبيائه ص (٩٢).
(٤) المرجع السابق ص (٩٠)، راجع أيضًا عقيدة الصلب والفداء ص (١٣٨) .
(٥) فلسفة المسيحية فى رسائل بولس (١ /١٦) .
(٦) كولوسى ٢ : ١٦.

ففى كتاب (يوم الرب) والمسألة المثبتة فى التاريخ أن قسطنطين الكبير إمبراطور الرومان كان أول من أمر بحفظ الأحد[١].

وفى (دائرة المعارف البريطانية) عن يوم الأحد، إن الاعتراف الأول الرسمى بحفظ يوم الأحد كفرض قانونى كان من وضع قسطنطين الكبير سنة ٣٢١ م، وهو يقضى بأن تتوقف المحاكم عن العمل، وأن يعطل سكان المدن أيضًا وأن تقفل المخازن التجارية والمصانع بأجمعها"[٢].

ويقول د/ سيد أحمد الناصرى: "فى عام ٣٢١ م أعلن قسطنطين أن يوم الأحد هو يوم الرب يجب أن يكون عطلة للمحاكم والعاملين فى مصانع الدولة وأجهزتها"[٣].

ومن الملاحظ أن الإمبراطور جرى على طريقته ـ التى أشرنا إليها فى الباب الأول ـ فى الجمع بين الوثنية والمسيحية، وذلك حين اختار هذا اليوم، فقد عمد بهذا الاختيار أن يرضى الوثنيين حيث كانوا يقدسون هذا اليوم، ومن ناحية أخرى يرضى المسيحيين بأن يجعل لهم يومًا مقدسًا تعطل فيه المصالح والأجهزة الحكومية حتى يستطيعوا أن يقيموا العبادة فى هذا اليوم.

يقول هلير: "قبل زمن قسطنطين لم يكن هناك يوم عطلة إسبوعية، فكر قسطنطين بوجوب تخصيص يوم يتفرغ فيه المسيحيون لعبادة الله وليكن يومًا مقدسًا، ولذلك جعل يوم الأحد يوم راحة وعبادة للمسيحيين"[٤].

ولذلك لم يقرر رسميًا تخصيص يوم الأحد للعبادة فى المسيحية إلا فى مجمع لادوكية سنة ٣٦٤ م.

ففى كتاب (يوم الرب)" كان اليوم السابع يوم احتفال مقدس عند المسيح والرسل المسيحيين الأولين حتى انعقاد مجمع لادوكية سنة ٣٦٤م، حيث قرر هذا المجمع إلغاء حفظ يوم السبت والقيام بواجب حفظ يوم الأحد ـ يوم الرب" [٥].

---

(١) يوم الرب ص (٥٦).
(٢) نقلا عن المرجع السابق ص (٥٧).
(٣) تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسى والحضارى ص (٣٦٥ ، ٣٦٦).
(٤) تاريخ العالم ص (٢٢٣).
(٥) يوم الرب ص (٥٧).

وهكذا يتبين لنا أن المسيحية استقت تقديس يوم الأحد من الوثنيين الذين كانوا يقدسون هذا اليوم، وذلك بواسطة قسطنطين الذى كان يعمل على إرضاء الوثنيين والمسيحيين عن طريق المزج بين المسيحية والوثنية كما سبق أن أشرنا.

عيد الميلاد:

اختلفت الكنائس فى تحديد يوم الاحتفال بعيد الميلاد.

فالكنيسة الشرقية (الأرثوذكس) تحتفل به فى السادس من يناير، أما الكنيسة الغربية فتحتفل به فى الخامس والعشرين من شهر ديسمبر[(١)].

والاحتفال بهذه الأيام كأعياد ميلاد للإله الذى نزل من أجل خلاص البشر كان معروفًا بين الوثنيين قبل ظهور المسيحية.

فيوم السادس من يناير كان يوم عيد ميلاد الإله اليونانى ديونيسس، والإله أوزوريس المصرى.

ويوم الخامس والعشرين من ديسمبر كان يوم ميلاد الشمس عند الوثنيين ، فإله الشمس عند الوثنيين كان يحتفل بعيد ميلاده فى هذا اليوم، فكان يوم عيد ميلاد الإله الفارسى (مثرا) وغيره.

يقول العقاد: "فاليوم الخامس والعشرون من شهر ديسمبر الذى يحتفل فيه بمولد المسيح كان هو يوم الاحتفال بمولد الشمس فى العبادة المثرية - نسبة إلى مثرا - إذ كان الأقدمون يخطئون فى الحساب الفكلى إلى عهد جوليان فيعتبرون هذا اليوم مبدأ الانقلاب الشمسى بدلاً من اليوم الحادى والعشرين فى الحساب الحديث، وقد اعترضت الكنيسة الشرقية على اختيار اليوم الخامس والعشرين لهذا السبب وفضلت أن تختار لعيد الميلاد اليوم السادس من شهر يناير الذى (تعمد) فيه المسيح. على أن هذا اليوم أيضًا كان عيد الإله ديونيسس عند اليونان، وبعض سكان آسيا الصغرى، وكان قبل ذلك عيد أوزوريس عند المصريين"[(٢)].

---

(١) راجع قصة الحضارة مجلد ٣ (٣/٢١٢ ، ٢١٣).

(٢) العقاد : الله ص (١٤٧)، راجع أيضًا: د/ أحمد الخشاب: الاجتماع الدينى ص (١٨٧ ، ١٨٨).

عيد القيامة :

لقد حدد المسيحيون بدء الربيع للاحتفال بعيد قيامة المسيح، وهو وقت قيامة الشمس والأشجار والحيوانات من موت الشتاء. أى يوم عيد قيامة آلهة الوثنيين الذين يتغلبون فيه على سلطان الظلمة وموت الطبيعة [١].

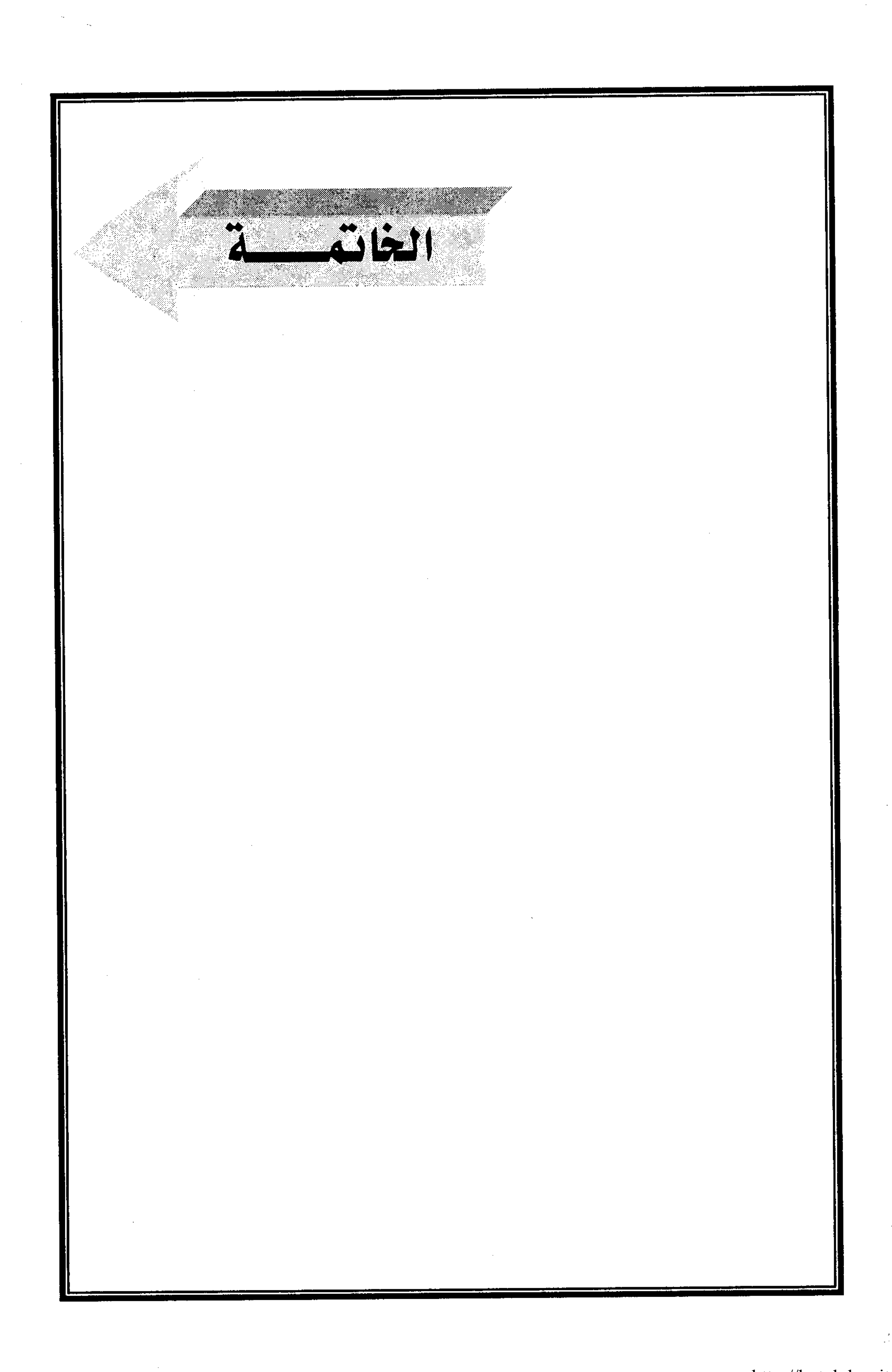
ولقد فسر المؤرخ الغربى" جورج جوردون كولتون "ظاهرة تحويل المعابد الوثنية القديمة إلى كنائس مسيحية، وكذلك تحويل أعياد الآلهة الوثنية إلى أعياد مسيحية فيقول: "إن المسيحية حاولت التوفيق بينها وبين الأفكار الفجة السابقة، فسمحت بتدشين المعابد القديمة بما يتفق وطقوس الكنيسة الجديدة، مع الإبقاء على حفلات الوثنيين وأعياد آلهتهم كما هى على أن تحول إلى احتفالات وأعياد مسيحية"[٢].

وهكذا يتبين لها أن المسيحية تأثرت بالأديان الوضعية فى عقائدها وشعائرها وأعيادها.

---

(١) راجع : د/ محمد توفيق صدقى : نظرة فى كتب العهد الجديد وعقائد النصرانية ص (١٣٦) راجع أيضًا هذا الموضوع بتوسع فى : ينابيع المسيحية (الفصل الثالث) الذى يحمل عنوان "الطقوس الوثنية والكنيسة المسيحية".

(٢) كولتون : عالم العصور الوسطى فى النظم والحضارة ص (٢٤ ، ٢٩ ، ٦٧) وما يليها، راجع أيضًا: دراسات فى تاريخ العصور الوسطى ص (٦٥ ، ٦٦).


الخاتمــــة

أهم النتائج

[١] لقد بين القرآن الكريم القول الحق في عيسى عليه السلام فأكد إنه إنسان من البشر اصطفاه الله عز وجل ليكون رسولاً من رسل بنى إسرائيل ليبلغهم التعاليم الإلهية، والشرائع السماوية، وليصحح لهم الانحرافات التى انحرفوا بها عن الشرع السماوي، وليبشرهم بالنبى محمد صلى الله عليه وسلم.

ولقد بلغ المسيح عليه السلام ما أوحاه الله إليه فكان يعلم بأنه عبد الله ورسوله، وأنه أتاهم بما جاء به الأنبياء والرسل قبله من الدعوة إلى عبادة الله وتوحيده والإخلاص له وحده بالعبادة والقدم والربوبية، هذا وقد بلغهم ـ أيضًا ـ أنه جاء ليبشر بأنه سيأتى بعده نبى اسمه " أحمد".

ولقد ترك المسيح عليه السلام رسالته نقية خالصة من كل الشوائب والتحريف سهلة واضحة لا تعقيد فيها ولا تضليل، ولكن لم تمض سنوات على رفعه حتى أخذت الوثنية ومظاهر الشرك والزيغ تتسرب إلى رسالته فشوهتها، وغيرت معالمها وحرفتها، وذلك بفعل الفاعلين، وأيدى الآثمين، فلقد تجمعت على رسالته عليه السلام عدة عوامل مهدت لهذا التحريف والتبديل.

[٢] لقد تعرض أتباع المسيح لجميع أنواع الاضطهاد والتعذيب ووقع عليهم الكثير من البلايا والكوارث التى أودت بحياة بعضهم، وردة بعضهم، وإخفاء الباقين لتدينهم، وذلك فى خلال القرون الثلاثة الأولى، وكان هذا الاضطهاد أول العوامل التى مهدت لتسرب الوثنية والشرك إلى رسالة المسيح عليه السلام، ذلك أنه كان سببًا فى قتل تلاميذ المسيح الذين تعلموا على يديه فما استطاعوا أن يبلغوا الشرع السماوى الذى حملوه من عيسى عليه السلام إلى كثيرين من الناس.

ففى مثل هذا الجو الإرهابى ما كانوا يستطيعون أن يقوموا بدورهم فى تبليغ الدعوة على أكمل وجه، هذا إلى جانب أنه كان سببًا فى ضياع الإنجيل الصحيح المنزل من عند الله على رسوله المسيح.

ولقد كان هذا الاضطهاد ـ وبالأخص الاضطهاد اليهودى ـ فى العصر الأول لرسالة المسيح يستهدف القضاء على رسالته، وقتلها فى مهدها، وكان لهم ما أرادوا، فلقد قضوا على رسالة المسيح وخرجت علينا ديانة جديدة من جراء هذا الاضطهاد وبمساعدة العوامل الأخرى.

[٣] أوحى الله سبحانه وتعالى إلى المسيح الإنجيل، وهو يشتمل على الهدى والنور والموعظة، بمعنى : أنه يشتمل على الدلائل الدالة على التوحيد والتنزيه وبراءة الله تعالى عن الصاحبة والولد والمثل والضد، وعلى النبوة والمعاد، هذا إلى جانب أنه يشتمل على النصائح والمواعظ والزواجر البليغة، وهو مصدق لما بين يديه من التوراة، ويشتمل على البشارة بمجيىء رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولكن هذا الإنجيل ضاع وأبيد واندثر ولم يبق له أى أثر، واليهود لهم دخل كبير فى ضياع هذا الإنجيل، وذلك لأنهم هم الذين آذوا واضطهدوا أتباع المسيح فى البداية، ولا شك أن اضطهادهم أمكن، لأنهم أكثر الناس معرفة بأسرارهم وخباياهم فهم يهود مثلهم.

هذا إلى جانب، أن ضياع الإنجيل كان يهمهم فى الدرجة الأولى وذلك لما يشتمل عليه من عقائد وتعاليم تخالف أهواءهم، وتفضح تحريفهم لعقائدهم وترواتهم، فلقد حرف اليهود التوراة، وحرفوا بعض عقائدها، فحرفوا عقيدتهم فى الإله واليوم الآخر وحرفوا البشارات التى جاءت فى التوراة عن النبى محمد صلى الله عليه وسلم، ولما جاء المسيح كان يصحح لهم هذه التحريفات، ويبينها لهم، وكان الإنجيل الذى جاء به المسيح يشتمل على العقائد الصحيحة فى الإله واليوم الآخر والبشارة بالنبى محمد صلى الله عليه وسلم، ولذلك عمل اليهود بكل الوسائل والحيل لإبادة هذا الإنجيل من الوجود بطريقة أو بأخرى وذلك حتى لا ينكشف أمرهم، وينفضح تحريفهم.

[٤] وكان لضياع الإنجيل الصحيح أثر فى تسرب الأديان الوضعية والعقائد الوثنية إلى ديانة المسيح، حيث نفذت الأهواء والأساطير إليها، وأخذت تنال من صميمها، ولم تجد من يردها بنص قاطع يسلم له الجميع ويقف عنده كل مفكر أو مجتهد أو

مجدد، ويردع كل مبتدع أو مضل أو فاسق، ويكون ميزانًا للحق والباطل، ومقياسًا نقاس به الآراء، ومرجعًا يرجع إليه المختلفون، ولذلك كثر دخول الأدعياء والدخلاء، فكان فى مقدور أى شخص أن يدعى أنه من أتباع المسيح ويدخل فى الديانة ما يحلو له من عقائد وأساطير ويدعى أنه يقول ما يقول بإلهام أو أن المسيح ظهر له وشيئًا من هذا القبيل ما دام لا يوجد نص سماوى يفرق بين الصحيح والفاسد من العقائد.

[٥] عدم الثقة بالأناجيل المسيحية الحالية، لأنها ليست بالإنجيل المنزل على المسيح، ولأنها من وضع بشرى، وواضعوها ليسوا بأنبياء، فهم ليسوا معصومين من الخطأ.

هذا إلى جانب أن هذه الأناجيل ليس لها من السند المتصل الصحيح بينها وبين من نسبت إليه، وأيضًا ليست متسقة اتساقًا ذاتيًا فهى متناقضة متضاربة مليئة بالاختلافات والأغلاط مما لا يصح معه نسبتها إلى الله تعالى.

[٧] كان لادعاء بولس الانتساب إلى المسيح أكبر الأثر فى دخول الأديان الوضعية إلى ديانة المسيح عليه السلام، وبولس هذا لم يكن تلميذًا من تلاميذ المسيح، فلم يلتق به مدة حياته - وأيضًا - لم يلتق بأى تلميذ من تلاميذ المسيح فى فترته التبشرية الأولى، فهو ليس تلميذًا للمسيح ولا تلميذًا لتلاميذه، وإنما كان من ألد أعداء أتباع المسيح، وأكبر مضطهديهم، ولكن فجأة وبدون مقدمات أصبح أكبر دعاة هذه الديانة حيث ادعى أن المسيح ظهر له وهو فى طريقه إلى دمشق وعاتبه على اضطهاده لتلاميذه، ثم أرسله رسولاً للتبشير بديانته، ولقد تبين لنا من خلال صفحات هذا الكتاب أن هذا الادعاء ليس له أدلة فهو ادعاء غير مسلم به.

هذا فضلاً عن عدم استساغته عقليًا، فكيف ينتقل شخص من الكفر المطلق بالديانة إلى الرسالة فى الدين الذى كفر به وناوأه وعاداه، فإن ذلك ليس له نظير، وليس له مشابه ولم يعهد ذلك فى أنبياء ورسل الله قط، وقد كنا بحيث نقبل القول بأن انقلابًا مفاجئًا حدث لبولس نقله من منتهى طرف العداوة للمسيح وأتباعه إلى منتهى طرف المحبة والإخلاص - لا أن يكون رسولا فهذا غير مستساغ ويدعو

للعجب والدهشة ـ لو أن بولس هذا بعد انتقاله هذا كان ملتزمًا باتباع ما أثر عن المسيح دون تعديل أو ابتداع ، أما وأن انقلابه ذاك صاحبه الخروج على تعاليم المسيح التى أثرت عنه فى حياته على الأرض ، وابتداع تعاليم جديدة فإن الأمر يصبح واضحًا لا سر فيه وهو أن العدو ما يزال عدوًا والانقلاب ما يزال استمرارًا.

وكان بولس هذا من أكبر العوامل التى ساعدت على تحريف رسالة المسيح عليه السلام حيث نادى بتعاليم وأفكار ليست من تعاليم المسيح ، وإنما اقتبسها وطورها وبشر بها باسم المسيح عليه السلام ، فهو يعتبر أول المحرفين لرسالته ، فقد أدخل فيها ما ليس منها ، وبشر بعقائد وتعاليم لم يقلها المسيح وسلك طرقًا لم يشر إليها ، وألغى شرائع وأضاف أخرى لم يوص بها المسيح عليه السلام.

ولكى يضمن بولس لأفكاره القبول والذيوع والانتشار عمل على عدم استشارة تلاميذ المسيح فى المبادئ والتعاليم التى كونها حول المسيح عليه السلام ، هذا إلى جانب أن بشر بمبادئه وأفكاره بين اليونانيين والوثنيين ـ بعيدًا عن أعين التلاميذ الذين عرفوا المسيح وتعلموا منه مبادئه ـ الذين لم يعرفوا المسيح ولم يشاهدوه ولم يسمعوا عنه وعن عقائده شيئًا إلا بالقدر الذى قال لهم به بولس.

لقد ظهر واضحًا من خلال مباحث هذا الكتاب أن بولس هو المؤسس الحقيقى للمسيحية الحالية ، فلقد محا رسالة المسيح عليه السلام ، وأسس ديانة جديدة لا تمت إلى رسالة المسيح بصلة ، وهذه الديانة هى التى انتشرت وأصبحت هى الباقية إلى الآن.

ولهذا نجد بولس فى المسيحية الحالية أعظم شخصية فيها ، فينسب إليه من كتب المسيحية الآن ثلث العهد الجديد ، وصارت أفكاره اللاهوتية هى أفكار المسيحية الحالية.

ولقد أكد هذا كثير من الباحثين ، واعترف به أيضًا رجال الكنيسة المسيحية.

[٧] لقد استطاع قسطنطين أن يأسر الكنيسة ويطوق أعناق المسيحيين بأنعمه ، فلقد خفض لهم الجناح وأعطاهم الأمان ورد لهم كرامتهم وحريتهم وأفاض عليهم بالخير والهبات حتى استطاع أن يطوعهم ملك يديه ، وبدأ يتدخل فى شئون الكنيسة

شيئًا فشيئًا ويظهر حرصه عليهم حتى وصل إلى مرتبة مرموقة فى الكنيسة، وأصبح هو الرئيس المتصرف الذى يفصل بنفسه فى مسائل المسيحية الشائكة بل ويدعو إلى المجامع ويرأس جلساتها ويدير حواراتها ويتدخل فى قراراتها ويصدق عليها، وأيضًا يتدخل فى تعيين الأساقفة وإعفائهم.

[٨] كان قسطنطين وميوله نحو المسيحية من العوامل الرئيسية لتقرير العقائد الوثنية بدلاً من عقائد المسيح عليه السلام، فهو الذى عمل على تقريرألوهية المسيح وجعلها هى العقيدة السائدة، وذلك حين دعا إلى عقد مجمع نيقية وهو المجمع المسكونى الأول واتخذ فيه صفة عالم اللاهوت، واختار الفئة التى تؤمن بألوهية المسيح ووضع لهم مجلسًا خاصًا بهم وأغراهم بالسلطة حتى يصدقوا جميعًا على القول بألوهية المسيح ويجعلوه هو القانون الدينى العام، وهذا وقد أمر قسطنطين بوجوب تنفيذ قرارات مجمع نيقة والتى تقرر بصفة نهائية القول بألوهية المسيح وتهدد بالعقاب والنفى كل من يخالف رأى المجمع، ولذلك نفى كثيرًا من الأساقفة الذين امتنعوا عن الموافقة على هذا الاعتقاد.

[٩] لقد سلك قسطنطين مسلك رجل السياسة الذى يريد الحفاظ على وحدة الإمبراطورية، ولذلك كان يحرص على إرضاء الوثنيين والمسيحيين على السواء، وذلك عن طريق مزج المسيحية بالأفكار والتعاليم الوثنية، وهذا كان له أثره المباشر فى محو عقائد المسيح عليه السلام والقضاء عليها.

[١٠] إن المجامع المسيحية لم يؤسسها المسيح عليه السلام، ولم يدع إليها، ولم يأمر بها، ولم يشر إليها، لا بالتلميح ولا بالتصريح، خاصة وأن رسل الله عليهم الصلاة والسلام يأتون الناس بعقائد وشرائع واضحة يبلغونها للناس ويوضحونها لهم، فلا يتركون أصول العقائد والشرائع لشطط العقول ولاختلاف الناس حولها كل واحد منهم يدلى بدلوه فيها ويشرح رأيه حولها.

إن أصول العقائد والشرائع فى الدين السماوى من عند الله عز وجل لا من تأليف وتقرير مجمع أو غيره، وهذا يعنى أن المسيحية حين تناست أصول العقائد والشرائع التى جاء بها المسيح رأت أن توجد بدعة المجامع لتقرر لها البديل فى العقائد

والشرائع، وهى عقائد وشرائع وثنية ما أنزل الله بها من سلطان، ولذلك كان أول مجمع ابتدع فى المسيحية ـ مجمع أورشليم كان لبولس يد فى اجتماعه وفى القرارات التى توصل إليها ـ كانت قرارته مخالفة للشريعة التى جاء بها المسيح عليه السلام، إذ نقض شريعة موسى عليه السلام التى صرح المسيح بأنه ما جاء ناقضًا لها، هذا إلى جانب أن المجمع المسكونى الأول (مجمع نيقية) أيضا جاءت قراراته وقوانينه مخالفة للعقائد التى جاء بها المسيح عليه السلام، ثم جاءت المجامع المسكونية الأخرى لتكمل ما بدأه هذا المجمع.

[١١] إن المجامع المسيحية هى التى ساعدت على تأصيل الوثنية فى المسيحية وجعلها هى أساس الديانة ومضمونها، ويتبين ذلك من القرارات والقوانين التى توصلت إليها، فهى التى قررت تجسد المسيح، والتثليث، والصلب والفداء وغير ذلك من الأفكار والعقائد الوثنية.

[١٢] ولقد لعب اليهود دورًا كبيرًا فى تحريف رسالة المسيح عليه السلام، واليهود فى زمنه عليه السلام كانوا ينقسمون إلى قسمين: يهود فلسطين، ويهود الشتات، وهؤلاء جميعًا لهم يد كبيرة فى تحريف رسالة المسيح عليه السلام، فاليهود فى فلسطين اضطهدوا المسيح عليه السلام وقت تبليغه الدعوة فلم يتركوه لحظة إلا وقد عاكسوه وأقاموا معه المشاغبات فلما يئسوا من منعه عن التبشير برسالته اجتمعوا على الافتراء عليه والوشاية به عند الوالى الرومانى في فلسطين واختلقوا أكاذيب وافتراءات على المسيح عليه السلام حتى يستطيعوا أن يغروا الرومان بالقبض عليه والحكم عليه بالموت، ولكن الله سبحانه وتعالى نجاه من أيديهم ورفعه إليه.

ولم يقتصر أمر اليهود هؤلاء على إيذاء المسيح عليه السلام فحسب، بل امتدت أيديهم بالتعذيب والسجن والإيذاء لأتباعه من بعده لمنعهم من التبشير برسالته ولقد عملوا بكل جهدهم على إماتة هؤلاء الأتباع حتى يخنقوا الدعوة التى جاء بها المسيح عليه السلام، هذا إلى جانب دورهم الكبير في ضياع إنجيل المسيح عليه السلام، كما سبق أن بينا.

أما يهود الشتات فقد أكملوا الدور الذى بدأه يهود فلسطين، حيث سدوا الثغرة التى نجمت عن ضياع الإنجيل وموت الأتباع، بأن ساعدوا على وضع أفكار وعقائد جديدة بدلاً من العقائد التى جاء بها المسيح عليه السلام، وأيضاً وضع أناجيل ورسائل تحمل هذه العقائد وتلك الأفكار الجديدة.

ولقد كان يهود الشتات بمرونتهم وعدم تعصبهم ليهوديتهم وتأثرهم بمن حولهم من الوثنيين مؤهلين لأن يقوموا بهذا الدور، فهم لم يؤمنوا برسالة المسيح كما جاء بها، بل آمنوا بها بعد أن عدلوا من عقائدها وأدخلوا فيها ما ليس منها، ولذلك أدخلوا العقائد والأفكار الوثنية التى جاء المسيح لمحاربتهم والقضاء عليها، وقد ساعدهم على ذلك أنهم كانوا بعيدين عن موطن تلاميذ المسيح الحقيقيين الذين يعرفون الحق من الباطل والصحيح من المحرف والسماوى من الوثنى.

ولقد عمل هؤلاء اليهود على كسب الأتباع الوثنيين الذين لم يعرفوا المسيح إلا بالقدر الذى حدثهم به هؤلاء اليهود الذين ألغوا شريعته واستبدلوها بعقائد وشرائع وثنية حتى يضمنوا لأفكارهم البقاء حيث الكثرة والانتشار، ولذلك أزاحوا كل العقبات التى ظنوا أنها تقف حائلاً دون قبول الوثنيين للمسيحية، فألغوا الختان والتحريمات فى الطعام عدا ما ذبح للأوثان والدم، وأصبحوا يبشرون بأن الناموس اليهودى لم يعد صالحًا للاستعمال.

[١٣] وكان لاستخدام يهود الشتات اللغة اليونانية بدلاً من الآرامية وهى اللغة التى كان يتحدث بها المسيح وأتباعه أثر كبير أيضًا فى تسرب الوثنيات إلى المسيحية، وذلك عن طريق التواء الألفاظ وتغيير المعانى، أو عن طريق إدخال المصطلحات والأفكار اللاهوتية اليونانية والتى كان تستخدم فى التعبير عن العقائد الوثنية.

ولقد استخدم يهود الشتات اللغة اليونانية فى التعبير عن المسيحية، وذلك لكى يخفوا تغييرهم لمضمون رسالة المسيح عليه السلام ويحتالوا على تحريفها، ذلك أن الكلمة فى لغة ما غير الكلمة فى لغة أخرى، وأن المعانى التى تحويها الكلمة فى لغة ما تقل أو تزيد إذا ترجمت إلى لغة أخرى.

[١٤] ولقد فتح يهود الشتات المجال - أيضًا - لتسرب الوثنية عن طريق آخر، وذلك بأن بشروا بالمسيحية بين الوثنيين مخالفين بذلك تعاليم المسيح. فلقد أشار المسيح إلى أنه ما جاء إلا إلى بنى إسرائيل.

وحين خرجت ديانة المسيح عليه السلام التى شوهت على أيدى يهود الشتات وأصبحت تسمى بالمسيحية حين خرجت من دائرة نفوذها وتبشيرها فى بلاد أورشليم إلى بلاد العالم الوثنى لم تكن لتستطع أن تتجنب المؤثرات الخارجية، ولم تكن لتستطع أن تقف أمام وثنيات العالم الوثنى، فلم يكن لها من القوة الذاتية ما يحفظها من التأثر بغيرها، إذ أنها خرجت من دائرة نفوذها بدون كتاب صحيح يقف عنده كل مبتدع أو مغال أو مضل، ذلك أن الإنجيل الذى أنزل على المسيح لم يتعلمه هؤلاء الذين حملوا الديانة إلى العالم الوثنى وذلك بحكم شتاتهم بعيدًا عن الموطن الذى بشر فيه المسيح.

ويهود الشتات هؤلاء لم يكونوا - كما سبق أن بينا - هم الذين يهمهم أن يحفظوا الديانة بعيدًا عن المؤثرات الوثنية فهم الذين ساعدوا على دخول الوثنية إليها وذلك بحكم تكوينهم ومعيشتهم، بهذه الروح حمل يهود الشتات المسيحية إلى الوثنيين بدون وضع الحد المانع لهم الذى يقفون عنده، ولذلك فتحوا المجال أمامهم لأن يدخلوا المسيحية ويؤثروا فيها بدون وضع شرط أو قيد طالما أنهم ينسبوها إلى المسيح عليه السلام، وعن طريق هؤلاء الوثنيين زحفت الوثنيات إلى المسيحية، ذلك أنهم لم يستطيعوا فهمها - وهم معزولون عن إنجيل عيسى وتلاميذه - بغير ما هو ممتزج بأفهامهم وما هو مغروس فى قلوبهم، فحاول كل واحد منهم - بمساعدة مدرسة بولس - أن يفهم دينه الجديد فى ضوء فكره ومعتقده القديم، ونتيجة لهذا كله تكون للمسيحية العديد من الأفكار والتعاليم الوثنية من أديان الشرق والغرب.

[١٥] وكان التجسد والقول بألوهية المسيح من أوائل العقائد الوثنية التى تسربت إلى المسيحية، ذلك أن المسيح لم يقل بعقيدة التجسد ولم يشر إليها ولم يعلم تلاميذه إياها، فلم يقل عن نفسه إنه إله أو ابن إله، وكذلك لم يقل تلاميذه الأصليون عنه إنه إله أو ابن إله، وإنما الذى أشاع عن المسيح أن له قدرات إلهية فوق قدرات البشر وأنه إله هو بولس، الذى علم وبشر بتعاليم لم يأخذها عن المسيح ولا عن تلاميذه،

وإنما استقاها من مصادر وثنية خاصة وأن هذه العقيدة كانت منتشرة فى الأديان الوضعية المنتشرة وقت ظهور المسيحية، فكانت شائعة بين الهنود والمصريين واليونانيين والرومانيين وغيرهم.

على أن ما ساقه المسيحيون من أدلة على هذه العقيدة غير مسلم بها، هذا فضلاً عن أن هذه العقيدة لا تتسق مع صحيح العقول، ففيها من التناقض الغريب والعجيب ما لا يمكن التسليم به.

ولقد أقر جماعة من المسيحيين الإنجليز بأن عقيدة التجسد أسطورة وثنية، فأخرجوا لنا كتابًا يسمى (أسطورة تجسد الإله)، وطالبوا فيه بأنه لابد وأن يتطور إيمان المسيحيين ويتركوا القول بالتجسد الذى هو أسطورة وثنية.

[١٦] وعقيدة التثليث من العقائد الوثنية التى دخلت المسيحية أيضًا، ذلك أن المسيح عليه السلام لم يتحدث عن التثليث ولا عن الأقانيم، فلم يعلم بها ولم يشر إليها بأى نوع من أنواع الإشارة، ولم يؤثر عن أحد من تلاميذ المسيح أنه تحدث عن أى نوع من هذه العقيدة، هذا فضلا عن أننا لو نظرنا إلى كتبهم المقدسة لا نجد فيها أى دليل على هذه العقيدة، فلو قرأت كتابهم المقدس سفرًا سفرًا وإصحاحًا إصحاحًا وكلمة كلمة لا تجد فيها كلمة تثليث ولا كلمة أقنوم وهى الكلمات الرئيسية فى هذه العقيدة، هذا ولم يقل بهذه العقيدة نبى من الأنبياء ولا رسول من الرسل، ولذلك فهى عقيدة وثنية دخلت المسيحية عن طريق الوثنيين الذين دخلوا المسيحية خاصة وأن هذه العقيدة كانت منتشرة فى معظم الأديان الوثنية المنتشرة وقت ظهور المسيحية.

والغريب أن بعض المسيحيين أقروا بالتشابه بين التثليث الوثنى والتثليث المسيحى، وبينوا أن هذا التشابه دليل على أن مصدرهما واحد وهو الله سبحانه وتعالى، وهو قول فيه افتراء على الله عز وجل ورسله الأصفياء إذ لم يقل به نبى ولا رسول، وإنما هو نوع من التحديد لتعدد الآلهة، الذى انحرف به الإنسان عن شرع الله ووحيه وكفى بالمسيحيين خسرانًا أن يستدلوا على عقائدهم بالعقائد الوثنية.

[١٧] وعقيدة الصلب والفداء من العقائد الوثنية التى دخلت المسيحية، ذلك أن المسيح لم يقل عن نفسه أنه المخلص أو المسيح المنتظر، وكذلك لم ينسب أحد من تلاميذه إليه هذه العقيدة.

هذا فضلاً عن أن هذه العقيدة قائمة على أسس باطلة. فالقول بأن معصية آدم انتقلت إلى أبنائه بالوراثة قول باطل، لأن آدم تاب من ذنبه والتوبة تغفر الذنوب وتكفرها، ولأن الإنسان لا يتحمل وزر أخيه الإنسان وإنما كل إنسان مسئول عن عمله إن خيرًا فخير وإن شراً فشر.

والقول: بأن المسيح إله تجسد باطل، لأن المسيح عليه السلام ما دعا أنه إله بل كان يدعو نفسه دائمًا بابن الإنسان، ولأنه جرى عليه ما يجرى على البشر من الأكل والشرب والنوم والجوع والغضب، وكلها نقائص يتنزه عنها الإله، والقول بأن المسيح صلب وقام قول باطل، لأن الله سبحانه وتعالى نجاه من أيدى الأعداء فلم يقتل ولم يصلب وإنما رفع إلى السماء.

هذا فضلاً عن أن هذه العقيدة ليس لها أدلة صحيحة عليها، إذ أن أدلتهم على القول بالصلب هى من روايات الأناجيل وهى غير موثوق بها لما تتصف به من التناقض والاختلاف، لأن الاختلاف معناه أن إحدى الروايات صادقة والأخرى كاذبة، ولما كان الصادق منها غير متعين فالشك يرد على الجميع، والشك إذا دخل إلى الدليل أفسده وأبطله، ولذلك فإن عقيدة الصلب والفداء عقيدة وثنية سرت إلى المسيحية عن طريق بولس وأتباعه، فهو أول من نادى أن المسيح ابن الله نزل ليخلص البشرية من الخطيئة والآثام خاصة وأن هذه العقيدة كانت منتشرة وسائدة فى العالم الوثنى وقت ظهور المسيحية.

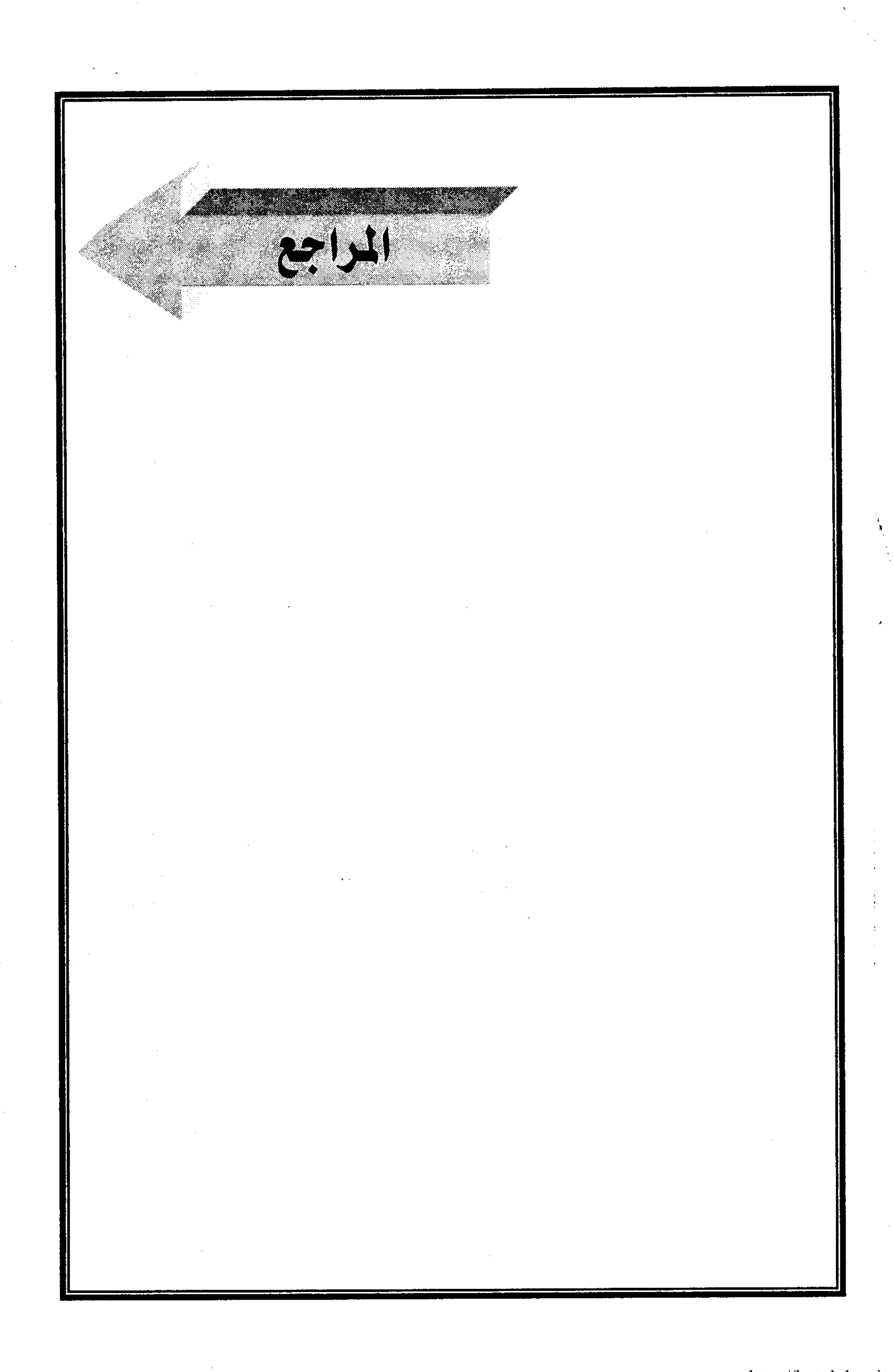
[١٨] ولقد عجز المسيحيون عن فهم عقائدهم، ولذلك أعلنوا أنه على المسيحى أن يقبل هذه العقائد بالإيمان فقط دون التفكير فيها، فعلى المسيحى أن يلغى عقله وفكره ولا يبحث فى أى عقيدة من العقائد، وإنما عليه أن يسلم بها تسليمًا مطلقًا دون بحث أو نظر.

ولذلك نجدهم فى مجال التعليم يحاولون تنشئة الطلاب على الإيمان بالعقائد دون فهمها أو شرحها، والحقيقة أن هذا الأسلوب كان سببًا فى ترك البعض للدين المسيحى أو فى ترك التدين كاملاً والانحراف إلى الإلحاد.

[١٩] ولم تكتف المسيحية بأن استقت أصول عقائدها من الوثنية، بل وجدناها أيضًا قد أخذت عن الوثنية شعائرها وأعيادها، فالتعميد والعشاء الربانى وغيرها شعائر وثنية انتقلت إلى المسيحية عن طريق بولس وأتباعه.

وتحديد يوم الأحد بكونه عيدًا للرب مأخوذ من الوثنية التى جعلت هذا اليوم عيدًا للشمس ولا زال هذا اليوم يدعى فى بعض اللغات بيوم الشمس، بل إن تحديد عيد الميلاد وعيد القيامة بتواريخ معينة مأخوذ أيضًا من الوثنية.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.


المراجع

أولاً: المراجع الإسلامية

القرآن الكريم.

السنة النبوية الشريفة.

إبراهيم البيجوري:

(١) شرح البيجوري على الجوهرة. الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية. سنة ١٩٧١م القاهرة.

إبراهيم خليل أحمد: (أحد المسيحيين الذين اهتدوا إلى الإسلام).

(٢) محمد فى التوراة والإنجيل والقرآن. مكتبة الوعى العربى. الطبعة الرابعة. القاهرة.

أحمد أمين:

(٣) فجر الإسلام. مكتبة النهضة المصرية. الطبعة الثانية عشرة. سنة ١٩٧٨م. القاهرة.

أحمد بن حنبل:

(٤) الرد على الزنادقة والجهمية. مجموعة (عقائد السلف) جمع د/ على سامى النشار، د/ عمار الطالبى. منشأة المعارف. سنة ١٩٧٠م. الإسكندرية.

أحمد شلبى:

(٥) المسيحية. مكتبة النهضة المصرية. الطبعة السادسة. سنة ١٩٧٨ م.

أحمد عبد الوهاب:

(٦) حقيقة التبشير بين الماضى والحاضر. الناشر مكتبة وهبة. الطبعة الأولى. سنة ١٩٨١م.

(٧) طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون. الناشر مكتبة وهبة. الطبعة الأولى. سنة ١٩٨٠م. القاهرة.

(٨) المسيح فى مصادر العقائد المسيحية. خلاصة أبحاث علماء المسيحية فى الغرب. الناشر مكتبة وهبة. الطبعة الأولى. سنة ١٩٧٨م.

(٩) الوحى والملائكة فى اليهودية والمسيحية والإسلام . دار النهضة العربية . الطبعة الأولى . سنة ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م. القاهرة.

أحمد عزت باشا :

(١٠) الدين والعلم. ترجم أكثره من التركية إلى العربية حمزة طاهر. راجعه عبد الوهاب عزام. لجنة التأليف والترجمة والنشر. سنة ١٩٥٠م القاهرة.

ابن تيمية :

(١١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح. أربعة أجزاء فى مجلدين. مطبعة المدنى.

ابن حزم :

(١٢) الأصول والفروع. صححه وضبطه جماعة من العلماء بإشراف الناشر. جزءان فى مجلد واحد. دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى. سنة ١٩٨٤ م. بيروت.

(١٣) الفصل فى الملل والأهواء والنحل، بهامشه كتاب الملل والنحل للشهرستانى . مكتبة صبيح القاهرة.

ابن القيم :

(١٤) هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى. تحقيق د/ أحمد السقا. الناشر المكتبة القيمة. الطبعة الثانية. سنة ١٣٩٩ هـ. القاهرة.

ابن كثير:

(١٥) تفسير القرآن العظيم. مطبعة عيسى الحلبى . القاهرة.

أبو البركات نعمان خير الدين الألوسى :

(١٦) الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح. جزءان فى مجلد واحد. المطبعة الإسلامية . الطبعة الأولى . لاهور .الهند.

أبو السعود :

(١٧) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم . إدارة طباعة الجمعية العلمية الأزهرية المصرية. سنة ١٩٧٩م . القاهرة.

أبو عبيدة الخزرجى:

(١٨) بين الإسلام والمسيحية. تحقيق وتقديم وتعليق د/ محمد شامة. الناشر مكتبة وهبة. الطبعة الثانية. سنة ١٩٧٩م . القاهرة.

أبو الفضل المسعودى:

(١٩) المنتخب الجليل فى تخجيل من حرف الإنجيل. طبعة مطبعة التمدن. سنة ١٣٢٢هـ. القاهرة.

أيوب صبرى عبد الله : (أحد المسيحيين الذين اهتدوا إلى الإسلام).

(٢٠) بهجة التفريح بحقيقة السيد المسيح. عنوان المناظرة التى جرت بينه وبين أحد النصارى ـ بعد دخوله الإسلام ـ طبعت على هامش السيف الصقيل.

(٢١) الجوهر الفريد فى رد التثليث وتأييد التوحيد . وهو كتاب يرد فيه المؤلف على كتاب "القول الصريح فى تثليث الأقانيم وتجسد المسيح"المطبعة العامرة. الطبعة الأولى . سنة ١٣١٩ هـ. القاهرة.

الإمام البخارى:

(٢٢) كتاب أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل. ضمن مجموعة (عقائد السلف) منشأة المعارف. سنة ١٩٧٠م.

د/ بركات عبد الفتاح دويدار:

(٢٣) الحركة الفكرية ضد الإسلام أهدافها ومقاومتها. دار التراث العربى للطبع والنشر . الطبعة الثانية. سنة ١٩٨٠ م. القاهرة .

(٢٤) الوحدانية (مع دراسة فى الأديان والفرق) الناشر مكتبة النهضة المصرية . الطبعة الأولى . سنة ١٩٧٧ م . القاهرة .

الشيخ بكر بن السيد عمر التميمى:

(٢٥) السيف الصقيل فى الرد على رسالة البرهان الجليل. طبع بمطبعة المحروسة . سنة ١٣١٣ هـ . القاهرة.

د/ توفيق الطويل:

(٢٦) قصة الاضطهاد الدينى فى المسيحية والإسلام. دار الفكر العربى. الطبعة الأولى . سنة ١٩٤٧ م . القاهرة.

الجاحظ:

(٢٧) المختار فى الرد على النصارى (مع دراسة تحليلية تقويمية) تحقيق ودراسة د/ محمد عبد الله الشرقاوى. الناشر دار الصحوة. الطبعة الأولى سنة ١٩٨٤ م. القاهرة.

جلال الدين شمس:

(٢٨) البرهان الصحيح فى إبطال ألوهية المسيح . مطبعة ابن زيدون . سنة ١٩٢٩ م. القاهرة ..

الجوينى:

(٢٩) شفاء الغليل فى بيان ما وقع فى التوراة والإنجيل من التبديل . تقديم وتحقيق د/ أحمد السقا. الناشر مكتبة الكليات الأزهرية . الطبعة الأولى . سنة ١٩٧٨ م . القاهرة.

حسين قلى الداغستانى:

(٣٠) كشف الظلمة عن معتقدات البابية وبيان معتقدات المسيحية . المطبعة العامرة الشرقية. الطبعة الأولى. سنة ١٣٢٤ هـ.

د/ رؤوف شلبى:

(٣١) أضواء على المسيحية (دراسات فى أصول المسيحية) منشورات المكتبة العصرية . صيدا . بيروت . سنة ١٩٧٥م.

(٣٢) المسيحية الرابعة . الناشر مكتبة الأزهر. الطبعة الأولى. سنة ١٩٧٩ م القاهرة.

(٣٣) يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء. مكتبة الأزهر. الطبعة الأولى. سنة ١٩٧٤ م. القاهرة.

د/ رحمت الله الهندى:

(٣٤) إظهار الحق . تقديم وتحقيق د/ أحمد السقا . دار التراث العربى. الطبعة الأولى . سنة ١٩٧٨ م. القاهرة.

الزمخشرى:

(٣٥) تفسير الكشاف. مطبعة مصطفى الحلبى. سنة ١٩٧٢ م . القاهرة.

د/ سعد الدين صالح:

(٣٦) مشكلات العقيدة النصرانية. مطبعة دار البيان. الطبعة الثانية . سنة ١٩٨٣ م . القاهرة.

الشيخ سليمان بن عمر (الشهير بالجمل):

(٣٧) الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية. طبعة عيسى الحلبى . سنة ١٣٧٩ هـ . القاهرة .

سيد قطب:

(٣٨) فى ظلال القرآن . دار الشروق . الطبعة العاشرة ١٩٨١م . القاهرة.

الشهرستانى:

(٣٩) الملل والنحل . تحقيق محمد سيد كيلانى. مكتبة مصطفى البابى الحلبى . سنة ١٩٧٦م . القاهرة.

عباس العقاد:

(٤٠) حياة المسيح فى التاريخ وكشوف العصر الحديث . دار الهلال. القاهرة.

القاضى عبد الجبار:

(٤١) تثبيت دلائل النبوة . جزءان فى مجلد واحد. حققه وقدم له د/ عبد الكريم عثمان . دار العربية للطباعة والنشر. بيروت.

(٤٢) المغنى فى أبواب التوحيد والعدل. الجزء الخامس (الفرق غير الإسلامية) تحقيق: محمود محمد الخضيرى. مراجعة د/ إبراهيم مدكور. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر. سنة ١٩٨٥ م . القاهرة.

عبد الرحمن الباجة:

(٤٣) الفارق بين المخلوق والخالق.تصحيح ومراجعة عبد المنعم فراج درويش . مطبعة البيان التجارية . سنة ١٩٨٧م . دبى.

عبد الرحمن الجزيرى:

(٤٤) أدلة اليقين فى الرد على كتاب ميزان الحق.مطبعة الإرشاد. الطبعة الأولى . سنة ١٩٣٤م.

عبد الرشيد الأنصارى (روبرت ولزلى سابقًا):

(٤٥) قصة إسلامى . الناشر جامعة الأزهر. الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية . سنة ١٩٧٠م القاهرة.

عبد الكريم الخطيب:

(٤٦) المسيح فى القرآن والتوراة والإنجيل . دار المعرفة للطباعة والنشر. الطبعة الثانية . سنة ١٩٧٦م . القاهرة.

عبد الله الترجمان:

(٤٧) تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب . تحقيق د/ محمود على حماية . دار الثقافة للطباعة والنشر. الطبعة الأولى . القاهرة.

عبد الله العلمى:

(٤٨) سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس . طبع بإشراف عبد الحليم العلمى. الطبعة الأولى. سنة ١٩٧٠ م. دمشق.

عبد الوهاب النجار:

(٤٩) قصص الأنبياء . الناشر مؤسسة الحلبى للنشر والتوزيع .سنة ١٩٦٦ م . القاهرة.

عز الدين الدميرى:

(٥٠) إرشاد الحيارى فى ردع من مارى، مخطوط بدار الكتب تحت رقم علم الكلام ٢٣٢.

عز الدين المحمدى:

(٥١) الفاصل بين الحق والباطل. طبع بمصر . سنة ١٣١٧ هـ القاهرة.

عضد الدين الإيجى:

(٥٢) المواقف ـ عالم الكتب ـ بيروت.

علاء الدين الباجى:

(٥٣) على التوراة . تحقيق د، أحمد السقا . دار الأنصار . الطبعة الأولى سنة ١٩٨٠ م القاهرة .

د/ على عبد الواحد وافى:

(٥٤) فقه اللغة . دار نهضة مصر للطباعة والنشر. الطبعة السابعة . القاهرة

الشيخ على البحرانى :

(٥٥) لسان الصدق فى الرد على النصارى جوابًا لكتاب ميزان الحق مخطوط بدار الكتب تحت رقم (ب ٢١٤٢٦).

الإمام الغزالى :

(٥٦) الاقتصاد فى الاعتقاد . تحقيق الشيخ محمد مصطفى أبو العلا. مكتبة الجندى. سنة ١٩٧٢ م . القاهرة.

(٥٧) الرد الجميل . تحقيق عبد العزيز عبد الحق. مجمع البحوث الإسلامية سنة ١٩٧٣ م. القاهرة.

الفخر الرازى :

(٥٨) مفاتيح الغيب .دار الفكر للطباعة والنشر . بيروت.

القرافى :

(٥٩) الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة . تحقيق د/ بكر زكى عوض. كلية أصول الدين القاهرة. سلسلة مقارنة الأديان. الطبعة الأولى . سنة ١٩٨٦م القاهرة.

القرطبى :

(٦٠) الجامع لأحكام القرآن. دار إحياء التراث العربى. سنة ١٩٨٥ م بيروت

القلقشندى :

(٦١) صبح الأعشى (الجزء الثالث عشر) المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر.

كمال الدين (زعيم المبشرين السنيين بانجلترا) :

(٦٢) ينابيع المسيحية . تعريب إسماعيل حلمى البارودى. ١٩٢٩ م. القاهرة

د/ محمد إبراهيم الشافعى :

(٦٣) المسئولية والجزاء فى القرآن الكريم . مطبعة السنة المحمدية . الطبعة الأولى. سنة ١٩٨٢م . القاهرة.

محمد أبو زهرة :

(٦٤) محاضرات فى النصرانية. دار الفكر العربى. الطبعة الخامسة. سنة ١٩٧٧م القاهرة .

د/ محمد أبو الغيط الفرت :

(٦٥) بولس والمسيحية . دار الطباعة المحمدية . الطبعة الأولى. سنة ١٩٧٩ م القاهرة .

د/ محمد توفيق صدقى :

(٦٦) دين الله فى كتب أنبيائه . مطبعة مجلة المنار. الطبعة الأولى . سنة ١٩٢١ م. القاهرة.

(٦٧) نظرة فى كتب العهد الجديد وعقائد النصرانية. مطبعة المنار. الطبعة الأولى . سنة ١٣٣١ هـ القاهرة.

محمد حبيب :

(٦٨) فتح الملك العلام فى بشائر دين الإسلام . طبع المطبعة المحمدية المصرية . سنة ١٣٢٢ هـ القاهرة.

(٦٩) مصادر المسيحية وأصول النصرانية. رسالة لاهوتية تاريخية . بدون ذكر اسم الناشر.

محمد رشيد رضا :

(٧٠) تفسير المنار. الهيئة المصرية العامة للكتاب . سنة ١٩٧٢م . القاهرة.

(٧١) شبهات النصارى وحجج الإسلام. الناشر دار المنار. الطبعة الثانية سنة ١٣٦٧ هـ.

(٧٢) عقيدة الصلب والفداء . مطبعة المنار. سنة ١٣٣١ هـ القاهرة .

محمد طلعت :

(٧٣) القول المبين فى الرد على المبشرين الإنجيليين . مطبعة التقدم. سنة ١٩٠٥م. القاهرة .

د/ محمد عبد الله دراز:

(٧٤) دستور الأخلاق فى القرآن. تعريب وتحقيق د/ عبد الصبور شاهين. دار البحوث العلمية . الطبعة الثالثة . سنة ١٩٨٠م. الكويت.

(٧٥) الدين (بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان) مطبعة السعادة. سنة ١٩٦٩م. القاهرة.

محمد عزت الطهطاوى :

(٧٦) النصرانية والإسلام . دار الأنصار . القاهرة .

د/ محمد فؤاد الهاشمى : (أحد المسيحيين الذين اهتدوا إلى الإسلام) :

(٧٧) الأديان فى كفة الميزان . دار الحرية . القاهرة ١٩٨٦ م القاهرة .

(٧٨) حوار بين مسيحى ومسلم . الناشر دار الرسالة . الطبعة الأولى . سنة ١٩٨٤ م القاهرة.

(٧٩) سر إسلامى(لماذا اخترت الإسلام دينًا) دار الحرية ١٩٨٠ القاهرة.

محمد مجدى مرجان : (أحد المسيحيين الذين اهتدوا إلى الإسلام) :

(٨٠) الله واحد أم ثالوث. دار النهضة العربية . القاهرة.

(٨١) المسيح إنسان أم إله . دار النهضة العربية . القاهرة .

د/ محمد وصفى :

(٨٢) المسيح والتثليث. المطبعة الرحمانية. الطبعة الأولى ١٩٣٧ م القاهرة

د/محمد يحيى :

(٨٣) رحلتى من الكفر إلى الإيمان(قصة إسلام الكاتبة الأمريكية مريم الجميلة) الناشر : المختار الإسلامى . سنة ١٩٨٥ م. القاهرة.

د/ محمود بن الشريف :

(٨٤) الأديان فى القرآن . دار المعارف . الطبعة الرابعة ١٩٨٠م القاهرة.

(٨٥) الدعاء فى القرآن . سلسلة اقرأ رقم ٢٨٠ دار المعارف ١٩٦٦م القاهرة

د/ محمود محمد مزروعة :

(٨٦) دراسات فى النصرانية . مع مقدمة فى دراسة الأديان. لم يذكر اسم الناشر. سنة ١٩٧٩م.

(٨٧) مقال عن(صفة الوجود فى عقيدة النصارى) حولية كلية أصول الدين بالمنوفية . العدد السادس. الجزء الأول . سنة ١٩٨٦ م . القاهرة .

المسعودى :

(٨٨) مروج الذهب . المجلد الأول. دار الفكر. بيروت . الطبعة الخامسة . سنة ١٣٩هـ.

مصطفى سعداوى المهر:
(٨٩) نظرات فى العقائد المسيحية . مطبعة نهضة مصر . سنة ١٩٤٨م. القاهرة.

مصطفى عبد الرازق:
(٩٠) الدين والوحى والإسلام. سلسلة مؤلفات الجمعية الفلسفية المصرية. دار إحياء الكتب العربية . عيسى الحلبى . سنة ١٣٦٤ هـ.

ناصر الدين دينيه(أحد المسيحيين الذين اهتدوا إلى الإسلام):
(٩١) أشعة خاصة بنور الإسلام . ترجمة: راشد رستم . المطبعة السلفية سنة ١٩٣٩ م القاهرة .

نصر بن يحيى(أحد المسيحيين الذين اهتدوا إلى الإسلام):
(٩٢) النصيحة الإيمانية فى فضيحة الملة النصرانية . تحقيق وتقديم وتعليق: د/ محمد عبد الله الشرقاوى. دار الصحوة للنشر والتوزيع . سنة ١٩٨٦ م. القاهرة.

د/ هاشم جودة:
(٩٣) العقائد المسيحية بين القرآن والعقل. مطبعة الأمانة . سنة ١٩٨٠م القاهرة .

ثانيا: المراجع المسيحية

(٩٤) الكتاب المقدس . طبعة الإنجيليين . دار الكتاب المقدس. سنة ١٩٨٠م القاهرة .

(٩٥) الكتاب المقدس. طبعة الكاثوليك. منشورات دار المشرق. سنة ١٩٨٣م. بيروت.

د/ إبراهيم سعيد ومجموعة من الأساقفة:

(٩٦) الدين المسيحى للمرحلة الثانوية . سنة ١٩٦١م. وزارة التربية والتعليم بالقاهرة.

إبراهيم لوقا :

(٩٧) المسيحية فى الإسلام .دار النشر القبطية . دار الكتاب القبطى. الطبعة الثانية . القاهرة .

إثناسيوس الرسولى :

(٩٨) تجسد الكلمة. نقله إلى العربية مرقس داود . دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية. الطبعة الخامسة. سنة ١٩٧٧ م. القاهرة.

د/ إدوار. ج. يونج :

(٩٩) الكتاب المقدس فى الميزان . ترجمة إلياس مقار. دار الثقافة المسيحية. الطبعة الثانية . سنة ١٩٧٧م. القاهرة .

أفلاطون . مطران موسكو:

(١٠٠) الخلاصة الشهية فى أخص العقائد والتعاليم الأرثوذكسية . عربه بتصرف: الخورى يوحنا حزبون. منشورات النور. بيروت.

د/ الدر:

(١٠١) المجهولون فى الكتاب . ترجمة حبيب سعيد . دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية . القاهرة.

الفرد مارتن:

(١٠٢) دراسة أسفار الكتاب المقدس(الكتاب الأول) تاريخ العهد القديم ترجمة لبيب ميخائيل. المطبعة التجارية الحديثة. الطبعة الأولى. سنة ١٩٧٨م القاهرة.

القس / إلياس مقار :

(١٠٣) رجال الكتاب المقدس(المجلد الأول) دار الثقافة المسيحية . طبعة أولى . سنة ١٩٧٩م. القاهرة.

(١٠٤) إيمانى أو(قضايا المسيحية الكبرى) دار الثقافة المسيحية . طبعة أولى . القاهرة.

(١٠٥) ــــــــ الإنجيل كتاب الحياة. ترجمة تفسيرية للعهد الجديد. دار الثقافة المسيحية. سنة ١٩٨٢م . القاهرة.

د/ أندرو وطسون :

(١٠٦) شرح أصول الإيمان. راجعه وأتمه : إبراهيم سعيد. مطبعة النيل المسيحية . سنة ١٩٣٠م. القاهرة.

القس إنسطاسى شفيق :

(١٠٧) الفداء فى إنجيل لوقا. كنيسة مار جرجس . مكتبة المحبة. القاهرة.

(١٠٨) اللاهوت فى إنجيل يوحنا. مكتبة مار جرجس. سنة ١٩٧٦م الإسكندرية.

أنسلموس اللاهوتى :

(١٠٩) لماذا تجسد الكلمة . تنقيح القس إبراهيم سعيد ، القس جبرى تاوضروس. مطبعة النيل المسيحية. ط الثالثة. سنة ١٩٢٨ . القاهرة.

باسيليوس :

(١١٠) سر الفداء حسب الإنجيل والآباء. تعريب بيت التكريس لخدمة الكرازة. مؤسسة القديس أنطونيوس. سنة ١٩٨٢م. القاهرة.

القس بخيت متى :

(١١١) قضاء الله ومسئولية الإنسان. دار الثقافة المسيحية . طبعة أولى. سنة ١٩٧٨ م. القاهرة.

أ. هـ. برودبنت :

(١١٢) قضاء الله ومسئولية الإنسان. دار الثقافة المسيحية. طبعة أولى. سنة ١٩٧٨م. القاهرة.

بطرس الجميل ومجموعة من الأساقفة :

(١١٣) كتاب السنكسار. الطبعة الثانية . مكتبة المحبة ١٩٧٨م ، القاهرة .

بطرس ديناسيوس :

(١١٤) القول الصريح فى تثليث الأقانيم وتجسيد المسيح. مطبعة الوطن. الطبعة الأولى. سنة ١٩٨١ م. القاهرة.

بنيامين بنكرتن :

(١١٥) تفسير إنجيل متى. مطبعة الأخوة بجزيرة بدران. الطبعة الثالثة. سنة ١٩٨١م. القاهرة.

بوزورث :

(١١٦) دراسات فى حياة يسوع. جزءان فى مجلد واحد. ترجمة مرقس فهمى فرج. صدر عن جمعية نشر المعارف المسيحية.

بولس إلياس اليسوعى :

(١١٧) يسوع المسيح شخصيته وتعاليمه. المطبعة الكاثوليكية . ط ثانية. سنة ١٩٦٦م. بيروت.

القمص بيشوى عبد المسيح :

(١١٨) القول الصريح فى لاهوت المسيح. مكتبة المحبة ١٩٨٣م القاهرة.

(١١٩) المسيحية ديانة التوحيد. مكتبة المحبة. القاهرة.

جاد المنفلوطى :

(١٢٠) نظرات فى الإنجيل. دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية. طبعة أولى . سنة ١٩٨٤م. القاهرة.

د/جورج حبيب بباوى :

(١٢١) المعمودية فى الكنيسة الواحدة الجامعة الرسولية. دراسة للعقيدة والطقس فى القرون الخمسة الأولى . الكتاب الأول. الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكسية. سنة ١٩٨١م. القاهرة.

جورجيا هاركنس :

(١٢٢) بماذا يؤمن المسيحيون . ترجمة إسحاق مسعد. دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية . سنة ١٩٦٩م . القاهرة.

جون ستوت :

(١٢٣) المسيحية فى جوهرها. تعريب نجيب غالى. الناشر : كنيسة الملاك سنة ١٩٧٩ م. القاهرة.

جون هيك. ومجموعة من الأساتذة المسيحيين :

(١٢٤) أسطورة تجسد الإله. ترجمة نبيل صبحى. دار القلم ١٩٨٥م الكويت

حارث قريصة :

(١٢٥) القديس بولس. دار الثقافة المسيحية. ط أولى ١٩٧٩م القاهرة.

حبيب جرجس :

(١٢٦) أسرار الكنيسة السبعة. مكتبة المحبة. ط سادسة ١٩٧٩م القاهرة.

(١٢٧) خلاصة الأصول الإيمانية فى معتقدات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية. طبعة وزارة المعارف. سنة ١٩٢٦م. القاهرة.

(١٢٨) الصخرة الأرثوذكسية. مجموعة محاضرات عقائدية فى تفنيد التعاليم الغربية. نشرها القمص بولس باسيلى. الطبعة الخامسة ١٩٧٩م. القاهرة.

حبيب سعيد :

(١٢٩) أديان العالم. دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية ١٩٧٧م القاهرة ،

(١٣٠) الروح القدس فى العصر الحديث. دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية . القاهرة.

(١٣١) سيرة رسول الجهاد . صدر عن جمعية نشر المعارف المسيحية القاهرة.

(١٣٢) المدخل إلى الكتاب المقدس. دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية ، القاهرة.

د/ حنا جرجس الخضرى :

(١٣٣) تاريخ الفكر المسيحى. المجلد الأول. دار الثقافة المسيحية. القاهرة.

(١٣٤) المصلح مارتن لوثر. حياته وتعاليمه. دار الثقافة المسيحية. طبعة أولى سنة ١٩٨٣م ، القاهرة.

دافيد براون :

(١٣٥) هل صلب المسيح؟ نقله إلى العربية جاد المنفلوطى. دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية . سنة ١٩٧٧م. القاهرة.

دوم كولومبا مرميون :

(١٣٦) المسيح حياة النفس. ترجمة المطران نصر الله الصغير. المطبعة الكاثوليكية . سنة ١٩٦٦م. بيروت.

د/ راغب عبد النور :

(١٣٧) شجرة الحياة. مكتبة المحبة . سنة ١٩٧٥م. القاهرة.

رؤوف حبيب :

(١٣٨) تاريخ الرهبنة والديرية فى مصر وآثارهما الإنسانية على العالم. مكتبة المحبة . القاهرة.

الأنبا ساويرس :

(١٣٩) الدر الثمين فى إيضاح الدين. إصدار أبناء البابا كيرلس السادس. سنة ١٩٧٨ م ، القاهرة.

سبينوزا :

(١٤٠) رسالة فى اللاهوت والسياسة. ترجمة د/ حسن حنفى. مراجعة : د/فؤاد زكريا. دار الطليعة. طبعة ثانية . سنة ١٩٧١م بيروت.

ج. ر. و. ستوت :

(١٤١) المسيحية الأصلية. تعريب ريد زخارى . صادر عن منشورات النفير. بيروت.

سعيد مرقص إبراهيم :

(١٤٢) بحث فى جسد الرب ودمه. الكتاب الثانى ، لم يذكر اسم الناشر. سنة ١٩٨٤ م. القاهرة.

شارل جنيبير :

(١٤٣) المسيحية نشأتها وتطورها. ترجمة د/عبد الحليم محمود. المكتبة العصرية . صيدا. بيروت.

شنودة السريانى :

(١٤٣) شهداء المسيحية. كنيسة مار مرقس القبطية الأرثوذكسية. سنة ١٩٧١م القاهرة.

القس صموئيل حبيب:

(١٤٥) الخلاص فى مفهومه الكتابى والتطبيقى. دار الثقافة المسيحية. طبعة أولى. سنة ١٩٨١م. القاهرة.

القس صموئيل مشرقى:

(١٤٦) المسيحية بين الكتاب المقدس والتقليد. صدر عن الكنيسة المركزية لمجمع الله الخمسينى. طبعة أولى. سنة ١٩٧٩م. القاهرة.

د/عزت زكى:

(١٤٧) الأخلاقيات فى محيط الفكر والديانات. دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية. سنة ١٩٧٤م. القاهرة.

(١٤٨) المسيح وفلاسفة أثينا. دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية. سنة ١٩٨٦م. القاهرة.

(١٤٩) ـــــ: علم اللاهوت النظامى. دار الثقافة المسيحية. طبعة أولى. سنة ١٩٧١ م. القاهرة.

عوض سمعان:

(١٥٠) طريق الخلاص. دار الثقافة المسيحية. ط ثانية ١٩٨٧م . القاهرة.

(١٥١) قيامة المسيح والأدلة على صدقها. دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية. ط ثانية . سنة ١٩٧٨م. القاهرة.

(١٥٢) الكهنوت الطقسى فى ضوء الوحى والتاريخ. المطبعة الفنية الحديثة. القاهرة.

(١٥٣) الله ثالوث وحدانيته ووحدانية ثالوثه. دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية. القاهرة.

(١٥٤) الله ذاته ونوع وحدانيته. دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية القاهرة.

الأنبا غريغوريس:

(١٥٥) تاريخ الفكر الدينى المسيحى ما بين الإسكندرية وروما وبيزنطة. من منشورات أسقفية الدراسات اللاهوتية العليا والثقافة القبطية والبحث العلمى. مكتبة المحبة . سنة ١٩٧٤م. القاهرة.

فالتون أورسلر:

(١٥٦) الإنسان الخالد(حياة المسيح) ترجمة رمسيس جبراوى. دار الكرنك للنشر والطبع. سنة ١٩٦٦م. القاهرة.

د/ فرنسيس فرييه:

(١٥٧) التجسد. ترجمة الأب لويس أبادير . منشورات المعهد المعادى.

فهيم عزيز:

(١٥٨) الفكر اللاهوتى فى رسائل بولس. دار الثقافة المسيحية. القاهرة .

(١٥٩) المدخل إلى العهد الجديد. دار الثقافة المسيحية. القاهرة.

(١٦٠) ملكوت الله . دار الثقافة المسيحية. طبعة أولى سنة ١٩٧٠م القاهرة

فولتون شين:

(١٦١) حياة المسيح دراسة وتأمل. تعريب نجيب غالى. مكتبة المحبة سنة ١٩٨٣م. القاهرة.

(١٦٢) قانون إيمان الكنائس المعمدانية الكتابية الأولى. نقله إلى العربية لبيب ميخائيل. القاهرة.

د/ كرنجى سمسن:

(١٦٣) حقيقة المسيح. سلسلة محاضرات تفكيرية. تعريب عبد الفادى القاهرانى. مطبعة النيل المسيحية. طبعة ثانية. سنة ١٩٢٦م. القاهرة.

ج. كلايد تارنر:

(١٦٤) هذه عقائدنا . المنشورات المعمدانية. طبعة ثانية ١٩٧٢م.

كنيسة مار جرجس:

(١٦٥) القديس كيرلس الكبير عمود الدين. مكتبة كنيسة الشهيد مار جرجس بالإسكندرية.

القس: لبيب ميخائيل:

(١٦٦) هل المسيح هو الله. مكتبة النيل المسيحية. طبعة ثانية . سنة ١٩٧٢م القاهرة.

(١٦٧) يقين الخلاص. لجنة مطبوعات الكنيسة المعمدانية. طبعة أولى سنة ١٩٦٢م. القاهرة.

لفيف من المفكرين فى بلاد الهند:

(١٦٨) أنوار كاشفة. تعريب قطر اثناسيوس. دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية.

لويس برسوم:

(١٦٩) المسيح الإله والإنسان ابن الله وابن البشر. المعهد الإكليريكى القبطى الفرنسيسكانى. سنة ١٩٨٥م. القاهرة.

السيدة مايل وربرتن:

(١٧٠) صراع عبر الزمان. نقله إلى العربية القس إيليا خورى. دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية.

الأب متى المسكين:

(١٧١) التبرير بين الماضى والحاضر وبين الإيمان والعمل. بيت التكريس بحلوان رقم ١٩ سنة ١٩٧٣م القاهرة.

(١٧٢) الرهبنة القبطية فى عصر القديس أنبا مقار. طبعة أولى. سنة ١٩٧٢م. القاهرة.

(١٧٣) القيامة والصعود . مطبعة دير القديس أنبا مقار. طبعة أولى. سنة ١٩٨٢م القاهرة.

(١٧٤) لمحة سريعة عن رهبنة مصر ودير القديس أنبا مقار. مطبعة دير القديس أنبا مقار وادى النطرون. طبعة أولى سنة ١٩٨١م. القاهرة .

(١٧٥) ـــــــ: مجموعة الشرع الكنسى أو قوانين الكنيسة المسيحية الجامعة التى وضعتها المجامع المسكونية والمكانية المقدسة. جمع وترجمة الأرشمندريت : حنانيا إلياس كساب. منشورات النور. بيروت.

مفيد كامل:

(١٧٦) الثالوث الذى به نؤمن. راجعه وقدم له القمص عبد المسيح ثاوفيلس. الكلية الإكليريكية بالبلينا بسوهاج .القاهرة.

القس: منسى يوحنا:

(١٧٧) حياة آدم. مكتبة المحبة. طبعة ثانية . سنة ١٩٦٧م. القاهرة.

موريس بوكاى:

(١٧٨) دراسة فى الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة. دار المعارف طبعة رابعة. سنة ١٩٧٧م. القاهرة.

موريس تاوضروس:

(١٧٩) دراسات فى إنجيل يوحنا(الجزء الأول) منشورات الكلية الإكليريكية اللاهوتية. سلسلة المباحث المتصلة بالكتاب المقدس. لجنة الثقافة القبطية، سنة ١٩٦٨ م القاهرة.

نخبة من خدَّام الإنجيل:

(١٨٠) ما معنى المسيح ابن الله ؟ طبعة ثانية ١٩٨٢م. القاهرة.

(١٨١) ـــــــ: نشأة الطوائف المسيحية . نقله إلى العربية المطران إسحاق سعد.صدر عن دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية. سنة ١٩٧٧م القاهرة.

نظمى لوقا:

(١٨٢) محمد الرسالة والرسول. دار الكتب الحديثة. طبعة ثانية. طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم. سنة ١٩٥٩م. القاهرة.

نقولا يعقوب:

(١٨٣) أبحاث المجتهدين فى الخلاف بين النصارى والمسلمين . مطبعة المعارف طبعة رابعة. سنة ١٩٧٧م. القاهرة.

ج. ١ . وليسمن:

(١٨٤) تفسير أصول الإيمان . ترجمة الشيخ فايز فضيل. جزءان . دار الثقافة المسيحية . سنة ١٩٧٧م القاهرة.

وليم باركلى:

(١٨٥) تفسير العهد الجديد(سفر أعمال الرسل) ترجمة جوزيف صابر. دار الثقافة المسيحية. طبعة أولى. سنة ١٩٧٥م. القاهرة.

(١٨٦) تفسير العهد الجديد(إنجيل لوقا) ترجمة القس مكرم نجيب. دار الثقافة المسيحية. سنة ١٩٨٢م. القاهرة.

(١٨٧) تفسير العهد الجديد(رسالة رومية) ترجمة القس منسى عبد النور دار الثقافة المسيحية. سنة ١٩٧٥م. القاهرة.

يسى منصور:

(١٨٨) الصليب فى جميع الأديان . نشر دار الثقافة بالإسكندرية. طبعة رابعة سنة ١٩٧٦ م.

يوسف الحداد:

(١٨٩) فلسفة المسيحية فى رسائل بولس(جزءان) سلسلة دراسات إنجيلية. لم يذكر اسم الناشر . سنة ١٩٦٨م.

(١٩٠) ______: يوم الرب يوم السبت أم يوم الأحد. مطبعة الشرق الأوسط. طبعة أولى. سنة ١٩٥٩م. بيروت.

ثالثًا : مراجع الأديان الأخرى

د/ إحسان يار شاطر:

(١٩١) الأساطير الإيرانية القديمة. ترجمة د/ محمد صادق نشأت. مكتبة الأنجلو المصرية. الطبعة الأولى . سنة ١٩٦٥م. القاهرة.

د/ أحمد الخشاب:

(١٩٢) الاجتماع الدينى مفاهيمه النظرية وتطبيقاته العملية. مكتبة القاهرة الحديثة. الطبعة الثالثة. سنة ١٩٧٠م. القاهرة.

د/ أحمد شلبى:

(١٩٣) اليهودية. الناشر: مكتبة النهضة المصرية . الطبعة الخامسة . سنة ١٩٨٧م. القاهرة.

(١٩٤) أديان الهند الكبرى. مكتبة النهضة المصرية. الطبعة الخامسة. سنة ١٩٧٩م. القاهرة.

أدولف إرمان:

(١٩٥)ديانة مصر القديمة نشأتها وتطورها ونهايتها فى أربعة آلاف سنة. ترجمة ومراجعة د/ عبد المنعم أبو بكر، د/ محمد أنور شكرى . مكتبة مصطفى الحلبى. القاهرة.

أ . ح. أربرى: (بالاشتراك مع مجموعة من المستشرقين)

(١٩٦) تراث فارس . ترجمة مجموعة من أساتذة كلية الآداب جامعة القاهرة بإشراف د/ يحيى خشاب. دار إحياء الكتب العربية. عيسى الحلبى ١٩٥٩ .

أنطون زكرى:

(١٩٧) الأدب والدين عند قدماء المصريين. بدون ذكر اسم الناشر

د/ بركات عبد الفتاح دويدار.

(١٩٨) دراسة فى الأديان. طبعة سنة ١٩٨١م القاهرة.

البيرونى:

(١٩٩) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل أ و مرذولة . طبعة دائرة المعارف العثمانية . مجيد آباد . سنة ١٩٥٨م ، عالم الكتب. بيروت.

توماس بلفينش:
(٢٠٠) عصر الأساطير. ترجمة: رشدى السيسى. راجعه : د/محمد صقر خفاجة. سلسلة الألف كتاب. النهضة العربية ١٩٦٦م. القاهرة.

جوزيف كاير:
(٢٠١) حكمة الأديان الحية. ترجمة: حسين الكيلانى .مراجعة: محمود الملاح. دار مكتبة الحياة . سنة ١٩٦٤م . بيروت .

جيمس فريزر:
(٢٠٢) الغصن الذهبى(دراسة فى السحر والدين) الجزء الأول. ترجم بإشراف د/ أحمد أبو زيد. الهيئة العامة المصرية للكتاب ١٩٧١م القاهرة.

جيمس هنرى برستيد:
(٢٠٣) تطور الفكر والدين فى مصر القديمة . ترجمة : زكى سوس. دار الكرنك للنشر والطبع والتوزيع. سنة ١٩٦١م. القاهرة .
(٢٠٤) فجر الضمير. ترجمة د/ سليم حسن. سلسلة الألف كتاب. مكتبة مصر. طبعة ثانية. سنة ١٩٨٠م. القاهرة.

حامد عبد القادر
(٢٠٥) بوذا الأكبر(حياته وفلسفته) سلسلة قادة الفكر والشرق رقم(٨) نهضة مصر. سنة ١٩٥٧م. القاهرة.
(٢٠٦) زرادشت(حياته وفلسفته) سلسلة قادة الفكر(الكتاب الأول) نهضة مصر. سنة ١٩٥٦م. القاهرة.
(٢٠٧) قصة الأدب الفارسى. الجزء الأول. نهضة مصر ١٩٥١م القاهرة .

د/ رفقى زاهر:
(٢٠٨) قصة الأديان(دراسة تاريخية ومقارنة) مكتبة النهضة المصرية. الطبعة الأولى. سنة ١٩٨٠م. القاهرة .

د / رؤوف شلبى:
(٢٠٩) التفكير الدينى فى العالم قبل الإسلام. عرض وترجمة وتعليق. دار الثقافة . الدوحة.

هـ . ج . روز:

(٢١٠) الديانة اليونانية . ترجمة / رمزى عبده جرجس. مراجعة د/محمد سليم سالم. سلسلة الألف كتاب. دار نهضة مصر . سنة ١٩٦٥م.

زكى شنودة:

(٢١١) المجتمع اليهودى. مكتبة الخانجى. القاهرة.

سليمان مظهر:

(٢١٢) قصة الديانات. دار الوطن العربى للطباعة والنشر. لبنان

صموئيل هنرى هووك:

(٢١٣) منعطف المخيلة البشرية. بحث فى الأساطير. ترجمة: صبحى حديدى. دار الحوار للنشر والتوزيع. الطبعة الأولى ١٩٨٣ م. سوريا.

عباس العقاد:

(٢١٤) الله(كتاب فى نشأة العقيدة الإلهية) دار المعارف. الطبعة السابعة القاهرة.

عبد الرحمن حمدى:

(٢١٥) الهند عقائدها وأساطيرها. سلسلة اقرأ. العدد(٤٣٢) دار المعارف سنة ١٩٧٨ م. القاهرة

د/ على سامى النشار:

(٢١٦) نشأة الدين(النظريات التطورية والمؤلهة) سنة ١٣٦٧ هـ. مكتبة الخانجى. القاهرة.

د/ عبد الله يوسف الشاذلى:

(٢١٧) محاضرات فى الملل والنحل. كلية أصول الدين بطنطا.

د/ على عبد الواحد وافى:

(٢١٨) الأدب اليونانى القديم ودلالته على عقائد اليونان ونظامهم الاجتماعى. دار نهضة مصر. الطبعة الثانية. سنة ١٩٧٩م. القاهرة.

(٢١٩) الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام. دار نهضة مصر. سنة ١٩٧١م. القاهرة.

(٢٢٠) الطوطمية(أشهر الديانات البدائية) سلسلة اقرأ ١٩٤ ـ دار المعارف سنة ١٩٥٩ م. القاهرة.

(٢٢١) غرائب النظم والتقاليد والعادات. دار نهضة مصر ١٩٨٤م القاهرة.

(٢٢٢) اليهودية واليهود. دار نهضة مصر. الطبعة الثانية . القاهرة.

د/ عوض الله حجازى:

(٢٢٣) مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام. دار الطباعة المحمدية. الطبعة الثانية . سنة ١٩٨١م. القاهرة.

د/ فاطمة المصرى:

(٢٢٤) الزار(دراسة نفسية تحليلية أنثروبولوجية) الهيئة المصرية العامة للكتاب. سنة ١٩٧٥م. القاهرة.

فرانسوا دوماس:

(٢٢٥) آلهة مصر. ترجمة : زكى سوس. سلسلة الألف كتاب الثانى. الهيئة العامة للكتاب. سنة ١٩٨٦م. القاهرة.

فوستيل دى كولانج:

(٢٢٦) المدينة العتيقة(دراسة لعبادة الإغريق والرومان وشرعهم وأنظمتهم) ترجمة: عباس بيومى، مراجعة: د/ عبد الحميد الدواخلى. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة.

فيليب فاندنبرج:

(٢٢٧) لعنة الفراعنة. ترجمة : خالد أسعد عيسى، أحمد غسان . دار قتيبة للطباعة والنشر. الطبعة الأولى. سنة ١٩٨٢م. دمشق.

د/ محمد إبراهيم الفيومى:

(٢٢٨) فى الفكر الدينى الجاهلى. دار المعارف. ط ثالثة ١٩٨٣م القاهرة.

الإمام محمد أبو زهرة.:

(٢٢٩) مقارنة الأديان(الأديان القديمة) دار الفكر العربى. القاهرة.

د/ محمد إسماعيل الندوى:

(٢٣٠) الهند القديمة حضارتها ودياناتها. دار الشعب ١٩٧٠م. القاهرة.

د/ محمد صقر خفاجة، د/ عبد اللطيف أحمد على:

(٢٣١) أساطير اليونان. دار النهضة العربية ١٩٥٩م. القاهرة.

محمد طاهر التنير:

(٢٣٢) العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية. طبع ببيروت سنة ١٣٣٠ هـ.

د/ محسن العابد:

(٢٣٣) مدخل فى تاريخ الأديان. دار الكتاب. سوسة. تونس.

د/ منى ناظم:

(٢٣٤) المسيح اليهودى(ومفهوم السيادة الإسرائيلية) اتحاد الصحافة والنشر. الطبعة الأولى. سنة ١٩٨٦م.

هما يول كبير:

(٢٣٥) التراث الهندى. مجلس الهند للروابط الثقافية.

رابعًا: المراجع الفلسفية

د/ إبراهيم مدكور، يوسف كرم:

(٢٣٦) دروس فى تاريخ الفلسفة . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٣٧٢ هـ. القاهرة.

إتين جلسون:

(٢٣٧) روح الفلسفة المسيحية فى العصر الوسيط. عرض وتعليق د/ إمام عبد الفتاح إمام. دار الثقافة للطباعة والنشر. الطبعة الثانية ١٩٧٤م القاهرة،

إميل بريهية:

(٢٣٨) الآراء الدينية والفلسفية لفيلون الإسكندرى . ترجمة ومراجعة د/ محمد يوسف موسى، د/ عبد الحليم النجار. مطبعة مصطفى الحلبى. سنة ١٩٥٤ م. القاهرة.

برترا ندرسل

(٢٣٩) تاريخ الفلسفة الغربية . الكتاب الأول. الفلسفة القديمة . ترجمة الدكتور/ زكى نجيب محمود. لجنة التأليف والترجمة والنشر. الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٨م. القاهرة.

(٢٤٠) تاريخ الفلسفة الغربية. الكتاب الثانى. الفلسفة الكاثوليكية. ترجمة د/ زكى نجيب محمود. لجنة التأليف والنشر.

(٢٤١) حكمة الغرب(الجزء الأول) ترجمة د/ فؤاد زكريا . سلسلة عالم المعرفة . العدد ـ ٦٢ المجلس الوطنى للثقافة والنفون والآداب. الكويت.

بول ماسون:

(٢٤٢) الفلسفة فى الشرق. ترجمة د/ محمد يوسف موسى. ملتزم الطبع والنشر. دار المعارف. سنة ١٩٧٤م. القاهرة.

ج . بيورى:

(٢٤٣) حرية الفكر . تعريب: محمد عبد العزيز إسحاق. لجنة التأليف والنشر.

أ . و . توملين:

(٢٤٤) فلاسفة الشرق. ترجمة : عبد الحميد سليم . مراجعة: على أدهم. دار المعارف. سنة ١٩٨٠م. القاهرة.

جامعة أكسفورد:

(٢٤٥) كتاب ما خلفته اليونان. ترجمة: لجنة التأليف والترجمة والنشر. راجعها: أحمد فريد، محمد على مصطفى. وزارة المعارف العمومية. سنة ١٩٢٩ . القاهرة.

جورج سارتون:

(٢٤٦) العلم القديم والمدنية الحديثة. ترجمة وتقديم: د/ عبد الحميد صبرة مكتبة النهضة المصرية. القاهرة .

(٢٤٧) تاريخ العلم. ستة أجزاء. ترجمة لفيف من العلماء. دار المعارف. الطبعة الثالثة . القاهرة.

أ . س. رابوبرت:

(٢٤٨) مبادئ الفلسفة. ترجمة: أحمد أمين. مكتبة النهضة المصرية. الطبعة الثامنة. سنة ١٩٧١م. القاهرة .

د/ عبد الرحمن بدوى:

(٢٤٩) خريف الفكر اليونانى. وكالة المطبوعات. الكويت . الطبعة الخامسة سنة ١٩٧٩م.

د/ عبد الله يوسف الشاذلى:

(٢٥٠) الحكمة العربية فى أصالتها الفطرية. مؤسسة سعيد للطباعة . الطبعة الأولى . سنة ١٤٠٢ هـ . طنطا.

د/ عثمان أمين:

(٢٥١) الفلسفة الرواقية . مكتبة الأنجلو المصرية . الطبعة الثالثة . سنة ١٩٧١م. القاهرة .

د/ على زيغو:

(٢٥٢) الفلسفات الهندية(قطاعاتها الهندوكية والإسلامية والإصلاحية). دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع. الطبعة الأولى ١٩٨٠م. بيروت.

لويس غرديه، ج. قنواتى:

(٢٥٣) فلسفة الفكر الدينى بين الإسلام والمسيحية. نقله إلى العربية: صبحى الصالحى، فريد جبر. دار العلم. الطبعة الأولى ١٩٦٧م. بيروت.

ليون جوتيه:

(٢٥٤) المدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية. ترجمه وعلق عليه د/ محمد يوسف موسى. دار الكتب الأهلية. الطبعة الأولى. سنة ١٩٤٥م. القاهرة.

د/ محمد الصادقي:

(٢٥٥) تاريخ الفكر والحضارة . دار التراث الإسلامي للطباعة والنشر. سنة ١٩٧٤م. بيروت.

د/ محمد غلاب:

(٢٥٦) الفلسفة الشرقية . مكتبة الأنجلو . الطبعة الثانية ١٩٥٠م. القاهرة .

يوسف كرم

(٢٥٧) تاريخ الفلسفة اليونانية . السلسلة الفلسفية . لجنة التأليف والترجمة والنشر . الطبعة السادسة ١٩٧٦ م. القاهرة.

خامساً: المراجع التاريخية

د/ إبراهيم أحمد العدوى:

(٢٥٨) المجتمع الأوربى فى العصور الوسطى . مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعى. سنة ١٩٨٠م . القاهرة.

د/ إبراهيم نصحى:

(٢٥٩) تاريخ الرومان . الجزء الثانى. منشورات الجامعة الليبية . كلية الآداب . سنة ١٩٧٣م.

(٢٦٠) تاريخ مصر فى عصر البطالمة . الجزء الأول والثانى. الطبعة الخامسة . مكتبة الأنجلو المصرية . سنة ١٩٨٠م.

ج . إدجار، محمد شفيق غربال:

(٢٦١) التاريخ القديم. مطبعة المعارف ومكتبتها ١٩٣١ م. القاهرة.

إدريس بل:

(٢٦٢) الهيلينية فى مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربى. ترجمة: زكى على . مكتبة الدراسات التاريخية. دار المعارف ١٩٥٩م. القاهرة.

إدوار جيبون:

(٢٦٣) اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها. الجزء الأول . ترجمة محمد على أبو درة . مراجعة : أحمد نجيب هاشم . دار الكاتب العربى للطباعة والنشر.

أرنولد توينبى :

(٢٦٤) تاريخ البشرية . جزءان . ترجمة د/ نقولا زيادة. الناشر: الأهلية للنشر والتوزيع . ثالثة . بيروت . سنة ١٩٨٥م. القاهرة.

(٢٦٥) تاريخ الحضارة الهلينية . ترجمة رمزى عبده جرجس. مراجعة: د/ محمد صقر خفاجة . سلسلة الألف كتاب. الأنجلو المصرية سنة ١٩٦٣م القاهرة.

(٢٦٦) مختصر دراسة للتاريخ . أربعة أجزاء . ترجمة : فؤاد محمد شبل، مراجعة : محمد شفيق غربال، د/ أحمد عزت عبد الكريم . لجنة التأليف والترجمة والنشر. طبعة ثانية . سنة ١٩٦٥ م. القاهرة.

د/ إسحاق عبيد:

(٢٦٧) الإمبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية. تقديم د/ج. قنواتى.دار المعارف . سنة ١٩٧٢م. القاهرة .

(٢٦٨) روما وبيزنطة. سلسلة الكتب التاريخية. دار المعارف . طبعة أولى سنة ١٩٧٠ م. القاهرة.

د/ أسد رستم:

(٢٦٩) الروم فى سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب. الجزء الأول . دار المكشوف. سنة ١٩٥٥م. بيروت.

(٢٧٠) عصر أوغسطس قيصر وخلفائه(المقدمات) منشورات الجامعة اللبنانية . سنة ١٩٦١م. بيروت.

أفغراف سمير نوف:

(٢٧١) تاريخ الكنيسة المسيحية. ترجمة الكسندروس مطران حمص. طبع فى حمص بمطابع الفجر. سنة ١٩٦٤م.

د/ السيد الباز العريني:

(٢٧٢) مصر البيزنطية . دار النهضة العربية .سنة ١٩٦١م. القاهرة.

أندرو ملر:

(٢٧٣) مختصر تاريخ الكنيسة من البداية إلى القرن العشرين(جزءان فى مجلدين) مكتبة كنيسة الأخوة سنة ١٩٧١م. القاهرة.

أندريه إيمار ، جانين أوبوابه:

(٢٧٤) الشرق واليونان القديمة. المجلد الأول من(تاريخ الحضارات العام) ترجمة فريد واغر، فؤاد أبو ريحان. ط أولى . منشورات عويدات. سنة ١٩٦٤م. بيروت.

(٢٧٥) روما وإمبراطوريتها. المجلد الثانى من(تاريخ الحضارات العام) منشورات عويدات سنة ١٩٦٤ م. بيروت.

إيريس حبيب المصرى:

(٢٧٦) قصة الكنيسة القبطية . الكتاب الأول. مكتبة كنيسة الشهيد مار جرجس بالإسكندرية.

ر . هـ . بارو:
(٢٧٧) الرومان. ترجمة عبد الرازق يسرى. مراجعة د/ سهير القلماوى. دار نهضة مصر . سلسلة الألف كتاب. سنة ١٩٦٨م القاهرة.
أ . ل . بتشر:
(٢٧٨) تاريخ الأمة القبطية وكنيستها. الجزء الأول والثانى. تعريب إسكندر تاوضروس. مطبعة مصر سنة ١٩٠٠ م. القاهرة.
بيريل سمالى:
(٢٧٩) المؤرخون فى العصور الوسطى . ترجمة د/ قاسم عبده قاسم. طبعة ثانية. دار المعارف. سنة ١٩٧٤م. القاهرة.
و . و . تارن:
(٢٨٠) الإسكندر الأكبر قصته وتاريخه. ترجمة : زكى على مراجعة : د/ محمد سليم سالم. سلسلة الألف كتاب. الناشر مركز كتب الشرق الأوسط. سنة ١٩٦٣م. القاهرة.
(٢٨١) ـــــــــ : تاريخ الخلفاء. ترجم من اللغة الفرنسية بقلم نخلة بك صالح شفوات. طبعة أولى. مطبعة هندية.
م . ب . تشارلز ورث:
(٢٨٢) الإمبراطورية الرومانية . ترجمة: رمزى عبد ه جرجس . راجعه: د/ محمد صقر خفاجة . دار الفكر العربى. سلسلة الألف كتاب. سنة ١٩٦١م. القاهرة.
جلانفيل دوانى:
(٢٨٣) إنطاكية فى عهد ثيودسيوس الكبير. ترجمة د/ البرت بطرس. مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر. بيروت. نيويورك .مكتبة لبنان سنة ١٩٦٨م.
(٢٨٤) إنطاكية القديمة . ترجمة د/ إبراهيم نصحى .دار نهضة مصر. سنة ١٩٦٧م. القاهرة
جوزيف نسيم يوسف:
(٢٨٥) دراسات فى تاريخ العصور الوسطى. مؤسسة شباب الإسكندرية. سنة ١٩٨٣م . القاهرة.

جون لوريمر :

(٢٨٦) تاريخ الكنيسة(صدر منه جزءان) الجزء الأول ط سنة ١٩٨١م، الجزء الثانى سنة ١٩٨٥م. دار الثقافة المسيحية.

جيمس هنرى برستيد :

(٢٨٧) انتصار الحضارة(تاريخ الشرق القديم) ترجمة د/ أحمد فخرى . الأنجلو المصرية . سنة ١٩٦٩م . القاهرة.

(٢٨٨) العصور القديمة . ترجمة داود قربان. مؤسسة عز الدين . سنة ١٩٨٣م. بيروت.

حامد عبد القادر :

(٢٨٩) الأمم السامية مصادر تاريخها وحضارتها. مراجعة وتعليق : عونى عبد الرءوف. نهضة مصر . القاهرة.

حبيب سعيد :

(٢٩٠) فجر المسيحية(الجزء الأول من سلسلة تاريخ المسيحية التى تصدرها دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية).

حسن بيرنيا :

(٢٩١) تاريخ إيران القديم من البداية حتى نهاية العهد الساسانى .ترجمة : د/ محمد نور الدين عبد المنعم، د/ السباعى محمد السباعى، مراجعة : د/ يحيى الخشاب . الأنجلو المصرية. سنة ١٩٧٩م. القاهرة.

ج. و . دف :

(٢٩٢) تاريخ الأدب الرومانى(الجزء الأول) ترجمة د/ محمد سليم سالم، راجعه د/ محمد صقر خفاجة . مركز كتب الشرق الأوسط . سنة ١٩٦٣م.

دونالد دولى :

(٢٩٣) حضارة روما. ترجمة جيمل يواقيم الذهبى، فاروق فريد . مراجعة محمد صقر خفاجة. دار نهضة مصر . القاهرة.

و . ج . دى بورج :

(٢٩٤) تراث العالم القديم(الجزء الأول) ترجمة زكى سوس. راجعه: يحيى الخشاب، د/صقر خفاجة . دار الكرنك للنشر والطبع والتوزيع . سنة ١٩٦٥ م. القاهرة.

ديتلف نيلسن، فرنزر هومل وغيرهما:

(٢٩٥) التاريخ العربى القديم. ترجمه واستكمله د/ فؤاد حسنين على. مراجعة: د/ زكى محمد حسن . النهضة المصرية . القاهرة.

د/ رأفت عبد الحميد:

(٢٩٦)(قسطنطين) الجزء الثانى من سلسلة الدولة والكنيسة . دار المعارف طبعة ثانية ـ سنة ١٩٨٣م . القاهرة.

(٢٩٧) ثيودسيوس وامبروز . الجزء الرابع من سلسلة الدولة والكنيسة طبعة أولى. دار المعارف . سنة ١٩٨٣م. القاهرة.

د/ رالف لنتون:

(٢٩٨) شجرة الحضارة(قصة الإنسان منذ فجر ما قبل التاريخ حتى بداية العصر الحديث). الجزء الثانى والثالث. ترجمة د/ أحمد فخرى. الأنجلو المصرية.

رستوفتزف:

(٢٩٩) تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعى والاقتصادى، ترجمة : زكى على ، محمد سليم سالم. النهضة المصرية.

رولاند بينتون:

(٣٠٠) مواقف من تاريخ الكنيسة . ترجمة : عبد النور ميخائيل. طبعة ثانية دار الثقافة المسيحية . سنة ١٩٧٨م. القاهرة.

د/زاهر رياض:

(٣٠١) كنيسة الإسكندرية فى أفريقيا . ط أولى. سنة ١٩٦٢م.

د/ زكى شنودة:

(٣٠٢) تاريخ الأقباط . الجزء الأول ، والثالث ، والسادس. جمعية التوفيق القبطى. لجنة التاريخ والنشر. طبعة أولى . سنة ١٩٦٢م. القاهرة.

هـ. سانت . ل . موس:

(٣٠٣) ميلاد العصور الوسطى . ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد. مراجعة د/ السيد الباز. سلسلة الألف كتاب . عالم الكتب. سنة ١٩٦٧م. القاهرة.

سعيد بن البطريق :

(٣٠٤) التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق. مطبعة الآباء اليسوعيين سنة ١٩٥٠ م. بيروت.

د/ سعيد عبد الفتاح عاشور:

(٣٠٥) أوربا العصور الوسطى(جزءان) الأنجلو المصرية. طبعة ثانية. سنة ١٩٦٤م. القاهرة .

د/ سليم عادل عبد الحق :

(٣٠٦) روما والشرق الرومانى(العهد الجمهورى حتى نهاية قيصر) المطبعة الهاشمية ، من مطبوعات المديرية العامة للآثار والمتاحف بدمشق. سنة ١٩٥٩ م.

د/ سيد أحمد على الناصرى :

(٣٠٧) تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسى والحضارى. دار النهضة المصرية . سنة ١٩٧٥م. القاهرة.

(٣٠٨) تاريخ حضارة الرومان(من ظهور القرية حتى سقوط الجمهورية) بدون ذكر اسم الناشر. طبعة ثانية ١٩٨٢م.

د/ شحاته محمد إسماعيل ، د/ عاصم احمد حسين :

(٣٠٩) المدخل إلى تاريخ الإغريق . بدون ذكر اسم الناشر . القاهرة ١٩٨٣م

ل . ج . شينى :

(٣١٠) تاريخ العالم الغربى . ترجمة مجد الدين حفنى ناصف. مراجعة : على أدهم . سلسلة الألف كتاب. دار النهضة العربية . القاهرة .

عبد الرحمن الرافعى :

(٣١١) تاريخ الحركة القومية فى مصر القديمة من فجر التاريخ إلى الفتح العربى . ط أولى. مكتبة النهضة المصرية. سنة ١٩٦٣م . القاهرة.

عبد الحميد زايد :

(٣١٢) الشرق الخالد. دار النهضة المصرية . القاهرة.

د/عبد العزيز صالح :
(٣١٣) الشرق الأدنى القديم(مصر والعراق) مكتبة الأنجلو المصرية. طبعة رابعة . سنة ١٩٨٤م.
د/ عبد القادر أحمد اليوسف :
(٣١٤) الإمبراطورية البيزنطية . المكنبة العصرية . صيدا . بيروت . سنة ١٩٦٦م.
(٣١٥) العصور الوسطى الأوربية . المكتبة العصرية. صيدا . بيروت. سنة ١٩٦٧م.
د/ عبد اللطيف أحمد على :
(٣١٦) التاريخ الرومانى(عصر الثورة) دار النهضة العربية للطباعة والنشر سنة ١٩٦٧م. القاهرة.
(٣١٧) روما عصر الجمهورية . دار النهضة العربية ١٩٦١م. القاهرة.
(٣١٨) مصر والإمبراطورية الرومانية فى ضوء الأوراق البردية. دار النهضة العربية للطباعة والنشر. سنة ١٩٧٢م. القاهرة.
د/ على الغمراوى :
(٣١٩) مدخل إلى دراسة التاريخ الأوربى الوسيط. طبعة ثانية . مكتبة سعيد رأفت . سنة ١٩٧٧م. القاهرة.
هـ . ا . ل . فشر :
(٣٢٠) تاريخ أوربا فى العصور القديمة. ترجمة : د/ إبراهيم نصحى، د/ محمد عواد حسين. دار المعارف. سنة ١٩٥٠م. القاهرة.
(٣٢١) تاريخ أوربا العصور الوسطى(القسم الأول) ترجمة : محمد مصطفى زيادة، السيد الباز . طبعة سادسة . دار المعارف ١٩٧٦م. القاهرة.
فؤاد محمد شبل :
(٣٢٢) دور مصر فى تكوين الحضارة . المكتبة الثقافية . الهيئة العامة للكتاب. سنة ١٩٧١م. القاهرة.
د/ فيليب حتى :
(٣٢٣) تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، . الجزء الأول. ترجمة : جورج حداد، عبد الكريم رافق. مراجعة د/ جبرائيل جبور . دار الثقافة . بيروت.

كاثرين هنرى :

(٣٢٤) التاريخ فى الكتاب المقدس. تلخيص حبيب سعيد. صدر عن دار التأليف والنشر الكنيسة الأسقفية . القاهرة.

كرستوفر دوس :

(٣٢٥) تكوين أوربا . ترجمة ومراجعة د/ سعيد عبد الفتاح عاشور ، محمد مصطفى زيادة. سلسلة الألف كتاب. مؤسسة سجل العرب ١٩٦٧م. القاهرة.

الأنبا الكسندروس :

(٣٢٦) تاريخ الكنيسة القبطية(الجزء الأول) مطبعة النجمة.

ج . ج . كولتون :

(٣٢٧) عالم العصور الوسطى فى النظم والحضارة . ترجمة : جوزيف نسيم يوسف . طبعة ثانية . دار المعارف. سنة ١٩٦٧م. القاهرة.

هـ . د . كيتو :

(٣٢٨) الإغريق. ترجمة عبد الرازق يسرى . راجعه د/ محمد صقر خفاجة، سلسلة الألف كتاب. دار الفكر العربى. سنة ١٩٦٢م. القاهرة.

لجنة التاريخ القبطى :

(٣٢٩) تاريخ الأمة القبطية . مطبعة التوفيق. طبعة ثانية ١٩٢٢م القاهرة .

د/ محمد بيومى مهران :

(٣٣٠) دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم(الجزء الخامس) الخاص بالحضارة المصرية . دار المعرفة الجامعية . سنة ١٩٨٤م. القاهرة.

محمد شفيق غربال :

(٣٣١) تكوين مصر. سلسلة أحاديث باللغة الإنجليزية . نقلها إلى العربية محمد رفعت. النهضة المصرية . سنة ١٩٥٧م. القاهرة.

محمد عبد الرحيم مصطفى ، عبد العزيز مبارك :

(٣٣٢) تاريخ مصر القومية. وزارة المعارف العمومية ١٩٥٢م القاهرة .

محمد عبد الرحيم مصطفى :

(٣٣٣) النظم اليونانية والرومانية والإسلامية . الناشر مكتبة سعد . طبعة أولى . سنة ١٩٣٧م. القاهرة.

محمد على كمال الدين :

(٣٣٤) الحضارة المصرية القديمة(الجزء الأول من كتاب الشرق الأوسط فى موكب الحضارة). النهضة المصرية . سنة ١٩٥٩م. القاهرة .

(٣٣٥) الحضارات الشرقية القديمة . الجزء الثانى من كتاب الشرق الأوسط فى موكب الحضارة. دار النهضة العربية . القاهرة.

د/ محمود محمد الحويرى :

(٣٣٦) رؤية فى سقوط الإمبراطورية الرومانية. دار المعارف سنة ١٩٨١م القاهرة.

د/ مراد كامل ، د/ محمد حمدى البكرى :

(٣٣٧) تاريخ الأدب السريانى من نشأته إلى الفتح الإسلامى . مطبعة المقتطف والمقطم . سنة ١٩٤٩م. القاهرة.

د/ مصطفى العبادى :

(٣٣٨) مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربى . الأنجلو المصرية. سنة ١٩٨٥م. القاهرة .

د/ مصطفى كمال عبد العليم :

(٣٣٩) اليهود فى مصر فى عصرى البطالمة والرومان . مكتبة القاهرة الحديثة . طبعة أولى . سنة ١٩٦٨م. القاهرة.

القس : منسى يوحنا :

(٣٤٠) تاريخ الكنيسة القبطية . مكتبة المحبة . القاهرة.

نجيب إبراهيم طراد :

(٣٤١) تاريخ الرومانيين من بناء رومية إلى تلاشى الحكومة الجمهورية. طبع فى بيروت بالمطبعة اللبنانية. سنة ١٨٨٦م.

د/ نجيب إبراهيم ميخائيل :

(٣٤٢) مصر من فجر التاريخ إلى قيام الدولة الحديثة. الجزء الأول من سلسلة (مصر والشرق الأدنى القديم) دار المعارف. ط رابعة . القاهرة.

(٣٤٣) الشرق الأدنى القديم. لجزء الثالث من سلسلة (مصر والشرق الأدنى القديم) دار المعارف . ط ثانية سنة ١٩٦٤م.

نخبة من العلماء :

[٣٤٤] تاريخ العالم. إعداد السير جون هامرتن. أشرف على ترجمته قسم الترجمة بوزارة التربية والتعليم. القاهرة، مكتبة النهضة المصرية.

نخبة من علماء التاريخ :

[٣٤٥] تاريخ الحضارة المصرية(العصر الفرعونى) المجلد الأول.مكتبة النهضة المصرية.

نورمان :

[٣٤٦] الإمبراطورية البيزنطية. ترجمة د/ حسين مؤنس، محمود يوسف زايد.الدار القومية للطباعة والنشر.

نورمان كانتو :

[٣٤٧] التاريخ الوسيط (القسم الأول) ترجمة د/ قاسم عبده قاسم.دار المعارف.سنة ١٩٨١م. القاهرة.

ج. م هسى :

[٣٤٨] العالم البيزنطى. ترجمة د/ رأفت عبد الحميد. مكتبة سعيد رأفت سنة ١٩٧٦م. القاهرة.

هلير:

[٣٤٩] تاريخ العالم.ترجمة إبراهيم ميخائيل عودة.دار الديب للطباعة والنشر.سنة ١٩٥٦م. دمشق.

ول ديورانت :

[٣٥٠] نشأة الحضارة.الجزء الأول من المجلد الأول من كاتب (قصة الحضارة)ترجمة د/ زكى نجيب محمود.لجنة التأليف والترجمة والنشر طبعة رابعة.سنة ١٩٧٣م القاهرة.

[٣٥١] الشرق الأدنى. الجزء الثانى من المجلد الأول من (قصة الحضارة) ترجمة محمد بدران. لجنة التأليف والنشر.سنة ١٩٧١م.

[٣٥٢] الهند وجيرانها.الجزء الثالث من المجلد الأول من (قصة الحضارة) ترجمة: زكى نجيب محمود.لجنة التأليف والنشر.طبعة ثالثة. سنة ١٩٦٨م القاهرة.

[٣٥٣] حياة اليونان (الجزء الأول من المجلد الثانى) ترجمة محمد بدران. طبعة ثالثة سنة ١٩٩٦م. القاهرة.

[٣٥٤] حياة اليونان. الجزء الثالث من المجلد الثانى.ترجمة محمد بدران. طبعة ثالثة. سنة ١٩٧٣.م القاهرة.

[٣٥٥] قيصر والمسيح أو الحضارة الرومانية. (الجزء الأول من المجلد الثالث) ترجمة محمد بدران. طبعة ثالثة.سنة ١٩٧٢م.

[٣٥٦] قيصر والمسيح (الجزء الثانى من المجلد الثالث) ترجمة محمد بدران. طبعة ثالثة سنة ١٩٧٣م.

[٣٥٧] قيصر والمسيح (الجزء الثالث من المجلد الثالث) ترجمة محمد بدران. طبعة ثالثة. سنة ١٩٧٣م.

[٣٥٨] عصر الإيمان (الجزء الأول من المجلد الرابع) ترجمة محمد بدران سنة ١٩٧٣م.

هـ. ج. ولز:

[٣٥٩] معالم تاريخ الإنسانية. المجلد الأول. نشأة الكون والإنسان والحضارات. ترجمة عبد العزيز جاويد. لجنة التأليف والترجمة والنشر طبعة ثالثة. سنة ١٩٦٧م. القاهرة.

[٣٦٠] تاريخ الإغريق والرومان (المجلد الثانى من معالم تاريخ الإنسانية) طبعة ثالثة. سنة ١٩٦٩م.

[٣٦١] المسيحية والإسلام والعصور الوسطى (المجلد الثالث من المرجع السابق) طبعة ثالثة. سنة ١٩٧٢م.

[٣٦٢) موجز تاريخ العالم.ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد. مراجعة محمد مأمون نجا.النهضة المصرية. سنة ١٩٨٥م. القاهرة.

أ. ولفنسون:

[٣٦٣] تاريخ اللغات السامية.دار القلم. طبعة أولى . سنة ١٩٨٠م . بيروت.

يعقوب نخلة:

[٣٦٤] تاريخ الأمة القبطية. مطبعة التوفيق. طبعة أولى ، سنة ١٩٥٨م. القاهرة.

يوسابيوس القيصرى:

[٣٦٥] تاريخ الكنيسة. ترجمة مرقس داود. مكتبة المحبة. طبعة ثانية. سنة ١٩٧٩ م. القاهرة.

[٣٦٦] حياة قسطنطين. ترجمة مرقس داود.مكتبة المحبة.القاهرة.

سادساً: رسائل علمية

إبراهيم حريبة :

[٣٦٧] الحلول والاتحاد في الفكر الإسلامى. رسالة ماجستير. كلية أصول الدين.القاهرة.

د/ إبراهيم سلامة :

[٣٦٨] القرآن وعقائد أهل الكتاب. رسالة دكتوراة.كلية أصول الدين.القاهرة.

د/ أحمد عجيبة :

[٣٩٦] الخلاص المسيحى ونظرة الإسلام إليه.رسالة ماجستير. كلية أصول الدين بطنطا.

د/ السعيد طه :

[٣٧٠] التشريع في اليهودية والنصرانية والإسلام. دراسة مقارنة. رسالة دكتوراة.كلية أصول الدين القاهرة.

د/ فتحى الزغبى :

[٣٧١] غلاوة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام. رسالة ماجستير كلية أصول الدين والدعوة بطنطا.

د/ محمد أبو الغيط الفرت :

[٣٧٢] عقيدتا التثليث والصلب في المسيحية وموقف الإسلام منها.رسالة دكتوراة.كلية أصول الدين القاهرة.

د/ محمد رجب الشتيوى :

[٣٧٣] المجامع المسيحية وأثرها في تقرير العقائد الكنسية. رسالة دكتوراة. كلية أصول الدين القاهرة.

د/ محمد عبد اللافى شرعان:

[٣٧٤] موقف القرآن الكريم والكتب المقدسة من عقيدة التثليث والقول بألوهيته. رسالة دكتوراة. كلية أصول الدين القاهرة.

سابعاً: معاجم ودوائر معارف

السيد الشريف (المعروف بالجرجانى) :

[٣٧٥] التعريفات.مطبعة مصطفى الحلبى. سنة ١٣٥٧هـ. القاهرة.

ابن منظور:

[٣٧٦] لسان العرب.طبعة دار المعارف.

د / جورج بوست :

[٣٧٧] فهرس الكتاب المقدس. صدر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى. الطبعة الرابعة. سنة ١٩٦٩ م.

جيمس هستنجر:

[٣٧٨] دائرة معارف الدين والأخلاق (باللغة الإنجليزية) طبعة لندن.

الفيروز آبادى :

[٣٧٩] القاموس المحيط. مطبعة مصطفى الحلبى.الطبعة الثانية. سنة ١٩٥٢م. القاهرة.

محمد على الفاروقى التهانوى :

[٣٨٠] كشاف اصطلاحات الفنون.تحقيق د/ لطفى عبد البديع.راجعه أمين الخولى.الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر.سنة ١٩٦٩م. القاهرة.

محمد فريد وجدى :

[٣٨١] دائرة معارف القرن العشرين (الجزء الثانى) الطبعة الثالثة. دار المعرفة للطباعة والنشر.سنة ١٩٧١م. بيروت.

مجمع اللغة العربية :

[٣٨٢] المعجم الفلسفي. سنة ١٩٧٩م. القاهرة.

[٣٨٣] المعجم الوسيط.الطبعة الثانية. سنة ١٩٧٢م. القاهرة.

د / مراد وهبة :

[٣٨٤] المعجم الفلسفي. دار الثقافة الجديدة.الطبعة الثالثة.سنة ١٩٧٩م.القاهرة.

نخبة من اللاهوتيين :

[٣٨٥] قاموس الكتاب المقدس ، منشورات مكتبة المشعل.بإشراف رابطة الكنائس الإنجيلية في الشرق الأوسط.الطبعة السادسة ١٩٨١م. بيروت.

نخبة من المتخصصين :

[٣٨٦] معجم العلوم الاجتماعية. إصدار هيئة اليونسكو.الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب. سنة ١٩٧٥م. القاهرة.

الفهرس

الفصل الأول: الاضطهاد

الفصل الرابع

(قسطنطين وأثره على المسيحية)

الفصل الخامس

(المجامع المسيحية وأثرها فى تقرير العقائد الكنسية)

الفصل الثالث

(عقيدة الصلب والفداء)

الفصل الرابع

(الشعائر)

تأثر المسيحية بالأديان الوضعية

يتحدث فية المؤلف عن حقيقة رسالة عيسى علية السلام ، ويبين أن دين الله واحد وهو الاسلام . وان مهمة المسيح تتلخص فى كونة رسولا الى بنى اسرائيل يدعوهم الى التوحيد وعبادة الله وحدة لاشريك لة ، ومصدقا لما بين يدية من التوراة ، ومبشرا بالنبى صلى الله علية وسلم .
ثم يشرع المؤلف فى الاجابة على سؤال : كيف تكونت المسيحية ؟ مؤكدا على انها نشأت وتكونت نتيجة لتأثرها بالاديان والمعتقدات الوثنية المنتشرة وقت ظهورها
ثم تحدث عن العوامل التى أدت الى تأثر المسيحية بغيرها وحصرها فى خمسة عوامل : الاضطهاد ، وضياع الانجيل الصحيح ،وبولس ونشاطة ، وقسطنطين وأثرة على المسيحية ، والمجامع المسيحية وأثرها فى تقرير العقائد الكنسية . ثم أتبع ذلك بالحديث عن منافذ الاتصال بين المسيحية والاديان الوضعية ، فأكد دور يهود الشتات فى هذا الأمر ، وكذلك أيضا السرية التى فرضها المسيحيون على انفسهم خوفا من الاضطهاد ، ثم تحدث المؤلف عن أخطر تلك المنافذ وهو استخدام اللغة اليونانية بدلا من اللغة التى كان يتحدث بها المسيح علية السلام ، وذلك لكى يخفوا تغييرهم لمضمون رسالة المسيح علية السلام ويحتالوا على تحريفها ، بالأضافة الى التبشير بالمسيحية فى العالم الوثنى ، وذلك أن الوثنيين لم يستطيعوا فهم المسيحية الا فى ضوء معتقداتهم وافكارهم الوثنية .

ثم تحدث المؤلف بعد ذلك عن مظاهر تأثر المسيحية بغيرها ، فتحدث عن التجسد وكيف استقاها المسيحيون فى الاديان الوثنية ، وأشار الى ما قررة جماعة من المسيحيين الانجليز الذى أقروا بأن عقيدة التجسد أسطورة وثنية فى كتابهم (أسطورة تجسد الالة) وتحدث بعد ذلك عن عقيدة التثليث وبين أن المسيحيين تأثروا بالمعتقدات الوثنية آنذاك التى كانت تؤمن بالتثليث
ثم تحدث بعد ذلك عن عقيدة الصلب والفداء ، واشار الى كونها واحدة من العقيدة التى دخلت المسيحية متأثرين فى ذلك بالعقائد الوثنية ولم تكتف المسيحية بأن استقت أصول عقائدها من الوثنية بل وجدناها ايضا قد أخذت شعائرها وأعيادها من الاديان الوثنية .

وقد التزم المؤلف فى كتابة بالموضوعية وبوصاية الله (ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن)

وكفى بالله هاديا ونصيرا

I.S.B.N. 977 - 344 - 125 - 3